الجزيرة الفراتية والموصل

دراسة في التاريخ السياسي والإداري

١٢٧ - ٢١٨ هـ / ٧٤٤ - ٨٣٣ م

تأليف

محمد جاسم حمادي

١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م

دار الرسالة للطباعة - بغداد



رسالة ماجستير

الجزيرة الفراتية والموصل

دراسة في التاريخ السياسي والإداري

١٢٧ - ٢١٨ هـ / ٧٤٤ - ٨٣٣ م

تأليف

محمد جاسم حمادي

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م

دار الرسالة للطباعة - بغداد

هذا الكتاب

اطروحة ماجستير نالت تقدير جيد جيداً .

حيث جرت مناقشتها في ١٩٧٥/٦/١٥ في قسم التاريخ ، كلية الآداب جامعة بغداد .

من قبل السادة :

* الدكتور فيصل جري
* الدكتور عواد مجيد
* الدكتور فاروق عمر فوزي
* الدكتور أكرم ضياء العمري
* الدكتور حسام الدين قوام

الرموز المستعملة بالبحث

١ ـ (لا . ت) تاريخ طبع المصدر أو المرجع غير موجود .

٢ ـ (ن • م) نفس المصدر والمرجع السابق في حالة كونه مطبوع باللغة العربية .

٣ ـ (I, bid) نفس المرجع السابق في حالة كونه مطبوع باللغة الاجنبية .

٤ ـ (Op , Cit) المرجع السابق في حالة كونه مطبوع باللغة الاجنبية .

٥ ـ (Ency) دائرة معارف .

٦ ـ (ت) توفي .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نطاق البحث وتحليل المصادر :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

اما بعد ، فان اختيار موضوع البحث بالنسبة لأي باحث لا تحدده الرغبة فقط ، بل يجب الاخذ بنظر الاعتبار أهمية الموضوع وجدوى البحث فيـــه ومدى توفر المصادر التاريخية التي تزودنا بحقائقه . وبالنسبة لي فأن اختياري وقع على موضوع «الجزيرة الفراتية والموصل بين سنتي ١٣٧ هـ / ٧٤٤م . ٢١٨هـ/ ٨٣٣ م » وان سبب ادخال الموصل في عنوان الرسالة يعود لكونها قاعدة الجزيرة ولأنها حفلت أحداث تاريخية مهمة ، وهذا ما ينعكس من خلال البحث ويبرر التأكيد عليها . ويعود سبب اختيار فترة البحث (في هذه الحقبه الزمنية) الى ان الجزيرة قد اصبحت مركز نشاط الادارة الأموية خلال الحقبة

الأخيرة من العصر الاموى ، ولابد لي ان أشير الى ان توفر المصادر من عدمه يمثل عقبة رئيسية تعترض سبيل الباحث والبحث على حد سواء . اضف الى ذلك تمتع أقليم الجزيرة بمركز مهم في ادارة الدولة من حيث احتلاله موقعا استراتيجيا مهما فهو مواجه الحدود البيزنطية العدو الدائم ومصدر الخطر المستمر للدولة الاسلامية ، اضافة الى انه يعتبر حلقة الوصل بين شرق الدوله الاسلامية وغربها مع أهمية الاقليم الاقتصادية سواء من حيث الانتاج ومن حيث الموقع على طريق التجارة الرئيسي القديم

كما ان الاقليم في هذة الحقبة التاريخية ١٢٧ ـ ٢١٨ هـ شهد احداثا تاريخية كثيرة وكان مسرحا لحركات متعددة كحركات المعارضة السياسية الاموية للعباسيين اضافة الى حركات الخوارج التي أمتدت لتشمل العصر العباسي الاول منذ عهد عبد الملك بن مروان .

واخيرا فأن ما ساعد على اختيار الموضوع قلة الدراسات الجادة في هذا المجال ، وقد كان للاراء البناءة التي افادني بها اساتذتي الافاضل والوقت الطويل الذى تفضلوا بصرفه معي في مناقشة الافكار الواردة في البحث ، كان لكل ذلك اثر فعال وبالغ في تقوية معنوياتي وعزائمي في توجيهي والاخذ بيدي في طريق البحث الجاد .

ان مكان الجزيرة الفراتية اصيل وعريق في هذه البقعة من العالم الاسلامى . حيث كان في السابق من المناطق المتنازع عليها وبشكل مستمر بين الامبراطوريتين البيزنطية والساسانية خلال حقبة طويلة من الزمن من أجل الاستحواذ على الاقليم حيث كان نفوذهما فيه في مد وجزر تبعا لقوتهما العسكرية واستقرار اوضاعهما الداخلية . وبالعصر

الاسلامي اعتبرها المسلمون خــط الدفاع الاول عن ديار الاسلام.
اما نطاق البحث فيتضمن تعريفا لأهم ما تضمنته الاطروحة من فصول وتحليلاً ونقداً لأهم المصادر التي عالجت احداث الجزيرة وموقف الاخباريين والمؤرخين من تطورات الاحداث التاريخية فيها وسنتطرق بشيء من التفصيل الى عدد من المصادر الهامة في مجال التاريخ العام والتاريخ المحلي خاصة اضافة الى كتب النسب والفتوح وغيرها من المصادر التاريخية والجغرافية التي استفدت منها في جوانب البحث المختلفة .

ويقع البحث في سبعة فصول فيما يلي استعراض موجز لها :

الفصل الاول : يعالج جغرافية الاقليم وما يتعلق بها من تسمية الجزيرة وحدودها وتضاريسها ومواردها المائية . كما يتناول تعريفا للمدن الجزرية واعمالها مع تركيز على التحولات الطارئة عليها في فترة البحث المشار اليها . ويتناول ايضا دراسة عناصر السكان فيها وان ذلك يبين لنا كيف ان الجزيرة كانت مزيجا مختلطا من القبائل العربية وغيرها من العناصر السكانية الاخرى ، ويدرس الفصل كذلك بايجاز الاديان التي دانت بها عناصرها السكانية من غير المسلمين ومعرفة درجة التسامح الديني للدولة الاسلامية أزاء هذه الطوائف ، اضافة الى ان دراسة عناصر السكان تعكس لنا معرفة دوافع كثير من حركات المعارضة وخاصة القبلية منها .

الفصل الثاني : ويتناول دراسة لوضع الاقليم الاقتصادي بما في ذلك الزراعة والاقطاع والحرف والصناعات القائمة آنذاك ، وكذلك

التجارة والأسواق وطرق المواصلات ، ويتضمن كذلك دراسة لموارد الاقليم المالية المهمة وطرق جبايتها وأوجه صرفها . ويكشف لنا هذا الفصل عن موارد الجزيرة الاقتصادية التي ساعدت على جعلها مسرحا لاحداث تاريخية مهمة .

الفصل الثالث : يتطرق هذا الفصل الى فترة الانتقال التي مرت بها الجزيرة الفراتية وانتقال السلطان فيها الى العباسيين ، ويتطرق كذلك الى دراسة موقف الجزيرة من الدعوة العباسية ومقتل ابراهيم الامام في مدينة حران ، ومن ثم تحليل لسير المعارك العسكرية بين العباسيين والامويين « معركة الزاب » التي كشفت مدى تذمر العديد من ابناء القبائل العربية من سياسة الخليفة مروان بن محمد القبلية ، ويتتبع الفصل كذلك عمليات استيلاء القوات العباسية على الجزيرة وموقف الموصل من الحكم العباسي الجديد .

الفصل الرابع : ويتناول هذا الفصل دراسة الوضع الاداري في الجزيرة بعد خضوعها للخلافة العباسية ويتضمن الفصل نقطتين اساسيتين ، اولهما بحث لجوانب اهتمام الخلافة العباسية بالاقليم ومظاهر ذلك الاهتمام المتمثل في كثرة زيارة الخلفاء العباسيين للاقليم وتفقدهما احواله ومدى تأكيدهم على نشر العدالة بين سكانه الذين كانوا مزيجاً من مختلف العناصر ، ويتناول ايضا اسهام الدولة العباسية في اقامة التحصينات العسكرية في مناطق عديدة من الاقليم لاحكام السيطرة الادارية عليه .

اما النقطة الاساسية الثانية من هذا الفصل فقد تناولت تحليل

لسلطة الولاة السياسية والادارية واعمالهم التي انجزوها من اجل فرض وتطبيق سلطتهم في الاقليم ، ويتضمن كذلك استعراض لسلطة صاحب الرابطة وعمال الجباية وسلوكهم .

الفصل الخامس : يبحث هذا الفصل في استعراض حركة المعارضة الخارجية « فترة البحث » وتكشف لنا اهداف الفصل كيف ان الخوارج كانوا مصدر قلق وعاملا اساسيا في خلق الفوضى والاضطراب، وكيف انهم حققوا عدة انتصارات على جيوش مروان بن محمد الى ان تقضي عليهم . وبعد انتقال السلطة الى العباسيين عادت المعارضة الخارجية الى سابق نشاطها وقوتها حيث يمكن اعتبارها استمرارا لنشاطها زمن مروان بن محمد بعد فترة ركود مؤقت . ولعل أعنف مظاهر المعارضة الخارجية تمثلت في حركة الوليد بن طريف الشاري، غير ان الخلافة العباسية بمرتقها الحازم والمتصلب تمكنت من القضاء على مثل هذه الحركات قضاءاً مبرماً .

الفصل السادس : يعالج هذا الفصل حركات المعارضة الاموية بالجزيرة الفراتية وكيف ان اجراءات الشدة التي لجأ اليها العباسيون في كبح جماح الامويين وانصارهم اثارت اهل الجزيرة والشام الذين كانوا من انصار الامويين وكيف أدى ذلك الى معارضتهم للعباسيين بثورات عديدة انهكت القوات العباسية في السنوات الاولى من الحكم العباسي ، ولعل أعنف هذه الحركات واخطرها حركة عبد الله بن علي

الذي كان اهل الشام والجزيرة يشكلون النواة الاساسية لثورته ، غير ان تلكم الحركات الاموية اتصفت بالتجزء وفقدان نظام موحد يجمع قواها امام العباسيين الامر الذي ادى الى فشلها فشلا ذريعا حيث لم تجرؤ على القيام بثورات اخرى لفترة طويلة .

الفصل السابع : ويتضمن هذا الفصل الاخير سرداً لعدد من حركات المعارضة الاخرى التي ثارت بوجه العباسيين وخاصة المعارضة القبلية التي تعكس لنا موقف كثير من قبائل الموصل والجزيرة المعادي للعباسيين من جانب وطمع بعضهم في السلطان من جانب آخر خصوصا في الموصل .

أما بالنسبة لاهم المصادر التي اعتمدها في البحث فيمكن تصنيفها كما يلي :

مصادر التاريخ العام (١):

كتاب التأريخ لخليفة بن خياط (ت ، ٢٤٠هـ/٨٥٤ - ٨٥٥م)

من المؤرخين المشهورين حيث يعتبر من أقدم مصادر التاريخ الاسلامي المرتبة على اساس الحوليات ، كما انه يتضمن معلومات فريدة في بابها ويورد معلومات تشترك في ايرادها بقية المصادر الاخرى كالمعلومات المهمة في الجانب الاداري فيما يتعلق بتعيين الولاة في الجزيرة

(١) رتبت هذه المصادر - نقدها وتحليلها - وفقا لدرجة الاستفادة منها في هذا البحث .

والموصل ، حيث انه ينقل قوائم بأسماء ولاة الاقاليم لكل سنة . وأهم ما يميز خليفة هو أيراد معلومات مهمة جداً عن الخوارج في الجزيرة الفراتية - في فترة بحثنا -حيث يفصل كثيرا في ذكرها منذ زمن الخليفة الاموي مروان بن محمد بشكل خاص ويتتبع احداث الحركة بشكل مفصل ومتتابع حيث يستمر في سرد معلوماتها في العصر العباسي الاول ، ولعل من أروع ما يقدمه لنا خليفة في هذا الشأن هو نقل نص الرسائل المتبادلة بين الخليفة المهدي والثائر الخارجي عبد السلام اليشكري ، حيث ينفرد من بين المؤرخين بنشر جواب رسالة عبد السلام الموجهة للخليفة في الوقت الذى يشاركه الازدى - تأريخ الموصل - بنقل رسالة الخليفة الموجهة الى عبد السلام ولكنه ذكر بعض الحركات الخارجية التي لايفصل في أحداثها . واشار بأيجاز الى ثورة عبد الله بن علي ضد المنصور .

تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت، ٣١٠ هـ/٩٢٣م)

يعتبر كتاب الطبري من المصادر المهمة في التاريخ الاسلامي ورغم انه يركز مادته على العراق الا انه يتطرق بتفصيل الى كثير من احداث الجزيرة الفراتية بقدر ما له علاقة بمركز الخلافة ، الا انه في اغلب الاحيان لايتطرق الى بعض الاحداث فيها الا باشارة عابرة طفيفة كثورة الموصل مثلا ، والحركات الخارجية في الجزيرة إبان العصر العباسي الاول مما حدا بالمؤرخين الذين اعتمدوه فيما بعد كأبن الاثير الى اعتماد مصادر اخرى كالازدي بشكل خاص حينما

ينقل عنه أخبار ثورة الموصل وثورات الخوارج بالجزيرة الفراتية .

ويعلل الدكتور فاروق عمر سبب عدم ايراد الطبرى لمعلومات عن ثورات الخوارج في مطلع العصور العباسية بالجزيرة وذلك لانها لم تكن موافقة للسلطة العباسية المركزية (١) وان قلة معلوماته في هذا الشأن يمكن ان ندركها عند مقارنتها بالازدي مثلا ، ولو ان الازدي كان مؤرخا محليا للاقليم عامة والموصل خاصة . ومع ذلك فان الطبري يعتبر من مصادرنا المهمة والاساسية في مواضيع شتى وخاصة فيما يتعلق بحركة المعارضة الخارجية في الجزيرة زمن مروان ابن محمد ، حيث ينقل احداثا مفصلة عنها وبتتبع جيد ، ويستمر في الحديث عن ثورة ملبد الخارجي في مطلع العصر العباسي الاول الا أن بقية أشاراته تتصف بالاقتضاب ، كما يعتبر مصدرا مهما عن احداث معركة الزاب ، وفترة الانتقال، ويتطرق الى نتف من اخبار العلويين بالجزيرة . وتفاصيل واسعة عن قبائلها كما يتحدث عن ثورة نصر بن شبث العقيلي ضد الخليفة المأمون ويزودنا بقوائم عن ولاة الجزيرة والموصل وتفقد الخلفاء لها . ومهما يكن فان النقص الذى وجد في الطبري يمكن ملؤه من المصادر الاخرى .

كتاب التاريخ لاحمد بن ابي يعقوب بن واضح اليعقوبي(ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)

تاريخ اليعقوبي من مصادر التاريخ الاسلامى الهامة رغم كونه ذا ميول علوية الا انها معتدله بحيث لم تؤثرعليه في كتابته للتاريخ ، وعند مقارنة رواياته بروايات الطبرى يتبين لنا اعتماده مصادر لم

(١) د . فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية (بيروت ، ١٩٧٠) ص ٢٦ـ٢٧

يعتمدها الطبري فمثلا يتحدث عن بعض الأحداث المتعلقة بثورة الموصل ضد العباسيين في الوقت الذى لايذكر الطبري الا سطراً واحدا عن هذه الثورة ، ويتحدث عن ثورات الخوارج في الجزيرة في عصر مروان بن محمد وكذلك العصر العباسي الاول كما يتطرق لذكر المعارضة الاموية وبالأخص ثورة عبد الله بن علي ضد المنصور ونجده يبالغ ايضا في اجراءات يحي بن محمد ضد أهل الموصل بقوله :
((... حتى أفناهم فجرت دمائهم فغيرت ماء دجلة . .)) (١) .

كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ، وكتاب التنبية والاشراف لعلي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٥هـ ـ ٩٥٦ م)

لقد أفدنا من مؤلفات المسعودي ، المروج ، والتنبيه والاشراف من ناحيتين التاريخية والجغرافية . فالمسعودي ينقل لنا بعض المعلومات المتناثرة عن العلويين بالجزيرة ولا يتحدث عن المعارضة العلوية الا بأقتضاب شديد ويشير الى ثورة عبد الله بن علي ضد المنصور كما يهتم بذكر احداث معركة الزاب بين الامويين والعباسيين ويتطرق الى استيطان العرب وغيرهم بالجزيرة وهذا يصور اسلوبه باعتباره مؤرخا وجغرافياً في آن واحد وخاصة في كتابه التنبيه

(١) اليعقوبي ، التأريخ ، ج ٢ (بيروت، ١٩٦٠) ص ٣٥٧

والأشراف الذى يعكس مادة جغرافية فألمعنى الصحيح (١) بالرغم من ان المسعودى قد سار في التنبيه بنفس الخط الذي سار عليه في المروج مع بعض زيادات طفيفة كمايذكر ذلك الدكتور جوادعلي (٢).

كتاب — نبذة من كتاب التاريخ - لمؤلف مجهول :

ان هذا الكتاب هو اختصار للمعلومات الواردة في اخبار العباس وولده ، فقد أقتبس عددا من الروايات المهمة وصاغها برواية واحدة متصلة مع بعضها ، واختصر رواياتها ، وان معلوماتها المتعلقة بفترة الانتقال مشابهة في اغلبها للمعلومات الوارده في اخبار العباس وخاصة فيما يتعلق بفترة الانتقال في الجزيرة وموقف الجزيرة من الدعاة العباسيين وكذلك مصير ابراهيم الامام ومقتله .

كتاب الامامة والسياسة (المنسوب) لمحمد بن مسلـــم بن قتيبة (ت ، ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م)

ينسب هذا الكتاب خطأ لابن قتيبة ويتميز بذكر روايات فريدة لامثيل لها في غيره من الكتب التاريخية الاخرى علماً انه لا يذكر سلسلة رواياته ويكتفى بذكر ((قالوا : .. او . . ذكروا)) . ويظهر طابع المبالغة في بعضها . ويحتوي معلومات عن حركة المعارضة الخارجية في زمن مروان بن محمد والمعارضة الاموية ضد العباسيين ممثلة فى ثورة عبد الله بن علي ، كما انه ينفرد بذكر رواية عن ثورة سليمان

(١) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربى ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، ق١ (القاهره ، ١٩٦٣) ص ١٧٨ .

(٢) د . جواد علي ، موارد تاريخ المسعودى ، مجلة سومر ، م ٢ (بغداد ، ١٩٦٤) ص١٩ .

ابن هشام الاموي ضد الخليفة ابي العباس في الجزيرة علماً ان مصادرنا لاتذكر اي معلومات عن هذه الحركة .

ان الشك لايزال يحوم حول المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب وقد اختلف الباحثون في ذلك حيث نسبه بعضهم الى ابن القوطية الاندلسي (١) ، ونسبه آخرون لابن حزم الظاهرى الاندلسي (ت ، ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) (٢) وهناك من ينفي نسبته لابن حزم ولابن قتيبة معا (٣) .

كما استفدنا من كتاب العيون والحدائق في اخبار الحقائق لمؤلف مجهول: حيث يتضمن معلومات متعلقة بثورة عبد الله لانجد لها ذكرا في بعض كتب التاريخ العام .

استفدنا في بعض جوانب البحث من كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة احمد بن داود الدنيورى . (ت ،٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م)

حيث تتميز رواياته بانها تذكر بدون اسناد اضافة الى انها مختصرة ومرتبكة في بعض الاحيان الا ان قدم المورخ يجعل الباحث منقادا

---

(١) يراجع د فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، هامش رقم (١٩) ص٣٥

(٢) جبرائيل جبور ، كتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة من هو مؤلفه ؟ ، مجلة الابحاث ، جـ ٣ ، السنة ١٣ ، (ايلول ، ١٩٦٠) ص ٣٩٠ .

(٣) محمد يوسف نجم ، كتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة من هو مؤلفه ؟ مجلة الابحاث ، ج١ ، السنة١٤ ، (آذار، ١٩٦١) ص١٢٢-١٢٣

بضرورة مراجعة رواياته (١) . رغم انه ليس لديه اي اتجاه نقدي ، كما انه يهمل بعض الاحداث المهمة فيما يتعلق بحركات المعارضة الخارجية والاموية ولكنه يتطرق الى ذكر احداث معركة الزاب وبعض الزيارات التفقدية التي قام بها الخلفاء العباسيون للجزيرة .

مصادر التاريخ المحلي :

ان مصادر التاريخ العام كخليفة والطبري ، واليعقوبي تركز اهتمامها بأقليم العراق بصفة خاصة ، ثم تتطرق الى ذكر احداث الاقاليم المجاورة ـ ومنها اقليم الجزيرة ـ حينما تكون لأحداثها علاقة ومساس بمركز الخلافة ومن هنا تأتي اهمية التواريخ المحلية (٢) .

تاريخ الموصل لابي زكريا يزيد بن محمد الازدي (ت ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م)

يعتبر تاريخ الموصل لابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الازدي من اهم المصادر التي اعتمدنا عليها في البحث والتي جمعت بين صفة التاريخ اكثر من أي صفة اخرى رغم ما اشتهر به مؤرخو

---

(١) A . Dixon , The Umayyad CaliPhate (684 - 705)
A political Study , (ph D Thesis,P . 5 .

(٢) راجع عن ظهور مصادر التاريخ المحلي ، بشار عواد معروف ، الفكر التاريخي عند العرب (بحث مقدم الى المؤتمر الدولي للتاريخ ، (بغداد ، ١٩٧٣) ص ٢٦ ـ ٢٨ .

القرون الاسلامية الاولى بصفتي التاريخ والحديث ، وان هذا الكتاب يشمل الجزء الثاني ويتضمن احداث ما بين سنتي ١٠١ - ٢٢٤هـ / ٧١٩ - ٨٣٨م . وقد كتب على اساس السنين وقد اورد حوادث كل سنه في اطارها نفسها ثم يكمل الحادث اذا استمر الى اكثر من سنة في بقية السنين الآتية اي ان الحادثة تبقى متقطعة . ولهذا فعلى القاريء ان يستتبع الحوادث في سنواتها .

وان الصفة العامة للكتاب هو في التاريخ السياسي للموصل ومنطقة الجزيرة وحتى خارجها . ولعل السبب في ذلك ان ابا زكريا الف مؤلفات اخرى فقدت امثال (كتاب القبائل والخطط ، وكتابه الخاص بطبقات المحدثين والتي يذكرها من خلال عرضه للاحداث ، فمن المحتمل ان يكون الازدي قد اهتم جيداً بأخبار الشخصيات والتراجم في تلك الكتب ، وجعل كتابه هذا في التاريخ السياسي رغم كونه يشمل اخبار كثير من تراجم الشخصيات والقبائل الموصلية (١) .

ان الجزء الاول من كتاب تاريخ الموصل للازدي مفقود (٢) . والظاهر من عنوان الكتاب انه خاص بالموصل ولكنه يعالج احداثاً تقع خارج الموصل في منطقة الجزيرة بل وحتى خارج الاقليم . وخاصة اذا ما كانت لها علاقة بالموصل او ذات تأثير عليها بطريقة او

---

(١) راجع مقدمة تاريخ الموصل للازدي (القاهرة ، ١٩٦٧) تحقيق د. علي حبيبة .

(٢) د . فاروق ، تاريخ الموصل للازدي، نقد وتعريف تاريخ الموصل ، مجلة المكتبة ، (بغداد، ١٩٦٨)ص ٦٤ .

بأخرى ، والذلك يتصف بصفة التواريخ الشاملة اضافة الى كونه تأريخاً محليا (١) ، ولكنه لم يفصل في الاحداث خارج الجزيرة بالدرجة التي يفصل فيها احداثها ، ويشابه الطبري في طريقة نقله للروايات التأريخية فيعطي لكل رواية سندها ، ولكن الطبري كان اكثر التزاما منه بذلك . ومن الرواة الذين اعتمدهم ، المدائني ، والهيثم بن عدي ، واحمد بن زهير ، وأبا معشر السندي ، وخليفة بن خياط .

اما عن ميول المؤرخ ، فيبدو انه كان معتدلا محايدا بحيث لم تكن له ميول سياسية واضحة ، ولكنه متعاطف مع العلويين ، وقال الازدى في وصف طريقة عرضه للمادة : « لم اعمل هذا الكتاب من كتاب معمول مؤلف اعتمدت فيه على امر الموصل خاصة وانما جمعته من كتب شتى وقد ذكرت ما وجدت ولم اعدل عن الصدق » .

اما من ناحية المادة التاريخية التي أوردها ، فنجد ان الازدي يعطينا صورة مثالية للوضوح لفترة الانتقال التي شهدتها الجزيرة بعد انتقال حكمها من الامويين الى ايدي العباسيين ، فيورد معلومات واسعة عن حركات الخوارج بالجزيرة في عهد مروان ويفصل في احداث هذه الثورات في الموصل والجزيرة . ثم يتطرق لذكر معركة الزاب الفاصلة بين الامويين والعباسيين ويتطرق لذكر ردود الفعل التي حدثت في اعقاب الثورة بالموصل ، ممثلة في مساندة شيوخ القبائل العربية للعباسيين كوائل بن الشحاج الازدي ومدى تكريم العباسيين له ولأبنائه من بعده ويفصل في احداث ثورة الموصل ضد العباسيين بحيث يعطي

(١) د . فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٣٧ .

معلومات مذهلة عن احداث الثورة بجزئياتها وتفاصيلها . ويذكر اسبابها وتفاصيل احداثها والاشراف الذين اشتركوا فيها ، ويندد بسياسة العباسيين قائلاً على لسان عويمر الاعرابي : « كذب والله من زعم ان هؤلاء ـ اى العباسيين ـ مسلمون » . ثم يتطرق الازدي الى احداث حركات المعارضة الاموية بالجزيرة ، وخاصة ثورة عبد الله بن علي حيث يفصل في ذكر احداثها ، كما اننا مدينون للأزدي وذلك لحفظه لنا نص الامان الذي منحه الخليفة المنصور لعبد الله بن علي العباسي الثائر بعد فشل ثورته ولجوئه الى البصرة . كما انه يواصل حديثه عن حركات المعارضة الخارجية بالجزيرة والموصل . وقد نقل عنه ابن الاثير المعلومات ذات العلاقة بالحركة الخارجية بالجزيرة والموصل« ولكن ابن الاثير لم يذكر اسمه أواسم كتابه (١) » ويشارك الازدي خليفة بن خياط في ذكر رسالة الخليفة المهدي للثائر عبد السلام الخارجي ، ولكنه لا يشاركه في نقل جواب الرسالة التي وجهها اليشكري للخليفة المهدي « بسبب كونه شديدا وصارما » (٢) وإما وقعت له عن طريق غير صحيح وربما لم تقع الرسالة في يده .

كما يفصل الازدي بشكل واسع جداً لايماثله اي مؤرخ آخر في استعراضه لولاة الموصل والجزيرة واستعراضه لاعمالهم ومنجزاتهم في المجال السياسي والاداري ، كما يندد بسياسة التعسف التي اتبعها القسم الآخر منهم ،

---

(١) راجع مقدمة تاريخ الموصل للأزدي ص ٢٢ ـ ٢٥ .

(٢) د . فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٤١ .

ويتطرق الى ذكر قوائم الولاة واصحاب الصلاة والقضاة للموصل بشكل خاص في نهاية كل سنة .

وتطرق ابو زكريا لذكر انساب القبائل العربية والموصل وأنساب الموصليين بالتفصيل ، ثم تطرق الى سوء الاحوال بالموصل التي سببتها القبائل ، ثم يذكر بعض الثورات المفردة كثورة العبيد في حران وثورة الموصل سنة ١٩٥هـ ضد السلطة المركزية . ومهما يكن من أمر فان الازدي يعتبر المصدر الاساسي المباشر الذي اعتمدنا عليه بشكل كبير في احداث الفترة موضوعة البحث .

كتاب التاريخ المنسوب الى البطريرك دانيوسيس التلمحري

The Chromicle of Dionysius of Tellmuhre

كان مؤلف الكتاب بطريكا في سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م وبهذا فقد عاصر فترة من أشد فترات التاريخ الاسلامي فعالية سياسة ونشاطاً فكريا (١) . ويتعلق تاريخه بحوادث منطقة الجزيرة حيث انه كان من قرية تلمحري التي تقع بين الرقة وحصن مسلمة حيث وهب نفسه للدراسات التاريخية (٢) ، وكتابه التاريخ يتبع نظام الكتابة حسب السنين (حوليات) حيث يبدأ كل حادثة بعنوان كبير .

(١) د . فاروق ، المرجع السابق . ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) تاريخ الادب السرياني ، حوليات كلية الاداب ، جامعة عين شمس (القاهرة ، ١٩٧٢) المجلد ١٣ ، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

وأن أصل الكتاب باللغة السريانيـة ، ومترجم للفرنسية ، وكما ترجمت نصوص منه الى اللغة العربية وهو يكتب الاحداث التاريخية في اطار التنبؤات والملاحم الدينية المسيحية ، فيتطرق الى ذكر حادثة ما ثم يستشهد بقول أحد الانبياء .

تكلم دانيوسيس عن فترة الانتقـال الامويـة ـ العباسية بالجزيرة ويصف تقدم القوات الخراسانيـــة ، ويصف اسلحتهم ، ويستمر في حديثه عن خضوع الجزيرة للعباسيين وكيف ان أول ولاتها « موسى بن مصعب قـد أرهق السكان والزمهم بلبس السواد » ويتطرق الى ذكر ردود الفعل السياسية التي حدثت بالجزيرة في أعقاب مجيء العباسيين حينما يذكر « تبيض سكان الجزيرة بوجه العباسيين » ويؤكد مدى كره السكان للسلطة المركزية وعدم حبهم للخضوع اليها بسبب الضغط الذي كان يمارسه الوالي العباسي .

ويتطرق دانيوسيس الى سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية للسكان بسبب ما حل بها من الخراب والدمار نتيجة عدم الاستقرار بسبب حركات الخوارج ، وبسبب ما كان يسببه الولاة وعمال الجباية الذين كان يسميهم « بالاشرار » كما انه يحتوي على معلومـات اقتصادية .

واذا ما قارناه بالازدي ، نجد ان كليهما مهمان في مجال الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويتفق كلاهما في موقفه العدائي وعدم حبه للسلطة العباسيـة المركزية . ولعل داينوسيس يفصل في احداث الجزيرة وبشكـل خاص القضـايا الاقتصادية في حين ان

الأزدي يتطرق لذكر مواضيع خارج الجزيرة ، وكلاهما يعلل أن الضرائب والاسلوب السيء في جبايتها هي التي اجبرت الفلاحين الى الهجرة الى المدن مما أدى الى تدهور الحالة الاقتصادية . ولكن دانيوسيس يبالغ كثيرا في معاداته للعباسيين ، وكذلك في عرضه لمعلومات تستند الى الاساطير وكذلك الاحداث الغريبة كحادثة كسوف أو عاصفة . . . . . الخ .

كتاب بغداد لأحمد بن أبي طاهر طيفور : (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣م)

على الرغم من انه تاريخ خاص ببغداد ، إلا انه في حديثة عن الاحداث ذات العلاقة بمركز الخلافة يتحدث عن المواضيع التي لها مساس بمركز الخلافة ، حتى ولو حدثت في الاقاليم الاخرى ، فيورد معلومات واسعة ودقيقة عن ثورة نصر بن شبث العقيلي ضد الخليفة المأمون العباسي وتوسع الثورة ، ويتحدث عن موقف الخلافة العباسية من الثورة ، ولجوئها الى الاساليب السلمية لمحاولة اقناع الثوار بالاستسلام ويستمر في سرد تفاصيل مهمة عن حركة نصر الى ان انتهت بالفشل ، وانه يعدد نصا كاملا للكتاب الذي كتبه طاهر بن الحسين الى ابنه عبدالله لما وجهه ليحارب نصر بن شبث ويشاركه الطبري في ذلك . والواقع انه افادنا كثيرا في رواياته التي يوردها عن احداث وتطورات الثورة .

كتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة « مخطوط » لابن شداد عز الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن خليفة الحلبي (ت ، ٦٨٤هـ / ١٢٨٥ م)

على الرغم من تأخر المصدر عن فترة بحثنا الا انه يكتب لاحداث

الجزيرة حيث يختص بذكرها باحثاً كل مدينة من مدنها على حدة ذاكرا اعمالها وولاتها ، وعلاقتهم بالمدن الأخرى ، وان فائدتنا تقتصر في اعتمادنا على بعض المعلومات التى افادتنا في التعرف على عدد من مدن الجزيرة وقراها ، وكذلك قائمة الولاة الخاصة بأقليم الجزيرة في العصر العباسي الاول مما أفادنا في مقارنتها مع القوائم التي يوردها خليفة ، والطبري ، والازدي .

كما اطلعنا على كتاب تاريخ الرقة للحراني غير انه لم نجد فيه معلومات مهمة سوى انفراده بالاشارة الى وجود (خوارج اباضية) فيها على الرغم من ان مصادرنا تتفق على ان خوارج الجزيرة كانوا من الصفرية .

مصادر كتب الانساب والتراجم

ان قيام تنظيمات الدولة الاسلامية في القرن الاول على اساس القبيلة قد ادى الى ازدياد اهميتها ومن ثم ازدياد العناية بالانساب مما أدى الى حركة واسعة في ظهور كتب النسب(١) .

---

(١) يراجع كتاب الدكتور صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري (بغداد ، ١٩٥٣) وبحثه عن « استيطان العرب في خراسان » المنشور في مجلة كلية الآداب والعلوم (العدد الثاني) لسنة ١٩٥٩ .

كتاب أنساب الأشراف (مخطوط) لأحمد بن يحيى البلاذري (ت ، ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)

البلاذري في كتابه هذا يكتب التاريخ في اطار النسب ، حيث اهتم بتدوين الاخبار التاريخية عن الاشخاص الا انه لم يكن مرتبا على اساس الحوليات وانما وفقا لانساب قبائل العرب ، في حين ان مؤلفه الآخر (فتوح البلدان) مرتب على اساس الاقاليم والمدن .

ولهذا نجد ان المحور الاساسي للكتاب هو انساب كبار القبائل العربية ولذا فاننا نجده يتكلم عن بني هاشم مثلا قبل غيرهم من البيوتات العربية ، ويتكلم عن العباسيين ، قبل ان يتكلم عن الامويين رغم ان الامويين سبقوا العباسيين في حكم الدولة الاسلامية ، فهو يذكر اسم الشخصية ويذكر تحت الاسم عددا من الاحداث التاريخية فمثلا تحت اسم أبي العباس (اول خليفة عباسي) يذكر :

أمر ابن هبيرة ومقتله .

أمر السفياني .

أمر بسام بن ابراهيم .

وينقل البلاذري من رواة مشهورين كالمدائني (ت ٢٣٥هـ / ٨٥٠م) وعمر بن شبة (ت ، ٢٦٢هـ / ٨٧٥ م) والهيثم بن عدى (ت، ٢٠٦هـ / ٨٢١م) وهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت، ٢٠٤ ـ ٢٠٦ هـ / ٨١٩ ـ ٨٢١م) والواقدي (ت ، ٢٠٧هـ / ٨٢٣م) . والبلاذري يزودنا بمعلومات واسعة وثمينة للغاية عن ثورات الخوارج زمن مروان بن محمد بقيادة الضحاك

الخارجي ، والذين تولوا زعامة الحركة بعد مقتله ، ويورد هذه المعلومات عنهم تحت عنوان ، « امر الضحاك بن قيس الخارجي » كما يزودنا بمعلومات قيمة عن فترة الانتقال بالجزيرة الفراتية ، ابتداء من معركة الزاب واندحار مروان بن محمد الخليفة الاموي فيها وكذلك خضوع الموصل ، وبقية مناطق الجزيرة الاخرى للعباسيين ويتحدث ايضا عن حركات المعارضة الاموية للعباسيين في الجزيرة الفراتية ويفصل في ثورة عبد الله بن علي ضدهم ، اما عن حركة الخوارج بالجزيرة في العصر العباسي الاول فلم يتطرق البلاذري الى ذكرها باستثناء ثورة ملبد الخارجي ويشير كذلك بشكل عابر الى ثورة الصحصح الخارجي .

كتاب اخبار العباسي وولده : لمؤلف مجهول .

يعتبر من المصادر الهامة التي تبحث في الفترة العباسية المبكرة . وخاصة المعلومات المتعلقة بفترة الانتقال وهو يعرض معلوماته وفق اسلوب كتاب الانساب مع العناية بالاسناد خاصة وانه ينقل معلوماته عن رواة عديدين كأبي مخنف (ت ، ١٥٧ ه / ٧٧٤ م) ومصعب الزبيري (ت ، ٢٣٥ ه / ٨٥٠ م) وعمر بن شبة (ت ، ٢٦٢ ه / ٨٧٥م) والبلاذري [ت ، ٢٧٩ ه / ٨٩٢ م] (١) وهو موال

(١) يراجع د . الدوري ، ضوء جديد على الدعوة العباسية ، مجلة كلية الآداب والعلوم ، العدد الثاني ، ص ٦٤ ـ ٨٢ ، و د . فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٢ ـ ٢٤ .

للعباسيين ويقدم لنا معلومات فريدة من نوعها عن الحركات الثورية التي قامت بالجزيرة الفراتية في الوقت الذى قامت الثورة العباسية في خراسان ، وتركزت هذه الحركات في تكريت وهيت وكشفت عن وجود نشاط سرى للدعاة العباسيين بالجزيرة ، كما يقدم لنا معلومات واسعة عن مصير ابراهيم الامام وكيفية القاء القبض عليه وسجنه في مدينة حران واهم شيء يمكن ملاحظته في هذا الشأن هو الرسالتان اللتان ارسلهما الأمام للدعاة احداهما من سجن مدينة حران والاخرى التى قبلها من حلب ، كما يتطرق لأسلوب المعاملة التي عومل بها الامام في حران والمناقشات التي جرت بينه وبين الخليفه الاموي مروان أبن محمد ، الي ان انتهى الامر بمقتله .

كتاب غرر السير (مخطوط) لمؤلف مجهول :

وهى من بين المصادر التي تبحث في سير العديد من التراجم الاسلامية ، ولكنها تحتوى فى مضامينها معلومات تاريخية مهمة تتعلق بالحركة الخارجية خصوصا كالرسالة المتبادلة بين الخليفة الاموي مروان ابن محمد والضحاك بن قيس الخارجى ، كما انه يتطرق لذكر معلومات خاصة بفترة الانتقال بالجزيرة الفراتية ، واستعراض حركات المعارضة الاموية (المبكرة) في الجزيرة ، وخاصه ثورة عبدالله بن على ، وان مبلغ فائدتنا من الكتاب كانت في نطاق المواضيع التي ذكرت .

كتاب جمهرة النسب الكبير (مخطوط) لهشام بن محمد الكلبي (ت ، ٢٠٤ - ٢٠٦ هـ / ٨١٩ - ٨٢١ م) :

وهو يعتنى بالامور التي تخص القبائل وكان من المصادر الاساسية

للذين الفوا في هذا الفن ، مثل محمد بن حبيب السكري وابن حزم ، والسمعاني وغيرهم (١) .

ويهتم ابن الكلبي بذكر انساب العرب ، وقد اعتمدت على نسختى الاسكوريال ولندن وذلك لان نسخه لندن ونسخة الاسكوريال ليستا رواية موجزة للأصل كما يظن بل تكمل احداهما الاخرى (٢) وكان مبلغ فائدتنا من المخطوط هو معرفة نسب عدد من الشخصيات الخارجية التي اشتركت في الثورات ضد العباسيين فى الجزيرة الفراتية .

كما أستفدنا من كتاب مقاتل الطالبيين واخبارهم «لأبى فرج الاصفهانى» الذى له اهمية خاصة ، ويظهر احيانا ميولا علوية ، ويمكن اعتباره تاريخا للأسرة العلوية ، كما استفدنا من كتاب الطبقات لمحمد أبن سعيد المعروف بكاتب الواقدي (ت ٢٣٠ ﻫ / ٨٤٤ ـ ٨٤٥ م) وذلك في مجال ترجمة بعض الشخصيـات القضـائيه ، وكذلك الحال بالنسبة لكتاب اخبار القضاة لوكيع .

مصادر كتب الفتوح الاسلامية :

لقد استفدنا من كتب الفتوح الاسلامية التى زودتنا بمعلومات هامة عن عدة مواضيع من البحث . وأهمها : ـــ

(١) بشار عواد معروف ، اصالة الفكر التاريخي عند العرب ، ص١٥ .

(١) د . حسام السامرائى ، هشام بن محمد الكلبي ، مجلة كليه الشريعة ، العدد الثاني (بغداد ، ١٩٦٦). ص١٨٥ .

كتاب فتوح البلدان لأحمد بن يحي البلازرى (ت ، ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م) :

البلاذري من بين المؤرخين الذين تتصف رواياتهم بالموضوعية والحياد ، ويعتبر كتاب الفتوح من بين المؤلفات الهامة في ميدانه ، وهو مرتب على الاقاليم ، في كل اقليم ، فتحه ونوع الفتح ، وما قام به الفاتحون ، وتكمن اهمية رواياته في « الثقة التي وضعها فيه مؤرخون متأخرون عنه كالجهشياري والصولى والمقريزى والذهبي والعيني » (١)

لقد افادنا البلاذري بالمعلومات المتعلقة بشأن أستيطان العرب ، في الجزيرة الفراتيـة وتوزيعهم في مناطقها العديدة سواء في أثناء الفتح أم بعده ، كما أنه يـورد معلومـات عن مقدار الضرائب والاجراءات الادارية التي أتخذت في الجزيرة بعد فتحها ، والتي استمرت آثارها ـمع تغييرات في العصر الاموي ـ في العصر العباسي .

كتاب الفتوح (مخطوط) لأحمد بن اعثم الكوفى (ت ، ٣١٤ هـ / ٩٢٦م)

مما لاشك فيه أن أبن أعثم الف كتابه هذا بالفتوح وليس بالتاريخ حيث يبدأ الجزء الاول من مخطوطة الفتوح من خلافة عثمان (ر) ٥٢٣ هـ / ٦٤٣ م ـ ٣٥ هـ / ٦٥٥ م ، وينتهي بثورة المختار . اما الجزء الثـاني فيستمر من ثورة المختار وينتهي بثورة بابك الخرمي زمن الخليفة المعتصم العباسي ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م ـ ٢٢٧ هـ /٨٤٢ م .

اعتمد ابن اعثم على رواة متعددين كالمدائني (ت٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م) والواقدي (ت٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م) ومحمد الزهري (ت١٢٤ هـ / ٧٤١ م)

(١) د . فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص٢٨ .

وأبى مخنف لوط بن يحى (ت١٥٧ هـ / ٧٧٤ م) وهشام بن الكلبي (٢٠٤ ـ ٢٠٦ هـ / ٨١٩ ـ ٨٢١ م)اما في حديثه عن فترة الانتقال (من الامويين للعباسيين) في احداث معارك الزاب ، فيورد اسانيد جديدة ورواة جدد كالبلاذري (ت ، ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) والهيثم بن عدى (ت ، ٢٠٦ ـ ٢٠٧ هـ / ٨٢١ ـ ٨٢٢ م) وغيرهم ويشك الدكتور فاروق في حقيقة هذا القسم الأخير (المبتدأ بظهور المسوده) «١»لكتاب الفتوح وربما كان القسم الأخير من المخطوط قد أضيف في وقت متأخر ويجدر الحذر من قبول الروايات لهذا القسم الآخر من المخطوط خاصة وأنه يظهر ميولا علوية واضحة فيها .

ومع هذا فان ابن اعثم السكوفي ينفرد بين المؤرخين بأيراد نص الرسالة التى وجهها الثائر زيد بن على الى أهل الموصل والجزيرة ، كما أنه يتحدث عن فترة الانتقال ومعارك الزاب والمعارضة الاموية وخاصة ثورة عبد الله بن على ضد الخلافة العباسية .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الفتوح ترجم الى اللغة الفارسية ، ترجمة محمد بن أحمد المستوفي الهروي الذي زعم أن ابن أعثم الف كتابه هذا (سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) وأن الترجمة الفارسية الفارسية طبعت على الحجر في بومباى بالهند سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م كما طبع من هذا المخطوط (٣)أجزاء من المجلد الاول في حيدر آباد الدكن ، بالهند (١٩٦٨ ـ ١٩٧٠) بأعتناء محمد عبد المعيد خان .

---

(١) د . فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٢٨ .

كتب التنظيمات الادارية والاقتصادية(١) :

لقد استفدنا من عدد من المصادر التي تبحث في الجوانب الادارية والاقتصادية ، وأهمها كتاب « الخراج » لابي يوسف القاضي (ت ، ١٨١ هـ / ٧٩٧ م) ومخطوطة « الخراج وصنعه الكتاب » لقدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت ، ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م) إذ وجدنا فيها معلومات ثمينة عن الوضع الاقتصادى بالجزيرة وطرق المواصلات فيها وبعض الاخبار الادارية وكذلك كتاب الاحكام السلطانية للماوردى (ت ، ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) كما أفدنا من كتاب الوزراء وال كتاب لمحمد بن عبدوس الجهشيارى (ت ، ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) الذي يتعلق بالدرجة الاولى بالادارة والنظم العباسية ولكن افادتنا منه تتعلق بتطرقه الى تكرر زيارات الخلفاء لاقليم الجزيرة وتفقدهم أحوالها وخاصة زيارة الخليفة الرشيد المتكررة لمدينة الرقه والرافقة وما رافق زيارته من أحداث .

ومع ان هذه الكتب لا تدخل كلية في الكتب التاريخية لاتصالها بالادارة الا انها تحتوي على حوادث تاريخية مهمة ، فضلا عن أهميتها في دراسة تاريخ العرب الادارى والاقتصادي(٢) .

(١) راجع عن ظهور هذا النمط من التدوين التاريخى ، بشار عواد معروف ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٢) ن . م ص ١٨ .

المصادر الادبية

لا يمكن الاستغناء عن المصادر الادبية في كتابة التاريخ فيستطيع الباحث أن يستنتج الكثير من الحقائق التاريخية من خلال المصادر الادبية . واهم المصادر الابية ذات العلاقة بموضوعنا :

البيان والتبيين ، للجاحظ (ت ، ٣٥٥ ه / ٨٦٨ م) : على الرغم من انه كتاب عام بالادب إلى اننا استفدنا من ابيات الشعر التي تتحدث عن مقتل الوليد بن طريف الشاري .

وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ، ٣٢٨ ه / ٩٣٩ م) وكانت فائدتنا منه في مواضع شتى وخاصة موضوع الخوارج كالوليد الشاري ومن بين المصادر الاخرى كتاب الاغاني لابي فرج الاصفهاني (ت ٣٥٦ه ٩٦٦ - ٩٦٧ م) . حيث تتوافر فيه معلومات عن سكني القبائل في الجزيرة الفراتية ، وبعض المعلومات ذات الفائدة في جوانب اخرى ، وكذلك الكامل في الادب للمبرد (ت ، ٢٨٥ ه / ٨٩٨ م) والذي يحتوي على معلومات عن خوارج الجزيرة ، وكذلك كتب الثعالبي (ت ٤٢٩ ه / ١٠٣٧ م) ومنها لطائف المعارف ، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب وفيه معلومات متفرقة عن الوضع الاقتصادي بالجزيرة . ونهاية الارب للنويري (ت ، ٧٣٣ ه) الذى يزودنا بمعلومات عن اماكن القبائل العربية بالجزيرة ، وكذلك القلقشندى صبح الاعشى في صناعة الانشاء .

المصادر الجغرافية

لا يمكن الاستغناء عن المصادر الجغرافية القديمة في دراسة كثير من جوانب التاريخ الاسلامي ، خاصة وان المصادر الجغرافية تعتبر المصدر الاساسي عن الظواهر الطبيعية والعناصر السكانية بل عن الاوضاع الاقتصادية في اى منطقة جغرافية من مناطق العالم الإسلامي ، وسنتطرق الى اهم المصادر الجغرافية المعتمدة في هذا البحث خاصة وانني اسهبت في دراسة جغرافية الجزيرة ، وذلك لانها تعتبر المسرح الذي جرت عليه الاحداث التاريخية مقصودة البحث .

ان من المصادر الجغرافية الهامة ، كتاب الاعلاق النفيسة لابي على بن رسته ، (ت ، ٢٩٠ ـ ٣٠٠ هـ / ٩٠٣ ـ ٩١٣ م) حيث يتضمن معلومات جغرافية متنوعه خاصة عن الموارد المائية بالجزيرة ، ويشاركه في ذلك بن خرداذبه (ت في حالي ٣٠٠ هـ / ٩١٢م) في كتابه مسالك الممالك ، الذي اهتم بوصف الطرق والمسالك لاقليم الجزيرة وقد نقـــل عنه عدد من الجغرافيين كاليعقوبي وابن حوقل والمقدسي والمسعودي ، ويتضمن كتاب صورة الارض لابن حوقل (ت ، ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م) معلومات هامة عن جغرافية المنطقة وفيما يتعلق بشكل خاص بالفصل الاقتصادى كالزراعة والموارد المعدنية والحرف المتواجدة فيه . كذلك كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقالم للمقدسي

(ت ، ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) والاصطخرى (ت ، ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م) في كتابه المسالك والممالك ، والاقاليم ، وقد اعتمدنا على عدد آخر من الجغرافيين العرب الذين اعتمدوا على المصادر التي سبقتهم ولعل من اهم المصادر المتأخرة كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ، (ت ، ٦٢٦ هـ) ويبدو انه اعتمد على مصادر جغرافية عديدة لم تصل الينا خاصة في مجال الجغرافية الطبيعية والسكانية والاقتصادية . كما اعتمدنا على عديد من المصادر الجغرافية الاخرى وخاصة كتب الرحلات .

المصادر المتأخرة :

مما لا شك فيه ان المؤرخين المتأخرين اعتمدوا على روايات من سبقوهم في احداث التاريخ الاسلامى ولكن هذا لايمنع من ان يطلع الباحث على كتب هؤلاء المتأخرين التي ربما استقت معلومات جديدة من مصادر اخرى لم تصل الينا ، وقد جاءت بتفسيرات لاحداث تاريخية اوردتها المصادر القديمة . واهم المؤرخين في هذا الشأن ابن الاثير (ت ، ٦٣٠ هـ) في كتابه الكامل في التاريخ حيث يساهم بقسط وافر في المعلومات التاريخية المتعلقة بالجزيرة الفراتية مكملا النقص الذي نجده في الطبرى فيما يخص ثورة الموصل ضد الخلافة العباسية وكذلك حركات المعارضة الخارجية في مطلع العصر العباسى بالجزيرة الفراتية والموصل وكذلك حركات المعارضة الامويه والقبلية وبشكل خاص الاضطراب القبلي بالموصل حيث انه يكون

قد نقل من الازدي كما يتضح لنا بالمقارنة ولعله نقل من كتب اخرى لم تصل الينا .

كما اعتمدنا عدد من المصادر المتأخرة كالذهبي في تاريخ الاسلام والكتب المخطوطه لكل من أبن الجوزى في المنتظم وابي شاكر الكتبي في عيون التواريخ وابن حمدون في التذكرة الحمدونية ، اضافة الى عدد آخر من المصادر المتأخرة .

كما اننا اعتمدنا على عدد من المراجع الحديثة الهامة التي تناولت جوانب متفرقة من الموضوع بأيجاز سواء في مجال الكتب التاريخية او المقالات والتي كان لها دور مكمل للمصادر القديمة الاخري في اكمال البحث واخراجه بهذا الشكل .

هذا وحسبنا الله تعالى وهو نعم المولى ونعم الوكيل .

محمد جاسم حمادي المشهداني
الموافق ١٨ / جمادي الآخرة سنة ١٣٩٦ هـ
المصادف ١٧ / حزيران / ١٩٧٦ م

الفصل الأول

الجغرافية العامة للجزيرة الفراتية

أ ـــ المعنى اللغوي والجغرافي للجزيرة الفراتية

ب ـ الوصف الجغـــرافي

جـ ـــ المـــوارد المـائيـــة

٢ ـــ مدن الجزيرة الفراتية واعمالها

٣ ـ عناصر السكان بالجزيرة الفراتية

(أ) المعنى اللغوي والجغرافي للجزيرة الفراتية :

لعل من المناسب استعراض مدلول مصطلح الجزيرة (١) وحدودها عند الجغرافيين العرب كمدخل لدراسة جغرافية المنطقة ، اذ ان ذلك يلقى كثيرا من الارباك والتداخل .

تتفق المصادر على القول بأن وقوع المنطقة بين نهري دجلة والفرات كان السبب الذى ادى الى اطلاق مصطلح الجزيرة عليها (٢) . والواقع أن انحناءات والتفاف حوض نهر الفرات في منابعه العليا قد يبرر ذلك ؛ وبجانب هذا الاسم تورد المصادر الجغرافية تسميات اخرى

(١) ينصرف الذهن عند ترديد هذا الاسم الى المنطقة المحاطة بالماء من جميع جهاتها ولعل في ذلك ما يؤدى الى الارباك او الخطأ في التصور وعليه ينبغى التفريق بين مدلول المعنى اصطلاحا ولغة ، أنظر مثلا الهمداني ، مختصر كتاب البلدان (ليدن ، ١٣٠٢) ص ٢٦ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ (بيروت ، لا . ت) ص٤٥٢ ، الزبيدى ، تاج العروس ج ٣ (بنغازي . لا . ت) ص١٩٧ ، أبو عبيده البكرى ، معجم ما استعجم ج ٢ (القاهرة ،١٩٤٧) ص٣٨١ ، وانظر البستاني ، محيط المحيط ، ج ١ (بيروت ، ١٨٧٠) ص٢٤٨ .

(٢) مختصر كتاب البلدان ص ٢٦ ـ ٢٧ ، الازدى ، ، تاريخ الموصل ، م ٢ (القاهرة ،١٩٦٧) ص٢٦٦ ، أبو عبيده البكري ، المصدر السابق ، ٢ /٣٨١ ، الحموى ، معجم البلدان ، ج ٢ (لايبزك ، ١٨٦٩) ص٩٨ أبن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ج٣(القاهرة ، ١٣٨٦)، ص ٢٦٩ القزويني ، أثار البلاد وأخبار العباد (بيروت ، ١٩٦٠) ص ٣٥١ الزبيدى ، المصدر السابق ، م ٣ ص ٩٨ .

اطلقت على المنطة عينها بشكل عام . فلقد عرفت المنطقة قديما باسم « آقور » (١) أو « قور » (٢) وأحياناً « آبور » (٣) ولعلها تسمية عريقة في القدم ، ولعل أللفظ تحريف أو تصحيف للفظه (آشور)(٤) المتأصلة في حضارة العراق القديمة ، والتي ربما شملت المنطقة بأسرها ، ولم تقتصر على كورة الجزيرة (٥) . ولقد حاول لسترنج توضيح حالة الغموض التي تشمل أصول هذه الاسماء كما انعكست وجهته هذه في أبحاث من كتب من المتأخرين (٦) .

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، (ليدن ، ١٩٠٦) ص١٣٦ .

(٢) الفيروز آبادي ، القاموس الميحط ، ج ١ (القاهرة ، ١٩٥٢) ص ٤٠٤ .

(٣) الحموى ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، (كوته ، ١٨٤٦) ص١٠٢ .

(٤) ياقوت معجم البلدان ١١٩/١ .

(٥) ن . م ، ٣٤٠/١٠ .

(٦) اشار لسترنج في بلدان الخلافة الشرقية - ترجمة كوركيس عوّاد (بغداد ، ١٩٥٤) ص ١١٤ بقوله « يبدو انه كان في بعض الاوقات يطلق على السهل ، القديم شمال ما بين النهرين » وانظر ذلك في بحث د . السامر في كتابه : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ج ١ (بغداد ، ١٩٧٠) ص ١٢٦ ، وعدى مخلص - المقدسى البشارى (نجف ، ١٣٩٣ /١٩٧٣) ص ١٧٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥ .

استنادا الى النصوص التى يذكرها ياقوت الحموي فان (أقور) قد اخذت عن اسم موضع لأحدى المستوطنات البشرية القديمة القريبة من مدينة الموصل السلامية شرقي الموصل (١) ، والتي كانت خلال القرن الرابع مهجورة لاسكان فيها ، كما يذكر ياقوت اذ يشير الى انها كانت خرابا (٢) ، وهناك اشارات (٣) الى المنطقة تحت اسم (ÁramN ahraim) (آرام نهرأيم) والتي تعني منطقة (ما بين النهرين) في الكتابات العبرانية ، ويبدو أن اليونان اقتبسوا ما عنته التسمية في ذكرهم لها تحت اسم (MesoPotamia) (٤) (ما بين النهرين) علما بان مثل هذا الاستعمال لم يقتصر على المنطقة التى نحن بصدد دراستها فقط ، وانما يتسع ليشمل المنطقة الواقعة الى الجنوب منها ، والتى عرفت (بالعراق) او (السواد) (٥) عند الجغرافيين العرب .ولقد

---

(١) الحموى ـ المصدر السابق ١١٩/١ ، كما جاء فيه ايضا ان السلامية (بلدة شرقى الموصل بينهما فرسخ ولعلها موضع الحالية "

(٢) ن . م ، ١ / ١١٩ ، ويذكر الازدى ان (ليقر اسم ملك كان يحكم في المنطقة جنوب جبل سنجار في حوض الثرثار الأعلى) الازدى ، المصدر السابق ، ٤٦/٢ .

(٣) د . ابراهيم شريف ، الموقع الجغرافي للعراق ج ١ (بغداد . لا . ت) ص ١٢١ .

(٤) Maitain ، A . Beek ' Atlas of Mesopotamia ' London ' 1962 , P . 9

(٥) قدم د . حسام السامرائي بحثا عن ذلك ، انظر دراسته عن تاريخ =

ظهرت تسميات أخرى للجزيرة تحت أسم (جزيرة الشام) (١)،
وتسميات حديثة لها . (٢)

= الزراعة

Samarraie , H . Agriculture in Irap during the 3rd/9 th Chapter I (Beirut , 1972) p. p . I - 39

وانظر د . حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي (بغداد ، ١٩٦٥) ص ١٠ - ١٢ .

(١) الزمخشرى ، الجبال والامكنة والمياه (بغداد، ١٩٦٨) ص ٢٦ .

(٢) ظهرت في الابحاث المعاصرة تسميات اخرى للجزيرة الفراتية (كالجزيرة العراقية ، والجزيرة الفراتية ،) انظر : محمد حلمي محمد احمد، الخلافة والدولة في العصر العباسي (القاهرة ١٣٧٨ / ١٩٥٩) ص ٤٠ ، وانظر د . خالد اسماعيل على ، "الف التفخيم في اللهجات العربية الحديثة في منطقة الجزيرة العراقية"، مجلة كلية الاداب ، العدد ١٥ ١٩٧٢، ص ١٩٤ - ٢١٣ ، وعبدالقادر عياش ؛ الرقة (ديرزور ، ١٩٦٨)ص ٩ ، كما استعمل مصطلح الجزيرة للاشارة الى المحافظة الشمالية من التقسيم الاداري للجمهورية السورية والملاحظ ان التسميات تشير بشكل عام الى المنطقة قيد الدرس .ولعل من الدقة اطلاق تسمية " الجزيرة الفراتية "عليها ، اذ بالرغم من تحديد دجلة لها من الشرق فان المساحات التى تحدها ضفاف الفرات منها أكثر ، فالفرات يحدها من الغرب و الشمال في اتساع ملحوظ .

الحــــدود :

عند الحديث عن الحدود خاصة بأقليم الجزيرة خلال فترة البحث ينبغي أن لا ينصرف الذهن الى مداول الـكلمة المعاصر الخـاص بالنقاط التي تنتهي عندها سيادة الدولة ، ولا الى الحـــدود بالمفهوم ألطبيعي ألذي ينطوي على وجود الظواهر الطبيعية كالجبال والسهول والأنهار أو غير ذلك من الأسس المستعملة بالتحديد الطبيعي الجغرافي وانما المقصود هو ما عناه الجغرافيون العرب عند حديثهم عن حدود الاقاليم ضمن الادارة الواحدة للدولة الاسلامية ، والتي تشير بشكل واضح إلى نهايات اختصاص جباة الضرائب التابعين لمركز معين محدد على الارض أو نهايات الامتداد الخاص بسلطات كل منهم في المنطقة المكلف بجبايتها بحيث لا يكون في مقدورهم جباية ما تجاوز ذلك الحد أو تعني نهاية أقليم معين أو إدارة معينة (١) . لقد تباينت وجهات نظر الجغرافيين العرب حول حدود أقليم الجزيرة وبشكل خاص حدود المنطقة من الناحيتين الشمالية والجنوبية ، أما الحدود الشرقية والغربية فقد حصل حولها اتفاق واضح في الآراء ، وذلك لسيرها مع مجرى النهرين دجلة والفرات اللذين يعتبران كحد فاصل بين اقليم الشام غربا واقليمي اذربيجان والجبال وأرمينيه شرقا وشمالا فبالنسبة للحدود الجنوبية للجزيرة فقد اختلفت الآراء في تحديدها وقد روي أن حد السواد من « لدن تخوم الموصل (٢) » أو من نهايه

---

(١) انظر : Samawaie , H , op . Cit , Ch , I . P . l.

(٢) ابن سلام ، الاموال ، ج ١ (القاهرة ، ١٣٨٨ / ١٩٦٨) ص ١٠٣

أثور وهي الموصل القريتان المعروفتان بالعلث من الجانب الشرقي من دجلة من طسوج برزجند سابور والاخرى المعروفة بحربي وهي بإزائها من الجانب الغربي من طسوج مسكن (١) ، وقيل بل من حديثة الموصل (٢) ، بل وروي أنها من حد تكريت (٣) .

وهنا يكمن الخلاف حول مسألة ادخال تكريت أو اخراجها من الجزيرة رغم أن عددا من المصادر القديمة تجمع على أن تكريت من مدن الجزيرة وعندها تنتهي الحدود الجنوبية للجزيرة حيث يرون أنها آخر مدن الجزيرة مما يلي العراق (٤) ، الا أن المقدسي والنويري وضعاها ضمن أرض العراق (٥) ، ولكننا لا نأخذ بهذا التحديد

---

(١) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٥ .

(٢) الماوردي ، الاحكام السلطانية (القاهرة ، ١٣٨٠) ص ١٧٣ .

(٣) الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - قسم العراق والجزيرة - مستل من م ٢٣ مجلة المجمع العلمي العراقي - تحقيق ابراهيم شوكت (بغداد ، ١٣٩٣ / ١٩٧٣) ص ١٩ .

(٤) أبو الفدا ، تقويم البلدان (باريس ، ١٨٤٠) ص ٢٨٩ ، أبو سعيد المغربي ، بسط الارض في الطول والعرض (تطوان ، ١٩٥٨) ص ٩٠ ، القلقشندي ، صبح الاعشي ج ٢ (القاهرة ، ١٩٢٨) ص ٣٢٧ .

(٥) النويري ، نهاية الارب ، ج ١ (القاهرة ، لا . ت) ص ٢٧٦ ، المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١١٥ .

للنويري لان الاجماع قائم على خلافه حتى أن أبا يوسف في حديثه عن اقليم السواد يشير الى أن الخليفة عمر « رضى الله عنه » مسح السواد ما دون جبل حلوان بحيث لم يتعد حد تكريت الى الموصل (١) ، كما أشار الى ذلك من ذكرت رواياتهم ، هذا بالنسبة للحدود الجنوبية الشرقية للجزيرة أما بالنسبة للحدود الجنوبية لها من ناحية الفرات فيكاد الاتفاق يقوم على أساس أن هيت تعتبر الحد النهائي للجزيرة حيث يشير ابن سعيد المغربي ، إلى أن هيت على الفرات اليها ينتهى حد الجزيرة ، والانبار هي اول مدن العراق من جهة الجزيرة (٢) فالحد الجنوبي للجزيرة من جهة الفرات خالية من اى اختلاف حول تحديدها ، فنهاية الجزيرة الجنوبية تتم عند نهاية مدينة تكريت على دجلة شرقا وعند نهاية هيت على الفرات غربا ، وعليه يكون الخط الوهمي الذي يربط بين هيت على الفرات ، وتكريت على دجلة هو الحد الجنوبي للجزيرة الفراتية حيث انه يمثل خطا واضحا يفصل بين الجزيرة شمالا والعراق جنوباً ، اما بالنسبة للحدود الشرقية والشمالية الغربية فان اوضح ما ورد عنها من المعلومات التي حددت اتجاهاتها الثلاثة ما ورد عند الجغرافي المسلم أبن حوقل حينما حدد الجزيرة متمشيا مع مجاري النهرين وروافدهما الشمالية ، من منبع الفرات من داخل بلد الروم مجتازاً ملطية (٣) ويجري بينها وبين

(١) ابو يوسف ، الخراج (القاهرة ، ١٣٨٢) ص ٣٨ .
(٢) ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق ، ص ٨٩ .
(٣) راجع عن هذه المدن نفس الفصل (تعريف بالمدن الجزريه)

المدينة المعروفة بشمشاط ويمر عـــلى سميساط ونواحي جسر منبج على بالس الى الرقة وقرقيسيا والرحبة وهيت والأنبار وينقطع الحد عن الفرات بما يلي الأنبار ثم يعود حد الجزيرة في اتجاه الشمال فيكون الى تكريت الحد العراقي وينتهى الحد صاعدا على دجلة الى السن بمـا يلي الجزيرة والى الحديثة والموصل ويصعد بصعود دجلة إلى الجزيرة المعروفة بابن عمر ثم يتجاوزها إلى أمد فيكون ما في غربها من حد أرمينيه ثم يعود الحد مغربا الى أمد على البر إلى سميساط ثم ينتهي إلى مخرج ماء الفرات من حيث ابتداؤه (١) . فابن حوقل رسم لنا صورة واضحة للمناطق التي تعتبر نهايات لاقليم الجزيرة في مناطق الاتجاهات الثلاثة فـكل ما يقع ضمن اطار هذا التحديد يكون تابعا اداريا للجزيرة فنجد أن الحدود تتماشي مع مجرى النهرين دجلة والفرات وهو تحديد واضح وسليم حينما نجد ـ فى العصر الحديث ـ الأنهار تلعب دورا مهما كعامل فصل بين اقليم وآخر ، أى حدود سياسية . وقد وقع خلاف طفيف في وضع المدن التي تقع غربى الفرات وشرقي دجلة وضمها الى الجزيرة (حيث تنسب اليها وذلك لقربها منها) (٢) . وكذلك مسألة ادخال أربل ضمن

---

(١) أبن حوقل ، صورة الارض (بيروت . لا . ت) ص ١٨٩ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٧٣ .

(٢) الاصطخري ، مسالك الممالك (ليدن ، ١٩٢٧) ص ٧٢ ، الاقاليم (كوته . لا . ت) ص ٤ ، ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٨٩

المناطق الشرقية للجزيرة ، اضافة الى أعتبار شهر زور والصامغان من أعمال الجزيرة(١) والمناطق التى تقع على ضفاف الفرات الغربية تدخل ضمن حدود الجزيرة الفراتية أيضا .

أما بالنسبة للحدود الشمالية فقد وضح قسم منها من خلال نص ابن حوقل الذى يشير الى أنه ما كان غرب آمد من أرمينيا ثم من آمد الى سميساط ثم ينتهي الحد الشمالى الى مخرج ماء الفرات من حيث ابتداؤه من بلد الروم بعد ما يجتاز ملطية (٢) ووقع اختلاف حول هذا التحديد في الحدود الشمالية كما الحال بالنسبة للحدود الجنوبية للجزيرة ، فيرى الادريسى أن ميافارقين من أرض أرمينيه وقوم يعدونها من أعمال الجزيرة (٣)في حين يري ابن خرداذبه أن أرزن وميافارقين داخلة في حدود الجزيرة(٤) على حين روى أن ميارفارقين هي من حدود الجزيرة وحدود أرمينيا (٥) ، ويضع ابن رسته كل

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان (القاهرة ، ١٩٥٩) ص ٣٢٩ . وقدامة أبن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ، (مخطوطة القاهرة ،) (ورقة ١٩٥) .
(ويذكر البلاذرى وقدامة الى انها فصلت عنها زمن الخليفة الرشيد) .

(٢) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٣) الادريسى ، المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٤) المسالك والممالك ، (ليدن ، ١٨٨٩) ص ٩٥ .

(٥) مجهول ، كتاب عجائب البلدان والجبال والاحجار ، (مخطوط ١٤٤ مكتبة الدراسات العليا كلية الآداب ، جامعة بغداد) ورقة ٧٥ .

من سميساط وملطية من ديار ربيعة (١) ، أي في القسم الشمالي للجزيرة ، ونجد أن الاختلاف هنا يكمن في ادخال أو أخراج بعض المدن التي ذكرت في الجزيرة ولكن يبدو ان الحدود الشمالية يمكن توضيحها بخط وهمي يمتد ما بين تل فافان ، حصن كيفا وآمد ثم شمالا الى ميافارقين . حاني ، قلعة جعبر ، تل خوم ثم ينحدر جنوبا غربياً باتجاه نصيبين وسميساط على الفرات ، فالمناطق الواقعة شمال هذا الخط هي من بلاد الروم والواقعة جنوبية هي من الجزيرة .

من كل ما تقدم سنحاول اعطاء صورة عامة لخط سير حـــدود الجزيرة كما يشير اليها الجغرافيون المسلمون متبعين في ذلك مواضع المدن التي تشكل الحدود الخارجية للجزيرة (٢) ، فحدود الجزيرة تتماشي مع المدن الآتية : ملطية ، شمشاط ، سميساط ، حصن منصور جسر منبج ، بالس ، الرقة ، الرافقة ، الخانوقة ، الرحبة ، قرقيسيا الدالية ، عنه ، الحديثة ، آلوسة ، الناووسة ، الرب ، هيت ، ثم جنوب هيت تتجه شرقا الى تكريت على دجلة ثم شمالا الى السن والحديثة من الموصل ، بلد ، جزيرة أبن عمر ، تل فافان ، حصن كيفا ، آمد ، ميافارقين ، حاني ، قلعة جعبر ، تل خوم ، ثم يتجه الخط باتجاه الجنوب الغربي الى سميساط ملتقيا في الخط الغربي للجزيرة فهذه هي نهايات الجزيرة وان كانت بعض المدن كشهرزور وأربل

(١) الاعلاق النفيسة ص ١٠٦ — ١٠٧ .

(٢) راجع الخارطة المرفقة في نهاية الفصل ، مع الفقرة الخاصة بمدن الجزيرة .

وبعض المدن غربى الفرات تتبع اداريا للجزيرة مع أن سميساط وحصن منصور تتبعان لمناطق الثغور .

أما بالنسبة لتحديد المناطق المجاورة لاقليم الجزيرة فمن الشمال أرمينيه وبلاد الروم ومن الغرب بلاد الشام ومن الجنوب السواد ومن الشرق اذ ربيجان .

أما بالنسبة للظواهر الطبيعية التي تحدد الجزيرة فمن الشمال تحددها جبال طوروس كذلك من الشمال الغربى ويحددها شمالا بعض روافد منابع الفرات ، حيث أن الفرع الجنوبى من نهر الفرات وهو مراد صو أو الفرات الشرقي كان يحد بلاد الجزيرة من بلاد الروم فالفرات الشرقي من ملا ذكرد الى ملتقاه بالفرات الغربي كان الحد الفاصل بين بلاد الجزيرة وبلاد الروم (١) ، ومن الغرب نهر الفرات والبادية الشامية من الجنوب الغربى ، ومن الجنوب سهول السواد ومن الشرق والشمال الشرقي جبال اذربيجان وأقليم الجبال .

من كل ما تقدم نجد أن الجزيرة ذات ثلاثة تحديدات هي مدنية على أساس نهايات المدن الجزرية ، واقليمية على أساس الاقاليم التى تحيط بها وطبيعية على أساس الظواهر الجغرافية المحيطة بها .

الوصف الجغرافي :

أن دراسة الظواهر الطبيعية لاي منطقة جغرافية ضرورة لابد منها للتعرف بدقة على مدى تفاعل الانسان بالبيئة وأثر تلك البيئة في تطور تاريخ المجتمع البشري ، فالارض هي المسرح الذي حدثت

(١) طه الهاشمي - مفصل جغرافية العراق (بغداد ، ١٩٣٠) ص ٥٣٢ .

عليه وقائع التاريخ وهي ذات أثر كبير في توجيه « مصائر » النوع البشري (١) ، وعليه فالظواهر الجغرافية المتنوعة - مع غيرها من المؤثرات الاخرى - ذات أثر كبير فى الانسان وبالتالى بالتاريخ وذلك تبعا لنوع تفاعله مع بيئته ومواجهته لظروفها ، حيث أن سكان المدن يختلفون عن فلاحي السهول ، وهؤلاء يختلفون عن الرعاة في الفيافي (٢)

ويرجع التكوين الجيولوجى (٣) للمنطقة إلى عصر الميوسين والبلايوسين ، وإذا دققنا موقع سلسلة جبال طوروس وزاجروس تتضح أسباب ارتفاع الاقسام الشمالية والشرقية من منطقة الجزيرة مما تسبب في تشكيل طبيعة سطح ومعدلات الانحدار والميل الذى تحكم فى توجيه جريان المياه ، ويمكن القول اجمالا أن الانحدار في سطح الجزيرة يتحدد في ثلاثة اتجاهات أولها الانحدار العام الذي يتجه من الشمال باتجاه جنوبي والثاني يتجه من الشرق باتجاه غربي نحو الوسط ، أما الاخير فانه يتجه من الغرب الى مركز تجمع المياه في الوسط (٤) ، ولعله يراد به منخفض الثرثار .

هذه التكوينات الفيزيوغرافية ترجع الى عصور قديمة (٥) .

---

(١) حسن عثمان - منهج البحث التاريخي (القاهرة ، ١٩٦٥) ص ٣٠ .

(٢) الدورى - تاريخ العراق الاقتصادي (بغداد ، ١٩٤٨) ص ٧ .

(٣) راجع هستد ، جغرافية العراق الطبيعية ، ترجمة د . الخلف (بغداد ، ١٩٤٨) ص ٢٤ - ٣٦ وراجع د . جاسم الخلف - جغرافية العراق (بغداد ، ١٩٦٥) ص ٢٠ - ٣٦.

(٤) ابراهيم شريف ، الموقع الجغرافي ١/٧٢ - ٧٣ .

(٥) يرجع التكوين الفيزيوغرافي لارض الجزيرة الى تأثير =

وسنتدرج في الوصف الجغرافي للمنطقة على اساس ذكر التضاريس والتربة والمناخ .

التضاريس :

أ - الجبال لقد وردت اشارات كثيرة في ثنايا مصادرنا العربية الجغرافية متحدثة عن الجبال التى تنتشر في بعض مناطق الجزيرة ولعل من أشهر جبالها ، الجودى ؛ ويقول ابن سعد « بأنه بالحصين من ارض الموصل ويعرف بالجودى » (١) ويقرب من نصيبين (٢) ، ويتصل بالثغور بجبل اللكام (٣) وتتصل بهذا الجبل حادثة الطوفان وقصة سيدنا نوح عليه السلام ، وقد اكثرت مصادرنا العربية الاسلامية من الاشارات الى الأهمية الدينية لحادثة الطوفان (*) وربطها بهذا الجبل ،ومن

«=» الحركات الارضية الميوسينية والبلايوسينية ،هي الحركات التى رفعت النطاق الجبلي طوروس — زاجروس ولهذا نجد ان القسم الشمالى والشرقي بسبب موقعها عند اطراف طوروس زاجروس كان اكثر ارتفاعا من باقي جهاتها الاولى ... « راجع ابراهيم شريف المرجع السابق ١/٢٨ - ٧٣ » .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ١ /ق ١ (ليدن ، ١٣٢٢ هـ) ص١٧ .

(٢) الأصطخري ، الأقاليم ،ص ٤٤ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الارض ص ٢٠٦ .

(*) قال تعالى (فلما استوت على الجودى ... « القرآن الكريم ، سورة هود ، الآية ٤٤ ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « ان

المناطق الجبلية في الجزيرة بازبدى ، وبقردى (١) وأشهر جبال الموصل شعران الذي سمي بذلك لكثرة أشجاره ويذهب البعض الى القول بأنه جبل بباجرمي يسمى قنديل (بالفارسية : تخت شيرويه) الذي تكثر فيه الاشجار العالية التي تقطع فتحمل الى العراق ، ويكثر على قمته الثلج الذي لا يذوب طوال ايام السنة (٢) ، وجبل أمد من الجبال الشهيرة (٣) ، وفيها كذلك جبل سنجار الذى تربطه بعض القصص المحلية بحادثة الطوفان (٤) وان صحة هذه الروايه فهى تشير الى قدم التكوينات الصخرية لهذه الجبال في المنطقة كما ان دارا

= البيت اسس على خمسة احجار ، حجر من حراء وحجر من طور سيناء ... وحجر من جودى » ابن شداد الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة - قسم الشام (دمشق ، ١٩٦٢) ص ٣٦ ، وذكر الهروي ، الاشارات الى معرفة الزيارات (دمشق ، ١٩٥٣) ص ٦٨ - ٦٩ أنه اجتمع برجل في جبل الجودي ، طاعن في السن ودفع اليه قطعة من خشب ذكر انها من خشب السفينة .

(١) الدينوري ، الاخبار الطوال (القاهرة ، ١٩٦٠) ص ١٠

(٢) ابن الفقيه الهمداني - مختصر كتاب البلدان ص ١٣٠

(٣) ن . م / ١٢٤ ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠١

(٤) تذكر هذه القصص بأن سبب تسميته بهذا الاسم ان نوحا عليه السلام قد مر بسفينته فيه فنطحته فقال « هذا سن جبل جار علينا فسميت بهذا الاسم » (الحموي - معجم ١٥٨/٣)

تقع على سفح جبل (١) . ومن الجبال الشهيرة جبل بارما على مرحلة من بالس ، وقد شقه دجله فيجري بحافتيه . (٢) ويمتد جبل بارما وسط الجزيرة بأتجاه الغرب ، ويبدو أنه يمتد شرقا الى حد كرمان حيث يسمى بجبل ماسبذان (٣)، وهو الذي يعرف اليوم بجبل حمرين (٤) ، ويعتبر جبل بالوسا من نصيبين من الأمكنة التى يتنزه بها سكانها (٥) ، وفيه عيون تتدفق من اصل الجبل ويعرف الموضع برأس الماء (٦) ، وفى جنوب آمد يمتد جبل ما بين دارا ونصيبين الى قريب من بلد ويعرف عند نصيبين بطور عابدين (٧) ، وبماردين جبل شاهق الارتفاع ، وهو مشرف على تلك الجبال شرقا وغربا شمالا وجنوبا (٨) ، وقد وصف بأنه مرتفع جدا (٩) .

---

(١) الاصطخرى ، مسالك الممالك ص ٣ .

(٢) ن . م ، ص ٧٣

(٣) ن . م ص ٧٥ ، والاقاليم ص ٤٢ .

(٤) الحموي معجم ٤٦٤/١ .

(٥) ابن حوقل . صورة الارض ص ، ١٩١ .

(٦) الشابشتي ، الديارات (بغداد ، ١٩٦٦) ص ١٩١ .

(٧) سهراب ، عجائب الاقاليم السبعة (فينا ، ١٩٢٩/١٣٤٧) ص١١٦ .

(٨) أبن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٩) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ١٤ .

كما ان مدينة سعرت تقع علي جبل (١) ، وقد ذكر في الموصل عدة جبال كجبل مقي فى شرقها (٢) وجبل داسن شمالها (٣) وجبل الجار من اعمالها الشرقية (٤) وجبل السلق من جبالها الشهيرة (٥) .

والمتتبـــع للناحية الطبوغرافية يستطيع ان يميز بوضوح بين منطقتين متميزتين تشكلان بشكل عام سطح الجزيرة هضبة متموجة في الشمال ومنطقة سهلية متداخلة مع الهضبة في الجنوب ، ويشـــرف القسم الاول على القسم الثاني بحافة تبدأ من غرب جزيرة ابن عمر ، ويعلو مستواها وتعرف بأسم جبال طور عابدين ، ثم لا يلبث هذا الارتفاع ان يقل تدريجيا نحو ماردين مشكلا هضبة قليله الارتفاع ، وفي غرب ماردين يعلو السطح ثانية ، وفي الغرب يهبط مستوى السطح الى مثل ما كان عليه في الشرق نحو ماردیـــن (٦) ولذا نجد ان الاراضي في الاقسام الشمالية للجزيرة تكون على شكل هضاب ، ولابد أن يكون لهذه الظاهرة أثرها على مجاري الانهار كما سنرى .

---

(١) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٨٩ .

(٢) الحموي ، معجم ، ٦٩٠/٢ .

(٣) ن . م ، ٥٣٨/٢ .

(٤) الحموي ، المشترك وضعا ، ص ٩٢ .

(٥) العمري ـ منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء (الموصل ، ١٣٧٤ / ١٩٥٥) ص ١٥٢ .

(٦) ابراهيم شريف ° المرجع السابق ١٢٢/١ ـ ١٢٣ .

وبشكل عام فان سطح الجزيرة يتميز بأراضي متموجة تقطعها تلال ومرتفعات على شكل هضاب مرتفعة أو جبال منفردة ، وتأخذ الاراضي بالارتفاع واتخاذها شكل الاراضي الجبلية ، فتصبح حقولا شاسعة لزراعة الحبوب (١) . وبطبيعة الحال فان لظاهرة التضاريس السطحية هذه وانبساط معظم اجزاء السطح وعدم وجود مواقع طبيعية تؤثر في عملية حركة القوات العسكرية في العصور الاسلامية الوسيطة قد عزّز وضع الجزيرة كي تصبح مسرحا لقيام مختلف النشاطات البشرية على سطحه .

ب ــ التربة : (*)

لابد لنا أن نشير الى نبذة مختصرة عن التربة التي تكتنف سطح الجزيرة وذلك قبل أن ندرس الوضع الاقتصادى فيها بما له أثره على الحوادث السياسية . تتمتع الجزيرة الفراتية بتربة خصبة حيث ان الهمداني يشير الى قول الأصمعي الى ان قريش كانت في الجاهلية تسأل عن خصب باعربايا وهى الموصل لقدرها عندهم ولم ينلهم من خصبها شيء قط وعن ريف الجزيرة وما يليها لأنها تعدل في الخصب باعربايا (٢) . لاتقدم مصادرنا القديمة صورة محدودة ودقيقة عن

(١) سيف الدين عبد القادر ـ جغرافية العراق العسكرية (بغداد ١٩٧٠) ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(*) راجع عن تربة المنطقة هستد ـ جغرافية العراق ص ٣٤ ـ ٤٥ والخلف ـ جغرافية العراق ص ٥٣ ـ ٥٦ .

(٢) ابن الفقيه الهمداني ـ مختصر كتاب البلدان ، ص ١٣٥ .

صيغ المقارنة بين كميات ونوعيات الانتاج الحاصل لمختلف المناطق ، غير أنها تعكس وفرة الانتاج بشكل عام وتستعمل في ذلك صيغا يصعب التمييز بينهما بشكل دقيق ، فهي تتحدث بأنها (خصبة) ولطيفة (١) وصحيحة التربة (٢) .

وقد روى ان جبل سنجار من اخصب الجبال (٣) ، ونصيبين كثيرة الخصب (٤) ، وميافارقين خصبة جدا ، وعنه والحديثة ذاتا خصب ، والرقة والرافقة خصبتان (٥) ، ومنطقة وادي الحيال بالقرب من سنجار خصبة ايضا ، وجزيرة ابن عمر ذات خصب كثير (٦) ، ودارا كثيرة الخصب (٧) ، وحران خصبة ذات تربة حمراء (٨) . ونستطيع أن نستنتج من هذه النصوص الكثيرة من أن الجزيرة كانت

(١) الأصطخرى ـ الأقاليم ص ٤٢ (حيث يشير الى ان حاني لطيفة خصبة) .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ص ١٩٤ (حيث يشير الى ان الموصل صحيحة التربة) .

(٣) ابن سعيد المغربي ، بسط الأرض ص ٩٠ ، ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

(٤) الاصطخرى ، الاقاليم ص ٧٦ ـ ٧٧ ، ابن حوقل ، المصدر السابق ص ٢٠٣ .

(٥) الاصطخري ، المصدر السابق ص ٤٢ .

(٦) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

(٧) ن . م ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣

(٨) ن . م ، ص ١٩٩ .

(٩) ن . م ، ص ٢٧٧ .

تتمتع بتربة خصبة ، وخير دليل على ذلك تنوع المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها بحيث كانت تفيض على حاجة السكان (١) ، وكذلك كثرة المستوطنات السكانية القديمة ، حيث ان كثرة المدن والقرى تدل دلالة واضحة على قابلية الارض في استيعاب الكثير من السكان من خلال المناطق التي قامت بها هذه المستوطنات السكانية كما سنرى فيما بعد .

لقد كانت الجزيرة ولا زالت تحتوي على مناطق وفيرة الخصب لفتت انتباه المحدثين من الجغرافيين اضافة الى الجغرافيين المسلمين في العصر الوسيط . ويرى الهاشمي أن الجزيرة سهل تلولي ارتفاعه بين مائتين وألف قدم ، وتغطي المراعي اكثره (٢) ، وان مستوى الارض في هذه المنطقة أعلى من مستوى الانهار في اثناء مواسم الفيضان فهي غير معرضة للفيضان (٣) . وتعتبر الوديان المتأتية من هضبة جبل عنيزه من مناطق الدلتاوات من بين مناطق الاستقرار الهامة (٤) . وتوجد بعض المناطق ذات التربة الملحية بسبب ما يتضمنه من مستنقعات ومن سطوح ملحية هشة وبالأخص في القسم الجنوبي من أرض الجزيرة (٥) ، ويرى الهاشمي ان في الجزيرة بعض المناطق ذات التربة المالحة القلوية حيث

---

(١) راجع الفصل الثاني ـ الوضع الاقتصادي في الجزيرة .

(٢) طه الهاشمي ، مفصل جغرافية العراق (بغداد ، ١٩٣٠) ص ٣٢ .

(٣) سيف الدين عبد القادر ، جغرافيه العراق العسكرية ص ٣٨ .

(٤) ابراهيم شريف ، الموقع الجغرافي ١٣٤/١ ـ ١٣٥ .

(٥) ن . م ، ٧٩/١ .

تكثر هذه المساحات في سهل الجزيرة بين جبل سنجار وبغداد على طرفي وادي الثرثار (١) . وهكذا فان تربة الجزيرة رغم وجود نسبة من الملوحة في بعض اجزائها فانها بشكل عام تتميز بالخصوبه التى ساعدت على قيام زراعة مختلطة في مناطق عديدة منها اضافة الى المراعي الواسعة التي تنمو فيها اعقاب سقوط المطر في مواسم الربيع ، حيث ان خصوبة المنطقة كان عاملا مباشرا في اسباب اقامة الزراعة في مختلف مناطقها ، ومكذا استطاعت المنطقة ان تستوعب عددا كبيرا من السكان مع أخذ وفرة المياه بعين الاعتبار ، ولذلك فلا غرابة اذا ما رأينا الجزيرة اصبحت مسرحا لاحداث سياسية هامة ، واحتلت مركزها الخاص بها في العالم الاسلامى خلال الفترة التي تخص فترة هذا البحث ويمكن اعتبار المستوطنات السكانية القديمة فيها خير دليل على ذلك .

كانت الجزيرة قد ظهرت فيها مدن حضارية قديمة استقر السكان فيها كما ان القبائل العربية « * » قد هاجرت اليها منذ فترة قديمة قبل ظهور الاسلام مستقرة فيها .

المناخ :

المناخ جزء من الحقائق المستقرة التى تشكل جغرافية اي اقليم من الاقاليم على سطح الكرة الأرضية . يسود منطقة الجزيرة مناخ قارى تتضارب فيه درجات الحرارة ليلا ونهارا صيفا وشتاء وتؤثر فيه جملة عوامل كانت ولا تزال تلعب دور بارزا في تشكيله منها اثر

---

(١) طه الهاشمي ، المرجع السابع ، ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣ .

(*) راجع نفس الفصل ـــ عناصر السكان ـــ .

الرياح الشمالية وانتقال حركة تخلخل الضغط وأثر ذلك في استقدام الغيوم وحصول التساقط ، وأثر الجبال فى صد أو توجيه الرياح والتساقط وبعد المناطق عن المسطحات المـــائية ، وممـا تجدر ملاحظته الوفرة النسبية في التســاقط خلال موسمى الشتـاء والربيع حيث انها تهطل بغزارة حتى أن بعض سكان مناطق سنجـار قد استحدثوا الصهـاريج والبرك ليجمعوا ماء المطر (١) ، واشار ابن حوقل الى ان اهالى حصن مسلمة شربهم من السماء أى من المطر (٢) ، وتعتمد الزراعة «الديم» على المطر بشكل أساسي باستثناء مناطق ضفاف الانهار حيث تعتمد في زراعتها على تلك الانهار ، واذا ما قورنت الجزيرة بالسواد تبين أنها أكثر أمطاراً وان زراعتها أقل اعتمادا من زراعة السواد على مياه القنوات (٣) وتتجاوز نسبة سقوط المطر في بعض المناطق عن (٣٥) سم ويتبع غناه بالامطار غناه بالمراعى ووفرة في حيوانات الصيد ، ويتراوح المعدل العام لسقوط الامطار فيها ما بين (٣٥ ـ ٨٠) سم (٤) . ومن هنا يتبين لنا وفرة المطر في الجزيرة وهذا هو سبب انتشار القرى والمدن في مختلف أنحائها اضافة الى مياه الري الاخرى ، فقد تغنى

---

(١) ابن حوقل ، صورة الارض ص ٢٠٢

(٢) ن . م ، ص ٢٠٦ ، ابو الفدا ، تقويم البلدان ص ٢٧٥ .

(٣) سعيد حماده . النظام الاقتصادي فى العراق (بيروت ، ١٩٣٩) ص ١٩ .

(٤) الشريف . المرجع السابق ١ / ١٢٧ .

الشعراء بامطارها(١) ، وروى ياقوت أن ناحية عزى ّ في الموصل يجوز أن يكون اسمها مأخوذا من العز ّ وهو المطر الشديد(٢) ، واضافة الى الامطار تسقط الثلوج في أحيان كثيرة في الشتاء (٣) مسببة انخفاضا كثيرا في درجة الحرارة الى درجة الانجماد ، وروي الازدي أنه في شتاء سنة ١٢٦ هـ كان برد شديد قد عم الجزيرة والعراق ولحق بالناس جهد شديد (٤) . وتكون درجات الحـــرارة معتدلة في فصل الربيع .

أما بالنسبة للصيف فيختلف المناخ بين منطقة وأخري وذلك تبعا للتكوينات السطحية التي تحيط بها ، وتبعا لوجود الاشجار في المنطقة أو مصدات الرياح وأرتفاع المنطقة وانخفاضها ، فالموصل مثلا ضرب المثل بشدة حرها في الصيف (٥) ، فان المدينة حجرية جصية تؤثر فيها حرارة الصيف ، ومع ذلك ضرب المثل بصحة هوائها (٦) . أما الرقة فهى من مدن الاصطياف المهمة فى الجزيرة وقد اتخذها الرشيد مصيفا ومربعا له .

(١) قال البحتري :

لعمرى لنعم الغيث غيث" أصابنا ببغداد بأرض من الجزيرة وابله ،

المرتضى العلوي ـ غرر الفوائد ودرر القلائد (القاهرة ، ١٣٧٣/ ١٩٥٤) ص ٢٠ ، ٤٣ .

(٢) الحموي ، معجم ٣/٦٦٣ .

(٣) الشريف ، المرجع السابق ، ١ / ١٢٨ .

(٤) الازدي ، تاريخ الموصل ٢ / ٤٠٦ .

(٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٤٢ .

(٦) القزويني ، آثار البلاد ، ص ٤٦١

وبشكل عام فان المناخ في الجزيرة كما ذكره المقدسي (الهواء والرسوم مقاربة للشام مشابهة للعراق) (١) . ومن كل ما تقدم فأن مناخ الجزيرة يعد عاملا أساسيا من عوامل قيام حياة اقتصادية فيها بحيث تعتمد المنطقة بالدرجة الاولى على مياه الامطار (٢) .

الموارد المائية في الجزيرة :

تعتبر الجزيرة من المناطق الغنية بمواردها المائية المتمثلة بالانهار كدجلة والفرات وما يتفرع منهما من الفروع التي تدخل ضمن نطاق حدودها وكذلك العيون والينابيع والآبار اضافة الى كميات الامطار المتساقطة في الشتاء والربيع .

ودجلة والفرات النهران الرئيسيان في منطقة الجزيرة حيث يحدانها من الشرق والغرب على التوالي .

الانهـار :

نهر دجـــلة (٣) :

من الانهار العظيمة التي كانت ولا تزال تعتبر أحد شرايين الحياة

---

(١) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

(٢) د . ناجي معروف ، المدخل فى تاريخ الحضارة العربية (بغداد ١٩٦٠) ص ٦٥ .

(١) قال حمزة معربه على ديلمدولها اسمان أخران هماآرنك وذو كودك دريا أى ألبحر الصغير (الحموي ـ معجم ٢ / ٥٥١) وروى أن لها اسمين أخرين هما أرنك رود وكودك دريا وسماها الاشوريون (أيد كلت) أي السريع الجريان سماها الفرس =

في العراق ، حيث ينبع من جبال أمد من عين (١) يقال لها عين دجلة على مسيرة يومين ونصف من آمد من موضع يعرف بهلورس « من كهف مظلم (٢) » ومن الموضع المعروف بحصن ذي القرنين (٣) ، وأول نهر يصب في دجلة يخرج من فوق شمشاط بأرض الروم يقال له نهر الكلاب ثم أول واد ينصب اليه عدا السواقي والانهار التي ليست بكبيرة وادى صلب وهو واد بين ميافارقين وساتيدما «وادى الزور » الآخذ من الكلك وينصب ايضا في وادى ساتيدما نهر ميافارقين ثم ينصب اليه وادى السريط وهو الآخذ من ناحية ارزن وهو يخرج من خوديت وجبالها من ارض أرمينيه ثم توافي دجلة عند موقع تل فافان «٤» ، وروي ان النهر الذى يأتى من ارزن هو نهر الذيب وأن نهر سريط يصب في دجلة اسفل حصن كيفا«٥» ، ويرى القزويني ان دجلة كلما امتدت انضم اليها مياه جبال دياربكر ،

= تايكرس ومنها سماها الآريون « Tigris » (رحلة بنيامين بغداد ؛ ١٩٤٥ ، ترجمة عزرا حداد) ، هامش رقم ٢ ص ١٢٦ ، الخطيب العمرى ، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء ، تحقيق سعيد الديوه جى (الموصل ، ١٩٦٨) ص ٥٩ .

(١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك (ليدن ، ١٨٨٩) ص ١٧٤ .

(٢) حموي ، معجم ٢ / ٥٥١ .

«٣» المسعودى - التنبيه والاشراف ص ٤٧ .

«٤» الحموى المصدر السابق ١/٥٥١ - ٥٥٢ .

«٥» ابن سرابيون - وصف ما بين النهرين وبغداد - مخطوط ٩٢٤ - « مكتبة الدراسات العليا - بغداد » ورقة ١١ .

وبأمد يخاض فيه بالدواب ثم يمتد الى ميافارقين ثم الى حصن كيفا والى تل فافان «١» ومنها يصب اليه وادى الرزم وهو الوادى الذى يكثر فيه ماء دجلة ، وهذا الوادى مخرجه من ارض ارمينية ، ثم تجرى دجلة حتى توافي الجبال المعروفة بجبال الجزيرة ، فينصب به نهر عظيم يعرف ببرني يخرج من جنوب ارمينية في تخومها ثم ينصب اليه نهر كبير يعرف بنهر باعنياثا ثم توافي نواحي جزيرة ابن عمر ، ويرى القزويني ان النهر الذى يصب في دجلة فوق جزيرة ابن عمر بخمسة فراسخ «*» في الجانب الشرقي هو نهر باسانفا وهذه التسمية الاخرى لنهر باعنياثا السابق الذكر «٢» ، ثم يصل جزيرة ابن عمر فيدور بها ويصير جزيرة في وسطها «٣» ، فينصب اليه واد منبعه من ظاهر ارمينية يعرف بالبويار ثم توافي ما بين باسورين والجزيرة ، فينصب اليها الوادى « دوشا » ، ثم ينصب اليهما وادى الخابور «٤» ومنبع الخابور من بلاد ارمينية ومصبه في دجلة بين مدينة

«١» القزويني ـ عجائب المخلوقات مخطوط ٥٧٦ «مكتبة الدراسات العليا جامعة ـ بغداد » ورقة ٩٧ .

«٢» ابن سرابيون ، المصدر السابق ، ٣٨٤/٢ . ورقة ١١ .

«٣» سهراب ، عجائب الاقاليم السبعة «فينا ، ١٣٤٨ هـ /١٩٢٩ » ص١١٨ .

«*» الفرسخ يساوى «٣» اميال ، وان طوله يكون ١٨٤٨ × ٣ = ٥٥٤٤ م « محمد ضياء الدين الريس ، الخراج في الدولة الاسلامية ، « القاهرة ، ١٩٥٧ » ص ٢٨٨

«٤» الحموى ، المصدر السابق ، ٥٥٢/٢ .

باسورين وفيسابور من بلاد بقردى وبازبدى من بلاد الموصل . وليس هذا الخابور خابور النهر الذي يخرج من مدينة رأس العين من أعينها ويصب في الفرات «١» ويسمى هذا الخابور بخابور الحسينيه في شمال الموصل شرقي دجلة ، وعليه عمل واسع وقرى في شمال الموصل في الجبال «٢»، ثم يصل نهر دجلة الى بلد فيصب اليها ببلد من غربها نهر رعبا منع الرجال من خوضه ، حتى توافي الزاب الاعظم «٣» ، وبعد ان يجتاز دجلة مدينة الموصل بمسافة ينصب اليه روافده الشهيرة بالزوابي «٤» ، وهي الأعلى والاسفل ، ويقول ابن رسته « أن مخرج الزابين من جبال ارمينيه «٥» ، وينبع الزاب الاكبر من بلاد مشنكهمر خده بين اذربيجان وبابغيش ما بين ارض قطينا والموصل من عين في رأس جبل هناك حيث ينحدر وهو شديد الحمرة ويجرى فى

«١» المسعودى ـ مروج الذهب ١٠٥/١ «القاهرة ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤ » .

«٢» الحموى ، المصدر السابق ، ٣٨٤/٢.

«٣» ن . م ، ٥٥٢/٢ .

«٤» يشير الحموى بأنها سميت بالزوابي ، لأن الذى حفرها واكراها هو الملك زاب بن بود كان بن منوشهر بن أيرج بن نمروذ بأرض فارس فسماها الزوابي وهي الزابان الأعلى والأوسط والأسفل « الدينورى ، الاخبار الطوال « القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٠ ـ ١١ » فسميت به وربما قيل لكل واحد منها الزابي والتثنية زابان والجمع زوابى « الحموى ـ المشترك ص ٢٢٩ » .

«٥» أبن خرداذبه ، المسالك والممالك ص١٧٥ ، ابن رسته . الاعلاق النفيسه م ٧ « ليدن ، ١٨٩٢ » ص ٩٠ .

جبال وأودية فيصفو من حمرته ويمر بباتنزى وارض حفتون الى ان ينصب في دجلة ، وتكون مسافته الى ان يصب اليها نحوا من عشرة ايام «١» . ويسمي الزاب الأعلى بالمجنون وذلك لشدة جريه ويسمى أيضا بنهر الرس (٢) ، ومما تجدر الاشارة اليه أن المناطق التي تقـــع شرق الجزيرة والتي تمر بها روافد دجلة هي ضمن حدود ولاية الموصل التي تمتد لتضم اليها العمادية ثم أربل وشهر زور والصامغان التي كانت تعتبر من أراضي الجزيرة إلى أن فصلت عنها في زمن الخليفة الرشيد (٣) ولهذا السبب فاننا حينما نتطرق لذكر هذه الروافد نجد أنها تمر ضمن أراضي تابعة اداريا للجزيرة ، ولذلك نخوض في ذكر تفصيلها . وبين الزاب الاعلى والموصل يصب في دجلة نهر يقال له الخازر عليه كورة «*» يقال لها نخلا وأهلها يسمون الخازر (برشوا) ومنبعه من قرية يقال لها أربعون من ناحية نخلا ويخرج من بين جبل

---

(١) المسعودى ، التنبيه والاشراف ص ٤٧ ،

(٢) القزويني — عجائب المخلوقات — مخطوط رقم ٥٧٦ (مكتبة الدراسات العليا . جامعة بغداد » ، ورقة ٩٨ ، الانصارى ، نخبة الدهر ، ص ٩٦ .

الزياني ، الترجمانة الـكبري المحمدية ـ ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧) ص ٣١١ ، النويري ، نهاية الارب ٢ / ٢٦٨ .

(٣) قدامة ـ الخراج وصنعة الـكتاب ، مخطوط القاهرة ورقة ١٩٥ ب

(*) الـكوره بالضم : المدينه ، والصقع ، جمع كور ، كما يروى بأنها القرية (الزبيدى ، تاج العروس ، م٣ (بيروت ، لا ، ت) ص ٥٣١ .

راجع الحموى ، المصدر السابق ٤ / ٣١٩ .

خلبتا العمرانية وينحدر الى كورة المـــرج من أعمال قلعة شوش والعقر إلى أن يصب في دجلة (١) وكذلك ينصب في دجـــلة وادي الخوسر وهو واد في شرقي الموصل يفرغ ماءه بدجلة حيث كان مجراه من باجباره القربة المعروفة مقابل الموصل تحت قناطر فيه الى القرن الخامس الهجرى (٢) ، ثم يصب في دجلة الزاب الأسفل (الاصغر) ومنبعه من الموضع المعروف بدينور والجبال المعروفة بسلق من رساتيق أذربيجان مما يلي شهرزور ومسافته من جريانه إلى أن يصب في دجلة نحو خمسة عشر يوما(٣) ، ويلاحظ أن استفادة السكان من هذه الروافد يقتصر على ضفافها ان وجدت ضفاف منبسطة وغـــير معقدة ولـكن درجة الاستفادة منها محدودة وذلك لسرعة جريانها وارتفاع أغلب الضفاف المحيطة بها ، وكما أن المسافة التي تسير فيها هذه الروافد هي محدودة ولذلك فان استفادة السكان من هذه الروافد استفادة محدودة تبعا لذلك .

ثم يجرى دجلة باتجاه الجنوب ويشير سهراب والخوارزمي الى ان نهر الثرثار كان يصب في دجـلة فوق مدينة تكريت بفرسخين في الجانب الغربي(٤) ، وكان الثرثار من الأنهار العامرة في الجزيرة حيث كان يجري من الشمال باتجاه الجنوب ، ويعتبر وادي الثرثار

---

(١) الحموى ، المصدر السابق ٢ / ٣٨٨ .

(٢) ن . م ٢ / ٤٩٨ .

(٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ص ٤٧ .

(٤) سهراب ، عجائب الأقاليم السبعة ص ١٢٥ ، الخوارزمي ، صورة الأرض (فينا ، ١٣٤٥ / ١٩٢٦) ص ١٢٩ .

المصرف الرئيسي لمياه أرض الجزيرة (١) ، ومنبعه من الهرماس (٢) ولوادي الثرثار ثلاثة منابع رئيسية هي المجرى الرئيسي له ، ووادي ابرة ، ووادي الثريثره ، ويغذي هذه المنابع عدد كبير من المسايل تأتي اليها من المرتفعات الشمالية من أرض ألجزيرة ، وتكون سلسلة تلال سنجار من هذا النطاق خط تقسيم المياه بين منبع وادي الثرثار وبين بعض منابع نهر جغجغه - هرماس القديم - رافد الخابور (٣) ولكي يوزع ماء الهرماس بشكل منتظم بين الثرثار والخابور ، وذلك لايجاد نظام ري منتظم في ذلك الوقت ، فقد اقيمت سدة سكير العباس ليتحول ماء الهرماس إلى الثرثار وقسم قليل منها إلى الخابور (٤) ، ويمكن أن ندرك أهمية وجود سكير العباس في تغذية الثرثار بكمية المياه اللازمة نتيجة لوجود هذا التنظيم الجيد للري فيري سهراب بأن أول الثرثار عند سكير العباس (٥) وبعد أن يتكون الثرثار من الهرماس - وهو نهر نصيبين - يتجة جنوبا فيقطع جبلا معترضا له ويجرى في البرية ويمر بالحضر ويستمر في جريه في برية سنجار ويصب في دجلة فوق مدينة تكريت بفرسخين في الجانب الغربي (٦) ، وكان الثرثار

---

(١) ابراهيم شريف ، المرجع السابق ١ / ٧٣ .

(٢) ابن الفقية الهمداني - مختصر كتاب البلدان ص ١٣٥ .

(٣) ابراهيم شريف ، المرجع السابق ، ١ / ٧٤ .

(٤) طه الهاشمي ، مفصل جغرافية العراق (بغداد ، ١٩٣٠) ص ٥٣٣ ، فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية (القاهرة . لا . ت) ١ / ١٤٤ .

(٥) سهراب ، عجائب الاقاليم السبعة ، ص ١٢٠ — ١٢١ .

(٦) ن . م . ص ١٢٥ ، ابن سرابيون ، المصدر السابق ، ص ١١ ،

من الأنهار الدائمة الجريان في الجزيرة ويعتبر آخر الأنهار التي تصب في دجلة ضمن حدود الاقليم .

ولكن يلاحظ أن مدى استفادة أهالي الجزيرة في الجانب الشرقي والشمال الشرقي من نهر دجلة تتركز بالدرجة الاولى في استعماله كوسيلة لوسائط النقل التجارية المائية ولو بشكل محدود وذلك بسبب سرعة جريانه ووجود الصخور في مجاريه . أما الاستفادة منه في الزراعة فتقتصر على مناطق الضفاف المجاورة له والتي تتميز بسهولة انبساطها وسهولة أرضها بحيث تزرع هذه الضفاف بشكل مكثف كما يجري الآن ولكن هذه الضفاف هي مناطق محدودة وليست واسعة بحيث لا تتناسب مساحتها مع كمية المياه المتوفرة في دجلة ، ذلك لان معظم الاراضي المجاورة لدجلة تتميز بارتفاعها الكبير عن مستوى الانهار وهذا يقلل من مدى الاستفادة منه في مجال الزراعة ولم تذكر المصادر شيئاً عن وسائل رفع المياه من دجلة لمناطق الجزيرة سواء وجدت هذه الوسائل أم لم توجد .

غير أننا نرى بأنه تظهر في وسط دجلة بعض الجزر التي تعتبر ضمن الجزيرة وتزرع هذه الجزر بمختلف المحاصيل الصيفية اضافة الى ذلك أن دجلة يستفاد منه أيضا في تنصيب المطاحن لطحن الحبوب والتي تعتبر وسيلة مهمة من وسائل الاستفادة من مجرى النهر .

هذا كل ما يمكن أن ندركه من الاستفادة من مياه دجلة ، والواقع أنها تتناسب مع الامكانيات في ذلك العصر ولا يمكننا أن نلقي اللوم على أهالي الجزيرة في عدم امكانيتهم لاستغلال مياه دجلة بشكل جيد وبنطاق واسع خاصة في مجال الزراعة اذا ما قارناه في العصر الحديث ، عصر التطور والحالة باقية على وضعها السابق المتمثل

فى ترك المياه تذهب هدار وعـــدم استغلالها بشكل جيد في المجال الزراعى إذا ما قارناة بالفترة موضوعة البحث ، بحيث لم تقتصر المشكلة على ارتفاع معظم مناطق الضفاف فحسب بل تتمثل في تموجات الاراضى المحيطة به .

نهر الفرات (*) :

من الأنهار العظيمة التي تحاذي الجزيرة وتشترك في تغذيه جهاتها الشمالية والغربية والجنوبية الغربية ، ينبع الفرات من بلاد الروم ويستمر في جريانه الى أن يدخل أرض الاسلام فيما بين سعرت وملطيه وشمشاط حيث يدخل ضمن الحدود الادارية لاقليم الجزيرة وبعد أن يجتاز المدن الثلاث التي ذكرت يتجه غربا ويجرى مقدار أربعمائة وخمسين ميلا حتى يصير الى مدينة شمشاط فيما بين قلعتها ويتجه غربا حتى يصل الى مدينة جسر منبج ثم ينعطف متجها جنوبا حتى يأتي بالس ثم الرقة (١) ثم يصب اليه نهر البليخ ومن هنا تبدأ روافد الفرات التي تتكون مياهها ضمن الحدود الداخلية للجزيرة حيث تتوارد من داخلية المناطق الجزريه متجهة نحو نهر الفرات ولعل أول

(١) قدامة بن جعفر ، نبذة من كتاب الخراج وصنعة الـكتابة ، (ليدن ، ١٨٨٩) ص ٢٣٣ ، شيخ الربوة الانصارى ، نخبه الدهر ص ٩٣ .

(*) عرف الفرات عند البابلين والآشوريين وكما عرفه السومريون باسمفورانونوأي النهر الـكبير وسماه الفرس (UFRATO ومنهم أخذ الأفرنج لفضة Euphrates ، رحلة بنيامين هامش رقم ٢ ، ص ١٢٦) .

هذه الروافد هو رافد البليخ . ومنبعه من أرض حران من عين يقال لها الذهبانية حيث يمر فيسقي ضياعا ورساتيق وبساتين ثم يمر بمناطق عدة مثل باجدى وحصن مسلمة وباجروان ويجري في ظهر مدينة الرقة ويصب في الفرات أسفل الرقة السوداء في الجانب الشرقي(١) ويصب في نهر البليخ نهر ديصان (*) الذي يجري على باب من أبواب الرها حيث ينتهي الى البليخ (٢) .

ومن الروافد العظيمة التي تنبع من داخل الجزيرة وتصب في الفرات هو نهر الخابور الذي يتكون من نهر الهرماس وأنهار أخرى تتوارد من مناطق رأس العين وطور عابدين ومناطق أخرى داخل الجزيرة ، فروى أن نهر الهرماس يقع أسفل جبل نصيبين من عيون تتدفق من أصل الجبل ويعرف الموضع برأس الماء ويجري هذا النهر بين جبلين وعلى حافتيه الكروم والشجر فاذا وصل الى نصيبين افترق فرقتين ومنهما يجتاز بباب سنجار فيسقى ما هناك من البساتين ويصب في الخابور ومنه ما يتجه الى شرقي البلد فيدير أرحيه هناك ويسقي البساتين (٣) ، وفي روايه أن مخرج الهرماس من طور

---

(١) سهراب المصدر السابق ، ص ١٢٠ — ١٢١ ، ابن سرابيون المصدر السابق ، ص ٥ ـ ٦ .

(٢) المسعودى ، التنبيه والاشراف ص ١١٣ .

(٣) الشابشتي ، الديارات ، (بغداد ، ١٩٦٦) ص ١٩١ .

(*) وكان ديصان اسقفا للرها من بلاد الجزيرة واليه تضاف الديصانية من أصحاب الاثنين وتفسير (ابرديصان) وهي كلمة سريانية ابن النهر ، والنهر هنا معروف بديصان (المسعودي) المصدر السابق ، ص ١١٣ .

عابدين (١) من عين تقع شمال نصيبين بستة فراسخ حيث أقيمت سدة من حجر ورصاص زعم ياقوت أن الروم أقاموه كى لا تغرق مدينة نصيبين (٢) ثم يجري الهرماس الى أن يصب في الخابور (٣) وذلك أن سدا شيد فوق ملتقى الهرماس في الخابور في موقع سكير العباس ليحول دون انصباب الماء في الخابور وتسليطها على نهر الثرثار « وكلمة سكير تصغير سكر أى السدة التي تقام لسد مجري النهر » وكانت مياه نهر الهرماس بفضل هذه السدة تنصب في الثرثار ماعدا قسم منها يجرى في الخابور (٤) ، ونهر الخابور يعتبر من أوسع الروافد التي تصب في الفرات حيث ينبع من أعلى أراضى الجزيرة من موضع يسمي رأس العين ثم يجري في وسط بلاد الجزيرة (٥) وينبع من رأس العين زيادة على ثلثمائة عين كلها صافية فتتجمع مياهها حتى يصير منها نهر الخابور ومسافة هذا النهر نحو عشرين فرسخا (٦) وعلى هذا النهر نحو عشرين فرسخا قرى ومزارع ومن مشاهير تلك القرى

---

(١) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ص ١٧٥ ، ابن رسته . الاعلاق النفيسة ، ص ٩٠ .

(٢) طـــه الهاشمي . مفصل جغرافية العراق (بغداد ، ١٩٣٠) ص ٥٣٣ .

(٣) ابن خرداذبه . المصـــدر السابق ، ص ١٧٥ ، ابن رسته . المصدر السابق ص ٩٠ .

(٤) طه الهاشمي ، المرجع السابق ، ص ٥٣٣ .

(٥) ابن رستة ، المصدر السابق ، ص ٩٣ ،

(٦) الاصطخري ، مسالك الممالك ص ٧٤ .

المجدل وهي تحت رأس العين بمرحلة كلها ضياع متصلة على جانبي الخابور (١) ، وكان عليه لأهل رأس العين نحو عشرين فرسخا قرى ومزارع (٢) وعليه بلدان واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه فنسبت اليه من بلاد قرقيسيا وماكسين والمجدل وعربان وبعد أن يضاف اليه فاضل الهرماس السابق الذكر يصبح نهراً كبيرا ويمتد فيسقي هذه البلاد ثم ينتهي الى قرقيسيا فينصب عندها في الفرات (٣) وأن للخابور أهمية كبير وذلك لأن روافده وفروعه تشكل شريان الحياة للمناطق الداخلية الشمالية من الجزيرة وقد تغني الشعراء به وبمزارعه مما يدل على غنى المنطقة التي يمر فيها .

ثم يتجه الفرات وبعد أن يصب الخابور فيه ينحدر جنوبا حيث تقع على ضفافه الغربية عدة مدن يمر فيها كميادين والرحبة والصالحية والداليا والفرضة وعنه ثم حديثة شرقه وآلوسة غربه ثم الى هيت وبعد ذلك يتجو جنوبا فيدخل أرض السواد .

ولو اردنا المقارنه بين مدى استفادة سكان الجزيرة من النهرين وروافدهما نجد ان روافد دجلة تجري في مناطق وعرة وترتفع ضفافها عن مجاريها كثيرا اضافة الى شدة وسرعة جريانها حتى ان احداهما يسمي بالمجنون لشدة جريه ولم تشر المصادر الى مدى استفادة السكان

---

(١) الاصطخرى ، الاقاليم ص ٤١ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الارض ص ٢٠٠ .

(٣) الحموي ، معجم ٢/٣٨٣ .

من روافد دجلة وكذلك فان هذه الروافد تجري في مناطق محدودة المساحة وعلى العكس من ذلك فان روافد الفرات « البليخ ، الخابور ، الهرمـــاس ، » تقع اصلا في قلب المناطق الداخلية للجزيرة حيث تشكل شرايين الحياة في الجزء الداخلي الشمالي من الجزيرة وتقـام على ضفـافها كما مر بنا المزارع والقرى الأمر الذى يكشـف مدى استفادة السكان من مياهها وان الظروف الطبيعية لجريان هذه الروافد تتميز ببطء جريانها مقارنة بروافد دجلة اضافة الى سهولة المنـاطق المحيطة بها حيث المستقرات السكانية القائمه على ضفافها وهذا يؤدي الى خلق فرصة الاستفادة للسكان من هذه المياه اكثر من روافد دجلة ونجد ان المناطق التي تجري فيها روافد الفرات تكون اوسع بكثير من تلك حيث تشكل اهم موارد الانتـاج الزراعي للجزيـرة حول ضفاف روافد الفرات . اما بالنسبة للنهرين بشكل عام فنجد ان درجة الاستفادة من دجلة اقل بكثير عما هو عليه بالنسبة للفرات وذلك لان المناطق التي تحط بضفاف دجلة من الجزيرة اكثر وعورة وارتفاعا من مستوى النهر ، الامر الذى يخلق صعوبات كثيرة في درجة الاستفادة من مياهه على حين ان مناطق ضفاف الفرات تتميز ببساطة اكثر وتموج اقل من مناطق دجلة ، يتميز دجـلة بسرعة جريانه وذلك لارتفـاع الانحدارات السطيحة شرق الجزيرة ، الامر الذى يخلق صعوبة استخدامه للنقل المائي الا بشكل محدود على عكس الفرات الذى كان اقل سرعة من جريان دجلة حيث يستخدم بشـكل اوسع للنقل المـائي حتى ان

الخليفة الرشيد كان كثيرا ما يسلك طريق الفرات في ذهابه وايابه للرقة ، ونشأ عن سرعة جريان دجــلة أثرا على جعل الجزر التى تظهر فيه صيفا اقل مساحة على عكس الجزر التي تظهر في الفرات فانها اكثر سعة ولذلك يستفاد منها لزراعة المحاصيل الصيفية كثيرا ، ومن المبررات التى تؤيد استفادة سكان الجزيرة من نهر الفرات اكثر من دجلة بالنسبة للمناطق التي يمران بها حيث نرى ان الفرات يحادد الجزيرة بفروعه الداخلية فيها حيث يكون اطول بكثير عما هو عليه دجلة خلال المناطق التى يمر فيها وسعتها وبالاضافة الى ذلك من ناحية المناخ للمناطق الغربية للجزيرة التى يمر فيها الفرات نجد انها اكثر حراً من شرقيها في الصيف وهذا يدعوهم الى استهلاك كميات كبيرة من الماء سواء للحيوانات أو للزراعة .

ونلاحظ ان المدن تنتشر على ضفاف الفرات الشرقية والغربية بشكل يفوق ما عليه دجلة ، كما ان ضفاف الفرات المقامة عليها هذه المدن اكثر صلاحية وسعة للزارعة من مناطق دجلة ، ويضاف الى هذه المدن التي تقع على الضفاف فان هناك مدنا أخرى قائمة بذاتها تشكل جزرا في مجرى الفرات حيث يمارس السكان فيها مختلف النشاطات البشرية وهذا مما ليس له وجود في دجلة بأستثناء بعض الجزر الصغيرة التى تظهر صيفا ويشير النويري الى ان في شط الفرات مدنا في جزر تعد من اعمال الفرات وهي الريسة والناووسة والقصــــر والحديثة

وعانات والداليا «١» ولذلك يمكن ان ندرك الفارق الكبير بين درجة الاستفادة من الفرات ودجلة .

وبعد ان تطرقنا الى كبار الانهار والروافد في الجزيرة ننتقل الآن الى ذكر الأنهار الصغيرة التي تنتشر في مختلف المدن الجزرية ، فقد روي ان شرب أهالى سنجار من نهر عذيي «٢» ، وتقع معلثايا على نهر «٣» وثمانين على نهر غزير يقبل من أرمينيه تحت الجودى «٤» وبعشيقا لها نهر جار يسقي بساتينها وتدار بها عدة أرحاء ويشق النهر في وسط البلد «٥» وتلعفر تقع في وسط واد فيه نهر جار «٦» وكفر توثا ذات نهر «٧» . وأهم الانهار التى حفرت من قبل الولاة في الموصل والجزيرة كان منها الحرفي الموصل الذى أبتدأ بحفره سنة ١٠٦ هـ/٧٢٤م الحر بن يوسف والذين جاءوا من بعده وذلك زمن الخليفة هشـــام بن عبد الملك وفرغ من حفره سنة ١٢١ هـ و /٧٣٨م وعمل عليه عشرون رحى وروى انه انفق عليه ثمانية الاف الف درهم «*» وجعل عليه

---

(١) النويري ، نهاية الارب ، ٢٦٧/١ .

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٤٠ .

(٣) ن . م ، ص ١٣٨ .

(٤) ن . م ، ص ١٣٩ .

(٥) الحموي ، المصدر السابق ، ٤٥٢/١ .

(٦) العمري ، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء ، (الموصل ، ١٩٥٥) ، ص ١٣٨

(٧) الاصطخرى . مسالك الممالك ص ٧٤ .

* =

ثمانية عشر حجرا تطحن وأوقف هشام هذه الارحاء على نفقة هذا النهر وما يحدث فيه «١» وكان أكثر اعتماد اهل الموصل عليه كما انه كان له دور كبير في الحياة الاقتصادية وذلك لكثرة المطاحن الموجودة عليه « * » . ومن الانهار الاخرى ذات الشهرة في الجزيرة نهر سعيد

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٤٣ ، ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ٥(بيروت ، ١٩٦٥)ص ٢٤١ .

(= *) وهي تساوي تقريبا ٢٢٦٫٦٦٦ جنيها « الصايغ ، تاريخ الموصل ٦٤/١ »

(*) كان الحر قد تولى المنصب سنة ١٠٦ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك وأبتدأ بحفر النهر المعروف بالمكشوف وكان سبب حفره انه كان جالسا في داره المعروفة بالمنقوشة حيث كان ينظر في منظار له فرأى أمرأة على عاتقها جرة وقد جاءت بماء من دجلة وأجهدها حملها فأستعظم ذلك فكتب الى هشام بن عبد الملك يخبره بذلك وببعد الماء عن اهل البلد فكتب اليه يأمره ان يحفر نهرا في وسط المدينة فابتدأ في حفر النهر « الازدي ص٢٦ - ٢٧ » وجمع الصناع واهل الهندسة لحفر النهر واتخذ له الألات وجدّ في حفره وعمله « ن . م ، ص ٢٨ » وكان مجدا في عمله وينفق عليه الاموال ولا يحمل الى هشام شيئا « ن . م ، ص ٢٩ » وكان يجبي الاموال وينفقها على النهر حيث زعموا انه كان يعمل فيه خمسة آلاف رجل وروى ان هشام أستبطأ =

ويأخذ ماءه من الفرات ، أوله تحت القبة التي تعرف بفم نهر سعيد فيسقي الضياع الواقعة غربي الفرات ويمر فيسقي ضياع الرحبة ويصب في الفرات فوق دالية مالك بن طوق بعد ما تتفرع منه انهار في ضياع الداليا في الجانب الغربي ويتفرع منه ايضا نهر يقال له دجيل أوله فوق قرية الرب بفرسخ او اكثر وتتفرع منه انهار كثيرة تسقي ضياع مسكن وقطربل وما يليها من الرساتيق ويصب في دجلة بين عكبرة وبغداد «١» وترى الحموي ان نهر سعيد هذا كان بالجزيرة دون الترقة

= الحر في أمر النهر واستسرف النفقة على النهر وانقطاع الحمل « ن . م ، ص ٣٢ و ٣٣ » ثم صار أمير الموصل سنة ١١٤ هـ الوليد بن تليد العبسي وورد عليه كتاب هشام يأمره الجد في أمر النهر فوضع العمل فيه وانفاق الاموال وذكروا أن هشاما كتب اليه يأمره ان يعمل عليه عشرين رحى فعليه ثمانية عشر حجرا « ن . م ، ص ٣٥ و ٣٦ » وكان الوليد كسابقة يجبي الاموال وينفقها على النهر وهو مستمر في حفره ومجد في عمله « ن . م ، ص ٣٧ و ٣٩ » وانتهى من عمل النهر سنة ١٢١ هـ وروى أنهم وزنوا الماء في فوهة النهر وطرحوا لكل رجل علامة قد عملوها ويقال جوزة وقعدوا في زورق في جوف النهر والعلامات تسير في ايديهم حتى خرجوا الى آخر النهر فجاءت كل علامة وكل جوزة الى الرحى التي عملت لها حتى دخلت في سيب الرحى فجرى الماء « ن . م ، ص٤٣ » .

(١) سهراب . عجائب الاقاليم ، ص١٢٣ . أبن سرابيون ، مخطوط ورقة ٧٧ ، قدامه ، الخراج . ورقة ١٣٢ أ .

حيث ينسب الى سعيد بن عبد الملك (١) حيث أمر بحفره وكان رجلا تقيا يلقب بسعيد الخير (٢) وهذا النهر اضافة الى نهر المكشوف في الموصل هما من أهم الأنهار التى حفرها الأمويون ومن الأنهار الاخرى في الجزيرة نهران في الرقة هما الهني والمري وهما نهران عليهما القرى مشتبكة العمائر (٣) وقد حفرهما الخليفة هشام . وللرها في الغرب باب الماء وبساتينها في الشرق منها ويشق بعضها نهـــر يسمي بالسكيرات (٤) .

هذه هي النهيرات الصغيرة في الجزيرة ، ولو أن مصادرنا لم تقدم معلومات وافية عن هذه الانهار الصغيرة ، حيث تراها مهمة جـــدا وذلك لاقامة كثير من المستوطنات السكانية عليها ، حيث توجد الفرص الملائمة لاقامة مختلف نشاطات الحياة الاقتصادية فيها ، ولاحظنا خلال سياق الحديث عن هذه الانهار الصغيرة ان وجود المدن فيها يقترن بوجود هذه الانهار التي تجري فيها .

العيون والينابيع :

تنتشر في أراضي الجزيرة اعداد كبيرة من العيون والينابيع المتفرقة في معظم أجزائها حيث كانت تستخدم في الارواء (٥) ، ففي منطقة

---

(١) الحموي . المشترك ، ص ٤٢٦ .

(٢) الحرانى . تاريخ الرقة (حماة ، ١٩٥٩) المقدمة ص خ .

(٣) شيخ الربوة الانصاري . المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٤) قدامه . المصدر السابق ورقة ١٣٢ ب .

(٥) الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادى (بغداد ، ١٩٤٨) ص ٥٢ .

دارا مياه جارية (١) ويستقي أهالي ماردين من عيون مجرورة في قنوات (٢) أما أهالي ميافارقين فسقيهم من العيون إضافة الى مياه نهر دجلة (٣). ويستقي أهالي بليذة من مياه عذبة تنقل اليهم (٤) وتخرج من الرها عين تسمي بعين نغاس وهي كثيرة المتنزهات والفاكهة ، وتنبثق الى الشمال من نصيبين عيون تمر في وديان تحف بالمدينة فتسقي زروعها وتروي سكانها ويبدو أن مياه هذه العيون كانت غزيرة الى درجة كبيرة حتى اضطر السكان معها الى تضييق مخارج المياه فيها لتنظيم مرور الماء وضمان وصول كميات مناسبة لا تفيض عن الحاجة (٥) وعين نصيبين من عجائب ديار بكر (*) . وبين الموصل

(١) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٧٣ .

(٢) ابن سعيد المغربي ، بسط الارض في الطول والعرض ص ٨٨ .

(٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص‌ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٤) الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، « مخطوط المجمع العلمي العراقي برقم ٧٧٨ ـ ٧٨١ » ، ورقة ١٨١ أ .

(٥) ابن جبير ، رحله (القاهرة ، لا . ت .) ص ١٨٤ القزويني ، اثار البلاد ص ٣٦٨ .

(*) روي القزويني أنها تبعد من نصيبين بمرحلة وهي مسدودة بالحجارة والرصاص لئلا يخرج ماء كثير فتغرق المدينة . وفي رواية أن المتوكل على الله لما وصل الى نصيبين سمع بأمر هذه العين وعجيب شأنها وكثرة مائها فأمر بفتح بعضها ففتح منها شيء يسير فغلب الماء غلبة عظيمة فأمر في الحال بسدها وردها الى ==

وتلعفر عين البيضاء وهي عين ماء قريبة من بوماريه (١) وفي خلبتا عين ماء فواره باردة (٢) وفي مدينة آمد تـكون مستويات المـاء الجوفيه قريبة من سطح الارض فيذكر القزويني أن فيها عيونا وآبارا عمقها ذراعان (٣) وبين تكريت وهيت عين ماء ظاهرة وبركه فيها سمك وحولها مزارع (٤) وأهالى مدينة سعرت شربهم من مياه نبع قريبة من وجه الارض (٥) ولحيزان من ديار بكر مياه سارحة (٦) وفي قرية زراعة شرقي الموصل فيها عين يجتمع فيها ماء كثير ينبت فيه نبات يستخرج منه صبغ النيله ويعد نوعا من أنواع دخـــل القرية

= ما كانت ومن هذه العين تحصل عين الهرماس وتسقي نصيبين وفاضلها ينصب الى الخابور ثم الى الثرثار ثم الى دجلة (القزويني اثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٦٨ ، القزويني ، عجائب المخلوقات (مخطوط رقم ٥٧٦ في مكتبة الدراسات العليا . جامعة بغداد) ورقة ١٠٣

(١) الحموي ، معجم ، ١٠ / ٧٩٣ .

(٢) ن . م ، ١ / ٤٥٩ .

(٣) القزويني ، اثار البلاد ص ٤٩١ .

(٤) الحموي ، المصدر السابق ٢ / ٦٧٨ .

(٥) أبو الفدا ، تقويم البلدان ص ٢٨٩ ، القلقشندي صبح الاعشى ٤/٣٢٤ .

(٦) أبو الفداء ، المصدر السابق ، ص ٢٨٣ .

ويضمنه العامل في القرية بمال (١)، وبين ماكسين والفرات توجد بحيرة المنخرق (٢) ويشير الحموي الى أن بالجزيرة ماء الثوير من منازل ثعلب (٣) ولهذا نرى أن الجزيرة غنية بالعيون والينابيع وأن أشهر هذه العيون في منطقة رأس العين والتي تسمى عين الوردة (٤) وقال ابن حوقل (وفي رأس العين من العيون ما ليس ببلد من بلدان الاسلام وهى أكثر من ثلثمائة عين جارية كلها صافية يبين ما تحت مياهها في قعورها) (٥) وقد قدم ابن جبير وصفا لها (٦) وأشهر عيونها عين الصرار (٧) ، والواقع أن مدينة رأس العين هى أروع مثل يمكن أن يضرب بها بوفرة العيون والينابيع ، قال ابن جبير (بأن هذا الاسم من اصدق الصفات وموضح هذه اشرف المواضع

---

(١) القزويني ، المصدر السابق ، ص ٣٨٣ ، القزويني ، عجائب المخلوقات مخطوط رقم ٥٧٦ ، مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، ورقة ١٠١ ـ ١٠٣ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الارض ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٣) الحموي ، المشترك ص ٩١ .

(٤) ن . م ، ص ٣٢٠ .

(٥) أبن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٦) ابن جبير ، رحله ، ص ١٨٧ ، الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، (مخطوط ، مكتبة المجمع العلمي العراقي ، برقم ٧٧٨ ـ ٧٨١) ورقه ١٧٥ أ ـ ب .

(٧) القزويني ، اثار البلاد ص ٣٧٣ .

وذلك أن الله تعالى فجر ارضها عيونا واجراها ماءاً معينا) (١) .

مما تقدم يتبين لنا أن الجزيرة غنية بمواردها المائية من العيون والينابيع التي تعكس وفرة المياه الجوفية فيها وامكانية استغلالها للزراعة اذا ما توفرت الرغبة والجهد حيث الاراضي الخصبة والمياه القريبة لا تحتاج جهدا كبيرا في استخراجها ولهذا أثر كبير في خلق وضع يساعد على جعل الجزيرة مسرحا لاحداث التاريخ التي جرت على سطحها . وأخيراً فانه تتوافر في الجزيرة المياه الجوفية التي تتجلى بوفرة العيون العديدة وقربها من السطح كما لاحظنا فى رأس العين اضافة الى وفرة الآبار فيها وتتركز أهمية هذه العيون في مناطقها التي تتوافر فيها باعتبارها المورد المائي الاساسي للسكان وذلك لانعدام بعض مناطق الجزيرة من المجاري المائية وحتى ان وجدت هذه المجاري فقد يكون من الصعوبة الاستفادة منها وذلك لارتفاع بعض المناطق عن مستوى الانهار ولعدم وفرة الوسائل الكافية التي يمكن استخدامها والاستعانة بها في شق مجار مائية في ذلك الوقت فيبقى أمام السكان شيء واحد ألا وهو ايجاد مورد مائي لهم ومن هنا تأتي أهمية العيون والينابيع كعامل أساس من عوامل استيطان السكان واستقرارهم فى الكثير من مناطق الجزيرة .

---

(١) ابن جبير ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ ، وكذلك الحميرى ، الروض المعطار ، ورقة ١٧٥ أ .

أن المتتبع لتاريخ الجزيرة يجد مستقرات ومستوطنات سكانية تتناثر في العديد من مناطقها علما بأنها لا تقع على بجار مائية ولكن قيام هذه المستوطنات السكانية يعتمد بالدرجة الاولى على وجود المياه الجوفية المتمثلة بالعيون والينابيع وتبرز أهميتها في تاريخ القبائل المتنقلة بشكل أساسي حيث كانت تتضارب وتتصارع قواها مع بعضها البعض من أجل منبع مائي أو بئر من الآبار . وان كانت أيام العرب في الجاهلية قد شهدت مثل هذا النوع من الصراع فالجزيرة هي الأخرى شهدت مثله في العصر الاسلامى وخاصة في الفترة الأموية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان وجود هذه العيون والينابيع يخلق فرصة كبيرة أمام هذه القبائل المتنقلة للاستقرار حول الموارد المائية المتوفرة في الجزيرة وبالتالى تكون هذه عاملا من عوامل خلق الحياة المستقرة والمتحضرة في كثير من أرجائها ونستطيع أن ندرك من خلال حركات المعارضة الكثيرة المتنوعة فى الجزيرة كما سنرى أن الجزيرة كانت مسرحا للأحداث العسكرية والصدامات العنيفة ما بين العناصر المتضاربة والمتنازعة فالجيوش كانت تجوب أماكن الجزيرة المختلفة في عدة فترات من الفترة موضوعة البحث سواء أكان الجيش أمويا أو عباسيا إذ أن هذه الجيوش لم تكن تستقر دائما أو تسير موازية لمجارى المياه بل أن كثيراً من مناطق الجزيرة اتخذت قواعدا عسكرية علما بإنها لا تقع علي بجار مائية إذ أن وفرة المياه الجوفية فيها المتمثله بالعيون والينابيع قد جعلت منها قواعد عسكرية للجيوش كمدينة نصيبين التي اتخذها عبد الله بن على

قاعدة (١) له ، كما أن قيام الزراعة في كثير من مناطق الجزيرة الخالية من الأنهار تعكس لنا أهمية موارد العيون والينابيع وأثرها في المساهمة في تنمية الوضع الاقتصادى في الجزيرة ، ومن كل ما تقدم يتبين لنا أن الموارد المائية بشكل عام متوفرة في الجزيرة بحيث خلقت منها مسرحا لمزاولة مختلف نشاطات الحياة فيها ، فقد انعكس أثرها على الوضع الاقتصادى بشكل خاص حيث أدى الى وجود مختلف أنـــواع المحاصيل الزراعية والتى كان لها أثرها في الازدهار الاقتصادى ومجالات الحياة الأخرى سواء في الحرف أو التجارة وقد انعكست هذه الأهمية تاريخيا متمثلة في الصراع العسكرى بين الروم والفرس ومن ثم بين المسلمين والروم أيضا وذلك للأزدهار الاقتصادي للأقليم ونجد أن وفرة الموارد المائية موزعة بشكل عام توزيعاً منتظما نسبيا حيث يندر أن تجد منطقة خالية من أي مورد من موارد المياه سابقة الذكر حتى أن بعض المناطق تزيد فيها المياه عن الحاجة مترتبا على زيادة كميتها كثرة المستنقعات الملحية ويعرف أكثر هذه المستنقعات باسم سبخة البرغوث أو سبخة الطويل وتشوب الملوحة مياهها الا أنها صالحة للاستعمال (٢) ، ونختتم حديثنا عن الموارد المائية في الجزيرة الى الاشارة من أن أرض الجزيرة فيها انحدارات سطحية حيث تكون مرتفعات القسم الهضبي منها مناطق تقسيم للمياه بينما

(١) أحد الثوار العباسيين الذين ثاروا ضد الخليفة المنصور ، يراجع الفصل الخاص بالمعارضة الاموية بالجزيرة .

(٢) ابراهيم شريف ، الموقع الجغرافي ١ / ١٢٣ ـ ١٢٤ .

ينصرف منها نحو نهر دجلة جداول الفرات وتجرى المياه منصرفة نحو نهر دجلة في جداول قصيرة وسريعة الجريان ، أما المياه المنصرفة نحو نهر الفرات فانها تجري بانحدار بطيء في عدد من الجداول وتلتقي مياه بعض منها (١) وأهم شيء يترتب على ذلك كما مر بنا يجعل قابلية السكان على الاستفادة من المياه ذات الانحدار البطيء أكثر من السريعة الجريان سواء في الزراعة أو النقل المائى وفي مختلف مجالات الاستفادة من المياه ، ورغم أن المياه موزعة بشكل منتظم نوعاً ما في الجزيرة الآ أننا نرى أن المجاري المائية وروافد الفرات تتركز بشكل أساس في المناطق الشمالية الداخلية من الجزيرة في حين أن أكثر المناطق الاخرى تتوافر فيها مجار مائية صغيرة أو تعتمد على العيون والينابيع .

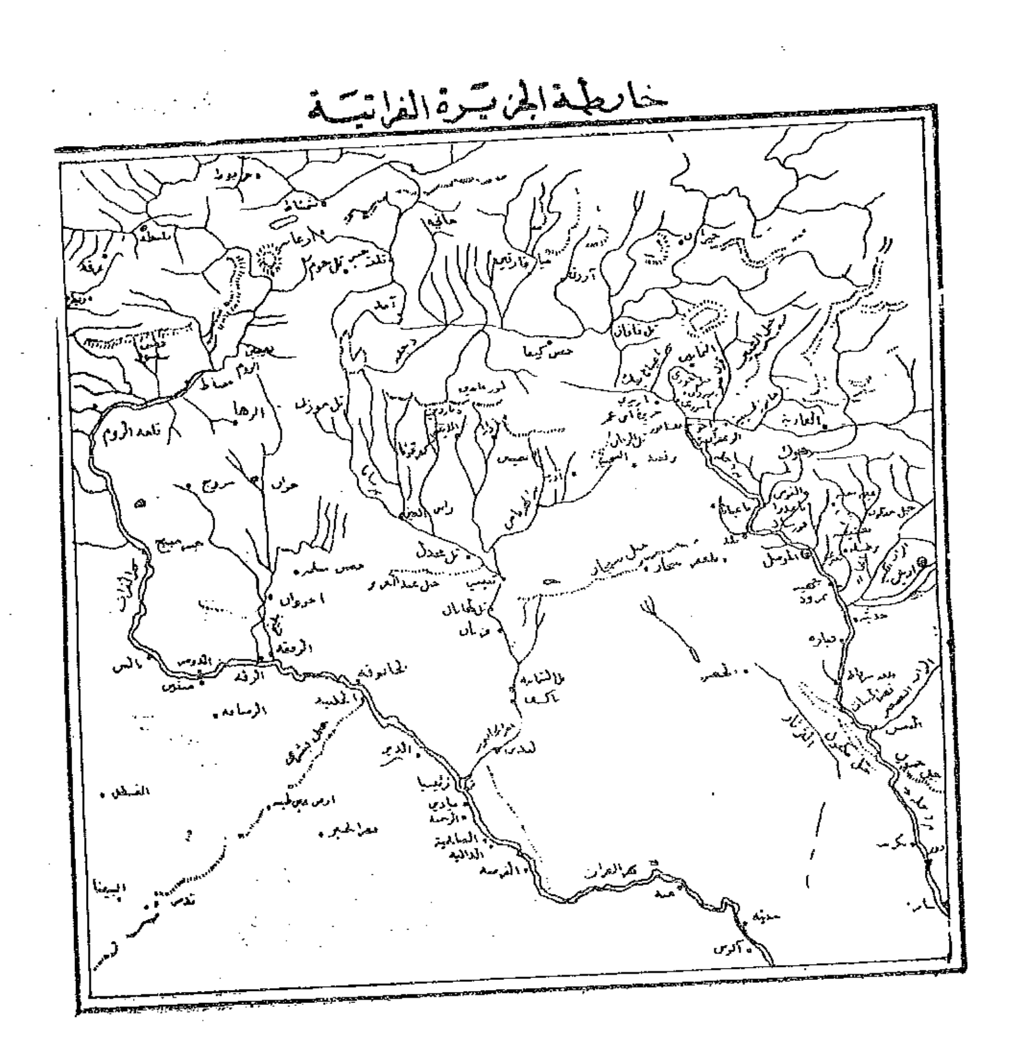
وبالاضافة الى الانهـار والعيون والينابيع تتضمن سهول أرض الجزيرة وديانا صحراوية تتجه نحو نهر الفرات ويعرف أهم هذه الوديان باسم وادي العجيج وهو ينبع من السفوح الجنوبية الغربية لجبل سنجار ويجري نحو الفرات في وادى غير محدد يتضمن مجراه عددا من الاحواض تتسع مساحتها كثيرا في وقت الفيضان ثم تتقلص في فصل الحرارة وتكون مستنقعات ملحية (٢) . اضافة الى الموارد المائية التي ذكرت فان الجزيرة غنية بأمطارها في الشتاء والربيع .

---

(١) المرجع السابق / ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٢) ن . م ١ / ص١١٥ ـ ١٢٦ .

خارطة الجزيرة الفراتية



مدن الجزيرة الفراتية واعمالها :

عندما دخلت الجزيرة الفراتية ضمن حضيرة العالم الاسلامى «*» اصبحت مصرا من الامصار الاسلامية الهامة فقد ، جاء على لسان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قوله : « الامصار سبعة فالمدينة مصر ، والشام مصر ، والجزيرة مصر ، والبحرين مصر ، والبصرة ، والكوفة » (١) . اما بالنسبة للتقسيم الجغرافي لمناطقها ، فقد اعتاد الجغرافيون والمؤرخون المسلمون ان يتبعوا التقسيم الكلاسيكى المألوف ، الآ وهو تقسيم الجزيرة تبعا للقبائل التي استوطنتها .

---

(١) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، م ١ « دمشق ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م) ص ١٩٠ .

(*) فتحت الجزيرة سنة ١٦ هـ /٦٣٧ م حيث فتحت حران ، الرها ، الرقة ، قرقيسيا . نصيبين ، سنجار ، ميافارقين ، وقرى الفرات وسروج ، ورأس كيفا ، وسميساط وجسر منبج ، ورأس العين وتل موزن ، وآمد ، وكفر توثا وطور عابدين ، وماردين ، وقردى ، وبازبدى (راجع الواقدى ، فتوح الشام ج ٢ « القاهرة ، ١٩٣٤ » ص ٦١ - ٨٣ وما بعدها ، البلاذرى ، فتوح البلدان « القاهرة ، ١٩٥٩ » ص ١٧٦ - ١٨٧ ، الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ « القاهرة ، ١٩٧١ » ص ٣٥ - ٣٨ ، ابن أعثم الكوفي ، الفتوح جـ ١ « حيدر آباد الدكن ، ١٩٦٨ » ص ٣٢٦ - ٣٢٩ . ابن الاثير ، الكامل ٥٣٢/٢ - ٥٣٥ ، ابن خلدون ، العبر ، م٢ ق١ « بيروت ، ١٩٥٦ » ص ٩٥٢-٩٥٦ . اما الموصل فيروى البلاذرى انها من فتوح =

وعليه لما كانت الجزيرة تشكل مصرا اسلاميا منذ دخولها حضيرة العالم الاسلامي فاننا سوف نتبع اسلوبا جديدا في دراسة تقسيم مدنها على غير التقسيم الكلاسيكي المألوف لدى الجغرافيين العرب ، والذى يقسم الجزيرة على اساس ديار ربيعة فى الشرق ، وديار بكر في الشمال وديا مضر في الغرب ، واننا نرى ان التقسيم يجب ان يتبع وينسجم مع التوزيع الجغرافي وذلك وفقا للمناطق شرقية ، وغربية ، ووسطى . وذلك لكى ندرك المركز الادارى الرئيسي لكل قسم ثم مركز ادارة الجزيرة عامة . اضافة الى ان التقسيم وفقا للمدن يمكن ان يطبق مع ما قسمناه جغرافيا ، للاقليم على اساس المناطق وبحيث يكون مطابقا على الخارطة ، اما التقسيم القبلى فمهما أجتهدنا بتحديده فأنه من الصعوبة ان يتخذ حدودا مميزة وواضحة ، وذلك لتداخل المناطق اولا ولترحال وتنقل القبايل ثانيا . ولهذا نرى ضرورة اتباع التقسيم الادارى للمناطق الجغرافية وليس تبعا للقبائل . اضافة الى اننا ندرس الجزيرة وحدة ادارية سياسية ، وليس وحدات قبلية .

وعلى هذا الاساس ، فان التقسيم يشمل المناطق التى تقع فى حوض دجلة أولا ، ثم حوض الفرات ثانيا ، وثالثا المناطق الوسطى منها .

= عتبة بن فرقد ، المصدر السابق ، ص٣٢٧ـ٣٢٩ ، في حين يرى الطبرى انها من فتوح ربعي بن الافكل ،٣٥/٤ ، ،ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٥٢٣/٢ـ٥٢٤ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ٩٥١/٢ـ٩٥٢ .

أولا : مدن حوض دجلة :

يشتمل هذا الجزء على المناطق التي تقع على ضفتي دجلة الشرقية والغربية وعلى روافده الشرقية، وكذلك المناطق التي تقع شرقية. ويمتد من مدينة ميافارقين وينتهي عند مدينة تكريت، واهم مدن هذا الجزء الادارى اعتبارا من الشمال الى الجنوب.

• مدينة ميافارقين : (*)

تقع مدينة ميافارقين على احد المجارى المائية التي تشترك مع العديد من المجارى التي تغذي دجلة في منابعه العليا في اقصى شمال شرقي الجزيرة. وهي في حدود الجزيرة وحدود أرمينية «١» وانها قديمة الاسس والمنشأ وفي رواية للانصارى « ان ميافارقين معربة «لاسم من فاركين»، ويقال ان ميا أسم بانيها وفارقين أسم المدينة «٢» ويعتقد لسترنج ان ميافارقين تحريف لاسم « ميفركت » Mayfarkath الارامي او موفركن Moufargin الارمني وسماها اليونان مرتيروبولس Martyropolis «٣» وروى ان اسم ميافارقين يعني مدينة الشهداء «٤» حيث انها انشأت زمن الامبراطور « قسطنطين صاحب رومية الكبرى، وزمن شابور ذى

---

(١) ابن الوردى، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، مخطوطه فى في مكتبة الدراسات ـ العليا ، بغداد ، رقم ١٨١ ،ورقة ٢٨ .

(٢) الانصارى ، نخبة الدهر ، ص ١٩١ .

(٣) بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٤٣ .

(٤) القزوينى ؛ آثار للبلاد ، ص ٥٦٥ « ففى رواية انها حوت عظام شهداء النصارى »

(*) راجع عنها ، الفارقي ، تأريخ ميافارقين

الاكتاف اثناء فترة مؤقته من الهدنة بين الجانبين بعد حصول تعاون بين الجانبين في المجال الصحي ان صحة رواية القزويني «١»

وان ميافارقين مدينة وسطة المساحة ذات سور . وتتميز بخصوبتها ووفرة مياهها غير أنها وخمة كثيرة العلل والوبـــاء «٢» ويذكر ابن حوقل أنها مدينة عظيمة ذات سورين من الحجارة وذات خندق عميق وهي مكتظة العمارة وضيقة الاسواق ، وانها منتعشة اقتصاديا حيث تتميز بكثرة الفواكه والاشجار فيها ونشرب اهاليها من العيون ونهر دجلة في الشتاء «٣» .

ويمكن ملاحظة اهميتها الدينية بكثرة مساجدها الاسلامية «٤» ،

---

(١) آثار البلاد ، ص ٥٦٥ ـــ ٥٦٦ حيث تشير رواية القزويني الى استعانة شابور الفارسي احد اطباء الروم ، لمعالجة ابنته ، وكافأه على ذلك بالسماح له ببناء مدينة ميافارقين وتجميع عظام ورفات شهداء النصارى وكذلك تحقيق الهدنة بين الجانبين «للمزيد من التفاصيل راجع المصدر المذكور وصفحاته» .

(٢) الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص٧٦ . راجع ناصر خسرو « سفرنامة » ، رحلته ترجمة يحي الخشاب ، « بيروت ، ١٩٧٠ » ص ٤١ .

(٣) صورة الارض ، ص٢٠٢ .

(٤) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٤٠ ، راجع فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ١٥٩/١ . « الهروى » الاشارات الى معرفة الزيارات « ، دمشق ١٩٥٣ » ص٦٤ ـ ٦٥ .

وكذلك الاديرة المسيحية «١»

مدينة أرزن «*» :

تقع على الضفة الغربية من نهر سريط احد روافد دجلة «٢» وحددها الخليفة المنصور وكانت قديمة الآثار «٣»و المسافة بينها وبين نصيبين (١١) سكة «٤» وتتميز أرزن بقلعتها الحصينة الكبيرة «٥».

مدينة سعرت « سعرد »

وهى بالقرب من نهر دجلة من ناحيته الشماليه والشرقية ، وتبعد عن ميافارقين مسيرة يوم ونصف ، وميافارقين في الشمال عن سعرت ، وهي في الجنوب عنها ، وتبعد عن آمد مسيرة اربعة ايام ، واتجاه موقعها في الشمال الشرقي من الموصل والموصل في الجنوب الغربي «٦» ويعتقد

(١) « القزويني ،المصدر السابق ، ص٣٧٢ » .

(٢) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص٧٦، والاقاليم ؛ ص٤٣ .

(٣) الانصاري ، نخبة الدهر ، ص١٩٢ .

(٤) اقدامه ، الخراج مخطوط ،ورقة ٤٤ ب .

(٥) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص٧٦ ، والاقاليم ، ص٤٣ ، فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ١٥٩/١ .

(*) وهي ليست مدينة أرزن المشهورة قرب خلاط حيث تعتبر من اعمر نواح ارمينية ، وكذلك ليست مدينة أرزن الروم التى هى الاخري بلدة اخرى من بلاد الرمنية واهلها ارمن « راجع الحموي ، معجم ، ١/ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ » .

(٦) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٢٨٩ .

أن تسمية سعرت كردية الاصل «١» وهى مدينة كبيرة ، تحيط بها الجبال «٢» . وفيها بعض الينابيع التي يشرب منها سكانها ، وتمتاز بوفرة الأشجار الكثيرة من التين والرمان والكروم كما ان فيها اديرة للنصاري «٣» .

مدينة آمـــد :*

روي أنها تنسب الى آمد بل السميد لانه بناها (٤) ويطلق عليها الرومان «Amida» (٥) وتقع على جبل في غربى دجلة مطل عليها(٦) ووصفها المقدسي بأنها بلد حصين ، حسن عجيب البناء عـــلى عمل انطاكية وهي أصغر من انطاكية وفيها عيون وهي مدينة رحبة طيبة ثغر للمسلمين ، ولها خمسة أبواب ، باب الماء ، وباب الجبل ، باب الروم ، باب التل ، وباب أنس صغير يحتاج اليه وقت الحرب (٧)

(١) وقيل ان سعرت طخذه اي القبائل المتبددة او الارض المثلثة بالكردية « عزيز بطرس ، كتاب الرعاة ، (بغداد ، ١٩٦٠) ٣/٣ .

(٢) ابو الفداء ، المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(٣) راجع الشابشتي ، الديارات ، ص١٩٨ .

(٤) الهروي ، الاشارات ، ص ٦٦ .

(٥) استرنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٤٠ .

(٦) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠١ .

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٤٠ .

(*) راجع ناصر خسرو ، المصدر السابق ، ص ٤١ ــ ٤٣ عزيز بطرس ، المرجع السابق ٢ / ٣ .

كما تتميز بكثرة مساجدها(١) وتتبين أهميتها في كونها تقع على الخط الدفاعى الشمالى للجزيرة .

مدينة حصن كيفا :

من المدن الحصينة في حوض دجلة تقع ، بين جزيرة ابن عمر وبين ميافارقين (٢) وبينها وبين آمد وديار بكر (٣) ، ويقال لها في بعض الأحيان كيبا (٤) وسماها الروم كيفس KiPhas أو كيفي Caphe (٥) وقد اشتهرت بقلعتها الحصينة(٦) وكانت مدينة حصن كيفا ذات جانبين وعلى دجلتها قنطرة عظيمة وهى طاق كبير يكتنفه طاقان صغيران وهى كثيرة الخير (٧) ،

(١) وأشهر مساجدها مسجد جبرائيل عليه السلام ، وبها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد عمر بن الخطاب (الهروى الاشارات ، ص ٦٥) .

(٢) أبو الفداء تقويم البلدان ، ص ٢٨١ .

(٣) ابن عبد الحق البغدادى ، مراصد الاطلاع (القاهرة ١٣٦٦ هـ ، ١٩٤٧ م) ١ / ٤٠٧ .

(٤) ن . م ٤٠٧/١ .

(٥) لسترانج ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

(٦) البغدادى ، المصدر السابق ١ / ص ٤٠٧ .

(٧) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٤١ ـ ٤٣ راجع فتحي عثمان . المصدر السابق ٢ / ٣

مدينة تل فافان :

تقع تل فافان على نهر دجلة ففي شمال المدينة تلتقي عدة روافد فرعية لدجلة ، ثم تنتظم روافد فرعية في شمال شرق تل فافان ، ومن الغرب يلتقي نهر دجلة عند مدينة تل فافان وتقع بين دجلة ومدينة ارزن ، وأسواقها مغطاة وبناؤها طين وحـــولها البساتين والأسعار بها رخيصة (١) .

مدينـة ثمانين :

وهي من المدن القديمة في الجزيرة الفراتية ، وتقع إلى الشرق من نهر دجلة ، على أحد روافده تحت جبل الجودي (٢) ، وسبب تسميتها بثمانين يعود إلى أن الاشخاص الذين استوطنوها كانوا ثمانين شخصا (٣) بعد الطوفان وعلى افتراض صحة الروايات وروي في قدم

(١) المقدسي ، المصدر السابق ١٤١ .

(٢) ن . م ، ص ١٣٩ .

(٣) في بعض الروايات التي تشير إلى أن الذين نجو مع نوح من الطوفان كانوا ثمانين فابتنوا فيها ثمانين بيتا (ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج ١ ، ص ٢١٤ ـ ٢١٥) . والمعارف ، ص ٢٣ ـ ٢٤) وتكاثر هؤلاء وابتنوا بابل وكانوا يتكلمون السريانية وكثروا في بابل حتى بلغوا مائة ألف وملكهم نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح فردّهم عن الاسلام ، وتكلموا السريانية (البغدادي المحبر ، (بيروت =

موقعها الى أنها أول مدينة بنيت في الجزيرة الفراتية (١) وهذا يبين لنا قدم موقعها ومنشأها .

مدينة جزيرة ابن عمر

من ضمن المدن التى تقع على دجلة وسبب اطلاق اسم الجزيرة على هذه المدينة يعود الى أن المـاء يدور حول البلد من ثلاثة جوانب (٢) وفي رواية أنها محيط بها الوادي ولذلك سميت جزيرة (٣) وفي رواية أن دجلة محيط بها (٤) ولهذا فان اطلاق اصطلاح جزيرة على المدينة يعود إلى أن المـاء محيط بها . وبينها وبين الموصل ثلاثون فرسخا (٥) ويرى ابن شداد أن جزيرة ابن عمر اسلامية محدثة اختطها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي بعد الامين في أيام الخليفة

=لا . ت) ص٣٨٤ المقدسي، البدء والتاريخ (باريس ، ١٩١٦) ج ٤ / ص ٩٨ .

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٣ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ١ / ٤٢٦ .

(٢) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٣) ابن بطوطه ، رحلته ، ص ١٤٩ .

(٤) العمري ، منهل الاولياء ، ص ٥١ ، فتحي عثمان ، المرجـــع السابق ١ / ١٥١ .

(٥) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٣٠٢ .

المأمون فعرفت به ، وكانت تسمى قبل أن يختطها عمر جزيرة الأكراد(١) في حين يرى العمرى أن الذي بناها رجل من أهل برقعيد يقال له عبد العزيز بن عمر (٢) ولكن رأي ابن شداد هو الارجح . وامتدحها المقدسي بانها مدينة طيبة وهي خمس وعشرون محلة تتخللها البساتين والمياه مع رفاهية ورخص البلد فانه « غزير الدخل » كثير القصور ، حسنة البنيان من جص وحجر فرجة الاسواق والجامع وسط البلد (٣) ولسورها ثلاثة أبواب ، باب الجبل ، والباب الجديد ، وباب الماء(٤) ويفهم من رواية للاصطخرى بانها مدينة صغيرة (٥) في حين يرى

---

(١) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، قسم الجزيرة ، مخطوط ورقة ٥٧ ب ٥٨ أ .

(٢) منهل الاولياء ، ص ٥١ وقد اختلفت الآراء في اى كان ابن عمر ، وقال العمري « أن ابن عمر الذى تضاف اليه الجزيرة غير ابن الخليفة عمر بن الخطاب (ر) وقد توهم الكثير من الناس ، وقيل أنها منسوبة الى أبي يوسف بن عمر الثقفى من العراقيين استناداً الى ابن خلكان واستناداً الى تاريخ ابن المستوفي في ترجمة أبي السعادات ابن الاثير ـ أنه من جزيرة أوس وكامل ابن عمر بن اوس التغلبي ويستنتج أن ابن عمر هما اوس وكامل (منهل الاولياء ص ٥١) .

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(٤) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، قسم الجزيرة ، ص ٥٧ ب .

(٥) مسالك الممالك ، ص ٧٥ ، ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٨٣ .

المقدسي أنها بلد كبير (١) ويلاحظ أن لموقعها الهام بين الموصل جنوبا وارزن وميافارقين شمالا فانها اصبحت مركزا تجاريا هاماً ويشير ابن حوقل الى « انها على شفا جرف بين الموت والرجاء وبها تجارة دائمة وهي فرضه لارمينيه وبلاد الروم ونواحي ميافارقين وأرزن وينقل منها إلى الموصل المراكب المشحونة بالتجارة كالعسل والسمن والمن والجبن والجوز واللوز والبندق والزبيب والتين الى غير ذلك من الأنواع وهي احسن تلك الناحية عمارة واكثرها خصبا ، وليست كأرزن - وميافارقين من خلو المنازل وعدم الاكره واهل الضياع وقلة الماشية والكراع والجزيرة متصلة بجبل ثمانين وباسورين وفيشابور وجميعها في الجبل الذى فيه جبل الجودي متصل بآمد من جهة الثغور واعالي البلد بأعمال مرعش واللكام باسفلها » (٢) وفيها عدد من الأديرة النصرانية (٣) .

ومن اعمالها كورتان شهيرتان هما بازبدى ، وباقردى ، تقع كورة بازبدى غربي دجلة من ناحية جزيرة ابن عمر (٤) ويرى

---

(١) احسن التقاسيم ، ص ١٣٩ .

(٢) صورة الارض ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٣) فيها دير الزعفران وهو من الاديرة الشهيرة بالنسبة للنصاري (الحموى ، معجم ، ٢ / ٦٦٣) ودير مرجرجيس على جبل عالي بقرب جزيرة ابن عمر (القزويني آثار البلاد ، ص ٣٧٢) .

(٤) البغدادي ، مراصد الاطلاع ١ / ١٥٢ ؛ الحموى ، المصدر السابق ؛ ١ / ٤٦٦ .

لسترنج أن باقردى تقوم مقام الحصن الرومانى بازبدي Bezabda (١) غير انه لم ينته الينا وصف هذا الموضع (٢) وكورة باقردى شرق دجلة مقابلة لبازبدي (٣) اللتين حظيتا باهتمام الرشيد الذي زارهما سنة ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م (٤) وبني بباقردى قصرا فقال الشاعر (٥) .

بقردي وبازبدي مصيف ومربع   وعذب يحاكى السلسبيل برود

كما ان من نواحيها جبل الهكارية فوق الموصل من جزيرة ابن عمر يسكنها اكراد يقال لهم الهكارية (٦) .

مدينـــة بلد :

من المدن الشهيرة في حوض دجلة وسميت بلد فيما يعتقد ، بالتحريك وربما قيل لها بلط بالطاء « لان الحوت ابتلعت النبي يونس عليه السلام في نينوي مقابل الموصل وبلطته هناك » ، قال حمزة اسمها بالفارسية « شهر آباد » (٧) تقع مدينة بلد شمال الموصل على

---

(١) لسترنج ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٢) ن . م ، ص ١٢٣ .

(٣) الحموي ، معجم ، ١ / ٤٦٦ ، البغدادي ، مراصد الاطلاع ١ / ١٥٢ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ١٢١ .

(٥) الطبرى ، تاريخ ، ٨ / ٢٣٩ ، الازدى ، تاريخ الموصل ، ص ٢٧٣ .

(٦) الحموي ، المصدر السابق ، ٤ / ٩٧٨ .

(٧) ن . م ١ / ص ٧١٥ .

دجلة غربيها بينهما سبعة فراسخ وبينها وبين نصيبين ثلاث وعشرون فرسخا (١) . وفي رواية انها قرية من اعمال الموصل يقال لها بلد شاي ولكن لا يصح ذلك اذ ربما تكون بلد شاي قريه من اعمال الموصل ، ولكن لا يراد بها بلد . وكانت مشهورة بكثرة مزارعها وتنوع فواكهها (٢) وكانت قد حظيت بزيارة الخليفة المهدي سنة ١٦٣ هـ ٧٧٩ م كما انها قد تأثرت بحركات الخوارج ، واصابها ما اصابها منهم .

مدينة الموصل :

ان اهمية مدينة الموصل تتضح في اتخاذها مقراً للادارة ومركزا لتجميع الضرائب وعاصمة اقليمية تتركز فيها الدواوين الفرعية الخاصة بادارة اعمال الجزيرة يتضح ذلك في قول ابن حوقل بأنها « مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها ومجتبى اموالها » (٣) وما كتبه بعد ذلك المقدسي في انها « مصر هذا الاقليم » (٤) اما ابو الفدا فانه يصفها بانها (قاعدة ديار الجزيرة) (٥) مما يوحي بانها كانت تحتل ايضا المركز العسكري للأمن والدفاع عن الحدود الشمالية وجزء من الشمالية الشرقية للدولة الاسلامية وامتدحها المقدسي بقوله

(١) الحموي ، معجم١ / ص ٧١٥ ، والمشترك وضعا ، ص ٦٤ .

(٢) القزويني ، المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

(٣) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(٤) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٣٨ .

(٥) تقويم البلدان ، ص ٢٨٥ .

انها .« كبيرة الاسم قديمة الرسم ، كثيرة الملوك والمشايخ . . . » (١)

لقد اوردت المصادر آراءاً مختلفة حول تسميتها (٢) كما استعرض البعض منها الاسباب التى ادت الى تسميتها بهذا الاسم أى (الموصل) أذ تكاد المصـادر تجمع على القول بأن التسمية مشتقة من المكـان الذي

(١) احسن التقاسيم ، ص ١٣٨ وراجع عنها ، مخطوطة خريدة العجائب لابن الوردى ، ورقة ٢٩ .

(٢) أضافة الى اسم الموصل فقد ذكر الحموي في معجمه انها كانت تسمي قديما ؛ (آثور) معجم ١١٩/١ ويشير المسعودي فى التنبيه والاشراف (القاهرة ١٥٣٧-١٩٣٨) ص٣٥ الى انها كانت تسمى (خولان) ايضا . اما في العصر الساساني فقد سميت (اردشير) ابن الأثير - اللباب ٢٦٩/٣-٢٧٠ ، وربما اطلق عليها لقب (الحدباء) بسبب احتداب دجلتها واعوجاج جريانه ، أو لتحدب ارضهـــا ـــ الحموي المصدر السابق ٢١٨/٢ ، وقد تسمى الخضـــراء لخضرة ارضها واستمرار ربيعها — أبو المحامد — كوكب المريخ في خلاصة التأريخ -مخطوط رقم٤٤٤- مكتبة الدراسات العليا،بغداد ٢٦٦/٣ ،العمري- منهل الأولياء ومشرب الاصفاء (الموصل ،١٣٨٦/ ١٩٦٧)ص٥٥ ، وذكر الصايغ : انها كانت تسمي : الحصن العبوري تاريخ الموصل (القاهرة ،١٣٤٢ /١٩٢٣) ص٥٥-٥٦ وقيل ان الموصل كانت تسمى قديما « مسبلا » الى ان استقرت تسمية الموصل عليها انظر : E . I , Ist . Ed . , Mosul; (Al - Mosul) E . (Honnigmann) Vol. III , P . 609

يوصل موضعين أو اكثر ، وان كانت المصادر قد اختلفت في تحديد الامكنة المقصودة بهذا الاتصال فقد أشار الهمداني الى انها « وصلت بين الجزيرة والشام (١) » ويتفق الحموي مع الهمداني في رأي آخر هو انها « وصلت بين الفرات ودجلة (٢) » ، في حين يذكر الحموي رأيا ثانيا اذ يقول « بأنها وصلت العراق والجزيرة (٣) » ويوافقه في ذلك أبو بكر الأزدي في جمهرته وشيخ الربوه في نخبته (٤) ويضيف الحموي رأيا ثالثا وهو انها سميت بذلك لأنها « وصلت بين بلد سنجار والحديثة (٥) » وفي رواية ان اسمها هذا وضعه العرب بعد الفتوحات الاسلامية (٦) . وعند تلخيص آراء الحموى نجد ان موقع المدينة يـــصل بين اقاليم مختلفة من العالم القديم فهي « باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد الى أذربيجان » وهكذا يقدم ياقوت التبرير المقبول للتسمية ، ويضيف ان

---

(١) مختصر البلدان ، ص ٢٦_٢٧ .

(٢) ن . م ص ٢٨ ، الحموي المصدر السابق ، ٦٨٣/٤ .

(٣) معجم ٦٨٣/٤ .

(٤) ابو بكر الازدي ، جمره اللغة ج٣ (حيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ) ص٨٨ ، شيخ الربوة الانصاري ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايبزك ١٩٢٨) ص ١٩٠ .

(٥) المصدر السابق ٦٨٣/٤ .

(٦) عزيز بطرس الشماس ، كتاب الرعاة ، ج ٦ (بغداد ، ١٩٦٠) ص ٣ .

القاصد الى الجهتين قلمـا لا يمر بها (١) ، وبجـانب هذه الآراء ورد في المصادر آراء مكملة وتحتوي على محاولة تحديد البدء لاستعمال التسمية اذ تربط بين وصول القبائل العربية اليها واستيطانها فيها (*) ، وظهور تسمية الموصل ، فقد اشار المقدسي الى ان اسم «الموصل» استعيض به عن خولان ، وانه لما وصل العرب عمارتهم بها ومصروها سميت الموصل (٢) . ويبدو ان هذه الرواية اكثر الروايات اتساقا وقبولا مع

(١) معجم البلدان ٦٨٣/٤ فأبو بكر الازدي يرى بأن الموصل « معقد الحبل بالحبل » قال الشاعر المنتخل الهذلي :

ليس لميت بوصل وقد   علّق فيه طرف الموصل

(جمهرة اللغة ٨٨/٣) .

(٢) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن ، ١٩٠٦) ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(*) يذكر الصائغ رواية غريبة تشير الى ان التسمية بدأت في أواخر العصر الأموي حيث ان مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين قد « عقد جسرا على النهر فدعيت الموصـل لان جسرها كان يصل الضفة الغربية بالضفة الشرقية حيث كانت نينوى » ومع ان كثير من الحقائق الواردة في هذا النص مقبولة تأريخيا الا اننا واثقون ان التسمية اقدم من هذا التاريخ وهي في الغـالب موافقة لما أورده المقدسي في حدود نهاية القرن الثامن الميلادي (انظر تاريـخ الموصل ـــ للصائغ ص ٥٦ والمقدسي المصدر السابق ص ١٣٨ ـــ ١٣٩) وبالاضافة الى ذلك فقدوردت اشارات تتفق مع ما =

النصوص المتوفرة لدينا ، اذ لم يرد في المصادر الآرامية ذكر لاسم الموصل الا في حدود اواخر القرن الثاني الميلادي ، وهذا التاريخ يتفق مع تاريخ استيطان القبائل العربية في المناطق القريبة من الحضر .

وعليه يمكن القول بان الموصل كانت مستوطنا بشريا قديما اطلق عليها بالآرامية ما معناه الحصن الذي يعبر منه (*) ، وان القبائل العربية أعطته تسمية الموصل بعد ان استوطنت فيه مع بقية السكان .

ان مدينة الموصل قديمة الأسس (**) والبناء حيث يرجع تاريخها الى عصور ماقبل الاسلام ، وروى ان اول من استحدثها راوندين

= * تعاورت عليه المصادر من النسبة الى المجهول عندما لا تكون الحقائق واضحة ومتفق عليها ، وكما ورد في حديثنا عن الجزيرة آنفا فان هناك رواية تقول : ان اسم الموصل اشتق من اسم مؤسسها ، فلابد من الاشارة هنا الى ان الصائغ رفض هذه الرواية اذ « لايوجد لها اصل في الحقائق التاريخية والمنطق السليم (الصائغ المصدر السابق ١/٥٥) .

(*) كانت تدعي بالحصن العبوري (الصائغ ص ٥٥ - ٥٦) ويتفق هذا الرأي مع ما اورده لسترنج في وصف ما بين النهرين بالانكليزية Lestrange ,

Description of Mesopotamia and Baghdad

(Ibn SeruPion) 'Leiden , 1895 .

(**) راجع رحلة نيبور ، ترجمة محمود ، حسين الامين (بغداد ؛ ١٩٦٥) ص ١٠٢ - ١٠٣ .

بيورأسف الأزدهاق (١) في حين أنه روي ان الذي أستحدثها اردشير ملك الفرس حيث كانت تسمى خرا زاد اردشير (٢) وكانت قبل الفتح الاسلامي حصنان على شط دجلة الشرقي منها يسمى نينوى كان للفرس(٣) وهي التي بناها نينوس بن بالسوس الذى حكم زهاء اثنتين وخمسين سنة ، ثم ملكت بعده امرأة يقال لها شميرم اربعين سنة (٤) ، وانها في القدم اقدم من الموصل (٥) ثم أصبحت في العهد الاسلامي من أعمال الموصل ، حيث كانت تعتبر مدينة النبي يونس بن متي عليه السلام (٦) .

وظهرت الموصل على المسرح الادارى بشكل واضح ومعروف بعدما دخلت في ظـــل الحكم الاسلامي سنة ١٦ هـ (٧) وذلك حينما فتحها عياض بن غنم ، وروى ربعي بن الأفكل في خلافة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وأول عناية تشهدها الموصل في ظل الاسلام كان عندما ابتنى

(١) الحموي ، معجم ، ٤/٦٨٣ ، القزويني ، اثار البلاد ، ص ٤٦١ .
(٢) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٤٥ .
(٣) الانصاري ، نخبة الدهر ، ص ١٩٠ .
(٤) اليعقوبي ، تاريخ ١/ص ٨١ .
(٥) الهروي ، الاشارات الى معرفة الزيارات /ص ٧٠ .
(٦) ابن جبير ، رحلته ، ص ١٨٢ .
(٧) البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٣٢٧ ، الطبري ـ تاريخ ١/٣٥ـ٣٦ ابن الاثير ـ الكامل ٢ / ٥٢٣ ـ ٥٢٤ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ٢/٩٥١ ـ ٩٥٢ .

سعيد بن عبد الملك فيها قصراً في موضع قطائع بنى وائــل (١) ، كما بني فيها مسجدا يعرف بسعيد الخير (٢) ، ويذكر البلاذري أن سعيداً هذا هو الذى بنى سور الموصل الذى هدمه الخليفة هارون الرشيد (٣) ، وكذلك فانها شهدت تطورا في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك حيث تشير الأخبار إلى وجود قصر هشام فيها (٤) ، وفى عهده أيضاً تم حفر نهر الموصل على يد الحر بن يوسف حيث كان واليا عليها وذلك بين سنة ١٠٦ هـ - ١٢١ هـ (٥) .

كما ابتنى الحر قصره الشهير بالمنقوشة (٦) ، وكان آخر الخلفاء

---

(١) الازدى - تاريخ الموصل ص ٢٤ .

(٢) الذهبي - تاريخ الاسلام ٥ / ٧٩.

(٣) البلاذري - فتوح البلدان ص ٣٢٨ (في حين يذكر الازدى أن عبد الملك بن مروان ولىّ محمد أخاه على الموصل ومحمد هو الذى بنى سورا لها سنة ٨٠ هـ بلا خلاف بين من يعلم السيرة في أهل الموصل (تاريخ الموصل ص ٢٥) .

(٤) يشير الازدى إلى قطيعة وائل بن الشحاج بأن حدها الثاني ينتهى الى قصر هشام بن عبد الملك (الازدى ص ٢٤) ،

(٥) راجع الموارد المائية .

(٦) وقام ببنائه في سوق القتابين إلى الشارع المعروف بالشعارين إلى سوق الاربعاء والى سوق الحشيش ، وسميت المنقوشة فيما ذكر لانها كانت منقوشة بالساج والفسافس وما شاكل ذلك (الازدى ص ٢٤ - ٢٥) (ابن الاثير - الكامل - ٥/١٣٢-١٣٤)

الأمويين مروان بن محمد من بين الذين أهتموا بها ، وقد انعكس اهتمامه بها في قول ياقوت « بأن أول من عظمها وألحقها بالأمصار العظام وجعل لها ديوانا ونصب عليها جسرا ونصب طرقاتها وبنى عليها سورا مروان بن محمد (١) » فيلاحظ أن الأمويين كانوا قد اهتموا بالموصل الى درجة كبيرة جدا ، ولما انتقلت السلطة السياسية الى العباسيين تعرضت الموصل في السنين الاولى لحكمهم لاعنف النكبات التى مارسها العباسيون حتى هجرها الكثير من أهلها (٢) ، غير أن الخليفة أبا العباس حاول تلافي الوضع وذلك بتعيين اسماعيل بن علي على ولاية الموصل حيث قام بالعديد من الاصلاحات الهامة للمدينة (٣) وشهدت حركة عمرانية فمن القصور التي استحدثت فيها قصر جعفر بن الخليفة المنصور الذي بناه بالموصل (٤) وكان واليها هارون بن أبي خالد الذي حفر القناطر التى تمر بها المياه الى دجلة (٥) وتحسنت أوضاعها في العصر العباسي ، غير ان الاضطرابات التى سببها الخوارج فيها حوالي القرن الثاني الهجرى كانت قد أثرت تأثيرا بالغا على وضع

(١) الحموى ، معجم ، ٤ / ٦٨٣ .

(٢) راجع الفصل الخاص بفترة الانتقال لمعرفة موقف الموصل من العباسيين .

(٣) راجع الفصل الخاص بالادارة .

(٤) الازدى ، ص ١٩٧ .

(٥) ن . م / ص ٣٨٥ .

المدينة حتى أن الخليفة الرشيد هدم سورها بسببهم .

وكان التخطيط الاداري للموصل قد وردَ في المقدسي الذي أشار الى ان البلد شبه طيلسان مثل البصرة ، ليس بالكبير في ثلثه شبه حصن يسمى المربعة على نهر زبيدة ، ومن طرقها درب دير الأعلى ودرب باصلوت ، ودرب الجصاصين ودرب بنى ميده ودرب الجصاصة ، ودرب رحى أمير المؤمنين ، ودرب الدباغين ودرب جميل والبلد على الشط ، ومقر الخليفة على نصف فرسخ من الجانب الآخر عند نينوى القديمة (١) .

وأن الموصل كانت مزدهرة اقتصاديا ، خاصة وأنها مشهورة بالحرف (٢) كما ان الموصل اشتهرت بكونها مركزا دينيا بالنسبة للمسلمين (٣)

---

(١) المقدسي / احسن التقاسيم / ص ١٣٨ وعن نينوى راجع دروثي مكاى مدن العراق القديمة ، ترجمة يوسف مسكوني (بغداد ، ١٩٥٢) ص ١١٧ ـ ١٢٨ .

(٢) راجع الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ٧٣ ، المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ ، ابن حوقل ص ١٩٥ ، القزويني ، اثار البلاد ، ص ٤٦١ ـ ٤٦٢ .

(٣) فروي ، ان الله تعالى بعث بعد اليسع النبي يونس بن متي في نينوي من اعمالها (ابن قتيبة ، المعارف / ص ٥٢ ، ابن حوقل ص ١٩٦) ثم بعث الله لهم جرجيس وقدمها من فلسطين (ابن قتيبة المعارف / ص٥٤) وان جرجيس كان من اهل الجزيرة =

والنصارى معاً (١) .

اعمال الموصل :

تشتمل الموصل عـلى العديد من المراكز الادارية من القرى والرساتيق التابعة اداريا لها ، ولعل ابرز اعمالها مدينة نينوي (*) الواقعة شرقي دجلة .

=(الدينوري ، الاخبار الطوال / ص ٤٥) وبها مشهد نبي الله ابراهيم عليه السلام (الهروي ، الاشارات / ص ٦٩) ووردت الـكثير من الروايات الاسطورية عن حياة النبي يونس في الموصل (راجع في ذلك ، المقدسي ، البدء والتاريخ ج ٣ ص ١١٠ والمقدسي احسن التقاسيم ، ص ١٤٦) الهروي ، الاشارات ، ص ٧٠) والقزويني اثار البلاد ص ٤٧٧ وابن جبير رحلة ، ١٤٨ ـ ١٤٩ ، وعن النبي شيت (العمرى منية الادباء ، ص ٣٣ ـــ ٣٤ وابن عاصم الـكوفي عن النبي جرجيس ، كتاب المفاخر (ليدن ، ١٩١٥) ص ٢٥٦ ـ ٢٥٩) والمقدسي البدء والتاريخ ج ٣ ص ١٣٤ ، وروي ان سام بن نوح كان يعيش بالموصل (الدنيوري الاخبار الطوال ، ص ٢ .

(١) تكثر الاديرة النصرانية في الموصل بعدد كبير جداً .

* كانت نينوي من اشهر العواصم الاشورية ، اتخذوها عاصمة سنة ١٠٨٠ ق . م وعظم شأنها على عهد سنحاريب « ٧٠٥ ـ ٦٨١ق . م » راجع العمري ، منهل الاولياء ، ص ٦٢ ـ ٦٤ .

ومن أعمالها (*) ، الطيرهان ، والسن والحديثة ومرج جهينة وباجلى وباعذرا وحبتون وبانقلي وحزة وبانماس والمله وراين والحنايه وباجرمي وبابغيش والداين وكفر عزى (١) . ويذكر الازدى من أعمالها الكرخ ، ودقوقا وشهر زور ، والصامغان ، وباعربايا ، وتكريت والسن ، وباجرمي ، وقردى وسنجار الى حدود اذربيجان (٢) ونظرا لسعة وتعدد اعمالها ـ حيث كانت ضعف أعمال نصيبين (٣) فان الخلفاء اخذوا يختزلون من اعمالها ويشير قدامه الى ان شهرزور والصامغان

---

(١) قدامه ، الخراج ، مخطوط ، ورقه ١٩٥ أ ، راجع ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ٩٤ ، ابن الفقية ، المختصر ، ص ١٣١ .

(٢) تاريخ الموصل ، ص ٣٢ ـ ٣٣ وراجع ابن خرداذبه ، المصدر السابق ، ص ٩٤ ، الحموى ، معجم ٤ / ٦٨٣

(٣) ابن حوقل ، صورة الارض ، ١٩٤ .

(*) وعن اعمالها راجع : الحموى ، معجم البلدان : ١ / ٨٣٦ ، ٧٨٩ ، ٨٠٠ ـ ٨٠١ ، ٢ / ٥٦٢ ، ٦٦٦ ، ٦٧٤ ، ٧ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٤٢ ، ٩٧ ، ١٥٢ ، ٥٩ ، ١٦٨ ، ١٩٣ ، ٢٣٩ ، ٣٤٦ ، ٢٥٢ ، ٤٤٨ ، ٤٥٩ (٣) ١١٣ ، ٢١٩ ، ١١٩ ، ٢٨١ ، ٦١٧ ، ٦٦٣ ، ٦٧٦ ، ٧١٧ ، ٣ / ٦٩٦ ، ٢٢٣ (٤) ، ٣٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٨ ، ٣٧٤ ، ٥٠١ ، ٨٩١ ، وراجع المشترك وراجع ٢٣٢ ، ١٣٤ (القزويني ، اثار البلاد ص ٢٨٣) وراجع العمرى ، منية الادباء ص ١٢٨ ـ ١٦٨ وملحق رقم (٢) للديوه جي ص ٢٠١ ـ ٢٠٣ .

ودراباذ كانت من أعمال الموصل الى أن أفردت عنها زمن الرشيد(١) ولنلق وصفا موجزا لبعض أعمالها فرستاق المرج وهو كبير في مدينة تعرف بسوق الأحد وفيها سوق مشهورة يحضرها الاكراد بمواعيد معروفة ، وهي مدينة كبيره وعلى دجلة مدينة كفرعزي يسكنها النصاري والمسلمون معا وبينها وبين سوق الأحد رستاق الزاب الكبير ورستاق حزه أيضا ورستاق معلثايا وفيسابور (٢) ، وقد أورد العمري عددا من الاسماء لقرى ورساتيق وكور الموصل (٣) .

مدينـة العمادية :

وهي أيضا من المدن المهمة شرق الموصل قليلا الى الشمال ، وتعتبر من المدن القديمه وكانت حصنا للأكراد يسمي آشب (٤) أما تسميتها بالعمادية فمتأخرة وذلك حينما أعاد بناء الحصن عماد الدين زنكي فسميت نسبة اليه بالعمادية (٥) .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ، قدامه ، المصدر السابق ورقة ٤٧ أ و ١٠٥ ب .

(٢) الادريسي - نزهة المشتاق - قسم الجزيرة والعراق - ص ١٩٦ ابن حوقل - صورة الأرض ص ١٩٦ .

(٣) العمري ، منية الادباء ، ص ١٢٨ - ١٦٨ .

(٤) الحموى ، معجم ٣ / ٧١٧ .

(٥) ن . م ٣ / ٧١٧ ، وانظر الديوة جي - منية الادباء - ملحق رقم ١١ ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

مدينة أربـــل :

أخذت اربل تسميتها من الربل « وهو ضرب من الشجر » (*) وهي قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الارض تقع شرق الموصل والى شرق الزاب الـكبير ، وتتميز بقلعتها الشهيرة وهى ذات خندق عميق فى طرف من المدينة وسور المدينة ينقطع من نصفها وهي على تل عال ، وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية وجامع للصلاة وهى شبيهة بقلعة حلب الا انها اكبر واوسع رقعة وهي بين الزابين ، وعلى سعة هـذه المدينة فبنيانها وضياعها بالقرى أشبه منها بالمـدن واكـثر اهلها اكراداً قد استعربوا وجميع رساتيقها وفلاحيها وما يضاف اليها اكراد (١) ولا يوجد فيها نهرا وانما يشربون من آبار عذبة وزراعتها تعتمد على القنوات المستنبطة وفواكهها تجلب من الجبال التي تجاورها(٢)

(١) الحموى ، معجم ١ / ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(٢) ن . م . ١ / ١٨٧ ـ ١٨٩ راجع ، فتحي عثمان ١ / ١٥١ ، راجع السامر ، الدولة الحمدانية ١ / ١٥٤ .

(*) قال الاصمعي : الربل ضرب من الشجر اذا برد الزمان عليه وادبر الصيف تفطر بورق اخضر من غـير مطر يقال تربلت الارض لا يزال بها ربل فيجوز ان تكون اربل مشتقة من ذلك وقال الفراء الربال النبات الـكثير الملتف الطويل فيجوز ان تكون هذه الارض اتفق بعض الاعوام من الخصبة سعة النبت فادعاهم الى تسميتها بذلك .

(الحموى ، معجم ١ / ١١٩) .

وان كلا من العمادية واربل تبتعدان عن نهر دجلة .

مدينـة الحديثـة :

وهي مدينة قديمة الاسس والمنشأ ، وتقع على شاطيء دجـــلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الاعلي وبينها وبين الموصل تسعة فراسخ(١) وقد سماها العرب الحديثة لـما نزلوها بعد الاسلام واستحدثوها ، وعرفها الاراميون (حدثا) ومعناه الحديثة وسماها اليونان كيني KAINAI وهي بالمعني ذاته (٢) .

قال حمزة بن الحميد « الحديثة تعريب نوكرد » (٣) حيث كانت تعرف فى ايام الساسانيين بذلك ، ومعناه بالفارسية (البلده الحديثة)(٤) وفي رواية لابن الـكلبي ان هرثمه بن عرفجة البارقي اتى الحديثة وكانت قديمة فيها بيعتان ونزل المـدينة اولا فمصرها واختطها قبـل الموصل ، وانما سميت الحديثة حيث تحول - اليها من تحول من اهل الانبار لـما ولي ابن الرفيل صاحب النهر بباد وريا ايام الحجاج فعسفهم وكان فيهم قوم من اهل الحديثة التى بالانبار فبنوا بها مسجدا وسموا المدينة بالحديثة (٥) فى حين يشير الحموى ان الذى احدثها هو مروان

---

(١) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٩٨ (ابن الاثير ، اللباب في تهذيب الانساب ، ٣ / ٢٦٩ - ٢٧٠) . الحموى المشترك ، ص ١٢٣ .

(٢) لسترانج ، المرجع السابق ص ١١٩ - ١٢٠) .

(٣) الحموي ، معجم ٢ / ٢٢٢ .

(٤) لسترانج ، المرجع السابق هامش رقم ١٧ ، من ص ١٢٠ .

(٥) الحموى معجم ٢ / ٢٢٢ - ٢٢٣ (٦) ن . م . ٢ / ٢٢٢

ابن محمد حيث كانت مدينه قديمة فخربت ، وبقي آثارها فأعادها مروان بن محمد الى العمارة وسأل عن اسمها فاخبر بمعناه فقال « سموها الحديثة » (١) كما تسمى حديثة الموصل وذلك لتميزها عن حديثة الفرات .

وروي أنها كثيرة الصيود ، واسعة الخير ، ولها عامل بذاته على استصفاء أموالها وكانت تجبى أموالها بالموصل (٢) .

مدينة السن :

ويقال لها سن بارما وتقع (٣) السن على الزاب الصغير من غربيه عندما يصب في دجلة وتبعد مرحلة عن جبل بارما (٤) وبينها وبين تكريت بضعة عشر فرسخا ، وبينها وبين مدينة البوازيج أربعة فراسخ ويبدو أنها مدينة صغيرة قد خرب أكثرها غير أنها مدينة لطيفة (٥) ، ويسكنها قوم من الخوارج الغالب عليهم ايواء اللصوص

---

(١) الانصاري ، نخبة الدهر ، ص ١٩٠ ، راجع ، فتحي عثمان ١ / ١٥٠ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٩٨ .

(٣) الحموي معجم ، ٣ / ٦٩ .

(٤) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٩ .

(٥) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ٢٠٣ .

وشراء السرقات وما يأخذه بنو شيبان من قطع الطريق (١) فربما يعود ذلك إلى اطفاء الطابع القبلي على المدينة ، أكثر من التمدن .

مدينة البوازيج :

وهى مدينة على الزاب الصغير في غربيه وعلى مصب نهر الزاب الاسفل (٢) ويقال بوازيج الملك يشير ياقوت الى أنه فى زمانه هي قصر من عمل الموصل . (٣)

مدينة تـكريت :

وهى آخر مدن الجزيرة مما يلى العراق (٤) روي (أنه سميت بتكريت بنت وائل واخت بكر بن وائل (٥) وتقع على غرب دجلة (٦)

(١) ابن حوقل ٢٠٣ .

(٢) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٩ .

(٣) الحموي ، المصدر السابق ، ١ / ٧٥٠ .

(٤) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ٢٨٩ .

(٥) السمعاني ، الانساب ٣ / ٦٤ « فروي الحموى أنه كان بالمدينه مقدم على بابها قائدا من قواد الفرس ومرزبان من مرازبتهم ، فخرج الى الصحارى ، فلقي حياً من العرب وتزوج امرأة من أحد وجهاء العرب النصارى في الصحارى اسمها تـكريت فسمي الربض باسمها ثم قيل قلعة تـكريت (الحموي ، المصدر السابق ١ / ٨٦١ ـ ٨٦٢) .

(٦) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٧٥ .

مطله على جبل عظيم شاهق وعلى ظهر هذا الجبل منها الموضع المعروف بالقلعة (١) وهى قديمة الاسس والبناء روى أبو الفدا ان قلعتها بناها سابور بن اردشير بن بابك (٢) وهي ذات قدسية دينيه بالنسبة للنصارى (٣) وابنيتهم بالجص والحجر والآجر والحصى (٤) .

مدن حوض الفرات :

أهم مدن هذا الاقليم هي ما يلى : ـ

مدينـة سميساط :

تقع غرب الفرات في جهاته الشمالية ، وتسمى قلعة الطين (٥) وهى SAMOSATA عند الرومان (٦) وهي مدينة نزهة ذات مياه

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ (وكانت حصنا ذا مساكن ومحال يشملها سور حصين) وقد حاول أن يدخلها السمعانى لما زارتكريت فمنع من ذلك (الانساب ، ٣/ ٦٤) .

(٢) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٨٩ .

(٣) فروي أنها من البيع والاديرة القديمة التى تقارب عهد عيسي عليه السلام) وأيام الحواريين ومن أعظم بيعه منها محلا وأقدمها بيعة الخضراء (ابن حوقل / صورة الارض / ص ٢٥٠ ـ ٢٠٦) .

(٤) ابن حوقل ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

(٥) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ (بيروت ، ١٩٦٥) ص ١١٨

(٦) لسترانج ، بلدان الخلافة الشرقيه ، ص ١٤٠ ، الحراني ، تاريخ الرقة ، مقدمه ص ذ .

وفيرة ومزارع وبساتين (١) .

مدينة جسر منبج :

من المدن القديمة فى الجزيرة وهى تقرب من مدينة منبج الحقيقية التي تقع في بلاد الشام تبعد قليلا عن غربى الفرات .

وكانت منبج القديمة معروفة باسم هيرا بوليس HEIRApOLIS (٢) ويقع عند مدينة جسر منبج جسر منبج الذي يصل بين الجزيرة شرقا وبلاد الشام غربا وهي مدينة نزهة ذات مزارع ومياه وبساتين (٣) .

مدينـــة بالس :

تقع على ضفة الفرات الغربية ، وذلك عند حد أرض صفين حينما يتجه الفرات شرقا بعد جريانه الى الجنوب ، ومدينه بالس قديمة الأسس والمنشأ ، حيث أطلق عليها الرومان BARBORISSUS(٦) وروي أنها بلدة فاثور الواردة في التوراة (٥) .

ويروى ياقوت أنها سميت فيما ذكر ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح (٦) وكانت في زمن ياقوت قد ابتعد عنها الفرات

(١) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٧٦ .

(٢) لسترانج ، المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

(٣) الاصطخري ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٤) الحراني ، تاريخ الرقة ، ص ذ .

(٥) رحلة بنيامين ، ص ١٢٢ وراجع هامش رقم ٤ / ص ١٢٢-١٢٣ .

(٦) معجم البلدان ، ٢ / ٨٤ .

فبعد ان كانت تقع على ضفته الغربية حتى اخذ يبتعد عنها وصار بينهما في ايام ياقوت اربعة أميال (١) بحيث اضيفت الى الشام بعد ابتعادها عن الفرات ، واسكن الخليفة عثمان رضي الله عنه ببالس وقاصرين قوما من العرب والبوادي ، ثم رفضوا قاصرين (٢) .

« قلعة جعبر أو مدينة الدوسر * »

وقيل هي مدينة سلع الواردة في التوراة (٣) تقع على تل مشرف على الفرات بين بالس والرقة قـــرب صفين (٤) ، وكانت في القديم تسمى قلعه دوسر (٥) فملكها رجل من بني قشير اعمى يقال له جعبر بن مالك وكان يخيف السبيل ويلتجيء اليها فنسبت اليه (٦) . ويقول

---

(١) معجم البلدان، ٨٤/٢ .

(٢) ن . م . ٨٤/٢ .

(٣) رحلة بنيامين ، ص ١٢٣ ، .

(٤) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، في ذكر امراء الشام والجزيرة ، مخطوط ، ورقة ٣٣ ب . الحموي ، معجم ، ٨٤/٢ .

(٥) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ورقة ٣٣ ب .

(٦) الحموي ٦٢١/٢ ويذكر ابن شداد ان جعبر كان غلام للنعمان بن المنذر اللخمي ملك العرب وصـاحب الجزيرة تركه على افواه الشام والنعمـان مقيم بالحيرة فبنى هذه القلـعة فنسبت اليه وما زالت هذه القلعة في ايدى ملوك الحيرة الى ان صارت لبني نمير ، الاعلاق ، ص ٣٣ ب .

(*) الجعبر في اللغة الغليظ القصير قال روبة : لا جعبريـات ولا =

ابن شداد بانهـا قرية ببرية الجزيرة لها ربض حيث كانت عـامرة الاسواق كثيرة الارزاق (١) » .

مدينة صفين :

وهي موضع بقرب الرقة على شاطيء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس (٢) وقد جرت على ارضها المعركة التاريخية الشهيرة بين جيش الامام علي بن ابي طالب عليه الســـلام وجيش معاوية بن أبيسفيان .

مدينــــة الرقة :

وهي بلدة كلنة الواردة بالتوراة (٣) ، تعتبر مدينة الرقة من أهم مدن حوض الفرات ويمكن مقارنة موقعها في الاهمة بمدينة الموصل واهميتها بين مدن حوض دجلة . تقع مدينة الرقة على شـارعة الفرات في الشمال منه (٤) وذلك عند مصب نهر البليخ ـ احد روافد الفرات ـ بنهر الفرات فهي تقع عند التقاء نهرى هام اضافة الى ذلك

*= طهـامل (الحموي ٢/٨٤) أما الدوســر في لغة العرب الجمل الفخم والانثى دوسرة وايضا كتيبة كانت للنعمان بن المنذر ، الحموي ، ٢/٦٢١ .)

(١) ابن شداد ، المصدر السابق ، ورقة ٣٣ ب .

(٢) الحموي ، معجم ، ٣/٤٠٢ .

(٣) رحلة بنيامين ص ١٢٣ وراجع هامش رقم ٣ ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٤) الحميري ، الروض العطار ، ورقة ١٧٨ ب ، راجع ، فتحي عثمان ، المرجع السابق ، ص ١٥٤ ، .

ان موقعها مهم حيث تعتبر مركزا تجاريا للطرق البرية والنهرية معا .
وكانت الرقة مركزا لتجمع سكاني منذ العصور الحجريه القديمة (٦٠٠ ق . م) ومركزا لتبادل وتجميع الحاصلات والمؤن وتصديرها الى بلاد كثيرة على الطريق المائي الذى هو الفرات (١) .
هذا بالنسبة للموقع ويبدو انه مهم ، اضافة الى ذلك فان الموقع هذا قد زادت أهميتهُ زمن الخلافة العباسية ، وخاصة عصر الرشيد الذى اتخذ من الرقة قاعدة عسكرية توجه منها الجيوش الى الثغور والعواصم لمجابهة الروم . وان الموقع العسكرى للرقة زاد من اهميتها في المجالات الاخرى .

كانت الرقة معروفة منذ العصر اليوناني ، حيث أسست في موضع المدينة اليونانية القديمة كلينكس Collinicus وفي نقفوريوم NicePhorium (٢) وعرفت في القرن الخامس الميلادى بأسم ليونتوبوليس Leontopolis حيث ان الاسكندر الاكبر قد لاحظ

---

(١) حيث كان الفرات صالحا للملاحة ، حيث استخدمه الحيثيون ونقلوا فيه سلعهم الى بابل والخليج العربي والى الهند ، واستخدمه من جاء بعدهم من الشعوب وعن الطريق البرى على ضفاف الفرات الذى كانت تسلكه القوافل وذات حركة تجارية ـ نشطة ولهذا كانت الرقة مركزا لتجميع البشر منذ العصور الحجرية القديمة (٦٠٠ ق . م) (عبد القادر عياش ، تاريخ الرقة ق٢ (بيروت ، ١٩٦٨) ص ١٥ .

(٢) استرانج المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

أهمية موقعها فأمر ببنائها (١) . اما الاسم العربي لها والذى عرفت به فالرقه تعني كل أرض على شط (٢) وقيل كل ارض الى جانب واد ينبسط عليها الماء عند المد فهي رقه وبه سميت المدينة (٣) ويرى لسترانج ان اسم الرقة العربي ما هو الا نعت لها حيث يغمرها الماء وقت الفيضان حينما تقع بجنب النهر (٤) كما انها كانت تسمى الرقة البيضاء (٥) وزادت اهميتها في العصر العباسي فقال الخليفة المأمون « وعين الجزيرة الرقة » (٦) وكانت عاصمة ديار مضر واكبر مدنها (٧) واتخذت مركزا اداريا في عصر الرشيد حتى انها برزت كثيراً ، حينما اتخذها الرشيد مقرا له لوجود انصار الامويين فيها . وكذلك لطيبة مناخها (٨) وقد تكررت زياراته بشكل كثير وملحوظ وكذلك بقية الخلفاء (٩) حيث اتخذها الخلفاء وخاصة الرشيد قاعدة

---

(١) ابراهيم الشريف ، الموقع الجغرافي للعراق ، ١/١٣٨-١٣٩ .

(٢) السمعاني ، الانساب « حيدر اباد الدكن ، ١٩٦٦ / ١٣٨٦ » ج ١٥٦/٦ .

(٣) الحميري ، الروض المعطار ، ورقة ٧٨ أ - ب .

(٤) لسترانج ، المرجع السابق ص ١٣٢ .

(٥) الحموي ، المشترك ، ص٢٠٨ والمعجم ٨٠٢/٢ .

(٦) الثعالبي ، لطائف المعارف ، « القاهرة ، ١٩٦٠ » ص١٩١ .

(٧) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٤٢ .

(٨) الطبري ، تاريخ ، ٣١٧/٨ .

(٩) راجع الفصل الخاص بالادارة .

عسكرية ضد الروم البيزنطيين حيث كانت تنطلق الحملات العسكرية منها ، كما اتخذت قاعدة لضرب الثوار في الجزيرة وخاصة ثورة نصر بن شيث العقيلي ضد العباسيين (١) .

وضم بلاط الرشيد في الرقة العديد من نوابغ الفكر العربى أمثال ، أبو البختري وهب بن وهب ، ومحمد بن الحسن الشيباني «٢» وأبو سعيد عبد الملك ، وأبومحمد يحي بن المبارك والكسائي وابراهيم الموصلي ، والعباس بن الأحنف «٤» وقد ازدهرت الحياة فيها ، وخاصة الفكرية منها الرعاية الرشيد للمفكرين فيها وكانت حياة الترف قد لوحظت بالمدينة حيث كان فيها حلبة لسباق الخيل . يشارق فيها الرشيد نفسه «٥» وكانت الرقة قد حدثت في أرضها بعض ماله علاقة بالجانب السياسي باعتبارها مركزاً ادارياً هاما في عصر الخليفة الرشيد ، فقد اشتهرت الرقة بمعتقلها الكبير كما شهدت مصالبها بصلب عدد من الرجال ،

---

(١) راجع الفصل الخاص بالحركات المعارضه المتفرقة .

(٢) الازدى ، تاريخ الموصل ، ص ٢٩١ .

(٣) حيث ولاه الرشيد (أى محمد بن الحسن الشيباني) القضاء بالرقه ، ثم ولاه الرى فمات بها ، الازدى ، ص ٢٩١ .

(٤) راجع ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٥ / ٣٧٧ ـ ٣٧٨

(٥) راجع الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

حيث صلب على أحد جذوعها رجل يعرف بالحرباني صلبه جعفر بن يحي بالرقة وقال الجهشياري «لم تعرف قصة الحرباني ولا ما كان من أمره وعجبنا من انتهاء الخبر فى ذلك الى الرشيد (١) وكذلك الهيصم الهمداني (٢) وصلب أيضا (تمرون) وابناه بالرقة على خشبة ابن أبي شيخ (٣) وقتل المنصور في سنة ٤٠ ه بالرقة منصور بن جعونه العامرى (٤) وتوفي يحي بن خالد حتف أنفه في الحبس بالرقة سنة ١٩٠ ه / ٨٠٥ م وصلى عليه ولده (٥) ، ولما افضت الخلافة الى محمد الامين أطلق محمد وموسى ابني يحي بن خالد من الحبس بالرقة (٦)

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(٢) البغدادى ، المحبر (بيروت لا . ت) ص ٤٨٨ « وكان الهيصم ثار باليمن فحاربه حماد البربري . فاسره وابنه وابن أخيه وصلبوا جميعا .

(٣) البغـــدادي ، المحبر ، ص ٤٨٨ (وصلب مع تمرون ابنيه بالرقه وكان ملكا من ملوك خراسان فخالف فاسره الحرشي » .

(٤) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، (القاهرة ، ١٣٦٩) ج ٥ ، ص ٢٢٢

(٥) وكان الرشيد في الرى فبعد انصرافه من الري بثلاثة أيام من المحرم سنة ١٩٠ ه علم بنبأ وفاة يحي بن خالد واغتم الرشيد غما شديداً وقال اليوم مات أعقل الناس . . . (الجهشيارى المصدر السابق ، ص ٢٦١) .

(٦) الجهشاري المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

وقد احتلت الرقة مكانة مرموقة في المجال الاداري في عهد الرشيد خاصة ، حيث كانت مدينة واسعة لها أهمية دينية عند المسلمين (١) . ومن أعمالها ، الرافقة التي هي ربضها والـتي بناها المنصور كما سيمر بنا (٢) وكذلك رقه واسط كان بها قصران لهشام بن عبد الملك كانا على طريق رصافة هشام وأسفل من الرقة بفرسخ الرقة السوداء وهي قرية كبيرة ذات بساتين وشربها من البليخ ومتصلة مع بعضها البعض (٣) وقد امتدحها الشعراء هي والرافقة (٤) .

مدينة الرافقة :

هي من المدن التي بنيت في العصر العباسي الاول ضمن خطط العباسيين الرامية إلى السيطرة على الجزيرة ، واتخاذها قاعدة لهم في الاقليم اضافة الى الرقة . تقع مدينة الرافقة عند مصب نهر البليخ بالفرات بالقرب من الرقة ، حيث أنها متصلة البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات بينهما مقدار ثلثماية ذراع (٥) وشيد هذه المدينة الخليفة العباسي المنصور سنة ١٥٥ هـ / ٧٧١ م ويشير الازدي الى سبب بناء الرافقة في هذا الموضع فيروي أن أبا جعفر قال لابي العباس : « لم ننتفع

(١) راجع الهروي ، الاشارات ص ٦٣ .

(٢) أحسن التقاسيم ، ص ١٤١ .

(٣) البغدادي ، مراصد الاطلاع ٢ / ٦٢٦ ، الحموي ، معجم ، ٢ / ٨٠٣ ـ ٨٠٤ .

(٤) راجع : (الشابشتي / الديارات ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(٥) الحموي ، المصدر السابق ، ٢ / ٧٣٤ .

بالجزيرة الا اذا بنينا الى جانب الرقه مدينة ونحيا بشيعتنا فنقمع هؤلاء — يعني الامويين — أن هذا لموضع مدينة ، وأومأ الى موضع الرافقة » (١) ونحن نعلم أن مدينة الرقة يسكنها أنصار الامويين وقال عنها أحد الجغرافيين « وفيها ولاء لبني أمية شديد » (٢) فبناء مدينة الرافقة هو اتخاذها قاعدة الى جانب الرقه الاموية الميول وكذلك شحنها بالشيعة العباسية للاستفادة منها في السيطرة على الموضع في غرب الجزيرة وكذلك اتخاذها قاعدة ضد أنصار الامويين في الشام والرقه على حد سواء . ويروى اليعقوبي أن الخليفة أبا العباس قد ابتنى هذه المدينة لما خرج الى الجزيرة حتى صار الى الرقة واختط الرافقة على شط الفرات وهندسها له أدهم بن محرز (٣) غير أن الارجح أن الخليفة المنصور هـــو الذي أمر ببنائها وذلك كقاعدة للقوات الخراسانية في الاقليم كى تقف بوجه الثوار من جهة وكقاعدة عسكرية ضد البيزنطيين من جهة أخرى اضافة الى ذلك أن الخليفة أبا العباس كان عهده عهدا جديدا وهو تأسيس الحكم والقضاء على

(١) يروي الازدي : أنه لما أقبل أبو العباس وأبو جعفر المنصور من الشراة يريدان الكوفة نزلا بدير القائم ، حيث قال لابي العباس الحديث الذي ذكرناه (الازدي ، تاريخ الموصل ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤) .

(٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٣ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ / ٣٧٠ .

الثورات التي جابهت الدولة الجديدة في أوائل عهدها، فلم يكن ابو العباس متفرغا لان يبني أمثال هذه المدن ولذلك فالراجح هو أن الخليفة المنصور هو الذي أمر ببنائها . وأول اجراء يتخذه الخليفة لبناء المدينة أنه عزل موسى بن كعب التميمي وكان عامل الموصل والجزيرة ، بعد أن غضب عليه فوجه ابنه محمد المهدي الى الرقه وامره ببناء الرافقة (١) وبعث المنصور معاوية بن صالح ومعاذ بن مسلم فخطا موضع السور برماد وصيرا موضع كل برج علما وذلك في سنة ١٥٥ هـ / ٧٧١ م (٢) ويكشف لنا ذلك أن النية من أول تخطيطها كانت كقاعدة عسكرية وبنيت المدينة على هيئة بغداد في أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها (٣) وعلى قدر بغداد ووسع اطراف المدينة وأرباضها وامر بهدم ما شخص عنها (٤) ووسع ورتب فيها جندا من أهل خراسان (٥) وبما ان الخليفة الرشيد كان قد قضي اكثر وقته في الرقه ، فانه اعتنى بالرافقه القاعدة العباسية حيث ان الرشيد بنى قصورها وكان فيما بين الرقة والرافقة فضاء وارض ومزارع فلما قدم علي بن سليمان واليا على الجزيرة نقل اسواق الرقة الى تلك الارض وكان سوق الرقة الاعظم فيما مضى يعرف بسوق هشام العتيق فلما قدم الرشيد الرقة استزاد

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ص ٢٢٤ .

(٢) ن - م ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٣) مجهول ، العيون والحدائق ، (ليدن ، ١٨٧١) ج ٣ / ٢٦٥ .

(٤) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ٦ / ٩١ .

(٥) ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٣٢ .

في تلك الاسواق وكان يأتيها ويقيم بها فعمّرت مدة طويلة (١) ونظرا لعنايه الرشيد الواسعة بها فقد ظن بعض المؤرخين انه هو الذى بناها حيث يشير اليعقوبي الى ان الرشيد أقام بالرافقه حتى بناها (٢) وهناك ترادف بين مدينتي الرقة والرافقة قال الحنبلي « الرافقة هي الرقه القديمة المجاورة للرقة الجديدة ، ويقال لهما الرقتان تغليبا كالعمرين (٣) » وأن الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة وصار اسم المدينة الرقة «٤» .

مدينه الخـــانوقة

تقع على الفرات ، على الضفة الشرقية ، وهي تقرب من مدينة الرقة «٥» .

مدينة المحـــلبية

تقع على الفرات على الضفة الغربية الى الجنوب من مدينة الخانوقة .

مدينة قرقيسياء :

وهي كركميش الواردة في التوارة «*» وهي تعريب كركيسيا وهو مأخوذ من كركيس وهو اسم لارسال الخيل المسمى بالعربية

(١) بلازدى ، فتوح البلدان ، ص١٨٤ ، الحموي ، معجم ٢/٧٣٤-٧٣٥ .

«٢» التاريخ ٢/٤١٥ .

«٣» شذرات الذهب ، « بيروت لا . ت » ١/٣٢٨ .

«٤» الحموى المصدر السابق ، ٢/٧٣٤ .

(٥) ن . م . ٢/٣٩٤ .

(*) رحلة بنيامين ، ص ١٢٩ .

الحلبة «١» وهي قصبة كورة الخابور عند مصب نهـــر الخابور في الفرات«٢» فهي في مثلث بين الخابور والفرات وروى انها سميت بقرقيسيا بن طهمورث الملك «٣» وقيل هي كـورة من كـور ديار ربيعة بين الحيرة والشام لى الجانب الشرقي من الفرات «٤» ، وتبعد عن الخـانوقة شمالهـا مسـافة يومين وهي مدينة نزهه اشتهرت بفواكههـا التي تصدر الى العراق في الشتاء . «٥» .

مدينة ميادين : وتقع الى الجنوب من قرقيسيا على ضفة الفرات الغربية .

مدينة الرحبة

[وهي رحوبوث الواردة في التوراة «٦»] تقع مدينه الرحبة بين الرقة وبغداد اسفل من قرقيسيا على شاطيء الفرات الغربي ، وبينهما وبين الرقة نيف وعشرون فرسخا وبينها وبين دمشق ثمانية ايـام ومن حلب خمسه ايـام والى بغدادماية فرسخ وبينهـا وبين قصر الرصافةمسيرة اربعة ايام «٧» .

---

(١) الحموي ٦٥/٤ ـ ٦٦ .

«٢» ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ورقة ٤٤ أ .

«٣» الحموي ، المصدر السابق ، ٦٥/٤ـ٦٦ .

«٤» الحميري ، الروض المعطار ، ورقة ٣٠٤ ب .

«٥» ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

«٦» رحلة بنيامين ، ص ١٢٨ .

«٧» الحموي ، معجم ٧٦٤/٢ .

وتشير المصادر الى قدم تأسيسها فتروى ان الرحبة بناها النمرود ابن كوش وهي مدينة مذكورة في التوراة في السفر الاول من الجزء الثاني «١» اما المصادر الاخرى فتكثر من الاشارة الى ان الذى ابتناها هو مالك بن طوق « ✻ » وسميت بأسمه تمييزا لها من غيرها من الرحاب (٢) فمن المحتمل ان موضعها كان قديما قبل ان يبنيها مالك بن طوق ، ولكنه قد اعاد بناءها فنسبت اليه وان بناءها تم زمن الخليفة الرشيد حينما طلب الخليفة الرشيد الى مالك بن طوق وهو احد قواده (٣) واحد ندمائه في سفرة في الفرات ان يطلب ما يشاء فقال مالك بن طوق : « يقطعني امير المؤمنين في هذا الموضع ارضا ابنيها مدينة تنسب الي "فقال الرشيد قد فعلت وأمر ان يعلن في بنائها بالمال والرجال فلما عمّرها واستوسعت له اموره

«١» ابن القفطي ، تارتخ الحكماء ، ص ٢٩٥ ، الحموي ، معجم ، ٧٦٤/٢ .

(٢) الحراني ، تاريخ الرقة ، مقدمه المحقق ، ص خ .

(٣) الحموي ٧٦٤/٢ .

«✻» هو مالك بن طوق بن مالك بن عتاب بن زافر بن عبدالله بن شريح بن مره بن عبدالله بن عمرو بن كلثوم صاحب الرحبه المعروفة برحبة مالك بن طوق (ابن الكلبي : جمهرة النسب الكبير ، مخطوط الاسكوريال ، ورقة ٥١ .

فيها تحول الناس اليها » (١) وتشير بعض المصادر الى ان بناءها تم زمن المأمون من قبل مالك بن طوق حينما كان أحد قواده (٢) وقد حدث التباس في ذلك حيث ان مالك كان قد حدث خلاف بينه وبين الرشيد فسجنه ثم اطلق سراحه، فمن المحتمل ان يكون الخليفة المأمون قد اعاده الى مدينته فاستمر باصلاحها وتعميرها فأدى ذلك الى اعتقاد المؤرخين بأنها انشأت زمن الخليفة المأمون. وعلى كل حال فانها انشأت في العصر العباسي الاول كجزء من سياسة العباسيين في السيطرة على ادارة الاقاليم.

مدينة الصالحية :

وهي مدينة تقع على الفرات بالضفة الغربية الى الجنوب من مدينة الرحبة، وهي تختلف عن قرية الصالحية قرب الرها (٣) والتي سيمر علينا ذكرها.

مدينة الدالية :

مدينة على شاطيء الفرات في غربيه بين عنه والرحبه وهي مدينة صغيرة (٤) ويصب فوقها نهر سعيد، وهي مثل الرحبه تعرف بدالية

(١) الحموي، معجم، ٢/٧٦٤.

(٢) ابن الاثير، اللباب في تهذيب الانساب، ٣/٢٧، الحموي المصدر السابق ٢/٧٦٤.

(٣) راجع ياقوت عن قرية الصالحية قرب الرها ٣/٣٦٣.

(٤) الاصطخري، الاقاليم، ص٤٤، الحموي، المصدر السابق ٢/٥٣٨.

مالك بن طوق (١) .

مدينة الفرضة :

وتسمى بفرضة نعم (٢) وتقع على شاطيء الفرات من غربيه الى الجنوب من مدينة الدالية . وروى انها سميت بأم ولد لتبع ذى معاهر وهو حسان بن تبع اسعد ابي كرب الحميري يقال لها نعم وكان انزلها على الفرضة وبنى لها بهاقصرا فسميت بها (٣) .

مدينة عنـه :

وهي مدينة اناتو القديمة OHTANA (٤) وتقع في موقع حصين فى وسط الفرات (٥) حيث يطوف بها خليج من الفرات (٦) ووصفت بانها مدينة صغيرة غير انها ذات سور منيع وذات خصب واهلها اعرف الناس بالسباحة والملاحة (٧) ولها جامع واسواق (٨)واشتهرت بصناعة الخمور (٩) .

(١) الحراني ، المصدر السابق ، مقدمه ص خ .

(٢) الحموي ، المصدر السابق . ٨٧٦/٣ .

(٣) الحموي ، ن . م ٨٧٦/٣ .

(٤) الحراني المصدر السابق ، مقدمه ، ص ذ .

(٥) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص٧٧ ، الاقاليم ، ص٤٣ .

(٦) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢٠٦ .

(٧) ألاصطخري ، مسالك الممالك ، ص٧٧ ، الاقاليم ،ص٤٣ .

(٨) ابن حوقل ، ص٢٠٦ .

(٩) « ابو الفداء ، تقويم البلدان ص٢٨٧ » .

مدينة الحديثة :

ويقال لها حديثة النورة (١) تميزا لها عن حديثة الموصل التي سبق ذكرها ، وهي على الفرات شرقيه ، تحت عنه وفوق هيت ، كما روى انها على هيئة جزيرة في وسط الفرات وهي ذات سور منيع وخصوبة وفيرة (٢) وتبعد عن عنه ٣٥ ميلا اسفل منها وذكر ان فيها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء يحيطها (٣) .

مدينة الوس :

تقع على الفرات قرب عنه والحديثة ، وقيل سميت باسم رجل اسمه آلوس (٤) .

مدينة هيت :

روى انها سميت بأسم بانيها من بني البلندى بن مالك بن ذعر بن بويب بن عنقا بن دين بن ابراهيم (ع) (٥) وتذهب الروايات الحديثة الى ان هيت أسم بابلي وهو اسم القار الاسود في البابلية على اختلاف وروده في اللغات القديمة (٦) . وتقع على غرب الفرات

---

(١) ابو الفدا تقويم البلدان / ص ٢٨٧

(٢) الاصطخرى ، مسالك ، ص ٧٧ ، الاقاليم ، ص ٤٣

(٣) من هامش (١) خريدة القصر وجريدة العصر للاصبهاني م١/جـ ١٤ ، ص ٢٧٩ .

(٤) الحموى ، معجم ، ٣٥٢/١ ـ ٣٥٣ .

(٥) الحموى ، معجم ١٥٨/٣ .

(٦) عن هامش رقم (١) من خريدة القصر وجريدة العصر جـ ١٤م١ / ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

وعليها حصن وهي تحاذى تكريت ومن حدود عنه ألى بعد تكريت نحو خمسين فرسخا جميعه متصل بجبل على حافتي دجلة اتصالا لا يتخلله انفصال (١) .

مدن مابين النهرين : -

اما القسم الثالث لمدن الجزيرة الفراتية هي تلك الواقعة وسطها اي مابين حوض دجلة والفرات وذلك وفقا للتقسيم الجغرافي .

وسوف نتناول في هذا العرض مدن حوض رافد البليخ ومدن حوض رافد الخابور اللذين يصبان في نهر الفرات ، اضافة الى مدن اخرى متفرقة نشأت وشيدت في اواسط الجزيرة الفراتية .

مدن حوض رافد البليخ :

وتشمل على المدن التي تقع ضمن رافد البليخ الذي يصب في الفرات واهم مدن هذا الحوض : -

مدينة الرها : - (*)

تعتبر مدينة الرها من أهم المدن التي تقع في هذا الجزء من الجزيرة ،

(١) الاصطخرى ، الاقاليم ص ٤٣ ، ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(*) يقول فتحي عثمان : ان سبب عدم اسهاب البلدانيون المسلمون في اخبارها لان اغلب سكانها اقاموا على نصرانيتهم (الحدود ١٥٥/١) وراجع :

The Life and times of Ali ibn isa « The good visier » . Camdridge ' 1928 ' P . 280

واسمها بالرومية ، اذاسا (١) ، حيث تقع الرها في الاطراف الشمالية لرافد البليخ ويقع الفرات الى الغرب منها على مسيرة يومين ، وفي ناحية الشمال على مسيرة يوم ، وهي من حران مابين المغرب والشمال وبينها نحو (٤) فراسخ (٢) ، وهى مدينة قديمة الأسس والبناء ، وروى أنها عربية المنشأ حيث بناها الرها بن يزيد بن حرب بن ثملة ابن جلد بن مذحج (٣) وروى أن الرها هى ابنة البلندى بن مالك ابن الذعر لانها عمرتها (٤) ، وفي رواية أنها مدينة رومية بناها بعض ملوك الروم (٥) وفي رواية أنها سميت بالرها سندين بن مالك بن ذعر بن مولد بن عشيا بن مدين بن ابراهيم (٦) ويرى بن شداد أن ملك بابل نمرود بن كنعان بنى عدة مدن من بينها الرها (٧)

(١) ابن عبد الحق ـ مراصد الاطلاع ، ٦٤٤/٢ ، الحموى ، المصدر السابق ٨٧٦/٢ ـ ٨٧٧

(٢) الحميري ـ الروض المعطار ، ورقة ١٨١ .

(٣) السمعانى ـ الانساب ٣ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٤) الهروي ـ الاشارات الى معرفة الزيارات ص ٦٦ ، الحموى ، المصدر السابق ٢ / ٨٧٦ (وقال الحموى الرها بن البلندى بن مالك بن ذعر أى أنه ولد وليس بنتا) .

(٥) السمعاني ، المصدر السابق ٣ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤

(٦) ابن شداد ؛ الأعلاق ، مخطوط ، ورقة ٢٦ ب ، الحموي ، معجم ٢ / ٨٧٦ .

(٧) ابن شداد ورقة ٢٦ ب .

وهناك رواية تجعل مدينة الرها فارسية المنشأ حينما روى أن ماينى أبن الزند هو الذى بناها (١) .

وقد أشاد الجغرافيون العرب بذكرها ، فروي انها مدينة وسطة وان لها سوراً من حجر يحيط بأشجار وارحاء وماء وبساتين وتجرى في المدينة عينان تسمى احداهما العين الطويلة والاخرى العين المدورة (٢) وتشرف الرها على بساط من الارض يمتد الى حران ولها اربعة ابواب منها في الجنوب باب حران وفى الشرق الباب الكبير وعلى هذا الباب حصن منيع جدا ، وفي الشمال باب سبع ، وفي الغرب باب الماء (٣) وانها في المساحة مدينة وسطيه واصغر من كفرتوثا (٤) .

وتعتبر مدينة الرها من اشهر مناطق الجزيرة قدسية بالنسبة للنصارى (٥) ، حتى ان كنيستها تعتبر من عجائب الدنيا الاربع (٦) .

---

(١) ابن شداد الاعلاق ورقة ٢٦ ب./السمعاني، الانساب ٣/ص ٢٠٣ـ٢٠٤

(٢) ابن شداد ، الأعلاق ، ورقة ٢٧ .

(٣) الحميري / الروض المعطار ، ورقة ١٨١ أ .

(٤) الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ٧٦ والاقاليم ص ٤٢ .

(٥) راجع عناصر السكان من نفس الفصل .

(٦) المسعودي ، التنبية والاشراف ؛ ص ١٢٤ (وهى جامع دمشق ، ومنارة الاسكندرية وقنطرة استجه وهذة الكنيسة ، مخطوطة خريدة العجائب ورقة ٢٩ ، باون ، على بن عيسي ، ص ٣٨٠) .

مدينة سروج :

وهي مدينة قريبة من حران بينها وبين البيره مرحلة (١) وروي أنها رستاق كثير القرى ، كثير الفواكه والبساتين والمياه (٢) .

مدينة حـــران :

وهي من المدن القديمة في الجزيرة الفراتية ، اختلفت الروايات في ذكر مؤسسها فروي أن الذي بناها قنان بن ارفخد بن سام بن نوح وهو بنى المدينة على اسم هاران ابنه (٣) وفي رواية أن الذى بناها هو هاران بن آزر أخو ابراهيم عليه السلام فنسبت اليه (٤) وروى ابن شداد أنها بنيت بعد الطوفان بمائتين وخمس وسبعين سنة بناها أران . ويقال انه اسم ملكها فعربها العرب فقالوا حران(٥) وهناك عدة روايات (*) حـــول تسميتها ، وقال ابن جبير أنها البلدة

---

(١) البغدادى ، مراصد الاطلاع ، ٢ / ٧١٠ .

(٢) الحميري ، الروض المعطار ، ٢١٢ ب .

(٣) ابن قتيبة ، عيون الاخبار (القاهرة ، ١٩٦٣) ص ٢١٤ ـ ٢١٥
ابن العبري تاريخ مختصر الدول ، ص ١٠ .

(٤) الهروي ، الاشارات ، ٦٤ راجع عنها فتحي عثمان ، ١٥٤ ـ ١٥٥

(٥) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ص ١٤ ب .

(*) راجع السمعاني الانساب ١٠٧/٤ ، ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ١٠/١ ـ ١١ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ٣ / ٥١ .

العتيقة المنسوبة لابينا ابراهيم عليه السلام (١) وفي حديث منصور بن يحيي بن سعيد الموصلي قال « المدائن القديمة الكعبة ، مصر ، دمشق ، والجزيرة ، والابلة ، ونينوى ، وحران ، والسوس والاقصى » (٢) وكان لها عدد من الرساتيق والكور (٣) غير أنها قليلة الماء والشجر (٤) وتضم عدداً من المساجد وقبور الصالحين (٥) وأنها ذات قدسية كبيرة بالنسبة للصائبة (٦) .

وقد احتلت حران مكانة مرموقة في التاريخ السياسي والاداري ، حيث أنها أصبحت مركزا إداريا هاماً منذ عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) الذى قلد ميمون بن مهران خراج الجزيرة وجعل بيت المال بحران (٧) ، وفي عهد الخليفة مروان بن محمد احتلت حران مكانا مرموقاً بها كجزء من سياسة هشام الذى كان يبغي الى جعل الدولة العربية وريثة للمأثور الشرقي وخليفة للامبراطورية الفارسية الساسانية ، حيث بدأ بنقل المركز الاداري تدريجيا الى

---

(١) ابن جبير ، رحلة ص ١٨٩ .

(٢) ابن عساكر ، المصدر السابق ١ / ١١ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ٢٠٤ .

(٤) الاصطخرى - مسالك الممالك ص ٧٦ .

(٥) الهروى - الاشارات ص ٦٤ .

(٦) راجع عناصر السكان .

(٧) الجهشياري - الوزراء والكتاب ص ٥٣ .

الشرق حينما اتخذ الرصافة مقراً له (١) وأن مروان أتخذها مركزاً إدارياً هاماً بسبب الاضطرابات المتواصلة ضده في دمشق (٢) .

غير أن حران فقدت مركزها في العصر العباسي ولم توازِ منزلة الرقة والموصل .

مدينة حصن مسلمة :

سميت بذلك نسبة الى مسلمة بن عبد الملك ، وكان لمسلمة بن عبد الملك ، وتسكنه طائفة من بنى أمية (٣) ، وهو حصن منيع بناه مسلمة بن عبد الملك بن مروان وهو على تل بني سنان . وتل بني سنان مدينة صغيرة عليها سور من حجر وهي على مرحلة من رأس العين (٤)

قـــرية باجـروان :

وهي قرية من ديار مضر من أعمال البليخ (٥) حيث تقع الى

(١) هاملتون جب ـ دراسات في حضارة الاسلام ـ ترجمة حسان عباس واخرين (بيروت ، ١٩٦٤) ص ٧٨ ـ ٧٩ .

(٢) راجع فلهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها ص ٣٠١ ، عبد المنعم ماجد ـ التاريخ السياسي ، ص ٣١٥ ـ ٣١٦ .

(٣) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٧٨ ، الاقاليم ٤٣ ، ابن حوقل ، المصدر السابق ، ٢٠٦ .

(٤) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ١٥ .

(٣) الحموى ، المصدر السابق ١ / ٤٥٤ ، البغدادى ، مراصد الاطلاع ١ / ١٤٧ .

شرق نهر البليخ ثم تأتي بعدها مدينة الرقة .

مدن حوض الخابور

يضم هذا القسم جميع المدن التى تقع على متفرعات رافد الخابور وأهمها .

مدينة ماردين

وهى مدينة مقامة على جبل مرتفع (١) وتقع في أطراف الروافد العليا للخابور حيث أن المدينة بنفسها حصن منيع لا يرام ولا يقدر عليه ، مبني على قمة جبل شاهق في الهواء من تحته من ناحية الجنوب ربض عامر ، مكتظ بالسكان ضيق الاسوار ، وليس بين أيديهم حائل يمنعهم من النظر الى رأس العين والخابور وسنجار (٢) لها سور واحد ليس بمرتفع يحيط به خندق وفي شماليها واد يقال له وادي المرجله معمور البساتين والجنان الملتفه والاشجار (٣) .

والمدينة مبنية على الجبل في نفسه كالدرج بعضه دون بعض بحيث أن الدور تشرف بعضها على بعض وكذلك الاسواق ، ولها قلعة على قمة هذا الجبل مشرفة على البلد ولسور المدينة ستة أبواب باب السور مفتوح وباب قيس مفتوح وباب الزيتون مغلق وباب الخمارة مغلق(٤)

---

(١) الحموي ، المشترك وضعا ، ص ٢٩٧ راجع فتحى عثمان ١٥٢/١

(٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٢ .

(٣) ابن شداد ، المصدر السابق ، ورقة ١٣٠ أ .

(٤) ن - م ورقة ١٣٠ أ .

ورب سائل يسأل كيف يحصل هؤلاء السكان على ماء لقوتهم ، فقد أورد ابن شداد أن في اسفل قلعتها نقر في اسفله عين ماء عليه سوى ان تحمل الماء منه الى اعلاه فيتفرق في منازل القلعة ويجري اليها في قساطل (١) كما روى ان مياههم من عيون مجروره في قنوات وقد استحدثوا الصهاريج والبرك ليجمعوا ماء المطر كما ان لهم الفواكه الكثيرة (٢) ومن اعمالها بلدة دنيسر .

بلدة دنيسر .

وهي من اعمال ماردين ، ونقع جنوبها في الصحراء من جانب القبلة على أربعة فراسخ منها ، وتعرف بسوق دنيسر وكان هذا قرية يجتمع الناس فيها كل يوم احد للبيع وللشراء (٣) .

مدينة دارا :

تقع الى الجنوب من مادرين ، بناها دار بن دار (٤) حيث كان اشك بن دارا ويسمونه الملك بيده الموصل الى الري واصبهان (٥) كما أن فيها اثاراً من عهد دارا (٦) وروى انها مدينة ازلية

(١) ابن شداد ، المصدر السابق ورقة ١٣٠ أ .

(٢) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٣) ن . م ، ص ٢٠٢ السابق ، الهروي ، الاشارات ، ص ٦٤ .

(٤) المقدسي البدء والتاريخ ٤ / ٩٩ الحموي المشترك ، ١٦٦ - ١٦٧

(٥) المقدسي ، البدء والتاريخ ٣ / ١٥٥ .

(٦) الهروى ، الاشارات ص ٦٤ .

كانت للروم (١) . ووصفت بأنها مدينة صغيرة تشتمل على مياه جارية ومزارع (٢) ، وان لها قناة تعم البلد ثم تنحدر الى وادي ، وان بنيانهم من الحجارة الاسود والكلس (٣) .

مدينة نصيبين :

وهي من المدن الشهيرة في هذا الجزء ، حتى روي انها قاعدة بلاد ديار ربيعة وهي نسيبيس Nisibis الرومانية وقد سماه جغرافيوا اليونان سوركورس Saocaras او مكدونيس Mygdonius (٤) كما انها تعرف بنصيبين الروم (٥) وتقع على طريق القوافل من الموصل الى الشام، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ وبين الموصل ستة ايام وبين دنيسير يومان (٦) وكانت المدينة قد عانت كثيرا من الصراع الساساني - البيزنطي فقد كان لها سورا كانت الروم قد بنته واتمه الملك انوشروان عند فتحه أياها (٧) ويمكن اعتبار نصيبين قاعدة عسكرية للقسم الشمالي الاوسط للجزيرة ، حيث كان لها نصيبها من الصراع مع

(١) ابن حوقل ، صورة الارض ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٢) الاصطخرى ، مسالك الممالك ٧٣ / ابن حوقل ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٠ .

(٤) لسترانج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢٤ .

(٥) الحموى ، معجم ٧٨٧/٤ .

(٦) ن - م ، ٧٨٧/٤

(٧) ن - م ، ٧٨٧/٤

الروم، وغيرهم من الاقوام الاخرى المتاخمة لحدود الدولة الاسلامية، فلما خرج الخزر سنة ١٨٣ هـ واوقعوا بالمسلمين في ارمينية، أنزل الخليفة الرشيد بها خزيمة بن خازم ردءا لاهل أرمينية (١)، وقد أشيد بذكرها من قبل الجغرافيين العرب، ووصفها المقدسي بأنها مدينة عظيمة وانها أنزه واصفر وارحب من الموصل (٢) وقال الاصطخري « انها أنزه بلد بالجزيرة واكثر خيرا » (٣) وعلى نهرها الهرماس قناطر حجارة قديمة رومية الاصل (٤)، كما اشتهرت بتقدمها الزراعي (٥) وأهلها قوم من ربيعة من بني تغلب (٦)، ومن اشهر نواحيها بلدة طور عابدين التي هي في بطن الجبل المشرف عليها المتصل بالجودى (٧) وهناك كورة بين النهرين التي تارة تكون من اعمال نصيبين وتارة من اعمال الموصل (٨)، ويمكن مقارنتها بمركز الموصل والرقة بالجزيرة الفراتية .

(١) الطبري، تاريخ، ٨/٢٧٠ .

(٢) احسن التقاسيم ص ١٤٠ .

(٣) الاقاليم ص ٤٠ .

(٤) اليعقوبي - البلدان (النجف ١٩٥٧) ص ١١٣ .

(٥) راجع الفصل الثاني .

(٦) اليعقوبي - بلدان ص ١١٣ .

(٧) الحموى - المشترك ص ٢٩٧ ومعجم ٣/٥٥٩ .

(٨) الحموى - المشترك، ٣٤٩ .

مدينة أذرمه :

وتقع الى الجنوب الشرقي من نصيبين ، وتقع على التشعبات النهرية التي تكون نهر الهرماس الذي يصب بالخابور ، وهي من كورة بين النهرين بين كورة البقعاء ونصيبين والتي تعد من اعمال نصيبين (١) وعلى المدينة سوران واحد دون الاخر ، وفيها خرابات وسوق ولها باب حديد ومن خارج السور خندق يحيط بالمدينة (٢) ، ويرى البلاذري ان اذرمه قرية قديمة أخذها الحسن بن عمرو بن الخطاب التغلبي من صاحبها وتبعد أذرمه مسافة فرسخ عرضا عن السميعية قرية الهيثم بن العمر ويذكر البلاذري انها كانت قرية قديمة فاخذها الحسن بن عمرو بن الخطاب التغلبي من صاحبها وبنى بها قصراً وحصناً (٣) . ثم ننتقل لذكر مدن حوض البليخ في جهة الغرب بعد اذ تطرقنا الى الشمالية الغربية .

مدينة كفرتوثا :

تقع على احد الروافد التي تكون البليخ ، وبينها وبين دارا خمسة أيام (٤) وهي مدينة اكبر من دارا (٥) وهي في مستوى من الارض

(١) الحموي معجم ١/١٧٨ .

(٢) ن . م ١/١٧٧ .

(٣) بلاذري ، فتوح ، ص ١٨٤ .

(٤) الحموي ، المشترك ، ص ٣٧٤ .

(٥) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٧٣ ـ ٧٤ .

كثيرة المزارع (١) مالى جنوبها توجد مدينة رأس العين .

مدينة رأس العين :

وهي رأس ايناResaina الرومانية على نهر خابور رأس العين Chaboras (٢) وتسمى احيانا عين الورده والصحيح في تسميتها رأس العين (٣) واتخذت تسميتها من كثرة العيون والينابيع فيها حتى روى ان فيها اكثر من ثلاثمائة عين ماء جارية (٤) . ويسكنها العرب ولهم بها خطط وتتميز بسعتها (٥) .

تل موزن :

وهي بلدة بين رأس العين وسروج بينها وبين رأس العين نحو عشرة اميال (٦) .

تل بني سيار :

بليده بين راس العين والرقة قرب تل موزن (٧) .

(١) الاصطخري ، المصدر السابق ، ص ٧٣ ـ ٧٤ .

(٢) لسترانج ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) الحموى ، المشترك وضعاً ، ص ١٩٧ .

(٤) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٠ ، ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ورقة ٤٢ ب .

(٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٠ .

(٦) ابن شداد ، المصدر السابق ، ورقة ٤٢ ب .

(٧) البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ٢٧٩/١ .

تل مجـــدل :

وتقع على الخابور على ضفتيه القريبة الى الجنوب من رأس العين والى شمال تنيين (١) .

بلدة تنينير :

وهي تصغير تنور (٢) وتقع على ضفة الخابور الغربية وروى انها أسم بلدتين من الخابور عليا وسفلى (٣) .

تل طلبان :

وتقع الى الجنوب من تنينير والى الشمال من عربان على الضفة الغربية للخابور (٤) ويعتبرها الادريسي من المدن الحسنه (٥) .

مدينة عرابـان (*) :

تقع جنوب تل طلبان على الضفة الغربية للخابور ، وروى ابن شداد انها مدينة ذات سور منيع (٦) في حين يرى ياقوت انها بليدة(٧)

(١) الحموى ، معجم ، ٨٦٤/١ .

(٢) البغدادي ، مراصد الاطلاع ٢٧٩/١ .

(٣) ن . م . ٢٧٩/١ .

(٤) راجع الخارطة .

(٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ١٣ ـ ١٤ .

(٦) ابن شداد ، المصدر السابق ، ورقة ٤٢ ب .

(٧) الحموي ، ٦٣٢/٣ .

(*) عربان جمع عربة وهي بلاد العرب (الحموي ، معجم ، ٦٣٢/٣).

وروى انها مدينة حسنة وتبعد عن قرقيسيا اربع مراحل (١)

وبين عربان والخانوقةالتي على الفرات مدن حسنة تقرب من ضفة الخابور ومنها مما يلي عربان طلبان والحسينية وبلنان والعبيدية وهذه البلاد كلها قد غلبت عليها البادية ، فهي مدن عليها اسوار لا تصونهم فلجأوا معها الى الحضائر (٢) .

تل الشمسانيه

وتقع على ضفة الخابور الغربية جنوب عربان .

ماكسين :

تقع على ضفة الخابور الغربية بينها وبين قرقيسيا سبعة فراسخ ، ومن سنجار اثنان وعشرون فرسخا (٣) وهي من المدن الجيدة (٤) على ضفاف الخابور بعد مدينة رأس العين .

الفدين :

من المواضع التي تقع على ضفة الخابور الشرقية ، قبل ان يصب بالفرات .

قرية واسط :

بالخابور قرب قرقيسيا « واليها عني الاخطل فيما احسب لان الجزيرة

(١) الحموي ، معجم ٦٣٢/٣ .

(٢) الادريسي المصدر السابق ، ص ١٣ — ١٤ .

(٣) ابن الاثير ، اللباب ، ١٥٠/٣ ، ابو الفداء ، تقويم البلدان ص٢٨٣ .

(٤) ابن شداد ، الاعلاق ، ص ٤٢ ب .

منازل تغـلب (١) :

عفـا واسـط من اهل رضـوى مبتل ٠

وبذلك تنتهي مدن حوض الخـابور ، لنعد لما تبقى من المدن الجزرية . الاخرى في المناطق الوسطى القريبة من الحوض الشرقي للمدن الجزرية وهي :

مدينة بر قعيـد :

تقع بين بلد وأذرمه ، ونصيبين ، وتبعد عن نصيبين ٢٧ ميلا ، وهي مدينة حسنة كبيرة (٢) ، اكبر من مدينة أذرمه (٣) ،

مدينـة سنجـار :

تقع في وسط برية ديار ربيعة ـــ سابقا ـــ بقرب جبل ينسب الى سنجار (٤) وهي بالقرب من نصيبين والموصل (٥) حيث تبعد عن الموصل ثلاث مراحل حيث تقع سنجار من جهة الغرب والموصل في جهة الشرق (٦) وبينها وبين نصيبين ثلاثة أيام ولذلك فهي ذات

(١) الحموي ، معجم ، ٤ / ٨٨٨ .

(٢) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٨ ب .

(٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٠ .

(٤) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٧٣ .

(٥) القزويني ، اثار البلاد ، ص ٣٩٣ .

(٦) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٨٣ .

موقع ستراتيجي هـام بالمنسبة للطريق الذى يربط بين نصيبين غربا والموصل شرقا . أختلفت الاراء في سبب تسميتها بذلك .

وان هناك عدة روايات واساطير في تسميتها (١) فروي انها سميت بسنجار بن مالك بن الذعر لانه بناها(٢) وفي رواية انها تعريب سنكار(٣) وقيل ان اسمه الحقيقي سنغـارة وحـُرف على مرور الزمن فأصبح سنجار (٤) وفي رواية انها تسمية فارسية مأخوذة من سنجر كجعفر بالفارسية (٥) . وهي مدينة وسطه ، وبها نخيل ، وليست بالجزيرة بلد به نخيل سوى سنجار إلا ان يكون على الفرات وبهيت والانبـار وتل عفر (٦) وروى انها من المدن الحسنه (٧) وهي مزدهرة بالانتاج

(١) راجع الهروي ،الاشارات ص ٦٦ ،والحموي ، معجم البلدان ١٥٨/٣

(٢) الهروي ، الاشارات ، ص ٦٦ .

(٣) الحموي ، المصدر السابق ٣ / ١٥٨ .

(٤) نعمان ثابت ، تاريخ جبل سنجار ، وتطور ديانته ، مخطوطة مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد - تحت رقم (٧) ص ١ .

(٥) وتلك النواحي كانت من بلاد الفرس قديما وهم أول من سماها بهذا الاسم ، ويراد به طير من الجوارح وهو النسر على ما يظن وسبب تسمية الجبل بهذا الاسم ان اللائذ به يصبح كالنسر منيعا لا يرام ولا ينـال (ماري الكرملي ، اليزيدية ، مخطوط مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد ، ص ١٥٤) .

(٦) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص٧٣ .

(٧) ابن سعيد المغربي ، بسط الارض ، ص ٩٠ .

ألزأعي (١) .

مدينة تل أعفر :

وهو اسم قلعة بين الموصل وسنجار في وسط واد فيه نهر جار وهى على جبل منفرد (٢) وقيل أصله التل الاعفر أو تل يعفر وهو الصحيح (٣) وتقـــع في جهة غربي الموصـــل وبينهما وبين سنجـار خمسة فراســخ وبين بلد ستة فراسخ (٤) كما انها مدينة زراعية (٥) .

مدينه الحضر :

وهي آخر المدن في وسط الجزيرة وهي مدينة تاريخية قديمة الأسس والمنشأ وهي حترا « Hatra (٦) وتقع على ضفاف الثرثار في العصور القديمة ، روى انها بنيت في العهد البارثي فكانت موقعـا حصينا في وجه الغزو الروماني والحروب التي كانت تدور بين الرومان والفرس ، اما من الناحية الاقتصادية فانها تقع في سهل فسيح في القسم الجنوبي من الجزيرة ، وأن آبارها وينابيعها كانت مركز تجمع

(١) راجع الفصل الثاني .
(٢) البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ١ / ٢٦٨ ، العمري ، منهل الاولياء ، ص٧٠ .
(٣) العمري ، المصد السابق ، ص ٧٠ .
(٤) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٨٥ .
(٥) ن . م ، ص ٢٨٥ .
(٦) لسترنج ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

الرعاة ، وتتمتع بمركز تجاري هام حيث انها في موقعها هذا كانت تصل بين شبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى والقسم الاعلى من سوريا كماأنها اصبحت مركزاً تجـاريا للطريق التجـاري الى اقاصي الهند والصين (١) .

وبناها الساطرون ، ووردت عدة روايات اسطورية حول منشأها كما أنها احتلت من قبـــل سابور بن أردشير (٢) وكانت مبنية بالحجارة المهندسة بيوتها وسقوفها وأبوابها وكان فيها - على ما يقال - ستون برجا كبيرا بين البرج والبرج ابراج صغار ، بازاء كل برج قصر ، والى جانبه حمام (٣) .

---

1 . D . Sami Said Ahmed , Hatra , trchacological , Cr - uises and Tour (London , 1972) P . p . 103 - 104 .

(٢) راجع ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٦ - ٤٧ وابن الاثير ، اللباب ١ / ٣٧١ ، عجائب البلدان والجبال والاحجار ، مخطوطه ، مكتبة الدراسات العليا رقم ١١٤ ، ص ٧٦ - ٧٧ ومجهول ، عجائب المخلوقات مخطوط - مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغـــداد رقم ١٨١ ص ٢٩ .

(٣) زبدة تاريخ الشرق ، مخطوطة ، مكتبة الدراسات العليا ، بغداد تحت رقم ٢١٩ ص ١٩ ، وعن الحضر راجع دروثي مكاي مدن العراق القديمة ، ترجمة يوسف يعقوب مسكوني (بغداد ، ١٩٥٢) ص ١٠٩ - ١١٦ .

مدن الجزيرة الفراتية وأعمالها[1]

عن الادريسي :- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - تحقيق الدكتور ابراهيم شوكت ، مجلة المجمع العلمي العراقي ٢/١٣ ، مطبعة ١٩٧٣ بغداد عن مجموعة من الخرائط المرفقة فيه .

عناصر السكان

العرب في الجزيـــرة الفراتيـــة

لمحة تاريخية عن نزوح القبائل العربية واستيطانها في الجزيرة الفراتية :

يرجع سكنى القبـائل العربية في الجزيرة الفراتيـة الى عصور سحيقة في القدم قبل ظهور الاسلام ، حيث انهم هاجروا من موطنهم الاصلي في شبه الجزيرة العربية ، واستقروا في انحاء متفرقة منها ، علما ان هجراتهم للجزيرة الفراتيه لم تنقطع في فترة زمنية محدودة بل استمرت ، وبين فترات متفاوتة حتى في العصرين الاموي والعباسى .

والهدف من دراسة القبائل العربية في الجزيرة الفراتية هو معرفة دوافع وأسس كثير من حركات المعارضة السياسية فيها ، بل وقياس مدى درجة الاستقرار الاجتماعي فيها .

ويرى عياش أن الجزيرة الفراتية تعد من اقدم المناطق التي هاجر اليها العرب واتخذوها موطنا لهم قبل الاسلام فتأثروا بها وتأثرت بهم ، وكان لهم فيها ادبهم العربي الخالص (١) وكان الدكتور السامر

(١) وكان ادبهم العربي الخالص متمثلا بشعر الشاعر الجاهلي عمرو ابن كلثوم التغلبي احد اصحـاب المعلقات السبعـة المولود في الجزيرة الفراتية (عياش ، تاريخ الرقة ق١ / ٩) .

قد تطرق لموضوع قدم استيطان العرب فيها فيرى ان المراجع الفارسية ، أطلقت على منطقة نصيبين وما حولها اسم عربستان أي بلاد العرب (١) وقد سمى سترابو منطقة الجزيرة - الواقعة جنوب المنطقة الجبلية والتى تمتد حتى الصحراء - اسم بلاد العرب ، وأشار الى أن القبائل العربية فيها كانوا دائمي التنقل والترحال تبعا لوفرة المراعي وقاموا بدور مهم في السيطرة على تسيير القوافل التجارية من سورية الى العراق ففرضوا وجودهم على طول الطريق الموازي لنهر دجلة (٢) .

ويقترن التاريخ القديم لاستيطان القبائل العربية في الجزيرة الفراتية ، بتاريخ انشاء الحضر ذات التاريخ العريق في الجزيرة . فيرى عياش ان قبيلة تزيد وعشم من بين القبائل العربية في الجزيرة التي اسست مدينة الحضر (٣) حيث عاش العرب في امارتها منذ سقوط دوله الاشوريين في سنة ٦١٢ ق . م وانهم اقاموا سلالة حاكمة كما ان وجود آلهة عربية عبدت فيها ايام الاشوريين الى جانب الآلهة الآشورية التي جاء بها العرب من جزيرتهم كاللات وشمس يقف دليل

(١) الدولة الحمدانية ١ / ص ١٦٥ .

(٢) بالفرنسية , Moret , Alexander , Histoirede Lorient
راجع السامر ، المرجع . V . I . (Paris , . P . 1936) 302
السابق ص ١٦٥ - ١٦٦ لسترانج ، بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٩ .

(٣) تاريخ الرقة ق ١ / ٩ .

على وجود العرب في المنطقة قبل الميلاد بقرون(١) . وأن الحضر أصبحت من المدن المهمة في القرن الثاني للميلاد ويرتبط تاريخها بأحد ملوكها الذي يعتبر من الاصل العربي (٢) حيث حكمت الحضر سلالة عربية مدة ثلاث قرون ، وكان أول حكامها اميرا عربيا اسمه سنطروق ، ورد ذكره في كتابة اكتشفت هناك نصت على ان اباه يدعى نصر ولقبه ملك العرب (٣) ويؤكد هشام بن الكلبي بأنه من قبيلة قضاعة العربية (٤) ثم حكمت الحضر (بعد امارة القبائل العربية لها) ، امارة آرامية ايام الفرثيين ، حكمت تحت رعاية الرومان خلال القرنين الثاني والثالث للميلاد ، تلقب امراؤها بلقب فيلارك ، وتدل اسماءهم على انهم من العرب (٥) . ولعل من اشهر ملوك الحضر من العرب هو الضيزن وقد حصل خلاف حول أصله وتسميته ، ففي روايات ان الضيزن هو من قبيلة قضاعة العربيه حينما هاجروا من الجزيرة العربيه الى الحضر (٦) . وأطلق عليه الاراميون والجرامقة

---

(١) السامر ، المرجع السابق ١ / ١٦٦ .

(٢) Ctesiphon and Hatra (Baghdad , 1943) p . p . 6 - 7

(٣) سليمان الصايغ ، الحضر ، نشرة لمديرية الآثار العامة ص ٣٠

(٤) الطبري ، تاريخ ، (مطبعة الاستقامة ٢ (القاهرة ١٩٣٩) ص ٤٧ - ٤٨ .

(٥) ن . م . ٢ / ٤٧ - ٤٨ ، السامر ، المصدر السابق ، ص ١٦٦

(٦) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ١٣٠ ، الحموي ، معجم ، ج٢ ص٣٧ ويذكر ابن الفقيه انه الضيزون بن جهيلة ، احد الاحلاف ، وكان على قضاعة ويسمى مالك ويلقب بالضيزن ، فنزل الحضر حتى غزاها سابور ، مختصر ، ص١٣٠) .

لقب الساطرون (١) .

وكان الطبري قد وافق ابن الفقيه في اعتباره عربيا ومن قضاعة غير انه يختلط الامر عليه حينما يرى ان الضيزن كان يلقب بالساطرون وهو من الجرامقة ، وان العرب تسميه الضيزن من أهل باجرمي (*) (٢) ولذلك فقد خلط الطبري بين اصل الضيزن وهو من

(١) السامر ، المرجع السابق ١ / ١٦٧ ـ ١٦٨ ويقول السامر : « ولا تستطيع ان تعرف ما المقصود بالاصطلاح هذا الذي اطلق على الضيزن من قبل الجرامقة الاراميون ولا نستطيع معرفة الدوافع التي دفعتهم الى اطلاق ذلك الاصطلاح » .

(٢) ونص رواية الطبري : « عن هشام بن الكلبي الذي زعم » : انه من العرب من قضاعة وانه الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الاجرام بن عمرو بن النخع بن شليح بن حلوان بن عمران بن الحاق بن قضاعة وان امه من تزيد بن حلوان واسمها جيهلة ، وانه كان يعرف بامه ، وزعم انه ملك ارض الجزيرة ، وكان معه من بني عبيد بن الاجرام وقبائل قضاعة ما لايحصى ، وان ملكه كان قد بلغ الشام ، وانه تطرف من ـ بعض السواد في تجواله وكان غلبها الى ناحية خراسان سابور بن اردشير فلما قدم من غيبته اخبر بما كان عنه فقال ان ذلك من فعل الضيزن بن عمر بن الة بن الجدى بن الدهاء بن جشم بن حلوان (الطبري ٢/٤٧ ـ ٤٨ والاغاني ايضا طبعة دار الكتب ، جـ٢ / ١٤٠) .

(*) اي بيت كرماى كركوك وما يجاورها (السامر ، المرجع السابق ١/١٦٧ ـ ١٦٨) .

قضاعة العرب وبين لقبه الذي اضفاه عليه الاراميون فسموه بالساطرون ، ويعلق السامر على هذا الارتباك الذي وقع فيه الطبري بقوله (... انه لا يهمنا اثبات نسب الضيزن بقدر ما يهمنا تأكيد حقيقة اساسية هي وجود قبائل قضاعة وبني حلوان في الحضر يوم حاصرها سابور الاول (٢٤١ ـ ٢٧٢) (١) وهو الذي سبى العرب في الجزيرة الفراتية وخلع اكتافهم حتى سمي بذى الاكتاف (٢) وكانت قضاعة وبنو حلوان مع الضيزن لما هاجمَ ســابور الحضر (٣) وبذلك فقد العرب نفوذهم

---

(١) ويبدو ارتباك الطبري واضحا حينما يناقض نفسه بقوله « وكان بحيال تكريت بين دجلة والفرات مدينة الحضر وكان بهـا رجل من الجرامقة ، يقال له الساطرون وهو الذي يقول فيه ابو داؤد الايادى :

وارى الموت قد تدلّى من الحضر

عـلى ربّ اهـله الساطرون

والعرب تسمية الضيزن ، وقيل ان الضيزن من اهـل باجرمي (الطبري ٢/٤٧ ـ ٤٨) .

(٢) السامر ، المصدر السابق ، ١/١٦٨ .

(٣) ويذكر الطبري ان الضيزن قتل وأبيدت قضاعة الذين كانو مـع الضيزن ، فلم يبق منهم باق يعرف الى اليوم ، واصيبت قبائل من بني حلوان فانقرضوا فقال عمرو بن الة ـ وكان مع الضيزن : =

السياسي في الجزيرة الفراتية والذي اصبح بايدي الفرس وأننا أوردنا الروايات السابقة للتدليل على قدم استيطان العرب في الجزيرة الفراتية ونستطيع ان نضيف رأي المسعودي الذي يذكر فيه بأن احد ملوك نينوى كان من العرب يقال له سابق بن مالك وهو رجل من اليمن (١) ومن الادلة الاخرى ان صهيب الرومي كان من عرب الجزيرة من النمر

= ألم يحزنك والانباء تنتهي
بما لاقت سراة بني عبيد
ومصرع ضيزن وبني ابيه
وأحلاس الكتائب من تزيد
أتاهم بالخيول مجللات
وبالابطال سابور الجنود
فهدم من أواس الحصن صخرا
كأن ثقاله زبر الحديد
(طبري ٢/٤٩) .

(١) ويذكر المسعودي : ان اول من اسسها « اى نينوى » بسوس بن بالوس وكان بالموصل ملك آخر فحارب هذا الملك ، وكانت بينهما حرب ووقائع ، ويقال ان ملك الموصل كان في ذلك العصر سابق بن مالك رجل من اليمن ، ثم ملك أهل نينوى عليهم بعده امرأة يقال لها سميرم « مروج ، ٢١٣ ـ ٢١٤ » .

أبن قاسط من أهل الموصل (١) والذى كان من حصيلة الصراع الروماني ـ الفارسي على الجزيرة الفراتية بعد فقدان العرب لنفوذهم السياسي فيها . وقد ساهم العرب في جزء من هذا الصراع متمثلا بدولتي المناذرة والغساسنة ، حيث كان لهم نصيب من غنائم الروم (٢) ،

(١) روى ابن قتيبة بانه كان ابوه سنان عاملا لكسرى على الابلة ، وكانت منازلهم بارض الموصل ، ومايليها من الجزيرة ، فاغارت الروم على تلك الناحيه فسبوا صهيبا وهو غلام صغير فنشأ في الروم فابتاعته كلب منهم ، ثم قدمت به مكه ، فاشتراه عبدالله أبن جدعان ، وروى أنه اعتقه وبعث به الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية انه هرب الى الروم فقدم مكه فحالف عبدالله بن جدعان ، وكان صهيب بن سنان بن مالك بدرى ، وجميع المدنيين يثبتون نسبة في النمر بن قاسط وامه سلمى من مازن تميم « المعارف ، ٢٦٤ » وفي روايه ان صهيب كان يقول انه من العرب فقال له الخليفة عمر بن الخطاب (ر) « يا صهيب مالك تكنى ابا يحي ، وتقول أنك من العرب ، وانت رجل من الروم ، فقال صهيب ، ان رسول الله « ص » كناني أبا يحي ، واما قولك في النسب وادعائي الى العرب ، فاني رجل من النمر بن قاسط من اهل الموصل ، ولكن سبق وسبتني الروم غلاما صغيرا بعد ان عقلت اهلي وقومي وعرفت به نسبي « ابن سعد ، الطبقات الكبير جـ٣ /ق ١ /١٦١ ـ ١٦٢ » .

(٢) روى ابن قتيبه : « أنه لما قتلت الزباء ابنة ملك الجزيرة ، جذيمه بن مالك الابرش ملك الحيرة ، فطلب عمرو ابن اخته =

واعيدت السيطرة العربية على الجزيرة الفراتية بعد الفتوحات العربية الاسلامية للأقاليم .

هجرة القبائل العربية الى الجزيرة الفـــراتية ومواقعها :

تنقسم القبائل العربية الى قسمين عرب الشمال الذين ينتسبون الى اسماعيل (ع) وتسموا بالعدنانية ، وعرب الجنوب الذين ينتسبون الى قحطـان (١) .

= وقصير غلامه بثأره فقتلاها وخلفا في بلدها رجالاً ، ورجعا بالغنائم فذلك اول سبي قسم في العرب من غنـائم الروم « المعارف /٦٤٦ » .

(١) يذكر المسعودي : « أنه لا تنازع بين النزارية وهم ربيعة ومضر الصريحان من ولد اسماعيل واياد ، فبنو نزار بن معد بن عدنان بن ادين بن أدد بن قوم بن فيرج بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم » وفي رواية اخرى انه « نزار بن معد بن عدنان بن اد بن ياسر بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن صابوح بن ثابت بن قيذار بن اسماعيل ، وبين اليمانية وهم حجر وكهلان ابناء سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وغيرهم من جرهم وحضرموت ابني عامر « التنبيه والاشراف، ص٦٩ـ٧٠ » ويشير ابو يعلى : ان العرب هم عدنان وقحطان فيقدم عدنان على قحطان ، لان النبوة فيهم وعدنان يجمع ربيعة ومضر ، فيقدم مضر على ربيعة لان النبوة فيهم ، ومضر يجمع قريش وغير قريش ،فيقدم قريش لان النبوة فيهم ، فيكون بنو هاشم قطب الترتيب ثم =

وكانت هذه القبائل في وضع غير مستقر في الجزيرة العربية ، وكانت هناك عدة عوامل دفعتها الى الهجرة خارجها ، متجهة الى عدة مناطق ومن بينها منطقة الجزيرة الفراتية . وتجدر الاشارة الى اننا سوف لن نتطرق الى ذكر المناطق التي كانت تسكن فيها هذه القبائل في الجزيرة العربية الا بقدر تعلق الامر ببحثنا .

ولعل من ابرز أسباب الهجرة التي كان لها شأن واثر بارز في هجرة هذه القبائل هو خراب سد مأرب ، وعلى اثره هاجرت القبائل العربية الى مناطق عديدة ومنها الجزيرة الفراتية التي قدمها مالك بن فهم بن غنم بن دوس حتى نزل ارض العراق في ايام ملوك الطوائف «*» فأصاب بها قوما من العرب من معد وغيرهم ، فملكوه عشرين سنة وذلك قبل قدوم جذيمة الابرش(١) ، كما ان ولدحوله بن الهنوبن الازد من غشان نزل الموصل بعد خراب سد مأرب (٢) .

= يليهم من اقرب الانساب اليهم حتى يستوعب قريشا ، ثم يليهم في النسب حتى يستوعب جميع مضر ثم يليهم حتى يستوعب جميع عدنان «ابو يعلى ، الاحكام السلطانية « دمشق : ١٣٥٧ ص) ٢٢٦ » .

(١) اليعقوبي تاريخ ٢٠٨/١ .

(٢) ن . م ، ١ /٢٠٥

(*) قال تعالى : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم ...» سورة سبأ آية ١٥-١٩ راجع د . صالح العلي ، محاضرات في تأريخ العرب ج١ « بغداد ، ١٩٦٠ » ص٢٢ - ٢٣ وراجع جرجي زيدان ، تأريخ العرب قبل الاسلام . ص١٤١ - ١٤٨ .

ولعل من أبرز أسباب الهجرة هو وجود العصبية القبلية بين عرب الشمال وعرب الجنوب فعلى مر الزمن أصبح القيسيون كتلة مناوئة لليمانيين (١) . حيث كانت العصبية القبلية بين قيس واليمن ، بل وبين القيسيين أنفسهم واليمانيين ، ويعلل السامر سبب هجرة بعض قبائل ربيعه وغيرها من العدنانية من الجزيرة في القرن السابع الميلادي بأنه كان على أثر الحرب والوقائع التي جرت بين شيبان وتغلب (من ربيعة) والتي جرت بين قبائل ربيعة ومضر ، وبين قبائل مضر ذاتها وبخاصة حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، كل ذلك أدى الى هجرات متتالية الى الأراضى المجاورة ومنها الجزيرة(٢) على أن أشهر القبائل العربية التي هاجرت من جراء العصبية القبلية هي قبيلة اياد . وكانوا قد نزلوا الجزيرة ، وطردوا منها قوما من العمالقة كانوا بها ونزلوا الموصل وتكريت (٣) ويشير المسعودى الى

(١) حتى ، تاريخ العرب المطول (بيروت ، ١٩٥٣ / ١٣٧٢) ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ .

(٢) وبعد حروب طويلة خرجت ثلاثة بطون من ربيعة ، هي تغلب ابن وائل ، ونمر بن قاسط ، وشيبان بن بكر بن وائل أخ تغلب وبعد حروب بين نزار وبين مضر نزلوا في عدة مناطق من الجزيرة (السامر ، المرجع السابق ١ / ١٦٨ ـ ١٧٠)

(٣) فقد خرجت اياد من تهامه ، ونزلوا ناحية نجد ، ثم ساروا قبل العراق حتى نزلوا الشقيقة ، فتوافقوا هناك مع أحد مرازبة الفرس ، ثم اتوا حتى اقاموا بالثعلبية من اعمال المدينة وهي=

أنه كانت جمهرة العرب ممن غلب على العراق ولد اياد بن نزار ، وكان يقال لها الاطباق لاطباقها على البلاد ، وكانت اياد تصيف بالجزيرة ، وتشتوا بالعراق (١) وظلت قبيلة اياد في الجزيرة الى أن دخلت فى صراع مع الفرس حيث أخرجوهم من الجزيرة الفراتية وساروا الى أرض الروم (٢) حتى روى أن أحد ملوك الروم كان من بين ابناء قبيلة اياد التى هاجرت الى بلد الروم (٣) ومن بين

= ماء لبنى اسد ـ فلما انقضى امد العهد ، اجلتهم اياد عن الثعلبيه ، ثم ساروا حتى نزلوا الجبل من السواد ، ونفوا قوما من العماليق كانوا بها ونزلوا الموصل وتكريت ، فلما ملك كسرى انو شروان ، بعث اليهم ناسا من بكر بن وائل مع الفرس ، فهزموا اياد ، ونفوهم الى قرية يقال لها الحرجية بينها وبين الحصنين فرسخان ، فالتقوا بالحرجية وقتلت اياد هناك اشد القتل ، وقبورهم بها الى اليوم ، وسارت بقيتهم الى ارض الروم وبعضها الى حمص (البكري ، معجم ما استعجم (القاهرة ، ١٩٤٥) ، جـ ١ / ص ٣٤١ .

(١) المسعودى ، مروج ، ١ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(٢) راجع اليعقوبي ، تاريخ ١ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، المسعودي ، مروج الذهب ١ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥ والتنبيه والاشراف ص ١٧٥ ـ ١٧٦ والقلقشندي ، صبح الأعشى ٣ / ٢٩٦ .

(١) فروى ان الملك الثاني والثلاثون للروم هو نيقفور بن استبراق ملك سبع سنين وثلاثة اشهر ايام الرشيد وملك في أول خلافة =

القبائل التي هاجرت بسبب العصبية القبلية ، بنو عقيل من بني عامر أبن صعصعه ، وكانت منازلهم بالبحرين ، حيث كانوا من اعظم القبائل هناك ، اضافة الى بنو تغلب الذين غلبوا على البحرين فطردوهم عنها فملكوا الكوفة والبلاد الفراتية وتغلبوا على الجزيرة والموصل(١)

ومن العوامل الاخرى التي دفعت العرب الى الهجرة الى الجزيرة الفراتية ، هو العامل الاقتصادي ، الذى كان مكملا للعامل السابق حيث ادى الى حدوث هجرات متتالية الى الاراضي المجاورة ومنها الجزيرة بسبب البحث عن اراضي جديدة وعيش اكثر رخاءاً . ومن ثم فان السبب الاساسي في قدوم هذه الموجات البشريه العربية الى الاراضي الخصبه المجاورة كان بسبب زيادة السكان في شبه الجزيرة العربية مع شحة مواردها وأرزاقها ، وهذه هي الدوافع التي ادت بالكتل البشرية المتزايدة ألى الهجرة بحثا عن اراضي جديدة تضمن لهم البقاء (٢) .

= الامين وقيل انه كان من ولد جفنه من غسان ممن تنصر اباؤه وقيل من ولد متنصرة اياد الذين دخلوا أرض الروم من بلاد الجزيرة في خلافة عمر وبايع لابنه استبراق (المسعودي التنبيه و الاشراف ، ١٤٣)

(١) راجع أبن حزم ، جمهرة انساب العرب (القاهره ، ١٩٦٢) جـ٢، وكذلك القلقشندي ، صبح الاعشى ٣٤٢/١ ،والدكتور خاشع المعاضيدي، دولة بني عقيل ، (بغداد ، ١٩٦٨) ص٢٧ و ص٢٦٢ ـ ٢٧١

(٢) السامر ، الدولة الحمدانية ، ١٦٨ ـ ١٦٩ .

وبالفعل فقد تمتعت الجزيرة الفراتية بموارد اقتصادية متنوعة ومتوفرة في مختلف انحائها وكان هذا عامل جذب بالنسبة للقبائل العربية التي هاجرت اليها واستقرت في ربوعها .

ولعل من العوامل الاخرى التي بسببها انتقلت القبائل العربية الى الجزيرة الفراتية هو العامل الديني متمثلا بالفتوحات الاسلامية التي انتقلت خلالها اعداد كبيرة من القبائل الى الجزيرة والتي ساهمت في الفتح الاسلامي ومن ثم استمرت القبائل العربية في هجرتها الى المنطقة وذلك بعد استقرار العرب فيها وتعرفهم على خيراتها ، كما ان العرب كونوا الغالبية العظمى لسكان الموصل ، فقد كان الفاتحون من تغلب واياد النمر ، ثم نزحت اليها بعد الفتح الخزرج والازد وتميم وتغلب وشيبان وسلمى (١) ، ولما فتحت الموصل اختطها هرثمة بن عرفجة البارقي واسكنها قوما من العرب (٢) من تغلب واياد والنمر حيث اتت الموصل مع القائد ربعي بن الافكل (٣) ، ولما فتحت سنجار أسكنها عياض قوما من العرب (٤) وكذلك اسكن هرثمه بالحديثة قوما من العرب (٥) ثم استمرت القبائل العربية بعد

---

(١) السامر ، المرجع السابق ، ١٧٧/١ .

(٢) بلاذري - فتوح ، ٣٢٧ .

(٣) الطبري ، تاريخ٣٥/٤ - ٣٦ ، ابن الاثير ، الكامل ٥٢٣/٢- ٥٢٤ ابن خلدون ٥٩١/٢ - ٩٥٢ .

(٤) بلاذري ، المصدر السابق ، ١٨٢ .

(٥) ن . م . ص ٣٢٨ .

الفتح الاسلامي للموصل بالتوافد عليها ، وعلى بقية انحاء الجزيرة المختلفة . فبعد توطد الدول الاسلامية وبخاصة منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان (ر) انتقل الى الموصل اقوام من الازد وطيء وكنده وعبدالقيس . ابان ولاية معاوية للشام والجزيرة ، وامر الخليفة عثمان ان ينزل العرب في مواضع نائية عن المدن والقرى وأذن لهم في استغلال الارض التي لا حق فيها لاحد فانزل بني تميم الرابية وانزل المازحين والمديبر اخلاطا من قيس واسد وغيرهم وفعل ذلك في جميع نواحي ديار مضر ورتب ربيعة في ديارها على ذلك (١) . ثم هاجر بن عوف بن عامر بن عقيل زمن مروان بن الحكم (٢) ثم استمرت هجرة القبائل في العصر العباسي وخاصة الى الموصل .

توزيع القبائل العربية في الجزيرة الفراتية

يتوزع افراد العربية مختلف انحاء الجزيرة ، حتى ان التسمية التي كانت تطلق على مناطقها الرئيسية كانت تستند على التقسيم والتوزيع العام لهذه القبائل في الاقليم .

ونظرا لكثرة قبائل ربيعة وغلبتها على المنطقة فسميت مناطق الجزيرة نسبة الى سكنى القبائل فيها ، فهناك ديار ربيعة بين الموصل الى رأس العين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس العين ودنيسر

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ص١٨٢ ، ، الصايغ تاريخ الموصل ٥١/١ وما بعدها السامر المرجع السابق ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٢) ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ج١١ ، ص٢١٧ ، ص٢٢١ ـ ٢٢٢

والخابور جميعة ما بين ذلك من المدن والقرى وربماجمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ديار ربيعة لانهم كلهم ربيعة ، وهذا اسم هذه المنطقة في الاقليم (١) ، وتشمل هذة المنطقة وفق التقسيم الجغرافي الذى أوجدناه القسم الشمالي والاوسط من الجزء الداخلي للجزيرة . وتتوزع الجزء الداخلي للجزيرة قبائل عده ، فكانت كفر توثا لجشم (٢) ومن بني هـــلال حرب فيما ذكر أبن سعيد قـال الهمداني : « هم ثلاث بطون ، بنو مسروح ، بنو سالم ، وبنــو عبيد الله ومساكنهم الحجاز ومن حرب زبيد الحجاز ، وذكر الهمداني انهم بنو عمرو ، ومن بني عـامر نمير ابن عـــامر بن صعصعه ... وكان لهم كثرة وعدة في الجاهلية والاسلام ودخلوا الجزيرة الفراتية وملكوا حران وغيرها ... » (٣) وكانت نصيبين دار آل حمدان بن حمدون موالي تغلب (٤) وكانت رأس العين يسكنها العرب ولهم بها خطط (٥) من اذرمه الى برقعيد وهي ديار بني عبيد من تغلب (٦) اما سنجار فيسكنها آل بشار وديارهم الجزيرة

---

(١) الحموى ، معجم البلدان ، ٦٣٧/٢ .

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، « القاهرة ، ١٩٥٣ » ص ١٣٣

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٣٤١/١ .

(٤) الهمداني ، المصدر السابق ص ١٣٣ .

(٥) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢٠٠ .

(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٣ .

وهم بنو ربيعة وبنو عجيل جيران وديارهم في سنجار وما يدانيها الى الباءة او قريب من الجزيرة العمرية الى اطراف بغداد (١) . ويقول الهمداني عن جبل سنجار أنه : « جبل شراة بني تغلب والشراة منها بنو زهير وبنو عمرو ثم من ذلك دهنا » (٢) ولما فتحت سنجار سكنتها جماعة من العرب (٣) اما الحضر فسكنتها تزيد وعشيم أبنا حلوان بن عمران بن الحاق بن قضاعة ، وبنو عوف بن ربان وجرم أبن ربان قد نزلوا الحضر الى ان اخرجهم منها سابور ذو الاكتاف بعد غزوه للحضر (٤) وقيل بأنه لما تفرقت قضاعة خرجت منهم طائفة عليها ملك ويقال له الضيزن بن جهيلة احد الاحلاف فنزلوا مدينة الحضر الى ان غزاها سابور (٥) .

اما بالنسبة للقسم الشرقي من الجزيرة ، (حوض دجلة) فكانت اهم القبائل التي تتواجد فيه ، هي قبيلة بكر ، ومناطقها واسعة ، وحدها (ما غرّب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين ـ اى طور عابدين ـ الى دجلة ومنه الى حصن كيفا ، وامد ، وميافارقين وقد يتجاوز دجلة الى سعرت وحيزان ، وحيني ، ما تخلل ذلك من

(١) قلقشندي ، المصدر السابق ، ٣٤١ ـ ٣٤٢ .

(٢) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

(٣) بلاذري ، فتوح ، ١٨١ ـ ١٨٢ .

(٤) الحموي ، المصدر السابق ، ٦٣٦/٢ ـ ٦٣٧ .

(٥) أبن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٣٠ .

البلاد ولا يتجاوز السهل » (١) واهم المراكز القبلية الاستيطانية في هذا الجزء هو مدينة الموصل التي كانت مركزا كبيرا للتجمع القبلي في هذا الجزء من الاقاليم خاصة وبالنسبة لاقليم الجزيرة عامة وقال ابن حوقل « مدينة الموصل اهلها عرب ولهم بها خطط واكثر اهلها ناقلة الكوفه والبصرة » (٢) فكانت اقدم القبائل التي هاجرت اليها قبيلة اياد التي استقرت فيها وفي بعض مناطق الجزيرة الاخرى وذلك قبل الفتح الاسلامي لها (٣) حيث هاجر قسم منها وبسبب موقف الفرس منهم الى بلاد الروم وكان آخر من دخل من اياد ارض الروم من الجزيرة والموصل في خلافة عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » (٤) ولما فتحت الموصل سكنتها بعض القبائل العربية . ومن أول القبائل التي سكنت الموصل منذ الفتح الاسلامي هي تغلب واياد والنمر حيث اتت الموصل مع القائد ربعي بن الافكل (٥) وذلك بعد فتح مدينة تكريت حينما ساعدت الجيش الاسلامي على فتح المدينة ، ويعلق الطبري على مساندتهم للمسلمين في فتح

(١) الحموي ، المصدر السابق ، ٦٣٦ ـ ٦٣٧ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص١٩٥ .

(٣) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٣٤١/١ .

(٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ١٧٦ .

(٥) راجع الطبري ، جـ ٤ ، ص٣٥ ـ ٣٨ ، ابن الاثير الكامل، ٥٣٢/٢ ـ ٥٣٥ ، ابن خلدون ، العبر م٢ ق١ ، ص ٩٥١ ـ ٩٥٢ ، ٩٥٥ .

تكريت بقوله : « فاقبلت العيون من تغلب واياد والنمر الى عبدالله بن المعتم بالخبر وسألوه للعرب السلم ، واخبروه بـانهم قد استجابوا له ... » (١) واستمر تواقد القبائل على الموصل ففي عهد الخليفة عثمان (ر) انتقل الى الموصل اقوام من الازد وطي وكنده وعبد القيس (٢) ، ويورد لنا الازدي اخبارا عن استمرار توافد القبائل العربية الى الجزيرة ، وخاصة من القبائل اليمانية كالازد وكذلك بنو سليمة من ولد مالك بن فهم ، وكان العباسيون قد احتضنوا الازد اليمانية في الموصل لوقوفهم الى جانبهم وتأييدهم لهم ، فاقطع وائل بن الشحاج الازدي العديد من القطائع بالموصل ، مما يؤكد حسن العلاقة بينهم وبين العباسيين . ففي خطاب وجهه المنصور لمضر قائلا لابنه المهدي : « أي بني اني اعرف بالناس منك واطول تجربة ، فعليك بأهل اليمن والاقبال عليهم بوجهك وبرك ، وأعرف حقهم فانهم دعائم النبوة وعدد الاسلام ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الازد والاشعريين وكنده مني وانا منهم (٣) »

ومن بين القبائل التي استوطنت الموصل عدد من ابناء مالك بن فهم ، من سليمة فمنهم بنو الحشاش من ولد عبد بن سليمة ومنهم من

---

(١) الطبري ج ٤ /٣٥ ـ ٣٨ ، ابن الاثير ٢/٥٣٢ ـ ٥٣٥ ابن خلدون م٢ ق١/٩٥١ ـ ٩٥٢ ،

(٢) الصايغ ، تاريخ الموصل ١/٥١ وما بعدها .

(٣) الازدي ، تأريخ الموصل ، ص ٩٢ ـ ٩٣ .

ساكني البصرة ـ عطاء السليمي (١) وممن قدم الموصل من أخوة سليمه ممن بن مالك ومنازلهم بالموصل باب سنجار والمسجد الذي فيه مسجدهم ، وكان باب سنجار في ايديهم وايدى سليمه ، واخبار ممن طويله ، ومناقبهم كثيرة ، ورجالهم مشهورون فمنهم مسعود بن عمرو ولهم بين الثرثار خطط وضياع منها تل خوسا وذواتها ، ومنهم هناك بقية (٢) وكان بالموصل بنو الرواد ، ومنها انتقلوا الى اذربيجان فغلبوا على كورة منها ، ومن اخوتهم ايضا ممن قدم الموصل ـ فراهيد بن مالك بن فهم وكان بالموصل ومنهم رهط (٣) ومن ولد فراهيد الخليل بن احمد صاحب العروض (٤) وبالموصل عمرو بن مالك وكان بالموصل منهم جماعة انقرضوا وبقي منهم بقية من مواليهم (٥) وممن سكن الموصل من ولد مالك بن فهم ثم ولد عدي بن عمرو بن مالك بن ثوبان وهم اهل باسط وممن سكن الموصل من بني مالك منهم العنقا بن الحارث بن مالك بن فهم ، ومنهم بقية ، ومن اخوتهم الاشاقر . وقدم الموصل ايضا من ولد مالك بن فهم ولد الحمام أبن عبد زيد بن سامه بن مالك بن فهم قال هشام (منازلهم

---

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ص ٩٠ - ٩٢ .

(٢) ن . م . ص ٩٢ .

(٣) ن . م . ص ٩٢

(٤) ن . م . ص ٩٢ ـ ٩٣ .

(٥) ن . م ، ص ٩٣

حمام عمان ومهاجرهم البصرة والموصل) وهي حمام بالموصل ضيعة تعرف بالحميمة . ويضاف اليها دير طيمونة قرية من باسحق (١) .

وممن سكن الموصل بنو مالك من همدان ، وهؤلاء قدموا من الكوفة ومنازلهم ببافخارى (٢) كما سكنت نواحي الموصل عدد من أبناء قبائل تغلب ، الذين قتلوا صاحب روابط الموصل ، روح بن حاتم ، فخرج اليهم الحصين بن الزبير بن صالح في اربعة الاف مع رجال من أهل الموصل ، فقتل من تغلب خلقا واسر اخرين ، حيث دخل مدينة بني أسيد ، وهي بلدة فيها بنو تغلب وهي مدينتهم ، ولذلك فقد (أخرج) قوما من النزارية عن الموصل لهذا السبب فاتوا ربيعة ومضر ، فاجتمعوا وأتوا الموصل ، فكانت بينهم الواقعة المعروفة بالميدان (٣) ، وسكنت الموصل ايضا مجموعة من القبائل النزارية واليمانية (٤) وكانت قبيلة عنزه من بين القبائل التي استقرت بالاراضي الواقعة شرق الموصل قرب اربل - في حزه - (٥) حيث كانت في تحالف مع شيبان وهم من اليمانية (٦) . وسكن الموصل ، بنو أسامه

---

(١) الازدى ، المصدر السابق ، ٩٥ - ٩٦ .

(٢) ن . م . ٢٠٤ - ٢٠٥

(٣) ن . م . ٢٦٨ - ٢٦٩ . ، ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٤) ن . م . ٢٩٦ .

(٥) ن . م ، ٣١٣ .

(٦) ن . م ، ٣١٥ .

بطن من اسد من آلعدنانية ، وبنو ثعلبو من القحطانية او الازد ، ويقول ابن الاثير (بنو سامه ـ لا أسامه ـ وهم بطن من لؤى بن غالب من العدنانية ايضاً) «١» . وعلى ذلك فيبدو ان بني الحسن الهمدانيين نصروا بني ثعلبه الازديين ضد بني سامه العدنانيين الذين تحالفوا بدورهم مع بني تغلب العدنانيين «٢» وأشهر قبائل الموصل الازد الذين كانوا «٣» في حالة عصبية قبلية مع اليمن «٤» وممن سكنها بنو فهر وبني عمران من وجوه الازد واشراف اليمن ، وبنو شمحاج وبنو اود وبنوزبيد وبنو الجارود وبنو ابي خراش والصدأميون والعمريون وبنو هاشم وغير ذلك «٥» هذا ومن بين قبائل الموصل التي كانت تشكل تكوينها الاجتماعي بصورة عامة ، بني تميم ثم ، همدان ، وسكنها ايضا قبائل من ربيعة وغيرها من القبائل الصغيرة ، وهم بنو سامة ، وبنو ثعلبة وبنوا خزاعة وهم من الازد وبنو برجم وقبيلة الشهوان وهم فرع من تغلب ، وسكنت الموصل ايضا قبيلة تغلب من بني وائل ، وكان بنو وائل قد انقسموا قسمين هما بكر وتغلب وبنو نمير «٦» .

«١» ابن الاثير ، الكامل ١٠٨/٦ عن الازدى ه ١ ص ٢٨٢ .

«٢» هامش ١ عن الازدى

«٣» الازدى ص ٣٤٣ .

«٤» ن . م . ٣٤٥ .

«٥» ابن حوقل المصدر السابق ص ١٩٥

«٦» الصايغ ، تاريخ الموصل ٥١/١ .

ويشير السامر الى ان سكان الموصل العرب كانوا مزيجاً من القبائل العدنانية والقحطانية وان هذه القبائل جاءت على هجرات متتالية ، فوصلت المجموعة الاولى سنة ١٦ هـ مكونة جيش الفتح ، ثم وصل الخزرج سنة ٢٠ هـ (١) ثم تلاحق الازد الذين سكنوا الموصل قرب الجامع الأموي ، وتميم التي تركت لغتها في اهل الموصل ، ثم بطون اخرى جديدة من تغلب التي سكنت قرب باب العراق في محلة التغالبة (٢) وبنو شيبان الذين استقروا في الربض الاعلى (٣) .

واخيرا نورد هنا رأي الهمداني الذي ذكر فيه ان اكثر اهل الموصل « مذحج وهي ربيعة فان تياسرت منها وقعت الى الجبل المسمى بالجودي يسكنه ربيعة ... وان تيامنت عن الموصل تريد بغداد لقيتك الحديثة وجبل بارماً ثم السن والبوازيج بلاد الشراة من ربيعة ،ثم يقع في جبل الطور البرى وهو اول حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذويها ولا يخالطهم الى ناحية خراسان الا الاكراد » (٤) وبلد فيها شراة من ربيعة (٥) واسكن هرثمة في مدينة الحديثة قوماً من العرب (٦) .

(١) السامر ، المصدر السابق ، ١٧٧/١ .

(٢) الصايغ ، تاريخ الموصل ، ٥٠ ـ ٥١ .

(٣) السامر الدولة الحمدانية ١٧٧/١ .

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٣ .

(٥) ن . م . ص ١٣٣ .

(٦) بلاذري ، فتوح ، ٣٢٨ .

أما مدينة تكريت فكانت قد نزلتها بعض قبائل أياد (١) ،

اما بالنسبة لمناطق حوض الفرات ، فتعتبر قبيلة مضـــر أهم قبائلها قال الحموى « ... وديار مضر هي ماكان من السهل يقرب من شرقي الفرات نحو حران والرقة وشمشاط وسروج ، وتل موزن (٢).

ويسكن رحبة مالك بن طوق وقرقيسيا شراة بني تغلب وهي ديار بني عبيد من تغلب (٣) ومن هوازن بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر من هوازن وانتقلوا من اليمامه والمدينة المنورة وفدك والعوالي الى الشام فكانت لهم في الجزيرة الفراتية هيت (٤) وروى ان ديار بكر بن وائل تمتد من اليمـامة الى البحرين الى سـيف كاظمة الى البحرين ، فأطراف سواد العراق فالابلة فهيت (٥) وكانت جماعة من قبائل بكر بن وائل بالبصرة ايـام الفتح ، وكذلك قسم من الازد اليمانية وبني شيبان ، وطي اليمانيه ، والعدسيين من كلب في الحرب ، وفي نفس الفترة كان هناك قوم من كلب ، وبكر بن وائل ، وطوائف من قضاعة فوق الانبار (٦) ويمكن الاستدلال من بيت شعر أورده

---

(١) راجع البكري ، معجم ما استعجم ، ٣٤١/١ .

(٢) الحموي ، المصدر السابق ٦٣٧/٢

(٣) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٤) القلقشندى ، صبح الاعشى ، ٣٤٠/١ .

(٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١٦٩ كحـالة ، معجم قبـائل العرب ١ (بيروت ، ١٩٢٨) ص ٩٣ ـ ٩٤ .

(٦) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٤٦ .

البلاذري انه كان لبكر وقضاعة أحياء بالسوق الذي فوق الانبار غير بعيد عن مساكن بني تغلب (٢) .

صبحنا بالكتائب حي بدر وحيا من قضاعة غير ميل

ابحنا دارهم والخيل تردى بكل سميدع سامي التليل

كما توجد جماعات مضرية ، وبصورة خاصة من القيسيين عند الفرات على حدود بادية الشام (٢) .

ونختم حديثنا عن التوزيع الجغرافي للقبائل في الجزيرة الفراتية يقول الاصطخري حيث قال : « وبالجزيرة مفاوز يسكنها قبائل من ربيعة ومضر ، واهل خيل وغنم والابل عندهم اقل منها بالبادية واكثرهم متصلون بالقرى وبأهلها فهم بادية حاضرة » (٣) . وقال البلخي « وأما بادية الجزيرة فان بها ارضا من ربيعة واليمن واكثرهم من اليمن » (٤)

الهجرات القبلية (المعاكسة) من الجزيرة الفراتية :

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه الجزيرة الفراتية ، مركز جذب للقبائل العربية فانها في عين الوقت ، كانت قد اصبحت مصدر طرد

(١) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ ومابعدها .

(٢) السامر ، المرجع السابق ، ١/١٧٠ ـ ١٧١

(٣) الاصطخري ، الاقاليم ، ص ٤٣

(٤) ابو زيد البلخي ، صورة **الاقاليم** ، مخطوط مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب ـ جامعة بغداد (تحت رقم ٣٢٩) ص ٢٢ .

لبعض القبائل العربية وذلك لأنه وجدت فيها ظروف أضطرت بعضاً من القبائل الى ان تهاجر منها الى مناطق اخرى خارجها .

فكان من بين الذين هاجروا من الجزيرة الفراتية الى بلاد الروم ، قبيلة اياد ، وذلك لانها بعد ان ملكت الموصل وتكريت ، وبعد مجيء كسرى انوشرون الى مملكة الفرس ، ناصبهم العداء ، فبعث اليهم ناسا من بكر بن وائل مع الفرس ، فهزموا اياد ، ونفوهم الى قريه يقال لها الحرجية بينها وبين الحصنين فرسخـــان ، فالتقوا بالحرجيه وقتلت اياد هنأ اشد قتل ، وقبورهم بها الى اليوم ، وسارت بقيتهم الى ارض الروم وبعضها الى حمص (١) .

وبعد دخول الجزيرة في حضيرة العالم الاسلامي ، فرض الخـليفة عمر بن الخطاب (ر) على بني تغلب من نصـارى الـعرب الجزية فاستاؤا منها ، وبهذا الحادث يكون آخر من دخل من ايـاد ارض الروم من الجزيرة والموصل في خلافة عمر بن الخطاب (ر) نحو من اربعين الفاً كانوا على النصرانية ، واستـاؤا من الجزية حين اخذوا بها (٢) . ولما تولى ابو جعفر المنصور الخلافة عهد الى يزيد بن اسيد السلمي بولاية ارمينية ، وكان يزيد اول من فتح بـــاب الهجرة العربية والاستيطان في ارمينية على اوسع مداها ، وخلال تلك الفترة نزحت الى تلك المناطق جموع كبيرة ، تنتمي الى عدد من القبـائل

---

(١) البكرى ، معجم ما استعجم ، ١/٣٤١ .

(٦) المسعودى ، التنبيه والاشراف ، ص١٧٦

اليمنية في حين كان سكان الجزيرة وديار ربيعة وغيرهم يقصدون الى تلك الاقاليم سعيا وراء الرزق وسعة العيش وهربا من مناطق الخطر القريبة في الثغور حيث الروم والمقاتلة العرب ، وحروبهم ما تكاد تنقطع ابدا (١) .

وكانت هناك هجرات قد حدثت بسبب تعسف بعض الولاة في معاملتهم للرعية وخاصة في طرق جباية الخراج ، فقد عسف الحرشي والي الموصل سنة ١٨٠ ه أهلها وظلمهم ظلما شديدا فاضطر أهل باسحاق واهل القادسية من الهجرة الى اذربيجان وخربت قرى اخرى (٢) .

كما انه قد تحدث هجرات الى خارج الاقاليم نتيجة للصراعات القبلية الموجودة بين القبائل ، فقد رحل عدد من قبائل الموصل وخاصة بني الحسن الذين تركوا الموصل الى برقعيد وذلك سنة ٢٠٢ ه بسبب الاضطرابات القبلية فيها (٣) .

الاكراد

استقر الاكراد في اقليم الجزيرة الفراتيه منذ عصور سحيقة في القدم ، وتشمل منطقة الاكراد على الهضاب والجبال المحصورة بين

---

(١) اديب السيد ، ارمينيا في التاريخ العربي (حلب ، ١٩٧٢) ص ١٠٦ .

(٢) الازدى ، تاريخ الموصل ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٨ .

(٣) ن . م . ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ .

القسم الشرقي من تركيا وشمال العراق وشمال غربي ايران وجزءاً من ارمينية (١) وتنحصر بشكل خاص بين منابع الزاب الكبير ودجلة (٢) واطلقت عليها عدة تسميات متنوعة (٣) الى ان سميت بكردستان فيما بعد (٤) .

اما عن اصلهم فيكتنفه الغموض الى الان ، وان كانت اغلب الاراء تتفق على انهم من الايرانيين القدماء (٥) حيث انهم هاجروا من الشرق مع الموجة الاولى من هجرة الآريين التي حدثت حوالى

---

(١) Ency . Brith . voL . 13 . p . 513 وراجع محمد امين زكي خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ج١ (بغداد ، ١٩٦٤)/ص٧٥ـ٧٦

(٢) السامر ، المصدر السابق ، ١٨١/١ .

(٣) راجع باسيل نيكتن ، المرجع السابق ، ص١٦ ـ ١٧ ، مينورسكي ، الاكراد ترجمة معروف خزندار ، (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص ٢٢ ـ ٢٣

(٤) السامر ، المصدر السابق ، ٨٤/١ .

(٥) مينورسكي ، المرجع السابق ، ص ٢٢ ـ ٢٣ ، محمد امين زكي ، المرجع السابق ص٦٤ . Ency، Brith، p . 513 في حين يرى مارا انهم شعب اصيل لاينحدر من اصل ايراني انما هو انسباء للخلديين والجيورجيين والارمن وقد استبدلوا لغتهم الاصلية باللغة الايرانية . باسيل نيكتن ص ٢٢) ويرى خصباك ان الاكراد احفاد الكوتيين وهم القوم الذين نتجوا من التزاوج بين سكان جبال زاكروس الاصليين وبين الموجات الاولى من الاريين التي =

بداية القرن السابع ق . م في الفترة التي قضى فيها الميديون مع حلفائهم على آشور سنة ٦٠٧ ق . م (١) . ثم هاجرت الى المنطقة اقوام هندو — اوربية تغلبت عليها فاصبح اغلب سكانها من الاريين (٢) وينفرد المسعودي بالاشارة الى ان اصلهم من العرب ، فيشير الى أن بانه الاشهر عند الناس والاصح في انسابهم انهم من ربيعة بن نزار ، اما الاكراد الذين من بكر بن وائل فانهم دفعوا في قديم الزمان لحروب كانت بينهم في ارض الاعاجم وتفرق منهم فيها ، وحالت لغتهم ، وصاروا شعوبا وقبائل ويرى المسعودي ان الاكراد عند الفرس من ولد كرد اسفنديار بن منوشهر ومنهم البازنجان والشوهجان والشاذنجان والنشاورة ، والبوذيكان ، واللريه والجورقان والجاوانية ، والباريسان والجلالية والمستكان ، والجـاباوقة والجرغان والكيكان والماجروان والهذبانية ، وغيرهم من زمام فارس وكرمان وشهرزور واذربيجان وارمينية وفي الجزيرة والشام والثغور (٣) ، يرى ابو الفداء ان الاكراد

= اكتسحت منطقتهم (شاكر خصباك ، الكرد والمسألة الكردية ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص ١٣) .

(١) باسيل فيكتن المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) محمد امين زكي ، خلاصة تأريخ الكرد وكردستان ، ج ١ /ص ٦٤

(٣) التنبيه والاشراف ، ص ٧٨ ـ ٧٩ وفي نص آخر جاء فيه « فاما اجناس الاكراد وانواعهم فقد تنازع الناس في مبدئهم ، فمنهم من رأى انهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن بكر =

طائفة من الفرس ، وقيل انهم من العرب ثم تنبطوا اى اصبحوا من النبط (١) ومها يكن من امر وعلى الرغم من غموض جنسهم ، فانهم ينتمون الى الشعوب الهندو - اوربية وقد اطلق اسم الكرد على الاقوام التي سكنت ظهر جبال زاجروس والامتداد الشرقي لجبال طوروس ، وهناك اشارات الى عناصر هندو - اوربية في بلادما بين النهرين في القرن السادس عشر ق . م . (٢) .

بعد خضوع الجزيرة للفتوح الاسـلامية اعتنق الاكراد الدين

= بن وائل انفردوا في قديم الزمان ، وانضافوا الى الجبال والاودية ، لأحوال دعتهم الى ذلك وصاروا من هناك من الامم الساكنة المدن والعمائر من الاعاجم والفرس فحالوا عن لسانهم وصارت لغتهم اعجمية ، لكل نوع من الاكراد لغة بالكردية ومن الناس من رأى انهم من مضر بن نزار وانهم من ولد كـرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن وانهم انفردوا في قديم الزمان لوقـائع كانت بينهم وبين غسان ومنهم من رأى انهم من ربيعة ومضر ، اعتصموا بالجبال طلبا للمياه والمراعي ، فمالوا من اللغة العربية لمن جاورهم من الامم (المسعودى ، مروج الذهب (القاهرة ١٩٥٨) ، جـ ٢ / ص ١٢٢ - ١٢٣) .

(١) ابو الفداء ، المختصر في اخبـار البشر ، (بيروت لا . ت) جـ ١ / ١٠٤ .

(٢) Ency . Birth . VoL . 13 . p . 514

الاسلامي ، وكانوا يدينون بالعقيدة الزرادشتية التي ظهرت في بلاد فارس وميديا قبل ميلاد المسيح بستة قرون ، وظلوا كذلك الى ان اعتنقوا الاسلام (١) وظلت عناصر قديمة منهم تدين باليزيدية (٢) وقد استخدم الاكراد في الفتوحات الاسلامية حيث لعبوا دورا بارزا ومهما (٣) ، فقد كان الشهارجة من الاكراد قد ساعدوا العرب اثناء فتحهم لتكريت وكان لهم ايضا مقابل ذلك دورا في خلق الاضطرابات والفوضى في بعض الفترات ففي سنة ١٤٨ هـ بلغ الخليفة الرشيد انتقـــاض الاكراد وانتشارهم في الموصل (٤) ، فعين خالد بن برمك الذي قضى على اضطراباتهم واعاد الامن والاستقرار لولاية الموصل (٥) .

اما عن توزيع الاكراد في مناطق الجزيرة ، فالغالب انهم يسـكنون فى القسم الاعلى من الجزيرة في الجهات الشرقية والشمالية الشرقية منها . وكان اكثرهم رعاة ويستقر بعضهم في قرى قرب الموصل (٦) ،

---

(١) محمد أمين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد ١/١٢١ ـ ١٢٢ اسامر الدولة الحمدانية ، ١/١٨١

(٢) لويس ماسنيون ، مقدمة ، لكتاب الاكراد لباسيل نيكتين ، ص٥ ـ ٦ .

(٣) Ency. BLith . VoL . 13 . p . 514

(٤) الازدى ، تاريخ الموصل ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

(٥) راجع الفصل الخاص بسلطة الوالي السياسية والاداريه .

(٦) ابن حوقل صورة الارض ص ١٩٥ ، والدورى ، تاريخ العراق الاقتصادي ص ١٩ .

وفي مدينة كالموصل خاصة حيث انهم يتركزون في قرية جوزة من نواحي الموصل في جبال الهكارية (١) وقلعة عقر الحميدية (٢) وقرية جينكجي شرقي الموصل وأهلها من الاكراد الباجلانية (٣) ويستقرون ايضا في جبل داسن شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقية ويقال لهم الداسنيه (٤) ويسكن في الموصل وما حولها من الاكراد الهذبانية والحميدية واللارية حيث كان لهم احياء في المدينة وفي خارجها لهم مراعي (٥) . ويشير ابن حوقل الى ان الاكراد كانوا ينزلون في كفر عزي (٦) وروى ان اكثر اهالي اربل اكراد قد استعربوا (٧) وكانت المناطق الواقعة بين الزابين تتميز بمراعيها الكثيرة وضياعها العامرة وقد اتخذها الاكراد الهذبانية (٨) كما سكنوا خلف جبل الجودي وامتدت بلادهم الى حدود ارمينية (٩) .

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ١٥٢/٢ ،

(٢) العمري ، منية الادباء ، ١٥٥ .

(٣) ن . م . ص ١٤٠ .

(٤) الحموي ، المصدر السابق ٥٣٨/٢ .

(٥) ابن حوقل ، صورة الارض ص ١٩٥ ،

(٦) ن . م . ص ١٩٥

(٧) الحموي ، المصدر السابق ، ١٨٦/١

(٨) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ١٩٥ .

(٩) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، (القاهرة ، ١٩٥٣) ص ١٣٣ ،

ولذلك فان الاكراد يشكلون عنصرا مهما من عناصر السكان في الجزيرة بعد العرب .

الاراميون :

كانوا من بين العناصر التي استقرت في الجزيرة الفراتية منذ عصور سحيقة في القدم غير انه رغم ان الجغرافيين والمؤرخين المسلمين لم يستخدموا لفظ الاراميين للدلالة على هذا الشعب الا اننا نفهم من خلال استخدامهم لفظة نصارى مثلاً بانهم انما كانوا يشيرون الى الاراميين الذين عاشوا منذ قرون عديدة قبل الاســـلام في اقليم الجزيرة (١) اما عن اصلهم فانهم كانوا يسكنون بين القرنين ١١ ـ ٨ ق . م . منطقة أرام ـ Aram وهي عبارة عن منطقة واسعة تقع بالقسم الشمالي من سوريا وفي الفترة نفسها هاجرت بعض هذه القبائل نحو الشرق والجنوب واستقرت في المناطق الواسعة ما بين النهرين Mesopotamia (٢) وأول ذكر ورد للاراميين عند الملك آشور تجلات بلاصر الاول في حدود ١١١٦ ـ ١٠٧٦ ق . م . حينما اشار

---

(١) السامر ، المرجع السابق ١/١٨٩ .

(٢) وان بعض القبائل الارامية اختلطت مع بعض القبائل التي تدعى اخلام ، Aklame واول ذكر للأخلام ورد في حدود ١٣٧٥ ق . م . وسكنوا في تل العمارنة التي يقال انها تقع على نهر الفرات ، وبعد مرور (٥٠ سنة) سكنوا اعالي نهر دجلة واختلطوا مع الاشوريين . وفي ق ١٣ ق . م هاجمهم الاشوريين =

الى أنه شن عليهم ثمان وعشرين حملة في منطقة ممتدة ما بين تدمر الى عانات (١)ثم اتسع نفوذ الاشورين وازداد حينما كونوا دولة BiT ـ Adin على ضفتي الفرات ثم استولوا على عدة مناطق في الجزيرة وأنشأوا فيها عدة مشيخات (٢) . وظل الصراع قائما بين الاشوريين والارامين حتى قيام الامبراطورية البابلية الجديدة (٣) ، وتنتشر مناطق الاراميين في وادي الخابور واواسط نهر الفرات واعالي نهر دجلة وطور عابدين ونصيبين وجنوب غربي ماردين واستوطنت بعض قبائلهم نصيبين (٤) . وبعد ظهور الامبراطورية البابلية اندمجت العناصر

= عند نهر الخابور واواسط نهر الفرات ، وباعالي نهر دجلة حيث كانوا يسكنون في هذه المنطقة . وفي خلال القرن ١١ ق . م . لم تكتف القبائل الارامية في استيطان سورية فحسب ، وانما امتد نفوذها على طول القسم الاوسط من حوض نهر الفرات وكذلك امتد نفوذهم الى اواسط حوض دجلة ووصل نفوذهم الى بابل . Ency . Brith . Vol . I . Pp .207 ـ 208

(١) Ency ـ Brith ’ Vol ـ 1 . pp . 207 ـ 208

(٢) Ency ـ Ibid . PP .207 ـ 208

(٣) والامبراطورية البابلة الجديدة هي المعروفة بالكلدانية حيث اندمجت العناصر الكلدانية والاراميه والبابلية لبعضها

Ency ، Ibid ، pp . 207 ـ 208

(٤) Ency ـ ، Ibid pp ، . 207 ـ 208

الاراميةمع البابليين والكلدانيين (١) وكان الاراميون يتكلمون اللغة السامية الشمالية (٢) .

اما عن ديانتهم ، فانهم كانوا يدينون بالديانة الاشورية والبابلية (٣) وبعد انتشار المسيحية في المنطقة اعتنقوا النصرانية وعرف هؤلاء بعد تنصرهم بأسم السريان (٤) وقد اندمج الاراميون (السريان) بالعرب بعد الفتوحات الاسلاميه أنظر لتشابه أصلهم وقرابتهم (٥) ، وان الاراميين بعد تنصرهم أخذوا يفضلون التسمية النصرانية عليهم

---

(١) Ibid . pp 207 - 208

(٢) Ibid . Pp . 207

(٣) فمن الالهة التي عبدوها هيروبوليس في سورية والاله سين البابلي ، والاله القمر . وآله الحكمه نابور دياهو ، وبعض الاشارات تذكر انهم عبدوا الاله يهوذ Yau ' Yahweh

Ibid . p . 208

(٤) الدكتور عواد الاعظمي ، مقال عن الجذور التاريخية للتراث العربي في فلسطين(بغداد ، ١٩٧٣) ص ١٥ ويرى السامر ان لفظة نبط استخدمت للدلالة على أخلاط الفلاحين في العراق الا انه اريد بهم على درجة الدقه الاراميين ؟ (السامر ، الدولة الحمدانية ١/١٩٠) وجاسم الخلف ، جغرافية العراق ص ٩ - ٣٧ .

(٥) الاعظمي ، المرجع السابق ، ص ١٥ .

(سرياني) على اللفظة الارامية ذات المدلول الوثني (١)وكان الاراميون ذوي ثقافة واسعة رغم ان مصادرنا لا تتحدث عن نشاطهم الثقافي في اقليم الجزيرة الا ان الدوري يرى ان حران تعتبر المركز الاول للثقافة الارامية (٢) .

الجرامقة (*) :

من العناصر الاخرى التي كانت قد استوطنت الجزيرة الفراتية منذ عصور قديمة ، اختلفت أراء المؤرخين حول أصلهم ، فابن العبري

(١) الاعظمي الجذور التاريخية هامش رقم ٥٣ / ص ١٥ وانظر مصطفى الدباغ ، بلادنا فلسطين ج ١ ، ق ١ (بيروت ، ١٩٦٥) ص ٤٩٧ ، حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين(بيروت ١٩٥٨) (١٨٤/١ - ١٨٥) .

(٢) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٩

(*) يرى الصايغ ان كلمة جرمقاني معربة عن اصلها الارامي جرمقايا وقد أورد العلامة الانكلزى باين سميث في معجمه السرياني اللاتيني ان جرمقايا هو الجرمقي او الجرمقاني اى من كان اهله من بيت كرماى ، وان الاراميين كانوا يسمون سكان هذه الناحية بالجرامقة نسبة الى اسم ناحيتهم بيت كرماى (باجرمي) كما يسمى اهالي الموصل موصليين واهل البصرة بصريين (الصايغ ، تاريخ الموصل ٤٨/١ - ٤٩) .

يرى انهم من الفرس (١) ويشير القلقشندي الى قول ابن خلدون الى ان الجزيرة كانت قاعدة ملك قديم يعرف قديمـــاً بمملكة الجرامقة (٢) ويرى الصايغ ان اصلهم من الاراميين او النبط اكثر وضوحا ، استنادا على المستشرق نولدكه الذى يرى انهم من الاصل الارامي او النبطي (٣) وفي رأى أن - الاراميين اطلقوا على سكان (ناحية بيت كرماي - كركوك) الجرامقة نسبة الى اسم ناحيتهم (٤) وقد أورد ياقوت اسم موضع بذلك (٥) لعله ينسب اليها هؤلاء الاقوام . وعلى اية حال فانهم لم يمكن ان يكونوا من العرب ، او من القبائل العربية التي نزلت بالحضر بل يظهر واضحا ان الجرامقة كانوا قبل ان يسكن بنو جرم وبقية القبائل القضاعية مدينة الحضر واصطلاح الجرامقة عريق في القدم ، وربمـا ترجع هذه التسمية الى العصور الاشورية (٦) وكانت لغة الجرامقة هي السريانيه الشرقية وهي المعروفة بالكلدانية (٧) . ولهذا يمكن ان يضاف الجرامقة الى بقية

---

(١) تاريخ مختصر الدول (بيروت ، ١٩٥٨) . ص ٧٧ ،

(٢) صبح الاعشى ، ٣١٥/٤ .

(٣) الصايغ ، مجلة لغة العرب ، السنة الثالثة (١٩١٣ - ١٩١٤) ص ١٠٤ .

(٤) الصايغ ٤٨/١ - ٤٩ .

(٥) الحموى ، معجم . ٦٤/٢ .

(٦) الصايغ ، ٤٩/١ - ٥٠ .

(٧) ن . م . ٤٧/١ -٤٨ وللمزيد من التفاصيل راجع الصايغ ص ٤٥ - ٥٠ .

العناصر الاخرى من الاكراد والاراميين رغم ان مصادرنا لا تزودنا بمعلومات وافية عنهم .

الاديان السائدة في الجزيرة الفراتية

مما لا شك فيه يكون المسلمون الغالبية العظمى للسكان في الجزيرة الفراتية ، حيث ان المساجد الاسلامية شامخة في كل مدينة من مدنها ابتداء من اول الفتح الاسلامي . ويأتي بعد المسلمين في الكثرة النصارى الذين يحتلون المرتبة الثانية بعددهم من بين الطوائف الدينية في الجزيرة الفراتية .

وأعتبر النصارى أهل كتاب أو أهل ذمة وذلك منذ الفتوح الاسلامية للجزيرة . واشار ابن قيم الجوزيه الى نصارى الجزيرة بقوله : « أنهم اهل الكتاب الذين لغتهم غير لغة العرب ، كنصارى الشام والجزيرة ، اذ ذاك وغيرها من البلاد ودون نصارى العرب الذين لم تكن لغتهم غير العربية فمنعهم الخليفة عمر رضي الله عنه ، من التكلم بكلام العرب لئلا يشتبه بهم في كلامهم كما منعوا من التشبه بهم في زيهم ولباسهم ومراكبهم وهيئة شعورهم فالزمهم التكلم بلسانهم ... ... » (١) ويعتقد ترتون بان قرار الخليفة عمر هذا يعود الى انه راى بانه مايعيب العرب ان تبقى جماعة منهم على غير الاسلام فقد ظل بنو تغلب شديدي التمسك بنصرانيتهم فكانوا ابرز القبائل العربية تمسكا بملتها واراد عمر ان يعدّهم وبقية المسيحيين

(١) ابن قيم الجوزيه - شرح الشروط العمرية (دمشق ، ١٩٦١)ص ١١٠ .

سواء فيلزمهم دفع الجزية مثلهم فرفضوا الخضوع لامره والامتثال لحكمه لما في هذا الامر من الحط من قدرهم وللتقليل من شأنهم ومكانتهم كعرب ، فلم يجد المسلمون بدا من النزول عند راي التغالبة الذين أرتضوا لانفسهم ان تضاعف عليهم الصدقة (١) الا انه مع ذلك فقد تمتع النصارى بحرية دينية في الاقليم ، وقد نصت شروط فتح المدن على أدعاء احد الفقهاء زمن الخليفة الرشيد على ان لا تهدم بيتع الذميين ولا كنائسهم داخل المدينة ولا خارجها والا يحدثوا بناء بيعة او كنيسة (٢) وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه : « ان كل مصر مصّرته العرب فليس للذميين ان يحدثوا فيه بناء بيعة ولا كنيسة ، ولا يضربوا فيه بناقوس . وكل مصر مصّرته العجم ففتحه الله على العرب فنزلوا على حكمهم فللعجم ما في عهدهـــم وللعرب ان يؤمنوا لهم ذلك (٣) ويعلق ترتون على هذا النص بقوله « ومع صراحة هذا النص الا انه لم يكن مانعا ان الكنائس كانت تبنى بحرية وكانت تشيد بموافقة السلطة واصحاب الامر والنهي بل واحيانا بمساعدتهم »(٤)

---

(١) ترتون ، اهل الذمه في الاسلام (القاهرة ، ١٩٤٩) ص ٩١

(٢) بلاذري ، فتوح ، ص١٧٨ ابو يوسف الخراج ، (القاهرة ، ١٣٥٢) ص ١٣٨ .

(٣) ابو يوسف ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ وما بعدها .

(٤) ترتون ، اهل الذمة في الاسلام ص٥٣ . السامر ، التسامح الديني والعنصري في التاريخ العربي الاسلامي .مجلة مركز الدراسات =

وهذا اعتراف من رجل أوربي ومسيحي - على صحة تساهل المسلمين مع النصارى (الذين كانوا في الجزيرة) وكان الخلفاء العباسيون يؤكدون على ضرورة التسامح مع الرعايا النصارى ، فالخليفة المهدي لما زار الموصل سنة ١٦٣ هـ/ ٧٧٩ م واشتكى اليه النصارى بامر هدم بيعتهم التي كانت مجاورة لمسجد المسلمين ، فاستطاع الخليفة ان يوفق بين النصارى والمسلمين وأرضى الجميع (١) ثم ان قاضي الموصل قد غضب عليه سكانها بسبب بيعة مستحدثة في مدنهم ولكنه لم يأبه لغضبهم مراعيا في ذلك الروح السمحة للدين الاسلامي (٢) وفي سنة ١٩٨ هـ/٨١٣ م . أمر والي حران ابراهيم القرشي باعادة بناء مـا حطمه بالتدريج وسرعان ما جددت البيع والكنائس والتي هدمت (٣)

وفي عهد عبدالله بن طاهر الذي تولى الجزيرة والشام ومصر - في عهده نعم النصارى بحريه دينية واسعة اضافة الى ما كانوا يتمتعون به في السابق ، فقد وفد اليه العرب من حران والرها وسميساط يسألونه هدم الكنائس التي استحدثت في السنوات العشر الاخيرة فرفض سؤالهم قائلا لهم ان هؤلاء النصارى المنكوبين لم يستحدثوا

= الفلسطينية م ١ عدد ٢ ، (بغداد)١٩٧٢ » ص ٥٨ - ٥٩ .

(١) راجع تفقد الخلفاء للجزيرة في الفصل الاداري ،

(٢) راجع القضاء بالجزيرة .

(٣) Hebraeus، chronicle . p .129 ، Aronymous Syriac Chronicle ، c . s . C . o . ser .

عشر الكنائس التي هدمت أو خربت (١) .

ومن ملاحظة الشواهد التأريخية التي ذكرت تبين لنا ان النصـارى تمتعوا بقسط وافر من الحرية والتسامح الديني في ظل الحكم الاسلامي في الجزيرة الفراتية . فاضافة الى ما ذكر من الشواهد السابقة يمكن تفسير كثرة وتعدد الاديرة المسيحية خير دليل ونموذج لهذه الحرية الدينية .

ومن مظاهر التسامح الديني للدولة الاسلامية تجاه النصارى . هو كثرة وتعدد الاديرة في انحاء متفرقة من مناطق الجزيرة الفراتيه وخاصةً مدينه الموصل (٢) وتكريت التي قال عنها ابن حوقل « ... مدينة أزلية تجمع سائر فرق النصـــارى وبها من البيع والاديرة القديمة التي تقارب عهد عيسى (ع) وايام الحوارين ولم تتغير وثاقةً وجلداً ... » (٣) كما تتواجد عدة اديره في مدينة جزيرة ابن عمر

(١) Ibid . p 129

(٢) راجع الشابشتي ، الديارات ، الصفحات ١٧٦ ـ ١٧٩ ، ١٨٤ ـ ١٨٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، وابن حوقل صورة الارض ، ص١٩٦ ، والحموي ، معجم البلدان ٤٧٢/١ ، ٣٨/٢ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ , ٦٥١ ، ٦٥٨ ، ٦٦٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٧١٠ ، و٦٨٩/٤ ، وراجع القزويني . اثار البلاد ، ٣١١ ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ورحلة ابن جبير ، ص ١٨٦

(٣) صورة الارض ، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦وراجع ن . م ص١٩٦ ، الشابشتي ، الديارات ١٧١ ـ ١٧٢ الحموي ، معجم ٦٧٣/٢

ومنطقة جبل الجودي (١)

اما المناطق الشمالية للجزيرة الفراتية فتحتل مدينة الرها مركزاً هاماً بالنسبة للنصارى قال عنها البلاذري « أن اغلب اهلها نصارى » (٢) ويقول الاصطخري: « ان الرها الغالب على اهلها نصارى وفيها زيادة على ثلثمائة وستين دير وصوامع كثيرة وبها كنيسة عظيمة » (٣) وروي في عظم كنيستها بانها « من عجائب الدنيا الاربع »(٤) وتتواجد الاديرة أيضاً في عدة مدن كميافارقين (٥) ، وسعرت (٦) ، ونصيبين ، (٧) والرقه (٨) . وغيرها من المدن الاخرى

---

(١) راجع الحموي ، معجم البلدان ، ج٢/٦٤٤ ـ ٦٤٥ ، ٦٥٣ ، ٦٦٣ ، ٦٧٨ ، ٦٩٨ ، ٧٠٤

(٢) فتوح البلدان ، ص ١٧٦

(٣) الاقاليم ، ص ٤٢

(٤) الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص٤١٦ وراجع ابن عساكر تأريخ مدينة دمشق م١ ق١ (دمشق ، ١٣٧٣)ص ٢٦ ، الاصطخري مسالك الممالك ، ص٧٦ ، ابن حوقل صورة الارض ، ص٢٠٤ ، المسعودي التنبيه والاشراف (القاهرة ، ١٩٣٨)ص١٢٤ ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٣٤ ، السمعاني،الانساب ٦/٢٠٤ ،

(٥) الشابشتي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٤

(٦) ن . م ، ص١٩٨

(٧) ن . م ،ص ١٩١ ـ ١٩٢ ، الحموي ، معجم ٦٦٣/٢

(٨) الشابشتي ٢١٨ ، الحموي ، المشترك ، ١٨٩

اليـــهود :

يتواجد اليهود في الجزيرة الفراتية الا ان مصادرنا لا تقدم لنا معلومات كافية عن هذه الطائفة الدينية في هذا الاقليـم . ويظهر ترتون عجبه من المؤلفين المسلمين لانهم قلما يشيرون اليهم وقلما يرد ذكرهم في كتب الفقه التي تقصر كلامها في الغالب على النصارى ،فلا جرم ان يتبادر الى الذهن انهم فئة ضئيلة ليست بذات خطر (١) على حد تعبير ترتون . ولكن بنيامين يشير الى أن هجرة اليهود الى العراق والى عدد من مناطق الجزيرة قد بدأ حينما أشتد ضغط الرومان على احبار اليهود في فلسطين . فلم يعد بمستطاعهم الاستمرار على الدرس والبحث بحرية وأمـان ، وأضـطر عدد كبير منهم الى الهجرة الى العراق فنشأت على الفرات مدارس كبرى بجوار الحلة وفي حديثة الفرات(٢) . ويذكر المقدسي الى انهم يسكنون في مدينة نصيبين (٣) . ويبين لنا بنيامين وجود عدد من اليهود ببالس ، وقلعة جعبر والرقه التي بها كنيسة لهم . وكذلك في مدينة حران ، ورأس العين ونصيبين ، وجزيرة ابن عمر التي بها كنيسة ايضـا (٤) وكذلك

(١) ترتون ، اهل الذمة في الاسلام ، ص٩٧ .

(٢) بنيامين ـ رحلة بنيامين ـ ترجمة ، عزرا حداد :ملحق ٣ (بغداد ١٩٤٥) ص ١٩٧ .

(٣) المقدسي ، احسن التقاسيم . ص ١٢١ ـ ١٢٣

(٤) ن . م . ١٢٧ ، الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ٢٠ ، مجلة المشرق ١٩٣٤ ص ٤٢٩ ـ ٤٣١ .

يتواجدون بالموصل وبها كنيسة لهم (١) . ومنهم عدد قليل بالرحبة وقرقيسيا ، هذا كل ما تضمنته مصادرنا من المعلومات عنهم .

الصـــابئة :

يتواجد الصابئة في الجزيرة الفراتية ، ويتركزون في مدينة حران ، ويرى باون ان واقع هذه الفرقة ، أنها تباشر طقوسا عتيقة تدخل في اطار الوثنية (٢) ويرى حتي أن صابئة حران يختلفون عن الصابئة البابليين وليسوا من الصابئة حقا ، وقد اخطأ مؤرخوا العرب في التمييز بين الفريقين فصابئة حران في الواقع وثنيون يقولون بالثنوية الالهية وقد أتخذوا الصابئة لهم اسما بعد مجيء الاسلام ـ ليضمنوا لانفسهم الامان الذي منحه الاسلام لاهل الكتاب ومن جاراهم ثم لصق بهم هذا الاسم (٣) وربما قصد بهم المشركون حينما كان الوضع قبل الخليفه المأمون قائما على اساس أن الجزية تؤخذ من المشركين على ان المأمون لم يقر هذا الوضع ولم يعترف به اذ خير وثني حران بين امرين لا ثالث لهما اما الاسلام واما القتل (٤) وكانوا قد صولحوا عند الفتح بما صولح عليه نصارى الرها (٥) .

---

(١) بنيامين ، ص ١٢٧ ـ ١٢٩ .

(٢) bowen , Ali Ibin Isa , p . 138

(٣) فيليب حتي ، تاريخ العرب المطول ، جـ٢ (بيروت ، ١٩٥٣) ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ .

(٤) راجع ابو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٧٥

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ١٧٨ .

ونظرا لتركز الصابئة في حران فانها سميت مدينة الصابئة وبها سدنتهم (السبعة عشر) وبها تل عظيم عليه مصلى للصابئين يعظمونه وينسبونه الى نبي الله ابراهيم عليه السلام (١) ، قال المقدسي : «ومعدن الصابئين بالرها وحران فى جميع المملكة » (٢) .ولهم بحران مراكز دينية مشابهة لصابئة بلخ وان صابئة حران لا علاقة لهم بطوائف الصابئه الاخرى كصابئة الحجاز ، لان هؤلاء حنفاء ، وهم في نظر العلماء المسلمين اصحاب ابراهيم (ع)؛ ممن كان بحران وممن كان على دعوته وذلك لان صابئة حران المقصودة في بحثنا من الذين كفروا من الصابئة فاشركوا واعتقدوا بالكواكب (٤) وانهم كانوا من عباد الاله سين ثم انتحلوا اسم الصابئة زمن المأمون (٥) كما ان صابئة

---

(١) البلاذري , فتوح البلدان ، ١٧٨ .

(٢) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٢

(٣) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٤

(٤) د . جواد علي , تاريخ العرب قبل الاسلام ، (بغداد ، ١٩٥٥) ٣١٠/٦ .

(٥) د . صالح العلي ، محاضرات فى تاريخ العرب (بغداد ، ١٩٦٠) ص ٢٩٧ . عن الصابئة راجع المسعودي « ويقول عن الصابئة هم الحنفية ، التنبيه والاشراف ، ص ١٣٧ ، وابن خلدون ، المقدمة (بيروت . لا . ت) ص ٣٥٦ .

حران لا علاقة لهم بصابئة العراق (*) المندائين والمغتسلة الذين عبادتهم مزيج من بقايا العبادة البابلية القديمة والمسيحية ، ولا يوجد دليل على كونهم كانوا في الحجاز (١) وقد عرف صابئة حران قبل تسميتهم بذلك بالحرنانيه وعرفت مذاهبهم باسم مذهب الحرنانية(٢) وتسموا بالصابئة زمن الخليفة المأمون (٣) وكان اسم الصابئة غير

---

(١) د. صالح العلي ، المرجع السابق ، ص ٢٩٧

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٧٨ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣١٨ ، وعن معتقداتهم راجع ن٠م ص ٣١٨ ، و ٣٢٦-٣٢٧

(٣) الالوسي ، (بلوغ الارب في معرفة احوال العرب) (القاهرة ، ١٩٢٤) جـ٢/ص٢٢٣ - ٢٢٤

(*) وهؤلاء القوم كثيرون بنواحي البطائح يقولون بالاغتسال ويغسلون جميع ما يأكلونه ورئيسهم يعرف بالحسيدح وهو الذي شرع الملة ويزعم ان الكونين ذكر وانثى وان البقول من شرع الذكر وان الاكشوث من شرع الانثى وان الاشجار عروقه ولهم اقاويل شنيعه تجري مجرى الخرافة وكان تلميذه يقال له شمعون وكانوا يوافقون المانويه في الأصلين ويفرق ملتهم بعد ومنهم من يعظم النجوم الى وقتنا هذا أبن النديم (الفهرست ، ١٩٤٦) قطر كوستاف فلوكل ص ٣٤ . عن هؤلاء راجع الحسيني ، الصابئون في حاضرهم وماضيهم (صيدا ، ١٩٥٨) ص ٣٥ - ٣٦ .

معروف الى هذا الوقت في الجزيرة (١) ، ويرى الالوسي ان صابئة حران قسمان حنفاء مشركون يعبدون الكواكب وطوائف منهم يصومون شهر رمضان ويستقبلون في صلواتهم مكة ويحجون اليها ويحرمون الميته والدم ولحم الخنزير ... الخ (٢) .

وعند زيارة الخليفة المأمون للجزيرة الفراتية وهو في طريقه لغزو بلاد الروم ، تلقاه الناس وفيهم جماعة من الحرنانيين وكان زيهم آنذاك لبس الاقبية وشعورهم طويلة بوفرات ، فانكر المأمون زيهم وقال لهم : « من انتم من الذمة ؟ فقالوا نحن الحرنانيه ، فقال : انصارى انتم قالوا : لا ، قال : فيهود أنتم قالوا : لا قال : فمجوس انتم قالوا : لا . قال لهم : أفلكم كتاب ام نبي فجمجوا في القول فقال لهم : فأنتم اذا الزنادقة عبدة الاوثان واصحاب الرس في ايام الرشيد والدي وانتم حلال دماؤكم لاذمة لكم فقالوا نحن نؤدي الجزية فقال لهم : انما تؤخذ الجزية ممن خالف الاسلام من اهل الاديان الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه ولهم كتاب وصالحهم المسلمون على ذلك فانتم ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء فاختاروا احد امرين اما ان تنتحلوا دين الاسلام او دينا من الاديان التي ذكرها الله في كتابه والا قتلتكم عن اخركم » (٣) ورحل المأمون بعد ان انذرهم الى حين

(١) فازليف ، العرب والروم ، ص ٩٢ ـ ٩٣

(٢) الالوسي المصدر السابق
جـ٢ / ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤

(٣) الفهرست لابن النديم /ص ٣٢٠

رجوعه من بلاد الروم ، فغيروا زيهم وحلقوا شعورهم وتركوا لبس الاقبية ، وتنصّر كثير منهم وأسلم منهم طائفة ، وبقيت منهم طائفة كانوا يحتالون حتى انتدب لهم شيخ من اهل حران والذي اقترح عليهم(*) ان يطلقوا على انفسهم الصابئة على اعتبار انه اسم دين ذكر في القرآن الكريم فانتحلوه ، ثم ان المأمون توفي في سفرته تلك وانتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت لانه لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابئة ، ولما علموا بوفاة المأمون ارتد قسم منهم ممن تنصر وأسلم ورجعوا الى تقاليدهم القديمة غير ان المسلمون منعوهم من لبس الاقبية على اعتبار ان ذلك من لبس اصحاب السلطان وممن اسلم منهم لم يمكنه الارتداد خوفا من ان يقتل (١) وقد افتى بعض علماء الفقه المسلمين وهما الشيخان المعروفان بابي زرارة — وابي عروبة وهم علماء شيوخ اهل حران بالفقه والامر بالمعروف وسائر مشايخ اهل حران بعدم جواز الزواج بنساء حرانيات (صابئيات) وقالوا : «لا يحل للمسلمين نكاحهم لانهم ليسوا من أهل الكتاب » (٢) .

---

(١) ابن النديم ، المصدر السابق، ص٣٢٠ ـ ٣٢١ .

(٢) ن . م ، ص ٣٢١ .

(*) وكان هذا شيخ من اهل حران فقيه وقال لهم « قد وجدت لكم شيئا تحتجون به وتسلمون من القتل فحملوا اليه مالا عظيما من بيت مالهم احدثوه منذ ايام الرشيد لهذه الغاية أعدوه للنوائب » ، ويضيف ابن النديم « يقول : وانا اشرح (=)

وظل الصابئة بحـــران الى فترة متأخرة (١) يمارسون طقوسهم وتقاليدهم الدينية . وبقي للصابئة في حران من آثارهم قلعة المدور وهيكلا لهم فيها (٢) . اما بالنسبة للمجوس فان اقليم الجزيرة لم يتواجد فيه منهم احد (٣) .

---

(١) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص٣٢١

(٢) الانصارى ، نخبة الدهر ، ١٩١ .

(٣) المقدسي احسن التقاسيم ، ص ١٤٢ .

(=) لك أيدك الله السبب في ذلك فقال لهم اذا رجع المأمون من سفره فقولوا له نحن الصابئون فهذا اسم دين ذكره الله جل اسمه في القرآن . فانتحلوه فانتم تنجون به وقضي ان المأمون توفي في سفرته تلك بالبذندون وانتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت لانه لم يكن بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابئة فلما اتصل بهم وفاة المأمون ارتد اكثر من كان تنصر منهم ورجعوا الى الحرنانية وطولوا شعورهم حسبما كانوا عليه قبل مرور المأمون بهم الا انهم صابئون ومنعهم المسلمون من لبس الاقبية لانها لبس اصحاب السلطان ومن اسلم منهم لم يمكنه الارتداد خوفا من ان يقتل فاقاموا مستترين بالاسلام فكانوا يتزوجون نساء حرانيات ويجعلون الولد الذكر مسلما والأنثى حرنانية وهذه كانت سبيل كل اهل ترعوز وسلميسن القريتين المشهورتين العظيمتين بالقرب من حران الى منذ نحو عشرين سنة (ابن النديم ن . م . ص ٣٢٠ - ٣٢١)

الفصل الثاني

الوضع الاقتصادي في الجزيرة الفراتية

تتمتع الجزيرة الفراتية بموارد اقتصادية متنوعة ووفيرة , وقد ادت وفرة هذه الموارد الاقتصادية الى جعل الجزيرة مسرحا لكثير من الاحداث التاريخية التي تناوبت فيها على مختلف مراحل التاريخ .

ونستطيع تلخيص الوضع الاقتصادي للجزيرة بدراسة مظاهر الحياة الاقتصادية فيها كالزراعة والصناعة والتجارة ، وغيرها من الشؤون المالية والاقتصادية .

الزراعة :

اشتهرت منطقة الجزيرة الفراتية بالزراعة الواسعة منذ أقدم العصور , وهي تعتمد بالدرجة الاولى على الامطار ـ خاصة بالشتاء ـ والرى المعتمد على الانهار ففي وادي الفرات توجد منطقة تمتد من الشمال الى هيت جنوبا ، عثر في اوائل القرن التاسع عشر فيها على بعض انواع من الشعير والقمح نامية نموا طبيعيا (١) . خاصة في الشمال الغربي من عنـــه على الضفة اليمنى للفرات . وهذه المناطق هي من بين المواطن الاصلية لهذه النباتات منذ ازمنة قديمة ، حيث انتشرت منها (٢) .

(١) ديلابورت ، الحضارة البابلية والاشورية (ميزوبوتاميا) ترجمة ، محرم كمال ، (القاهرة ١٩٤٤) ص ١٥ . ابراهيـــم شريف ، الموقع الجغرافي للعراق ٥٩/٢ .

(٢) الشريف ـ المرجع السابق ٥٩/٢ .

ويشير الدكتـور شـريف الى ان الجزيرة تتمتع بمعظم المميزات التي تتطلبها حياة الاستقرار الزراعي ، ففيها تتوفر الاراضي الخصبة ، وبعض العوامل التي تساعد على الاحتفاظ بهذه الخصوبة ، كما تتوفر فيها مياه الري (١) ولعل مما ساعد على وفرة الزراعة فيها ، انها كانت تتمتع بمختلف مقومات الحياة الزراعية من خصوبة التربة ووفرة المياه من انهار وعيون وينابيع والمناخ المعتدل الممطر ، وتشير المصادر الى ان سكان المنطقة أستعملوا عددا كبيرا من وسائل رفع المياه (٢) ، وقد اشاد مؤرخ الجزيرة داينوسيوس التلمحري بكفاءة ارض الجزيرة الزراعية فذكر بان ارض الجزيرة قد اشـتهرت بكرومها وحقولهـا وثروتها الحيوانية ولايكاد يوجد مكان فيها الا وهو صالح للزراعة وبالفعل هو مزروع (... ففي كل بقعة كان المحراث ، وكان الفلاحون يستطيعون ان يزرعوا كروما ... » (٣)

انتشرت الزارعة في مختلف مناطق الجزيرة الفـــراتية الشرقية والغربية والوسطى ، واشتهرت بعض مناطقها ببعض الاصناف الممتازة من المنتوجات الزراعية ، فقد اشتهرت ميافارقين « بكثرة الفواكه

---

(١) الموقع الجغرافي ، ٢/ ٥٩

(٢) قدامة ، الخراج ، ورقة ٨٧ أ « كالدوالي والدواليب والفرانات والمنجونات والنواعير »

(٣) The Chronicle of Dionysius oe Tellmahre ' P. 98.

والاشجار » (١) . وكذلك آمد التي كانت ذات شهرة كبيرة بأشجارها واثمارها وزروعها (٢) ، كما تتحدث المصادر عن اشتهار جزيرة ابن عمر (٣) وبلد (٤) وحديثة دجلة (٥) بسعة مزارعها وكثرة بساتينها . وقد أسهبت المصادر في وصف الزراعة في منطقة الموصل التي كانت كثيرة الضياع التي تزرع فيها الحنطة والشعير والكتان ، فكان رستاقا قردى وبازبدى تتجاور فيهما الكثير من الضياع العامرة الواسعة الوفيرة الانتاج (٦) كما اشتهرت منطقة « الحيال » بمختلف انواع الغلات والفواكه التي كان البعض منها يجفف لاغراض الخزن والتصدير ، وكذلك الحال بالنسبة لرستاقي معلثايا وفيشابور اللذين كانا « يعتبران من نفائس الاعمال ومحاسن الكور وهما كثيرا الغلات والخيرات » (٧) وقد اشار المقدسي بشهرة رستاق معلثايا فوصفه بانه من اشهر رساتيق الموصل حيث يصدر الاعناب والفواكه كما

(١) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٢ .

(٢) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٧٥ ، القزويني ، اثار البلاد ، ص٤٩١ ، ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٨٧ .

(٣) الاصطخري ، مسالك ، ص ٧٥ ، والاقاليم ، ص ٤١ ـ ٤٢ .

(٤) الاصطخرى ، مسالك ، ص ٧٣ .

(٥) ن . م . ص ٧٥ ، الاقاليم ص ٤١ ـ ٤٢ .

(٦) صورة الارض ، ص ١٩٦ .

(٧) ن . م . ، ص ١٩٦ .

يصدر القنب (١) ، وقد اشتهرت منطقة بلد من الموصل بكثرة الاشجار والثمار والخضر والفاكهة والكروم (٢) . كما ان قرية واسط شرقي الموصل ذات بساتين كثيرة ؛ وتكثر اشجار الزيتون والنارنج على نهر بعشيقه (٣) وعرفت قرية باصفرا شرقي الموصل بكثرة بساتينها وخاصة الكروم التي يستمر قطافها حتى الشتاء (٤) ، اما قرية السلامية فقد أشتهرت بانتاج الكروم وبانها ذات بساتين ونخيل (٥) وقد اشتهرت قرية شرملا شرقي الموصل بانتاج الرمان (٦) وكان في نواحي الموصل في باجرمي بججبل قنديل وقد سمي بجبل شعران لكثرة اشجاره ، وقد عرفت هذه المنطقة بزراعة الكمثرى والعنب وغيرها من الفواكه ، وكذلك بانتاج انواع جيده من الاخشاب حيث تنمو اشجار ضخمة كانت تصدر الى منطقة السواد (٧) اما مناطق طلبا والجحشيه وتنينير والعبيدية ففيها اشجار وكروم وسفرجل موصوف (٨) وفي مواســـم

---

(١) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

(٣) الحموى ، معجم ، ٤٧٢/١ .

(٤) ن . م . ٤٧١/١ ـ ٤٧٢ .

(٥) ن . م ، ١١٩/٣ ، العمرى ، منية الادباء ، ص ١٥١ .

(٦) الحموى ، معجم ٢١٨/٣ ، ابو الفداء تقويم البلدان ، ص ٢٧٤ .

(٧) ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٣١ .

(٨) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

الصهيود وانخفاض مناسب الانهار تظهر في وسط الانهار جزر صغيرة اعتاد الاهلون على زراعتها بالقثاء والخيار (١)، وبالقرب من بعشيقة، شرقي الموصل، مركز مشهور لتجمع المياه الجوفية التي كانت تنبثق الى سطح الارض على شكل عين فواره كثيرة المياه، اعتاد سكان المنطقة زراعتها بنباتات خاصة يصنع منها صبغ النيله وكان ذلك من ابواب الدخل اذ يدخل في الضمان ويجبى منه مبلغ معلوم سنويا لبيت المال (٢) ويعتبر نبات حب الـــزلم الذي ينبت بارض شهرزور من بين النباتات التي تستعمل لعلاج بعض الامراض وهو من ابواب الدخل بطبيعة الحال (٣).

وهكذا فان مناطق حوض دجلة تنتج انواعا مختلفه من المحصولات الزراعية التي تفيض عادة عن حاجة السـكان ينجم عنه الاتجار بها الى مختلف انحاء الدولة الاسلامية.

اما في حوض الفرات فقد اشتهرت سميساط ومنبج بكثرة بساتينها وزروعها (٤)، كما اشتهرت الرقه بزيتونها (٥) والرافقة باعنابهـا وتوتها (٦) اما منطقة قرقيسيا فهي من المــناطق المشهورة بجودة

---

(١) القزويني، اثار البلاد، ص ٤٦٢.

(٢) ن. م. ص ٣٨٣.

(٣) الجاحظ، التبصر بالتجارة (القاهرة، ١٣٤٥ هـ/١٩٣٥ م) ص ٢٥

(٤) الاصطخرى، مسالك الممالك، ص ٧٦.

(٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٤١ ـ ١٤٢.

(٦) ن. م. ص ١٤١ ـ ١٥٢.

بساتينها التي تكثر فيها مختلف اصناف اشجار الفاكهة والزروع (١) وقد وصفها ابن حوقل بقوله : « انها نزيهة في نفسها ويجلب من فواكهها وفواكه الخابور الى العراق في الشتاء » (٢) واشتهرت الرحبة بكثرة اشجارها (٣) وخاصة انواع محسنة من السفرجل الفائق (٤) وكذلك انواع متعددة من الفواكه التي يبدو ان الاهلين اعتادوا تطعيمها وانتاج اجناس جديدة نتيجة ذلك ، فقد تمكنوا من انتاج تسعة عشر نوعا من الاعناب (٥) . واشتهرت مناطق عنه والعبدلية والنهية (٦) ، وهيت بزراعة النخيل والكروم (٧) .

وهكذا فان مناطق حوض الفرات قد اشتهرت بانتاج انواع متعددة من المنتوجات الزراعية والفواكه وعرفت بكثرة بساتينها وخاصة بساتين النخيل ، والتي تجود زراعته في هذه المنطقة من الجزيرة .

اما بالنسبة للمناطق الداخلية والوسطى فتعتبر منطقة ماردين من المناطق المعروفة بزراعة اشجار الفاكهة والكروم (٨) . وكذلك

---

(١) الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ٧٦ ،

(٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

(٣) الاصطخرى ، المصدر السابق ، ص ٧٦ ـ ٧٧

(٤) المقدسي ، المصدر السابق ص ١٤٥

(٥) القفطي ، تاريخ الحكماء (لايبزك ؛ ١٣٢٠ هـ) ص ٢٩٥

(٦) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

(٧) الاصطخرى ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٨) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

المنطقة المحيطة بمدينة نصيبين والتي كانت معروفة منذ الفتح الاسلامي « بكثرة الثمار ورخص الاسعار » وكانت من احسن بقاع الجزيرة ، واكثرها فواكهاً ومياها ومنتزهات وخضرة نضرة اضافة الى سعة غلاتها من الحبوب والقمح والشعير والكروم ، وكان للمدينة ضياع واسعة ، ويبدو أن تربية الاغنام والمواشي كانت رائجة فيها (١) وتذكر المصادر ان في المنطقة المحيطة بنصيبين عددا كبيرا من البساتين (٢) ، ولا ريب في ان خصوبة تربتها ووفرة مياهها لوقوعها على الخابور قد جعلها تشتهر بهذه الحاصلات مما جعلها تنافس في انتاجها الزراعي مناطق الجزيرة الاخرى . وتعتبر منطقة سروج من المناطق الزراعية المشهورة بكثرة الفاكهة فيها حيث تكثر فيها الاعناب واعتاد المزارعون بتجفيف البعض منه « زبيبا » واستخراج (عصير العنب) منه مما يشير الى كثرته (٣) ، وبالاضافة الى ذلك فقد اشتهرت المنطقة بانتاج الرمان الجيد والكمثرى والخوخ والسفرجل (٤) واشتهرت حران وعرابان بجودة اقطانها (٥) كما تعتبر المنطقة المحيطة بمدينة رأس العين

---

(١) ابن حوقل ، المصدر السابق ص ١٩١

(٢) الحموي ، معجم ، ٧٨٧/٤ .

(٣) الاصطخري الأقاليم ،ص ٤٤ ، ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص٢٠٧

(٤) ابن سعيد المغربي ، بسط الارض في الطول والعرض ، ص ٨٨ .

(٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ . ، ابن حوقل ، المصدر السابق ص ٢٠٠

من المناطق المعروفة بزراعة الاقطـــان (١) حيث تكثر فيها الوديان الخصبة المشهورة بجودة انتاجها (٢) اما تل عفر فعرفت بزراعه اشجار الفاكهة كالتين والرمان والكروم (٣) وفيها عدد من بساتين النخيل (٤) ومن بين مناطق الجزيرة التي تشتهر بزراعة النخيل سنجار والتي يصفهـا الاصطخري فيقول بانه : « ليس بالجزيرة بلد فيه نخل سوى سنجار الا ان يكون على الفرات وبهيت وتلعفر » (٥) ويزرع فيها الرمان والقصب والسمـاق (٦) والترنج والنـارنج (٧) كما وان حبزان كثيرة الاشجـار وخصوصـا شجرة البندق (٨) وتشتهر الجزيرة عامة بجودة انتاجها من التين (٩) .

من كل ما تقدم يتبين لنا ان الجزيرة كانت تتمتع بانتاج زراعي واسع تتوزع على مختلف مناطقهـــا ، ويلاحظ ان الزراعة فيها قد

(١) الاصطخري ، مسالك ، ص ٧٣ ـ ٧٤ .

(٢) ابن حوقل ، المصدر السابق ص ٢٠٠

(٣) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٨٩ .

(٤) الاصطخري ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٥) ن ، م ، ص ٧٣ .

(٦) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٥

(٧) الحموي ، المصدر السابق ٣/١٥٨ .

(٨) ابو الفداء ، المصدر السابق ، ص ٢٨٣ .

(٩) ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٢٠

أتسعت وتركزت على ضفاف النهرين وروافدهما . وكانت كميات الانتاج تسد حاجة السكان وتفيض عنه ، حيث يصدر الفائض الى اقاليم اخرى . وان طابع النشاط الاقتصادي البشري قد تركز خلال تلك الحقبة على الزراعة بينما لعبت الجوانب الاقتصادية الاخرى ادوارا اقل اهميه تختلف من منطقة الى اخرى .

القطائع في الجزيرة الفراتية : (*)

يرجع ظهور الاقطاعات في منطة الجزيرة الفراتية الى عهد الفتح الاسلامي سنة ١٦ هـ فقد ذكر البلاذري « بان اراضي بلد وديار ربيعة والبرية هي اعشار وان حكمها حكم ما اسلمت عليه العرب

(*) الاقطاع ان يقطع السلطان رجلا ارضا فتصير له رقبتها وتسمى تلك الارضون قطائع واحدتها قطيعة (الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، (القاهرة ، ١٣٤٢) ص ٤٠ وتعني في الأصل عملية المنح والعطاء ، وبالنسبة للارض تعني تحديد او منح قطعة من الارض و ترجع عملية الاقطاع الى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث كان (صلى الله عليه وسلم) يمنح بعض اصحابه ارضا ، واستمرت عملية منح الاراضي فى خلال العهد الراشدي والاموي والعباسي ، انظر ، ابو يوسف (الخراج ، القاهرة ، ١٣٠٢ هـ) ص ٦١ ـ ٦٢ والماوردي ، (الاحكام السلطانية (القاهرة ، لا . ت) ص ١٨٣ ـ ١٨٩ ، د . حسام السامرائي ، المرجع السابق (في الفصل الخاص بالاراضي) ، =

أو عمرته من الموات الذي ليس فيه يد أحد ،أو رفضه النصارى فمات وغلب عليها الدغل فاقطعه العرب » (١) وشاعت الاقطاعات في العصر الاموي وشمل ذلك منطقة الجزيرة ايضاً . فقد أستصفى الخليفة معاوية صوافيـاً في عدد من اقاليم الدولة الاسلامية فعمر فيها « وأقطعها اهل بيته وخاصته » (٢) وقد أقطع معاوية عدداً من الاشخاص الذين وفدوا اليه من الحجاز قطائع في نصيبين ، ثم استعـاد ذلكَ منهم وأبدلهم بقطائع جديدة في منطقة الرها (٣) وقد استمرت هذه القطائع في يد أصحابها الى نهاية العــصر الاموي حيث أنتقلت الى الخليفة ابي العباس (٤) وبعد وفاة مسلمه بن عبد الملك صارت بالس وقراهـا

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٨٤

(٢) اليعقوبي ، تأريخ (بيروت ، ١٩٦٠) ص ٢٣٤

(٣) ابن الكلبي ، جمهرة النسب الكبير ، مخطوط الاسكوريال (تحت رقم Arabe 1968) ورقة ٩٧

(٤) البلاذري المصدر السابق ، ص ١٨٤

= احمد الجاسر ، (القطائع النبوية) مجلة العرب ج ٣ السنة ٨ (الرياض ، ١٩٧٣) ص ١٧٧ ـ ١٩٠ . مع ، Awad AL_Adhami
The Role of the Arab provincial Governors in Early Islam ، p. 270. (رسالة دكتوراه غير منشورة)
Encyclopedia of Islam (New _ ed.) ، art. ، (IKTA)

لورثته فلم تزل في أيديهم حتى مجيء العباسيين (١) وكا ـ الخليفة هشام أبن عبد الملك قد أقطع عائشه ابنته قطيعة برأس كيفا تعرف بها كما كان لهشام ضياع في الرها ، وصوافي من ربض حران (٢)

ويروي البلاذري ان الجزيرة التي كانت بيد هشام بن عبد الملك أبن مروان كانت أصلاً لقوم يعرفون ببني بريضة فاشتراها منهم هشام بن عبد الملك بن مروان بسبعين الف درهم ، وغرس بها النخيل والأشجار فكانت كأحسن ما يكون . فلما سقطت الدولة الاموية خرج أهل المدن القريبة منها فقطعوا الاشجار والنخيل ، فلما ملك بنو العباس أستصفوها لهم ووزعوها على انصارهم (٣) وقد اتسعت القطائع في الجزيرة الفراتية وازداد عددها أبتداءاً من وصول العباسيين الى السلطة ، ولعل ذلك كان بسبب رغبة الخلفاء في مكافأة المخلصين لهم او اولئك الذين ابلوا بلاءً حسناً في نصرتهم في معارك العباسيين في الجزيرة ، وخاصة بعد أن استولى الحكم الجديد على صوافي الامويين وقطائعهم . وكان وائل بن الشحاج الازدي من بين الذين شملهم اقطاع العباسيين في منطقة الجزيرة . وتشير المصادر الى ان ذلك كان لأنه أول من اعلن أنتصاره للعباسين بعد هزيمة مروان بن محمد في معركة الزاب حيث أنضم وائل الى قوات عبدالله بن علي حين قدم الى

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ٤٧٨/١

(٢) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ١٨٥

(٣) الازدي ، تأرتخ الموصل ص١٧٢

الموصل وأسهم معه في مطاردة مروان « فحسن أثره وتبين عبدالله بن علي شجاعته وطاعته فاحسن الثناء عليه عند ابي العباس فـأقطعه القطيعه الاولى » (١)

ونقيت قطائع بني امية في نصيبين والرها في أيدي اصحابها الى أن انتقلت الى الخليفة أبي العباس الذي أقطعها الى ميمون بن حمزه مولى عبدالله بن عباس ثم ابتاعها الرشيد من ورثته وهي من ارض الرقه (٢) كما أن اراضي وقرى بالس أنتقلت ايضاً للعباسيين حيث أقطعها ابو العباس لمحمد بن سليمان بن عبدالله بن عباس ، فلما مات صارت للرشيد فاقطعها لابنه المـأمون ثم صارت لولده من بعده (٣)

اما بالنسبه لاقطاعات العباسيين لانصارهم ، فقد اقطع وائل أبن الشحاج بعض القطائع الاموية الأصل (وكانت تعود لهشام بن عبد الملك ومروان ولورثتهم من بعدهم ، في مناطق قريبه في الموصل (٤) وفي سنة ١٣٦ هـ أمر الخليفه ابو العباس باقطاع وائل بن الشحاج الازدى قطيعه بربض مدينة المرصل الاسفل في الارض المعروفه بقطائع بني وائل وكان نص كتاب الخليفه ابو العباس لوائل

---

(١) الازدى ، المصدر السابق ص ١٥٨ ـ ١٩٥

(٢) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ١٨٤

(٣) الحموي ، معجم البلدان ، ٤٧٨/١

(٤) الأزدي ، المصدر السابق ، ص ١٧٢

: « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عبدالله امير المؤمنين لوائل الشحاج ان امير المؤمنين اعطاه بالموصل قصراً من لبن وطين كان بيد هشام بن عبد الملك الاموي وارضاً — ذكر مساحتها في السجل وكان حقا هو لها مضاف . وان بدا لامير المؤمنين فيما اعطاه منها هو احق به ولم يعطه امير المؤمنين لمسلم ولامعاهد » (١) وفي سنة ١٣٩ هـ أقطع الخليفة المنصور وائل الشحاج الازدي ما تبقى من قطيعة الموصل في الصوافي وكان نص الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم : من عبدالله امير المؤمنين لوائل بن الشحاج الازدي : ان امير المؤمنين اعطاه ارضاً من الصوافي بالموصل الى جانب ارضه وقصره الذي كان ابو العباس اعطاه اياه باسفل الربض وتكون مساحته دار زياد الحداد ، في ربض الحضر الاسفل ثم يلزم دجله منتصباً حتى ينتهي الى الخليج الاسفل الذي يلي جزيرة بني الحبحاب ثم ينحدر مع جزيرة بني الحبحاب حتى ينتهي الى جزيرة ابي ثور ، وحدها مايلي القبله في وسط دجله بين الطريق الذي اسفل دار زياد الحداد ثم يأخذ مع البستان ، وحائطه مما يلي ارض المدينه الاسفل حتى ينتهي الى ركن الحائط الذي عند تل المصلوب . وحدها الغربي من عند رحى امير المؤمنين منحدراً مع النهر مقابل ارض عمران ابن عطاء ، يلزم الجبل حتى ينتهي الى جزيرة ابي ثور ، وحدها الذي

---

(١) الازدي تأريخ الموصل ، ص ١٨٥ .

يلي القبله فيأخذ من جزيرة أبي ثور قاصداً في الخليج الاسفل حتى ينتهي الى دجله بحدود وذلك كله ومعالمه فأن بداللامير فيما أعطاه منها بداء فهي له . وهو احق بها وان حدث بامير المؤمنين حدث وهي بيده فهي له ، ولعصبته من بعده ، ولم يعطه امير المؤمنين حقاً لمسلم ولا معاهد شهد على ذلك الشهود : يحى بن سعيد ، وسفيان أبن معاويه القرشي ، وسليمان بن مجالد ، وسليمان بن ابي سليمان »(١) وكانت ضياع يحي بن الحر بن يوسف في ضواحي الموصل في الهريه وراس الأيل والعبيديه وباورد وغيرها ، ولما قتل يحي بمؤامره دبرهاله الامير اسماعيل بن علي والي الموصل استولى الاخير على ممتلكاتهم ، فانحدر أهله الى الخليفه المهدي يتظلمون مما لحقهم ، فأمر المهدي بردها اليهم وفاء منه لآل الحر بن يوسف على حسن صنعه مع العباسيين (٢) ثم تحولت ضياع الحر الاموي الى العباسيين الذين

(١) الازدى ، المصدر السابق ١٧١ - ١٧٢

(٢)كان ابو جعفر المنصور في العهد الاموي قد صار الى الحر بن يوسف زمن بني امية فوصله فشكر له ذلك ولما رد الخليفه المهدي ضياع الحر لاهله اعترض عليه عبد الصمد قائلا : « بلغني انك امرت برد ضياع الحر على ولده ، قال : نعم ، قال : أنشدك الله ان تجبر عظما كسره الله عز وجل . فامر ان تجرى عليهم ايام ابو جعفر وايام المهدي فلما ولي هارون قطعت عنهم الجراية فتفرقوا عن الموصل فساءت احوالهم الازدي ص ١٥٧ .

استصفوها لهم (١) .

على ان ابرز القطائع كما يبدو ما منح لوائل بن الشحاج الذي كان ذو مركز مرموق عند العباسيين ، حيث كانت مكافأتهم له بالاقطاع خير دليل على اعترافهم بجميله وحسن وجهته ومكافأة له على ذلك ، بل ان هذا الاقطاع لم يقتصر على وائل فقط انما أمتد الى ولده ففي سنة ١٨٠ هـ/٧٩٦ م سجل اسماعيل بن زياد القاضي امستار بن وائل بن الشحاج قطائع بني وائل قبل قدوم الخليفه الرشيد الى الموصل ، لانه حينما قدم عذبه ، ودفع الى مسرور بن حمدويه كتابا عتيقا ذكرانه نفس السجل الذي سجله اسماعيـــل بن زياد (فنسخت معانيه) (٢)

من كل ما تقدم يتبين لنا ان القطائع كانت عديدة وواسعة في الجزيرة ، حيث نجد ان القطائع التي منحت لوائل بن الشحاج كانت ذات طابع سياسي ، وذلك بمثابة مكافأة له من قبل العباسيين ، غير اننا نرى ان الخليفة المنصور قد اشار الى مسألة البداء حينما قال : « فان بدا للأمير فيما أعطاه منها بداء فهي له وهو احق بها واذا حدث بامير المؤمنين حدث وهي بيده فهي له ولعصبته من بعده » (٣) وهذا تطور يظهر في العلاقات بين المقطِع والمقطَع حيث كانت

---

(١) الازدى ص ١٥٧ .

(٢) ن . م ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٣) ن . م ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

القطائع الاولى مطلقة تصبح لمن اقطعت له ملكا بحق الاقطاع اذ نصت هذه الرواية على حق المالك (الخليفة) في الغاء الاقطاع للشحاج وفي استئناف مباشرته لحقه فيما أقطع . على انه يجب ان يشار هنا الى ان ما كان يباشره الخليفه عمليا هو حرية التصرف فى الاقطاع او في غيره من اصناف الملكيات اذا اقتضت الضرورة ، واجتهد رأيه في ذلك .

وينبغي الا ينصرف الذهن الى ان اراضي الجزيرة قد اصبحت قطائع بشكل عام فقد استمرت في اراضي الجزيرة الملكيات الصغيرة التي يمتلكها المزارعون (١)

الثروة الحيوانية

تتوفر المراعي الواسعة في الجزيرة حيث تعتبر موردا اقتصاديا مهما فيها ، وذلك لتربيه اعداد ضخمة من الحيوانات المتنوعة ، حيث أنها منطقة سهوب وهضاب ووديان غزيرة الامطار نسبيا ، وما زالت الى اليوم من اغنى مناطق الشرق الادنى في تربية الاغنام والمواشي (٢) وبالفعل فقد قال دانيوسيوس : « ان كل ارض الجـــزيرة مشهورة

(1) ' Fiscalite ' propriete ' Antagonismes Sociaux en Haute – Mesopotamia au temps des premiers ; Abbaside Dapres Denys de Tellmahre , Arabical (1954), p. 151.

(٢) السامر ، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ، ١٩٩/١ .

بحقولها وثروتها الحيوانية » (١) وتسمى المراعي التي تنتشر بالجزيرة بأسم المروج (*) ، ومن أشهر مروجها مرج عبد الواحد (٢) حيث روى انه كان حمى (**) للمسلمين قبل ان تبنى مدينتي الحدث وزبطره ، فلما بنيتا أستغني بهما حيث عمر ّوه واصلحوه وضمه الحسين الخادم الى الاحراز في خلافه الرشيد ، « ثم وثب الناس على مزارعه فغلبوا عليها حتى قدم عبدالله بن طاهر حيث امر برده الى الضياع »، (٣)

The Chronicle of Dionysius of Tellmahre (paris) (١)
p . 98

(٢) هو عبدالواحد بن الحارث بن الحكم بن ابي العاص وهو ابن عم عبدالملك كان المرج له فجعل حمى للمسلمين (البلاذرى ، المصدر السابق ، ص ١٨٥)

(٣) ن . م . ص ١٨٥ .

(*) المروج : الارض الواسعة فيها نبت كثير يمرج فيها الدواب اى تذهب وتجيء (الحموى ، معجم ، ٤٨٧/٤).

(**) الحمى : حميت المكان من الناس حميا ، واحميته بالاف جعلته حمى لا يقرب ولا يجترأ عليه (الفيومي المصباح المنير جـ ١ (بولاق ، ١٩٣٩) ص ٢٣٨ . ويرى الماوردى ان الحمى ترك الارض لكى تبقى حره للرعي (الاحكام السلطانية ص ١٨٤) ويذكر F . Lokkeguard انه كلمة الحمى غالبا ما تكون مرعى للقبائل البدوية ، والكلمة في اصلهاتعني المكان الذي =

وقد ذكر لنا ياقوت الحموى عددا من المروج كمرج الموصل ويعرف بمرج ابي عبيده عن جانبه الشرقي حيث يقع بين الجبال في منخفض من الارض شبيه بالغور فيه عدة مروج وقرى (١) ، وهناك مرج الضيازن قرب الرقه منسوب الى الضيزن صاحب الحضر (٢) ، وهناك مرج القلعة . وقد شك ياقوت في أمر هذا المرج سواء كان من مرج الضيازن أم من مرج الموصل (٣) .

ولعل أهم ما اشتهرت به الجزيرة في هذا المجـــال هو تربية الاغنام بصفة خاصة ، ولعل وفرة انتاج المنطقة وهو ما يميزها بشكل

= يتوفر فيه ماء وعلف للحيوانات وغالبا ما يكون منبع ماء او تتوفر فيه المياه .

Se F . Lokkeguard , Frde , Islamic Taxation in the classic period (Copenhagen , 1950 , pp . 20 – 21 .

(١) الحموى ، معجم ٤/٤٨٨ – ٤٨٩) المشترك وضعا ، ص ٣٩٤ : « وروي انما سمي بالمرج لان خيل سليمان بن داود (ع) كانت ترعى فيه فرجعت اليه خصبة فدعا للمرج ان يخصب اذا اجدبت البلاد وهو كذلك) .

(٢) الحموى ، معجم ٤/٤٨٩ وهو منسوب الى الضيزن بن معاوية بن الاجرام بن سعد بن سليح صاحب الحضر الذي قتله سابو ذو الاكتاف » .

(٣) الحموى ، مشترك ، ص ١٩٤ .

بارز ينعكس فيما تؤكده المصادر من اشتهارها بانتاج الاصواف على نطاق واسع ، واختصاصها بصناعة النسيج الصوفي الذي غالبا ما كان يصدر منها ، وكذلك اشتهارها بصناعة الجبن واللبن واللحم المجفف ، حيث كانت هذ المنتوجات تصدر الى خارج الاقليم لوفرتها وزيادتها (١) ، واشتهرت الجزيرة ايضا بتربية النحل فكانت ذات شهرة خاصة في انتاج العسل . وتشير قوائم الخراج الى ان الموصـــل كانت ترسل كميات من العسل مع واردات الخراج وصل وزنها اربعة وعشرين الف الف درهم وعشرين الف رطل (*) (٢) وكذلك الحال مع حران وغيرها من مدن الجزيرة الاخرى ، واشتهرت الجزيرة ايضا بجودة خيولها فتذكر المصادر انها كانت « ينبوع الخيل » (٣) ويصفها المقدسي بقوله انها « معدن الخيل العتاق » (٤) وفي رواية « الخيل الجياد » (٥) ومن « خصائص هذا الاقليم الخيول ... » (٦) واشتهرت

---

(١) يراجع الانتاج الصناعي (المنتوجات الحيوانية) كما سيمر بنا .

(٢) الثعالبي ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، (القاهرة ، ١٩٠٨) ص ٤٢٧ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الارض ، ١٩٠ .

(٤) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٧٦ .

(٥) ن . م . ص ١٤٥

(٦) ن . م .ص ١٤٥ .

(*) الرطل : يساوى (١٢) اوقية وتساوى كذلك١/١٠٠ من القنطار =

أيضا بالافراس الجزرية (١) واشتهرت الموصل بالاغنام والابقار وقال ابن حوقل في نصيبين بانها « كثيرة السمائمة والكراع » (٢) .

ومن الحيوانات التي اشتهرت بها الجزيرة عامة : الغنم والماعز والبقر ، والحمير (٣) وقد اشتهر دير زكي بكثرة ما يصاد فيه من الغزلان والارانب والطيور ، وما شاكل ذلك مما يصطاد بالجارح من طير الماء والحبارى واصناف الطير ، وفي الفرات كان يجرى صيد السمك باستعمال مطارح الشباك (٤) ، واشتهرت حديثة الموصل ايضا بكثرة الصيود فيها (٥) وكانت حران تصدر القبج (٦) واشتهرت الموصل بالدرّاج (٧) .

وخلاصة ما تقدم ، فان الجزيرة قد اشتهرت بوفرة وتنوع حيواناتها وخاصة الاغنام ، حيث وضح بشكل بارز انتاجها الذي كان الفائض

= (فالتر ، هينتس المكاييل والاوزان ، ترجمة د . كامل العسلي (عمان ، ١٩٧٠) ص ٣٠ .

(١) ابن الفقيه الهمداني ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٢) ابن حوقل ، المصدر السابق ص ١٩٣ .

(٣) Cahen , Op . Cit, p. 143 - 144

(٤) الشابشتي ، الديارات ، ص ٢١٨ .

(٥) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٩٨

(٦) المقدسي ، المصدر السابق ص ١٤٥ .

(٧) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٣٣ .

منه يصدر الى خارج الاقليم ، وكانت تجارة الاصواف وما ينسج منها رائجة ، اضافة الى ما توفره السوائم من منتوجات غذائية .

الصناعة :

تتميز الجزيرة بقيام عدد من الصناعات فيها ، اعتمدت على توفير المواد الاولية الاساسية في التصنيع التي يمكن ان نستعرض اهميتها في الصفحات التالية من البحث ،

ويمكن اعتبار المنتجات الزراعية والثروة الحيوانية من اهم المواد المشجعة على قيام حرف صناعيه غذائية فيها ، اما بالنسبة للصناعات التي تعتمد على المعادن فيجب علينا عند الدخول في تفاصيلها ان نتطرق الى ذكر أهم المعادن المتوفرة بالجزيرة .

المعادن :

تتوفر في الجزيرة الكثير من المعادن حيث اشار اليها الجغرافيون الذين ارخوا لجغرافية الاقليم ، ففي المنطقة الجبلية القريبة من آمد أشار ابن الفقيه الى وجود معادن ذات خاصيه مغناطيسية (١) غير ان هذه القوة المغناطيسية لم تجر الاستفادة منها اذ لم تشر المصادر

(١) قال ابن الفقيه الهمداني : (ان الجبل الذي بآمد فيه صدع فمن انتضى سيفه فاولجه فيه وقبض قبيعته بجميع يديه اضطرب السيف في يدية وارتعد القابض وان كان اشد الناس ، وفيه اعجوبة اخرى انه متى يحك بذلك الجبل سكين او حديد حمل =

الى الفائدة التي استحصلت من هذه الظاهرة ، ويكثر في منطقة آمد نوع خاص من الصخور الجيرية التي تستعمل - وخاصة في منطقة السواد - في صنع الارحاء ، وقد بلغ سعر القطعة الواحدة من هذه الاحجار في العراق خمسين ديناراً (١) كما عرفت الجزيرة بتوفر كميات من الصخور من الاصناف الاخرى وان ذلك اسهم في أن تقوم في مدنها الابنية المرتفعة كتعبير عن نهضة عمرانية عظيمة (٢) وقد اشتهرت الجزيرة ايضا بنوع معين من الاحجار السوداء ، لعلها احجار نارية ، كانت تستعمل في بناء اسوار المدن ، وقد بني سور آمد من هذا الصنف من الاحجار ، ولعل ابن حوقل قد بالغ في وصفه لهذا الصنف من الاحجار بقوله انه « ليس لحجارته في جميع الارض نظير » (٣) وكان بناء البيوت يحتاج الى الحجارة السوداء والبيضاء والكلس والجص اضافة الى بعض المواد الاضافية (٤)

ويتوفر معدن الحديد في جبل الهكارية شرقي الموصل (٥) ، كما

= ذلك السيف او السكين الحديد وجذب الابر والمسال اكثر من جذب المغناطيس مختصر كتاب البلدان ، ص ١٣٣) .

(١) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠١ .

(٢) السامر . المرجع السابق ١/٢٠٠ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠١

(٤) راجع ، المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٥) الحموى ، معجم ، ٤/٩٧٠

أشتهرت المنطقة بوفرة المياه المعدنية ، ففي ترجلة من اعمال الموصل عين كبريتية كثيرة الماء ، (١) كما ان المنطقة التي يطل عليها دير الاعلى بالموصل عدة عيون كبريتية (٢) ، على ان اشهر تلك العيون كانت عين القيارة ، حيث ان الماء الحار كان يتدفق منها فيجتمع في مجرى خاص حيث تصب في دجلة ويخرج معه القار ، ويكون القار في مسائه لينا ممتدا ، فاذا فارق الماء برد وجف (٣) ، ويذكر الحموى بان هناك متخصصون في استخراج القار من مياه هذه العيون (٤) ويبدو ان هذه المياه كانت تستعمل للاستشفاء من بعض الامراض الجلدية . وفي جبل بارما عيون معدنية يختلط بها النفط والقار (٥) . ومن المعادن المهمة في الجزيرة « جوهر الزجاج الجيد ، الذي يتوفر في جبل ماردين ويحمل منه الى سائر بلاد الجزيرة والعراق اذ يفضل لجودته (٦) وفي نصيبين يتوفر الرصاص ويصدر الى مناطق متعددة (٧) ، وفيها ايضا عين ينبع منها كلس ابيض يستعمل في الحمامــات

(١) الحموى ، المصدر السابق ٨٣٦/١ .

(٢) ن . م ، ٦٤٤/٢ .

(٣) ن . م ، ٦٧٩/٢

(٤) ن . م ، ٦٧٩/٢

(٥) الاصطخرى ، مسالك الممالك ، ص ٧٥ ، الاقاليم ، ص ٤٢ .

(٦) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٩٤ .

(٧) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٣٢ .

والدور (١) أما في الرقة فيوجد حجر يسمى (ارسون) ويستعمل لأغراض صحية حيث يصنع منه الكحل (٢) وفي هيت توجد عين القيارة حيث يخرج الماء ممزوجا بالقير وقد اشتهرت المنطقة كثيرا بانتاج القير ولعل هذا ما جعل اهل العــــراق يستعملون القير بدلا من البلاط او الرخام في رصف حماماتهم وحياضهم (٣) وقد أورد احد مؤلفي الكتب الجغرافية المجهولين ولعله عاصر فترة البحث بان الغالب على الجزيرة انتاج « النحاس والصفر والقار » (٤) ويوجد في الجزيرة براري وسباخ واسعة المساحات تنتج الملح (٥) وخاصة مدينة باسورين ـ من المدن الجزرية ـ التي تكون ذات شهرة في استخراجه . (٦)

الحرف والصناعات المعدنية :

وهذه الصناعات لا تقوم الا اذا توفرت المواد المعدنية الاولية

---

(١) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٢) القزويني ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (مخطوط رقم٥٧٦ بمكتبة الدراسات العليا كلية الاداب ، جامعة بغداد) ورقة ١١٠ .

(٣) شيخ الربوة الانصاري ، نخبة الدهر ، ص ١١٩ .

(٤) مجهول ، قطعة من كتاب في الجغرافية (مخطوط رقم ٣٢٤ نسخة في مكتبة الدراسات العليا كلية الاداب ، جامعة بغداد) ورقة ١٠ .

(٥) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٦) قدامة بن جعفر ، نبذة من كتاب الخراج ، ص ٢٤٥ .

اللازمة لقيامها ومن ثم توفر الايدي العاملة الفنية التي تحسن استغلال وهذه المواد والعمل على تحويلها الى منتجات صناعية .

وقد اشتهرت الموصل بصناعة اواني النحاس المطعم والتي تهدى عادة الى الامراء او الحكام (١) وكذلك يصنع فيها الحديد والاسطال والسكاكين والنشاب والسلاسل (٢) ، ونظرا لوفرة الحديد في الجزيرة فقد استخدم في صناعة الاسلحة كما استعمل كمادة اساسية في البناء ، كما صنعت منه الابواب وخاصة ابواب الابراج والقلاع واسوار حماية المدن (٣) وتقوم صناعة الزجاج في ماردين (٤) حيث تتوفر خاماته في جبلها ويحمل منه الى مختلف مناطق الجزيرة والعراق وبلاد الروم ويفضل على ما سواه لرقته واشتهرت الحصنية بالصناعات الحديدية (٥) واشتهرت حران منذ القدم بالصياغة (٦) وكذلك صناعة الموازين (٧) .

الصناعات الزراعية

وهي الصناعات التي تعتمد في قيامها على المنتوجات الزراعية وهي

---

(١) ابن سعيد المغربي ، بسط الارض ، ص ٩٠ .
(٢) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٥ .
(٣) الحموي ، معجم ، ١٧٧/١ .
(٤) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٩٤ .
(٥) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .
(٦) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١٥٨ .
(٧) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

عديدة ومتنوعة ، ففي أمد تصنع ثياب الكتان (١) وفي معلثايا صناعا الفحم والقنب (٢) . واشتهرت الرقة بصنـ ـة الصابون والزيت والاقلام ، (٣) وقال عنها المقدسي « انها معدن الصابون الجيد » (٤) وشهرتها بالصابون تعود لكثرة انتاج المنطقه للزيتون ولعل مما يشير الى شهرتها ان الصـابون الزيتي الشائع للاستعمال في العراق وسوريا الان ينسب الى هذه المدينة (٥) وفيها ايضا ما يسمى بدهن الحضارة « وفيه اعجوبة انه لا يتخذ الا في حانوت بها معروف فاذا اتخذ في غيره من الحوانيت فسد » وهو نـفع لمعالجة بعض الامراض (٦) وكذلك تقوم صناعات زراعـة في الاقسام الوسطى من الجزيرة حيث تزدهر الزراعة فيها فمدينة عرابان اشتهرت بصناعة ثياب القطن التي تحمل منها وتجهز الى الشـــام وغيرها (٧) ، ومن ابرز ما اشتهرت به الجزيرة صناعة الخمور ، حيث كانت تتوارثه منذ القدم ، لانها كانت كانت منطقة نصرانية آرامية قبل الفتح الاسلامي وان تقاليد المجتمع

---

(١) المقدسي ، المصدر السابق . ص ١٤٥ .

(٢) ن . م ص ١٤٥ .

(٣) ن . م . ص ١٤٥ .

(٤) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٥) الهاشمي ، مفصـل جغرافية العراق ، (بغداد ، ١٩٣٠) ص٥٤١ .

(٦) ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٣٤ .

(٧) ابن ، حوقل ، صورة الارض . ص ٢٠٠ .

المسيحي ظلت قائمة فبقيت تقاليد صنع الانبذة والخمور سائدة رائجة في عدة مدن (١) ومما شجع على قيام هذه الصناعات انتشار زراعة الكروم في معظم مناطق الجزيرة وتشير بعض النصوص الى قرى ومدن كان فيها حانـــات وجبيت منها الضرائب « اللاطف » وهي الضرائب التي فرضت على الخمور (٢) وقد اشتهرت مدينة سروج بكثرة الاعناب والزبيب ويعمـل من زبيبـها لكثرته « الرب » (*) وتتخذ منه الخمور (٣) .

وهناك بعض الصناعات التي جمعت بين صفة الصناعة المعدنية والنباتية كصناعة المطاحن « الارحاء » حيث كانت تعتمد في صناعتها على الخشب والحديد اللذين يستخدمان في صنع اجزائها ، وكانت تستعمل في طحن الحبوب ولعلها من ابرز ما اشتهرت به مناطق الموصل حيث كانت بها في وسط دجلة المطـاحن التي لايوجد لها مثيل لانها قائمة في وسط مـاء شديد الجريان موثقه بسلاسل الحديد في كل واحدة منها اربعة احجار ويطحن كل حجر في اليوم والليلة

---

(١) السامر ، المرجع السابق ١٩٨/١ .

(٢) انظر ابن حوقل ، المصدر السابق ص ١٩٦ .

(٣) ن . م ، ص ٢٠٧ .

(*) والرب : بالضم دبس الرطب اذا طبخ وقبل الطبخ هو صقر « الفيومي » المصباح المنير ، جـ١ (القاهرة ، ١٩٣٩) ص ٣٢٩ .

خمسين وقراً (*) وهذه المطاحن من الخشب والحديد وربما دخل شيء فيها من خشب الساج وكان ببلد على بعد سبع فراسخ من الموصل كثير من هذه المطاحن وكذلك في مدينة الحديثة العديد منها تعمل في وسط دجلة ويبدو أن واردها السنوي كبير في الفترة المتأخرة اذ بلغ خمسين الف دينار وكثرت بالفرات وخاصة في الرقة وقلعة جعبر (١) وفي بعشيقا من مدن الموصل الشرقية عدة ارحاء حيث استعمل تيار الماء لتشغيلها (٢) ، وكان على نهر الحر الذي حفره بالموصل ثمانية احجار تطحن وأوقف الخليفة هشام هذه الارحاء على عمل النهر (٣) .

الصناعات الحيوانية :

تعتمد هذه الصناعات على ما يتوفر من المواد الاولية التي تنتجها الحيوانات ، وهي متوفرة في الجزيرة وذلك لتنوع الانتاج الحيواني فيها ، فقد اشتهرت آمد بصنع الثياب الموشاة والمناديل والقـــارم الرقاق والطيالس من الصوف (٤) ، وكانت قد اشتهرت ايضا ثياب

(١) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) الحموي ، معجم ، ٤٥٢/١ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٤١/٥ .

(٤) الجاحظ ، التبصر بالتجارة . ص ٣٠ .

(*) الوقر مكيال يستعمل لقياس كمية الحبوب « الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، » (القاهرة ، ١٣٤٢ هـ) ص ١١ .

الصوف (١) ، وكذلك ماردين عرفت بصنع الثياب المنسوجة من شعر الماعز المعروفة بالمرعز (٢) ، حيث يلاحظ ان الكثير من مدن الجزيرة كانت قد اشتهرت بصناعة الانسجة ، وقد اشتهرت الموصل بالستائر (٣) ، وانتعشت صناعة الثياب بالموصل واختص البعض بالتطريز كما كان هناك سوق للرفائين وآخر للبزازين بها (٤) وفي قرية حزة القريبة من الموصل تصنع ثياب منسوبة اليها لشهرتها(٥) ومن الصناعات الاخرى صناعة الجبن والالبان وما يصنع من الحليب ، على ان ابرز ما اشتهرت به الجزيرة انتاج العسل وكانت لمدينة الموصل شهرة خاصة بها بتصفيته وتنقيته ، وكذلك العسل الابيض كما تظهر قوائم الخراج المتيسرة حيث يتضمن على عشرين الف رطل (٦) ويكثر عسل الموصل في الهكارية شرقي الموصل فيوصف في

(١) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥

(٢) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، جـ ١ (القاهرة ، ١٩٦٧) ص ١٥٠ .

(٣) الجاحظ ، المصدر السابق ، ص ٣٣ ، الثعالبي ، لطائف العارف ، ص ١٨٣ .

(٤) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ٢ (القاهرة ، ١٩٥٦) ص ١١٧ .

(٥) الحموي ، المشترك وضعا ، ص ١٣٢ .

(٦) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٣٨٥ ، الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، (القاهرة ، ١٩٠٨) ص ٤٢٧ .

القرن الرابع بانه كثير جدا (١) ولشهرة عسل الموصل وجودته فانه كان يعد من نفائس المنتجات فيذكر مع سكر الاهواز وزعفران قم (٢) واشتهرت حران بعسلها ايضا (٣) ، وبطبيعة الحال فأن انتاج الجزيرة الشهير من العسل يعود لكثرة تربية النحـــل فيها ، وهناك بعض الصناعات ذات الطابع النباتي - الحيواني وهي صناعة الحرير التي تقوم على تربية دودة القز وزراعة اشجار التوت ويشير ابن سعيد المغربي الى صناعة الحرير في الموصل (٤) واشتهرت الجزيرة عامة بصناعة الجلود (٥) كما اشتهرت المنطقة بصناعة الاقمشه والمناديل (٦) ومما تقدم يمكن ان يشار الى انتعاش وتقدم الصناعة نسبيا في هذة المنطقة ولابد ان وفرة المواد الاولية فيها قد اسهم في تحسن انتاجها الى حد جعله يفيض عن حاجة السوق المحلية مما كان له اثر في انعاش التجارة في هذا الاقليم والاقاليـــم الاخرى من الدولة الاسلامية .

---

(١) الحموى ، معجم ٤/٩٧٠ .

(٢) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١٨٣ .

(٣) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٤) بسط الارض ، ص ٩٠ .

(٥) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٦) الاصفهاني ، كتاب الاغاني ج١٥ (القاهرة ، ١٩٥٩) ص ١٧١ .

التجارة :

يمر طريق التجارة القديم بين الشرق والغرب من منطقة الجزيرة وقد كان لذلك اثره في ان تلعب دورا ملحوظا فى عمليات التبادل التجارى في العالم القديم حيث كان يجري نقل مختلف البضائع عبر المنطقة التي تميزت اضافة الى ذلك بخصوبتها التي كانت تغرى بعض القوافل بالاستقرار فيها (١) وقد ادى مرور الطريق التجارى الشمالي (وسط آسيا) الى ان تصبح الجزيرة مع العراق جسرا يوصل بين طرق المواصلات البحريه في جنوبي آسيا ، وطرق المواصلات البحرية فى جنوبي اوروبا ، وذلك بحكم الموقع المتوسط بين البحر المتوسط والخليج العربي ، وكانت أهميته في زمن العباسيين كبيرة جدا بالنسبة لتجارة الشرق والغرب (٢) . وكان لثروة الجزيرة الفراتية من الزراعة والمعادن والصناعات اثر كبير في تطور التجارة بين مدنها والاقاليم المجاورة والمرتبطة بها وهناك العديد من الشواهد التي تعكس النشاط التجارى الكبير الذي تميزت به مدن هذه المنطقة واهميتها فى العلاقات التجارية الداخلية والخارجية على السواء . أضف الى ذلك ان النشاط التجارى بين الشرق والغرب في العصور

(1) W. Gordn East, An Historical - Geography of Ecstern Europe. (London, 1966) P. 193.

(٢) فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ، ١٤٢/١ .

الوسطى مرتبط بالممرات التجارية التي تجتاز بارض الجزيرة ، وذلك نظرا للاهمية الستراتيجية لموقع الجزيرة بين الشرق والغرب ، حيث كثرت في الجزيرة الطرق الفرعية اضافة الى الطريق الرئيسي للتجارة المعروف منذ القدم وهذا ما ادى الى ترابط مدنها وارتباط المنطقة بغيرها من الاقـاليم وقد هيأ مرور النهرين الكبيرين دجلة والفرات ظروفا اضافية لزيادة اهمية المنطقه بما هيأ من طرق اضافية عن طريقة استعمالها للنقل المائي للربط بين مدن الجزيرة والمناطق الجنوبية مما شجع على سعة وتنوع النشاط التجارى فيها وقد حققت مكانة الجزيرة ومواصلاتها فائدة كبيرة للمشتغلين بالتجارة من سكانها عن طريقين اولهما يتمثل في تصدير المواد الفائضة عن الحاجة وهذا ما يسهم في تنشيط التجارة في المنطقة وذلك فانهم يساهمون مباشره بالتجاره وثانيهما ما يحقق من ارباح الخدمـــات والعمولة بمرور القوافل التجارية فيها ، وهذا أدى الى تطور الاقليم من الناحية التجارية ولعل ذلك ما أشار اليه داينوسيس التلمحرى بقولة : « ان التجاره كانت قد أزدهرت في ذلك الوقت فكان التجـار يشترون كثيرا من الاراضي الشـاسعة » (١) مما يدل على غنـاهم حتى انه كانت (ضريبة البسر ، التي تخص التجـــارة الحرة هي جزء من الضرائب التي صنفها داينوسيس والتي كانت تفرض على السكان (٢) .

(١) Cahen , Op . Cit , P . 138

(٢) Ibid . p . p .138 - 139

طرق المواصلات :

هناك بعض الاشارات الى طرق قديمة واهمها طريق وادى الثرثار الذي يمر عبر تلال سنجار - وادي جغجغة - كان يستخدم في نقل الاتصالات بين سهل العراق من جهة ، ودلتا الخابور وبلاد سوريا من جهه اخرى ، ويبدو ان النشاط التجارى على هذا الطريق - والذي ازدادت اهميته بظهور مدن تجارية جديدة في وادى الثرثار (١) - وقد قلت اهميتة نتيجة لتحول النشاط التجارى الى طريق يسير من الشرق الى الغرب وبالعكس ، اضافة الى ان استعمال الطريق المائي ، دجلة والفرات قد ساهم في ذلك ، ويبدو ان استعمال نهر دجلة اكثر استعمالا من الفرات حيث تستفيد منه الطرق الواصلة من هضبة ايران ، رغم ان طريق الفرات يمثل طريق اقدم للاتصالات التي جرت بين منطقة السواد والجزيرة وهضبة الاناضول ولعل في ارتفاع المياه في دجلة وفي وضوح مجراه وقلة تعرجاته ما جعله مفضلا في النقل التجارى خصوصا في القسم الخاص بالجزيرة منه حيث يرتبط بطرق متعددة لعل طريق الموصل - نصيبين ابرزها . اما مجرى الفرات فانه يتميز بكثرة تعرجاته وبعدم صلاحه للاستعمال كطريق تجارى في مناطق معينة حينما يضيق المجرى وينحدر بشكل حاد ، أو بشكل مفاجيء مكونا ما يشبه الشلالات

(١) راجع د . ابراهيم الشريف ، الموقع الجغرافي للعراق ، جـ ١/٧٥ ، جـ٢/٢٤٠

كما هو الحال في امتداده الواقع بين شمال عنـــه بقليل . يت (١) ومن الممكن تصنيف الطرق التجارية في منطقة الجزيرة وخلال فترة هذا البحث على النحو التالى :

اولا : الطرق التي ترتبط بمدينة الموصل

١ ـ طريق الموصل ـ السواد

يبدأ من « بغداد » (*) ويمر بالمدن التالية : البردان ـ عكبرى ـ باحمشا ـ القادسية ـ كرخ سامراء ـ السودقانية ـ بارما ـ الحديثه ـ طهمان ـ الموصل ومسافة هذا الطريق ٧٢ فرسخا . (٢)

٢ ـ طريق الموصل ـ قرقسياء : (٣)

من الموصل الى بلد ـ تل عفر ـ سنجار ـ عين الجبال ـ سكير

(١) ابراهيم شريف، المرجع السابق١/١٢٦ ـ ١٣٠

(٢) قدامه . نبذه من كتاب الخراج ، ص ٢١٨ ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ص ١١٦ ـ ١١٧) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٣٣ .

(٣) قدامه بن جعفر ، نبذة ، ص ٢١١ ، ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(*) بنيت مدينة بغداد سنه ١٤٥ هـ/٧٦٣ م ابتناها الخليفة العباس ابو جعفر المنصور (يراجع البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢٩٣) وبما ان المصادر متأخرة عن فترة انشاء بغداد =

العباس على الخابور ـ الفدين ـ ماكسين ـ قرقيسيا على الفرات ومسافة هذا الطريق «٥١» فرسخا .

٣ ـ طريق الموصل ـ نصيبين :

فمن الموصل يمر ببلد ـ باعيناثا ـ برقعيد ـ اذرمه ـ تل فراشه ـ نصيبين ، ومسافة هذا الطريق «٣٤» فرسخا . (١)

٤ ـ طريق الموصل ـ آمد :

يمر ببلد ـ جزيرة ابن عمر ـ جبل بدوان ـ ثم موقع نهر الرزم ـ مدينة التل تجاه نهر بارما شرقي دجلة ثم الى مدينة بطرا غربي دجلة ثم آمد (٢) . ومسافته «٦٠» فرسخا (٣) .

ثانيا ـ طرق نصيبين :

هناك طريقان هما :

١ ـ طريق نصيبين ـ الرقة : ويبدأ من نصيبين مارا بدارا ـ كفر توثا ـ راس العين ـ الجارودية ـحصن مسلمة ـ باجروان ـ

= لذلك فانها حينما تتحدث عن الطرق القديمة فانها تذكر بغداد ، بداية لانطلاق هذا الطريق

(١) قدامه ، نبذة من كتاب الخراج ، ص ٢١٤ ، ابن خردذابه ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٢) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٣٨

(٣) ن . م . ص ٣٦ .

ثم الرقة ومسافته «٤٥» فرسخا (١) .

٢ ـ طريق نصيبين ـ آمد : يسلك هذا الطريق الى دارا ـ كفر توثا ـ قصر بني نازع ـ ثم آمد ومسافته «٢٥» فرسخا (٢) .

ثالثا : طرق آمد :

١ ـ ومن آمد ينطلق طريقان احداهما الى الشمال الى أرزن حيث يسلك ـ ميافارقين ومنها الى أرزن ـ ومسافته «١٢» فرسخا(٣)

(٢) ومن آمد يتجه طريق الى الرقة ويمر بشمشاط ـ تل جوفر ـ جرنان ـ بامقدار ـ جلاب ـ الرها ـ حران ـ تل محرا ـ باجروان ـ الرقة . ومسافته «٥٧» فرسخا (٤) .

رابعا : طرق الرقة :

١ ـ طريق الرقة ـ السواد :

وهذا الطريق يحاذي ضفتي الفرات اليسرى الى ان يصل الرقة

(١) قدامه ، نبذة ، ص ٢١٥ . ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٢) قدامه ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ ـ ٢١٥ ، ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص ٩٦ ،

(٣) قدامه ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ ـ ٢١٥ ، ابن خرداذبة ، المصدر السابق ص ٩٦ .

(٤) قدامه ، المصدر السابق ، ص ٢١٥ ، ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

ويمر بالمناطق التالية : بغداد - السيليحين - الانبار - الربع - هيت - الناووسة - آلوسه ومنها يتفرع فرعان :

أ - الفحمية - النهية - الدازقي - الفرضة - وادي السباع - خليج بني جمح ، الغاش (بجانب قرقيسيا) - موضع نهر سعيد - الجردان - المبارك - الرقة - ومسافته من موضع بغداد (١٣٤) فرسخا (١) .

ب - : من آلوسه الى عانات - دالية - الرحبة - الخانوقه - الرقه ومسافته من بغداد (٦٠ فرسخا) (٢) .

٢ - طريق الرقه - الثغور :

عين الروبية (عين زربه) - تل عبدا - سروج - الموزنيه - سميساط - حصن منصور - ملطية - كمخ - زبطره - الحدث - مرعش (٣) .

٣ - طريق الرقة - الشام :

الرقة - النقيرة - منبج - حلب - قنسرين - صورى - حماة - حمص - جوسي - بعلبك - دمشق (٤) .

---

(١) قدامه ، المصدر السابق ، ص ٢١٨ ، الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) الادريسي ، المصدر السابق ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٣) قدامه ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ ، ابن خرداذبه ، المصدر السابق ، ص ٩٦ ،

(٤) قدامه ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ - ٢١٧

وقد أورد الجغرافيون العرب تقديرات عن المسافات الفاصلة بين المدن والمواضع ومسافات الطرق في الدولة الاسلامية وبضمنها الجزيرة ، ولعل ما قدمه قدامه بن جعفر الكاتب البغدادي في كتابه من تلخيص واستعراض لهذه المسافات ما يكفي ان نشير اليه (١)

الصادرات :

كان أقليم الجزيرة الفراتية تتوفر فيه كثير من المواد التي تصدر الى خارجه بل ان بامكان الباحث ان يجد عددا كبيرا من مدن الجزيرة قد تخصصت بتصدير بضائع خاصة بها فقد اشتهرت آمـــد مثلا بتصدير الثياب الموشاة والمناديل والطيالس المصنوعة من نسيج الصوف (٢) وكذلك بتصدير المنسوجات الصوفية الأخرى اضافة الى الكتان الرومي الذي كان ينسج على نمط الصقالبة (٣) وكانت بلد تصدر اللبان بكميات كبيرة الى درجة ان سعره انخفض كثيرا حتى انه قد بيع المن منه بدانق (٤) ، وكانت الموصل مركزا تجاريا مهما تنزله القوافل التجارية حيث كانت تصدر السـتور وبعض الصناعات الجلدية (٥) ويذكر المقدسي بانه في الاقليم تجارات ترتفع

(١) راجع قدامة ، الخراج ،مخطوط ، ورقة ٤٠ أ ـ ٤٤ ب ابو الفداء ، تقويم البلدان ص ٢٧٣ ، القلقشندى ، صبح الاعشى ٤٠٢/٤ ـ ٤٠٥ .

(٢) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٣٠ .

(٣) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٤) ن . م . ص ١٤٥ .

(٥) الجاحظ ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

من الموصل كالحبوب والعسل والفحم والشحوم والجبن والسماق وحب الرمان ، والقير ، والحديد ، والاسطال والسكاكين والنشاب والسلاسل (١) ومن الحسنية من الموصل يصدر الجبن والقبج والجواجيق والفواكه المجففة والزبيب ، ومن ملعثايا تصدر الالبان والفحم الاعناب والفواكه الرطبة والقنب واللحم المجفف (٢) وكان اهل قرية خصا شرقي الموصل جمالين يسافرون الى خراسان (٣) وذلك للتجارة بين الموصل وخراسان وكانت منطقة العقر بين تكريت والموصل مركزا تنزلها القوافل التجارية (٤) وكان الملح يصدر الى السواد من باسورين (٥) وكذلك فقد اشتهرت ماردين بتصدير « جوهر الزجاج » الى سائر بلدان الجزيرة والعراق وبلاد الروم فيفضل على ما سواه (٦) ومن نصيبين يصدر الرصاص (٧) وشاه بلوط والفواكه المجففة والموازين (٨) وكانت حران تصدر عسل النحل والقطن والموازين(٩)

---

(١) احسن التقاسيم ، ص ١٣٦ .

(٢) ن . م ١٤٥ .

(٣) الحموي ، معجم ، ٤٤٨/٢

(٤) الحموي ، المشترك وضعا ، ص ١٥٦ .

(٥) قدامه ، نبذة من كتاب الخراج ، ص ٢٤٥

(٦) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٩٤

(٧) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٣٢ .

(٨) المقدسي المصدر السابق ، ص ١٤٥

(٩) ن . م ، ص ١٤٥ .

واما عرابان فقد كانت تصدر ثياب القطن حيث تجهز الشام وغيرها من الاقاليم (١) وتصدر سنجـــار اللوز وحب الرمان والقصب والسماق (٢) ، اما قرقيسيا فتصدر الفواكه المتنوعة بحيث اعتمد عليها سوق العراق في الشتاء (٣) ومن الرقة كان يصدر الصابون والزيت والاقلام ومن الرحبة السفرجل (٤) .

من كل ما تقدم يتبين لنا ان النشاط التجارى في الاقاليم ، كان كبيرا جدا ، غير ان طبيعة الاجراءات المتخذه لفرض الضرائب وما يتعرض له التجار من حين لأخر احيانا من قبل عمال الجباية ، كان من عوامل التذمر بسبب التعسف في طريقة الجباية ولعل ذلك ما دفع التجار — بغض النظر عن عقائدهم — الى الشكوى كما يشير الى ذلك كاهين (٥) .

وكان يفترض ان تدفع الضريبة بالذهب وفق تقييم او تخمين قيمة السلع لا على اساس قيمتها الحقيقية في السوق او استيفاء الحصة عينا ومع ذلك فان الحياة التجارية كانت مزدهرة ، فقد انتشرت الاسواق بشكل عام في كل المدن الجزرية ، وقد اشاد المؤرخون بشكل خاص باسواق الموصل والرقة ، اما الموصل التي كانت تقع على طرق

---

(١) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) المقدسي . المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(٣) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

(٤) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥

(٥) Cahen _ Op . Cit . 140 .

التجارة فى شرق الجزيرة فقد كانت مركزا تجاريا كبيرا وتليها الرقة التي تحتل المركز الثاني في الاهمية ففي الموصل مثلا تشير المصادر الى عدد كبير من الاسواق منها سوق الطعام ، وسوق الحشيش (١) وكان يعقد فيها اسواق مؤقته مرة كل أسبوع عرف احدها بسوق الاحد حيث يجتمع فيه المتاع وسائر التجارة والحمالون اما سوق الاربعاء فكان واسعا كما يبدو اذ كان بداخله فضاء واسع يجتمع به الحمالون والحواصيد وعلى ركن منه فندق (٢) وكان يعقد كما يظهر في وسط المدينة في الساحة الفسيحة داخل القلعة ايام الاربعاء ولذلك سمي بهذا الاسم (٣).

وهناك سوق البزازين (٤) والشعارين (٥) وسوق الاساكفة كما كان هناك ايضا سوق الفحم (٦) ويبدو ان الاسواق في الموصل

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٢٩ ، وهو بالاصل خان ابراهيم بن يحي وهو الخان المعروف بعبدالرحمن بن موسى بن حمدان .

(٢) المقدسي . احسن التقاسيم ، ص ١٣٨ ، ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٣) د . الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٣٢ ، د . حسام السامرائي ، المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية (دمشق ، ١٩٧١) الفصل الخاص بالحسبه .

(٤) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ١١٧/٢ .

(٥) ابن الاثير ، ١٣٣/٥ .

(٦) الدوري المرجع السابق ، ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

تفوق في كثرتها ما في بقية المدن الاخرى وهذا ما يعكس اهميتها التجارية (١) . اما الرقة فقد كان فيها سوق الاحد ايضا كما كان في الموصل (٢) وكانت المدن بصورة عامة اسواقا لتصريف منتجات ما يحيط بها من المناطق الزراعية فهي المصرف لانتاجها في نفس الوقت الذي توفر فيه ما يحتاج اليه المزارعون من الآت ومواد (٣) .

واردات الدولة واساليب جبايتها :

اما عن موارد الدولة في الجزيرة الفراتية فنجد ان خراجها يشكل مورداً مالياً مهما لبيت المال المركزي خلال فترة البحث وذلك لما تتمتع به المنطقة من ثروة زراعية كبيرة كما مر بنا وذكرت بعض المصادر بانه قد أفرد للجزيرة ديوان خاص بها مما يعكس اهميتها . (٤) وبأستثناء بعض الاشارات العامة فأن المصادر لا تعطي تفصيلات وافيه عن واردات الاقليم خلال فترة البحث . ولايمكننا ان نتضح ابعاد الوضع الاقتصادي في المنطقة الا ضمن اطار الدراسة الشاملة للحياة الاقتصادية والنظام المالي والضريبي للدولة الاسلامية بشكل خاص وهذا أمر يخرج عن اطار الموضوع الذي جرى اعتماده

---

(١) الدوري المرجع السابق ، ص ١٣١ .
(٢) الحراني ، تاريخ الرقة ، ٦٣/٢ - ٦٤ .
(٣) الدوري ، المرجع السابق ، ص ١٣٣ .
(٤) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٢٧٧ .

في هذه الدراسة . ان ابرز مايمكن ملاحظته خلال فترة البحث هذا هو عملية الاصلاح الجذرى التى باشرها الخليفة عبد الملك بن مروان في جعله الضريبه الزراعية موحدة وتحسب على اساس القيمة المتوسطة لانتاج الارض بعد ان ادخل موضوع مدى امكانية استغلالها بنظر الاعتبار ثم اصلاحه نظام جباية الجزية وتوحيده الضريبة ايضا فقد بعث الخليفة عبد الملك الضحاك بن عبد الرحمن الاشعري ، فاستغل ما يؤخذ منهم فاحصى الجماجم واعتبر أهل الذمه جميعا عمالا يعملون بايديهم وقام بتخمين صافي مجموع واردات العامل منهم بعد حذف النفقات . فوجد ان الصافي بيد كل منهم يكون في حدود « ٤ » دنـــانير . وقد اعتبر هذا المبلغ هو الضريبة اذ الزمهم جميعا بدفعها وجعلهم طبقة واحدة (١) . ويشير ابو يوسف الى اصلاحات عبد الملك هذه فيذكر انه ادخل في الاعتبار قرب الانتاج الزراعي او بعده عن الاسواق « فجعل على كل مائة جريب «*» زرع مما

---

(٢) راجع ، ابو يوسف ، الخراج ، ص ٤١

(*) الجريب : هو الوحده التي تقاس بها (القطائع) التى كان يقطعها الولاة والامراء لمن يمنحونهم اياهـا ويعـادل الجريب على التقريب ٣٦٠٠ قدم وبالامتار = ٣١٤ر٨٦ من م ٢ (الريس ، المرجع السابق ، ص ٢٦٢ ـــ ٢٦٤) .

قرب دينارا (*) ، وعلى كل الف اصل كرم مما قرب دينارا ايضا وعلى كل الفي اصل مما بعد دينارا وعلى الزيتون على كل مائة شجرة مما قرب دينارا ، وعلى كل مائتي شجرة مما بعد دينارا ، وكان غاية البعد عنده مسيرة اليوم واليومين و اكثر من ذلك ومادون اليوم فهو قريب وحملت الشام على مثل ذلك ، وحملت الموصل على مثل ذلك ايضاً (١) ، لذلك فقد ساوى هذا النظام بين سكان المدن وسكان الارياف وذلك بالدفع النقدي بحيث انه لم يضر بسكان الارياف ، نظرا لما عمله من احصاء لمعدلات دخل الافراد وعدالته في خصم مبالغ نفقاتهم السنوية ، وان هذا يعكس وصفا طبيعيا لمعاملة سكان الريف . ولعل ذلك قد جرى بدافع من رغبة هذا الخليفة في الاصلاح ويبدو أنه كان واقعا تحت تأثير اعتبارات خاصة ـ سياسية أو اقتصادية ـ اذ كانت هذه المنطقة محاذية لمناطق اعداء أقوياء كالخزر والبيزنطيين وكان الجند الذين يقفون على أهبة الاستعداد او لرد العدوان على الدوام بحاجة الى المواد الغذائية (٢) ، ولما كان اخذ المواد العينية كضريبة بدل النقد قد يؤدى الى التذمر فان من المرجح ان يكون الخليفة قد قصد باجرائه هذا التخفيف عن السكان اضافة الى ما تهيئه هذه الاجراءات من نظرة مبدئية او دعائية بما تحققه من ازالة لاسباب

---

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٤١ .

(٢) الكبيسى ، عصر هشام بن عبد الملك ، اطروحة ماجستير ، (بغداد ، ١٩٧٣) ص ٢٨٣ .

(*) يذكر الجهشيارى ان سعر الدينار محسوب على «٢٢»درهما =

التذمر من جهة وأعلانها المساواة في المعاملة من جهة أخرى . ولم تذكر المصادر اية ردود فعل ضد هذه الاجراءات وان كان المرجح انها قد لاقت قبولا وارتياحا لما حققته من نتائج ، ويشير اليعقوبي الى ان خراج الجزيرة قد بلغ خمسة وخمسين الف درهم (١) ويذكر الجهشياري (٢) ان مجموع خراج الجزيرة في اواخر القرن الثاني الهجري قد بلغ اربعة وثلاثين مليون درهم باستثناء خراج الموصل والذي بلغ اربعة وعشرين مليون درهم (هذا العسل الابيض فيكون المجموع ثمانية وخمسين مليون درهم) ويبدو ان مقادير الجباية قد ارتفعت كثيرا في الفترة التالية (٣) . أما خلال فترة تأسيس

= ويرجح الريس في (الخراج والنظم المالية ص ٥٢٠) ان سعر الصرف للدينار في عهد الرشيد غير مؤكدة ، كما يذكره الجهشياري ، ويقترح ان يكون سعر الصرف «١٥» درهم للدينار الواحد وبطبيعة الحال كان هذا قد عمل في السواد ثم حملت الموصل على مثل ذلك والتي هي قاعدة الجزيرة

(١) التاريخ ٢/٢٣٤ .

(٢) الجهشياري الوزراء والكتاب ، ص ٢٨٥ (وذلك هذا العسل الابيض فيكون المجموع ثمانية وخمسين مليون درهم) .

(٣) راجع قدامه بن جعفر ، نبذه من كتاب الخراج ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ، وص ٢٥٠ ـ ٢٥١ ابن خرداذبة المسالك والممالك ص ٧٣ ـ ٧٤ وص ٩٥ ، ابن الفقية الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٣١ ـ ١٣٦ .

الدولة العباسية ، فأن خطوات أمنية اتخذت من اجل ضمان مصلحة الدولة واستمرار وارداتها ومن خلال نص اورده الازدى يتبين ان الخليفة الرشيد اراد ان يقطع دابر التسيب وافتعال الازمات الذي كان يجري في الموصل خلال ايامه الاولى من اجل التخلص من دفع الضريبة . ويبدو ان الخليفة كان يميل الى تطبيق نظام « المقاطعة » على الضريبة اذ انه طلب من الوفد الذي يمثل دافعي الضرائب ان يقبلوا بدفع ضريبة ثابتة سنويا مقدّرة على اساس معدلات الاسعار لحصة الدولة من « العبرة » اومعدل الانتاج وقد امتنع أهل الموصل عن قبول ذلك فحبسهم الرشيد ثم « عاودهم المناظرة وسألهم الجريب البذر في كم يقع من المساحة ، فأعلموه ان الجريب يقع في اربعة اجربة مساحة وعن الجريب الحنطة في وقته فبلغ ثلاثين درهما ، واخذ ربع الثلاثين فاذا هو سبعة دراهم ونصف ، فالزمها الجريب وسألهم عن جريب الشعير في اربعة فراسخ فعلم انه يدخل اربعة مثل الحنطة لانهم عرفوّه ان دخل الجريب اربعة اجربة وقوّم الشعير فبلغ الجريب فيذلك الوقت عشرين درهما ، فاخذ ربعها فصار الكل جريب خمسة دراهم » (١) وهكذا فان نظام الخراج في منطقة الموصل من الجزيرة قد شذ « عما كانت عليه بقية التطبيقات العملية التى سارت عليها الدولة ابتداء من عصر عبد الملك بن مروان ولعل نسبة الجباية الى مجموع الحاصل قد تغيرت ايضا اذ انها كما يشير النص قد تغيرت ايضا كما انها قدرت على اساس استيفاء ٢٥٪ من

---

(١) تاريخ الموصل ، ص ٢٧٥ .

الحاصل غير أن المصادر لاتشير بدقة الى فيما اذا كان هذا التطبيق قد بدأ به الرشيد او انه كان معروفا في السابق . والملاحظ ان هذا النظام قد جرى تطبيقه على مدينة الموصل وسوادها ، ولا تشير المصادر فيما اذا كان هذا النمط من الجباية قد شمل جميع الجزيرة أم لا . وقد توصل البروفسور كلود كاهين اعتمادا على نصوص دانيوسيس التلمحري الى استنتاجات كشفت عن ان الضريبة كانت تقدر على اساس وحدة المساحة « الجريب » وهذا ينسجم مع ما أورده الازدي ، والغريب ان كاهين يجتهد بان هذه الضريبة العامة كانت على سكان القرى وتجي وفق الموروثات عن الانظمة الرومانية على اساس تحمل سكان كل قرية المسؤولية التضامنية عند دفع الضريبة المفروضة عليهم ، ويضيف كاهين الى ان الضرائب النقدية الزامية وفورية ولذلك فقد كان على دافع الضريبة ان يبيع المحصول مقدما قبل نضج الحاصل ويمضي كاهين موضحا بان عملية البيع في هذه الظروف لا يمكن ان تكون عملية تجارية طبيعية (١) ويرى بانه كان على الفلاح ان يدفع خمسين الى ثمانين ، حينما يضطر الى بيع الحاصل بثمن اقل بكثير من ثمنه الاعتيادي . وكل هذا لا يقف حاجزا امام التجار من بيع مشترياتهم من هذه المحاصيل مرة اخرى وفقا للاسعار التي يفرضونها (٢) . وهكذا فان المباشرة بجباية الضريبة في غير موعدها المحدد قد يعمل على ارباك دافعي

(١) Cahen , Op . Cit . p p . 141 - 143 .

(٢) I . bid , p . p . 143 - 144

الضريبة مما يضطرهم الى الاقتراض من المرابين او الضغط عليهم لبيع بعض الممتلكات في ظروف غير طبيعية ، وغير عادلة مما يتسبب في ايقاع خسارة كبيرة بهم .

طرق الجباية

اما عن طرق الجباية فيبدو لنا ان سعة الاقليم وكثرة مدنه وتعدد الضرائب الواجب جمعها قد جعل امر جباية الضرائب دفعة واحدة في موعد محدد من السنة أمرا يكاد يكون مستحيلا . وان من المعروف هو ان الضرائب وخاصة الزراعية منها تعتمد على مدى نجاح الانتـــاج السنوى للارض حيث ان الدورة الزراعية وبالتالى الانتاج الزراعي كان يجري على مدار السنة فان من المتوقع ان الضريبة كانت تجرى وفق ذلك اذ لا يمكن ان نتصور ان تترك جميع الحاصلات في ايدى الفلاحين فترة طويلة حتى يجتمع كل الانتاج السنوى وعليه فان من المعقول ان يكون انتاج الخراج هو بدء السنة المالية للجباية كحد فاصل بين ضرائب السنة السابقة والسنة التي تليها وهو ما اشار اليه ابو بكر الخوارزمي فيما بعد عن الفترة التالية في كتابه مفاتيح العلوم (٢) . وكان يجري استيفاء الضرائب على شكل اقساط او دفعات لسد مبلغ الجباية المطلوب في السنة وهذا ما توصل اليه الدكتور حسام السامرائي عند بحثه موضوع الضرائب

(١) انظر كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي (القاهرة ، ١٣٤٢ هـ) ص ٢٩ ـ ٤٠

في العراق خلال القرن الثالث الهجري (١) .

اما عن اساليب الجباية فقد كانت توجيهات السلطة المركزية تتركز على التدقيق وعلى عدم التفريط في مصالح بيت المال دون اللجوء الى القسوة عند دفع الضريبة وعلى ضرورة الاحســـان في المعاملة (٢) . ولا شك في ان جشع العمال من جهة وعدم وجود رقابة دقيقة قد أدى الى تجاوزات واضحة في المعاملة والى استحداث وسائل متعددة لتحقيق اكبر كسب ممكن . ويشير داينوسيس الى ان ضريبة الفدان المعمول بها خلال العـــصر الاموي قد لعبت دورا بارزا في اضمحلال بعض القرى فتقدم بعضها على حساب البعض الاخر (٣) .

ولعل الجباية كانت الزامية على اساس عـــام بغض النظر عن خصوبة التربة ونوعية الرى والموقع وهو ماشدد الفقهاء على ضرورة أخذه بنظر الاعتبار عند فرض الضريبة (٤) .

ويشير ابو يوسف الى رسالة وجهها الخليفة عمر بن عبد العزيز

---

(١) الدكتور حسام السامرائي ، الزراعة في العراق وانظر مقالته القيمة عن السياسة الزراعية للدولة العباسية (مجلة كلية الامام الاعظم العدد (٢) (بغداد ، ١٩٧٤) ص ١٣٩ ـ ١٥٢ .

(٢) انظر ابو يوسف ، الخراج ، ص ٨٠ ـ ٨٧ ، ومواضع اخرى .

(٣) ن . م . ص ٨٤ ـ ٨٦ .

(٤) ن . م ص ٨٤ ـ ٨٦ .

(رض) الى عامله على السواد بضرورة الامتناع عن جباية عدد من الضرائب المستحدثة التي لا أصل لها في التشريعات الاسلامية (*) ، ويبدو ان الجباة كانوا يستصحبون معهم عدد من الاعيان والانصار وذوي القربى ليعينوهم في الجباية في الوقت الذي يحققون منافع شخصية لأنفسهم كما ان العمال كان عبء معيشتهم يقع على كاهل دافعي الضريبة (١) . اضافة الى عدد كبير من المسميات التي يسحبون عن طريقها مبالغ كبيرة من الفلاحين قد تتجاوز في بعض الحالات الضرائب الاساسية ذاتها (٢) ، ولعل هذا

---

(١) Dionysius ' Op . Cit . ' p . 146

(٢) انظر فصل الضرائب د . حسام السامرائي المرجع السابق

(*) روى ابو يوسف ان الخليفة عمر بن عبد العزيز (ر) كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن : « ان انظر الارض ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب ، وانظر الخراب فان اطاق شيئا ، فخذ منه ما أطاق واصلحه حتى يعمر ، ولا تاخذ من عامر لا يعمل شيئا وما أجدب من العامر من الخراج فخذه في رفق وتسكين لاهل الارض ، وآمرك ان لا تأخذ من الخراج الا وزن سبعة ليس فيها تبر ولا اجور الضرابين ولا أذابة الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا اجور الفيوج (رسول البريد) ولا اجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الارض (أبو يوسف الخراج ، ص ٨٦) .

ما سبب ترك عدد كبير من المزارعين للاراضي لعجزهم عن تحمل كل هذة الاعباء (١) .

غير ان النتائج تكون في مثل هذه الحالة اكثر اضرارا فان حصة هؤلاء من الضريبة يتحملها الباقون مما يزيد المشكلة سوءاً (٢) .

وكانت طريقة الجباية ترهق الفلاحين كثيرا فكانوا يلجئون الى الآخرين للحصول على قروض تسديد مبالغ الضرائب المفروضة يؤدي ذلك الى نتائج وخيمة اذ تزاد الفوائد وتتراكم مما قد يتسبب انتزاع املاكهم عنهم ولعل هذا مما سبب ظهور ما عرف بالألجاء حيث انه قد يلتجأ ضعاف المزارعين الى الولاة أو كبار الرأسماليين لتخليصهم من ثقـــل الضرائب عن طريق التسجيـل الصورى لملكية الارض باسمائهم في مقابل مبلغ معين يدفعونه لهم سنويا وهذا كان يخلصهم في الواقع من كثير من العنت والارهاق غير ان اثاراً كانت خطيرة من جهتين احداهم على الملاك الحقيقين انفسهم وثانيهم على المجتمع بشكل عام . فقد يؤدى تسجيـــل ملكية الاراضي الى ان تتزايد قبضة الشخص الحامي عليها بينما يفقد المالك الحقيقي علاقته بها ويكون الوضع واضحا الى حد بعيد في حالة وفاة احد الطرفين اذ يفقد ورثة المالك الحقيقي او يصبح ورثة الحامي ملاكا حقيقين فيتحول المالك الاصلي وورثته الى مجرد فلاحـين اعتيـاديين وهذا مانجم عنه تجمع عدد كبير من المقاطعات الزراعية بيد عدد محدود من الامراء او

---

(1) Dionysius ' Op . Cit . ' p . 143

(2) Cahen ' Op . Cit . ' p . 148

كبار الموظفين وما ترتبه عن ذلك من أضراراً اجتماعية بالغة الاثر في تقسيم الامة الى طبقات متباينة اقتصاديا تفرق بينهما فروق حادة (١)

كما أن السكان كانوا كثيراً ما يتعرضون لمضايقات من قبل مسؤولي الجباية سواء فيما يتعلق بتحديد موعد الجباية او مطالبتهم بديون متراكمة عليهم في السابق وتشير المصادر الى ان اهل الموصل قد واجهوا سنة ١٨٠ هـ/٧٩٦م) تعسفاً شديداً من الوالي الحرشي الذى طالبهم بخراج سنين مضت فترك البلد كثير من اهلهم الى اذربيجان اذ رحل اهل باسحاق من رستاق الخازر كما أقفرت كل من قرى سطرنينة وترستاباد وهاعلة وباتلي وغيرها من قرى الموصل اذ يشير الازدي الى انها لم تعمر الى عصره كما انها اصبحت مضرب الامثال (٢) . وقد جبي الوالي الحرشي من جراء هذا العمل من اهل الموصل ٦ الاف درهم حملها الى الرشيد في الرقة (٣) .

---

(١) انظر مادة (حماية) Lokkegeard ' Islamic Taxation

السامرائى ، المرجع السابق ، الدورى ، تاريخ العراق الاقتصادى ،

(٢) قال أهل الموصل : - (لم يرضوا بمنجاب فجاءهم الحرشي) الازدي ص ٢٨٧ .

(٣) وكانت هذه الاموال التي حملت الى الخليفة الرشيد فدفعها الى مملوكته خالصة فلما بلغ الحرشى ذلك قال : (انا لله وانا اليه راجعون هلك الناس والصبيان على يدي وتدفع الى مملوكه ، فبلغها فلم تقبله شهرا ثم امرت فبيع ببعضه جوهرا نفيسا =)

كما كان الناس معرضين للسلب والنهب من قبل الخارجين على السلطة الذين يسلبونهم خراجهم اذا كانت شوكة هؤلاء قوية او كانت السلطة المركزية ضعيفة او مشغولة ومثال ذلك ما قام به العطاف أبن سفيان الازدي الخارجي سنة (١٧٧هـ/٧٩٣م) حيث كان من فرسان اهل الموصل حين تحالف مع الصعاليك على الخليفة الرشيد فقد قام بجباية الخراج وحبس العمال وبقي في الموصل الى ان خرج الخليفة الرشيد فطرده وهدم سور المدينة بسببه (١) .

وقد يكون ما يتعرض له السكان من مضايقات وعنت وأرهاق في المجال المادي ناجماً من تعسف من السلطة ففي سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م حيث طلب من اهالي الموصل اداء الخراج في يوم واحد .

وقد ذكر الازدي ان أهل الموصل أحتجوا على ذلك وقالوا بعدم وجوب ذلك عليهم ، قائلين : « أن امـــير المؤمنين يقول اذا وصل التأبير (*) الى اعلاثهم فقد وجب الخراج عليهم » ، وخرج وفد من أهل

= وفي رواية اخرى انه جبي من الموصل واعمالها ألف ألف درهم الازدي ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

وقد قال الشاعر في خالصه : ـ

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع درّ على خالصه

الازدي . ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

(١) الازدي . ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

(*) التأبير ، اى اصلاح النخيل وتلقيحه (ن . م ، ٤١٠ ، ٤١١)

الموصل الى الرقة سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣م وكان فيها الخليفة المأمون ومعهم سفيان بن عبد الملك الخولاني ، فاحتجوا على الوزير بحججهم وكان سفيان من أسن القوم لا يتحدث بشيء « فقال له : ياشيخ مالك لا تتكلم وانت أسن القوم ؟ قال : نحن مماليك ونحن سكانك وقد عزمت على أخراجنا قال : وكيف ؟ قال : تبطل رسومنا وتنقض سنينا وانما يؤدى خراج سنة في سنة قال : ومن اشترط هذا . قال : امير المؤمنين الرشيد . وقال : ومن أين لك هذا ؟ ، قال : انما حاضره وهو في ديوانك ، فأمر المأمون ، فأخرج الشرط بعينه فوجد اسم سفيان فية ، فامضى الشرط وكتب كتابه الى عامل الموصل » (١)

غير ان الخلفاء كانوا يدققون في الجبايات ويحاسبون عن كل تقصير يظهر وقد اشتهر المنصور من بين خلفاء العباسيين بالتدقيق والمتابعه ، وتشير المصادر الى أن المهدي قد استغرب من نقص حصل في عبرة خراج احدى المقاطعات التابعة لجباية خراج الموصل ، فأمر باحضار عامل الموصل - موسى بن مصعب الخولاني - على الفور بواسطة البريد ، حيث أدخل على الخليفة حال قدومه بثياب سفره فجابهه بالسؤال عن النقص الحاصل ، ولم يتركه الا بعد ان اطمأن الى ان مناقلة جرت في الجباية الى ضيعة اخرى كلاهما المالك واحد (٢) . على ان ذلك يجب الا يفهم بانه توجيه من الخلفاء لجمع اكبر كمية ممكنة من النقود ، على الدوام دون ملاحظة دافعي الضريبة ومصالحهم ، اذ عندما أحس

---

(١) الاردي ، تاريخ الموصل ، ص ٤١٠ - ٤١١ .

(٢) ن . م ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

الخليفة المأمون ان اهل فارس وأذربيجان قد أضرّ بهم الخراج ، وثقل على كواهلهم فانه أصدر امره بتخفيف نسبة الجباية عنهم (١).

وهكذا فان الخـــراج كان يشكل المورد الرئيسي لتمويل نشاط الدولة في المنطقة ، وان كان لفظ الخراج ينطوي احيانا في اذهان البعض على معنى خاص هو وارد الارض الخراجية فان الدلائل تشير الى ان جميع اصناف الضرائب كانت تجبى من قبل الديوان ، ولعل الصدقات كانت المورد الوحيد التي أفرد لها مسؤول مختص بجبايتها ، ولعل ذلك قد حصل في فترة متأخرة في اواخر عهد الرشيد او خلال عهد المأمون ، فقد أشار ابو يوسف بشكل واضح الى ان عمال الجبايه في سواد العراق يجمعون كافة الضرائب ويضيفون بعضها فوق بعض واشار الى ان اضافة اموال الصدقات الى اموال الجبايات الاخرى مخالف لاحكام الشريعة ، وطالب بأن يفرد للصدقات عمال جباية يختصون بجبايتها (٢) ولا نعرف مدى دقة المعلومات التي اوردها دايتوسيس التلمحري عندما أشار الى ان والي الجزيرة قد أضطر الى ان يعين بعض الجباة الذين كلفهم بجباية الصدقات (*) فقط ووزع

---

(١) انظر د . حسام السامرائي ، الزراعة في العراق (فصل الزراعة) مع حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ٣٠٥/٢ ـ ٣٠٦ .

(٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٣٦ .

(*) صدقات الماشية مثلا هي زكاة السوائم من الابل والبقر والغنم دون العوامل والمعلوفة (الخوارزمي . المصدر السابق ، ص ٣٩) .

عليهم مسؤلية أحصاء ما يدخل ضمن الأموال التي تفرض عليها هذه الضريبة ، ولعله يبالغ حين يذكر بان هؤلاء الجباة قد تعسفوا وظلموا الى درجة انهم لم يفرقوا عند اعدادهم الاحصائيات بين اموال المسلمين والنصارى وبأن بعض المكلفين كانوا يضطرون الى تصفية نسبة كبيرة من اموالهم المنقولة ليتمكنوا من تسديد هذه الضريبة (١) ولعل دانيوسيس يبالغ كثيراً في هذا الشأن حينما يندد باجراءات العباسيين التي يرى بانها فاقت أضطهادات الامويين (٢)

المصروفات :

كان لسعة اقليم الجزيرة ومواجهته حدود الدولة البيزنطية أثره في ارتفاع النفقات ، وبشكل خاص تغطية نفقات الحملات الموجهة لتأمين سلامة الحدود الاسلامية او الرد على حملات العدوان البيزنطية ضد الدولة . وكذلك نفقات الحملات العسكرية الامنية والتأديبية التي يتطلبها اخماد الثورات الداخلية وخاصة ضد حركات الخوارج . اضافة الى ذلك الانفاق على اعمال البر والتعمير .

ولما كانت ادارة الدولة تسير وفق النظام اللامركزى فان جميع النفقات الدائمه او الطارئة تضاف حتما الى النفقات السابقة ، ويشير الازدي الى ان الحر بن يوسف حينما حفر نهر الموصل كان ينفق عليه الاموال التي يجبيها من المنطقة فلا يحمل الى هشام شيئا (٣) ،

(1) Dionysiui , OP . Cit , P . P . 145 – 146

(2) Ibid . p 146

(٣) الازدي ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

ويمكن ان نتوضح طبيعة الكلفة لمثل هذه المشاريع اذا ما علمنا انه كان يشتغل في هذا المشروع خمسة الاف رجل (١) ، وكان مبلغ ما انفقه الوليد بن بكير عامل الموصل على حفر النهر ثمانية الاف الف درهم (٢) . اما والي الموصل « اسماعيل بن علي » فقد قام بجملة من الاصلاحات . بعد ان خوّله الخليفة صلاحية واسعة للانفاق على السكان وتعمير المدينة التي خرّبها التنازع في اعقاب الثورة التي حدثت فيها سنة (١٣٣ هـ /٧٥٠ م) حيث أمر المنصور اسماعيل بن علي بحسن السيرة والاحسان الى أهلها فلم يرفع له طول ولايته درهما » (٣)

ومع ان الولاة يظهرون لاول وهلة رغم الصلاحيات الممنوحه لهم من قبل الخلفاء بالانفاق على ما تتطلبه شؤون الولاية من النفقات ، فانهم كـانوا محـاسبين من قبل الخلافة عن الاموال التي توجد في خزانتها . وكان والي الموصل موسى بن كعب سنة ١٥٧هـ / ٧٧٣م قد كتب الى الخليفة لما طالبه بالاموال قائلا : « ... يا أمير المؤمنين ما هي الا اربعمائة الف ، وانما أعددتها لامير المؤمنين لان البلد كثير الخوارج واعددتها للرجال متى أحتجت الى محاربة خارجي ، فان كان رأي صوابا والا وّجه أمير المؤمنين من يقبضها ... فوافى الرسول

(١) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٢٤١/٥ ،

(٣) الازدي ، ص ١٦٦ (راجع الفصـل الرابع ـ دور الولاة واصلاحاتهم) .

فخرج والي الموصل من داره الى المسجد المقابل للقصر ، فحفر مع الحائط واخرج اربعمائة الف درهم وحملها الى الشط فأحدرت » (١) ويلاحظ ان الخليفة بغض النظر عن النفقات التي كانت تصرف على الولاية فانه كان يصر على ارسال الاموال الى بيت المال المركزي ، وكان الخوارج هم العذر الاساسي الذى يعتذر به مسؤولوا الادارة حينما يطالبون بالاموال متخذين من ذلك حجة لنفقاتهم فمثلا في سنة (١٧٥ هـ / ٧٩١ م) كسر الخراج ، حيث كانت الخوارج تخرج ولا يصل الى اصحاب السلطان شيء الا دون الربع فان طالبوهم احتجوا بالخوارج (٢) ، على ان الوالي كان له صلاحيات للتصرف بأموال الولاية ، فالسيد والي الموصل صب بين يديه خمسمائة الف درهم فجعل يفرقها على الرجال حتى فرقه وهو يقول : « زن لفلان كذا ولفلان كذا ... حتى فرّق المال عن آخره » (٣) على أن بعض النفقات التي كانت تخرج من بيت المال تذهب هدرا ، وذلك وفقا لاهواء الوالي الذى كان يصرفها على شكل هدايا فقد أمر والي الموصل خالد بن برمك ان تحمل الى عيسى بن موسى لما اضطربت اموره اكرارا من الحنطة ، واكرارا من الشعير ومن الدقيق ، والعسل والسمن والجوز والزبيب والجبن وانواع الفاكهة وما ينبغي ان يحمل الى ذلك البلد من السماق والطريخ والحبوب وما أشبه ذلك تحمل اليه في ثلاث

---

(١) الازدي ، ص ٢٢٧ .

(٢) ن . م ، ص ٢٧٥

(٣) ن . م ، ص ٣٥٥ .

ستين وخمسين ثوبا من أنواع الثياب ، ثم حمل له عشرين الف درهم (١) ، علما باننا لم نعثر على معلومات عن نفقات اخرى كانت قد صرفت على مشاريع في بقية مناطق الجزيرة ، ولعل الازدي باعتباره موصليا كان قد زوّدنا بهذه المعلومات عن نفقات مدينة الموصل ، على ان من القضايا الثابتة التي كانت النفقات مستمرة بالصرف عليها هي قضية الجهاد الاسلامي ضد البيزنطيين عبر الثغور الجزرية ، وكذلك للقضاء على الثورات الداخلية وما اكثرها في الاقليم كما ان مواكب الخلفاء التي كانت تمر عبر طرق الجزيرة المتكررة كانت تتطلب من الولاة اصلاح الطرق لهم والقناطر وتهيئة النزل لهم ولمن معهم ، فكان كل ذلك يخرج النفقة عليه من خزينة الولاية او المدينة كما ان مسألة الاصلاح والتعمير من بناء المساجد وحفر القنوات او أصلاحها ، كل ذلك كان ينفق عليه من اموال الجزيرة .

---

(١) الازدي ، ص ٢١٠ .

الفصل الثالث

فترة الانتقال التى مرت بها الجزيرة الفراتية

من العصر الاموي الى العصر العباسى

موقف الجزيرة من الدعوة والثورة العباسية :

لقد كانت وجهة الجزيرة وميولها « الخارجية » معروفة بشكل واضح في حدود اواخر القرن الاول الهجري ، ولعل فيما اوردته المصادر على لسان محمد بن علي العباسي في رسالته الى الدعاة العباسيين وقوله بأن « الجزيرة حرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في اخلاق النصارى ... » (١) ما يشير الى ذلك في الوقت نفسه الذى يعكس فيه وجهة نظر الدعوة العباسية خلال فترتها المبكرة تلك بالخوارج وموقفها منهم . ان انتشار الفكر الخارجي وشموله مناطق واسعة في الجزيرة ، ونجاح الخوارج فى التصدي للامويين ومجابهتهم لهم قد خدم اغراض الدعوة العباسية الى حد بعيد فلقد أتاحت فترة انشغال الدولة الاموية بتصديها واصطدامها بالخوارج فرصة ذهبيه نادرة للدعاة للعمل الجاد فى نشر الدعوة دون ان يخشون شيئا ودون ان يلفتوا الانتباه (٢) هذا وفي الوقت الذى كانوا يرقبون فيه تطورات الصراع ويستعدون للتدخل الحاسم لمصلحة الدعوة ، فانهم لم يجهدوا انفسهم في الكشف عن ميول السكان فى المنطقة بشكل

(١) مجهول ، اخبار العباس وولده ، ص ٢٠٦ ، ابن قتيبة ، عيون ، الاخبار ٢٠٤/١ ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ٣١٥ .

(٢) مجهول ، اخبار العباس ، ص ٢٦٨ .

دقيق لكي يبنوا على اساس ذلك حساباتهم الدقيقة عن التخطيط للثورة المسلحة . وعلى الرغم من معرفتهم لانتشار الفكر الخارجي في المنطقة فانهم أهتموا بالتفصيلات الدقيقة ودراسة كل منطقة على حده . فالدعاة العباسيون في العراق استفادوا من ظهور الخوارج زمن مروان بن محمد حيث استطاعوا التنقل بعيدا عن الانظار فلما أحتل الخوارج الكوفه ، قدمها ابو سلمة الخلال وكانت تحت حكمهم المباشر بعد ان استولوا عليها بقيادة زعيمهم الضحاك بن قيس الحروري ، ولعله لم يلبث طويلا فقد أشار مؤلف كتاب اخبار العباس وولده بأن ابراهيم الامام قد ارسل اليه يستقدمه الى الربذه (*) حيث كان مقره وتستمر الرواية التي اوردها المؤلف المار الذكر فيذكر أن ابا سلمة الخلال قد تهيأ للسفر وان الاتصالات كانت مستمرة بينه وبين شيخ الدعاة سليمان بن كثير الخزاعي حيث ابلغ الدعاة بضرورة التهيؤ والاستعداد للثورة (١) والراجح ان هذه الاتصـــالات والاستعدادات قد تهيأت نتيجة انشغال الامويين - كما سيمر بنا - بحرب الخوارج . ان قيام الثورة العباسية في خراسان وما صاحبها من تحركات عسكرية تحت قيادة احد كبار العسكريين للثورة العباسية

(١) مجهول ، اخبار العباس وولده ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(*) الربذة ، من قرى المدينة المنورة على ثلاثه اميـال من قـرية (ذات عرق) على طريق الحجاز (الحموى ، معجم ٧٤٩/٢) .

قحطبة بن حميد الطائي ، واتجاه القوات العباسية نحو نهاوند في الوقت الذى وصلت فيه الاخبار عن وفاة نصر بن سيار (*) كلها قد اربكت والي العراق ابن هبيرة من جهة . كما عززت روح الثورة والتحرك لدى الدعاة العباسيين فى العراق . وهكذا فأن ابا سلمة الخلال حينما رأى اختلاط الامر على ابن هبيرة استغل الفرصة فارسل دعاته الى مناطق متعددة من السواد والجـــزيرة وخاصة في المناطق الريفية المطلة على المدن الكبرى بقصد اغراء البدو والفلاحين بالاموال والغنائم ان هم اسهموا في ارباك الوضع وقاموا بحركات اضطراب (١) ومع ان المصادر لا تقدم معلومات اكيده عن عناصر عباسية منظمة في الموصل وبقية مناطق الجزيرة ، فانها تشير الى ان الرايات السود ـ وهي شعار الثورة العباسية ـ قد رفعت في مناطق متعددة منها تكريت والموصل (٢) ، فلقد اعلن ابو امية التغلبي العصيان على السلطة المركزية للدولة الاموية فى تكريت ، والتف حوله عدد من ابناء قبيلته وزعماء تكريت والمناطق المحيطة بها التابعة لها ، وكتب بغير ذلك الى قحطبه . ولعل قحطبه كان في حاجة الى مثل هذه الاخبار من اجل دعم معنويات اصحابه ومن هم تحت امرته من القوات العباسية

---

(١) مجهول المصدر السابق، ص ٣٥٥ .

(٢) ن . م ، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣ .

(*) وهو والي الامويين في خراسان .

، أذ انه ما ان وصلته الرسالة الا وأمر بقراتها على المقاتلين العباسيين حيث لاقت في نفوسهم صدى وتجاوب كبيرين وادت الى ما توقعه قحطبه من تعزيز وتثبيت لقواته ورفع للروح المعنوية لديهم (١) ولعله قد تسلم كتبا أخرى من مناطق متفرقة مهمه من الساحة العراقية والجزيرة (٢) .

ولقد دققنا النظر في هذه الروايات تبين لنا بان اسباب قيام هذه الاحداث لم تكن فجائيه وغير مخطط لها ، أو انها كانت استجابة لا ارادية لدعوة ابي مسلم والمرجح ان يكون هناك دعاة عباسيون لعبوا الدور الفعال في تهيئة الظروف المناسبه للقيام بالثورة . اذ لا يمكن النظر الى مسألة المراسلات بين قحطبة وبين أسحق بن مسلم العقيلي (*) على اعتبار انها بادرة طبيعية لعلاقات جديدة واعتياديه ولا بد ان يكون قد سبقهما نوع من انواع الاتصال والتنسيق بين الطرفين سواء كان ذلك عن طريق المراسلة او عن طريق الرسل ، وتشير المصادر الى مراسلات قحطبة وأنه قد كاتب الناس يدعوهم الى الالتحاق بالدعوة العباسية والتهيؤ للثورة مع أنصارها . كما تشير الى رسالته الى اسحق بن مسلم العقيلي التي ارسلها مع احد المراسلين

(١) مجهول ، اخبار العباس وولده ، ص ٣٥٥

(٢) ن . م ، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣ .

(*) يراجع الفصل الخاص بالمعارضة الاموية منه .

الاكراد ، والتي تمكنت قوات الامن الاموية من الكشف عنها وايصالها الى الخليفة الاموي مروان الذى كتب بسبب ذلك رسالة تحذير الى اسحق بن مسلم ذكره له فيها : « أن صاحب هيت أصاب مع رجل من الاكراد كتابا من رأس الخطيئة وعمود الضلالة قحطبة يدعوك الى دعوته ويزين لك ضلالته ، ومثلك في خطرك ، وقدر النعمة عندك لم تستدرجه خدع السفهاء ، فانظر لنفسك ومنصبك وعشيرتك ، فان الامر الذي يريده القوم قتلك وقتل نظرائك وقد أمرت لك بمئة الف درهم فأقبضها من العامل قبلك واقدم لتؤازر خليفتك على مانابه ، وتشركه في جهاد عدوه والسلام » (١) وهكذا فأن موقف الجزيرة من الدعوة العباسية ، كما يبد وبما حصل فى تكريت كان موقفا ايجابيا ومن المحتمل ان اسحق بن مسلم لم يعد قادرا على القيام بالثورة بغض النظر عن اسباب ذلك سواء كان ذلك لامتناعه برسالة الخليفة الاموى أم نتيجة التخوف منه بعد ان تم كشف الرسالة وحذر الخطط التي ربما قد اعدت لمقاومة الاحتمالات ، وعلى الرغم من ان عددا كبيرا من مناطق الجزيرة قد تبلور موقف سكانها من الامويين منذ فترة مبكرة ، بحيث يصبح أمر قيامهم بالاضطراب بوجه الامويين أمراً محتملا ومتوقعا فقد اصبح من الصعوبه على هؤلاء القيام بحركة عصيان مسلح بسبب وجود عدد كبير من القوات الاموية في الجزيرة وخاصة في منطقة حران التي اصبحت

---

(١) مجهول ، اخبار العباس وولده ، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦

تحتل مركزاً مرموقاً في الفترة الاخيرة من العصر الاموي ، بحيث ان أي حركة من هذا القبيل تمثل مجازفة محضة ، ولعل شجاعة مروان وشدة بطشه مسؤولان عن تأخير نهر الدعوة العباسية في الجزيرة .

غير ان دعوة ابي سلمه سكان الموصل دون غيرهم الألتحاق بالثورة ودعمها يجب الا تفسر بانها مسأله اعتيادية ودون مبرر . ولعل هذه الدعوة تشير الى أحتمال وجود المرتبطين بالدعوة العباسية بين السكان فيها . ومما يقوّى هذا الاحتمال انه قد بويع لابي العباس بالخلافة في الكوفه في الوقت الذى لم يزل فيه مروان يشغل هذا المنصب كما انه لم يشترك فى معركة فاصلة مع العباسيين عند ذلك ، وقد وجه ابو العباس قائد قواته قحطبه الى المدائن في عشرة من القواد « وأمره ان يفرض لمن أتاه من أهل العراق ، وامضاه على شط الفرات الى الجزيرة ، فنفذ حميد الى المدائن ، وأنفذ مالك بن طرّاف في خمسة الاف رجل الى هيت ، فكان يكتب الى حميد بأخبار الجزيرة ، وما يأتيه عن مروان » (١) وقد التحق به العديد من وجوه بلد وأعلنوا له السمع والطاعة فأنفذهم الى ابي سلمه ، فكان اول من سوّد من أهل الشام (٢) ويبدو أن هيت كانت على علاقة حسنة مع العباسيين .

---

(١) مجهول ، اخبار العباس وولده ، ص ٣٧٧ .

(٢) ن . م ، ص ٣٧٧

وتذكر المصادر محاولة الدعاة العباسيين استغلال موقف مروان ازاء أهل الموصل وتشير الى ان قيادة العباسيين رجحت ميلهم الى جانب الدعوة والثورة ضد الامويين بسبب ذلك فقد اشار عفاق بن سعد على ابي عون ان يقدم الى الموصل فأن مروان « قد وترهم وسائر اليهم وما هم الا ان يسمعوا بخبر الدعوة حتى يسودّوا ويجيبوا فقبل قوله ومضى الى الموصل ، فاجابه الناس وبايعوه واجتمع اليه بضعة عشر الف رجل فاقام بها وأحس بأن مروان يتقدم به ... (١) وعلى الرغم من ايراد صاحب الخلفاء لهذه الرواية التي تبين أن أهل الموصل قد أنضموا الى الثورة قبل وقوع معركة الزاب فان المعقول والمرجح ان يكون ذلك قد حصل في فترة تالية .

كما ان عدد من دعاة العباسيون قد زاروا الجزيرة وتفقدوها ولعلهم قد قدموا تقاريرهم الى قيادتهم قبل قيامهم بالثورة ولعل السبب في ذلك ان المنطقة كانت معروفة بميولها الخارجية ومعارضتها للامويين . ولعل الدعاة قد أدخلوا ذلك في حساباتهم وتقديراتهم . وكان لقيادة الدعوة على ما يظهر خبره سابقة باوضاع الجزيرة فقد ذكر الخليفة ابو جعفر المنصور لما أبتنى مدينة الرافقة في الجزيرة بأن والده محمد قد مر بموضع المدينة وادعى بانه ستبنى فيه مدينة يسكنها المهدي (٢) وبغض النظر عما ورد في هذه الرواية من

(١) مجهول ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥ .

(٢) روى اليعقوبي : ان ابا جعفر لما بنى الرافقه قال : « اما أنا =

ادعاءات فهي تشير الى ان المنصور كان قد سبق له أن زار بعض مناطق الجزيرة كالرافقة مثلا ، خلال فترة الدعوة الامر الذى يدلل على وجود تحركات للدعاة في بعض مناطق الجزيرة ويذكر الازدي ان ابا جعفر المنصور دخل الموصل خلال ولاية الحر بن يوسف وانه اتصل به فوصله فشكر له ذلك ، ومن الجدير بالذكر ان يحى بن الحر بن يوسف بن الحكم قد قتل خلال خلافة المنصور وان آل الحر ابن يوسف قد تظلموا عند الخليفة ابي جعفر حيث أصدر اوامره برد ضياعهم عليهم (١) .

وتحدثت المصادر عن مرور الخليفة المهدي بمحاذاة قصر مسلمة بن عبد الملك وتذكيره بفضل مسلمة على محمد بن علي وكيف انه أحضر ولد مسلمه ومواليه وامر لهم بعشرين الف دينار واجرى عليهم الارزاق ، وذلك لان مسلمة كان قد مر به محمد بن علي فاعطاه اربعة الاف دينار (٢)

= فلست انزلها ، فقيل له وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : « كان ابى صار الى هشام وهو بالرصافه فجفاه وناله عنه ما يكره ثم انصرف وانا واخي معه ، فلما صار الى هذا الموضع قال لي ولأخي : اما انه سيبني احدكما في هذا الموضع مدينة فقلت له ثم ماذا ؟ فقال لا ينزلها ابنه ، وانا اعلم انني لا انزلها ولكن ينزلها ابني محمد يعني المهدي (تاريخ ، ٢/٢٧٠)

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٥٧ .

(٢) ابن الاثير، الكامل ٦/٦٠،ابن خلدون ، المصدر السابق ٣/٤٤٦ـ٤٤٧

كما تذكر المصادر أن ابا مسلم الخراساني كان قد تجول في العديد من مناطق الجزيرة فقد بدأ حياته العملية غلاما لعيسى بن ابراهيم ابي موسى السراج ، يتعلم منه السراجة ويخدمه ، وكان عيسى هذا من أهل الكوفة ورئيسا من رؤساء الشيعة العباسية ، وكان موسرا يتاجر بالسروج وآلتها نحو أصبهان والجبال والرقة ونصيبين ، وآمد ويجوب البلاد فيبيعها بها (١)

كما ان ابراهيم الامام كان قد سجن في مدينة حران التي اصبحت واحدة من المدن المهمة ، وتحتوي على جميع المرافق الادارية للدولة ، ولذا كان طبيعيا ان يهيأ فيها سجنا خاصا باولئك الذين يمثلون المعارضة والذين يشكلون خطرا حقيقيا على الدولة ، وكان ابراهيم الامام واحدا من ابرز هؤلاء ، وقد اكسب ذلك مدينة حران ، نظره خاصة عند العباسيين حيث كانت تذكرهم على الدوام بمأساة مؤسس الدعوة الاول ، كما سيمر بنا حينما ارسل الى الدعاة بكتابين مهمين متعلقين بأمر الدعوة كتبهما وهو في طريقه الى سجن حران ، الاول كتبه في حلب لما وصلها والاخر لما وصل حران ، وكان قد بعث بهما الى الدعاة العباسيين ، الكتاب الاول بعثه من حلب (١) مع

---

(١) مجهول ، اخبار الدولة ، ص ٢٥٤ . ابن الاثير ، الكامل ٥/٢٥٥ .

(٢) وكان نص كتابه من حلب : « بسم الله الرحمن الرحيم : الله لا اله إلا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ، ومن =

رجل من موالي عبدالله بن عباس يقال له عبدالله بن هلال كان ينزل حلب . اما الكتاب الاخر فيبدو لنا ان ابراهيم الامام قد أدرك بعد وصوله الى حران انه قد انكشف امره وان امر عودته يكاد يكون مستحيلا وانه لا يأمن على روحه ولذا فانه قد بادر الى ارسال وصية لابي العباس بتولي مسؤولية قيادة الدعوة ، وقد ثبت مؤلف كتاب اخبار الدولة العباسية نص الوصية التي جاء فيها

= اصدقُ من الله حديثا » اما بعد : فان رأيتموني قتيلا اوميتاً فلا يثنينَّكم ذلك عن القيام بالحق فو الذي آمن به المؤمنون ، وكفر به الكافرون ، ليتممن الله امركم وليعزن دعوتكم وليظهرن حقكم، وليقتلن جبابرة بني امية باسيافكم وليقومّن رجل من اخوتى خليفة مطاعا واماما متبوعا وهو عبد الله الاصغر أبن الحارثية فليهدين اليه رأس مروان الجعدي فلا يدخلنّ رجل منكم مرية ان فقدتموني ، ولا ارتياب والله عليكم وكيل وعلى ما اقول شهيد » (مجهول ، اخبار العباس وولده ص (٣٩٣ ـ ٣٩٤) وتاريخ الخلفاء (ص ٥٧٦ ـ ٥٧٧) ويروي مؤلف اخبار العباس بأن هذه الرسالة هي اخر ما ارسله ابراهيم الامام الى ابي سلمه مع المهلهل بن صفوان ، ويبدو انه ارسل نسخة من الرسالة الى قحطبه مع ابراهيم ابن سلمه (مجهول ، اخبار العباس ، ص ٣٩٤ وتأريخ الخلفاء ص ٥٧٧)

: « بسم الله الرحمن الرحيم : حفظك الله يا أخي بحفظ الايمان ، وتولاك بالخير والاحسان كتابي اليك من حران وانا على شرف الامر الذي لابد منه ، فاذا كان ذلك فانت الامام الذي يقيم امرنا وترعى حرمة اوليائنا ودعاتنا ، وتيمم الله به على يديه ماأثلث ، وأُثّل لنا ، فعليك يا أخي بتقوى الله وطاعته في قولك وفعلك واصلاح نيتك ليصلح لك عملك ، وأستوص بأهل دعوتنا وشيعتنـــا خيرا ، وأحفظ عبد الرحمن أميننا والساعي في أمورنا ، وعرّف أهل خراسان ان مـا توجبه له بايثاره طاعتنا ، ولا يكون لك ولأهلك رأي الا الشخوص عن الحميمة (*) الى اوليائنا وانصارنا من اهل الكوفة مخفين لاشخاصكم مستترين ممن تخافون غيلته لكم وسعية بكم وانا استودعك الله خاصة ، ومن قبلكم من أهلنا عامة ، وأسأله لكم الكفاية وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته »(1) . وكان هذا الكتاب قد أرسله مع سابق الخوارزمي حيث يشير الى ان ابراهيم الامام قد وجه تعليمات واضحة حول امرهم الا هو تسمية ابي العباس لمنصب زعامة الدعوة ، وينفرد صاحب تاريخ الخلفاء برواية تشير الى أن ابا سلمة الخلال قد قام بمحاولة لتخليص ابراهيم الامام من السجن وليس لدينا من

---

(1) مجهول ، اخبار الدولة ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ، وتاريخ الخلفاء ٥٧٨ ـ ٥٧٩ .

(*) الحميمه : بلدة من ارض السراة من اعمال عمّان (الحموي ، معجم ، ٣٣٣/٢) .

النصوص ما ينفي او يؤيد هذه الرواية (١) .

مقتل ابراهيم الامام في مدينة حرّان :

كان ابراهيم الامام قد اعتقل في الحميمة وسجن وحوكم ومن ثم قتل في مدينة حران . لم تتفق المصادر على تحديد الاسباب المباشرة لاعتقال ابراهيم الامام . اذ يشير اليعقوبي الى أن مروان امر باعتقاله حينما بلغه اخبار الدعوة وان ابراهيم هو المؤهل للامر (٢) في حين يشير المقدسي وأبن كثير الى ان ابراهيم الامام قد حج سنة ١٣١ هـ ، ومعه أخواه ابو العباس وابو جعفر « وولده ومواليه عليهم الثياب الفاخرة والرحال والاثقال فشهره اهل الشام واهل البوادي والحرمين مع ما انتشر في الدنيا من ظهور أمرهم ، وبلغ مروان خبر حجتهم » (٣) ، واجتمع عبدالله بن الحسن وابراهيم الامام لاختيار من يقوم بالدعوة فانتهى الى مروان ما يدعون اليه في الظاهر ، من ذكر الرضا

(١) روى صاحب تاريخ الخلفاء : « انه لما توجه ابن هبيرة الى جلولاء للتصدي لقوات قحطبة المتقدمة نحو العراق ، ورد كتاب ابي سلمه على قحطبه بان مروان قد حبس ابراهيم الامام وقد هيأت رجلين ابعثهما بمال يصانعان في تخليصه ... فطلب اليه ان يبادر الى الكوفة » (مجهول ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٦٥) .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ٢/٣٤١ - ٣٤٢ .

(٣) المقدسي ، البدء والتاريخ ٦٥/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤٠/١٠

من آل محمد ، فبعث في طلب عبدالله بن الحسن فاستقدمه الى حران واعلمه بما وصل الى علمه من أمر الدعوة واتهمه زعامتها وقد هزّ ذلك الاتهام موقف عبدالله بن الحسن الذى اعترف لمروان بزعامة ابراهيم الامـــام (١) ويرى د . فاروق ان هذه الرواية ليس لها نصيب كبير من الصحة اذا ما علمنا ان هذه الشخصية كانت من ضحايا العباسيين بعد تأسيس دولتهم (٢) وفي رواية ان ابا جعفر لما حبس عبدالله بن الحسن ، قال له : « انت قتلت أخي » (٣) .

وروى ان رجلا من تميم قد ارتكـب جريمة قتل في البصـرة وهاجر الى خراسـان واطلع على اسرار الدعوة بعد انضمامه اليها ، وتشير الرواية في ذكر مدى اعتماد الدعاة عليه واستعانتهم به كرسول لايصال اخبارهم الى ابراهيم الامام وكيف انه خان الدعوة والتجاء الى الخليفة ، فاخبره بامر ابراهيم الامام ومكانته مما تسبب في القبض عليه (٤) وتعددت الروايات فى هذا الشأن فروي ان ابراهيم الامام تقدم الى النقباء الاثنى عشر في كتمان اسمه تخوفا من مروان بن محمد ، فقال مروان : « كيف لي ان اعرف اسم هذا الذى شيعته

---

(١) اخبار الدولة العباسية ، ٣٨٧ ـ ٣٨٩ ، مجهول ، تاريخ الخلفاء ، ٥٧٢ ـ ٥٧٣ .

(٢) د . فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٢٠٩ .

(٣) مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، ص ٣٩٥ .

(٤) مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

بخراسان ، فقال رجل : أنا اتعرف ذلك فشخصه الى عسكر قحطبه ، ورفض ان يبايع للرضا من آل محمد فأصر ان يبايع الى صاحب الدعوة ، فقيل له بايع لابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وهو بالسراة ، فاوصل خبره الى مروان » (١) وفي رواية ان ابراهيم الامام كتب الى ابي مسلم كتاباً يلعنه فيه وذلك لعدم انتهاز الفرصة من نصر بن سيار والكرماني ويبدو ان الرسول قد سلم الرسالة الى الخليفة الاموي مروان بن محمد (٢) والغريب ان النص يشير الى امر صدر عنه « بان لا يدع بخراسان عربيا إلا قتله » (٣) ... ولعل ذلك من مظاهر الدعاية الساسوة التي باشرتها اجهزة الدولة الاموية ضد الدولة العباسية خلال فترة العمل السري (٤) . وروى المسعودي ان الخليفة مروان كان قد استلم كتابا من نصر ابن سيار يذكر فيه خروجه من خراسان « وان الامر الذي أزعجه سينمو حتى يملأ البلاد » (*) ويؤيد د . فاروق الرواية بقوله : « ان

(١) أخبار العباس ، ص ٣٩١ ، مجهول ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٧٥ ـ ٥٧٦ .

(٢) مجهول ، اخبار العباس ، ص ٣٩١ ـ ٣٩٢ ، الطبري ، تأريخ ، ٣٧٠/٧

(٣) مجهول ، اخبار العباس ، ص ٣٩٢

(٤) راجع د . فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٢٠٩

(*) وكان نصر بن سيار قد ضمن كتابه للخليفة مروان ابيات =

نصر بن سيار لعب دورا كبيرا في التعرف على شخصية الامام ودوره في الدعوة العباسية فاخبر بذلك الخليفة » (١) . ويشير المسعودي الى ان مروان لم يستتم قراءة هذا الكتاب حتى أمثل بين يديه من كان قد وكل بالعراق رسولا من خراسان من ابي مسلم الى ابراهيم بن محمد الامام يخبره فيه بخبره ، وما آل اليه امره ، فلما تأمل مروان كتاب ابي مسلم قال للرسول : « لاترع ، كم دفع لك صاحبك ؟ قال : كذا وكذا ، قال فهذه عشرة الاف درهم لك ، وانما دفع اليك شيئا يسيرا وامض بهذا الكتاب الى ابراهيم ولا تعلمه بشيء مما جرى ، وخذ جوابه فأتني به ففعل الرسول ذلك ، فتأمل مروان جواب ابراهيم الى ابي مسلم فيها أبيات من الرجز بعد خطبه طويلة فيها (٢)

= من الشعر منها :

: وانا وما سكتم من امرنا — كالنور اذا قرب للناصح

أو كالتى يحسبها أهلهـــا — عذراء بكرا وهي في التاسع

كسائرفتيها فقد فرقت — والتسع الخرق على البراقع

كالثوب اذا انهج فيه البلى — اعيا على ذى الحيلة الصانع

(مروج الذهب ٢٥٨/٣)

(١) راجع . د فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص٢٠٩

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ص ٢٥٨/٣ ـ ٢٦٠ .

دونك امرآ قد بدت اشراطه ان السبيل واضح صراطه

لم يبق الا السيف واختراطه

مما تقدم يتبين ان الخليفة مروان استطاع ان يتعرف على حقيقة موقف ابراهيم ومركزه في الدعوة العباسية حيث كان مروان يراقب محاولات ابراهيم الامام وتنقلاته من خلال وجوده في حران ، ولذلك قرر ان يودعه السجن .

ويستبعد الدكتور فاروق صحة العديد من الروايات التي ذكرت مؤكدا على صحة رواية نصر بن سيار وارساله بخبر الامام للخليفة ، ويستطرد الدكتور فاروق الى ان فعاليات العباسيين السرية السياسية كانت معروفة منذ عهد عبد الملك بن مروان والوليد ولذلك فليس من المدهش ان يكون ابراهيم الامام المتهم الاول في نظر مروان ، كما وان اسم الامام لابد وان تكون الالسن قد تداولته بعد الانتصارات الخراسانية الكبيرة في صيف سنة ١٣١ هـ / ٧٤٩ م (١).

وبعد ان تعرف الخليفة مروان على حقيقة ابراهيم الامام

ارسل الخليفة الى الوليد بن معاوية بن عبدالملك وهو عامله على دمشق ان يكتب الى عامل البلقاء (٢) ليسير الى كداد (٣) والحميمة « وليأخذ

---

(١) د . فاروق ، المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(٢) البلقاء : كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان وهي كثيرة المزارع والقرى (الحموي ، معجم ١/٧٢٨) .

(٣) كداد : احد مواضع بلاد الشام (ن . م . ٤/٢٤١)

ابراهيم بن محمد ويشده وثاقا ثم ليبعث به اليك في خيل كثيفة » (١)
فجاءت الخيل الى منزله واخبروهم انه بالمسجد فالقوا القبض عليه
ثم قال لهم : « لو تركتموني أسلم على أهلي وأوصيهم قالوا : شأنك
« فاجتمع النساء ودخل عليهم ابراهيم وقد احاطوا بالمسجد والبيت
فسلم على اهله واوصاهم وودعهم قبل ان يمضي الى دمشق » (٢)
وشخص معه ابو العباس وعيسى بن موسى وعبدالله بن علي وعدة من
مواليهم منهم المهلهل بن صفوان وياسر صاحب شرطة المنصور ،
وعاملهم رسل مروان معاملة في منتهى الطيبة ، ثم وصلوا دمشق ،
ومضى ابراهيم الى الوليد بن معاوية فلما أدخل عليه حبسه وأقام
اهله ومواليه معه في دمشق فأتاهم آت من أهل دمشق فقال لهم : « ان
عبد بن رباح الغساني يقول لكم اني لست آمن ان يكتب بعض
قصحاء مروان اليه بأجتماعكم مع صاحبكم ... فيأمر بأخذكم
وحبسكم جميعا وليس لصاحبكم في اقامتكم هاهنا نفع ولعل ذلك
يضره فانصرفوا عنه فلئن يصاب واحد منكم خير من ان تهلكوا
جميعا ... » (٣) فانصرفوا واقام معه المهلهل بن صفوان وياسر صاحب

---

(١) البلاذري ، انساب ، ٢٢/٣ ب ، مجهول ، اخبار الدولة العباسية ص ٣٩٢ ، مجهول غرر السير ، ورقة ١٣٩ أ ، الازدي المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٢) مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، ص ٣٩٩ .

(٣) ن ٠ م ٠ ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ، اليعقوبي ، تاريخ ٣٤١/٢ ـ ٣٤٢ .

شرطة ابي جعفر فيما بعد ولم يلبث ابراهيم بدمشق الا يسيرا حتى اشخصه الوليد بن معاوية الى مروان (١) . وفي رواية ان مروان كان في معسكره فدفعه الى ابنه عبدالله بن مروان وهو عامله على الجزيرة فحبسه (٢) وقد نقل مؤلف كتاب اخبار الدولة العباسية رواية عن احد افراد البيت العباسي تؤكد ان ابراهـــيم الامام كان في وضع يستطيع معه التخلص من رسل مروان والالتجاء الى الشيعة العباسية بالكوفة وانه عزم على ذلك لولا خوفه على ابناء عمومته من العباسيين القاطنين في الحميمة ان يصيبهم الاذى الشديد من مروان بسبب ذلك (٣) ، وقد ارسل كتابين الى الدعاة احدهما بعثه حينما وصل حلب ، والاخر لما وصل حران يتعلقان بامر الدعوة ثم أدخل سجن حران ، حيث جرت محاكمته من قبل الخليفه مروان نفسه ويقدم مؤلف كتاب اخبار الدولة العباسية صورة طريفة للمناقشه التي دارت بين ابراهيم الامام وبين مروان بن محمد والتي جرت في قصـــر الخليفة في احدى ضواحي حران . غير ان مروان قد حدد مستقبل البقية الباقية من حياة ابراهيم ان تختتم في السجن مع زمرة المنافسين لمروان على منصب الخلافة على احسن احتمال . ويذكر المسعودي رواية يستعرض فيها حوار طويل جرى بين ابراهيم الامام والخليفة

---

(١) مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، ص ٣٩٦

(٢) ن . م ص ٣٩٦

(٣) ن . م ، ص ٤٠١ ـ ٤٠٢

الاموي الذي قال له بعد ذلك : « يامنافق اليس هذا كتابك الى ابي مسلم جوابا عن كتابه اليك » ثم انه واجهه برسوله الى ابي مسلم وقال له : « اتعرف هذا ؟ فلما رآه ابراهيم أمسك وعلم انه قد اتى من مأمنه » (١) . وتستمر الرواية التي يقدمها المسعودي بالقول بان مروان « قد اغلظ له وأنبّه وشجته بما حدا بابراهيم الامام الى أن يقول له : « يا أمير المؤمنين ما أظن الا ما يروى الناس عليك حقا في بغض بني هاشم ومالي وما تصفه » فقال مروان « ادركك الله باعمالك الخبيثة فان الله عزوجل لا ياخذ على اول ذنب ... » (٢)

وقد ذكر الخليفة مروان في معالجة مشكلة ابراهيم الامام والدعاة العباسيين ، وذلك بعد ما التبس امر ابراهيم الامـــام عليه واخذ مروان يفكر في الطريقة التي يعالجه بها . فدعى اهل مشورته من ابنائه ووزراءه وخاصته ، وكان فيهم كـاتبه عبد الحميد الذي قال لمروان : « ... يا امير المؤمنين هذا رجل زاكي الحسب ، ليس بمغمور في حسبه ولا في قرابته بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد عظـــم الخطب الذى ترهبه منه،فكنت ارى ان تستخلصه وتدفع معرة هؤلاء القوم الذين دعوا اليه باستصلاحه والاصهار اليه وترسل اليه قبل ان يظهر شأنه فتؤكد عليه بيعتك ، وتزوجه بعض بناتك اللاتى قد ملأن قصرك ، وتوليه الجزيرة . فيكون في جندك وبقربك ويغدو ويروح

(١) المسعودي ، المصدر السابق ٢٥٩/٣ .

(٢) مجهول ، تاريخ الخلفاء ، ص٥٧٦ ، مجهول ، غرر السير ، ورقة ١٣٩ أ

عليك وقد وصلته وأكرمته بملاحمتك اياه ووليته وأذقته حلاوة سلطانك فبالحرى ان يشكرك ويحذر الغير ان يكفرك ويفي بعهدك ، ولم تزر من سلطانك ولا من منزلتك شيئا ... » فقال مروان « لست ادفع ما ذكرت الا ان الوقت ضيق ليس بوقت ذاك ولا يزداد امره لو فعلت ذلك به الا القوة ولايزيد ذلك أهل الشام الا اجلالاً لامره ومقاربة له ووحشة منا ومتابعة له خيفة من جنوده ورغبة فيه بما اظهرنا من اجلال منزلته فلم يقبل عن عبد الحميد ما أشار عليه » (١) وهذا يعكس اهمية الموضوع في تصور الخليفة ورغبته في وضع حد للخطر الناجم عن بقاءه ويبدو انه اراد ان يستعين برأي الاخرين لمعالجة وضع ابراهيم الامام بدون ان ينفرد برأيه في الموضوع ، ويبدو ان اشارة عبد الحميد فيها وجهة نظر قد تكون معقولة لمعالجة المشكلة . ويبدو ان مؤلف اخبار الدولة العباسية يورد الرواية وكذلك تاريخ الخلفاء كما وان اجابة مروان على اقتراح عبد الحميد فية وجه من الصحة وذلك لانه اخذ يدرك جيدا طبيعة مواقف اعدائه فيما اذا قبل ونفذ اقتراح عبد الحميد .

مكث ابراهيم الامام في السجن حيث سمح لاحد رجاله ان يخدمه (*) ويذكر صاحب تاريخ الخلفاء (٢) رواية منفردة تشير الى

---

(١) مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٩ ، مجهول ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٨٠ ـ ٥٨٢ .

(٢) مجهول تاريخ الخلفاء ، ص ٥٦٥ .

(*) وهو صاعد بن سالم الذي سلم الحجابة لصالح بن علي فيما =

ان ابا سلمة الخلال قد قام بمحاولة لتخليص ابراهيم الامام من السجن وذلك حينما هيأ رجلين بعثهما بمال يصانعان في تخليصه وليس لدينا من النصوص ما ينفي او يؤيد هذه الرواية . وتقدم لنا الروايات معلومات تشير الى احتمال وفاته بشكل غير طبيعي عن طريق دسّ السم له في لبن ، فينقل مؤلف كتاب اخبار الدولة العباسية رواية يتحدث فيها المهلهل بن صفوان بقوله : « كنت أخدم ابراهيم بن محمد في الحبس وكان معه في الحبس عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ، وشراحيل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك فكانوا يتزاورون، وخص الذي بين ابراهيم وشراحيل فاتى رسول شراحيل يوما بلبن فقال : يقول لك أخوك ، أني شربت من هذا اللبن فاستطبته ، فاحببت ان تشرب منه ، قال : فتناوله ابراهيم فشربه ، فتوّصب من ساعته وتكسر جسده وكان يوم يأتي فيه شراحيل ، فأبطأ عليه فارسل اليه شراحيل جعلت فداك قد أبطأت فما حبسك ؟ فارسل اليه : اني لما شربت اللبن الذي ارسلت به خالفني ، فاتاه شراحيل مذعوراً ، فقال لا والله الذي لا آله الا هو ما شربت اليوم لبنا ولا أرسلت به اليك ، فانا لله وانا اليه راجعون ، أحتيل لك والله ، قال ، : فو الله ما بات ابراهيم الا ليلته واصبح ميتا » (١) ولما

= بعد (انظر مجهول ، اخبار الدولة ، ص ٣٩٥) .

(١) مجهول ، اخبار الدولة العباسية ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ، مجهول ، غرر السير ، ورقة ١٣٩ أ ، مجهول ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٧٧ ـ ٥٧٨ .

أحس بحاله كتب « رقعة الكتاب الذي اعطاه لمولاه سابق الخوارزمي الذي كان معه واسر اليه شيئا وسرحه من ليلته » (١) وتقدم مصادر اخرى روايات مشابهة عن الموضوع فقد نقل الطبري ذلك ايضا (٢) وأختصره أبن الاثير (٣) . وعلى ذلك فان من الصعب قبول هذه الروايات دون تدقيق وخاصة انها كتبت في فترة تالية سادت فيها روح العداء ضد الامويين ، وجرت فيها محاولات اعطاء خصومهم ـ وخاصة من هم في منزلة ابراهيم الامام ـ صفة البطولة . ولعل من المناسب ان نشير هنا الى ان المصادر تورد معلومات اخرى متصادمة حول وفاته ، فيذكر الطبري بان مروان قد هدم عليه بيتا فقتله (٤) ، وينقل رواية ثالثة تشير الى انه توفى في السجن بعد اصابته بمرض الطاعون (٥) الذي كان منتشرا تلك الفترة اما الازدي فيقدم رواية مختلفة تذكر بانه مات خنقا بتدبير من مروان أبن محمد (٦) ، في حين يذكر المقدسي سببا آخر يختلف عما سبق

---

(١) مجهول ، اخبار الدولة ، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ، مجهول ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٧٧ ـ ٥٧٨ .

(٢) الطبري ، تاريخ ٧/٤٣٦ ـ ٤٣٧ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٥/٤٢٠ ـ ٤٢١ .

(٤) الطبري ، المصدر السابق ٧/٣٤٦ ، مجهول اخبار العباس ، ص ٣٩٧ .

(٥) الطبري ، المصدر السابق ، ٧/٣٤٥ .

(٦) تاريخ الموصل ، ص ١٢١ .

وهو ان السجانين قد « اثقلوا عليه الحديد وضيقوا عليه الحلقة حتى مات فدفن بقيده » (١) وفي رواية ان رأسه وضع في جراب نورة فمات خنقا (٢).

وتتحدث بعض الروايات عن ارسال ابراهيم الامام الوصية الى ابي العباس (٣) وبعد وفاته تولى تجهيز جثته للدفن رجلان من حران وصلى عليه عبد العزيز بن محمد بن مروان حيث دفن في موضع عرف بعد ذلك بمقابر قريش (٤) وكان معه في السجن عدد من الشخصيات السياسية ، ومنهم عبدالله بن عمر الذي جزع عليه جزعا شديدا فقال له مولى له : « أتجزع على عدوك وعدو أهل بيتك ؟ قال : ويحك اني اجزع على نفسي » (٥) وروى انه قتل بعد شهرين من حبسه (٦)

انتقل البيت العباسي سرا الى الكوفة بعد ان وصلته اخبار وفاة الامام في سجنه بحران وارسل ابو العباس رسله الى الدعاة بالتعليمات والاوامر الجديدة بعد ان تسلم أمر الدعوة (٧) ومن الطريف ان يلتقي

---

(١) البدء والتاريخ ٦/٦٦

(٢) بلازري ، انساب ٢/٣٢ ب ، مجهول ، غرر السير ، ص ١٤٠ أ

(٣) مجهول ، اخبار العباس ، ٣٩٦ ،

(٤) ن . م . ص ٣٩٥ .

(٥) ن . م ، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

(٦) المسعودي ، التنبيه والاشراف ص ٢٩٣ .

(٧) اخبار العباس وولده ، ص ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

ابو العباس وأهل بيته بعمه داود بن علي وابن عمه موسى بن داود وكانا ذاهبين من الكوفة الى الحميمه ، وبعد مناقشات بينهم حول جدوى الخروج وتحذيره من الظروف غير الملائمة قرر داود الرجوع مع ابي العباس بعد سماع رأيه واصراره بوجوب عودته معه لنصرته (١) وتجمع المصادر على القول بان البيت العباسي قد دخل الى الكوفة سرا وان الدعاة لم يكونوا على علم بالامر، حتى ان اباسلمه الخلال نفسه لم يكن على علم بالامر رغم انة كان يتولاه (٢) ثم بويع ابو العباس بالخلافة وذلك بموجب وصية ابراهيم الامـــام . وروى ان الشيعة بخراسان قد وقفوا على امر ابي العباس من يقطين بن موسى الكوفي احد الدعاة ، ذلك ان الشيعة لما حبس ابراهيم ، قد اشتبه عليهم امر من يتولى الامر بعده ، فقصد حران واحتال حينما أعلن انه تاجر وقد باع بضاعته لشخص في الحميمة ذكره له انه في سجن حران ، فأمر الخليفة مروان بن محمد بأدخاله عليه . ولما دخل يقطين ابن موسى على ابراهيم الامام قال له : « ... يا عدو الله الى من تكلني ومن أمرت ان يدفع حقي اليّ - وابراهيم يعرفه - فقال ياعافاك اللهابن الحارثية » (٣) وقصد به ابو العباس الذي كان يعرف بذلك ايضا .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤١٠ - ٤١١

(٢) مجهول ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٧٩ .

(٣) روي انه لما اختلفت الشيعة بخراسان ، وقفوا على أمر ابي =

وبعد ان قتل ابراهيم الامام دخلت زينب بنت سليمان بن علي ، على مزنة زوجة مروان بن محمد فكلمتهما في جثة ابراهيم الامام ، فأمرت بأخراجها قائلة : « ما للنساء والدخول على الرجال في ارائهم ؟ ... » (١)

وقد جاء الشيعة العباسية نعي الامام فقال ابو هدبة : (٢)

ناع نعى لي ابراهيم قلت له	شات يداك عشيت حرانا
نعى الامام وخير الناس كلهم	اخذت عليه يد الجعدي مروانا

= العباس من قبل يقطين بن موسى الكوفي الذي قال لهم : انا اعلم لكم فقصد حران ووقف على طريق مروان بن محمد وقال : الله ، الله يا امير المؤمنين فيّ ، انا رجل تاجر قدمت الحميمة بمتاع لي فأدخلت الى رجل له شارة وهيبة فأبتاع مني المتاع ولم يدفعني بشتمة الي ، واتى رسلك فقبضوا عليه وهو في حبسك فان رأيت ان تأخذ حقي منه ، فافعل ، فقال لبعض خدامه اذا قضيت الصلاة فأحمل هذا الرجل الى ابراهيم وقل له اخرج الى هذا الرجل ، فمضى الخادم بيقطين الى ابراهيم فلما وقع يقطين عليه قال له يا عدو الله الى من تكلني ... فقال ياعافاك الله ابن الحارثية ... ثم عاد للشيعة العباسية واخبرهم (ن ٠ م ، ص ٥٧٩ . مجهول ، غرر السير ورقة ١٣٩ أ - ب) .

(١) راجع المسعودي مروج الذهب ج٣/ص٣٢٣

(٢) المقدسي ، البدء والتاريخ ٦٦/٦

وروى ان قحطبه بن شبيب الطائي ، قد حزن عليه حزنا شديدا ، منذ حبسه حتى ظهر ذلك عليه « وارجف به من رآه ، وقالوا اتاه خبر كرهه ، فشخص قحطبه من حلوان باتجاه قصر شيرين وهو يريد الكوفة (١) .

وكان مع الامام في سجن مدينة حران الجزرية عدد من الشخصيات الهاشمية والاموية ، فمن الهاشميين عيسى بن علي وعيسى بن موسى ، ومن بني امية عبدالله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، والعباس ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، حيث كان مروان يشك في حقيقة ولائهم وموقفهم من الامويين (٢) وكان معهم سعيد بن هشام ابن عبد الملك وابنه عثمان ومروان وابو محمد السفياني وفي الايام الاخيرة من الحكم الاموي وقبل معركة الزاب جرت محاولة للهروب من السجن ، وكان نتيجتها مقتل جميع السجناء الا عدداً قليلاً اطلقهم مروان بعد هروبه من الزاب ، وخاصة ابا محمد السفياني (٣) الذي

---

(١) مجهول ، تاريخ الخلفاء ، ٥٦٥ ـ ٥٦٦ .

(٢) المسعودي ، المصدر السابق ٢٥٩/٣ ـ ٢٦٠ .

(٣) وكان من الذين هربوا سعيد بن هشام بعد ان قتلوا صاحب السجن ـ فقتله اهل حران ومعه شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك ، وعبد الملك بن بشر التغلبي ، وبطريق ارمينية الرابعة (كوثان) وبعد هروب مروان في الزاب اطلق سراح ابو عون وابو محمد السفياني (الطبري ، تاريخ ٤٣٦/٧ ، ابن عبد ربه ، =

استطاع ان ينظم ثورة اموية بوجه العباسيين سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م كما سنرى .

وبمقتل الامام يكون دوره قد انتهى في قيادة الدعوة وزعامة البيت العباسي ، ومع ان هذا الحدث قد اشاع الحزن بين الدعاة وانصار الدعوة فانه لم يحقق شيئا بارزا في صالح الامويين ، وعلى الرغم من ظهور الخلافة الاموية بمظهر القوة والقسوة أزاء اعدائها فان ذلك اعتبر من قبل الدعاة ، مدعاة للتشديد والاصرار في العمل واحكام التدبير من خلال الفترة الاولى قبل تحقوق الانتصار ، فان الاخبار تتواتر عن مباشرة ابراهيم الامام التأثير في توجيه الدعوة خلال فترة سجنه ، كما يبدو ذلك من خلال ما أشارت اليه ـ المصادر من رسالة صادرة عنه الى زعامة البيت العـــباسي كما مر بنا . وكانت القوات العباسية قد تقدمت باتجاه العراق والجزيره الفراتية حيث اصطدمت مع القوات في معركة الزاب .

الاموية معركه الزاب :

تعتبر معركه الزاب من المعارك المهمة في التاريخ الاسلامي ، حيث كانت نهايتها خاتمة المطاف لقوة نفوذ اخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد . وتشكل نقطة التحول في فترة الانتقال من الحكم الاموي الى العباسي .

= العقد الفريد ٤٧٩/٤ ـ ٤٨٠ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ٢٧٨/٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤٤/١٠

قبيل معركة الزاب :

اشتعلت الثورة العباسية في خراســـان وأدى ذلك الى أرتباك الامويين بعد ان أستطاع الدعاة العباسيون أحتلال خراسان ،والعديد من المناطق الايرانية الاخرى ، ولم يتمكن نصر بن سيار - والي الامويين بخراسان - ان يصمد كثيرا بعد نجاح التيار العباسي في خراسان ، وكانت التناقضات القبلية من التيارات العنيفة التي هزت الكيان الاموي في خراسان ، وبعد ان تخلى اليمانيون عن الامويين وذلك لتقديم مروان قيس على اليمن وانضموا الى جانب الثورة ضد الخليفة الاموي (مروان بن محمد) .

وعلى الرغم من احســاس نصر بالخطر وتحذيره الخليفة وعامله على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة - فأن ذلك لم يحقق شيئا مما أضطره الى الرحيل عن خراسان ، ويشير البلاذري الى ذلك وينقل نص رسائل متبادلة بين كبـار الرسميين الامويين غير ان طبيعة ظروف الخليفة من جهة والمنافسة الحادة بين نصر وبين يزيد بن هبيرة والي العراق حالت دون حصول التعاون وبالتالي ادت الى ضياع الفرصة في القضاء على الثورة في مهدها (١)

---

(١) فقد كتب نصر بن سيار الى مروان شعرا فيه :

أرى خلل الرماد وميض جمر   خليقا ان يكون له ضرامُ

فان النار بالعودين تذكـى   وان الحرب يقدمها الكلام

فقلت من العجب ليت شعري   أأيقاظ امية أم نيــــام

فكتب مروان ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم =

وهكذا لم تتح الظروف لنصر ان يتلقى اية مساعدة في موقفه الحرج ، مما أدى الى ان يضطرب امره وان يهرب من خراسان بعد ان تأزمت الامور ، وقد عاجلته الوفاة فخلفه ابنه سيار بن نصر بن سيار الذي لم يستطع ان يفعل شيئا أزاء الموقف المتدهور فقد تمكن العباسيون من الاستيلاء على خراسان وتنظيم الادارة الجديدة فيها فقد عين زنباع بن النعمان واليا على سمرقند (١) كما عين خالد أبن ابراهيم واليا على طخارستان (٢) وولى محمد بن الاشعث على الطبسين (٣) وانضم الى قحطبة بن شبيب ابا عون مقاتل بن حكيم

= الثؤلول قبلك ، فلما قرأ نص الكتاب قال : ما هو فقد أعلمنا انه لا كبر عنده ، وكتب الى يزيد بن عمر بن هبيرة عامل العراق : أنشدك الله ان تضيّع خراسان وكان يزيد حسودا وكره ان يذهب نصر بسمعتها ولم يبال كيف وقع الامر وكتب اليه نصر « ان مدني بالف عمامة هاشمية ، ووجه اليّ في كل يوم رجلا او رجلين فلم يفعل وكان يستخف بكتبه اذا كَتَبَ ... »، ثم كتب اليه ابن هبيرة : « لا تكثّرن فما عندي رجل واحد ...» (بلاذري ، انساب ، ورقة ١٣أ)

(١) بلد معروف ومشهور في بلاد ما وراء النهر (ياقوت ، معجم ، ١٣٣/٣

(٢) طخارستان ، ولاية واسعة تشمل عدة نواحي وهي من نواح خراسان وتقسم الى العليا والسفلى (ن . م ٥١٣/٣) .

(٣) الطبسين : قصبة ناحية بين نيسابور واصبهان ، تسمى قهستان =

العتكي وخالد بن برمك وحارثه بن خزيمة وعبد الجبار بن نهيك ، وجهور بن قود العجلي ، والفضل بن سليمان ، وعبدالله بن النعمان الطائي ، وانضم الى كل واحد من هؤلاء القواد « صناديد الجنود وأبطالهم » ، واتجه الى طوس (١) لكي يقضي على مقـــاومة قوات الامويين ليتفرغ بعد ذلك للتوجه نحو العراق . وحينما اقترب من طوس أنهزمت القوات الاموية منها ، فتقدم ليفتح جرجان (٢) ، ثم توجه الى الري (٣) ليهزم عامل الامويين فيها ثم يتابع انتصاراته باحتلال أصبهان ونهاوند (٤) وحلوان (٥) . ومن حلوان كتب قحطبه الى قادة الثورة العباسية يبشرهم بانتصاراته ويعلمهم بتحشيد خليفة الامويين مروان بن محمد قواته في منطقة الزاب استعدادا للمعركة

= ، وهما بلدتان (ن . م ٣/٥١٣) .

(١) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور ، نحو عشرة فراسخ (ن . م ، ٣/٥٦٠)

(٢) جرجان ، مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان (ن . م ، ٢/ ٤٨ ـ ٥٤) .

(٣) الري : وهي على طريق خراسان على ستة فراسخ من المحمدية (بلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣١٦) .

(٤) احدى المدن التي في غرب بلاد ايران على الطريق الى خراسان (ن . م ، ص ٣٠٠)

(٥) حلوان : مدينة بقرب الجبل في بلاد ايران (حموي ، ٢/٣١٦ـ ٣١٧)

الفاصلة (١) .

استقرت القيادة العباسية في حلوان وبدأت تخطط للمعركة المرتقبة ، ويبدو ان قحطبه أدرك خطورة الوضع وعواقب التسرع اذ لم يرغب في المجازفة بعد أن اتضح له ان مروان بن محمد قد اقبل من الشام حتى وافى الزابين وأقام بها (٢) ويلاحظ انه صمم على ايقاف زحف قوات الثورة العباسية ، محاولا مبادرتها بالهجوم على طريق الزاب ولايقاف تقدمها .

ثم أمر قحطبه بان يقسم قواته الى مجموعتين يوجه القسم الاول وهو الاكبر ويتألف من ٣٠ الف مقاتل من الفرسان الى الزاب لايقاف تقدم الخليفة الاموي وأرغامه على التراجع ومحاولة ابادة قواته ، وان تكون هذه القوات تحت قيادة ابي عون عبدالملك بن يزيد العكي ، وان يتوجه هو بالقسم الثاني الى أبن هبيرة الذي تحصن بواسط لمحاصرته ومنعه من تقديم اية مساعدة محتملة الى جيش الخلافة الاموية في الزاب (٣) . وتذكر المصادر ان قحطبة قد نفذ ذلك فقد وجه ابا عون عبد الملك بن يزيد العكي ، ومالك بن طريف الخراساني في قوات عباسية قدرت باربعة الاف مقاتل للقيام بمهمة التصدي

---

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

(٢) ن . م ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

(٣) ن . م . ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥، الطبري ، تاريخ ، ٤٠٩/٧ ، الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٢٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ٤١٧/٥

للقوات الاموية (١) ، وقد عسكرت هذه القوات على مقربة من مدينة شهرزور تنزل على فرسخين منها ولم تلبث طويلا حتى اصطدمت بالقوات الاموية (٢) ولعل ذلك يعكس الى حد ما اتجاهاً عسكرياً سليما يستهدف عرقلة تقدم القوات الاموية ومنع الاتصال بين فرقها المتوزعة واشغالها في مناطق مختلفة تمهيدا لضرب اجزائها المتفرقة . تقدمت القوات العباسية بقيادة ابي عون ومالك فاشتبكت مع قوات الامويين على مقربة من شهرزور ، وكانت نتيجة الصدام لمصلحة العباسيين ولا تقدم المصادر رواية موحدة عن مصير عثمان بن سفيان قائد القوات الاموية (٣) وهكذا جعل ابو عون منطقة الموصل والجزيرة مركز نشاطه واستفاد من ولاء أهل شهرزور للعباسيين (٤) ولعل من ابرز اثار هذه المعركة الدعم المعنوي الكبير الذي هيأته الجيش العباسيين ودفعها ساحة التصادم بعيدا عن خراسان وباتجاه الجزيرة والموصل ، كما انها من الناحية الثانية كانت صدمة قاسية على المعسكر

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ٤٠٩/٧

(٢) ن . م ، ٤٠٩/٧

(٣) ن . م . ٤٠٩/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤١٧/٥ ـ ٤١٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٨/١٠ .

Daniel C. Dennett, MARWAU IBN MUHAMMED, London, 1939 (اطروحة دكتوراه ـ مصورة) p. 310

(٤) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ٢١٠/١ .

الأموي اذ انها وجهت ضربة قوية الى عظمة الحكم الاموي ونبهته الى خطر حقيقي ومعارض عنيف ، ولعل ذلك ما يعكس الاسباب التي دعت الى مبادرة العناصر الاموية الى تحشيد امكانياتها بجانب مروان ابن محمد وهو في طريقه الى منطقة الموصل عازما على القضاء على القوات العباسية الثائرة بقيادة ابي عون (١) . ولعل ما يعكس اهتمام الخلافة وتحسبها للامر وتحسسها بالخطر ان الخليفة امر بان تحفر الخنادق والتحصينات وان تدعم خطوط دفاع متتالية منعا لاحتمالات الهجوم المفاجيء الذي قد يقوم به الثوار العباسيون . على ان شخوص الخليفة بنفسه ، وتوليه مسؤلية القيادة تكفي وحدها لتوضيح مدى الاهمية التي اعطيت للانتصار العباسي في شهرزور ومدى الصدمة التي مني بها الامويين والرعب الذي اصابهم بسبب ذلك (٢) .

توجهت قوات عباسية اخرى بقيادة قحطبة بن شبيب الى العراق وفي معيته عدد من وجوه اهل خراسان (*) ، حيث اصطدمت بقوات اموية ، اعترضته بقيادة قحطبة بن نباته في منطقة جرجان(**).

---

(١) الطبري ، ٤٠٩/٧

(٢) ن .م ٤٠٩/٧ .

(*) منهم قحطبة بن الحسن ، وابو غانم عبد الحميد بن ربعي وغيرهم.

(**) جرجان مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان (حموي ، معجم ٤٨/٢ _ ٥٤) .

فقتل قائد الامويين وهزمت قواتهم كما هجمت قوات أموية أخرى بقيادة عامر بن ضباره في اصفهان (١) .

وقد تمكنت القوات العباسية من احتلال الكوفة دون مقاومة شديدة (٢) ولعل ذلك قد جعل مروان يواجه وضعا صعبا للغاية ويشعر بالخطر الشديد باقتراب موعد المعركة المصيرية الفاصلة .

توجه مروان الى الزاب :

كان لانتصار قوات الثورة العباسية في شهرزور ، اثر كبير في توجه مروان على رأس جيش في محاولة لايقاف تقدم القوات العباسية .

يذكر الازدي « أنه لما بلغ مروان توجه ابي عون العكى الى الموصل خرج من حران في مستهل صفر من سنة ثلاث وثلاثين ومائة ونزل ماكسين حيث عسكر فيها ـ حوالي الشهر ـ الى ان تجمعت قواته التي كان عمادها أهل الشام والجزيرة » (٣) فسار متوجها نحو الموصل التي ما أن وصلها حتى باشر في تحصينها بحفر خندق بازاء

(١) البلاذري ، انساب ، ورقة ١٣ أ (وهي مدينة كبيرة في بلاد ايران ، حموي ٢٩٢/١ ـ ٢٩٨ .) .

(٢) راجع عن معركة الفلوجة واحتلال الكوفة من قبل جيش الثورة العباسية د . فاروق ، طبيعة الدعوة ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩ .

(٣) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

المكشوف من مواقعها ولم يغادر المنطقة حتى انتهى من تحصينها ، ثم باشر بأقامة تحصينات متقاربة باتجاه الزاب (١) ولعل السبب في اعتماده اسلوب حفر الخنادق ناجمة عن اطلاعه على طريقة انتصار العباسيين على قواته في شهرزور .

وتشير المصادر الى ان مروان صمم على عبور الزاب لملاقاة العباسيين رغم تحذير اخلص نصائحه له حيث اشار عليه وزيره الا يفعل وان يقيم مكانه فأبى غير انه أدرك خطأه بعد ان تم عبوره(٢) ويرى د . فاروق عمر ، بأن مروان ارتكب خطأ استراتيجيا كبيرا بعبوره الى الساحل الايسر من الزاب الكبير فقد فقد سيطرته وموقعه الحصين (٣) . ويبدو ان الخليفة لم يكن واثقا من اخلاص قواته متهيبا من قوات اعدائه اضافة الى انه كان متشائما متطيرا على العكس من العباسيين الذين كانوا يتمتعون بمعنويات عالية واندفاع ذاتي في القتال من اجل ما يعتقدون جدوى الاستشهاد في سبيله .

ومن المفيد ان نشير هنا الى ان المعركة قد حصلت في وقت تال لظهور ابي العباس ومبايعة المسلمين له في الكوفة ، حيث ان القوات

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ١٢٥ - ١٢٦

(٢) ن . م ، ص ١٢٢ - ١٢٣ ، ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ٤١٨/٥ - ٤١٩ .

(٣) طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٢١١ . وراجع الخارطة المرفقة في نهاية الفصل مع

العباسية بدأت بعد هذه الحادثة تتدفق مندفعة الى الزاب لمواجهة القوات الاموية واصبح خلال هذه الفترة خليفتان في الدولة الاسلامية. هيأ مروان ما يستطيع تعبأته لمقاومة الثورة العباسية فيشير المسعودي الى انه خرج « في جيوش عظيمة وجموع مهولة وعدة كثيرة » (١) .

وينقل خليفة بن خياط روايه عن اعداد المقاتلة معه فيذكر انه خرج في « مائة الف من فرسان الشام والجزيرة » (٢) وروى انه في « مائة الف عنان وعرض بظاهر الموصل ٧٠ الف عربي على سبعين الف فرس عربي » (٣) وكان مع عبدالله بن علي اثني عشر الفا(٤) رغم ان بعض المصادر ترفع العدد الى « عشرين الفا » (٥) .

---

(١) التنبيه والاشراف ، ص ٢٨٣ .

(٢) خليفه ، تاريخ ، ٤٢٧/٢ ، الذهبي ، العبر في خبر من عبر ، ١٧٤/١ وفي رواية انه في مائة وخمسين الفا (خليفة) ٤٢٧/٢، وقيل مائة وعشرين الف ، الطبري ٣٤٩/٧ ، الازدي ، ص١٢٦، المكي ، سمط النجوم العوالي ٢٢٥/٣ .

(٣) مجهول ، غرر السير ، ورقة ١٤٦ ب .

(٤) بلاذري ١٣/٨ ب ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ٢٠٤/٥

(٥) الطبري ، ٤٣٩/٧ ، الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٢٦ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٢٠٤/٥ ابن كثير ، البداية والنهاية ٤٣/١٠ ، ابن الاثير ، الكامل ٤١٩/٥

ورغم الاختلاف بين المصادر (*) في عدد الجيش العباسي والاموي الا ان القوات الاموية والعباسية بنفس العدد تقريبا بين ٢٠٫٠٠٠ - ٢٤٫٠٠٠ جندي ، وفق ما يعتقده د . فاروق (١) ، وقد صمم مروان على ان يضع حدا للانتصارات العباسية المتوالية . ويبدو أن الخليفة العباسي ابا العباس قد أحس بالخطر يهدد قواته ومستقبل دولته ، وخاصة بعد ان بثت الدعاية الاموية قصصا وملاحم من ان « المسودة لا يجوز سلطانهم الزاب » (٢) مما يشير الى تصميم الامويين على تصفيتهم في هذا الموضع . ولهذا فانه كتب الى عمه عبدالله بن علي

---

(١) طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٢١١ ، راجع دنيث ، مروان بن محمد (بالانكليزية) ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ٣٤٥/٢ - ٣٤٦ .

(*) اختلفت المصادر في عدد الجيش الاموي والعباسي ، فروي عن ابو موسى بن مصعب وكان كاتبا لمروان بن محمد ،« بانه لما انهزم مروان أمنني عبدالله بن علي ، وفي ذات يوم كان متكئا وكنت جالسا عنده ، فذكر مروان وانهزامه ... فقال لي أحزر : القوم فقلت ، انما انا صاحب قلم ولست صاحب حرب ، فاخذ يمنةً ويسرة » ونظر فقال هم : أثنا عشر الفا ، فجلس عبدالله بن علي ثم قال : ماله قاتله الله ، ما أحصى الديوان يومئذ فضلا عن اثني عشر الف رجل (الطبري ، ٤٣٩/٧ ، الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٨٠ - ٨١ ، الازدي ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ، ابن عبدربه ، العقد الفريد ، ٤٧٣/٢ .

يطلب اليه الاسراع بالمسير لملاقاة مروان في الوقت الذي استمرت فيه الامدادات العباسية لاسنـــاد مواقع قواتهم المواجهة للقوات الاموية (١) .

ووصل عبدالله بن علي في قواته الى ضفاف الزاب واجتمع الى ابي عون في قواته في ٥ الثالث من جمادى الاخرة ، من سنة ١٣٢ هـ فتحول ابو عون عن مقر قيادته وأنزل عبدالله بن علي فيه ، ونزل ابو عون على شط الزاب وجاء مروان فنزل على الزاب ورأى عسكر ابا عون بجانب تل كشاف ، فقال « ما يقال لهذا التل ؟ قالوا : تل كشاف ، فتطير مروان وقال : كشفنا ورب الكعبة ، وذكر الهيثم بن عدى قال : أخبرني من شهد هذا القول من مروان ان قيل له وانك في عدة فقال لا تنفع العدة عند انقضاء المدة » (٢) غير ان الازدي ينفرد برواية مفادها ان عبدالله بن علي نزل الحديثة في اربعين الف وسرح منهم عشرة الاف الى الحوز تغير هناك على من وجدوه به واتصل الخـــبر بمروان ، فبعث اليهم جيشا فهاجموهم فأنكشفوا جميعهم وعندما بلغ الخبر الى عبدالله بن علي لم يسمح باعلانه بل سار من الحديثة يريد الزاب (٣) وليس هناك ما يوثق او ينفي الخبر الذي ان صح فانما

---

(١) الطبري ، ٤٣٢/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٤١٨/٥ ـ ٤١٩ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ٣٧٩/٣ ، ابن كثير ، ٤٢/١٠ ـ ٤٣ ، المكي ، سمط النجوم العوالي ٢٢٥/٣ ـ ٢٢٦ .

(٢) الطبري ، ٤٣٢/٧ ، الازدي ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٣) الازدي ، ١٣٢ .

يشير الى فطنة عبدالله وحرصه على الا يذيع نبأ هذه الخسارة خوفا من ان تؤثر على معنويات المقاتلين العباسيين ، وكان الخليفة ابو العباس حريصا على ضمان انتصار قواته في هذه المعركة فلم يكتف بالامدادات المتصلة من القوات والمؤونة التي كان يرسلها من الكوفة بل قام بارسال مجموعة من اشداء المقاتلين على طريق البريد الى عبدالله بن علي (١) وبذلك تكامل عدد القوات العباسية المرسلة الى منطقة الزاب وهكذا فقد كان العباسيون قد هيأوا انفسهم لخوض غمار حرب طاحنة بعد تكامل قواتهم واستلام عبدالله بن علي قيادتها .

وبعد مضي ليلتين من جمادي الاخرة سنة ١٣٢ هـ بدأ عبدالله بن علي يفكر في مواجهة القوات الاموية فسأل عبدالله بن علي عن مخاضة ، فدل عليها بالزاب فأمر عيينه بن موسى فعبر في خمسه الاف ، فانتهى الى عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا ولم تتوقف المعارك حتى تعذرت الرؤيا ورجع عيينه فعبر المخاضة الى عسكر عبدالله بن علي (٢) .

غير انه الى هذا الوقت لم يكن قد حصل بين العسكريين ما يشير الى بدء المعركة الفاصلة ويبدو ان مروان اساء فهم رجوع المهاجمين العباسيين بقياده عيينه اذ تصور بانه انهزام من جانب القوات العباسية

---

(١) الطبري ٤٣٢/٧ .

(٢) البلاذري ، ٨ ورقة ١٣ أ ، الطبري ٤٣٢/٧ ، ابن اعثم الكوفي ، مخطوط الفتوح ، ورقة ، ٥٥ ـ ٥٦ ، ابن الاثير ٤١٨/٥ ـ ٤١٩ .

وان ذلك دليل على ضعف ، فبادر مع إشراقة اليوم التالي الى الامر بعقد الجسر حيث امر ابنه عبدالله ان يتقدموان يبادر الىحفر خندق في ظهر قوات عبدالله بن علي من أجل محاصرتها ومنع هروبها .

وقد فطن عبدالله بن علي الى الخطة فوضع خططه بهدف الافادة منها غير ان خططه الاولى تعثرت اذ خسرت قواته عددا كبيرا من القتلى والاسرى الذين بعث بهم عبدالله الى ابيه مروان مع رؤوس القتلى، فاستبشر الاخير بالنصر وقويت عزيمته (١) ، وكان على مروان ان يقوم بحركة التفاف لمهاجمة عبدالله بن علي واشغال مؤخرته ومقدمته بالقتال في آن واحد ليدب الذعر في الجيش العباسي (٢) .

وعوضا عن الاستفادة من رد الفعل الذي اصاب قوات العباسيين نتيجة هذا الانتصار الجانبي فان مروان تصرف بقصر نظر شديد اذ اطلق سراح الاسرى وكان منهم بعض القادة وهذا ما جعل احواله معروفة من قبل خصومه (٣) .

---

(١) البلاذري ١٣/٨ أ ، الطبري ، ٤٣٢/٧ ـ ٤٣٣ ، الازدي ، ص ١٢٧ .

(٢) القاضي سعيد ابو جيب ، مروان بن محمد (اسباب سقوط الدولة الاموية (بيروت ، ١٩٧٢) ص ١٢٨ ـ ١٣٣ .

(٣) البلاذري ١٣/٨ أ ، الطبري ، ٤٣٢/٧ ـ ٤٣٣ ، الازدي ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ . ابن اعثم ، الفتوح ٥٦/٢ ـ ٥٨ ، مجهول ، غرر السير ، ورقة ٤٦ أ .

اما عبدالله بن علي فانه لما بلغه خبر الهزيمة تصرف بحنكة وبعد نظر عسكري اذ منع منعا باتا ان يسمح لاي شخص يعرف الخبر من دخول معسكره وبذلك منع حالة الانهيار النفسي من ان تؤثر في جنده ، وعقد في نفس الوقت اتصالاً بقياداته الفرعية ليتعرف على وجهتهم بازاء التطور الجديد فاشاروا بضرورة المبادرة الفورية بمهاجمة قوات الامويين لاشغال الطرفين من ان تؤثر هذه الحادثة فيهما سلبا او أيجابيا ويكون مردودها ضد الثورة العباسية حنيما نصحه موسى أبن كعب بمهاجمة مروان بن محمد (١) . وهنا ظهرت براعة عبدالله أبن علي العسكرية وقدرته في تلافي المفاجئات ، فقد أمر بأن تعلن حالة التأهب القصوى فنودي في معسكره يلبس سلاح المعركة والالتزام بالمواضع العسكرية المحددة بحيث ان جيشه كان مهيئا للدخول في المعركة مع اشراقة الشمس . وخرج عبدالله بن علي اول الاذان وخلف في عسكره محمد بن صول ، وولي الميمنة ابو عون عبدالملك بن يزيد العكي والميسرة موسى بن كعب ، وصار عبدالله في القلب ومعه مسلمة بن محمد والمنهال بن فتان ، واقبل مروان في خيوله ومن معه وعبأهم كراديس فكانوا حوالي مائة كردوس يتراوح عدد كل منهما بين الف والفين من المقاتلين وجعل على الميمنة ابنه عبدالله وعلى ميسرته الوليد بن معاوية وأقبل مروان في القلب في ثلاثين الف

---

(١) الطبري ، ٧/٤٣٢-٤٣٣ ، الازدي ، ١٢٧-١٢٨ ، دينيت ، المرجع السابق ص ٣١٩ .

عليه ثياب حمر ، فأشتق صفوفه حتى اتى آخر صف ثم انصرف راجعا حتى أتى آخر صف في ميسرته (١) . ونادى مروان « يا بني الاحرار أحملوا على هؤلاء فانما هم حشو من أهل شهرزور ، وليس معهم من اهل خراسان من أهل البصائر كثير » (٢) ويبدو ان موقع المعسكر العباسي كان افضل اذ كانت الشمس في ظهرهم في حين ان الجيش الاموي كان مواجها للشمس ولذلك فقد كان مروان حريصا على عدم المباشرة بالتصادم الا بعد الزوال اذ قال مروان « أن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها الى عيسى بن مريم ، وان قاتلونا قبل الزوال فانا لله وانا اليه راجعون » (٣) وقد تصرف مروان تصرفا قصد منه تأخير التصادم قليلا حينما ارسل الى عبدالله بن علي يسأله الموادعة فقال عبدالله « كذب ابن زريق ولا تزول الشمس حتى اوطئه الخيل » (٤) وهكذا فشلت هذه المحاولة في تأخير الالتحام فانها عكست موقفا مهزوزا للقيادة الامويه مما اثر كثيرا - مع ادخال تفوق القيادة العباسية بنظر الاعتبار - في انهيار نفسية المقاتل الاموي

(١) الطبري ، ٤٣٣/٧ ، الازدي ، ١٢٨ المسعودي ، (القاهرة،١٩٦٤) مروج الذهب،٢٦٠/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤١٨/٥ - ٤١٩ .

(٢) الطبري ، ٤٣٣/٧ ، الازدي ، ١٢٨ .

(٣) الطبري ، ٤٣٣/٧ .

(٤) ن م ، ٤٣٣/٧ ، ابن اعثم الكوفي ، فتوح ، ورقة ٥٥ - ٥٦، مجهول ، غرر السير ، ورقة ٣٦ أب ، ٤٧أ

وتقوية همة المقاتلين العباسيين . كان القتال (*) عنيفا جدا وقد
حملت الميسرة الاموية على ابى عون وهو في ميمنة عبدالله بن علي
فانهزموا وانحازوا وابو عون الى عبدالله بن علي ونزل عبدالله بن
علي عن فرسه واقبل موسى بن كعب فنصح عبدالله بالقتال راجلا فاخذ
بنصيحته هو ومن معه وانصرف موسى بن كعب الى ميسرته فأنزل
اصحابه جميعا ورجلهم وكذلك فعل ابو عون اذ نزل فنزل اصحابه،
وجاء موسى بن كعب الى عبدالله بن علي واستأذنه ان يعبىء الخيول
والرجال على ما يراه فأذن له ، فانصرف الى ميسرته فانزل اصحابه
فقدم الرجالة امام الصف ثم أمرهم ان يضعوا أسنة رماحهم قريبا
من الارض لا يرفعوها وان يلزم بعضهم بعضا ولا يكون فيهم فرجة،
وامر الرماة ان يرفعوا ايديهم اذا رموا فهو أعظم للبأس ثم وضع
خلف المناشب الخيول ثم تفقد الصفوف كلها ، وصار الى ابي عون
فوجده قد عبأ ميمنته ، تلك التعبئة والقلب مثل ذلك فانصرف الى
ميسرته فانتخب منها فرسانا ، وأهل بأس معروفين ، فأبرزهم دون
الصف وأمرهم ان يدنوا من عسكر مروان ففعلوا ذلك ، « فاستقبلوهم
بوجوههم ورشقوهم بالنبال والنشاب فلما رأى ذلك مروان ومن معه
أنصرفوا القهقري على اعقابهم ، كلما دنت صفوف عبدالله منهم
تأخروا ، وسار عبدالله بن علي على صفوفهم يحرضهم ويذكر اسم

(*) فقد اشتد القتال بين الجانبين « فلا تسمع الا وقعا كالرازب
على النحاس (ابن كثير ، بداية ونهاية ، ١٠/٤٣)

الله ، وحسن ثوابه وجزيل عطاياه ، وألم عقابه ، وانها الدولة التي لا يباريها احد الا صرعه الله ، فقوى ذلك من قلوب الناس » (١) . وكان عبدالله بن علي ينادي في القتال « حتى متى نقتل فيك يارب » ونادى : « يا أهل خراسان يالثارات ابراهيم الامــام يا محمد يا منصور يالثارات الحسين وزيد ويحي » (٢) واشتد القتال ، وكان مروان على عكس عبدالله بن علي ، قد اضطربت احواله ، وقد لعبت العصبية القبلية دورها في تحلل وتفكك القوات الاموية ، وتذكر المصادر : « ان مروان قال لليمانية : انزلوا فقالوا : قل لقيس فلينزلوا »(٣) « فارسل الى السكاسك ان احملوا ، فقالوا : قل لبني عامر ، فليحملوا فارسل الى السكون ان احملوا ، فقالوا : قل لغطفان فليحملوا » (٤) وكان سبب كره اليمانية لمروان ، انهم حقدوا عليه لتقديمه قيسا واتهامهم اياه بقتل ثابت بن نعيم الجذامي ، (٥) وكان مروان يعزل

---

(١) البلاذري ١٣/٨أ ، الطبري ٤٣٣/٧ ـ ٤٣٤ ، الازدي ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٢) البلاذري ١٣/٨ أ ، الطبري ٤٣٣/٧ ـ ٤٣٤ ، الازدى ، ١٢٨ ـ ١٢٩ ، ابن الاثير ٤١٩ .

(٣) البلازري ١٣/٨ أ ، الطبري ، ٤٣٣/٧ـ٤٣٤

(٤) البلاذري ، ١٣/٨ أ ، الطبري ٤٣٤/٦ ، ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ٥٧/٢ ـ ٥٨ . ابن الاثير ، ٤١٩/٥ ، الازدي ، ١٣٦ .

(٥) البلاذري ١٣/٨ أ

اليمن ويولي قيسا ويقدمهم في الاعطيات (١) وكان بعض قادته وقفوا منه موقفا سلبيا وذلك حينما قال لصاحب شرطته الكوثر الغنوي : « أنزل، فقال : والله ما كنت لاجعل نفسي غرضا قال : اما والله لاقتلنك ولأسوئنك ان لم تنزل فقال : وددت والله انك قدرت على ذلك » (٢) وكان لدور عبدالله بن علي في القتال اثر كبير ، فان مروان بن محمد كان يهابه (٣) وتذكر بعض المصادر أن مروان قد

---

(١) الازدي ، ص ١٣٦ ، ابن الاثير ، ٤١٩/٥ ـ ٤٢٠ .

(٢) البلاذري/١٣ أ ، الطبري ٤٣٤/٧

(٣) « روى سعيد بن عمر بن جعدة المخزومي ، قال كنت مع مروان بن محمد بالزاب ، فقال لي : يا سعيد من هذا الذي يقابلني قلت : عبدالله بن علي بن عباس قال : اعرفه : ؟ قلت : نعم ، اما تعرف رجلا دخل عليك حسن الوجه مصفرا ، رقيق الذراعين حسن اللسان ، فوقع في عبدالله بن معاوية ؟ فقال : بلى وقد عرفته والله . يا أبن جعدة ليت علي بن ابي طالب في الخيل يقابلني : ان عليا واولاده لا حظ لهم في هذا الامر ، وهذا رجل من بني العباس ومعه ريح خراسان ونصر الشام يا ابن جعدة ، اتدري لم عقدت لعبد الله ولعبيد الله ، وتركت عبد الملك وهو اكبر منهما ؟ قلت : لا أدري قال : لاني وجدت الذي يلي هذا الامر بعدي عبدالله او عبيدالله فكان عبيدالله اقرب الى عبدالملك من عبدالله ـ ابن قتيبة ، عيون الاخبار ٢٠٥/١ .

كتب الى عبدالله بن علي يقول : « أني لأظن هذا الأمر صائر اليكم فاذا كان ذلك فاعلم ان حرمنا حرمكم » . فكتب اليه عبدالله ان الحق لنا في دمك ، وان الحق علينا في حرمك » (١) ، وليس هناك من دليل لاثبات صحة هذه الرسالة او الزمن الذي كتبت فيه ولعل ذلك كان بعد ان تأكد مروان من فشله في مقاومة العباسيين .

وكانت نتيجة هذه المعركة التأريخية انتصار القوات العباسية انتصارا حاسما ، واندحار القوات الاموية وعلى رأسها مروان نفسه، وقد اختلفت المصادر في رسم صورة انهزام مروان من المعركة ، فقد أنصرف مروان وأصحابه وقد ملا الصياح والهرج عنهم ، فاذا العسكر خال منهم ، فقد تركوا امتعتهم ووقعوا خلف عسكرهم وكبّر اصحاب عبدالله ثلاث تكبيرات (٢) . ويشير داينوسيس ان اصحاب عبدالله بن علي وجيشه كانوا يحملون في ايديهم العصي وفي نهايه كل منها توجد مسامير حديد لانهم كانوا يتقدمون لقتل الكلاب على حد تعبيره (٣) .

ويبدو ان مروان قد أضطرب امره فلم يستطع ان يوقف تراجع قواته ، فعبر الجسر الذي على الزاب وامر بقطعه لئلا يتبعه العباسيون

---

(١) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ٢٠٥/١ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٤١٨/٥ ـ ٤١٩ .

(٢) الازدي ص ١٣٠

(٣) Dionysius, Op. Dit, P. 48

فغرق عدد كبير من اصحابه بعضهم من ولد مروان بن الحكم ،ومنهم ابراهيم بن الوليد المخلوع (١) ، ولعل مروان قد تعجل في قطع الجسر اذ اوقع الخسائر بعسكره فقد غرق عدد كبير من جنده مما حرمه فرصة اعادة تنظيم قواته وقاده الى اليأس من احتمال النجاح.

هرب مروان بعد هذه الوقعة وتقدمت قوات العباسيين ووقف عبدالله بن علي على الجسر حتى عقد له وهو يتلو الاية الكريمة « واذا فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون » فعقد الجسر ورجع عبدالله بن علي الى مقر قيادة مروان بشاطيء الزاب فنزلها (٢) واقام في موضعه سبعة ايام ، وكتب عبدالله بن علي لابي

(١) وروي (ان ابراهيم بن الوليد بقي حيا حتى قتله عبدالله بن علي مع من قتل من بعده ، وقتل اخيه يزيد الناقص حين ظفر به مروان ، واثبت ذلك ان عبدالله بن علي قتله بلاذري ٨/ ورقة ١٣ أ - ب) وفي روايه انه قتل من قبل ابو عون بالزاب حيث كان عاجزا ضعيف الرأي (ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ص ١٠٤ ، الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ص ٤٦ - ٤٧ كما تذكر رواية الازدي غرقه بالزاب - ولما عرف عبدالله بن علي غرق ابراهيم صار الى الموقع الذي قيل انه غرق فيه . فانزل الملاحين والغواصين فاخرجوا كثير من رجال بني امية غرقوا معه (تاريخ الموصل ،ص ١٣١) .

(٢) الازدي ، ص ١٣٠ - ١٣١ . دينيث ، المرجع السابق ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

العباس بالفتح وهروب مروان ، وانه قد غنم جميع مافي عسكره ثم كتب اليه طالبا منه ان يصوم سبعة ايام وصامها ابو العباس ، ثم امر الخليفة ابو العباس لكل من شهد الموقعة بخمسمائة دينار ورفع ارزاقهم الى ثمانين دينار وقد وزع عبدالله بن علي الهدايا على امراء جيشه (١) وأطلق الاسرى (٢) وجرت عملية احصاء الغنائم (٣).

واتجه مروان منهزما الى مدينة الموصـــل حيث طاردته قوات الفرسان العباسية روى الازدي ان مروان وقف على بيت ماله فقال : (عليّ بدواب الامارة قالوا : ما بقي منها شيء ، قال : فدواب السخرة، قالوا : ما بقي منها شيء.وقال : فحملا واحدا ، وقال : دونكم المال اما والله ما اتى عليكم قوم قط أشر من هؤلاء) (٤)

اتجه مروان هاربا بمن معه الى مدينة الموصل ، وكانت خيالة العباسيين فى طلبه ثم توجه الى مدينة الموصل املا في ان يتحصن بها ويعيد تنظيم قواته آملاً ايقاف تقدم القوات العباسية المنتصرة الا ان اهل الموصـــل وقفوا موقفا سلبيا منه . رغم حسن معاملته لهم

---

(١) البلازري ، انساب ٨/ ورقة ١٣ ب ، الطبري ٧/ ٣٤٤ ـ٣٤٥ ابن الاثير ، الكامل ، ٥/ ٤٢٠ ، د . فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ص ٢١٢

(٢) الطبري ٧/ ٤٣٤ .

(٣) الطبري ٧/ ٤٣٤ ، الازدي ، ١٣١ ابن الاثير ٥/ ٤٢٠ .

(٤) الازدي ، ص ١٢٣

واصلاحاته في مدينتهم حيث كان يوليها رعايته واهتمامه « وأنهزم اقبح هزيمة » (١) . وفي رواية للهيثم بن عدى ، انه لما جاء مروان الموصل كان عليها عامله هشام بن عمرو الزهيري على الحرب ، وبشر أبن خزيمة الاسدي على الخراج ، وعند وصوله لها رفض عامله عليها - هشام بن عمرو الزهيري - ان يفتح له ابواب المدينة (*) ، وقد اضطر مروان عند ذلك ان يترك محاولته الدخول في المدينة وسار الى بلد فعبرها ثم اتجه الى حرّان ، فسوّد اهل الموصل وكان سبب هذا الموقف السلبي من الموصل ان أهلها رأوا في هرب مروان وايوائهم له خطر يهددهم حيث ان قوات العباسيين اصبحت قريبة منهم اضافة الى ان انباء الانتصارات العباسية كان لها دوى كبير بين اوساط الناس في كثير من الاقاليم ومنها الموصل وكان السكان يتوقعون قيام

---

(١) الديار بكري ، تاريخ الخميس ٣٢٢/٢ .

(*) وكان مروان حينما وقف على ابواب مدينة الموصل ، وعليها هشام أبن عمرو وبشر بن خزيمة الاسدي فقطعا الجسر ، فناداهم أهل الشام : هذا امير المؤمنين مروان فقالوا : كذبتم ، امير المؤمنين لا يفر ! وسبّوه اهل الموصل ، وقالوا : يا جعدي يا معطل الحمد لله الذي ازال سلطانكم وذهب بدولتكم ! الحمد لله الذي اتانا بأهل بيت نبينا فلما سمع ذلك سار الى بلد فعبر دجلة (راجع الازدي ، تاريخ الموصل ، ١٣٣ - ١٣٤) ، ابن الاثير الكامل ٤٢٤/٥ .

العباسيون بمحاصرة المدينه وتدميرها ان هم آووا او نصروا مروان. اضف الى ذلك استخفاف الناس بمروان بعد هروبه ، ويبدو انه كان لوجود بعض الدعاة العباسيين في المدينة اثر في بلورة هذا الموقف وان الوالي اراد ان يتخلص من سابق ولائه للخلافة الزائلة ويتقرب الى العهد الجديد بهذا العمل .

فقدم عبدالله بن علي في معسكره نحو الموصل ، فاستقبله هشام ابن عمرو وبشر بن خزيمة واهل الموصل في السواد ، وفتحوا له الجسر وابواب المدينة ، ونزل عبدالله دون الجسر قريباً من المدينة ، وارسل الى خزائن مروان فوجد له بيتا من دنانير وبيتا من دراهم وغير ذلك من الاموال والامتعه والخزائن (١) ثم عزل هشام التغلبي وولي مكانه محمد بن صول (٢) .

اتجه مروان الى مدينة نصيبين ووافاها في يوم وليلة (٣) ثم اتجه الى مدينة حران ،مركز الادارة الاموية وبها ابان بن اخيه يزيد بن محمد ، فاقام بها مدة عشرين ليلة (٤) ويعتقد دنيث ان مروان كان

---

(١) الازدي ، ص ١٢٣ ، ابن الاثير ٥/٤٢٥ .

(٢) المكي ، سمط النجوم ، ٣/٢٢٧ .

(٣) الازدي ، ص ١٢٣ ، ابن الاثير ٥/٤٢٥ .

(٤) البلازري ٨/ورقة ١٣ ب الدنيوري ، الاخبار الطوال ص٣٦٤ - ٣٦٥ المسعودي مروج الذهب،٣/٢٦٤-٢٦٥، الازدي ، ص ١٣٨ ، ابن الاثير ، ٥/٤٢٥ .

يحاول تجميع قواته في حران وجمع أمواله استعدادا للهرب (١) ثم نصحه اسماعيل بن عبدالله القسري ان يتوجه الى مصر « ... فهي اكثر الارض مالاً وخيلاً ورجالاً فتجعل الشام امامك وافريقية خلفك ... قال : صدقت ... » (٢) وفي رواية انه قال : « سبحان الله ومضى ومعه الكوثر الغنوي » (٣) وقد انفرد صاحب كتابه الامامة والسياسة برواية تشير الى حصول بعض معارك في الجزيرة قبل ان يهرب مروان الى الشام ثم الى مصر ، ولكننا نشكك في صحة هذه الرواية فقد اورد صاحب الكتاب ان متولي قيادة الجيش العباسي هو قحطبة بن شبيب (٤) في حين ان أغلب المصادر أجمعت على القول بان قحطبة قد غرق في الفرات وهو في طريقه الى الكوفة وتشير بعض الروايات ان مروان اتجه في اعقاب الهزيمة من حران الى مدينة الرقة (وكان قد عرض جيشه في الرقة فمر به ثمانون الف فرس عربية ففكر ساعة ثم قال : « اذا انقضت المدة لم تنفع العدة) (٥) فمن المحتمل ان يكون قد مر بالرقة وهو في طريقه الى الشام غير ان الروايات تشير الى انه عبر جسر الفرات فوق حران ، واحرق السفن فنزل عبدالله بن علي على الفرات يصلح السفن ليعبر (٦) وبعد خروج

---

(١) دينيت ، مروان بن محمد (بانكليزية) ص٣٢٣ .

(٢) الدينوري الاخبار الطوال ، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ والمسعودي ، مروج ٣/٢٦٤ ـ ٢٦٥

(٣) راجع البلاذري انساب ١/٨ ورقة ١٣ ب .

(٤) الامامة والسياسة (المنسوب لابن قتيبه) ١٥٣/٢ .

(٥) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٥٨ .

(٦) المقدسي ، البدء والتاريخ ٧١/٦ .

مروان من حران وتركه للجزيرة أتجه اليها عبدالله بن علي وكان مروان قد خرج منها بعد ان تبعه عبدالله بن علي ، فلقيه ابان ابن اخ مروان مفردا فامنه وملك الجزيرة (١) ونزل عبدالله على باب حران فهدم قصر مروان وكان قد انفق عليه عشرة الاف درهم واحتوى على خزائن مروان وأمواله (٢) .

واتجه مروان الى الشام فمر بقنسرين فوثبت به قبائل تنوخ وطيء فاقتطعوا مؤخرة عسكره ومرّ بحمص وصنعوا به مثل ذلك ومنعوه من دخول مدينتهم ثم مر بدمشق فروي أنهم منعوا عامله عليها ـ الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك ـ من دخولها وكان مع مروان والتبت عليه أهل دمشق ثم دخلها واقام بها حتى قتله عبدالله أبن علي لما احتل دمشق (٣) وفي رواية انه أسره وكان موقف دمشق السلبي من مروان يعود بسبب احداث قديمة سبقت هذه الفترة وذلك لما ثارت دمشق ضده حينما نشبت مشكلة الخلافة بعد فشل الوليد عندما اشتعلت الثورة في حمص في وقت كان الخوارج بزعامة الضحاك أبن قيس قد استفحل خطرهم (٤) .

---

(١) المكي ، سمط النجوم العوالي ، ٢٢٧/٣ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٢٦٠/٣ ـ ٢٦١

(٣) وكانت بنو الحارث قد ثارت على عامل مروان بدمشق حينما سودوا ودعوا الى بني هاشم (المسعودي ، مروج ٢٦٤/٣ ـ ٢٦٥ في الازدي ص ١٣٦ ـ ١٣٧)

(٤) يراجع الفصل الخاص بحركات المعارضة الخارجية .

وفي حران استدعى عبدالله بن علي سالم الافطس فضرب عنقه ثم استدعى ابنه سليمان فقال له « احضرني ودائع مروان » ثم أطلق سراحه (١) .

وكان مروان لما هرب من الجـــزيرة لم يلحق به احد من قبائل قيس، « فقد كان مروان منحرفا لقيس مائلا اليها ، فكان يعزل اليمن ويولي قيسا ويقدمهم في الاعطيات »(٢) . فروي انه لما توجه مروان منهزما يريد مصر حين خرج من الجزيرة لم يتبعه منهم الا ابن حديدة السلمي وكان أخاه في الرضاعة والكوثر بن الاسود الغنوي صاحب شرطته . وقال مروان لعامله على فلســطين رماحس بن عبد العزيز الهاني: (يا رماحس انفرج الناس عنا انفراج الرأس ولا سيما قيسا أننا وضعنا معروفنا عندهم في غير موضعه ، واخرجناه من قوم قامت دولتنا بقوم منهم فما زادنا لقيس وفاءا ولا شكرا » (٣ وهكذا كانت نهاية مروان بن محمد الفشل الاربع وذلك بعد ترك الجزيرة وبعد ان خذلته مدينة دمشق حينما « سودوا ودعوا لبني هاشم » (٤) ثم توجه جنوبا فمر بفلسطين والاردن فوثب به الحكم بن ضبعان فارسل مروان الى عبد الله بن يزيد بروح بن زنبـاع فأجاره واستقبله ثم خرج من فلسطين يستتر متجها الى مصر . اما بالنسبة للقوات العباسية

---

(١) الازدي ص ١٣٤ .

(٢) ن . م ، ص ١٣٦

(٣) البلاذري ٨/ورقة ١٣ ب وراجع الازدي، ص ١٣٧

(٤) المسعودي ، المروج ، ٣/٢٦٤_٢٦٥ الازدي ص١٣٦ - ١٣٧ .

فأن الامدادات كانت مستمرة الى عبدالله بن علي اذ وصل عبدالصمد أبن علي في اربعة الاف مقاتل قادما من الكوفة ثم قدم صالح بن علي من قبل ابي العباس على طريق السماوة في ثمانية الاف مقاتل(١) واستطاعت القوات العباسية احتلال الجزيرة بعد أن فتحت الموصل ثم توجه ابو جعفر المنصور الى قرقيسيا وعليها المنذر بن الزبير بن عبد الرحمن بن هبار بن الاسود ، فدعاه الى الطاعة فأبى ذلك ، وخلف عليها موسى بن كعب ففتحها ، وتغلب عليها ، واتجه المنصور الى مدن الجزيرة يصالح من دخل في طاعته حتى فتحها وغلب عليها وبمن صالحه اهل الرها ونصيبين ودارا (٢) . وبذلك دخلت الجزيرة تحت السيادة العباسية بعد انتقال الحكم من الامويين اليهم ، ولذلك فان فترة الانتقال بالنسبة للجزيرة هي فترة اضطراب وفوضى ، وكان الروم يترقبون الاوضاع عن كثب واسفرت مراقبتهم هذه عن مهاجمة ملطية في اثناء اضطراب الجزيرة سنة ١٣٢ هـ كما سنرى (٣) ثم اتجهت القوات العباسية بعد ان تم لها فتح الجزيرة ، واتخذت هدفها بلاد الشام واستخلف عبدالله بن علي على الجزيرة موسى بن كعب بعد ان اتجه الى الشام (٤) ، وكان مروان لما ترك دمشق خلفه بها

---

(١) راجع البلاذري ٨/ورقة ١٣ ب ،خليفة المصدر السابق، ٢/٤٢٧، الازدي ١٣٢ ـ ١٣٧) .

(٢) البلاذري ، انساب ، ٤/ورقة٣٥٤ ب (نسخةلندن ورقة ٦٠٠ـ٦٠١)

(٣) راجع البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٤) خليفة ٢/٤٢٧ .

الوليد بن معاوية بن مروان في خمسة الاف مقاتل من أهل دمشق واستطاعت دمشق ان تصمد بوجه العباسيين غير انه وقعت بينهم العصبية فسودت اليمانية ، وفتحت الابواب فدخلها عبد الله بن علي والخراسانية ، واسر الوليد فبعث به عبد الله الى ابي العباس فقتله (١) .

ثم هدم سور دمشق ، فبلغ ذلك مروان وهو بفلسطين فهرب باتجاه مصر ، ووجه عبد الله بن علي ، صالح بن علي بأمر ابي العباس الى مطاردة مروان ، ووصل صالح بن علي الى نهر ابي فطرس فقتل عدد من بني امية في مجلس واحد عند نهر ابي فطرس (٢) حيث اصبح همّ العباسيين الاول هو التخلص من مروان ، خوفا في ان يقوم بمحاولة اخرى ضد العهد الجديد ، ويرى البلاذري ، ان صالح بن علي سار من نهر ابي فطرس الى مصر في ذي القعدة سنه ١٣٢ هـ ومعه عامر بن اسماعيل السلمي وابو عون عبد الملك بن يزيد الازدي ، فسلك ساحل البحر الابيض وجمع السفن وتجهز للقاء مروان ،حتى نزل العريش ثم استمرت مطاردة مروان.وتختلف الروايات في بيان كيفية نهاية مروان ومقتله ، ولكنهما تتفق على القول بانه قتل في قرية

---

(١) راجع البلاذري ، ٨/ورقه ١٣ ب ، خليفة ٢/٤٢٧ ـ ٤٢٨ ، الازدي ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(٢) خليفة ٢/٤٢٧ ـ ٤٢٨ ، البغدادي ، المحبّر ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦، الازدي ص ١٣٩ .

بوصير في صعيد مصر حيث كان مختبئاً في احدى كنائسها استعدادا للهرب غربا الى افريقيا (١) .

وهكذا كانت نهاية معركة الزاب نهاية للامويين ولآخر خلفائهم مروان بن محمد ونستطيع ان نعزي اسباب اندحار مروان بالزاب الى انه لم يستطع ان يتفرغ لقتال عدوه في جهة واحدة ، فكانت هناك معارك في واسط ، وفي ايران ، اضافة الى معركة الزاب ، فيلاحظ ان الجهد الاموي كان مشتتا في مجابهة الثوار العباسيين ، كما كانت القبائل قد وقفت موقفا سلبيا من مروان ، وخاصة القيسية ليس فقط

---

(١) راجع بهذا الشأن ، البلاذري ، انساب ٨/ورقة ٣ أ - ٤ ، خليفة ، ٤٢٧/٢ - ٤٢٨ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٦٦ ، اليعقوبي ، تاريخ ٣٤٥/٢ - ٣٤٦ ، الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٧٩ ، الامامة والسياسة ١٥٤/٢ - ١٥٥ ، الطبري ٤٤١/٧-٤٤٢ ، الازدي ، تاريخ الموصل ، ١٣٥ - ١٣٦ ، ابن الاثير ،الكامل ، ٤٢٥/٥ - ٤٨٩ ، المسعودي ،مروج الذهب ٣/ ٢٧١ - ٢٧٢ ، والتنبيه والاشراف ، ص ٢٨٣ - ٢٦٤ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٥٥ ، الذهبي ، العبر ، ٧٨/١ ، وتاريخ الاسلام ٢٩٩/٥ ، والديار بكري ، تاريخ الخميس ٢٣/٣ ، يراجع ، د . فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٢١١ - ٢١٣ ، دينيت ، مروان بن محمد (بالانكليزية) ص ٣٢٤ - ٣٢٧ .

بالزاب بل في الجزيرة ، وكذلك حينما حاصرت جيوش ابي العباس ابن هبيرة في واسط ، فقالت اليمانية الذين مع ابن هبيرة : « لا والله لا نقاتل على دعوة بني أمية أبدا لسوء رأيهم فينا وبغضهم لنا ، وقالت القيسية : لا والله لا نقاتل حتى يقاتل اليمانية ، فلم يكن يقاتل مع ابن هبيرة الا صعاليك الناس وأهل العطاء » (١) ، كما وقفت العديد من المدن موقفا سلبيا من مروان كالموصل ومدن الجزيرة وحمص ودمشق وغيرها من المدن الاخرى .

وكان لجدية عبدالله بن علي في القتال وخططه العسكرية ومن ثم مطاردته لمروان اينما أتجه هاربا ، له أثره في القضاء على مروان، قال اليعقوبي : « ثم لم يزل في اثره وهو منهزم لا يلوي على شيء حتى أخرجه الى الجزيرة ثم أخرجه من الجزيرة الى الشام » (٢) وتابعه صالح بن علي من الشام الى مصر على رأس قوة كبيرة حتى قتلوه فيها بحيث لم تترك لمروان اية فرصة كي يلمّ شعثه رغم خبرة مروان بالحرب حيث كان « مشهورا بالفروسية والاقدام والرجلة والدهاء » (٣) وذكرهُ المنصور مرة فقال : « لله درّه ما كان أحزمه واسوسه وأعفّه عن الفيء » (٤) غير ان مجريات القتال منذ البداية

---

(١) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة (المنسوب اليه) ج٢ ص ١٦٢.
(٢) اليعقوبي ، تاريخ الخلفاء ، ج٢/ ٣٤٥ - ٣٤٦ .
(٣) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٥٥ .
(٤) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ج ١ ، ص١٧٨ ، وتاريخ الاسلام ، ج ٥ ، ص ٢٩٩ .

كانت تجري لصالح العباسيين حيث كانت القوة الاموية تفتقر الى التنظيم ، فكان الارتباك واضحا جليا في صفوفها لعدم انسجامها فيما بينها ، فقد « دخل عسكر مروان الفشل وصار لا يريد أمرا الا وكان فيه الخلل حتى تمت الهزيمة على عسكر مروان » (١) رغم ان جنده وصفوا « كأنهم جبال حديد » (٢) . كما ان الجيش الاموي فقد الاحتياطي المعد للمعركة فيروي الازدي ان مروان وقف بعد الهزيمة فقال : « عليّ بدواب الامارة قالوا : ما بقى منها شيء ، قال : فدواب السخرة ، قالوا : ما بقى منها شيء قال : فحملا واحدا » (٣) وكان نجاح العباسيين في اقتحام العراق واحتلال الكوفه ومحاصرة واسط، قد أفقد مروان من امكانية الحصول على ايّ نوع من الامدادات من العراق . في الوقت الذي كانت فيه الامدادات مستمرة وبشكل متواصل للقوات العباسية .

اضف الى ذلك ان القوات الاموية كانت منهكة من جراء الحروب الكثيرة التي خاضتها زمن مروان ، سواءا اشتراكها في قمع الاضطرابات القبلية او مساهمتها في مجابهة حركات الخوارج ، اضافة الى استمرارية اشتراكها في الجهاد ضد البيزنطيين سواءا في الثغور او في ارمينيا . فكان مروان بعد ان قضى على الاضطراب في حمص ودمشق وبعد

---

(١) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ج١ ، ص٢١١ .
(٢) الطبري ٧/٤٣٥ .
(٣) الازدي ، ص١٣١ .

قضائه على ثورات الخوارج بـالجزيرة ' انتـقل حالا الى الزاب بعد فترة ركود موقت .

ولذا نجد ان القوات العباسية لم تتوانَ ابدا في تقدمها ، حيث استمرت في اقتحامها للموصل والجزيرة والشام ومن ثم الى مصـــر بحيث لم تترك لمروان أية فرصة له في محاولة تجميع قواته لمجابهة وايقاف تقدم القوات العباسية المنتصرة .

اما عن النتائج التي تمخضت عن هذه المعركة الحاسمة والتي كانت بين دولة عتيدة شاخة وبين ثورة فتية شابه ، فنجد ان نتائجهـا انعكست على الثوار العباسيين حيث انها بعثت الثقة في نفوسهم بعد مبايعة ابي العباس قبل قيام معركة الزاب ، فتركزت الاسس الاولية بانشاء الدولة العباسية بعد انتقال السيـادة التامة من الامويين الى الهاشميين .

كما كشفت معركة الزاب موقف قبائل اليمن السلبي والمعارض للخليفة مروان بن محمد وحتى قبائل قيس التي وقفت موقفا سلبيـا من الخليفة مروان ايضا رغم رعايته لها وتفضيله اياها على اليمن .

ومن نتائج معركة الزاب احتلال الجزيرة والشام ومصر من قبل الجيش العبـاسي وهذا يبين الاهمية الكبيرة التي تمخضت عن هذا الانتصار العباسي الكبير حيث أن تلك الاقاليم اخذت بالاستـسلام والانهيار امام القوات العباسية المنتصرة ، وعزز الانتصار هذا بالزاب انتصارات الثورة العباسية في خراسان وبلاد ايران واحتلالهم للوفة كما رسخ مركز الخليفة ابو العباس في فترة انشـاء وتكوين الدولة

الجديدة .

اما بالنسبة للبيت الاموي ، فانه انهار نهائيا في المشرق الاسلامي، وذلك على اثر مقتل الخليفة مروان ، وأسر أفراد عائلته رغم لجوء بعضهم الى الهرب والاختفاء (١) .

ومن الامويين الذين نجوا من ايدي القوات العباسية عبدالرحمن أبن معاوية بن هشام بن عبدالملك الذي هرب على اثر معركة الزاب الى الاندلس فبايعه أهلها سنة ١٣٩ هـ/٧٥٦ م ، واقام واليا عليها قرابة ثلاث سنين حيث لقب بعبدالرحمن الداخل (٢) .

وتم أسر عدد من الشخصيات الاموية التي كان لها نفوذ كبير في البلاط الاموي كعبد الحميد كاتب الخليفة مروان بن محمد (٣) كما ان الشخصية الاموية الطموحة سليمان بن هشام دخل في طاعة العباسيين حيث كرموه وكان ضمن المطاردين لمروان بن محمد في معركة الزاب الى ان قتل في البلاط العباسي (٤) .

---

(١) راجع الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١١٣ . اليعقوبي ، تاريخ ج ٢ ، ص ٣٤٧ . الازدي ، ص٢٤٢ ، المسعودي ، مروج، ج٣ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣

(٢) مجهول ، العيون والحدائق ، ج٣ ، ص ٢٠٥ .

(٣) راجع الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٧٩-٨٠ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢ ، (القاهرة ، ١٩٤٩) ص ٣٩٦ .

(٤) راجع الفصل الخاص بالمعارضه الاموية .

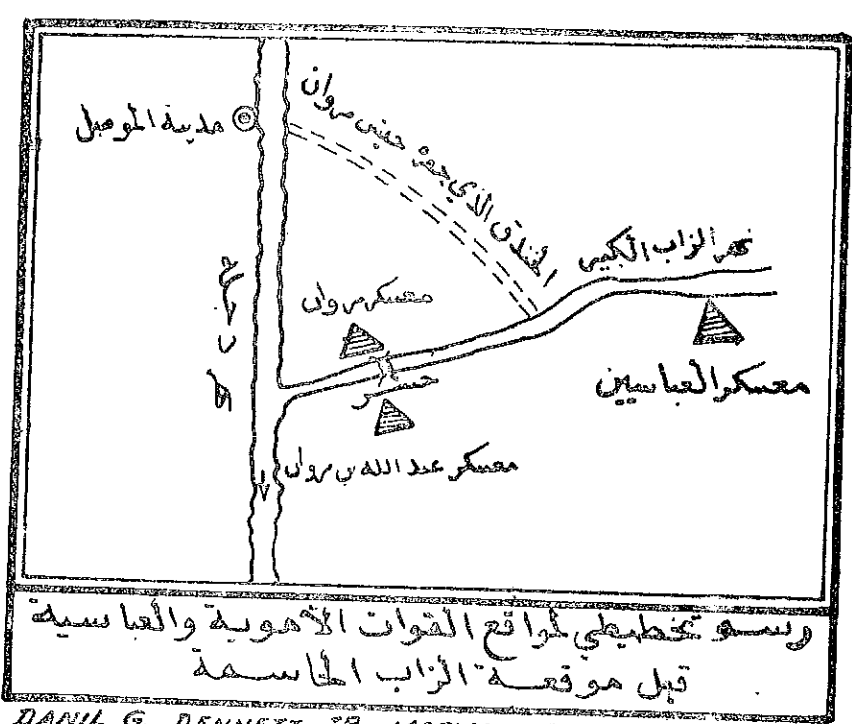
وكان لهذا الانتصار العباسي العظيم له أثره الكبير في سلوك افراد القوات العباسية الذين اشتطوا بتصرفاتهم في معاملتهم لأهل الجزيرة والشـــام حينما نكلـّوا بمؤيدي الامويين وأنصارهم الامر الذي أثار حفيظة هؤلاء السكان وجابهوا العباسيين بثورات عارمة اهتزت لها الجزيرة والشام ما بين سنتي ١٣٢ ـ ١٣٣ هـ/٧٤٩ ـ ٧٥٠ م . كما ان مؤيدي الامويين اخذوا ينظمون الى اية حركة معارضة للعباسيين حتى ولو كانوا من الخوارج ، وهدفهم في ذلك تحقيق اية مكاسـب على حساب العباسيين ، كما اخذت بالظهور فكرة السفياني الذي سيعيد للامويين مجدهم وعزهم وهذا ما سنلاحظه من خلال حركات المعارضة الاموية وذلك لان مقتل مروان ادى الى « انقطاع رجاء من كان من شيعة بني أمية » (١) وقد أدرك الثائر العباسي عبدالله بن علي حقيقة هذه الميول المعادية للعباسيين لدى انصار الامويين ولذلك جعلهم القاعدة الاساسية ـ لثورته على الخليفة المنصور كما سنرى .

موقف الموصل من الحم العباسي الجديد سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م

تتحدث المصادر عن انضمام اهل الموصل الى جانب الثورة العباسية . ويذكر صاحب تاريخ الموصل بانه « لما قدم عبدالله بن علي الموصل في الزاب وهزم مروان ، خرج اليه أهلها مع هشام بن عمرو الزهيري مسـّودين ، فاستخلف عبدالله محمد بن صول ومعه يحي بن

---

(١) خليفة بن خياط ، تاريخ ج٢ ، ص ٤٢٨ .



رسم تخطيطي لمواقع القوات الأموية والعباسية
قبل موقعة الزاب الحاسمة

عن: DANIL G. DENNETT, JR MARWAN IBN MOHAMMAD.
(LONDON, 1939 P 317).

الدكتور فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية، بيروت ١٩٧ ص (٢١١)

محمد الذي صار خليفته (١) . ويبدو ان الموقف السلبي لاهل الموصل من مروان كان معارضةً منهم لسياسة مروان القبلية (٢) ، كما انهم ارهقتهم حملات مروان الحربية وظلوا ساخطين على سياسته ولذلك، فتحوا أبواب مدينتهم للخراسانية (٣) . اضف الى ذلك ان كثير من شيوخ القبائل الاموية ممن كانوا يدينون بالولاء للدولة الاموية ادركوا بأن كيان الامويين صائر الى التدهور والزوال فكان انسب لهم ان ينحازوا الى جانب سلطة قوية جديدة ضد كيان في طريقه الى الزوال (٤) .

وقد قاتل بعض سكان الموصل مع الجيش العباسي ضد الامويين كما برز منهم مقاتلون اكفاء . ويذكر الازدي ان سبب اقطاع الخليفة ابي العباس لوائل بن الشحاج سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م هو انه « كان اول من خرج الى عبدالله بن علي لما هزم مروان بن محمد يوم الزاب وانه أقبل معه الى الموصل فسوّد أهل الموصل وخرجوا الى عبدالله بن علي ودخلوا في

---

(١) وكان العامل على الموصل قبل يحي محمد بن صول ثم صار خليفته (البلاذري ، انساب ٤/٧ب، الازدي ، تاريخ الموصل ، ص١٥٠ .

(٢) د . فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، ١/٧٦ .

(٣) Farouk Omar , The Abbaside Caliphate . (Baghdad , 1969 P . 312)

(٤) د . فاروق ، موقف الموصل من الخلافة العباسية ، مجلة الجامعة المستنصرية العدد ١٩٧٥/٥ ، ص٣٧٠

طاعته » ويبدو ان وائل بن الشحاج هذا قد استمر في اندفاعه في تأييد العباسيين ، فقد استمر في ملازمته عبدالله بن علي في طلب مروان فحسن أثره وظهر لعبدالله بن علي على مدى اخلاصه وشجاعته فاحسن الثناء عليه عند ابي العباس فأقطعه القطيعة الاولى (١) في الموصل، وكان سماك ورقية أخوة وائل بن الشحاج معه عندما اخذ في مطاردة مروان مع عبدالله بن علي (٢) والراجح ان الخلافة العباسية قد ثمنت مواقف وائل واخوته فقد منح اقطاعا ثانيا في الموصل سنة ١٣٥ هـ /٧٥٢م (٣) ، ولعل ذلك يكشف طبيعة موقف سكان الموصل من الثورة العباسية واجراءاتها فقد اغلقوا اسوار مدينتهم بوجه مروان وجنوده ، ورحبوا بعد ذلك بالعباسيين ورفعوا شعاراتهم وأظهروا اغتباطهم بانتصاراتهم ، كما وقف البعض منهم في اسنادهم ، والوقوف جنبا الى جنب في صفوفهم والقتال معهم ضد اعدائهم . رغم ان الامويين قاموا باصلاحات واسعة في الموصل . ويبدو ان الموقف المعارض السلبي من الجيوش الامويه المهزومة في هذه الاثناء كان مرحليا وربما كان بدافع من قبل القوى المعارضة لسياسة مروان في وقتها (وهم الخوارج)، خاصة وانهم كانوا يتواجدون بكثرة في الموصل ، اضافة الى معارضة

---

(١) الازدي ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩

(٢) ن. م ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٣) الحموي ، التاريخ المنصوري ، ص ٨٩ .

بقية السكان لسياسة مروان القبلية وارهاقهم بالحملات الحربية .

احداث سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م في الموصل :

أحدث الامويين اصلاحات مهمة في مدينة الموصل ، فكانوا بذلك قد تركوا لانفسهم اثرا حسنا وأسروا نتيجة ذلك قلوب البعض ممن كانت اعمال الامويين واصلاحاتهم على تماس بمصالحهم . لقد كانت هذه الاصلاحات تفوق ما قام به الامويين في مناطق اخرى من الجزيرة ، فمن اصلاحاتهم المشهورة ، حفر النهر المعروف بنهر سعيد فيها كما حفروا نهر الحر ، وبنوا القصر المعروف باسمه ، تذكر المصادر ان آخر الخلفاء الامويين مروان بن محمد قد جعل الموصل مصرا، كما عقد عليها جسرا (١) .

وكان لاصلاحاتهم هذه اثرها الحميد في نفوس اهلها لذلك فلا يستغرب ان يبقى البعض منهم على ارتباط وتعاطف مع الامويين رغم زوال ملكهم . حيث كان اهلها معروفين بميولهم الاموية ورغم معارضتهم لسياسة مروان فانهم بقوا مخلصين لبني امية بعد زوال ملكهم (٢) . وكان هؤلاء يتكتمون في اظهار ميولهم وعواطفهم وربما كانوا يتحينون الفرصة المواتية للتعبير عن وجهتهم السياسية .

---

(١) راجع الفصل الاول عن مدينة الموصل .

(٢) د . فاروق العباسيون الاوائل ٧٨/١ ، سعيد الديوه جي ، ثورة اهل الموصل ملحق رقم ٦ ، ص ٢١٠ - ٢١٢ في منية الادباء للعمري .

وكان اقدام الخلافة العباسية على تعيين محمد بن صول واليا على الموصل بعد يحي بن محمد اعطى هؤلاء المبرر لكي يعبروا عما كانوا يؤمنون به او يتعاطفون معه اذ انهم اتخذوا من ذلك ذريعة لاعلان احتجاجهم على السلطة العباسية . ولعل الازدي كان مغاليا في وصفه الموصل بقوله عنه : « كان البلد امويا وميلهم لبني امية وكراهيتهم لبني العباس » (١) اما موقفهم السلبي من هزيمة الجيش الاموي في الزاب . فانه يعود اساساً لمعارضتهم لشخص مروان وليس للامويين، حيث انهم كانوا ضد سياسة مروان .

إلا أن كراهية اليمانيين لمروان لا تعني بالضرورة عداءهم للخلافة الاموية ذلك لان القبائل اليمانية السورية كانت الدعامة القوية التي بنى عليها الامويون سلطتهم في البداية . فاليمانيون في الشام والجزيرة كانوا يريدون التخلص من مروان ولا يهدفون تقويض الخلافة الاموية، والجدير بالذكر ان العرب اليمانية كانوا يشكلون غالبية سكان مدينة الموصل نفسها (٢) ولذلك فان ميل سكان الموصل كان نحو الامويين وليس العباسيين . ويرى ابن الاثير ان « سبب قتل اهل الموصل ما ظهر منهم من محبة بني امية وكراهية بن العباس » (٣) كما تصف

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

(٢) د . فاروق ، موقف الموصل من الخلافة العباسية ، مجلة الجامعة المستنصرية العدد ، ٥/ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٥/٤٤٤ .

المصادر سكان الموصل بأنهم « كانوا منحرفين عن بني العباس » (١)

ان هذه النصوص تبرز بجلاء بعض العناصر التي لم تتخل عن علاقتها وتعاطفها والتزامها بالاتجاه السائد قبل الثورة العباسية .

ويبدو أن البعض منهم قد ارتبطت مصالحهم الذاتية بالعصر الاموي وهذا امر ليس بعيد الاحتمال ، كما ان من الممكن ان يكون البعض قد اثرت فيه بعمق الدعايات الاموية . وان موقفه قد تبلور ابتداء وان موقفه الجديد انما هو استمرار منطقي لمواقفه السابقة ولعل البعض قد تصور ان بامكانه انتهاز الفرصة للحصول على مكاسب ذاتية من العهد الجديد وانهم اكتشفوا فيما بعد ان احلامهم وآمالهم لم يقدر لها ان تصل الى الواقع ولذلك وعلى أمل تغلب الكفة المعارضة فانهم مالوا الى الاتجاه المعاكس للثورة العباسية في اعقاب تظاهرهم بالوقوف الى جانب العباسيين . كما كان لتبدل اسلوب الحكم العباسي واعتماده القوة اساسا والاجراءات القاسية التي اتخذت بحق العناصر الاموية وبحق الجماعات المتعاطفة معهم حيث ان السكان لم يكونوا قد اعتادوا هذا النمط من انماط الادارة خلال الفترة السابقة ، كما ان القبـــائل العربية في الموصل كانت معروفة بعدم حبها للخضوع لاية سلطة مركزية حكومية فهي لا تذعن لوالي وكانت في العصر الاموي في حالة

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، م٣/٣٧٨ .

اضطراب مستمر (١) .

ان الموقف بشكل عام لا يمكن اعطاء تفصيلات عنه غير ان الانعكاسات تشير الى تزعم بعض القبائل وشيوخهم حركة المعارضة.

وكان المفروض بالسلطة العباسية ان تأخذ بنظر الاعتبار طبيعة المجتمع في الموصل ، خاصة وان اكثرهم من ابناء القبائل الذين لا يزالون متمسكين بالتقاليد القبلية . ان هذه الحقيقة قد روعيت من قبل السلطة الاموية ولذلك فانها كانت تتحرى ان تجعل على ادارة الموصل واليا عربيا مشهودا له بالخصال التي تؤهله الزعامة وتجعل اذعان العناصر القبليه بين سكان الموصل امرا ممكنا وميسورا . ومن جهة اخرى فان طبيعة الادارة الاموية اعتمدت حل المشاكل عن طريق الزعامات القبلية في حين اننا نجد ان هذين الاتجاهين قد جرى تجاهلهما تماما خلال الفترة التي اعقبت النصر العباسي .

لقد اعتمدت السلطة الجديدة القوة وسيلة لتنفيذ ارادتها ولم تعط الاهمية الكافية للمفاهيم القبلية والمثل التي اعتادها السكان ولعل ابرز ما يدل على ذلك اقدام العباسيين على تعيين احد الموالي - وهو محمد أبن صول مولى خثعم - في مركز الولاية على السكان وهو أمر يأنفه العربي بطبيعته . اضافة الى ان ولاة الموصل على عهد الامويين كانوا

---

(١) فاروق ، المرجع السابق ٧٨/١ . وراجع مقال الدكتور فاروق ، موقف الموصل من الخلافة العباسية مجلة الجامعة المستنصرية العدد ٥ ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤

من الامراء وشيوخ القبائل ولذلك لم يتحمل اشراف الموصل وشيوخها ان يكون ابن صول مولى خثعم واليا عليهم (١) .

ويمكن القول بان حركات المعارضة التي سارعت القوة العسكرية العباسية ابتداء من سنة ١٣٢ هـ/٧٤٩م وماتلاها ، قد حفزت المتعاطفين مع بني امية من سكان الموصل الى التفكير جديا في مجابهة الطغيان العباسي.ولعل ما أشار اليه البلاذري في التمييز بين سكان الموصل حينما قال « وكان اهل الموصل ، ثلاثة اصناف ، خوارج ولصوص وتجار »(٢) ما يشعر الباحث بان الميول السائدة في المدينة تؤشر الى اتجاهات معارضة تصل الى حد التمرد على السلطة وعدم الخضوع لارادة الخلافة العباسية الجديدة (٣) . اضافة الى ان قبائل الموصل كانت صعبة المراس والمخاصمة (٤) .

وكان أهل الموصل « لشراستهم يسمون خزر العرب » (٥) . ولعل الباحث يستطيع ان يلاحظ ان اتخاذ موقف معارض للسلطة كانت

---

(١) د . فاروق ، المرجع السابق ٧٨/١ ، وراجع مقالته ، موقف الموصل من الخلافة العباسية ، ص٣٧٤-٣٧٥

(٢) البلاذري ، انساب ٤/ورقة٧ ب .

(٣) ويطلق البلاذري صفة « خزر العرب » على سكان الموصل للدلالة على ميلهم للثورة وعدم الخضوع للسلطان .

(٤) فاروق ، الخلافة العباسية ٣١٢-٣١٣ .

(٥) بلاذري ، المصدر السابق ، ٧/٤ب

سمة من سمات تصرف السكان في الموصل . ويتضح ذلك من موقفهم من مروان في حربه ضد الخوارج ، ثم في موقفهم منه في حربه مع شيعة العباسيين ، وكذلك فيما حصل معهم خلال العصر العباسي . فالعصيان للسلطة المركزية غير جديد على أهل الموصل ، بل أننا نجد انهم لا تنقصهم الجرأة في القيام بحركات العصيان بغض النظر عن نتائجها . فاذا اضفنا الى ذلك ان هناك نسبة عالية من السكان تتعاطف مع حركات المعارضة الدائمة او تعتقد ارائها اذ كان في الموصل عدد كبير من الخوارج ادركنا اهم العوامل المهمة في تبلور المعارضة بين سكان المدينة . فقد سبق لهم ان استدعوا الخوارج حينما سيطروا على الكوفة وواسط . كما واعدوا دورا كبيرا في الاحداث التي باشرها هؤلاء بعد ذلك وانهم ظلوا الى جانبهم . حتى بعد انسحـــابهم من شهرزور . والملاحظ ان مروان لما دخل الموصل لم يعاقب احداً فيها بغض النظر عن ميولهم وان ذلك ينطبق على الخوارج وغيرهم . ويقول الدكتور فاروق « لقد كانت بعض القبائل العربية التي دخلت الموصل ذات ميول خارجية لا تدين بالولاء للسلطة العباسيه » (١) وقد حاول الخوارج استغلال الظروف السائدة للاسهام في بلورة قيام حركة التمرد ضد السلطة القائمة .

استفاد سكان الموصل من الظروف العسكريه والسياسية المتاحة والتي صاحبت الوضع في أعقاب دخول القوات العباسية الموصل سلماً

---

(١) العباسيون الاوائل ١/٧٨

وفق شروط الامان التي منحت لجميع المواطنين فيها . وكان ذلك يعني عدم تعرض أهل الموصل لاية مضايقات من جانب العباسيين . ولعل ذلك كان السبب في مواصلة أهل الموصل لتصورهم امكان الحصول باستمرار على نفس الشروط والنتائج السليمة حتى ان قاموا باية اعمال معارضة للعهد الجديد وربما زاد أعتدادهم بأنفسهم او لدالتهم على الثورة بتأييدهم لها في البداية ، أو بتعبير أدق لتأييد البعض منهم للمقاتلين العباسنين في أعقاب فرار مروان من معركة الزاب او لعدم مرورهم في تجربة الوقوع تحت نير القوة والقسوة الشديدة التي باشر العباسيون استعمالها ضد عدد من المدن التي قاومتهم كدمشق مثلا حيث جرى تخريب اسوارها تماما وجعلت مكشوفة دون اي حاجز دفاعي تجاه اي خطر طاريء .

وقد يضاف الى ذلك ان أهل الموصل قد عاشوا فترة استقرار وسلم دائم خلال العصر الاموي فلم يلاقوا اية صعوبات في التعامل مع ذلك العهد بل على العكس كان الامويون قد تركوا لهم ذكرا حميدا في الموصل واسروا قلوب الناس باصلاحاتهم الكثيره في المدينة .

كما ان اهل الموصل لم يقاسوا خلال العهود السابقة من القسوة او الضغط من جانب السلطات الحاكمة ، بل يمكن القول بان السكان قد تعودوا على استقرار الاوضاع ونوع من الامان والحرية كما تنامت عندهم حالة الاعتداد بالنفس اذ يقول الازدي « وكان في اهل الموصل اذ ذاك عز ومنعة » (١) ويبدو ان اهل الموصل قد أعادوا التفكير

---

(١) الازدي ، ص ١٥٠ .

في مبايعتهم للعباسيين ثم اظهروا الكراهية لهم ولعل ذلك سبب مبررا لاعادة التعاطف مع الامويين وقد ادى ذلك الى تبديل العباسيين موقفهم من أهل للموصل واضمار الشر لهم (١) .

لم يحسن العباسيون معاملة سكان الموصل فقد كان الجند فيهم من الزنج حيث اساؤا معاملة اهل البلد اذ غرتهم نشوة الانتصار (٢) وان اي احتكاك مع القوات العباسية كان يمكن ان يؤدي الى قيام التصادم وان يبلور العوامل المباشرة للتعجيل بالصراع بين الاهالي وبين السلطة . ويمكن اعتبار ذلك من الاسباب المباشرة المؤثرة في بلورة حركة المعارضة ، ويتحدث الازدي عن السبب المباشر للتصادم بين السكان وقوات العباسيين فيذكر ان أمرأة من اهل الموصل ألقت خطميّة (*) في طست وهي على سطح لها فوقعت خطأ على رأس رجل من اهل خراسان من العجم كان مارا في الطريق .

وقد اغاظ ذلك الجندي الخراساني وجماعته وادت الى الاحتكاك بينهم وبين اهل الموصل . اذ هجم الجند على الدار فقتلوا اهلها مما ادى الى ان ينفر اهل الموصل وان يكون ذلك السبب المباشر للصراع

---

(١) الصايغ ، تاريخ الموصل ٦٩/١ـ٧٠ .

(٢) محمد امين العمري ، منهل الاولياء ، هامش ص ٧٥ الديوه جي، محقق الكتاب .

(*) الخطمي نبات يغسل به الرأس (لسان العرب ١٨٨/١٢) . تاج العروس ٢٨٢/٨ .

والتصادم (١) .

ومن الممكن ان يضاف الى ذلك ان اهل الموصل لم يرضوا بولاية محمد بن صول عليهم . فقد طالبوا بتولية احد المهالبة (٢) الذي ارسله الخليفة ابو العباس مع ابن صول على ولاية ارمينية وذلك حينما اصدر الخليفة ابو العباس امره بتولية محمد بن صول - مولى خثعم - وقلد ارمينية رجلا من الازد من آل المهلب . وقد صادف ان وصلا الموصل فى آن واحد حيث لم يرتض اهل الموصل بتولية ابن صول عليهم وقالوا : « ما نرضي ان يكون اميرنا مولى لخثعم » (٣) ومنعوه من دخول المدينه قائلين للمهلبي « نحن نرضى بك والياً علينا، واجتذبوه الى الولاية » (٤) فاجابهم الى ذلك وكتبوا الى الخليفة ابي العباس طالبين اليه ان يوليّهم المهلبي ويعزل عنهم ابن صول الذي كتب الى الخليفة ايضا يعلمه بمنع اهل الموصل له من دخول المدينة، فكتب ابو العباس الى ابن صول : « ان أقم بمكانك الى ان يأتيك

(١) الازدي ، ص ١٤٥ ، ابن الاثير ، الكامل ١٤٥/٥ ، د . فاروق ، الخلافة العباسيه ص ٣١٣ .

(٢) يقتصر الازدي على ذكر احد المهالبة فقط دون ان يذكر اسمه، المصدر السابق ص ١٤٥ - ١٤٦

(٣) الازدي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، ابن الاثير ، الكامل ٥/ ٤٤٣ ، ابو الفداء المختصر في اخبار البشر ٢١٣/١ .

(٤) الازدي ، ص ١٤٥ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٤٤٣/٥ .

أمري وكتب الى المهلبي أن خلف اصحابك وثقلك بالموصل وانحدر » (١) فانحدر المهلبي وخلف رجاله وارسل الخليفة ابو العباس أخاه يحي أبن محمد الى الموصل في الوقت الذي ثار اهل الموصل وطردوا ابن صول واخرجوه من المدينة قائلين : « أيلي علينا مولى الخثعم » (٢) كما ان ابن صول كان في ولايته يقتل « وجوه اهل الموصل ليلا ويلقيهم في دجلة فلما ولى امره كاشفهم » (٣) ، ولعل هذه التطورات تشير الى الاسباب الا كامنة خلف الاسباب المباشرة التي اظهرت الاحداث . ولعلها عجلت بتوضح موقف اهل الموصل ازاء العباسيين على حقيقته امام السلطة العباسية .

كان تعيين يحي من الاسباب المباشرة للثورة لان يحي لم يحسن التصرف مع اهالي هذه المدينة الكبيرة ، ويبدو انه كان عاجزا عن حل كثير من المشاكل . ويرى الدكتور فاروق « ان ارسال يحي كان من الاجراءات الخاطئة التي قام بها الخليفة وذلك لان يحي لم يكن بالرجل السياسي او الاداري الكفء » (٤) كما عرف عنه افتقاره

---

(١) الازدي ص ١٤٥ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٤٤٣/٥ .

(٢) الازدي ، ص ١٤٥ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٤٤٣/٥ ابن خلدون ، المصدر السابق ٣٧٨/٣ .

(٣) البلاذري ، المصدر السابق ٧/٤ ب ، د . فاروق ، الخلافة العباسية ص ٣١٢ .

(١) العباسيون الاوائل ٧٧/١ .

الى الشعور بالمسؤلية في سلوكه في الايام الاولى من الدعوة (١) . ففي رواية ان ابراهيم الامام كان قد حذر اتباعه من الاتصال بيحيى او افشاء اســـرار الدعوة له لانه فيما روي عنه انه كان في ايام الدعوة قد هدد اخاه ابراهيم الامام بأخبار السلطات الاموية عن التنظيمات السرية للدعوة العباسية اذا ما ماطل ابراهيم ولم يزوده بما يحتاج اليه من المال (٢) وكان يحي بن محمد ، « ناقص العقل، متخلفا في جميع اموره وكان يفعل اشياء غير مشاكله لشرفه وأبوته ، فوجـّه معه السفاح بجماعة من مشايخ الدعوة يقوّمون امره ويسرونه، ويكاتبون الناس عنه » (٣) على حد قول الصابي . ويبدو ان يحيى هذا كان سيء السلوك فقد شاع عنه انه كان « مشتهرا بالشراب وحب المخنثين لا يختار عليهم غيرهم » (٤) فلا يستغرب والحالة هذه ان

---

(١) الخلافة العباسية ، ص ٣١٢ ـ ٣١٣ .

(٢) راجع ، مجهول ، اخبار العباس وولده ، ص ١٩٧ وراجع باب اول ديوان شـيعة بني العبـاس ١٩١ ـ ٢٠٢ وراجع مقالة د . فاروق موقف الموصل من الخلافه العباسية ص ٣٧١ ـ ٣٧٢

(٣) الصابي ، الهفوات النادرة ، ص ١٠٠ .

(٤) يروي الصابي بان يحي بن محمد كان يحب المخنثين ولا يختار عليهم غيرهم فتقدم الى رجل بالموصل حاذق بصنع الطبول لاتخاذ عدد منها واستعجله على تقديم عملها ، فتهيأ ان فرغ من واحد في يوم جمعة عند النداء بالاذان فسار به الى يحي في دار الامارة وهي بقرب الجامع ، وبينها وبين الجامع باب في عر =

تتعقد مشاكل الادارة في مدينة كبيرة مثل الموصل ، وربما يكون تصرف الوالي نفسه في بعض الحالات سبب في المشاكل ، ويبدو ان ضعفه هذا جعله واقعا تحت تأثير محمد بن صول الذي كان ناقما على أهل الموصل ، وهكذا فقد هذا الوالي احترام الرعية له . فكان ضعيفا مما كان له اثر كبير في جرأة الناس عليه . وقد تسبب هذا الوضع المتأزم في ظهور ردود فعل كثيرة اسهم محمد بن صول في تصعيدها بدافع من حقده لموقف اهل الموصل منه ، كما ان يحيى (*)

= طويل قد فرش بالبلاط ، فصادف يحيى وقد ركب بغلة محرمة وهو ماض في الممر الى الجامع وعليه سواده فقال له : اين تلك الحاجة ؟ فقال : معي هنا واحدة فقال : هاته ، فلما رآه استفزّه السرور به الى ان جعله في عنقه ووقع عليه بيده بزعمه . ويعرف صفاء صوته فساعة سمعت البغلة صوته حملت به نحو الجامع وسمع المكبرون وقع حافر البغلة على ذلك البلاط فرفعوا الستر واقتحمت به البغلة الى وسط الناس على حاله القبيحة فنظر الناس منه الى منظر لم يك في الاسلام مثله فمن بين مستعجب وضاحك . ثم اخذه الحصى في جميع المسجد فما أفلت الا بحشاشة نفسه وشغل الناس به عن صلاتهم وكتب الى السفاح بذلك فاستعظمه وصرفه ولم يسعن به مدة ايامه » (الصابي ، الهفوات النادرة ، ص ١٠٠ ـ ١٠١) .

(*) ويعتبره الزركلي ـ أي يحيى ـ بانه كان شجاعا غافلا (الاعلام ـ جـ ٩ (القاهرة ، ١٩٧٥) ص ٢٠٦ .

قد خاف من هياج السكان في الموصل به فقال لابن صول : « آراني لا آمن وثبة اهل الموصل فلو بادرناهم فذلك أصوب » (١) وقد أصاب الدكتور فاروق حينما قال : « ان الخليفة لم يستطع ان يعالج الامر بحكمة فرغم انه عزل ابن صول الا انه عين مكانه يحي بن محمد الذى ابقى ابن صول قائدا لرابطه (حامية) الموصل ... كما ان الابقاء على ابن صول كقائد عسكري ادى الى تعقد الموقف وتطويره نحو الاسوأ فقد اخذ ابن صـــول يؤثر على يحي ويحرضه على اعتقال بعض رؤساء القبائل متهما اياهم بالشغب والولاء للامويين ... » (٢) وهذا ادى الى تعقد الموقف نحو الاسوأ .

بداية الحركة :

اختلفت اقوال المؤرخين المسلمين في تعيين تاريخ الحركة بدقة فقد حدد خليفة بن خياط سنه ١٣٤ موعداً للزمن الذي حصلت فيه الحركة (٣) واورد كل من اليعقوبي والطبري روايات رجحت انها قامت سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م (٤) والمرجح ان الثورة قامت سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م

---

(١) الازدي ، ص ١٥٠ .

(٢) د . فاروق العباسيون الاوائل ٧٧/١ ، راجع مقالته ، موقف الموصل من الخلافة العباسية ، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥

(٣) خليفة ، تاريخ ٤٣٦/٢ .

(٤) اليعقوبي ، التاريخ ٣٥٧/٢ ، الطبري ، تاريخ ، ٤٦٠/٧ .

وذلك لاننا نعرف انه اجتاحت الجزيرة ثورات اموية معارضة في سنة ١٣٣هـ وقد عقب الطبرى على نتائج ذلك بقوله : « فاستقام اهل الجزيرة واهل الشام » (١) وبعد فترة وجيزة حدثت حركة الموصل التي كانت قد حفزّت لها حركات سنة ١٣٢هـ في الجزيرة . اما الازدي فيشير الى ان الخليفة ابا العباس قد قلد اخاه يحي ولاية الموصل سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م (٢) ونحن نعلم ان يحي هو الذي بلور الموقف في وقته وتسبب في حصول الصدام ونتائجه الدموية على اثر توليه ولاية الموصل في هذا العام وبتحريض من ابن صول . ولهذا فالمرجح بان الحركة حصلت سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م اضافة الى الاتفاق التام لروايتي اليعقوبي والطبري على التاريخ المحدد لحدوثها .

وينفرد المقريزي بالاشـــارة الى ان ابو العباس ولى ابن اخيه ابراهيم بن يحي بن محمد بن علي بن عبدالله سنة ١٣٤هـ (٣) وهذا تناقض مع المعلومات التي تقدمها المصادر والتي تؤكد ان يحي بن محمد هو الذي عين وليس ابراهيم ، ومع المصـادر التي تؤكد بأن محمد بن صول هو الذي كان اميرا على الموصل (٤) سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م .

---

(١) تاريخ ٤٤٧/٧ .

(٢) تاريخ الموصل ص ١٤٥ .

(٣) النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم ، ص٥١-٥٢ .

(٤) الازدي ، ص ١٤١ .

يمكن القول ان حركة الموصل قد سارت في بداية حصولها ضمن اطار يتسم بالجدية والعزم من قبل السكان . فيشير اليعقوبي ان اهل الموصل قد بدأوا حركتهم « بوثوبهم على عاملهم » وانهم قد « انتهبوه واخرجوه » (١) وهذا يشير الى حقيقتين واضحتين اولهما انهم قد وحدوا رأيهم في ضرورة استعمال القوة ازاء اعمال الوالي المشبوهة وهم بذلك قد اشعلوا الثورة . ثم اتجهوا كما يبدو الى اتخاذ اجراءات جذرية عن طريق مصادرة امواله وطرده وجماعته من المدينة. ان هذه الحركة يمكن ان تفسر على انها موجهة ضد الخليفة العباسي . غير ان ذلك يجب ان يحلل ضمن النصوص التي تعطي الصوره الكاملة. يشير الازدي الى ان سكان الموصل قد التمسوا من الخليفة في اعقاب رفضهم قبول تولية محمد بن صول ان يعين عليهم المهلبي ان هذا يعكس حقيقة موقف السكان وعدم اعتبارهم مثل هذا الطلب بانه تحد للخلافة . ثم انهم بعد ان اصدر الخليفة امره بتعيين اخيه يحيى ابن محمد ، لم يمتنعوا عن قبول ذلك بل على العكس من ذلك بدت عليهم علائم الارتياح والقبول .

لم يوفق اهل الموصل في محاولتهم السابقة ضد ابن صول فان ابا العباس عين أخاه يحيى بن محمد على الموصل كمرحلة من اجراءات اعتقد ضرورتها من اجل اخماد الثورة حيث اعتقد الخليفة ابو العباس في اخيه ضمانا اكبر وثقة اعظم في مجابهة الخارجين على السلطة العباسية .

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .

تشير المصادر الى ان الخليفة قد خطط لذلك ، فقد جهز اخـاه بقوة عسكرية كبيرة اذ « ضم اليه اربعة الاف رجل من اهل خراسان » (١) وترفع رواية اخرى العدد ليصبح ١٢ الف مقاتل (٢) ولعل الرقم الاول اكثر دقة . لقد نزل يحيى في قصر الامـارة . امـا ابن صول فقد امره الا يدخل الموصل وان ينزل قصر الحر بن يوسف. وخيم الهدوء على الموصل حيث اقام الوالي الجديد فترة لا يظهر لأهل الموصل منه شيئا ينكرونه ، ولا يعيب عليهم فيما فعلوه ولم يعترضهم فيما يفعلونه (٣) . وهكذا بدت الاوضاع مستقرة خلال فترة وجيزة بعد تبديل محمد بن صول وتولية يحيى بن محمد الموصل الامر الذي يدل على رضا اهل الموصل عن اجراءات الخلافة وعن ولاية يحي بن محمد . ولعل اهل الموصل قد فسروا تعيين يحيى عليهم تقديرا من الخلافة لهم واعتزازهم بمدينتهم في تعيين أحد امراء البيت العباسي واليا عليها . ثم ان اجراءات الوالي الجديد ومنعه محمد بن صول من دخول الموصـــل « حين نهاه عن النزول في نفس المدينة ودخول سورها » (٤) تعكس هذا الاتجاه . ولعلها توضح الى اي حد كان الوضع

---

(١) اليعقوبي ، المصدر السابق ج٢ ، ص ٣٥٧ ، د . فاروق ،الخلافة العباسية ، ص ٣١٢ .

(٢) الازدي ، ص ١٤٦ ، ابن الاثير ، ٥ / ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤ .

(٣) الازدي ، ص ١٤٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٥/ص ٤٤٣ـ ٤٤٤ .

(٤) الازدي ، ص ١٤٥ .

العام في الموصل مضطربا ، ويبدو ان ابن صول لم يكن مطمئنا الى موقف اهل الموصل سيما وان الاحداث اخذت مجراها بعيدا عن ارادة او تخطيط يحيى الذي يبدو انه كان ضعيف الشخصية مما أوقعه تحت تأثير محمد بن صول . ولعل من الامور الجديرة بالتساؤل هي سبب اصطحاب يحي لمحمد بن صول ، وهل ان ذلك باجتهاد منه أم بتوجيه من الخليفة ، ولعل الاحتمال الاخير هو المرجح .

وبعد مرور شهرين من الامن والاستقرار بالموصل أولم لوجهاء اهل الموصل وليمة فقتل منهم خلالها اثني عشر رجلا (١) . وكان متهما اياهم بالمشاعر المؤيدة للامويين (٢) .

ولعله اراد ان يذل اهل الموصل ويكسر كبريائهم وانفتهم بقتل زعمائهم ولم يكن بامكان السكان الصمت تجاه هذا العمل المثير . لقد رسمت هذه الحادثة نقطة البدء لقيام الثورة الفعلوة ضد العباسيين . ويذكر الازدي تفصيلات عن هذه الحادثة ونتائجها فيذكر ان يحيى اظهر لأبن صول عدم اطمئنانه من جانب اهل الموصل . وانه يقترح خديعة زعماء السكان في الموصل وذلك بان يرسل في طلبهم من اجل اكرامهم ومنحهم الصلات والهدايا فاذا اجتمعوا عنده امر بقتلهم . وقد نفذت الخطة اذ ارسل الدعوة الى عدد من وجهاء الموصل وزعماء السكان فيها ومنهم « العراهم بن المختار ، وشريح بن شريح الخولاني،

---

(١) الازدى ، ص ١٤٦ .

(٢) د . فاروق ، الخلافة العباسية ، ص ٣١٣ .

ووثاق بن الشحاج والمعمر بن أيوب الهمداني وعلي بن نعيـــم الحميدي ، وغيرهم فلما حصلوا في يده ضرب رقابهم ووجه برؤسهم الى يحيى بن محمد »(١) لقد اضطرب السكان حينما عرفوا حقيقة ما جرى بل ان رد الفعل لديهم كان كبيرا ، اذ حملوا السلاح وبدأوا يخوضون غمار حرب أهلية داخلية غير متكافئة مع القوات العباسية المتمركزة والمحصنة ، وقد استعمل الوالي الخديعة مرة اخرى اذ بذل للمقاتلين الامان وناد مناديه بالصلاة الجامعة في المسجد الجامع، غير انه غدر بهم اذ اصدر اوامره بقتال المجتمعين في المسجد الجامع وبقتلهم (٢) . ويشير الازدي الى رد الفعل لهذا العمل القاسى بقوله : « فنفر اهل الموصل » (٣)

ويقدم الازدي صورة دقيقة لتفصيلات الاحداث المتلاحقة هذه فيذكر بانه لما نودي بالامان ودخل الناس المسجد الجامع وتجمعوا فيه جلس أبن صول عند باب المسجد بعد ان جرى تطويقه من قبل القوات الخراسانية وكان يأمر بقتل كل من يخرج من المسجد ولم يتمكن الناس العزل من مقاومة القوات الخراسانية وذلك لان اسلحتهم وكفاءتهم لا يمكن مقارنتها بهذه القوات ، ثم لاعتقادهم وايمانهم بأهميه الامان ووثوقهم بالسلطة وهكذا فانهم دخلوا المسجد بدون

(١) الازدي ، ص ١٥٠ .

(٢) الازدي ، ص ١٥٠ ، فاروق ، العباسيون الاوائل ، ١/٧٧ـ٧٨ ، الخلافة العباسية ، ص ٣١٣ .

(٣) الازدي ص ١٤٧ ـ ١٥٠

سلاح ، ويستطرد الأزدي فيقول بأنه : « لم يقاتل أحد من أهل الموصل ممن حاصرهم ابن صول الا مولى للطمثانيين فانه خلع عمود المنبر فجاهدهم حتى قتل »(١) وكان اول من اخرج معروف العابد وابنه ، فقيل لمعروف « : امدد عنقك ، فقال : ماكنت لاعينك على معصية الله ، فقتل ابنه وأخرج ابان وكان امام المسجد فضرب عنقه وعنق ابنه وجعلوا يخرجون الرجـــال على هذا » (٢) وتتفق روايات المؤرخين عن عدد القتلى الذين قتلوا في المسجد فقط وتشير الى انه كان العدد « احد عشر الفا ممن له خاتم وممن لا خاتم له في يده (٣) خلق كثير » (٤) وفي الليل سمع يحيى بن محمد صراخ النساء اللواتي قتل ازواجهن ، ثم قال : « فاذا كان غدا فلا تدعوا امرأة ولا صبيا الا قتلتموه » (٥) ونحن نرى ان هول المجزرة وبشاعتها جعلت المؤرخين لا يترددون في عرض رقم كبير في عدد القتلى الذين قتلوا في داخل المسجد ، كما ان هذه الروايات لا يمكن ان تخلوا من

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

(٢) ن . م ، ص ١٤٨

(٣) المقريزي ، النزاع والتخاصم فيمابين بني امية وبني هاشم ، ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(٤) الازدي ، ص ١٤٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٥/٤٤٤ ، ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ٢١٣/١ . المقريزي ، المصدر السابق ، ٥٢ـ٥٣ .

(٤) الازدي ، ص ١٤٨ ، ابو الفداء ، المصدر السابق ٢١٣/١ .

عنصر المبالغة . ويشير المقريزي الى انه لم ينج من كانوا في المسجد مع كثرتهم « الا نحو اربعمائة رجل صدموا الجند فافرجوا لهم » (١) ويبدو ان المجازر خارج المسجد قد فاقت ما كان يجري في المسجد ايضا ففي رواية للازدي عن احد اهالي الموصل قوله : « قتل في دارنا ثمانين رجلا وأمرأة وصبيا وكان يقتل الرجـــال والنساء والصبيان » (٢)

وتتحدث المصادر عن حالات اعتداء على الحرمات والاعراض . واذا اعتبرنا مسألة استباحة مدينة الموصل امرا ثابتا مقبولا فان اشارات المصادر هذه قد تكون منطقية وان كان الغالب عليها صفة المبالغة(٣) وتقدم لنا المصادر صورة عن القسوة المتناهية (٤) وانعدام الشعور

---

(١) المقريزي ، المصدر السابق ، ص ٥٢-٥٣ .

(٢) الازدي ، ص ١٤٨ .

(٣) تتحدث الروايات عن هجوم اربعة الاف زنجي من الجيش العباسي واستباحتهم النساء حيث ان هؤلاء اخذوا النساء قهراً ، ابن الاثير ، الكامل ٥/٤٤٤ ، المقريزي ، النزاع والتخاصم ، ص ٥١ ـ ٥٢ ابن خلدون جـ٣ ، ص ٣٧٨

(٤) ويروي الازدي رواية عن احد المقاتلين الخراسانيين من الذين اسهموا في المجازر ، ففي رواية ابى يعقوب يوسف الكوفي وكان قد روى الاحاديث والاشعار عن ابيه قال : « حججت ذات سنة فاذا انا برجل عند البيت يقول : اللهم ارحمني وما أراك =

الانساني احياناً في تصـرفات القوات العباسـية التي يبدو ان زمـام قيادتها قد أفلت من يد الوالي فاصبح ابن صول هو المتحكم في كل شيء ولذلك فانه انتقم لنفسه شر انتقام واذا لم تتهيأ فرصة القتال لمن كانوا في المسجد فان الاهالي بالموصل كانوا يقاتلون المعتدين داخل

= تفعل فقلت : يا هذا ما اعجب يأسك عندالله وقنوطـك من رحمة الله ؟ قال : ان لي ذنبا عظيما ، قلت : اخبرني به قال : كنت مع يحيى بن محمد فركبنا يوم جمعة فاعترضنا المسجد فترى انا قتلنا ثلاثين الفا ، ثم ناد مناد : من علق سوطه على داره فهي له فعلقت سوطي على داري ثم دخلتها فاذا برجل وامرأة وابنين لهما فقدمت الرجل فقتلته ، ثم قلت للمرأة : هات ما عندك والا الحقت ابنيك به فجائتني بسبعة دنانير ومتيع فقلت : هات ما عندك : قالت ما عندي غـــير هذا . فقدمت ابنيها فقتلتهما ، ثم قلت : هات ما عندك والا الحقتك بهم ، فلما رأت الجد قالت : ارفق فـان عندي شيئا كان أودعني ابوهمـا فجائتني بدرع مذهبة لم ار احسنها شيئا فجعلت اقلبه عجبا به فاذا مكتوب عليه بذهب :

اذا جـار الامير وصاحبـاه　　وقاضي الارض اسرف في القضاء
فويل ثم ويل ثـــم ويل　　لقاضي الارض من قاضي السماء

فسقط السيف من يدي وارتعدت وخرجت من موضعي الى ما ترى (ن . م ص ١٥٢) .

بيوتهم بل ان النساء قد اشتركن في حركة المقاومة هذه التي يمكن ان تتجاوز الى حصة الدفاع عن النفس وعن المـال والحرمـات ضد المعتدين . وقد عثر على جثة احدى النساء في المدينة وهي مجهزة بلباس عسكري تام وقتلت بعد ان قارعت المعتدين (١)

ان منفذي هذه المجزرة لم يفرقوا بين العالم والجاهـل والمذنب والبريء اذ عمت الفوضى واصاب الاذى أغلب السكان دون تمييز (٢)،

---

(١) يروي الازدي عن محمد بن احمد بن ابي المثنى قال : حدثني ابي قال : (دخلت وانا صبي دار الصباح بن الحصين المزني في اليوم الرابع والخامس من قتل اهل الموصل واذا ابنته قد قتلت وهي متحزمة بازار وعمامة وسيف ابيهـا في يدها وقد قتلـت اربعة من اصحاب يحيى بن محمد وبها ضربة في رأسهـا وضربة في خاصرتها قال : وكان صباح من رجال اهل الموصل قطيعته دار عباس القطان وبستانه . ن . م ص ١٤٩ .

(٢) فممن قتل : معروف بن ابي معروف وكان ناسكا وله رواية في الحديث وقد روي عن عائشة وابن عمرو وعطاء ومجاهد والحسن البصري وروي عن المغيرة بن زياد الموصلي ، ومغيرة بن مقسم الضبي وليث بن ابي سليم والحارث بن الجارود ـ قاضي الموصل ـ ومما اسند في حديثه قال : حدثني خليد ابن جعفر عن معروف الموصلي عن مجاهد قال : قلت لعائشة : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع اذا كان في اهله ؟ قلت « كان في هيئة =

وتتحدث المصادر عن العدد الكبير من القتلى وقد تبالغ في اعطاء الارقام غـــير ان هول الجريمة يبرر ذلك . ولقد اختلفت اقوال المؤرخين في عدد الذين قتلوا في المجزرة فالروايات تؤكد ان المجزرة (استمرت ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع قتل الزنج) . مر علينا ان الذين قتلوا في المسجد كانوا احد عشر الف ممن في يده خاتم وممن ليس له خاتم خلق كثير ثم أمر بقتل نسائهم وصبيانهم . اما الذين قتلوا في المدينة خارج اطار المسجد فكانوا عددا كبيرا جدا حيث يذكر اليعقوبي بأن يحيى بن محمد اعترض الناس في يوم جمعة فقتل (ثمانية عشر الف انسان من صلب العرب ثم قتل عبيدهم ومواليهم(١)

---

(١) اليعقوبي ، التاريخ ج٢ ص ٣٥٧ .

= أهله » الازدي ، ص١٥٣ . وكان زاهد عابدا وقد ادرك كثيرا من الصحابة وروى عنهم (ابن الاثير كامل ج٥ ، ص٤٤٤) وقتل ايضا ابان امام المسجد الجامع والهراهم بن المختار بن جابر الازدي - وكان شريف وشريح بن شريح بن عمرو بن سلمة الخولاني - وكان شريفا - وعلي بن نعيم الحميري وكان كذلك ، وطرخان بن يزيد - وكان مقدما - الازدي ص١٥٣ (وقتل ايضا عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب بن ابي جعفر بالموصل سنة ١٣٣ هـ بعد قتل اهل الموصل ، قتله سليمان المعروف بالاسود بعد أمان كتبه له ثم غدر به (الازدي ، ص ١٥٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٤٩) .

وفي رواية ان ما قتل ثلاثون الفا من الرجال سوى النساء والصبيان (١) ويروي الازدي عن علي بن عمرو بن بويه قال « سمعت المشايخ يقولون جمع الزنج لما قتل اهل الموصل ثلاثين الف خاتم » (٢) ويبدو لنا التأثر الواضح في اسلوب المؤرخين من خلال هذه المجزرة فتبدو لنا مدى مبالغة اليعقوبي (*) في عدد من قتل حينما قال « ... حتى

---

(١) الازدي ، ص ١٥٣ .

(٢) ن . م . ص ١٥١ .

(*) وان ارقام اليعقوبي والازدي مبالغ فيهما من غير شك وفقا لتأثرهما بالولاء المعادي للعباسيين ، فالازدي مواطن من اهل الموصل يبين سخطه حينما يذكر الحادثة ويجب ان يؤخذ وصفه للحادثة بتحفظ فهو يعالج المذبحة بتفصيل ذاكرا اسماء الاشخاص البارزين الذين قتلوا والقصائد التي قيلت في مدحهم ، كما انه يبين ان العديد من الاحياء ظلت في حالة خراب لمدة سنوات كثيرة عقب المذبحة ، وهو ناقم على الموقف العباسي تجاه الموصل حتى المدن الدينية البارزة التي تدين القتلة باعتبارهم ضد مسلمين ، كما ان مبالغة اليعقوبي واضحة حينما يقول ان دماؤهم امتزجت بماء دجلة ، فان الوصف الاخير غير صحيح مطلقا لان الموصل بقيت مركز المتاعب على الرغم من ذلك ، او ربما بسبب الانطباع العميق الذي تركته المذبحة في السكان (الدكتور فاروق ، الخلافة العباسية ص ٣١٣ ـ ٣١٤) (بالانكليزية) .

أفناهم فجرت دماؤهم فغيرت ماء دجلة فلم يعرف لاهـل الموصل وثوب الى هذه الغاية » (١) وروى الازدي عن لسان عويمر الاعرابي قوله « كذب والله من زعم ان هؤلاء مسلمون » (٢) وقال ابن الاثير عن تصرف يحيى هذا « انه قتل الناس قتلا ذريعا اسرف فيه » (٣). وروى المقريزي انه قتل الناس في المسجد قتلا ذريعا « تجـاوز فيه الحد واسرف في المقدار » ، وقال بأن « هذه الفعلة لم نسمع باقبح منها »(٤) . علما انه يستغرب في عدم معرفة السبب الذي قتل من أجله اهل الموصل (*) . غير ان عملية الابادة الجماعية لم تستمر اذ

---

(١) اليعقوبي ، المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٥٧ .

(٢) فقد روي الازدي عن عويمر الاعرابي الذي سئل عن حديث فقيل له : من اين انت ؟ قال من اهل الموصل ، فقيل له : هل شهدت قتل اهل الموصل قال نعم ثم جعل يبكي ويقول : (كذب والله من زعم ان هؤلاء مسلمـون) الازدي ص ١٥١ .

(٣) ابن الاثير الكامل ٤٤٤/٥

(٤) المقريزي ، المصدر السابق ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(*) روى المقريزي بان هذه الفعلة لم نسمع باقبح منها الا ماكان من ابي العباس فان زوجته ام سلمه بنت يعقوب بن سلمه بن عبدالله بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم المخزومية قالـت له : « يا أمـير المؤمنين لاي شيء أستعرض ... اهل الموصل بالسيف ؟ فقال لها : وحياتك ما أدري ... ولعمري لقد فاق فرعون في فساده =

يبدو أن يحي قد تمكن من استعادة القيادة فاوقف هذه الأبادة ، وتذكر المصادر ان امرأة من بني الحارث بن الجارود ، قد اعترضت طريقه ـ في اليوم الرابع من تنفيذ المجزرة ـ وكان يسير في موكبه قائلة له (*) : « اما أنت من بني هاشم ؟ اما انت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ... اما تأنف للعربيات المسلمات ان

= وابى عليه في عتوه وعناده » . وانه بما فعله يحيى قد صار يسوم امة محمد (ص) في سوء العذاب اسوأ واقبح مما كان فرعون يسوم بني اسرائيل منه مع ما حكاه البلاذري ، المقريزي ،المصدر السابق، ص ٢٥ ـ ٢٦ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ٢١/١ .

(*) وقيل انها قالت له : اما انت عربي ؟ اما انت حر ؟ اما تخاف الله ؟ كلام قرعته به » أما تأنف للعربيات المسلمات ان تنكحوهن الزنوج ؟ وكان معه قائد في اربعة الاف زنجي ، فأمسك عن جوابها ، ثم امر بها فبلغت مأمنها وانف من كلامها (وقيل ان كلامها عمل فيه ، ابن الاثير ، كامل ٤٤٤/٥ ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ٢٦١/١ ، ابو الفداء ، المختصر ٢١٣/١) بل قيل تحركت في رأسه النخوة الهاشمية (ياسين العمري ، منية الادباء ، ص ٣٩) فلما كان من غد امر مناديا فنادى فيه الزنوج ان يجتمعوا عند جبته للعطاء ، وكانت المياه تتجمع اليها ، وامر يحيى بن محمد قواده من الخراسانية وغيرهم اذا اجتمع الزنوج ان يصفوا عليهم بالسيوف فقتلوا ـ حينما =

تنكحوهن الزنوج ؟ وكان معه قائد في اربعة الاف زنجي ، ... فلما كان من غد أمر مناديا فنادىفي الزنوج ان يجتمعوا للعطاء فقتلهم عن آخرهم » (١) ويبدو انه ندم على ما أقترفه من جرائم بحق سكان الموصل ، ويلاحظ ان المجزرة نفذت على يد هؤلاء الجند الزنج ولذلك انتقم منهم ويذكر ابن حزم والمقريزي رواية غريبة اذا ما صحت روايته - حينما يشير الى ان والي الموصل امر الا يترك في الموصل ديك الا ذبح ولا كلب الا عقر (٢) فاذا ما صحت هذه الرواية فربما يكون هدف الوالي من جراء تصرفه هذا هو القضاء على اي مصدر من مصادر الازعاج مهما كان نوعه سواءا أصوات الديكة او نباح الكلاب والله أعلم بقصده من عمله هذا .

نتائج ثورة الموصل :

عند استعراض النتائج التي ترتبت عن هذه العملية الدموية . وبغض النظر عن الاساطير والروايات التي نسجها الناس حولها وحول

= ذكروا - اجمعين وطرحوهم في الجيئة (الازدي ، ص ١٤٩ - ١٥٠) ابن الاثير ، ٥/٤٤٤ ابن خلدون م ٣ - ٣٧٨/٥ - ٣٧٩) وفي رواية انه قتلهم عن آخرهم فلا أصاب اولا واخطأ ثانيا (محمد العمري ، منهل الاولياء ، ص ٧٥-٧٦) .

(١) راجع هامش (*) في الصفحة السابقة .

(٢) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ج١ (القاهرة ، ١٩٦٢) ص ٢١ ، النزاع والتخاصم ، ص ٥٢ .

أبعادها ومسبباتها ، فان آثارها السلبية كانت واضحة بارزة تمتد في اتجاهات وابعاد مختلفة .

لقد شلت الثورة الوضع الاقتصادي في الموصل مدة طويلة فتشير المصادر الى ان اسواق الموصل قد تعطلت وفقدت اهميتها لفترة استمرت ثلاث سنوات بعد هذه المجزرة البشرية (١) وتسبب ذلك من اضطراب احوال السكان فيها وفي المناطق الريفية المحيطة بها والمعتمدة عليها (٢) . أن نقص العنصر البشري ادى الى خمول النشاط الاقتصادي كما ان شيوخ الارهاب وفقدان الامان عاملان مهمان من عوامل ذلك الاضطراب (٣) ، ويبدو ان مركز الخلافة قد أحس بالخطأ الخطير الذي حصل اذ بدل الخليفة العباسي سياسته تجاه اهل الموصل حيث حاولت السلطة العباسية استرضاء أهل الموصل بأقطاع بعض سكانها الاقطاعات وزيارة المنصور وغيره من الخلفاء المتكررة للموصل وكذلك القضاء على الاهواء والميول الموالية للأمويين في الموصل وذلك بقتل زعيمهم يحي بن الحر بن يوسف بن الحكم (٤) وعلى اثر ارتكاب يحيى بن محمد بجزرة الموصل عزله الخليفةوولى مكانه عمه اسماعيل بن علي على أمل اصلاح الخطأ الحاصل

---

(١) الازدي . ص ١٥٢ .

(٢) ن . م ، ص ١٥٧ .

(٣) ن . م . ص ١٦١ و ١٦٣ .

(٤) ن . م ص ١٥٧

واستقرار الاوضاع (١) .

قدم اسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس الموصل فنزل قصر الامارة . ثم جمع الناس في المسجد الجامع فقال - بعد حمد الله والثناء عليه وبعد كلام تكلم به - : « لولا أننا أهل بيت مغفور لنا لحقت على يحيى بن محمد النار لما صنع بكم ، ولكني سأرد المظالم عليكم واحسن السيرة فيكم » (٢) وروي من خطبة له انه قال : « يا أهل الموصل أنا أرد عليكم المظالم وأعطيكم ديات من قتل يحيى منكم وكتب اسماعيل بن علي الى الخليفة يسأله عن البلد وخرابه فكتب له الخليفة ان « ارفق بالناس تألفهم » (٣) ويبدو ان اسماعيل حاول استغلال العاطفة الدينية ازاء آل البيت وهو ما أكد عليه العباسيون من أجل تبرير هذه الاعمال السيئة .

لقد ساعد مجيء اسماعيل الى منصب الولاية في ان تتجاوز الموصل تدريجيا اثار النكبة هذه . كما ان للاصلاحات التى قام بها اسماعيل ومن جاء بعده من الولاة اثرها في ذلك (٤) حتى انه لم تكد تمضي عشر سنوات على هذه الاحداث حتى استعادت الموصل سابق مجدها

---

(١) ابن الاثير ، جـ ٥ ص ٤٤٩ ، د . فاروق الخلافة العباسية ، ص ٣١٤ .

(٢) الازدي ، ص ١٥٦ .

(٣) ن . م ص ١٥٦ .

(٤) راجع الفصل الخاص بالولاة .

ومكانتها (١) غير ان مما يلفت النظر ان يحيى ذا رغم كل ما حصل في عهده فانه لم يعاقب على الجريمة التي اقترفها بحق اهل الموصل بل انه عين بمنصب اداري حتى وفاته سنة ١٣٥ هـ، حيث توفي بفارس حينما كان اميرا عليها (٢) .

ومن نتائج المجزرة ، كثرت ظهور الروايات الاسطورية التي كانت تتحدث عن مقتل العديد من الرجال في الموصل مما يدل على الاثر العميق للمجزرة في نفسية السكان حيث ظهرت الاساطير التي تخلد الذين قتلوا في الموصل ، وبان هناك تنبؤات سبقت حدوث المجزرة، وان في أهل الموصل قوم يقيم الله بهم الارض لا يموت احدهم الا قام مقامه آخر على حد تعبير الروايات الاسطورية هذه (٣) وكذلك

---

(١) الازدي ، ص١٨٠ (وذلك سنة ١٤٣ زمن ولايه مالك بن الهيثم الخزاعي يقول الازدي (واحوالها مستقيمة) .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٤٥٧/٥ .

(٣) روى الازدي حديثا عن سنان بن محمد بن طالب عن عبيدالله بن ايوب عن ابيه قال : « قال لي او قيل يوما : من اي بلاد انت ؟ قلت من اهل الموصل . فقال لنعم البلاد بلادك ، فعدد في فضلها خصالا وقال : انه سيكون في اهل الموصل شهداء مرتين في اول ملك بنو العباس عليكم ، قال قلت : ومتى ذلك ؟ قال : اني اجد في الكتب انهم شهداء دجلة يقتلهم قوم يجيئون من ناحية خراسان يعرف صوتهم الرجال والنساء والصبيان ، =

ظهور القصائد في رثاء العديد من اهل الموصل خاصة الوجوه فيها (١).

ولعل اخطر نتائج هذه الاحداث هو التبدل الشامل في موقف السكان من السلطة العباسية . ولقد خسر العباسيون التعاطف والمواقف الايجابية لاهل الموصل منهم . وقد اثر ذلك في احداث اضطرابات واسعة وعنيفة ضد السلطة العباسية فيما بعد . ويظهر ان اكثر حركات المعارضة الخارجية في العصر العباسي الاول كانت تنطلق من الموصل . كما ان الاضطرابات القبلية كان مصدرها الموصل ايضا . هذا في الوقت الذي تجرأ الناس فيه على الدولة حتى ان الرشيد اضطر نتيجة

= ومرة اخرى يقتلون في اخر ملك بني العباس واسمها في الكتب الكورخ الاعظم والابدال اربعون منهم بالموصل كلما مات واحد بدّل الله عز وجل مكانه واحدا » وفي حديث آخر قال الازدي وجدت في كتاب مسموع عن محمد بن عبدالله بن عمار قال : « ..سمعت ابا جعفر محمد بن عبد الله بن عمار يقول : (سمعت ابا بكر بن عياش يقول : « ابتداء الابدال من اهل الموصل ، الابدال قوم يقيم الله بهم الارض لا يموت احدهم الا قام مقامه آخر (الازدي ص ١٥٣ ـ ١٥٤) .

(١) قال الصقر بن نجده قصيدة يرثي بها من قتل من وجوه اهل الموصل :

كأن العراهم زين الازد كلهم وفخارها في كل يوم طعان
وشريح كان جمالنا وقوامنا ما تقض امرا دون قحطان

(ن . م . ص ١٥٢ ـ ١٥٣) .

ذلك فيما بعد أن يحاصر الموصل ثم يهدم أسوارها . لقد أصبحت الموصل ابتداء من هذه الحادثة مركز فوضى واضطراب طوال العصر العباسي الاول ، حتى ان جماعة من اهلها بيتوا للخليفة الرشيد في بلد من الموصل محاولين قتله ، لقد كانت الاثار المترتبة على هذه الاحداث بعيدة المدى انها ارهقت العباسيين ولعل في كثرة تبدل الولاة العباسيين على الموصل دليلا على عدم الاستقرار فيها ، وعلى ما سببته للسلطة المركزية من أقلاق .

الفصل الرابع

الوضع الاداري في الجزيرة الفراتية



اولا : أهتمام الخلافة بادارة الاقليم :

أ ـ اهتمام الخلفاء بالجزيرة وتفقدهم احوالها .

ب ـ انشاء القلاع والحصون .

أظهرت الخلافة العباسية اهتمامها بادارة اقليم الجزيرة ، وذلك نظرا لأهمية موقعها الستراتيجي حيث تقع بالقرب من الخطر البيزنطي الذي كان من آن لآخر يهاجم الثغور الجزرية ، خاصة وقد استغل البيزنطيين فترة الاضطراب التي شهدتها الجزيرة في اثناء فترة انتقالها من الامويين للعباسيين حيث انهم اخذوا يهاجمون ملطية « وكانت يومئذ الجزيرة مفتونة » (١) ولهذا نجد ان الخلافة العباسية ركزت اهتمامها على ضبط ادارة الاقليم ، كما ان حركات المعارضة الاموية والخارجية والقبلية ضد العباسيين لفتت انظارهم الى وجوب ضبط ادارته وقد انعكس اهتمام الخلافة في ادارة الاقليم بكثرة تردد الخلفاء وزياراتهم المتكررة له لتفقد احواله ولتعزيز الادارة العباسية فيه ، كما انعكس اهتمام الخلافة بادارة الاقليم من خلال تأكيدها على اقامة التحصينات والقلاع العسكرية في اجزاء عديدة من الاقليم تحسبا لمواجهة أي احتمالا للخطر من جانب البيزنطيين او لكبح جماح

(١) بلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٩٠ .

حركات المعارضة الخارجية والاموية داخل الاقليم. وسنتطرق لذكر جوانب الاهتمام الاداري من قبل الخلافة بالاقليم خلال الصفحات التالية :

اهتمام الخلفاء بالجزيرة وتفقدهم لاحوالها :

لقد سببت الجزيرة الفراتية متاعب كثيرة للعباسيين في اوائل حكمهم فقد اعلنت حركات العصيان ضدهم في مناطق متعددة او مختلفة منها، كما ان عبدالله بن علي العباس قد اتخذ الجزيرة قاعدة لحركته عند اعلانه الثورة عند وفاة الخليفة ابي العباس (١) كما ان مجزرة الموصل كانت من بين الاعمال التعسفية القاسية التي ارتكبها العباسيون ضد السكان ويبدو ان ميول سكان الجزيرة التي تتصف بالتأييد والايجابية ازاء الامويين قد عززت من المواقف التعسفية التي اتصفت بالبطش والشدة من جانب العباسيين مما ادى الى ان يتبلور في الجزيرة اتجاه يكاد يكون عاماً في عدم التجاوب او الانسجام مع الحكم العباسي وخاصة خلال العصر العباسي الاول .

لقد بذل الخلفاء الأول جهداً في سبيل الغاء هذه السلبيات وتجاوز هذه المظاهر العدائية ، ولعل تكرار زيارة الخلفاء لمنطقة الجزيرة في الفترات المتقاربة او كلما استدعت الظروف ما يشير الى هذا الاتجاه اضافة الى دلالته التي تعكس عدم رغبة الخلفاء في الاعتماد على حسن تصرف ولاتهم في هذه المنطقة . وكذلك في محاولة الخلافة فرض

---

(١) راجع الفصل الخاص بالمعارضة الاموية .

سيطرتها الادارية على الاقاليم .

ان هذه الزيارات المذكورة للجزيرة من قبل الخلفاء العباسيين الاوائل تعكس الرغبة في الغاء التناقضات عن طريق التعرف على احتياجات السكان واحوالهم وتوثيق الصلات بهم ، وكما ذهب الاستاذ د . فاروق عمر فان هذه الزيارات تمثل جزءاً من اجراءات السلطة العباسية التي اتخذتها من أجل السيطرة الادارية على المنطقة (١) ، ان بوادر هذا الاهتمام باحوال الجزيرة يمكن ملاحظته وتعقيب بداياته حتى قبيل انتقال السلطة الى البيت العباسي ، والواقع فان آخر الخلفاء الامويين قد أبدى اهتماما كبيرا بالجزيرة فاتخذ حران مقرا له ، كما شهدت الموصل كثيرا من الاصلاح على عهده (٢) .

وقد شهدت بداية العصر العباسي اهتماما متزايدا بأحوال الجزيرة وخاصة بعد ان سادتها حالة الفوضى والاضطرابات الشاملة التي تميزت بها فترة انتقال السلطة من الامويين الى أيدي العباسيين ، ويشير اليعقوبي - ولعله ينفرد في ذكر ذلك - الى قيام الخليفة العباسي الاول ابي العباس بزيارة الجزيرة - لأول مرة - فيذكر انه زار الرقة وانه اختط مدينة الرافقة على الفرات (٣) حيث يذكر ان الذي اختطها له أدهم بن محرز ، ومع ان اليعقوبي ينفرد بهذه الرواية

---

(١) د . فاروق ، العباسيون الاوائل ، ٧٦/١ .

(٢) راجع ، الفصل الاول ، مدن الجزيرة الفراتية واعمالها .

(٣) اليعقوبي ، كتاب التاريخ ٣٥٨/٢ .

فأنه لا يوجد ما يبرر الشك في احتمالها .

اما الخليفة ابو جعفر المنصور فقد كان قبل ان يتولي منصب الخلافة ، واليا على الجزيرة في عهد اخيه ابي العباس ، لقد تمكن المنصور خلال فترة ولايته هذه من التعرف على طبيعة ميول وأهواء سكان الجزيرة واصبح على أطلاع بالمشاكل التي كانت تثيرها فيها بعض الجهات وهكذا تكونت في ذهنه فكرة واضحة عن طبيعة سكانها ومشاكلهم ، ولذلك فانه بعد تسلمه منصب الخلافة كان حريصا على ان يجعل طريقه في زياراته للقدس مارّا بالجزيرة وبشكل خاص عن طريق مدينة الموصل والرقة ، فقد قام الخليفة ابو جعفر المنصور سنه (١٤١ هـ/٧٥٨م) لاداء فريضة الحج وعاد الى الجزيرة بعد ان مرّ بالقدس والشام حيث اقام في الرقة عدة اشهر ، واشار الدينوري الى انه اقام فيها بقية عامه (١) ، ويبدو ان الهدف الذي كان قد دفع الخليفة المنصور لذلك هو ورود اخبار عن تحرك بعض عناصر المعارضة العباسية هناك مستغلة التذمر التقليدي في المنطقة ولم يغادر المنصور الرقة الا بعد ان قضى على تلك المحاولات التي كانت بزعامة منصور بن جعوّنة حيث أمر الخليفة بقتله قبل ان يتوجه الى مقر عاصمته (٢) .

وفي سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م توجه ابو جعفر المنصور الى بيت المقدس

---

(١) الاخبار الطوال ، ص ٣٨٣ .

(٢) البلاذري ، الانساب (مخطوط لندن) ، ورقة ٦٤٣ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ٢٢٢/٥ يذكر الذهبي انه سنه ١٤٠هـ .

عن طريق الجزيرة ايضا ولم يكتف هذه المرة بالنزول في الموصل فقط بل زار مواضع متعددة في الجزيرة حيث نزل ضيفا على السكان فيها مما يشير الى رغبته في توثيق الصلات معهم كما انه عاد الى الجزيرة بعد زيارة القدس حيث جعل عودته عن طريق الرقة - القاعدة الاسلامية المهمة - التي اقام فيها فترة قبل ان يعود الى بغداد ولعله اختار في الزيارة موضعا يصلح ان يكون مركزا للسيطرة والاشراف وادارة الاقليم . وخلال عامي (١٤٩ - ١٥٠هـ/٧٦٦ - ٧٦٧م) قام المنصور بزيارتين متتاليتين للمنطقة ولاسباب تتعلق بمصلحة الخلافة واستقرار الادارة ففي سنة (١٤٩هـ/٧٦٦م) زار المنصور حديثة الموصل واقام فيها فترة ثم عاد الى مقر عاصمته بغداد دون ان يدخل الموصل (١) ولعل السبب في هذه الزيارة يكمن في زيادة نشاط الخوارج في المنطقة الذين تركزوا على ما يبدو في السن والحديثة وازداد خطرهم الى درجة كبيرة وخاصة في زمن الرشيد وذلك حينما تعرضوا لمهاجمته في زياراته للحديثة وهم جماعة العطاف الخارجي كما سيمر بنا . ولعل المنصور كان راغبا في التعرف عن كثب على نشاط هذه المجموعات من أجل ان يضع الخطط للقضاء عليها ، ولعله اراد ان يشعر السكان والخوارج معا بقوته ومدى سلطة الخلافة وقدرتها

(١) الطبري ، تاريخ ، ٢٨/٨ ، الازدي المصدر السابق ص ٢١١ ، ابن الفقيه الهمداني ، مختصــــر كتـاب البلدان ، مخطوط ، ورقة ٧ أ .

على بسط نفوذها وينفرد الحموي (١) بالاشارة الى الزيارة التي قام بها ابو جعفر سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م) للحديثة والموصل والتي من المرجّح انها استهدفت الغرض نفسه ويبدو ان المنصور قد ألزم بزيارة الجزيرة بشكل متكرر وذلك للاطلاع على ما يستجد وليتعرف عن كثب على مشاكل السكان في المنطقة ففي سنة (١٥١هـ/٧٦٨م) قام المنصور بزيارة الموصل ايضا ويشير الازدي الى عدم رضا المنصور عن تصرفات قاضي الموصل ـ دون ان يذكر السبب ـ الحارث بن الجارود ونقمته عليه مما ادى الى ان يأمر بجلده أسياطا في مدينة السن الى الجنوب من الموصل (٢) وفي سنة (١٥٤هـ/٨٧٠م) قام المنصور بزيارة اخرى للجزيرة فقد قدم الرقة وسأل عن بعض العلماء فيها ومنهم جعفر بن ثوبان (٣) ، ويبدو ان المنصور كان قد زار مدينة حران استدلالا برواية ابن قتيبة حيث روى ان ابا جعفر دعا اسحق بن مسلم العقيلي فقال له : « حدثني عن الملك الذي حدثتني عنه بحرّان فقال : نعم اكرمك الله » (٤) ومن كل ما تقدم يتبين لنا مدى تردد المنصور الكثير للاقاليم ومدنه المختلفة ،

---

(١) التأريخ المنصوري ، ص ٩١

(٢) تاريخ الموصل ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦ (وقد مات الحارث بن الجارود من جراء ضربه بالاسواط حيث دفن بالسن وقبره هناك)

(٣) الحرّاني ، تاريخ الرقة ، ٥٩/٢ ـ ٢٠ .

(٤) ابن قتيبة ، (المنسوب اليه) ، الامامة والسياسة ١٧٨/٢ .

وكان الخليفة المهدي من بين الخلفاء الذين قاموا بزيارة الاقليم ايضا ففي سنة (١٦٣هـ/٧٧٩م) عزم الخليفة المهدي غزو الروم حيث سلك طريق الموصل وكان يتولى قيادة الحملة ابنه هارون الرشيد فخرج معه مشيّعا ومودعا له ومشرفا على أمره وعلى جيشه حتى وصل مدينة الموصل ونزل فيها بقصر جعفر أخيه (١)، وكان الخلفاء يهدفون من زياراتهم للمناطق للتعرف على مشاكلهم حيث انها تحقق مصلحة مشتركة للسلطة والسكان على السواء اذ عن طريق هذه الزيارات يتعرف الخلفاء على مشاكل كل الولاية وعلى سلوك الولاة كما ان هذه الزيارات تهيء للناس فرصة مناسبة لكي يقوموا بعرض مشاكلهم امام الخليفة نفسه، وفي الموصل تظلم النصارى الى الخليفة المهدي بسبب هدم بيعة مارتوما من قبل المسلمين وذلك لان اصحاب البيعة المجاورة للمسجد المعروف - ببني اسباط الصيرفي المقابل لدرب بني اليا الطبيب - كانوا قد ادخلوا في البيعة عدة اشياء من غيرها فعرف المسلمون بالموصل او من وقف على ذلك منهم على حقيقة الامر فنفر الناس عليها فهدموها، ولقد التف النصارى متظلمين الى الخليفة مما زاد احتجاجهم على ذلك، فعالج الخليفة الامر بحكمة حيث احضر النصارى فيمن شهد بهدم بيعتهم وكذلك المسلمين فيمن شهد بما ادخلوه فيها واضافوه اليها مما ليس منها، وخرج الجانبان معه الى بلد فأوجب على النصارى اخراج اربعمائة

---

(١) الازدي، المصدر السابق، ص ٢٤٣

ذواع من بيعثهم بسبب ما أدخلوه فيها من زيادة ثم أمر ببناء المسجد على نفقته الخاصة ، وعرف بمسجد المهدي ثم غلب عليه اسم بني ساباط وذلك لصلاتهم فيه (١) ، فتعرف المهدي على مشاكل الولاية والعمل على حلها قد زاد من اهمية هذه الزيارات اما بالنسبه للنصارى الذين كانوا قد تذمروا من هدم بيعتهم فقد أزيل ذلك التذمر بالنسبة لهم وللمسلمين ايضا ، فهذه المشكلة كانت في الواقع صعبة ودقيقة وذلك بمساسها للشعور الديني للسكان مسلمين وغيرهم فكان حلها يتطلب حكمة وبعد نظر فقد نجح المهدي بذلك دون ان يسيء الى النصارى او يثير شعور المسلمين بل بالعكس فانه كسب ود اهل الموصل وذلك ببنائه للمسجد ، وهذا من باب سياسة العباسيين ومحاولتهم لاسترضاء اهل الموصل .

وبعد ان ترك المهدي اثرا حميدا في نفوس سكانها اتجه الى الجزيرة متفقدا احوالها مطلعا عن كثب على ادارة واليها وهو عمه عبد الصمد بن علي الهاشمي غير ان الاخير لم يحسن التصرف بما يليق بالخليفة حيث انه لما وصل الجزيرة لم يستقبله عبد الصمد ولم يهيء له مكانا للنزول ولم يصلح له القناطر فاستاء المهدي لذلك وغضب عليه وجفاه وبعث اليه عبد الصمد بهدايا واطائف فلم يقبلها المهدي وردها عليه وازداد غضبا وسخطا ثم امر بأخذه وهو غاضب عليه ولم يلتق به ثم نزل حصن مسلمة حين دعاه ، وجرت بينهما

---

(١) الازدي المصدر السابق ، ص ٢٤٤

مناقشه حادة تهجم كل منهما بغضب على صاحبه ثم أمر الخليفة بحبسه وعزله عن الجزيرة وظل مسجونا طوال سفر الخليفة الى ان رجع ورضى عنه (١) ، فزيارة الخليفة للاقليم قد كشفت له حقيقة موقف عمه منه الذي كان كما يبدو معتدا بنفسه وبشخصيته بحيث لم يكترث بزيارة الخليفة للجزيرة غير ان الخليفة كان حازما بعزله ثم سجنه . وبعد ذلك حاول المهدي كسب ود ذوى الميول الاموية وذلك باحسانه الى كبار الشخصيات الاموية الباقية في الجزيرة والتي كانت من انصار الامويين(٢)والتي ينظرون اليها بولاء وتقدير فعندما نزل المهدي بحصن مسلمة حاذى في سيره ذلك قصر مسلمة بن عبدالملك فقال العباس بن محمد بن علي للمهدي « ان لمسلمة في اعناقنا منّة ، كان محمد بن علي مر به فاعطاه اربعة الاف دينار وقال له : اذا نفذت فلا تحتشمنا فاحضر المهدي ولد مسلمة ومواليه وأمر لهم بعشرين الف دينارا وأجرى عليهم الارزاق » (٣) فكان هدفه اضافة الى رد الجميل والوفاء لاولاد مسلمة حيث حاول في ذلك كسب ودّ عامة السكان

---

(١) الطبري ، تاريخ ٧/١٤٧ ـ ١٤٨ ، الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٤٣ ، ابن الاثير الكامل في التاريخ ، ٦/٦٠ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦/٦٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٣ / ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦/ص ٦٠ ، ابن خلدون ، العبر ج ٣/ ص٤٤٦ ـ ٤٤٧ .

وخاصة ذوي الميول الأموية باظهار سياسته الاصلاحية التي كان مخططا لها من خلال تفقده للجزيرة .

وكان الخليفة الهادي من بين الخلفاء الذين قاموا بزيارة المنطقة فقد خرج ايضا سنة ، ١٦٩هـ/٧٨٥م يريد الموصل فلما وصل الحديثة اقام فيها اياما فكان قد أصابه فيها مرض ثم وصل اليه خبر ثورة الحسين بن علي بن الحسن بالمدينة فرجع الى بغداد (١) . ولم تتح للخليفة الهادي بعد ذلك فرصة وذلك بسبب وفاته .

ويحتل عصر الخليفة الرشيد مرحلة جديدة من مراحل العلاقات بين مركز الدولة واقليم الجزيرة وكانت زياراته المتكررة كثيرة بحيث فاق بها من سبقه من الخلفاء او من آلاه ، ففي سنة (١٧٤هـ / ٧٩٠م)اتجه الرشيد الى باقردي وبازبدي شمال الموصل وبنى في الاولى قصرا (٢) ، ويذكر الحموي ان الرشيد خرج في زيارته هذه الى الجودّي فبنى ايضا هناك مسجدا وقصرا (٣) ، وكان الرشيد

---

(١) الازدي ، ص ٢٥٨ (ويشير ابن كثير الى ان المرض اشتد بالهادي بحديثة الموصل وكان في سنة ١٧٠هـ وليس في سنة ١٩٠هـ) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ١٥٨ ابن خلدون ، العبر ٣/ص ٤٥٩ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ٢٣٩/٨ ، فقد قال الشاعر بذلك :

بقردي وبازبدي مصيف ومربـــع

وعذب يحاكي السلسبيلا برودُ

(٣) الحموي ، التاريخ المنصوري ، ص ٩٥ .

يستهدف من زيارته محاولة كسب ود السكان وذلك من خلال قيامه بالاعمال العمرانية والاصلاحية ورعاية مصالحهم . وفي سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٦م) قدم الرشيد الموصل ولما وصل مدينة الحديثة حاول العطاف الخارجي الذى سيأتي ذكرة واصحابه ان يهاجموا عسكر الرشيد ليلا اذ نزل (مرج جهينة) لولا نصيحة الشيوخ والرجال الصالحين من أهل البلد الذين طلبوا منه التخلي عن عزمه وحذروه من نتائج عمله الخطير هذا فسمع نصحهم وخرج في اربعة الاف شخص نحو ارمينية (١) ولما قدم الموصل كان معه القاضي ابو يوسف وكان من جملة المستقبلين فقهاء الموصل موسى بن المهاجر وسعد وعتيق وغيرهم حين سألوه بعض المسائل الفقهية وهو لا يزال راكبا متعبا فاجابهم بعضها مصيبا وأخطأ بعضاً وبعد ان جلس واستراح قال : «هاتوا مسائلكم فأجاب احسن الجواب وأصوبه» (٢) وبعد ان امضوا فترة في المدينة أمر الخليفة الرشيد بهدم سور المدينة بسبب الخوارج الذين خرجوا منها (٣) لان اكثرهم كانوا يبدأون ثورتهم من الموصل وضواحيها اضافة الى شك الخليفة في نواياها اهل الموصل ولم يبال بأمن مدينة الموصل حينما أمر بهدم سورها بسبب كثرة الحركات الخارجية المعارضة التي كانت

---

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ص ٢٨٤ .

(٢) ن . م . ص ٢٨٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ص ٢٦٦ ، ابن الجوزي ، المنتظم ٩/ ورقة ٦٤٥ .

ا تخذ من الموصل واعمالها قاعدة لانطلاقها ، ويبدو ان الخليفة الرشيد كان غير مطمئنا للنوايا الحقيقية للسكان الذين كما يبدو من احداث مجريات المعارضة الخارجية انهم كانوا يؤيدون الثائرين والخارجين على الخلافة اضافة الى وجود ذوي الميول الاموية فيها وان اصحاب أبي يوسف معه هذه المرة يكشف لنا ان الخليفة يحاول التأكيد على الوجهة الدينية للسياسة العباسية اضافة الى محاولته ان يجد له الامام ابو يوسف مخرجا شرعيا لتصرفاته حينما تتأزم الامور امامه خاصة وانه كان يهدف منذ خروجه الى كبح جماح الثوار الخوارج فيها الذين كانوا قد اتخذوا من الموصل قاعدة لحركاتهم المستمرة ضد الخلافة (١) ، كما ان هدم السور كان يهدف الى انذار اهالي الموصل الذين يأوون الخوارج بشكل خاص . وكان تصرف الرشيد معبرا عن سخطه على الثائرين وعدم استكانة الخلافة امام حاولتهم ، حيث كان تصرفه يعتبر عقابا لأهلها .

وفي نفس السنة اتجه الخليفة الرشيد من الموصل الى الرقة فنزل بها واتخذها موطناً ثم اتجه منها بعد ان استخلف ببغداد ابنه محمد الامين (٢) واتجه الى الجهاد لغزو ارض الروم ففتح من مدنهم الصفصاف ثم رجع الى الرقة واقام بها بقية عامه ذلك ، وكان اول الحج حيث اتم حجه ثم رجع من الحج منصرفا على طريق الرقة فاقام بها ثم

(١) راجع الفصل الخاص بالمعارضة الخارجية .

(٢) الطبري تأريخ ٢٦٦/٨ ـ ٢٦٧ .

غادرها متجهاً الى بغداد (١) ، ومكث بها فترة وجيزة ثم اتجه سنة (١٨١هـ/٧٩٧م) الى الرقة (واحدث عند نزوله بها في صدور كتبه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم » (٢) وهذا يبين الاتجاه الديني في السياسة العباسية كما مرّ عند اصطحابه لابي يوسف سنة (١٨٠هـ /٧٩٦م) ومناظرة الفقهاء له في الموصل يكشف لنا سياسة العباسيين الدينية حيث ارادوا بها اظهار حقيقة انفسهم كمدافعين عن الشريعة وملتزمين بها ومحاولتهم عن هذا الطريق اجتذاب السكان الى جانبهم واشاعة روح الالتزام بالشريعة في نفوسهم واحلال ذلك محل الميول الاموية المعارضة لسياستهم .

وفي سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م مر الرشيد بالرقة في طريق عودته من الحج حيث جرت مبايعته بها لابنه عبدالله المأمون بعد ابنه محمد الامين واخذ البيعة له على الجند بذلك فيها (٣) حيث ان الرقه اصبحت اشبه ما تكون بالمركز الاداري للخلافة وذلك لان الخليفة كان قد قضى أغلب وقته في الرقة وليس في بغداد حيث اكد البيعة له واخذ الايمان على بني هاشم ثم اتجه الى الرقة (٤) . وكانت زياراته

---

(١) الدينوري ـ الاخبار الطوال ، ص ٣٩٠ .

(٢) البغدادي ، المحبر ، ص ٣٨ ، الطبري ، المصدر السابق ج ٨ ، ص ٢٦٨ .

(٣) ن . م ص ٢٦٩ .

(٤) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٢١١ ،

مستمرة ما بين بغداد والرقة حيث تشير الأخبار الى انه في سنة ١٨٤هـ قدم الرشيد من الرقة الى بغداد ثم سار من مدينة السلام في سنة ١٨٥هـ/٨٠١م عائدا الى الرقة اذ كان قد استطابها (١) وذلك لطيب مناخها كما يبدو . ويلاحظ ان تكرار زيارات الرشيد لم تكن مقتصرة على الرقة فحسب بل انه قام في سنة ١٨٥هـ / ٨٠١م بزيارة الموصل حيث اقام بها مدة ثم رحل نحو الرقة (٢) . ويبدو ان لزيارته هذه للموصل لها علاقة بما كان يخطط له الخليفة للجهاد ضد الروم حينما اراد ان يطمئن على الوضع في الموصل قبل توجهه الى الجهاد ، ففي سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م غزا الرشيد ارض الروم ومضى الى الرقة وكان قد عقد مع نقفور ملك الروم عهدا ولما وصل الرقة اتجه الى بغداد فعلم بنبأ نقض نقفور امبراطور الروم للعهد فرجع حالاً الى الرقة فنزل السيلحيين(٣) ، اذ انه كان قد استشاط غضبا لما قام به نقفور من نقض للعهد واراد ان ينتقم منه ولذلك فانه لم يمكث في الرقة عند رجوعه من بغداد بل اتجه فوراً الى الجهاد ضد الروم . وفي سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥م ايضا اتجه الرشيد الى بلاد الروم واستخلف بالرقة المأمون وفوض اليه الامور وكتب الى سائر الاقاليم بذلك (٤) . وفي

---

(١) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ص ٢٧٢ .

(٢) الازدي ، المصدر السابق ص ٣٠٠ .

(٣) الطبري المصدر السابق جـ ٨ ، ص ٣٠٨ و ٣١٧ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، م ٣ ص ٤٧٩ .

سنة ۱۹۲ هـ / ۸۰۷م (۱) كان الرشـــيد قد سار من الرقة بعد رجوعه من الصائفة التي بنى فيها طرسوس وكان قد اعتزم ان يقصد خراسان بشأن رافع بن الليث (۲) ، ووصل الرشيد بغداد من الرقة في السفن واستخلف بالرقة ابنه القاسم (۳) ، وضم اليه خزيمة بن خازم ، ثم اتجه الى خراسان حيث توفي فيها (٤) .

من كل ما تقدم يتبين لنا ان اقامة الرشيد بالرقة كانت تهدف عدة امور في وقت واحد منها اختـــيار موقع وسط قريبا من الشـام والحجـاز والعراق ثم اشرافه المباشـر على مشـاكل الجزيرة وقضاؤه عليها حيث قال الرشـيد مبررا كثرة زياراته واقامته في الرقة : « ... ولكـني اريـد المنـــاخ على ناحية اهل الشقاق والنفاق والبغض لائمة الهدى والحب لشجرة اللعنة - بني امية - مع ما فيها من المارقة والمتلصصة ومخيفي السبيل ولولا ذلك ما فارقت بغداد ما حييت ولا خرجت عنها ابدا » (٥) فالنص السابق يكشف ان وجهه نظر الخلافة في المعارضة الاموية كانت واضحة

---

(۱) الطبري المصدر السابق ، ج ۸ ص ۳۲۸ .

(۲) ابن خلدون ، العبر م ۳ ص ٤٨٨ حيث يشير الى انه كان في سنة ۱۹۳ هـ ولكن نحن نؤيد قول الطبري وهو سنة ۱۹۲ هـ .

(۳) الطبري ، المصدر السابق ، ج ۸ ص ۳۲۸.

(٤) ابن خلدون المصدر السابق م ۳ ص ٤٨٨ .

(٥) الطبري ، ج۸ ، ص۳۱۷ .

حيث انها كانت تعترف بوجودها وما تمثله من خطر في هذا الوجود اضافة الى انها كانت سبيلا لفقدان الامن لما نص عليه وجود المارقة والمتلصصة فيها ومخيفي السبيل . فهذه تبريرات اعتذارية يقدمها الرشيد لاقامته في الرقة ، اضافة الى ذلك اشرافه المباشر على امور الحرب مع البيزنطيين حيث كان في كل غزوة ينطلق من الرقة ثم يعود اليها ثم يستعد لحملة ثانية وهكذا ، حيث كان قد اتخذ منها قاعدة عسكرية لردع المعتدين البيزنطيين خاصة وانه كان قد اشتهر بجهاده للبيزنطيين حيث وضع حدا لهجماتهم المتكررة على حرمة الدولة الاسلاميه ، حيث كان للخليفة الرشـــيد الفضل الاول في تحصين العواصم والثغور من اجل حماية حدود الدولة الاسلامية الشمالية (١)،

وكان الخليفة المأمون قد قدم في سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م بزيارة شملت مدنا عديـدة من مدن الجزيرة اذ زار تكريت والموصـل ونصيبين وحران والرها ومنبج ودابق وانطاكية وطرسوس حيث قـام من هناك بغزو بلاد الروم على ما يذكر طيفور (٢) حيث كان الخليفة المأمون في تفقده لمدن الجزيرة يهدف الى تفقد احوالها اضافة الى ان مرور موكب الخليفة وهو يسير بأبهة وعظمة في اراضي الجزيرة كان

---

(١) د علي حسني الخربوطلي ، الاسلام في حوض البحر المتوسـط (بيروت ، ١٩٧٠) ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٢) طيفور ، تاريخ بغداد ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ . راجع فازاليف ، العرب والروم ، ص ٢٥٢ .

يعمق هيبة الخلافة في نفوس سكانها كما كان يعد كسرا لمعنوية المعارضة الذين يتحينون الفرص للقيام بحركات مضادة للدولة ولذلك فان زيارة الخلفاء كانت متعمدة للاقليم الكبير جماح المعارضة وكسب ولاء السكان للخلافة من خلال التعرف على مشاكلهم وتحقيق مصالحهم .

وفي سنة ٢١٦هـ/٨٣١م اتجه المأمون الى مدينة كيسوم وهي بالقرب من حدود الجزيرة الغربية فاقام بها يومين او ثلاثة (١) . وكان الخليفة المأمون معجبا بالرقة كاعجاب ابيه حيث قال عنها : « ... وعين الجزيرة الرقة » (٢) . وفي سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م اتجه المأمون من سلغوس الى الرقة وامر بتفريغ الرافقة لينزلها حشمه فضج من ذلك اهلها فاعفاهم (٣) . وبذلك فقد استطاع الخلفاء العباسيون الاوائل ان يحققوا من خلال زياراتهم للمنطقة الكثير مما كانوا يهدفون اليه من الخطط المعدة لمواجهة التيارات الاموية والخارجية المتأصلة في نفوس السكان حيث تمكنوا من ان يضعفوا معنويات المعارضين لهم في الاقليم من خلال سلوكهم لطرق الجزيرة في ذهابهم الى الجهاد او حتى ذهابهم الى الحج او بيت المقدس ، ورغم ذلك فان الحركات المعارضة كانت تثور حينا وتخمد حينا آخر غير انها لم تحقق اي

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ٦٢٥/٨ .
(٢) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١٩١ .
(٣) الطبري ، تاريخ ، ٦٣١/٨ .

هدف من اهدافها وبذلك تمكنوا من ان يخلقوا الامن والاستقرار في الاقليم بفضل زياراتهم المتكررة والتي اتاحت لهم فرصة التعرف على المشاكل التي كان يعاني منها السكان وعملوا على حلها كما قام قسم منهم بالعديد من الاصلاحات في عدة مدن وهي ذات هدف مقصود لكسب ود الرعية اضافة الى ذلك انهم كانوا يحاسبون مسؤولي الادارة ضد تقصيرهم في اعمالهم كما حدث لقاضي الموصل حارث بن الجارود ووالي الجزيرة عبد الصمد بن علي ، واهم شيء حققه الخلفاء من خلال زياراتهم خاصة الرشيد انه استطاع ان يتخذ من مدينة الرقة قاعدة عسكرية للجهاد الاسلامي ضد البيزنطيين وكان مما سهل عملية زيارة الخلفاء وتنقلهم في الجزيرة وجود الطريقين المائي والبري حيث كان يسلكونها في ترحالهم . والواقع ان الجزيرة شهدت زيارة الخلفاء لها بشكل قد فاق اي اقليم آخر من اقاليم الدولة وان سياستهم هذه جعلت بعض الخلفاء العباسيين خاصة محمد الامين يتطلع الى الذهاب اليها لما اضطرب امره وحوصر من قبل اعدائه ، حيث دخل عليه الصعاليك من اصحابه ــ وهم فتيان الابناء والجند ــ فقالوا له : « يا امير المؤمنين ، ليس معك من ينصحك ، نحن سبعة الاف رجل مقاتل وفي اصطبلك سبعة الاف فرس ، يحمل كل فاعل فرس وتفتح بعض ابواب المدينه ، وتخرج في هذه الليلة ، فما يقدم علينا احد الى ان نصير الى بلدة الجزيرة وديار ربيعة فنجبي الاموال ونجمع الرجال ونتوسط الشام ، وندخل مصر ، ويكثر الجيوش والمال وتعود الدولة مقبلة جديدة فقال : هذا والله الرأي فعزم على ذلك ، وهمّ به وجنح اليه فخرج الخبر الى طاهر من وقته فخاف طاهر وعلم انه الرأي ان

فعله » (١) ولكن هذا الاجراء فشل . وقد قام الخليفة المأمون بزيارة الجزيرة وهو في طريقه للجهاد ، حيث مر بعدد من مدنها وخاصة مدينة حران التي كان يتواجد بها الحرنانية ، والذين حذرهم المأمون بين ان يختاروا الاسلام او اي طائفة دينية اخرى او يقتلهم فانتحلوا اسم الصابئة (٢) . وهكذا كانت زيارات الخلفاء المتكررة الجزيرة الفراتية قد اسهمت بشكل فعال وجدي في حفظ الامن والنظام فيها من خلال اطلاع الخلفاء بانفسهم على مشاكل الولاة والرعية والعمل على وضع الحلول المناسبة لها . ولذا فان تلك الزيارات ساعدت على ترسيخ سلطة الخلافة ونفوذها في الاقليم وذلك عن طريق حل مشاكل الولاة والرعية والمساهمة في قمع الاضطرابات في اي من مناطقها وفرض الامن والاستقرار في ربوعها .

القلاع والحصون في الجزيرة الفراتية :

تمثل الجزيرة الفراتية موقعا ستراتيجياً بين الشرق والغرب في العالم القديم ثم حلقة وصل بين شرق العالم وغربه واقعة بين اكبر قوتين ضاربتين هما القوة البيزنطية غرباً والساسانية شرقا ، ونظرا لهذا الموقع الستراتيجي وخلو المنطقة من التضاريس الطبيعية المعقدة بحيث يمكن تنقل القطعات العسكرية بطلاقة في ارضها ووجود

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ٤١٩/٣

(٢) ابن النديم ، الفهرست ص ٣٢٠

النهرين دجلة والفرات المحاذين لها اللذين يزيدان من الاهمية الستراتيجية للاقليم حيث يحدانها ، شرقا وغربا والى حد ما من الشمال ولهذا نجد انها كانت تشكل ناحية أمنية ستراتيجية ضد قوى الصراع الرئيسية في العالم حيث كانت منطقة ستراتيجية هامه للخطوط الدفاعية القصوى بالنسبة للامبراطورية الرومية (١) والذي يمتلك الجزيرة يستطيع ان يهدد كبدوكيا وكليكيا (*) وغيرها من البلاد البيزنطية وكذلك سوريا والعراق (٢) فهي عموما تعتبر موقعا هاما لا بد ان يدور حوله الصراع المستمر بين الامبراطوريتين الكبيرتين ولذلك اهتم جستنيان بحصون أرضروم وكينكاريزون ، ومارتيروبوليس وآمد ودارا التي تدعى حصن الامبراطورية الرومانية (٣) ونظرا لاهمية هذا الاقليم فان زوال الامبراطورية الساسانية نتيجة الفتح الاسلامي ودخول اجزاء من الحدود البيزنطية ضمن الدولة الاسلامية المحاددة للاقليم قد زاد اهميته في العصر الاسلامي اذ اصبحت له اهمية كبرى حيث جاوزت اهميتها السابقة وانها تعتبر الجهاد الاسلامي ضد البيزنطيين عبر الثغور الجزرية اضافة الى محاولة البيزنطيين استعادة

---

(١) محمود شيت خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ص ٤٤ .
(٢) السيد ، ارمينية في التاريخ العربي (حلب ، ١٩٧٢) ص ٥٣ .
(٣) فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ٨٧/١ .
(*) تشمل هاتان المنطقتان الاجزاء الجنوبية الشرقية من حدود الدولة البيزنطية .

بعض المناطق الجزرية التي فقدتها أبان الفتح الاسلامي ، فالجزيرة بموقعها العسكري تعتبر منطقة ستراتيجية لكلا الجانبين الاســلامي والبيزنطي فتاريخ صراعهما خلال العصرين الاموي والعباسي يوضح اهمية الجزيرة التي كانت تلعب دورا هامـا خـلاله فكانت الحملات الاسلاميه في العصر العباسي ضد مناطق الحدود البيزنطية تتجمع في الجزيرة اضافة الى استخدام قوى بشرية من سكان الجزيرة واستنكارهم لهذا الغرض في حالة وقوع الحرب او الاحساس بالخطر الناجم عند تحرك او استعداد القوى المعادية .

لقد ادرك المسؤولون في الدولة الاسلامية أهمية موقع الجزيرة وانتهجوا سياسة باقامة حاجز او خط من التحصينات القوية على طول الحدود الشـــمالية الغربية للجزيرة وهو ما عناه المؤرخون بمنطقة الثغور الجزرية (*) . فقد كانت هذه الثغور مناطق حصينة وقواعد

(*) ومن ثغور الجزيرة شمشاط ، وحصن كمخ ، وملطية ومرعـش والحدث ، وحصن منصور ، والمصيصة وطرسوس وعين زربة ، وزبطره ، راجع قدامه ، كتاب الخراج ، مخطوط ص ١٢٩ أ ـ ١٣٥ ب) . لقد اهتمت الدولة الاسلامية منذ فترة مبـكرة بامر منطقة الثغور الجزرية فلما استخلف الخليفة عثمان (رض) كتب بولاية معاوية على الشام وولي عمير بن ســـعد الانصاري الجزيرة ثم عزله وجمع لمعـاوية الشام والجزيرة وثغورهـا وامر بغزو شمشاط ففتحها ثم حصـن كمخ ، وفتحه سنة ٥٩هـ =

عسكرية بحتة وذلك للاهمية الكبيرة لاقليم الجزيرة .

ان طبيعة الصراع بين القوى الكبرى المؤثرة في العالم الوسيط تبينت في المحاولات المستمرة والمتكررة من قبل الدولتين الكبيرتين المتواجدتين لاضعاف الخصم عن طريق الجزيرة التي كانت ساحة للصراع خلال فترات الهجوم البيزنطي المتكرر حينا او مركزا من مراكز القوة المتجمعة لرد العدوان البيزنطي حينا آخر ، ويبدو ان البيزنطيين قد ركزوا في هجومهم على المناطق الشمالية الوسطى من الجزيرة وبالاخص منطقة الرها لصبغ نزاعهم مع الدولة الاسلامية بالصبغة الدينية فقد كان معروفا عن الرها ان فيها منديل السيد المسيح عليه السلام (١) .

ولهذا فانهم قد اظهروا اصرارا على محاولة احتلالها واذا كانت تبعية الاقليم العسكرية في وضع قلق خلال فترة الصراع الروماني -

---

= فتحه عمير بن الحباب ثم فتحت ملطية التي فتحها حبيب بن مسلمه الفهري الذي وجهه عياض بن غنم ، ثم فتحت مرعش ثم الحدث ثم حصن منصور وكانت هذه المناطق قد انتفضت عدة مرات بعد فتحها من قبل المسلمين الى ان استقرت اوضاعها فيما بعد في العصر العباسي الاول (راجع البلاذري ، فتوح البلدان ، ١٨٧ - ١٩٧)

(١) راجع الفصل الاول ، « مدن الجزيرة واعمالها » وذلك عن مدينة الرها

الساساني في الماضي فان ذلك الحال لم يقدر له الاستمرار خلال العهد الاسلامي حيث اصبح هذا الاقليم بهكل نهائي بايدي بالمسلمين، باستثناء بعض المناطق الشمالية خاصة في منطقة الثغور الجزرية التي كانت تجري مداولات السيطرة عليها بين المسلمين والبيزنطيين حيثما كانت الغلبة والقوة متواجدتين . ومن آثار الصراع الطويل والمستمر منذ فترة ما قبل الاسلام وخلال فترة الفتح الاسلامي وتهيئة المنطقة للدوله الاسلامية انما احساس تزايد بين السكان والقائمين بالسلطة على حد سواء بضرورة اقامة قلاع وحصون في كثير من مناطق الجزيرة وانها تبنى على مناطق مرتفعة تتمتع بالتحصين واستمرت التحصينات التي خلفتها آثار الحرب البيزنطية الساسانية وزادت اهميتها في العصر الاسلامي وعبأت بالمقاتلة واضافة الى الخطر البيزنطي الماثل فقد كان هناك خطر الخزر الذين كانوا كثيرا ما يهاجمون مناطق الجزيرة حتى انهم كانوا في بعض الاحيان يتوغلون الى الموصل (١) اضافه الى ذلك نجد ان حركات المعارضة للدولة وخاصة الخوارج والاضطرابات القبلية التي حصلت في منطقة الجزيرة طوال القرن الثاني الهجري تقريبا وبدايه الثالث تعتبر من الاخطار الداخليه فيها

(١) قوم من الترك يسكنون مناطق اقليم الجبال واذربيجان وارمينية، وكانوا يغيرون على المناطق الشماليه والشرقيه للجزيرة خاصة الموصل ، راجع الازدي تأريخ الموصل ١٧ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ .

والتي تستوجب على السلطة ايجاد مواقع عسكرية حصينة للقضاء عليها في حينها اضافة الى ما كان يقوم به اللصوص وقطاع الطرق في مواجهة المدن . ومع ان التحصينات كانت قد اتخذت منذ الازمنة الاولى لاغراض تتعلق بالحماية المطلوبة ازاء الاخطار الخارجية المحتملة او المتوقعة فان في اضطراب الاوضاع الداخلية من قيام حركات الخوارج (١) الى ظهور بعض العصابات من قطاع الطرق كافساد الاكراد في الموصل وانتشارهم بها سنة (١٤٨هـ/٧٦٥م) (٢) وان بني وديعة وشيبان وبني مرّة كانوا قد قطعوا الطريق (في طريق خراسان) فاخذوا اموال السلطان وذلك في ولاية السيد في الموصل (٣) ، وكذلك قطع بنو مالك الطريق على قوم من نصارى الموصل يقال لهم بنو حرنوسا وذلك في عهد السيد (٤) ، وقتلت بنو تغلب والي الموصل روح أبن صالح الهمداني سنة (١٧١هـ/٧٨٧م) (٥) وكذلك مقتل السيد والي الموصل خلال الصراع القبلي فيها (٦) وان هذه النماذج التي

---

(١) راجع نفس الفصل سلطة الولاة السياسيه والادارية « كما سيمر بنا »

(٢) الازدي المصدر السابق ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩

(٣) ن . م ، ص ٢٦٤ .

(٤) ن . م . ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

(٥) ن . م . ، ص ٣٦٨ .

(٦) ن . م ، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .

ذُكرت تشير الى الفوضى الادارية الداخلية اضافة الى الاخطار الخارجية وهذا ما يبرر التأكد على استمرار اهميتها حتى في اوقات عقد الصلح مع البيزنطيين او ضعفها او بعد المضافات الشاسعة التي تفصل الحدود الاسلامية والحصون موضوعة البحث . وربما استفاد سكان بعض المناطق من المنعة والحماية التي هيأتها لهم حصونهم فاستغلوا ذلك من اجل الضغط ـ في فترة محدودة ـ على السلطة المركزية او الاقليمية من اجل ضمان حق او التخفيف من واجب او وظيفه في الضرائب كما حصل مثلا من قبل اهالي مدينة الموصل زمن الرشيد حيث كانت النتيجة ان امر الرشيد بهدم اسوار مدينتهم .

ويمكن اعتبار حال الازدهار المادي والتجاري من العوامل المشجعة على اقامة التحصينات والاسوار فقد افادت منطقة الجزيرة من الموقع الممتاز الذي تمتعت به بين الشرق والغرب الذي كان ممرا للطريق التجاري الرئيسي عبر الجزيرة ، وخلال العصر العباسي كانت ادارة الاقاليم تبذل جهدا كبيرا من اجل استمرار مكانة واهمية هذا الطريق عن طريق تسيير حماية عسكرية ترافق القوافل التجارية مع تركيز الرقابه عليها (١) .

ولقد ادرك العباسيون خطورة واهمية اقليم الجزيرة كما احسّوا بالخطر الذي يجابهون به في المنطقة اذ لم يكن السكان ممن يعتمد على ولائهم حيث كانت غالبية ميول السكان اما خارجية واما

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ٢٦٦/٨ .

اموية (١) . ولذلك فانهم عملوا على اتخاذ اجراءات محددة لضمان أمن المنطقة وولائها من جهة ومن اجل حمايتها من جهة اخرى ولكي تعتبر وسائل تستطيع الدولة من خلاله فرض نفوذها الاداري على الاقاليم ، ونشر الاستقرار الاداري فيه ، وقد تمثلت هذه الاجراءات في اتجاهين اولهما التوسع في اقامة التحصينات العسكرية والمعسكرات في المواضع المهمة من الناحيتين الامنية والستراتيجية وكذلك انشاء معسكرات رئيسية متقدمة بازاء الحدود المعادية كالرافقة مثلا التي بناها المنصور ، واما الاجراء الثاني فهو انشاء قلاع ومعسكرات او حصون داخلية في المدن الرئيسية من الجزيرة كما حصل في الموصل وبلد وحران وقنسرين وغيرها كما سنرى بعد قليل . ويمكننا ادراك اهمية الاسوار في حماية سكانها من ان المدن عديمة الاسوار يمكن ان تجتاح بسهولة من قبل القوات المعادية لها بعكس المدن الحصينة التي توفر لسكانها الامن والاستقرار والحماية من الخطر الخارجي ، فنجد مثلا ان الموصل قد منعت مروان بن محمد من الدخول اليها بفضل اسوارها فاضطر للتوجه الى مناطق اخرى بعد هزيمته بالزاب (٢). في حين استسلمت المناطق عديمة الاسوار بسرعة ونجد ان مختلف انواع التحصينات العسكرية من القلاع والحصون والاسوار والخنادق قد اتخذت في مواضع مختلفة وذلك لمجابهة مختلف الاخطار

---

(١) راجع ، حركات المعارضة الاموية والخارجية .

(٢) راجع الفصل الثالث

التي ذكرت وان أهم هذه الحصينات هو الخط الشمالي الذي يبتدأ من تل فافان شرقا وينتهي الى حصن منصور غربا ويمر بعدة مدن متقاربة من تل فافان وحصن كيفا وارزن شمالا وميافارقين وسميساط وآمد ثم يعرج شمالا الى حصن منصور ، فحصن كيفا ذات قلعة حصينة منيعة (١) قال عنها الاصطخري « بانها ذات شعب مدفوعة بين الجبال سوى جانبها المشرف على دجلة من الجانب الغربي عن دجلة وفيها شعاب واودية لا يقدر عليها » (٢) وقد وصفها الانصاري بانها من اعجب حصون الدنيا (٣) والى الشمال منها قليلا توجد قلعة ارزن الحصينة الكبيرة (٤) والى الغرب ميافارقين التي يحيط بها سور من الحجارة وخندق عميق (٥) ، وسورها من الحجر الابيض وعلى بعد خمسين ذراع من هذا السور برج عظيم من الحجر نفسه (٦) واشتهرت مدينة آمد بسورها العظيم الذي اتفق بذكره الجغرافيون العرب ، وروى ان سورها من حجارة معمول من حجارة الارحية

---

(١) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٧٦.

(٢) الاصطخري ، الاقاليم ، ص ٤٢ ، ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٢ .

(٣) الانصاري ، نخبة الدهر ، ص ١٩٢ .

(٤) الاصطخري ، مسالك ، ص ٧٦ ، الاقاليم ص ٤٣ .

(٥) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٢ ،

(٦) رحلة ناصر خسرو ، ص ٤١ .

ويسمى ذلك السور ميمونا لشدة سواده وذلك انه « من حجارة ارض الجزيرة وليس لحجارته في جميع الارض نظير ومنها ما يساوي الحجر للطحن به بالعراق من خمسين دينارا الى اكثر او اقل » (١) وقد اشاد بذكره ابو الفداء بقوله : « حصن عظيم وسور من الحجارة التي لا يعمل فيه الحديد ولا تضره النار » (٢) حيث ان سورها في غاية الحصانة (٣) ، وقد اسهب ناصر خسرو بوصفه الذي يرى ان كل حجر من سوره يزن مائة الف مَنّ ، واكثر هذه الحجارة ملتصق ببعضه البعض من غير طين او جص ، وارتفاعه عشرون ذراعا وعرضه عشـــرة اذرع . وعلى بعد كل ١٠٠ ذراع برج وشيدت في عدة اماكن داخل المدينة سلالم من الحجر ليتيسر الصعود الى السور وبنيت قلعة على قمة كل برج ، وللمدينة اربعة ابواب كلها حديد ، وخارج هذا السور سورا آخر من نفس الحجر ارتفاعه عشرة اذرع ولهذا السور الخارجي ابواب من الحديد شيدت مخالفة لابواب السور الداخلي ... الخ (٤) وكذلك حصن ماردين الذي قال عنه ابن حوقل : بأنه منيع لا يرام ولا يقدر عليه مبني قلة جبل شاهق في الهواء لاتدانيه قلة جبل البتة » (٥) واشار ابن سعيد المغربي الى حصانتها

---

(١) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠١

(٢) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٨٧ .

(٣) الاصطخري ، الاقاليم ، ص ٤١ .

(٤) رحلة ناصر خسرو ، ص ٤٢ ـ ٤٣ ،

(٥) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

ومناعتها فقال بأن « قلعتها لا ترام » (١) ويصفها القزويني « بأنه ليس على وجه الارض قلعة احسن منها لا أحكم ولا أعظم » (٢) وقال عنها ابن الاثير « انها حصن من بلاد الجزيرة » (٣) ووصف ابن جبير قلعتها بعد ان طاف في ارجائها بانها « من قلاع الدنيا الشهيرة » (٤) والواقع ان قلعة ماردين هي من القلاع الوحيدة التي اشاد بذكرها الجغرافيون العرب وهذا الخط هو من اهم الخطوط الشمالية الدفاعية عن اقليم الجزيرة .

اما خط التحصينات الشرقية (حصون دجلة) فتبدأ من تل فافان أردمشت الى العقر ، العمادية ، الموصل ، هرور ، السن ، تكريت ، فيمكن القول بان نهر دجلة يشكل حاجزا طبيعيا لتوفير نوع من الحماية للمناطق الوسطى لاقليم الجزيرة والتي تقع الى الغرب من الوادي ـ وكذلك الحال مع الفرات الذي يوفر كذلك نوعا من الحماية لما يلي ضفافه الشرقية ـ اما المناطق الواقعة خارج هذا النطاق فانها غالبا ماتكون معرضة لاخطار خارجية . ولو تتبعنا خط هذا النطاق التحصينات الشرقية لوجدنا انه يسير مع دجلة ابتداء من تل فافان منحدرا باتجاه جنوبي من جزيرة ابن عمر التي عليها سور

---

(١) ابن سعيد المغربي ، بسط الارض في الطول والعرض ، ص ٩٠ .

(٢) القزويني ، اثار البلاد ، ص ٢٥٩ .

(٣) ابن الاثير ، اللباب في تهذيب الانساب ، ٣/ص ١٤٤ .

(٤) ابن جبير ، رحلة ، ص ١٨٥ .

كبير (١) وقربها قلعة اردمشت الحصينة (٢) ثم الى الموصل جنوباً حيث كانت الموصل ذات سور عظيم محكم البناء ثم هدم زمن الرشيد (٣) . واشتهرت منطقة الموصل بعدد من القلاع في المدن القريبة منها والتي تعتبر من اعمالها ، فالعقر شرقي الموصل يصفها ياقوت بانها قلعة حصينة (٤) ، كذلك يقول عند حديثه عن العمادية ويضيف بانها « مكينة عظيمة » (٥) ، وعند حديثه عن هرور يقول بانه حصن منيع من اعمال الموصل (٦) وكذلك يشير الى قلعة العمرانية الواقعة الى الشرق من مدينة الموصل (٧) ، ويتجه الخط جنوبا الى السن التي عليها سور قد خرّب اكثره ، (٨) وتعتبر تكريت آخر مدن الجزيرة وحدّها الجنوبي وهي مدينة ذات قلعة حصينة (٩) .

---

(١) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٢ .

(٢) الحموي ، معجم ، ١٩٩/١ .

(٣) راجع ، حركة العطاف الخارجي بالموصل (في فصل المعارضة الخارجية) .

(٤) الحموي ، معجم ٦٩٦/٣ .

(٥) ن . م ، ٧١٧/٣ .

(٦) ن . م ، ٩٧٠/٤ .

(٧) ن . م ، ٧٢٣/٣ .

(٨) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

(٩) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٧٧ .

اما بالنسبة لحصون الفرات (الخط الغربي) فتشمل على عدة مناطق كسروج ومنبج وبالس والرقة والرافقة والرحبة وعنه وحديثة وهيت ، يبتدأ الخط من سروج وهي مدينة حصينة (١) ثم جسر منبج التي تقع على الضفة الغربية للفرات ، ووصفها المقدسي بانها من مدن الروم العتيقة ولهم فيها من البناء آثار تدل على عظم اعتنائهم بها ولها قلعة حصينة (٢) ويتجه الخط الى بالس ومنها الى الرقة على الضفة الشرقية للفرات وكان عليها سور وحصن ضخم جدا ، ووصفه المقدسي بقوله « وللرقة حصن عريض يسير على متنه فارسان »(٣) يتبين لنا مناعة حصن الرقة وضخامته حيث اتخذت بعد الفتح الاسلامي قاعدة عسكرية للحرب ضد الروم البيزنطيين وخاصة في عصر الخليفة الرشيد الذي أرعب الروم بحملاته منها ، وقريبا من الرقة توجد مدينة الرافقة وهي قاعدة عسكرية منذ بداية تأسيسها قال الازدي « فارسل ابو جعفر معاوية بن صالح ومعاذ بن مسلم فخطا موضع السور برماد وصيّر موضع كل برج علما » (٤) ويتبين لنا ان المدينه منذ بدايه تصميمها قد اتخذت كقاعدة عسكريه في هذه المنطقة الستراتيجية على الطريق المؤدي الى الشام والثغور ، ويرى

---

(١) الاصطخري ، الاقاليم ، ص ٤٤ .

(٢) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤١ .

(٣) ن . م . ، ص ١٤١ .

(٤) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

الدكتور فاروق عمر في كتابه العباسيون الاوائل عند حديثه عن المدن التي اقامها العباسيون في عدة مناطق ومنها الجزيرة بانهم انشأوها كمدن عسكرية جديدة في مواقع ستراتيجية كمدينة الرافقة التي بنيت على الطريق بين العراق وسوريا (١) وكانت رحبة مالك بن طوق محاطة بسور (٢) وان فيها « حصن وربض » (٣) وتتمتع عنه الحديثة بسور منيع وخاصة سور الحديثة (٤) ، ويحيط بمدينة هيت حصن منيع (٥) .

واضافة الى ما مرّ ذكره من التحصينات توجد بعض المدن الحصينة داخل الجزيرة سنستعرضها في الفقرة التالية مع مراعاة التسلسل الجغرافي لمواضعها ابتداء من الشمال ونزولا باتجاه الحدود الجنوبية للجزيرة ، وتشتمل الحصون الوسطى على نصيبين ، رأس العين ، حرّان تل عفر ، سنجار ، عرابان ثم حصن مسلمة .

تتمتع نصيبين بحصن منيع من الحجارة والكلس (٦) وتعتبر قلعة

---

(١) فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، ٧٦/١ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الارض ص ٢٠٤ (وروي ان عليها سور تراب ، مخطوط النويري ، ص ١٧٧ أ)

(٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٠ .

(٤) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٧٧ .

(٥) ن . م . ص ٧٧ .

(٦) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

الهتاخ من ديار بكر من القلاع الحصينة والمنيعة وكانت بعض الاسوار هي خطوط دفاعية ثانية احدهما شمالي يلي الخط الاول والاخر دفاعي، والثاني وسطي لاغراض أمنية ، وتتميز هذه بسعتها وعظمتها كما في رأس العين التي يحيط بها سور من الحجارة ، وكان داخل السور لهم من المزارع والطواحين والبساتين ما كان يقوتهم ، الامر الذي يكشف لنا مدى سعة وعظمة هذا السور (١) ، اما بالنسبة لمدينة حرّان فكانت ذات حصن من الحجارة الضخمة بني على احسن بناء (٢) . فنلاحظ ايضا ان في داخلية الاقسام الشمالية للاقليم توجد تحصينات عظيمة تكشف لنا مدى اهتمام السلطة العباسية بمجابهة الخطر البيزنطي ومواجهة احتمالاته . ومدينة تل عفر ذات قلعة مشهورة تقع بين سنجار والموصل (٣) ، ويعتبر حصن تلعفر من الحصون القديمة التي تعود الى العهد الاشوري (٤) ، ووصف ابن حوقل سعة مدينة سنجار بقوله : « انها ذات سور من حجر يمنع عن اهلها تظافرهم » (٥) اى صعوبة الانتصار عليهم وتردد ذكر حصن سـنجار في اوقات

---

(١) ابي الفداء تقويم البلدان ، ص ٢٨١ .
(٢) المقدسى ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .
(٣) الحموي ، المشترك وضعا والمفترق صقعاً ٢٨١ .
(٤) ابراهيم شريف ، الموقع الجغرافي للعراق ، ٧٥/١
(٥) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٩٩ .

الصراع بين الفرس والروم (١) ، ويحيط بمدينة عرابان سور منيع (٢) ، وأن حصن مسلمة بن عبدالملك الذي انشأه في الجزيرة يدل من تسميته على انه كان حصنا عسكرياً مهماً .

فبالنسبة للمناطق الداخلية نلاحظ تركز الحصون في الاقسام الشمالية ايضا بشكل خط دفاعي ثان يسير بموازاة الخط الدفاعي الاول ولكن يقع الى جنوبه قليلا وبالنسبة للمناطق الوسطى فشرقيها تتركز حصون تل عفر وسنجار حيث تشكل حصونا امنية في الداخل كما انها تشكل موانع حماية للسكان من الاخطار الخارجية المتمثلة في مهاجمة بعض العناصر الاخرى كالخزر والارمن والاكراد الذين كانوا يستغلون اضطراب الوضع في الدولة الاسلامية فيهاجمون تلك المناطق بالذات .

ومن كل ما تقدم نجد انه كان يحيط بالجزيرة العديد من التحصينات العسكرية التي تضمن الدفاع عن الدولة الاسلامية من جهة كما توفر الحماية للمناطق الداخلية من الاقليم ، ويكاد يكون مؤكدا لهذه التحصينات العسكرية ان تواجه الخطر الخارجي وهذا ما يبرر كثرة وتنوع التحصينات على الاطراف الشمالية والشرقية والغربية للجزيرة وانعدامها في الاقسام الجنوبية منها والذي يعكس هدف انشاء واقامة هذه التحصينات التي استمرت تؤدي هدفها موحدا للدفاع عن المنطقة وظهيرها ازاء الاخطار الموجهة من الشمال والشرق

---

(١) ابراهيم شريف ، المصدر السابق ، ١٧٥/١

(٢) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

وقليلا من الغرب في حين ان انعدام ذلك في الجنوب يعود الى عدم وجود اي خطر خارجي .

ان استمرار تبني سياسة اقامة التحصينات وفق نفس الخطوط القديمة يعكس اتجاها استراتيجيا واضحا يستهدف حماية الدولة وضد الاخطار الداخلية والخارجية وتوطيد الامن والاستقرار الداخلي للاقليم .

ثانيا : ادارة الاقليم :

سلطة الوالي السياسية والادارية بالموصل والجزيرة ١٢٧هـ/٧٤٤م - ٢١٨هـ/٨٣٣م :

كان ولاة الموصل والجزيرة يتمتعون بسلطات واسعة ، وخاصة الوالي الذي كان نفوذه يمتد ليشمل مدن الجزيرة كافة ، وان العمال فى المدن الاخرى يكونون خاضعين له ، على ان المصادر لم تزودنا بمعلومات عن ولاة مدن الجزيرة فيما اذا كانوا متواجدين بل تكتفي بالاشاره فقط الى ولاة الجزيرة ، باستثناء الموصل التي كانت ولاية بذاتها ولعل السبب في اهتمام الخلافة العباسية بتعيين ولاة الموصل بشكل متواصل هو كونها كانت بؤرة لحركات المعارضة للعباسيين - وخاصة الخوارج - اضافة الى اضطراب القبائل فيها . ولهذا

فقد زودتنا مصادر التأريخ العام بمعلومات عن الموصل بشكل خاص والجزيرة عامة ، ونحن مدينون للازدي من « مصادر التاريخ المحلي» بتزويدنا بالمعلومات الواسعة فيما يتعلق بولاة الموصل خاصة والجزيرة عامة اما بقية المدن فيبدو ان الخلافة العباسية كانت تعين ولاة وعمالاً عليها يخضعون عادة لسلطة والي الجزيرة الذي كان يشرف على مدن الاقليم عامة . وان الخلافة كانت مهتمة بامر الموصل لعدم استقرار اوضاعها ولهذا كانت تهتم بامر ادارتها وحسن انتقاء ولاتها .

اما عن اختصاصات الولاة فيبدو ان والي الجزيرة كان يشرف على الاقليم عامة ويعين العمال الذين يقومون بجبا ية موارد الاقليم المتنوعه ، اما في الموصل فان اختصاص الوالي كان يشمل الصلاة واحيانا الخراج والمعونه كما ان صاحب الرابطة يخضع لتوجيهات واشراف الوالي - قال الازدي « وكان رسم الموصل ان يكون الوالي مفردا بالصلاة والمعونة والخراج - ان ضمّ اليه - وصاحب الرابطة متبتلا - اى منقطعا - لحرب الخوارج ويد الوالي فيما قيل عليه » (١) وكان منصب الخراج يسند احيانا الى القضاة كما حدث سنه ١٤٧هـ /٧٦٤م حينما اسند خراجها وقضاؤها الى الحارث بن الجارود العكي (٢) كما ان ولاة الجزيرة احيانا يتولون الخراج كما حدث

---

(١) تاريخ الموصل ، ص ١٩٥ .

(٢) ن . م . ص ٢٠٢ .

سنة ١٥٥ هـ (١) و١٦٩ هـ . (٢)

وسنستعرض سلطات الولاة لكل من الجزيرة والموصل ، سواءاً في المجـال السياسي لصلاحياتهم ام المجال الاداري .

شهدت الجزيرة الفراتية والموصل ما بين سنتي (١٢٧هـ / ٧٤٤م - ٢١٨هـ / ٨٣٣م) العديد من الحركات المعارضة التي كانت تعقد الوضع وتهدد أمن وسلامة العاصمة الاقليمية خاصة بل ان الاقليم بوجه عام . ففي نهاية عصر مروان بن محمد كانت هناك حركة الخوارج ضد السلطان الاموي التي بدأت سنة (١٢٦ هـ / ٧٤٣م) بزعامة سعيد بن بحدل ثم بزعامة الضحاك بعده . ولقد حاول والي الموصل القطران بن أكيمة الدفاع عن مدينته ضدهم حيث كان أهل الموصل قد استدعوا الخوارج ولكنه سقط قتيلاً ولم يستطع ان يحقق شيئاً (٣)، كما ان عامل الموصل سنة (١٣٢هـ / ٧٤٩م) وهو هشام بن عمرو الزهيري قد منع مروان من دخول المدينة في اعقاب انتصار العباسيين بالزاب ورحب بالقوات العباسية المتقدمة الى الموصل وكان هـذا العامل مدركا بعدم جدوى القتال ضـد العباسيين الذين دحـروا الجيش الاموي وعليه فان المصلحة تقتضي مصالحة العباسيين تجنبا

---

(١) الطبري ، تاريخ ٤٧/٨ .

(٢) الازدي ، ص ٢٥٨ « ويروي الازدي انه كان على خراجهـا وصدقاتها »

(٣) راجع الفصل الخاص بحركة المعارضة الخارجية .

لنتائج أي صدام عسكري محتمل وهكـــذا تصدى هشام الزهيري الى معالجة الاوضاع بحكمة وروية وكان مصيبا في انتهاج هـذه السياسة الى حد بعيد (١) واذا لم تثر الجزيرة المشاكل الكبيرة بوجـه الامويين فانها في خلال العصر العباسي كانت السبب في احـداث الكثير من الاضطراب وحـالات الفوضى . لقد ادرك العباسيون حقيقة الميول السياسية لسكان الجزيـرة لذلك فانهم لم يكونوا يطمئنون الى الهدوء الظاهري السائد في الجزيرة في بداية عهدهم ويبدوا ان ملامح خطوط سياستهم التي انتهجوها ازاء الجزيرة خلال هذه الفترة تشير الى انهم ارادوا ان يفرضوا سيطرتهم على الاقليم . ولعل للموقع الحصين للجزيرة من جهة واهميتها الستراتيجية من جهة اخرى قد ادت الى زيادة اهتمام العباسيين بها ، خاصـة وانها تقع مجـاورة للاعداء وهم البيزنطين الذين يستغلون اي اضطراب فيها لمصلحتهم كما ان قيام اي نوع من الاضطراب فيها يؤثر على مجريات الجهاد الاسلامي في هذه الجبهة مع البيزنطيين لذا فقد اهتم العباسيون وذلك بتعيين ولاة اكفاء - وخاصة من البيت العباسي نفسه - وذلك لخدمة مصالح الدولة وأهداف السياسة العباسية بشكل تام هـذا من جهة ، ومن جهة اخرى فقد انتهج الخلفاء الاوائل سياسة زيارة الجزيرة للتعرف على اوضاعها والوقوف على احتياجاتها ومشاكلها

(١) راجع الفصل الثالث (فترة الانتقال التي مرت بها الجزيرة الفراتية)

والاسهام في حلها ، كما استهدفوا مواجهة أي تطور محتمـل ينجم عن ذلك فيها لتفقد اعمال الولاة وسلوكهم ، وقد ادرك العباسيون أهمية موقع الجزيرة ومقدار الاهتمام الذي اولاه الامويون لها وخاصة خلال فترة خلافة مروان بن محمد حيث لعبت الجزيرة دورا كبيرا في ادارة الدولة ولعـل في اتخاذ حرّان مركزا اداريا هاما للدولـة الاموية خلال الفترة الاخيرة من دورها ما يعكس هـذه الاهمية ، اما الموصل فقد تطور مركزها مع نجـاح الثورة العباسية حتى انها اصبحت العاصمة الاقليمية للجزيرة خلال العصر العباسي الاول . ولم تفقد الجزيرة أهميتها في حساب رجال الدولة العباسيه ولعـل في تفضيل هارون الرشيد الاقامة في الرقة على البقاء في مقر الخلافـة العباسية بغداد ما يشير الى هذه الاهمية وتطورها .

كانت علاقة ولاة الجزيرة في الخلافة العباسية تمتاز بالثقـة والالتزام وهكذا فقد لعب ولاة الموصل دورا مهما للقضاء على كثير من الحركات المناوئة كما انهم بذلوا جهدا كبيرا لتوطيد الامور في أعقاب الاضطرابات التي واجهت الدولة ولعل في اقدام بعض الولاة على التضحية في حياتهم (١) من اجل مصالح الخلافة ما يشير الى

---

(١) كما فعل السيد بن انس الازدي والي الموصل في زمن الخليفة المأمون الذي قضى على الكثير من الاضطرابات والفوضى في الموصل الى ان قتل فيها وسيرد الحديث عنه في نهاية الموضوع وكذلك في الفصل الخاص ضمن حركات المعارضة المتفرقة .

هذه العلاقة الوثيقة وسنستعرض في الصفحات التالية دور الولاة في معالجة المشاكل التي حصلت خلال فترة ولايتهم من فترة بحثنا هذا ودورهم في اضعاف حركات المعارضة او القضاء عليها وقد أفرد لهذه الحركات فصل خاص بها في هذا البحث (١) .

كان موسى بن كعب اول ولاة العباسيين على الجزيرة اذ جرى ارساله من الكوفة في اعقاب اظهار وجهة الدعوة ومبايعة ابي العباس خليفة وقد قاد موسى بن كعب قوة عسكرية الى منطقة الزاب وكان لمشورته على عبدالله بن علي ولارائه العسكرية أثرها الفعال في تحقيق الانتصار (٢) على الامويين ، وبعد استقرار الامور باشر موسى عمله واليا على الجزيرة فكان مندفعا في توطيد الحكم والادارة وصبغهما بالصبغة العباسية فكان أول أمر أصدره هو (الزام المسلمين على لبس السواد وتسويد ملابسهم) (٣) مما يشير الى شدة تمسكه والتزامه بالتقاليد العباسية وباشر الدعوة في تلك الفترة المبكرة في في الادارة الاسلامية ، ومع ذلك فان هذه الاجراءات لم تؤثر في اجراءات الخلافة العباسية التالية والتي استهدفت الاعتماد على امراء البيت العباسي وصدرت الاوامر في سنة (١٣٣ هـ / ٧٥٠م) بتعيين اثنين منهم هما عبدالله بن محمد الذي تم تعيينه واليا على الجزيرة

(١) انظر الفصل الخاص بحركات المعارضة الخارجية والاموية وغيرها.

(٢) انظر الفصل الخاص بفترة الانتقال .

(٣) دانيوسيس التلمحري ، كتاب التاريخ (بالفرنسية) ص ٥١ .

عوضاً عن موسى بن كعب والثاني يحيى بن محمد على الموصل (١) ، والراجح ان القيادة العباسية اعتمدت خلال الفترة الحرجة الاولى قبيل تثبيت قواعد الدولة واستقرار الاحوال على القيادات العسكرية العاملة في ادارة هذه المناطق بشكل مؤقت لحين استقرار الامـور واتضاح ابعادها ومن ثم قامت بتعيين ولاة دائميين من البيت العباسي وفق خطة محكمة مدروسة وكانت سلطة عبدالله بن محمد (ابو جعفر المنصور فيما بعد) واسعه اذ لم تقتصر على حدود الجزيرة بل تعدتها لتشمل الثغور وارمينة واذربيجان ولذلك ومن اجل ضبط أمور الادارة فانه قد عهد الى الحسن بن قحطبة بتولي ادارة الجزيرة نائبا عنه (٢) ولعل في تعيين الامير عبدالله بن محمد مع كبر منزلته ودوره في ادارة الدولة على الجزيرة طيلة حياة أخيه الخليفة الاول ابي العباس ما يعكس أو يدلل على الاهمية الكبرى التي اعطيت لادارتها منـذ أيام الخلافة الاولى ومع ان المصادر تعطي معلومات مرتبكة عن ولاة المدن الاساسية في الجزيرة التابعين لابي جعفر في امارته هذه فانها تجمع على القول بأن ابا جعفر قد استمر في منصبه هـذا الى ان تولى الخلافة (٣) وكانت مسألة تعيين محمد بن صول على الموصل

(١) اليعقوبي ، تاريخ ٣٥٨/٢ ، الطبري ٤٤٧/٧ و ٤٥٨ ، الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٤١ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ٣٥٨/٢ .

(٣) الطبري المصدر السابق ٤٤٧/٧ .

قد كشفت عجزه في الادارة رغم نجاحه في قيادته العسكرية (١)، وذلك لانه لم يحسن التصرف فى معاملة أهل الموصل وارتكبت الادارة المركزية للدولة العباسية خطأ آخر حينما استبدلته بأخ الخليفة يحيى بن محمد الذي اثبت فشله هو الأخر في القدرة على تولي هذا المنصب بجدارة فقد تصرف بطيش واستعلاء وعامل أهل الموصل بقسوة فلما احتجوا على اعماله اعجل فيهم القتل . ان تعيين يحيى بن محمد في هذا المنصب (بغض النظر عن شخصيته الضعيفة وسوء ادارته) يلقي كثيرا من الضلال والشك حول بواكير السياسة التي اتخذتها الادارة العباسية المركزية ازاء أهل الموصل . لقد وقع الكثير من الولاة العباسيين خلال العصر العباسي الاول في خطأ كبير اذ تصوروا كما يبدو ان جميع المشاكل يمكن حلها عن طريق القوة واعتماد القسوة المتناهية وسيلة لتحقيق ذلك ، غير ان ذلك كما سنلاحظ ادى الى نتائج عكسية خطيرة ثم بلور وجمّع المعارضة في صف موحد مما ادى الى شيوع النزعة المعادية للاجراءات العباسية بغض النظر عن دوافعها كلما زادت اجراءات السلطة ـ ممثلة في تصرفات الواليين الاولين محمد بن صول ويحيى بن محمد ـ تعسفا تركزّ الحقد والكراهية في نفوس المتضررين والرأي العام في الموصل

(١) وكان محمد بن صول من الذين بايعوا أبا العباس وذلك فى اول بيعتهم له حينما اتاه هو وابو الجهم الازدي ، ص ١٢١ .

وهكذا ، أظهرت النتائج الأولى للاجراءات العباسية خيبة للامال ، حاول أبو العباس سد الهوة الواسعة بين السلطة والشعب في الموصل كما حاول التقرب الى العامة عن طريق ادانة التعسف والظلم ثم عزل أخاه يحيى بن محمد عن ادارة الموصل واستبدله بعمه الامير اسماعيل بن علي (١) وربما كانت دوافع شتى قد دفعت الخليفة الى اتخاذ هذا الاجراء ولعل من ابرزها الحرص على مصلحة الخلافة وترابط الشعب معها من جهة ومن جهة اخرى الرغبة في ضمان موالاة المناطق المختلفة ضمانا للمصلحة العباسية العليا في إيجاد طبقة ولاة تربطهم بالاسرة العباسية وشائج القربى اضافة الى المصلحة المشتركة والاطمئنان اليهم في ظروف بدأت فيها اتجاهات قوية لتجميع قوى المعارضة في اطار موحد في منطقة الجزيرة بصورة عامة وفي مدينة الموصل على وجه الخصوص . ان ظهور مثل هذه الميول والاتجاهات المعارضة لاساليب الحكم العباسي من جهة وطموح البعض من المغامرين من رجال الدعوة العباسية أو امراء البيت العباسي في الخلافة من جهة ثانية قد ادت الى حالة من انعدام الثقة . لقد عاشت القيادة السياسية في الخلافة العباسية مما أثر في تحديد علاقة الولاة بالمركز من جهة والرعية من جهة ثانية وهكذا وخلافا لما يتوقع الباحث فان الخلافة يهمها بالدرجة الاولى والاساسية اخلاص الولاة وتنفيذهم لاوامرها اكثر من عدالتهم

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ٤٦٠/٧ ، الازدي ص ١٥٦ ، ابن الجوزي المنتظم ، ٤٤٥/٧ ب .

مثلا او شعبيتهم ، بل ربما يفسر التفاف الرعية حول أحد الولاة بانه ظاهرة خطرة لا يمكن التسامح في استمرارها حتى على حساب الاستقرار وهدوء الاوضاع . وان ما حصل على عهد ولاية الامـــير اسماعيل بن علي في الموصل خير مثل لتأكيد ذلك حيث عيّن اسماعيل اميرا على الموصل وسط جو مشحون بالحنق والحقد على الخلافة نتيجة اعمال شقيق الخليفة الامير يحيى بن محمد وتجاوزاته على حقوق الناس ومظالمه وسفكه لدماء الناس بالباطل وقد حاول اسماعيل ان يزيل اثار تلك السياسة الحمقاء عن طريق رد المظالم ودفع ديات القتلى والاحسان في السيرة وقد بدأ عهده في الموصل بخطبة اعترف بها صراحه باخطاء ابن أخيه وقد جاء في خطبته الافتتاحية تلك قوله « لولا أنّا أهل بيت مغفور لنا لحقت على يحيى بن محمد النار لما صنع بكم ، ولكني سأرد المظالم عليكم واحسن السيرة فيكم » (١)، ثم كرر هذا المعنى وتعهد علانية بحسن السيرة عندما قال مخاطباً أهل الموصل : « أنا أرد عليكم المظالم وأعطيكم ديات من قتل يحيى منكم (٢) » ثم انه كتب الى الخليفة كتابا اعلمه فية بما وصلت اليه احوال الموصل من الخراب والدمار فأجابه الخليفة بأن « أرفق بالناس وتألفهم » (٣) ومما تجدر ملاحظته ان الامير اسماعيل ابن علي على الجانب الديني في الدعوة العباسية في تأكيده على القرابة

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ص ١٥٦ .

(٢) ن . م . ص ١٥٦ .

(٣) ن . م . ص ١٥٦ .

من الرسول محمد « صلى الله عليه وسلم » وكونهم « أهل بيت مغفور لهم » كوسيلة لتبرير الخطأ والتجاوز عما ارتكبه ابن أخيه بحق الرعية ومن أجل استعادة الثقة في محاولة لتجميع الناس حول الخلافة العباسية والتخفيف من استغلال المعارضة لتلك المظالم في سبيل تأليب الناس ضد العباسيين ويبدو ان الآثار المترتبة على اعمال الوالي السابق وتجاوزاته ومظالمه كانت عامة تقريبا ومؤثرة الى درجة كبيرة بحيث انها منعت الوالي الجديد من محاولة انكارها او التقليل من أهميتها واثرها ، ولعل ذلك من العوامل المهمة التي أدت باسماعيل هنا الى ان يعترف صراحة وعلانية باخطاء سلفه وان يحاول استغلال الانتساب الى الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل تخفيف الذنب الذي ارتكبه ثم تعهد بالاصلاح وبرد المظالم والاحسان في السيرة كما انه تعهده بدفع الديات لاولياء القتلى وذلك أعتراف صريح بان قتلهم كان ظلما وبدون حق شرعي مبرر ومع ان اسماعيل بن علي قد أدرك ابعاد المأساة هذه واطلع على واقع الحال لمدينة الموصل وتعرفه على أخطاء سلفه كما انه بالرغم من تسلمه توجيهات الخليفة بالارفاق بالناس وتأليفهم فانه كان لحاشية السوء التي أحاطت به أثرها السلبي في في بعض اجراءاته وذلك حينما أقدم على ارتكاب تجاوزات مشابهة لتلك التي حصلت على عهد ابن اخيه ولعل في قصته مع يحي بن الحر بن يوسف أحد وجهاء الموصل ما يوضح حقيقة وجهته رغم جميع الادعاءات الأولى فقد كان يحي بن الحر بن يوسف من الاغنياء

الموسرين يمتلك الكثير من الأموال والضياع وكان ذلك كافيا لتوجيه الوالي الجديد لاحد قواده حيث نفذ أمره بقتله تحت ستار ان الاخير سبق ان عاون اباه في ادارة الموصل على عهد هشام بن عبد الملك ولم يكتف اسماعيل بن علي بذلك بل انه كشف عن حقيقة دوافعه لارتكاب هذا العمل وذلك انه صادر الغالبية العظمى من أمواله المنقولة وغير المنقولة حتى ان اسرة القتيل اضطرت الى ان تنتقل الى احد الفنادق (١) بعد ان نفذت جميع وارثها وبعد ان فقدت معيلها ظلما وعدوانا ، ان حصول هـذه الحادثة مع المكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها المجني عليه في الموصل يكشف الاسباب الحقيقة والدوافع الكامنة خلفها فانها أدت الى ان يستعيد النـاس ذكرياتهم المريرة من جراء اعمال الوالي السابق وخلقت حالة من الارتباك والفوضى وفقدان الثقة من احتمال الاصلاح وعدم الاطمئنان الى جدية او صدق نوايا الوالي الجديد ، ولعل من المناسب الاشارة هنا الى ان السكان كانوا قد خبروا جرأة السلطة العباسية على سفك الدماء في مدينتهم وربما كانت الصلاحيات الواسعة التي تمتع بها الوالي من قبل الخليفة باعتبار انـه من أمراء البيت العباسي وأحد اعمام الخليفة هي التي شجعته على ان يعمل ذلك كما ان اسماعيل بدأ بجانب الاصلاح الاداري للموصل حيث انه لم يرسل شيء للخليفة من واردها قـال

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ص١٥٦ ـ ١٥٧ .

الأزدي : « لم يرفع اليه طول ولايته درهماً واحداً »(١) على اعتبار انه سيستعمل هذه الاموال في اصلاح الاحوال وتآلف الناس وصرفت تلك الاموال من أجل القيام ببعض الاصلاحات الضرورية لمصلحة الخلافة من جهة وفي محاولة منه لارضاء أهل الموصل من جهة ثانية ولقد استهدفت خطة الخلافة العباسية كما تضمنت ذلك توجيهات الخليفة نفسه لاصـــلاح الاحوال الادارية والارفاق بالناس وذلك بالتخفيف من الضرائب المفروضة على الرعية وبالاحسان في السيرة وتأليف الناس وتجميعهم حول الخلافة ، ولقد قام اسماعيل ببعض الاصلاحات وانه ازال ما يحيط بالمسجد الجامع من الاسواق وافرد بذلك للمسجد الجامع مكانا خاصا وهذا قد يعكس اتجاها عاما للسياسة العباسية للترابط مع الشريعة الاسلامية وبالاضافة الى ذلك فانه امر بنقل المقبرة الى الصحراء على مسافة من المدينة (٢) ، ان هـذه الاجراءات قـد اتخذت لتنظيم المدينة وتنسيقها وقد قام من جهة اخرى بانشاء المسجد المعروف بمسجد ابي حاضر في منطقة وسط بين الاسواق (٣) . وفي مجـال التعمير والاصلاح قام الوالي ببناء فندق لاستراحة المسافرين من التجار وغيرهم في منطقة سوق الطعام وقـد

(١) الازدي ، ص ١٦٦ .

(٢) ن . م . ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

(٣) ن . م ، ص ١٦٧ (ابو حاضر هو اسم احد موذنيه وانما انسب اليه ذلك) .

جعل فيه حماما ومرافقا لضمان وتسيير راحتهم ، لقد عملت اصلاحات اسماعيل بن علي واجراءاته عملها في استقرار الاوضاع بشكل نسبي فقد بدأ الناس بالتراجع لمدينة الموصل والسكنى فيها وهذا ما أشار اليه الازدي في تأريخ الموصل حين يقول « تراجع الناس الى الموصل واصلح اسماعيل حالها » (١) ، واستمر اسماعيل باصلاحاته ويصف الازدي بعد ذلك نتائج هذه السياسة عند حديثه عن اخبار الموصل سنة (١٤١ هـ / ٧٥٨ م) بقوله: (...ان الموصل به مقبله) (٢)، وهذا بطبيعة الحال يختلف عن الانطباع الذي يعطيه نفس المؤلف عند حديثه عن السنوات الاولى من ولاية اسماعيل على الموصل (٣) ، وبذلك فقد استطاع الامير اسماعيل بن علي ان يؤثر ايجابيا في اصلاح الامور وتهدئة الاوضاع المضطربة في الموصل وهذا ساعد كثيراً في انتعاش المدينة مجدداً حيث تراجع الناس اليها من أجل استيطانها بعد ان هدأت الامور وهذا أدى بالطبع الى تحسن في احوالها وكثرة عمارتها وانتعاشها اقتصاديا . ويبدو ان الناس قـــد استعادوا الثقة بالسلطة الى حد كبير نتيجة ذلك حتى ان الوالي هذا قد وجد من

---

(٢) الازدي ، ص ١٩٧ .

(٣) ن . م . ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

(٤) ن . م . ص ١٧٣ .

(٥) عند حديث الازدي عن الموصل سنة (١٣٦ هـ / ٧٥٣ م) يشير الى انها كانت مضطربة واعمالها منتقضة وعمارتها ناقصة (تاريخ الموصل ص ١٦١) .

يلتف حوله ويؤيد اجراءاته الاصلاحية تلك . غير ان ذلك اصطدم بحذر الخلافة من تكون مراكز قوى مؤثرة في الاطراف تنافس الخلافة سلطانها وخشية ان تتكرر المأســاة التي جابهتها الخلافة بانشقاق عبد الله بن علي فان الخليفة أبـا جعفر المنصور اصدر امره في سنة (١٤٢ هـ / ٧٥٩ م) بعزل عمه اسماعيل بن علي عن ولاية الموصل وتعيين مالـك بن الهيثم الخزاعي (١) محله ويبدو ان مخاوف الخليفة وحذره كانت في محلها اذ تتحدث المصادر عن عصيان أسماعيل بن علي

---

(١) روى ان مالك بن الهيثم خرج هاربا حتى همدان ، وكان قد اشترك في ثورة عبدالله بن علي ضد المنصور وبعد فشـل الثورة وكان على همدان يومئذ زهير التركي مولى خزاعـة فكتب اليـه ابو جعفر ان الله مهرق دمك ان فاتك مالك فجاء زهـير بن التركي الى مالك بن الهيثم فقال له : جعلت فداك وقد اعددت لك طعاما فلو أكرمتني بدخـولك منزلي فقـال له : نعم وقـد كان هيأ له زهير اربعين رجلا فلما دخل مالك قال لزهير عجل طعامك وقـــد توثق زهير من الباب وهيأ اصحابه فخرج عليه الاربعون فشدوه وثاقا ثم وضعوا القيود في رجله ثم قال : ابا نصر جعلت فداك والله ماعرفت هذه الدعوة حتى أدخلتني فيها ودعوتني اليها فما الذي يخرجك منها والله ما أخليكَ حتى تزور أبا جعفر فبعث به اليه فعفى عنه وولاه الموصل « ابن قتيبة . الامامـــة والسياسة (المنسوب اليه) ج ٢ ص ١٧٦ » .

ورفضه عن تنفيذ أمر الخليفة بل ومحاولته الاستفادة من علاقته بأحد المرابطين من أجل تجميع قوى عسكرية يستغلها في الصراع المرتقب وهكذا فانه رفض تسليم الولاية الى الوالي الجديد وامر اسماعيل القائد ابن مشكان قائد المرابطين في الموصل بقتال مالك بن الهيثم ، غير ان الخليفة كان بارعا وحازما اذ خطط لمجابهة هـذا الاحتمال فأصدر امرا لقائد المرابطين بالانضمام للوالي الجديد وقـد لعبت قوة المرابطين دورا بارزا في ترجيح كفة الادارة الجـديدة اذ نفذ قائدها اوامر الخلافة ضاربا عرض الحائط محاولات اسـماعيل بن علي اليائسة وهكذا تم لمالك بن الهيثم الدخول الى مقر ولايتـه معززا بقوة المرابطين (١) ، ان هذه الحادثة تكشف عن مدى ادراك مراكز الخلافة لطبيعة ما يجري في اقاليمها . وبشكل خاص في الجزيرة كما تعكس طبيعة الفشل الذي منيت به محاولات امراء البيت العباسي وطموحاتهم ونزعاتهم الاسـتقلالية عن جسم الدولة والتي تعبر عن مشاعرهم بانهم كالخليفة نفسه اصحاب حق في هذا الامر . ان العبرة التي يمكن ان تستخلص من هذا الحادث ايضا هي ان دور المشاعر الشعبية وحالات الالتفاف والتأييد على النطاق الاقليمي قد تسـاهم بالتعجيل بعملية الاصلاح والاسـتقرار والانتعاش ولكنها بالتأكيد لا تخدم الولاة كثيرا بل على العكس ربما تثير حفيظة مركز الدولة كما تشير ان القوة العسـكرية هي العماد الحقيقي للادارة والحفاظ

---

(١) الازدي المصدر السابق ، ص ١٧٧ـ١٧٨ .

على وحدة الدولة واستقرار الاوضاع ، ويبدو ان مالك بن الهيثم كانت له سيرته الحسنة عند اهالي الموصل قال الازدي «... وسيرته جميلة واحوال الموصل مستقيمة » (١) .

ان شكوك الخليفة المنصور من ولاة اهل الموصل من جهة وحذره من الطموح السياسي للولاة من جهة ثانية دفعته الى التفكير بضرورة اعادة منصب والي الموصل الى أحد امراء البيت العباسي الثقاة ولم يجد غير ولده جعفر أهلا لمثل هـذه الثقة فأصـدر امرا بعزل مالك بن الهيثم وتعيين ابنه واليا على الموصل . بدأ جعفر عمله ببناء قصر فخم في الربض الاسفل ليشرف على قطائع بني وائل حيث جعله مقرا لسكناه (٢) ، ان تعيين جعفر بن المنصور كان بشيرا ببدء حركة عمرانية واسعة زاد منها اقتناع الخليفة نفسه بضرورة زيادة الاهتمام بادارة الموصل مما حدا به الى موافقة ابنه نقل عياله اليها ثم ارسل اليـه احـد ثقاته من الكتاب وهو فضيل بن غزوان حيث ضمه الى ابنيه وولاه وجعله كاتبه ولكنه عندما شاع ان هذا الكاتب يسـيطر على جعفر وانه يلعب به فارسـل له الخليفة اثنين فقتلاه (٣) . وتذكر المصادر ان المنصور قد علم ببراءة فضيل بن غزوان فارسل رسولا وجعل له عشرة الاف درهم على ان يدركه قبل ان يقتل « فقدم

(١) الازدي المصدر السابق ص ١٨٠ .

(٢) ن.م ، ص ١٩٧ .

(٣) ن . م ، ص ١٩٧ـ١٩٨ .

الرسول وما جف دمه بعد » ان هذه الحادثة قد اثارت تســـاؤلات كثيرة على الرغم من ان والي الموصل قد اعلن استياءه لقتله (١) حيث ان ذلك جرى على غير علمه ، فاذا استثنينا هذه الحادثة الجانبية التي لم تؤد الى مضاعفات أو ردود فعل تذكر ، نجد ان الاستقرار السياسي الذي رافق عهد الامير قد ادى الى استقرار اداري ، رغم ان الوشاة كان لهم دورهم في النفاق على كاتب الوالي الذي ادى الى مقتله . كما ان المنصور كان متسرعا في قراره بقتل الـكاتب ، رغم ندمه وتسرعه على قراره الخاص بقتله ، وان تسرع المنصور بقرار قتله يمكن أن يعكس لنا حـالة عدم ارتياحه لطبيعة الموقف في الموصل ، حيث انه كان وسيلة حتى ولو ادى الى اللجوء الى قتل الاشخاص .

ومما يسترعي الانتباه ان نجد المنصور يقدم سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م على اصـدار قرار يعزل فيه ولده جعفر عن ولاية الموصل ، وولاها خالد بن برمك بعد اضطراب اوضاع المدينة ، حينما انتقض امرها وانتشر الاكراد فيها (٢) اذ يبدو لنا ان المنصور تبين له عدم كفاءة ابنه في مجابهة الوضع المتأزم الذي حدث في اعقاب فوض الاكراد فيها .

وكان اختيـار خالد بن برمك لولاية الموصل ، قـد جرى بعد مداولات حدثت بين الخليفة المنصور ورجال بلاطه ، فنشأ منها اختيار خالد بن برمك للولاية ويظهر انه كان موفقا في ولايته مع أهل

---

(١) الازدي ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(٢) ن . م ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، ج ٣ ق ١ ، ورقة ٧٤ أ ـ ب ، ابن الجوزي ، المنتظم ٧ / ٥٥٣ أ ـ ب .

الموصل الذين أبدوا الرضى والتعاون بعد ان عالج الامور بحزم وكياسة اذ قضى على الفوضى والاضطرابات والفتن وقد عكس لنا الازدي وجهة نظرة أهل الموصل نحوه بقولهم « ماهبنا أحد قط هيبتنا لخالد بن برمك - من ولاتنا - من غير ان تشتد عقوبته او نرى جبرية منه لكن هيبة كانت له في صدورنا » (١) ، وربما أطاعة أهل الموصل له « خوفا مما وقع لهم من قبل » (٢) .

لقد تمكن خالد بن برمك ان يحظى بهذه المكانة الكبيرة بعد ان قضى على الفوضى والفساد ووضع حدا لانتشار الاكراد فيها . اضافة الى حسن سيرته ومعاملته الطيبة للرعية ، وربما كان للصلات والالطاف والهدايا التي كان يكثر من توزيعها اثرا في تحقيق هـــذا الالتفاف الشعبي (٣) ، غير ان حسن المعاملة هذه من جانب الوالي قد صحبها حالات متكررة في التسيب والتهاون الاداري وربما وصل الامر الى حالة سوء ســـلوك الموظفين وجرأتهم على السكان وارهاقهم دافعي الضرائب بما يفوق واجباتهم في الضريبة .

ففي سنة ١٥١ هـ / ٧٦٨ م رفعت رقعـة للخليفة المنصور على رجال اعمال أمير المؤمنين بكورة الموصل لسنة ثمان واربعين ومائة واعوانهم

---

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ،ص ٢٠٩ ، أبن الاثير الكامل ١٦/٦ .

(٢) العمري ، منية الادباء ، ص ٣٨ ، (لعله يقصــــد ماوقع لهم سنة ١٣٣ هـ مع يحيي بن محمد ومحمد بن صول) .

(٣) الازدي ، ص ٢٣٧ .

وجباتهم وقساطيرهم (*) ، واتباعهم ان اموالا كانوا قد اقتطعوها (١) .

وبما ان الخليفة كان يراقب ولاته مراقبة شديدة ، لذلك لم يتساهل تجاه هـذا العمل السيء من العمال لذلك اقدم على عزل خالد بن برمك ، الذي كان مسؤولا عنها سنة ١٥١ هـ / ٧٦٨ م وعين الخليفة على ولاية الموصل اسماعيل بن عبـد الله بن يزيد بن اسد بن كرز القسرى البجلي ، وكتب الخليفة اليه كتابا يأمره بمعاقبة العمال والكتاب والاعوان والنساطرة الذين اساؤا التصرف في الجباية (**) .

ويبدو ان بعض الولاة لم تزودنا المصادر عنهم باية معلومات بل تذكر اسم الوالي وسـنة عزله وتلتزم الصمت عن اية معلومات عن فترة حكمه . كموسى بن كعب الذي تولى الموصل والجزيرة سنة ١٥٤هـ ٧٧٠ وعزل سنة ١٥٥ هـ / ٧٧١ م (٢) في حين ان الولاة الذين يقومون باعمال بارزة واضحة ويكون لهم دورهم الواضح في الولاية لم تغفل

(*) القسطار بفتح القاف وسكون السـين منتقد الدراهم الازدي هامش رقم ١ ص ٢١٥ .

(١) ن . م . ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٢) الازدي ، نفس المصدر ،ص ٢٢٢ (فقد امر المنصور ابنه المهدي بعزل موسى بن كعب عن الموصل وتولية خالد بن برمك عليها ، الكتبي ، عيون التواريخ ج٣ق١/ص٧٤أ . ابن الجوزي ، المنتظم، ٥٥٣/٧ أ .

(**) وكان نص كتاب الخليفة الى اسماعيل : (بسم الله الرحمن=

ذكرهم المصادر فحسب ، بل ان الخليفة نفسه يستفيد من خبرتهم كما حدث لخالد بن برمك الذي أعيد لولاية الموصل سنة ١٥٥هـ/٧٧١م وهذا دليل على ان خالد تولى الموصل لابي جعفر مرتين (١) .

ويلاحظ ان الامور المالية كانت من بين القضايا التي لا يتساهل

= الرحيم - من عبدالله امير المؤمنين الى اسماعيل بن عبدالله أما بعد : فانها رفعة رفعت الى امير المؤمنين بكورة الموصل لسنة ثمان واربعين ومائة واعوانهم وجباتهم وقساطيرهم واتباعهم ان اموالا اقتطعوها وان امير المؤمنين يحب الشدة على اهل الخيانة والتنكيل بهم . وقد بعث اليك امير المؤمنين بدفتر فيه اسماؤهم ومن رفع عليه من العمال والكتاب والاعوان والقساطرة ، ومنازلهم وما شرح عليهم بعد هذا الذي كان يحيى بن عمران رفع انه استخرج منهم من ذلك ، فاقبض ما اعلمك امير المؤمنين في ذلك الدفتر بما رفع عليهم ثم احمله الى بيت المال بمدينة السلام مع من تثق به من الخزان ، وتكتب لهم منه البراءة ، وان أعتل عليك احد منهم بما قبله فابسط يدك عليه لتكن منك في ذلك اشد الشدة ، ومن اعطاك ما قبله واداه فلا تعرض له الا بخير له الا بخير انشاء الله كتب لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائة . الازدي ، ص ٢١٤-٢١٥) .

(١) الازدي ص ٢٤٤

بشأنها الخليفة مع الولاة خاصة وكان المنصور قد عرف عنه تشدده في محاسبة ومراقبة ولاته خاصة بالامور المالية ، حيث ان الولاة كانوا لا يقدمون على عمل ما دون استشارة الخليفة ، فكانت اموال الولاية تنفق على تنفيذ الاصلاحات المطلوبة،وكان الولاة يقومون بالاصلاحات بعد استشارة الخلافة ، فوالي الموصل الاسبق اسماعيل بن علي لم يرفع للخليفة طوال ولايته درهما ، وكانت الاموال تنفق على مواجهة الظروف السياسية العسكرية الصعبة ، وخاصة حركات الخوارج ، ذكر الازدي ان ابا جعفر كتب الى موسى بن كعب واليه على الموصل سنة ١٥٧ ﻫ/ ٧٧٣ م يطالبه بمبلغ مائتي الف درهم مستند الى وشاية وصلت الى مقر الخلافة فكتب اليه : (كذب الرافع يا أمير المؤمنين ما هي الا اربعمائة الف ، وانما اعددتها لامير المؤمنين لان البلد كثير الخوارج، وأعددتها للرجال ، متى أحتجت الى محاربة خارجي ، فان كان رأي صوابا والا وجه امير المؤمنين من يقبضها فوافى الرسول فخرج موسى من داره الى المسجد المقابل للقصر المعروف فحفر مع الحائط واخرج اربعمائة الف درهم وحملها الى الهط فاحدرت »(١) كما كان الولاة في بعض الاحيان يتصدقون من الخزينة على الفقراء ، اضـافة الى اموال الصدقات والوقوف (٢) كما كان الولاة اضافة الى ذلك مسؤولين عن تهيئة واصلاح الطرق للجيوش المتوجهة للجهاد ، والتي تمر على طريق

(١) الازدي ، ص ٢٢٧ .

(٢) راجع الازدي ن . م ص ٢٢٧ .

الموصل والجزيرة ، واذا يتهاون الوالي في عمله هـذا فانه يتعـرض للمحاسبة من قبل الخليفة ، كما حدث لوالي الجزيرة سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م عبدالصمد بن علي الذي عزل ثم سجن بسبب عدم قيامه بواجبه تجاه تهيئة الطرق والواجبات التي عليه عند توجه الجيوش للجهاد (١) .

وبعد عزله ولى الخليفة زعفر بن عاصم الهلالي للجزيرة غير انـه عزل فى نفس سنة ١٦٣ هـ/٧٧٩ م ، وابدل بعبدالله بن صالح ، وكان الخليفة المهدي نزل عليه وهو في طريقه الى بيت المقدس او في رجعته فأعجبه ما رأى من منزلته بسلمه (٢) .

وكان بعض الولاة يعاملون الرعية معاملة حسنة مؤكدين في ذلك على الالتزام بالدين والعقيدة وذلك برعايتهم للفقهاء وأئمة الدين حيث يكون لدورهم هـذا اثر في كسب ود الرعيـة واحترامهم وتأييدهم وذلك تماشيا لمتطلبات وجهة الخلافة العباسية باعتبار انها مؤسسة شرعية أرادت ان توضح ارتباطها وتمسكها والتزامها باحكام الشريعة من جهة وتعاونت مع الفقهاء والمتصلين بهم من جهة ثانية ويذكر ان والي الموصل احمد بن اسماعيل زار احد الزهاد في منزله الزاهد (الفتح بن الوشاح) (٣) فرفض الزاهد لقياه او اسـتلام مبلغ كبير عرضـه

(١) الطبري ، تاريخ ١٤٧/٨ـ١٤٨ ، الازدي ، ص ٢٤٣ ، ابن الجوزي، منتظم ، ٥٨٢/٨ .

(٢) الطبري ١٤٩/٨ ، الازدي ، ص ٢٤٤ .

(٣) كان الفتح بن الوشاح الموصلي ناسكا فأتاه والي الموصل احمد بن =

عليه ليقوم بتوزيعه (١) . وقد أمتدح الأزدي عبدالله بن صالح بقوله « انه كانت له سيرة بالموصل جميلة حسنة ، وكان معظمالاهل السنن مائلا الى أهل الصلاح » (٢) .

وكان والي الموصل يزيد بن مزيد الشيباني الذي تولاها للرشيد سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م قد اتصف بالكرم والشجاعة ، والاحسان الى الرعية ، يشير الازدي الى ان يزيد كان يمشي بالليل فسمع رجلا ينادي يا يزيد فقال ، « ائتوني به ، فاحضروه فقال له : ماحملك على هذا قال ماتت

= اسماعيل الى منزله فسلم عليه ، فلم يخرج اليه فتح ، وقال له ابنه (انه نائم) فقال فتح من داخل الباب ـ ما أنا بنائم ، مالي ولك « قال له احمد بن اسماعيل هذه عشرة الاف درهم خذها حيث شئت فقال له : ضعها انت في موضعها مالي ومالك ياهذا ؟ وابى ان يخرج اليه ، ولم يقبل منه شيئا (الازدي ، ص ٢٤٦) وفي رواية عن محمد بن الوليد انه قال : « شهدت فتحا العابد عند وفاته وغلقت الاسواق ، وخرجوا مثل يوم العيد يبكون ويصرخون ، وصلى عليه احمد بن اسماعيل وهو يومئذ على صلاة الموصل ، وكان اهل القرى يأخذون من تراب قبره فيذهبون به الى منازلهم يتبركون به ، وكان الغالب عليه البكاء ووافاه الاجل سنة ١٦٥ هـ / ٧٨١ م (الازدي ، ص ٢٤٦ـ٢٤٧) .

(١) الازدي ، ص ٢٤٦ .

(٢) ن.م ص ٢٥١ .

داري ونفذت نفقتي وتذكرت قول الشاعر فتمنيت به فقال له ما قال الشاعر : قال :

اذا قيل من للجود والمجد والندى ... فنادي بصوت يا يزيد بن مزيد

فلما سمع حسن له واعطاه فرسا ، وكان معجبا به ، ومائة دينار » (١) فكان احسان الوالي هذا برهان على مدى اسهام الولاة في التخفيف عن بعض ماكان يرهق افراد الرعية . غير ان الولاة كان ينفقون على الامور المالية بشكل معقول وليس بافراط حيث انهم معرضون للمراقبة من قبل الخليفة ففي سنة ١٦٧ هـ / ٧٨٣ م مثلا رفع خراج الموصل الى الخليفة المهدي ، فوجد فيه ضيعة قد نقصت مواردها بشكل فاحش ، فكتب الى الوالي بالقدوم عليه للاستفهام منه عن السبب فلما قدم اعلمه بخبرها (٢) .

(١) ياسين العمري ، منية الادباء ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٢) يروى الازدي : « انه في سنة ١٦٧ ان جماعة خراج الموصل رفع الى المهدى فنظر فيه فوجد فيه ضيعة قد نقصت عبرتها نقصا فاحشافكتب الى موسى بن مصعب الخولاني ان يقدم على البريد ، فقدم وادخل اليه بثياب سفره فقال: ما هذه ياموسى ؟قال : عجلت عن تغير لبسي قال : ما بال هذه الضيعة ناقصة العبرة ؟ قال فنظرت فاذا هي باكبريتاقال ثم اتفق اني كنت عالما بامرها لمجاورتها ضيعتي،فقلت : يا أمير المؤمنين انتقلت الى فلان وهما لرجل واحد فنظر في الامر فاذا الصورة على ماذكرت فاستحسن ذلك مني ثم قال : عد الى عملك ، ثم دعاه فولاه مصر (الازدي ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩) .

وبجانب ذلك فقد كان الولاة يتحملون مسؤوليات اخرى فمثلا كان الوالي يسهم في تهيئة الظروف لتسيير امور الجهاد فكان عليه ان يكون مستعد لتلبية طلبات الخلافة في هذا المجال اضافة الى المجالات الاخرى ، ففي سنة ١٦٨/ هـ ٧٨٤ م كان والي الجزيرة علي بن سليمان قد وجه يزيد بن بدر بن البطال في سرية الى الروم فغنموا وظفروا (١).

غير ان بعض الولاة كانوا يسيئون السيرة في معاملتهم للرعية فيكونون بذلك عرضة للعزل من جانب الخليفة فقد عزل المنصور موسى بن كعب عن الموصل حينما بلغه ماأسخطه عليه (٢) وكان دانيوسيوس قد شهر بتصرفات موسى بن كعب السيئة وقسوته وعنفه تجاه السكان ويبالغ دانيوسيوس كثيراً في ذلك (٣) وتشير المصادر الى ان الخليفة الهادي عزل هاشم بن سعيد عن الموصل وفي رواية ان الربيع هو الذي عزله بعد ان بلغه انه يسيء السيرة وقلدها الهادي عبد الملك بن صالح الهاشمي ليحسن السيرة فيها وليصلح اهلها (٤) . وبالفعل استطاع عبد الملك بن صالح ان ينشر الامن والاستقرار وذلك بقضائه على كل مايثير المشاكل مستخدما في ذلك القسوة ، فقداعتدى قوم من ربيعة على

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ٨ / ١٦٧ ، الكتبي ، عيون التواريخ ٣ / ورقة ١٠٣ ب .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٦ / ١٥ .

(٣) دانيوسيوس ، التاريخ ، ص ٩٩ وص ١١٨ .

(٤) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٥٧ .

اخوين من فزارة كانا يخفران قرية بين آمد وسميساط فقاتلوهما فقتل احدهما فاستعداهما لعبدالملك بعد ان زجره متهما اياه بقوله : « انتدبتني على العصبية » ثم عاوده ثانيـــة فقال له : « اني لم أتك لندبك للعصبية ، وانما جئتك مستعديا فقال له حدثني كيف فعل القوم ؟ فحدثهوانشده ، فغضب فقال: كذب لعمري، ليجوزنها ليجوزنها ثم دعا بأبي عصمة احد قواده ، فقال : اخرج فجرد السيف في ربيعة فخرج وقتل منها مقتلة عظيمة الى ان امره بالكف عنهم » (١) ولذلك فانه لم يسمح للقبائل بان تتصرف كما تريد ، فنشر الامن والاستقرار في الاقليم ، وقد استحدث عبدالملك بن صالح قرية الصالحية قرب الرها ونسبت اليه لانه اول من اختطها (٢) وتوافد عليه وفود من الروم(٣). وقد استمرت ولايته زمن الرشيد الذي ساءت العلاقة بينه وبين عبدالملك سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م لما بلغه انه يريد الخلافة (*) ثم سجنه

---

(١) الاصفهاني ، الاغاني، ١٢١/١٣ـ١٢٣ .

(٢) الحموي ، المشترك وضعا ، ص ٢٨٠ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٩٣/١٠ .

(*) وقد نفى عبدالملك هـذه التهمة الموجه اليه من قبل الرشيد في خطاب طويل قاله بعد ان خرج من السجن وذكر ظلم الرشيد له قائلا : « والله ان الملك لشيء مانويته ولا تمنيتهولا قصدت اليه ولا ابتغيته ولو اردته لكان اسرع الي من السيل الى =

فلم يزل في سجنه حتى موت الرشيد ، وأخرجه الأمين وعينـــه على نيابة الشام وتشـير رواية أخرى الى ان الرشيد اطلق سـراحه وولاه المدينة المنورة سنة ١٧١ هـ / ٧٨٧ م بعـد الموصل والجزيرة (١) في حين يشير الخالديان ان عبدالملك بعد ان كان يرسل الهدايا للرشـيد عزله وعينه على المدينة المنورة ثم ولي الشام والجزيرة للامين (٢) .

= الحدود ومن النار الى اليابس العرفج واني لماخوذ بما لم اجن ومســـؤول عما لا اعرف ولكنه والله حين رآني للملك ممنا وللخلافة خطرا ورأى لي يدا تنالها اذا مدّت وتبلغها اذابسطت ونفساً تكمل لخصالها وتستحقها بخلالها ... فان كان انما حوسني على اني اصلح لها وتصلح لي وأليق بها وتليق لي فليس ذلك بذنب فاتوب عنه ... وســـواء عاقبني على عقل ام عاقبني على طاعـة النـاس لي ولو اردتها لاعجلته عن التفكير وشـغلته عن التدبير ولم يكن لما كان من الخطاب الا اليسير ومن بذل المجهود الا القليل (اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/٤٣٤-٤٣٥) .

(١) يذكر الازدي ان الرشيد بعد ان عزل عبدالملك بن صالح ولاه المدينة المنورة سنة ١٧١هـ/٧٨٧م فقال رجل ليحيى كيف استكفى اميرالمؤمنين من بين عماله عبدالملك ، قال : أحب ان يباهي به قريشا ويعلمهم ان في بني العباس بقية حسنة ، الازدي ص(٢٦٤).

(٢) يروى الخالديان الى ان عبدالملك وجه فاكهة باطباق خيزران =

على ان بعض الولاة كانوا يتحملون مسؤولية ما يقومون به من اعمال، حيث ان بعضهم كان يعاقب من قبل الخلافة ،فمثلا في سنة ١٧٠هـ/٧٨٦ م قتل أبو هريرة محمد بن فروخ - نائب الجزيرة - صبرا في قصر الخلد بين يدي الرشيد (١) ولم تشر المصادر الى سبب قتله .

وفي بعض الاحيان يتعرض الوالي لخطر القتل من جراء وجود العصبية القبلية كما حدث لروح بن صالح الهمداني الذي ولاه الرشيد الموصل وصدقات بني تغلب سنة ١٧١ هـ/٧٨٧م وكان قد خرج في اربعة آلاف يغير على بني تغلب لوضع حد لمساهمتهم في الاضطرابات القبلية (٢) ، على ان مقتل الوالي كان من بين الاعمال الموجهة ضد الخليفة باعتباره ممثلا للخليفة ولم تلزم السلطة الصمت تجاه هذا

= وكتب اليه : أسعد الله امير المؤمنين واسعد به ، دخلت الى بستان افادنيه كرمك وغمرته لي نعمك قد اينعت اشجاره وتهدلت اثماره ، فذهبت الى امير المؤمنين من كل شي مثل ما وصل الي من بركة عطائه ، فقال رجل يا امير المؤمنين لم اسمع باطباق القضبان فقال : يا أبله ، كنى عن الخيزران بالقضبان (الازدي التحف والهدايا ص ٢٥٦) .

(١) ابن كثير ، المصدر السابق ، ١٠/١٦٢ .

(٢) الازدي ،راجع ، ص ٢٦٧-٢٦٨ . وراجع الفصل الخاص بالمعارضة القبلية .

العمل بل ان الاحداث تطورت بشكل سلبي اثر على مجريات الامن والاستقرار في المنطقة ، فبعد قتل الوالي ، اخبر بذلك حاتم بن صالح وهو فى السكرية (*) الذي ارسل الحصين بن الزبير بن صالح في اربعة آلاف مع رجال من اهل الموصل فقتل خلقا كثيرا من بني تغلب واسر آخرين ثم دخل مدينة بنى اسيد وهي من مدائن النزارية فقال : « هذه بلدة فيها بنو تغلب وهي مدينتهم » فدخلها وقتل منهم خلقا كثيرا ، وتشير المصادر الى ان قوما من النزارية خرجوا عن الموصل لهذا السبب ، فأتوا ربيعة ومضر واتوا الموصل فكانت بينهم الوقعة المعروفة بالميدان (١) .

واذا كانت الموصل والجزيرة قد ابتليت بالفوضى والاضطرابات من جراء العصبية والفتنة القبلية ، نجد انها أبتليت ايضا بولاة قساة ، امثال يحيى بن محمد ، وموسى بن كعب ، ثم يحيى بن سعيد الحرشي سنة ١٨٠ هـ/٧٩٦م الذي « عسف أهل الموصل عسفا شديدا » وطالبهم بخراج سنين مضت ، فترك الموصل كثير من اهله الى اذربيجان(**)امثال اهل باسحاق من بني الحارث بن كعب ، وكذلك

---

(١) الازدي ،ص ٢٦٧-٢٦٨ والفصل الخاص ، بالاضطرابات القبلية .

(*) احد المواضع الجغرافية وسط الجزيرة الفراتية .

(**) يبدو ان السكان المتضررين كانوا يتجهون خارج اقليم الجزيرة ، ولم يلتأجوا الى اي مدينة من مدنها بعد هجومهم للموصل بل =

اهل القادسية من رستاق الخازر واخربت القرى ومنها سطرنينه وترستاباد ، وهاعلة ، وباتلى وغيرهامن القرى الاخرى التي رحل اهلها وبادواحق تداول الناس اخبارهاامثالا ممايشير الى قسوته قائلين « لم يرضوا بمنجاب فجاءهم الحرشي » (١) وكل ماكان يهدف اليه الحرشي من ذلك هو ارضاء السلطة المركزية عن طريق حمل المزيد من الاموال للخزينة ، وبالفعل فقد جبى الحرشي من الموصل ستة الاف درهم فحملها الى الرشيد وهو بالرقة فأمر بدفعها الى مملوكة خالصة فلما بلغ الحرشي ذلك قال : « انا لله وانا اليه راجعون ، هلك الناس والصبيان على يدي وتدفع الى مملوكه ! » (٢) ولذلك يبدو انه قد ندم على سوء تصرفه هـــذا ، وقد علق الازدي على تصرفات الحرشي هذه بقوله « والناس معه في شدة وعسف وظلم » (٣) . الواقع ان اجراءات كهذه تؤدي بلاريب الى نشر الفساد والفوضى في البلد ، ويؤدي الى ظهور قطاع الطرق والاشرار وذلك بسبب الضائقة الاقتصادية التي

= انهم اتجهوا الى اذربيجان المجاورة لاقليم الجزيرة من جهة الشرق ، ويبدو ان الاقليم كان يتمتع بالاستقرار والخيرات فاختير من قبل العناصر المهاجرة .

(١) الازدي ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

(٢) ن . م ، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

(٣) ن . م ، ٢٩٣ .

تدفع الناس الى الالتجاء الى مختلف السبل لسد لقمة العيش وتشير المصادر الى حالات انقطعت فيها الطرق وان الوالي قد توقف عن مباشرة اعماله وامتنع من الجباية حتى يتفرغ للقضاء على اللصوص وقطاع الطرق قبل استئناف اعماله من جديد .

تولى بعد الحرشي مدينة الموصل هرثمة بن اعين بعد عزل الحرشي ، وقد واصل هذا اتباع حملات التعسف والشدة ازاء المواطنين (١) . ولعل في سكوت الخلافة يشير الى رضاها على ذلك بل ربما كانت ترغب في القضاء على القوى المحركة للاحداث عن طريق اضعافها بهذا الاسلوب . وقد لعب العمال دورا بارزا في ذلك واصبحت سياسة استعداء بعض السكان على بعضهم سياسة معتبرة ، ففي سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م ايد عامل الموصل احمد بن يزيد (٢) النزارية ضد اليمانية بعد ان لاحظ قوتهم ورهبة الناس لجانبهم ، بعد ان فشل في تدبير مؤامرة لاغتيال زعمائهم ، وسيطرت اليمانية على الاوضاع في الموصل وقاتلوا الوالي وانتصروا على قوات الخلافة ، وتشير المصادر الى ان الرشيد بدأ بارسال التعزيزات لقوات الخلافة غير ان ذلك لم يمنع اليمانية من الانتصار مرة ثانية (٣) ، وهكذا يمكن ان نقرر هنا

---

(١) الازدي ، ص ٢٩٥ .

(٢) هو احمد بن يزيد بن اسيد بن زفر بن اسماء بن اسيد بن قنفذ ابن جابر (ابن الكلبي ، جمهرة النسب مخطوط لندن ، ورقة ١٦١ أ ـ ب) .

(٣) راجع الازدي ، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

بأن السلطة اعتمدت سياسة حفظ التوازن عن طريق ضرب القبائل ببعضها واثارة النعرات القبلية لهذا الهدف . وقـــد اعاد الخليفة الرشيد النظر في سياسته تجاه الموصل حينما اراد ان يعالج الوضع المتأزم بحكمة ودراية وذلك بارسال والي كفوء على ولاية الموصـل وهو يزيد بن مزيد الشـــيباني (*) ، حيث جرده على رأس قوة عسكرية كبيرة لمواجهة مسببي الاضطرابات وقد لجأ يزيد لمجابهة الوضع المتأزم الى اتباع سياسة مزدوجة بين الحكمة والمرونة السياسية من جهة والصرامة واستعمال القوة من جهة ثانية في سـبيل الوصول الى حل جذري لهذه الازمة المستفحلة وكان موفقا الى حدما في حـل المشكلة حيث اتجه الى الموصل ، فاستقبل في طريقه اليها بحرب شديدة بينه وبين اليمانية بزعامة حاتم بشهرزور ، فهزمهم يزيد ، فرجعوا السلق (**) واتجه يزيد الى حبتون ، وصـار حاتم واصـحابه الى البابه فمنعوا يزيد من الدخول الى السلق ، وطالت الايام الى ان قلت الميرة في عسكر يزيد ، ثم وقع في حيوانات عسكره المرض (١) غير

(*) ويقول الازدي «بأنه لما هزم حاتم بن صالح الهمداني ، أبا قدامـة السلمي قلدهـا هارون مكانه يزيد بن مزيد» ص ٢٩٧ . فذلك دليل على ان ابا قدامة السلمي كان قد ولي الموصل في فترة الفوضى قبيل ان يتولاها يزيد .

(**) احد جبال الموصل .

(١) الازدي ن.م ، ص ٢٩٧ .

ان حاتم انتهج سياسة المرونة والتقارب من يزيد حينما بدأ بارسال الميرة بشكل عظيم وبكميات كبيرة ، كما ارسل له الدواب المنهطة ، فقرر يزيد ترك فكرة الحرب معهم ، واستحسن كرم حاتم لعسكره، ورد عليه عسكره الذي كان معه ، وكانوا اربعة آلاف مرتزق ، وضم اليه المسيب في الف فارس وراجل ، فلما رحل يزيد صار حاتم الى البابه وضبطها ويبدو ان المواد الغذائية بدأت تقل في معسكر يزيد ، وكان المسيب يلح على يزيد بحربهم والزحف عليهم فامتنع يزيد عن ذلك (١) وفاءا من يزيد لاكرام حاتم له ولعسكره ، ثم ان حاتم قاد ثلاثين فارسا في وجوه اليمانية حتى وصل الى يزيد ودخل مضربه ، فاستقبله يزيد وتحدثا معا ، وحال المسيب احد رجال يزيد ان يغدر بحاتم لما انصرف من عند يزيد ، حينما امر رجاله ان يقبضوا عليه فامتنع منهم حاتم ووقف الى جانبه عسكر يزيد ونصروه ضد المسيب الذي استعتب على يزيد والذي قال له « ان حاتما في الطاعة متى تأمره مواف ومتى تأمره انصرف » فاتصل الخبر بحاتم فكتب الى يزيد انه « متى ورد عليك كتاب بموافاة باب السلطان وافيت ولم أتأخر » ثم اتجه يزيد والمسيب الى الرقة لمواجهة الرشيد الذي اخبره بدخول حاتم للطاعة وما عامله به (٢) وكان يزيد قد دخل مع وجوه

(١) الازدي ن.م ص ٢٩٧ـ٢٩٨ .

(٢) ن . م ، ص ٢٩٨ـ٢٩٩ .

اليمانية الى الرشيد وسألوه في امره وان (يجبر ما فعله يزيد بن مزيد) الى حاتم بن صالح بالموافاة وبذلك فقد ورد حاتم في جميع رجال اليمن فدخل على الرشيد فأكرمه وامر له بمبلغ من المال ثم وهب له خراج سنة وانصرف الى بلده (١) .

وكان لسياسته هذه احسن الاثر في تجنب ولاية الموصل من اضطرابات ومشاكل محتملة ومما عضد سياسة يزيد هذه الموقف الايجابي الذي اظهره حاتم ومعه اليمانية في تخفيف حدة الصراع وبالتالي انتقال الجميع الى مائدة الخليفة الرشيد بالرقة حيث تمت تسوية جميع القضايا والاختلافات فيما بينهم .

واذا كان الوالي يساهم في قضائه على المشاكل بدور بارز ، واذا كان ينجح في مهمته هذه فانه في احيان اخرى يدفع بحياته ثمنا لمساهمته ولدوره في القضاء على تلك المشاكل ، واذا كانت بنو تغلب قد اغتالت والي الموصل روح بن صالح الهمداني سنة ١٧١ هـ/٧٨٧م ، فان قبيلة عنزة اغتالت والي الموصل الحسن بن صالح الهمداني سنة

---

(١) الازدي ص ٢٩٩ .

يقول الازدي : « وامر له بمال جليل فخرج حاتم ففرق جميع المال في ايام يسيرة وركبه الدين وكان حاتم كريما واتصل خبره بالرشيد، فأمره بالانصراف . الى بلده ووهبه خراج سنة فانصرف على حال جميل » (الازدي ، ص ٢٩٩) .

١٩٣هـ/٨٠٨ م حينما صار الى حزة من اعماله فاجتمعت عليه عنزة فقتلته وتمكن ابنه علي بن الحسن من جمع جيش بالاشتراك مع الحصين الذي قدم من الجبل في خلق من الناس فصاروا الى بلد عنزة فقتلوا منهم خلقاً كثيرا (١) .

وكان سبب قتله انه أتجه اليهم يطالب بصدقات الاعراب فاخذها ثم قدم الى عنزة يطالبهم بالصدقات فاجتمعت عنزة الى شيبان وشكوا امره ، فاتفقوا على ان يأتوه ليلا فقتلوه ودفنوه (٢) غير ان ولده علي لم تهدأ ثائرته ، واستطاع ان يعد العدة للثأر لابيه وللانتقام من عنزة فانضم اليه بنو الحارث بن كعب من الدينور وخرجوا في صفوة رجالهم وصعاليكهم وكتبوا الى انصارهم في الموصل فأستجاب لهم عدد كبير من المقاتلين قدر بألف مقاتل من الازد وبقية قبائل اليمن بقيادة تميم بن اياس الطمثاني غير ان وصول اخبار هذه الحشود والتجمعات قد أثارت حفيظة زعماء قبائل عنزة الذين بادروا الى الاسراع والانضمام الى قوات شيبان التي كانت قد تجمعت في الجانب الغربي من نهر جبليا ـ من اراضي الموصل ـ حيث كانت تواجه قوات القبائل اليمانية المتجمعة في الجانب الشرقي منه ، واستطاع اليمانية تحقيق النصر حينما بدأوا الهجوم مما هيأ لهم الاستفادة من فرصة المفاجأة

---

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٣١٤ .

(٢) ن.م.ص ٣١٥-٣١٦ .

في الحرب وهكذا قدرّ لعلي بن الحسن ان ينتصر وان يعود بقواته الى الموصل ظافرا وكان ذلك ـ كما يذكر الازدي ـ سبب رآسته(١).

ومع ان احداث الصراع الدموي قد انتهت فان آثارها استمرت تعمل وتؤثر في المجتمع فترة طويلة فقد ذهب في خلال احــداث الصــراع عدد كبير من القتلى وأنحلت الوحدة الظاهرية في المجتمع وعمت الفوضى جوانب كثيرة من الحياة العامــة . ولعل في اقدام الخلافة على تعيين ولاة من العائلة الهاشمية مايشير الى ادراكها لطبيعة الظروف والحاجة الملحة الى الاصلاح والامل في ان يجري التوصل الى حل المشاكل المستحكمة . ولعل ذلك يفسر السبب الذي من أجلـه دعا الوالي الجديد أبراهيم بن العباس الهاشمي سنة ١٩٤هـ/٨٠٩ م الى اجتماع عام يستمع فيـه الى مشاكل الرعية ومظالمهم . والمرجح ان عمله هذا كان بتنسيق من العاصمة (٢) . ومن اجل وضع حد لهذه الفوضى الادارية اقترح عبدالملك بن صالح على الخليفة ان تؤلف قوة من اهل الشام يعتمد عليها في اعادة هيبة الخلافة فأقرّ الخليفة ذلك وولاه الشام والجزيرة (٣) . غير ان هذا الاقتراح قد جابه صـعوبات

---

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ص ٣٦٥ـ٣٦٦ .

(٢) ن.م. ص ٣١٥ـ٣١٦ .

(٣) عرض عبدالملك بن صالح على الخليفة محمد الامين بانه يستطيع ان يجعل اهل الشام قوة كبيرة يجعلهم في طاعة الخليفة لذلك=

جة في التطبيق اذ ان الحساسية من اهل خراسان واهل الشام لازالت فعالة والتعصب شديد ولذلك فان بذور الاختلاف التي كانت متوفرة قد دفعت بالوضع الى حالة الصراع الدموي ضمن قوة الخلافة وهكذا اندفعت الامور بسرعةالى عكس ما كان يتوقع بل ان الامور قدخرجت عن نطاق السيطرة الفعلية للوالي او لمركز الخلافة (١).

ويبدو ان دور بعض من الولاة في التأثير بالاحداث كان ضئيلا اذ لم تشر المصادر الىدوره في التأثير على مجريات الاحداث وقدظهرت خلال بعض احداث الصراع دلائل يتضح منها أن اشراف الموصلكانوا يلعبون دورا بارزا في توجيهها ، كما انهم يشـــرفون على امن المنطقة ويضرون مصالح الرعية حتى ان الولاة يظهرون في بعض الاحيان دون حول او قوة ولعل ذلك مما حدا بصاحب تاريخ الموصل الى القول بانهم « هم الغالبون على الامر » (٢) عند حديثه عن احوال الموصل سنة ١٩٥ هـ/٨١٠ م كما يلاحظ ان هؤلاء كانوا يؤثرون الى

= ولاه الشام والجزيرة (الطبري ، تاريخ ٤٢٦/٨ ، ابن الاثير كامل ، ٢٥٧/٦_٢٥٩ .

(١) راجع الطبري ٤٢٦/٨ ـ ٤٢٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٢٥٧/٦ ـ ٢٥٩) راجع عن الزواقيل الفصل الخاص بحركات المعارضة المتفرقة .

(٢) الازدي المصـــدر السابق ص ٣٢٤ .

حدما فى اختيار الولاة او عزلهم ويزداد الامر وضوحا عنـد حصول الازمات او اشتدادها (١) كما يبرز دورهم الفعال عند فشل السلطة المركزية فى ايجاد حل للمشاكل التي تواجه الادارة وقـد لعب بنوا الحسن دورا رئيسا في توجيه الاحداث ، ولعل ذلك، مما دعا الازدي الى الاطناب في الحديث عنهم طيلة ايام محمد الامين (٢) . وقد لعب عامل المغامرة والطموح الشخصي دورها ايضا في التأثير في الاحداث ويبدو ان ذلك يوضح ما كان يكمن خلف اقدام والي الموصل المطلب أبن عبدالله الخزاعي على أخذالبيعة للمأمون على من معه من الجندوعلى اهل الموصل مع أن الامين هوالذي عينه ، مدفوعا بالامل في ان يحصل على حظوة ومكانة في العهد المرتقب الجديد (٣) .

ذلك لان منصب الولاية للموصل اصبح مصدرا مباشرا للصراع السياسي بين المتغلبين والطامعين من جانب والولاة الرسميين للخلافة من جانب آخر فوالي الموصل سـنة ١٩٧هـ/٨١٢ م الحسن بن عمر بن الخطاب العدوي ـ والذي عينه الامين ـ نافسه ونازعه على الولاية ،علي أبن الحسن الهمداني ، حيث كان متغلبا على الموصل وامرها بيده ، فاقتنع في ولايته وقال أهل الموصل « لا يلينا ربعي » فبعث اليهم الحسن « ما رعيت في ولاية بلدكم الا لأرد نسبي الى أصله فانا" قوم من

(١) الازدي . ص ٣٢٤ (٢) ن . م ص ٣٢٤
(٣) ن . م ص ٣٢٤ .

كنده من المتكون على ما ذكرتم ولم يزل يكاتب بني الحسن ووجوه الناس الى ان اجابوه الى الدخول »(١).

وفي سنة ١٩٨ هـ/٨١٣ م اصبح علي بن الحسن بن صالح بن عبادة الهمداني واليا على الموصل من قبل طاهر بن الحسين (٢) والذي لعب دورا أساسيا هاما في حسم النزاع القبلي بين بني تغلب وبني اسامة وبرهن على اجادة دوره كوال، حينما ساهم بشكل واضح في استئصال جذور الخلاف بين الاطراف المتنازعة بتعاونه مع أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي ممثل بني اسامة الذي بادر الى المصالحة مع الوالي، وحل الوفاق بينهما محل الخلاف والنزاع (٣).

غير ان علي بن الحسن الهمداني قتل سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م حينما اراد طرد الازد الى عمان لينفرد الهمداني بالنفوذ والسلطان ولما علم الازد بذلك ثاروا على علي بن الحسن والهمدانيين وطالت الحرب بينهم الى ان تضرر الازد ثم خرج كثير منهم عن الموصل (٤) ثم تهيأ للازد رجـــل قوى هو السيد بن انس والذي كـان من

(١) الازدي، المصدر السابق، ص ٣٢٦، مع مراجعة الفصل الخاص بالمعارضة القبلية .

(٢) ن . م . ص ٣٣٣ (يراجع الفصل الخاص بحركات المعارضة المتفرقة (المعارضة القبلية) .

(٣) ن . م . ص ٣٤٦ .

(٤) ن.م ، ص ٣٤٦ .

« الشجعان الفصحاء » (١) حيث قاد الأزد في صراعهم مع بني الحسن واليمانية ، وحقق عليهم انتصاراً لامعا بعد ان اخرجهم من الموصل الى الحديثة ، وقتل والى الموصـــل علي بن الحسن بالحديثة ، ورجع السيد منها الى الموصل وقدمته الازد عليها وتولى امرها ، ودعا للمأمون وانتظم امره فيها (٢) وبذلك تسنم السيد بن أنس الازدي منصب الولاية من خلال النزاع القبلي بالموصل ، ومن ثم استقرت الاوضاع ولعب السيد دورا بارزا في اقرارها وروى انه « كان يجبي المال ويعطي الرجال ويحمي البلد الى ان قدم المأمون بغداد من خرسان فانحدر اليه » (٣)وكان قد قتل عدة افراد من بني الحسن ، وخرج بنو الحسن جميعا عن الموصل حيث حمل جميعهم ـ الحسن بن عمر بن الخطاب العدوي ـ الى برقعيد فمكثوا سبع سنين (٣) .

وبما تجدر الاشارة اليه ان احداث الاضطراب والفوضى هذه قد رافقت اضطراب الاوضاع العامة للخلافة الاسلامية خلال فتنة الامين والمأمون ، وبعد ان نشر السيد الاستقرار بالموصل انحدر الى الخليفة المأمون سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م بسبب تظلم محمد بن الحسن بن صالح

---

(١) الزركلي ، الاعلام ، ٣ / ٢١٦ .

(٢) الازدي ، نفس المصدر ، ص ٣٤٦ .

(٣) ن . م . ص ٣٤٦ .

(٤) ن.م.ص ٣٤٩ـ٣٥٠ .

منه وذكره قتله لاخوته . فلما دخـل عليه قال له المأمون « أنت السيد ؟ قال : أمير المؤمنين السيد ، وانا ابن أنس ، فاستحسنه منه ، وأحضره طبقا فيه اربعون صنفا من المعادن من اذربيجان وارمينية فيها ، ذهب ، ورصاص ، وزئبق ، وزرنيخ ، وغير ذلك : فقال : ياأمير المؤمنين ، هذه كلها من زريق بن صـدقة وقـد غلب عليها ، وذكر مبلغ اموالها وسأله ان يوليه حربه ففعل » (١) .

أما محمد بن الحسن فقد صادف ان اجتمع هو والسيد في مجلس الخليفة المأمون فعرّض بقوله : « يا أمير المؤمنين هذا قتل اخوتي » فلما استوضح المأمون الخبر اجابه السيد بقوله : « صدق يا أمير المؤمنين، ولو كان معهم لقتلته ، هؤلاء شقوا العصا وأدخلوا الخارجي بلدك وأعلوه منبرك وأبطلوا الدعوة لك » وهكذا فقد كانت حجة السـيد قوية عند الخليفة المأمون ، وكان أقوى تأييد لقيه السيد في حديثـه مع المأمون هو تأكيده على مسألة الخوارج ، واتخاذها ذريعة ضـد اعدائه واعداء الخلافة في نفس الوقت الذي يقوى فيه مركزه ويرفع شأنه لدى الخليفة . وهذا ما حصل فعلا اذ استحسن المأمون بلاغة السيد اذ قلّده المأمون في أعقاب ذلك ولاية الموصل . واجتمع اليه رجالها (٣) .

---

(١) الازدي ، نفس المصدر ، ص ٣٥٤ .

(٢) ن.م. ص ٣٥٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ٦/٣٥٨ـ٣٥٩ .

(٣) الازدي ، ص ٣٥٥ .

أتجه السيد لتولية الموصل وعهده فيها يعتبر عهد جديد ، وذلك لقوته كوالي وشخصيته الفذة فقد كان واسع الذكاء مجربا خبيرا بما يجب عمله مؤثرا مصلحة الاخرين على مصلحته الخاصة وتذكر المصادر امثلة كثيرة لهذه الوجهة منها ما ذكره الازدي من انه وزع يوما خمسمائة الف درهم وصلته في حين ان فرقها ملابسه كانت رثة والضرر عليه بيّن(١) اذ لم يكن هدفه اشباع رغباته ، بل كان يهدف لتعزيز مركز الولاية ضد خصومه في الداخل والخارج في نفس الوقت الذي يحقق فيــــه رضى الرعية (٢) والتفافها حوله من أجل تقوية مركزه في مجابهة اعدائه.

---

(١) روي انه صب يوما بين يدى الســيد خمسمائة الف درهم ، فجعل يفرقها على الرجال ، وعليه جبة ملحم ، وتحتها قميص قد تحرق كمه فيكفه بيده ويدخله الى كمه حتى فرقه وهو يقول « زن لفلان كذا وزن لفلان كذا » ويشير بيده ، فيظهر الخرق، حتى فرق المال عن آخره ، فقال ابي عبــــدالله بن رويم المعاق التليدي : ياعم الا يشتري لنفسه في هذا المال قميصا بدينارين يستريح من هـذا الخرق ؟ فقال الســيد للمعلق : باي شيء ، سارك رويم ؟ فاخبره المعاق فقال السيد : لو كانت همتي في اللباس لبالغت فيه ، ولكن همتي في اعزاز الوالي واذلال العدو، الازدي ن.م ص ٣٥٥) .

(٢) ومن امثلة ذلك انه اجتمع على سليمان بن عمران مائة الف =

وهكذا فقد كان السيد يستهدف التفاف الناس حوله . وقد تحقق له ذلك فعلا اذ تمتعت الولاية في أغلب عهده بالهدوء والاستقرار مما استحق ان يوضع ضمن قائمة الولاة القديرين غير ان الامور لم يقدر لها الاستمرار على هذا الخطب فقد وقفت الموصل على ابواب ازمة حادة أظهر فيها السيد شجاعة وبراعة فائقتين واخذ الكفاءة في القضاء على عناصر الاضطراب والفوضى . وقد كان سبب ذلك ان زريق بن صدقة كان قد طلب من المأمون ان يتولى محاربة الخارجين على الدولة العباسية (*). فأذن له المأمون فاتجه الى ارمينيه لحربه ، ثم انصرف عن ولايـــة ارمينيا واذربيجان بدون ان يحقق أي مكسب للخلافـــة ولم يلتزم

= درهم في مال الخراج في ولاية السيد ، ولم يقدر على أدائها فاختفى مدة . فخرج يوما في السحر ليتحول من دار الى دار فاتفق ان لقيه السيد فاخذه فقال : « ابو الفوارس ؟ قال تفرمني وعليك مائة الف درهم ؟ قال : قد كان ذاك قال : صيروا به الى الدار حتى أعود » ، وكان سليمان يتوقع منه ما يكره فلما عاد قال : « احتسبوها في المظالم » وحمل اليه مائة الف درهم (الازدي ، ص ٣٦٧) .

(*) ن.م ص ٣٥٦ـ٣٥٨ ، راجع ما كتبه الدكتور فاروق عمر عن البابكية والخرمية حيث طلب اليه محاربة الخرمي احد الخارجين على الخلافة العباسية .

بقيادة أزاءها ، مما أدى الى اضطراب الخليفة المأمون وبسبب ذلك أستدعى السيد فاعلمه بما ورد عليه من خبر زريق فقال : « يا أمير المؤمنين نفس غير معرفة بالطاعة فكيف توجد عنده الطاعة ؟ وانما هو رجل كان ابوه صعلوكا يغير ويفسد آوى الى جبل فحازه لنفسه وانتزعه من أهله فوجه اليه الرشيد احمد بن يحيى الحرشي حتى اذ اوغل في جبله فرّ أحمد فأسره علي بن صدقة وقتله . فلما همّ الرشيد بتوجيه العساكر نحوه تهيأ له الخروج الى خراسان فشغل عنه وتوفي بها » . ثم قوى أمره وقضى علي نحبه وصار الامر الى ابنه زريق ، « فجمع الجموع فتارة يغير على الرساتيق الارمنية والاذربية والموصلية ، ومرة زحف الينا في نحو ثلاثين الف فارس يغير علينا ويحصرنا في مصرنا والحق الناس كافة في البلد المعترّه والمكروه » (١) وهكذا أمر المأمون ان يتقلد السيد مسؤولية حرب زريق اضافة الى مسووليته في الموصل مما أدى الى ان تقف الموصل على أبواب ازمة حادة بسبب المشاكل والفوضى في مناطقها وما جاورها ، وتوجب على السيد ان يواجه ذلك الخطر ، ويمكن القول بان كثيراً من الاخطار كانت تماثل هذه من حيث انها تبدأ في مناطق بعيدة عن الموصل ثم ينتقل اثرها ليصيب مدينة الموصل وأهلها . ويبدو ان زريق قد طمع في مدينة الموصل وقد شجعه على ذلك سوابق مشابهة مكنت في الماضي عددا من الطامعين في تحقيق اهدافهم في الوصول الى السلطة فيها ، كما فعل بنو الحسن

---

(١) الازدي ، ٣٥٦-٣٥٨ .

الهمدانيون (١) وكما فعل السيد نفسه .

وفي سنة ٢٠٦ هـ/ ٨٢١ م حصل اول تصادم غير متكافئ بين قوى الخلافة العباسية بقيادة السيد وبين القوى الهائلة التي جمعها زريق تحت قيادته وكان الخذلان متوقعا للسيد وجيشه في هذه المعركة التي حصلت على ضفاف نهر الزاب ، (٢) ان هذا الحدث قد أنذر الخلافة العباسية بالخطر الكبير الذي تواجهه ، كما انها عرضت أمن الموصل ومركز السيد نفسه لخطر شديد ، اضف الى ذلك ان الخطر لم يقتصر على مجابهة قوات زريق فحسب بل ان انتصار زريق قد شجع القبائل على الثورة والاضطراب ولذلك كتب المأمون للسيد : « ان بني وديعة وشيبان وبني مرّة قد قطعوا الطريق في طريق خراسان ، وأخـــذوا اموال السلطان فاقصدهم بنفسك وعشائرك حتى تستأصل شأفتهم ، وأسب ذريتهم ، » (٣) وقد نفذ السيد امر الخليفة العباسي فقد خرج باهل الموصل وأتى نواحي الدسكرة حيث كان تجمع القبائل « فكبسهم وقتل خلقاً كثيرا وأسر خلقا كثيرا ، وأخذ اموالهم ثم وافى السّن ، فوضع الرؤوس والاسرى في السفن وانفذها الى المأمون واباح جنده

---

(١) يراجع الفصـــل الخاص بحركات المعارضـــة المتفرقة (المعارضة القبلية) .

(٢) الازدي ، تاريخ ، ص ٣٥٩-٣٦٠ .

(٣) ن.م. ص ٣٦٤ .

وعشائره المال ولم يرزأ (*) منه شيئا » (١) .

وهكذا تمكن السيد من ان يعيد الامن والاستقرار الى طريق خراسان وان ينفذ أوامر الخليفة الموجهة ضد بني شيبان وعلى الرغم من حالة الاستقرار والارتياح التي أعقبت انتصارات السيد هذه على قوى القبائل فان هزيمته في صدامه مع زريق كانت عامل اضطراب نفسي وعدم استقرار عانى منه السيد كثيرا كما ان الحياة لم تعد الى حالتها الطبيعية في الموصل في اعقاب ذلك . وكان الخليفة المأمون كثير الاعتزاز بالسيد ، ولعل ذلك قد انعكس في موقف طاهر بن الحسين عنه ، ويذكر الازدي صورة واضحة من رأي طاهر بن الحسين لما قتل السيد حاتم بن صالح بالسلق قال طاهر بن الحسين : « قتل حاتما والله لاقتلنه » ، فبلغت السيد ، فاتى طاهر فقال : قد قتلت حاتما ، وقد والله ندمت على قتله ، ولكن أمر قضاه الله عز وجل قال : « والله لولا خوفي ان يكون قد ذهب وتذهب انت بعده مع الفضل الذي فيك فتذهبان مع من في العشيرة مما لقتلتك » (٢) .

لقد حافظ السيد على اخلاصه للخلافة العباسية والنصح لها حتى آخر ايامه وقد كان لذلك اثره في استتباب الامن وضبط النظام ، فحينما قطع بنو مالك الطريق على جماعة من نصارى الموصل

---

(١) الازدي ، تاريخ ، ص ٣٦٤ .

(*) أي انه لم يصطف لنفسه منه شيئا .

(٢) الازدي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .

(*) حيث كان بنوا مالك نزولا هناك خرج السيد في وجوه أهل الموصل وهددهم قائلا « ... فوالله لاضعن السيف فيكم : البريء والسقيم ، فقالوا : « هو السيد يفي » فاحضروه الاعدال (**) بعينها والمال بخواتيمة ومائة رجل الذين أخذوه وتولوا القطع فضرب اعناقهم جميعا وصلبهم مكانهم وحلف : « لئن زال من الخشب واحدة أو فقد من الرجال رجل واحد لاعودن اليكم » وانصرف الى الموصل(١) ولعل في لجوئه الى الشدة ازاء المفسدين كان بسبب ما تمليه طبيعة الظروف المحيطة اذ لولا ذلك لعمت الفوضى وانفرط حبل الأمن .

وبجانب ذلك فان البحث في صفات السيد تكشف عن الصفات الحميدة التي يتصف بها في معاملته للرعية بغض النظر عن معتقداتهم الدينية ، وتكشف لنا روح التسامح الديني الذي يتصف بها ولظرته العادلة الى الرعية بغض النظر عن معتقداتهم .

وتجددت الحرب مع زريق ثانية سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م وكان زريق قد جمع قواته التي قدرت بعشرين الف مقاتل وتوجه يريد مقاتلة السيد الذي حصن مدينة الموصل عبر الجانب الشرقي ولكي يتصدى لخصمه ويبدو ان الظروف لم تكن مواتية لكلا الطرفين اذ انهما

(١) الازدي ، المصدر السابق ص ٣٦٨ .

(*) وكان يقال لهؤلاء النصارى « بنوحرنوسا بنواحي الكحيل) من اهل الموصل ص ٣٦٨ .

(**) جمع عدل وهو ما يحمل فيه المواد الغذائية او غيرها من البضائع.

« اجتمعا واصطلحا » (١) .

لم يحقق هذا الصلح طموح زريق وخاصة بعد ان جمع كل مالديه من طاقة . لعله فسر الصلح فيما بعد بانه انتصار للسيد الذي نجح في تأمين الاستقرار وبسط سلطة الخلافة العباسية وازالة اسباب الفوضى . وقد صادف ان قبض السيد على اثنين من انصار زريق وضيقّ عليهما ، فكاتبا من سجنهما زريق يستعينان به على السيد . وقد زاد ذلك من الوضع المتأزم بين الطرفين والذي نجم عن طموح الزعيمين ورغبة كل منهما في الاستئثار باسباب القوة والمنعة (٢) مما تسبب الى تجميع الطرفين لقواهما والتصادم العنيف حيث التقى الطرفان في سوق الاحد وكان مما أعتاده السيد انه « اذا تراءت الخيل ان يكون أول من يحمل ، فطرح عمامته ودعا الى نفسه ، فحمل وحمل رجل كان عليه يمين الطلاق اذا رأى السيد حمل عليه فتصادما جميعاً ، فاختلفا بينهما ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه » (٣) وهكذا ذهب السيد ضحية لتسرعه وعدم تحفظه ووفاءا لدوره الذي يجب ان يقوم به كل والٍ بنفسه في القضاء على الثورات والفتن التي تعترضه في ادارة الولاية . فلا غرابة في ان نجد المأمون يأسف لقتله ويادر

---

(١) الازدي ، ص ٣٧١ .

(٢) راجع الازدي ص ٣٧١ .

(٣) الازدي ، ٣٧٣-٣٧٤

فورا بتعيين محمد بن حميد الطوسي (*) حرب زريق بن علي (١) حيث أراد الخليفة ان يعاقب مسببي الاضطراب فقد عين محمد بن حميد واليا على الموصل ، واتجه في قوة كبيرة لمواجهة زريق ويبدو ان قوة زريق كانت كبيرة جداً ، وكان الوالي الجديد يخشى بأسها على الرغم من ان الخليفة هيأ له كل ما يحتاج اليه لمحاربة زريق ، ونلمس ذلك من خلال دعوة والي الموصـــل محمد لزريق في ان يضع يده في يده فسأله زريق أجلا في ذلك ، وكان الجيشان متقابلين حيث ان زريق اقبل حتى نزل الزاب من الجانب الشرقي ونزل محمد بن حميد من الجانب الغربي (٢) وكان زريق مغترا بقواته وبثقته بنفسـه وبجنده والتي أزدادت في أثر مقتل السيد . واستنادا الى هذه التقديرات فقد نقض زريق عهده مع محمد بن حميد والي الموصل (٣) واخـذ الطرفان يستعدان للحرب فقد أجتمع الى محمد بن حميد ، محمد بن السيد ، وتليد ، وطثمان وهمدان ، وطي ، وبني الحارث بن كعب فصار معه منهم خلق كثير ، وأراد محمد بن حميد مبادرة زريق بالحرب حينما

(١) الازدي ، نفس المصدر ، ص ٣٧٤ .
(٢) ن.م ص ٣٧٩ .
(٣) ن م، ص ٣٧٩ .
(*) وكان محمد بن حميد شجاعا ممدوحا جودا ، رثاه الشـــعراء واكثروا (الزركلي ، الاعلام ، ٣٤٣/٦) .

خاض الزاب في تعبئة قواته ، فرده" زريق وقتل عدداً من مقاتلة الطرفين ثم حمل عليه ثانية « فروّع محمد زريقا فلما استقرت الخيل على الزاب انحاز زريق عن عسكره ثم ثبت » (١) وكان من اسباب رجحان كفة محمد بن حميد في هـذه الحرب رغم قوة زريق واصحابه ، يعود لانضمام العديد من ابناء القبائل اليه كما مر بنا اضافة الى اخلاص هؤلاء له ، امثال معلق التليدي الذي أبلى بلاءا حسناً (٢) وكذلك انضمام محمد بن السيد الذي قال فيه محمد بن حميد : « هذا ابن عمي قد عزم وهو فارس العرب وأكره ان يتلف ، وكان يريد من محمد ان يأذن للرجال في اتباعه فقال : يتلف الى لعنة الله ، فانصرف محمد مغضبا وصرخ في أهله ، فاتبعه تليد وطثمان ، ومعن وبنو الحارث بن كعب وحملوا حملة رجل واحد فاشرف محمد بن حميد عليهم ورأى جماعتهم ، فلما وصل الى اصحاب زريق انهزموا» (٣) وبذلك استطاع محمد بن السيد ان يغير ميزان القوى لصالح الخلافة وان يحقق النصر لقواته مما نجم عنه انسحاب زريق الى الجبل وكانت لقوة محمد بن السيد اثرها الفعال في دحر زريق والتي قال فيها محمد بن حميد « وكان مع محمد بن السيد الف فارس ، لو لقيت بهم الروم

(١) الازدي ، نفس المصدر ، ٣٨٠ .
(٢) ن.م. ص ٣٨٠ .
(٣) ن.م. ص ٣٨٠ .

لكنت واثقا »(١)وبعد انسحاب زريق الى الجبل كاتب محمد بن حميد « وسأله الامان على ان يخرج اليه ويضع يده في يده فاعطاه ذلك على ان يحمله الى أمير المؤمنين المأمون فخرج اليه فحمله الى المأمون» (٢) .

وهكذا فقد تخلصت الموصـــل من اكبر خطر كان يهـــدد أمنها واستقرارها . والواقع ان ذلك لم يقتصر على الموصل فقط بل ازال عن الخلافة نفسها خطرا حقيقيا مؤثرا . ويبدو ان الخليفة كان يراقب الاحداث عن كثب متابعا لتطوراتها . اذ لم يكن مطمئنا على الوضع في المنطقة ، كما انه قد اظهر غضبا وألماالمقتل السيد ، فلا غرابة فإن يبادر الخليفة بعد ان بلغته اخبار هذا الانتصار ان يبادر بالكتابة الى محمد بن حميد « اما بعـد فان أمير المؤمنين لما وهب الله تعالى له فيك وفتح له على يديك قد رأى ان يثيبك على ذلك ما تستحقه منـه لقديم طاعة أبيك ونصيحته وحديث طاعتك ونصيحتك باقطاعك ما غلب عليه سيفك من بلاد زريق ورساتيقه وحصونه وضياعه وقلاعه وما حصل في يدك من نعمة وكراعه وسائر أمواله ، فاعلم ذلك من رأي أمـــير المؤمنين ، وخذه لنفسك مباركا لك فيـــه واكتب الى أمير المؤمنين بمبلغ ذلك على التمييز منك له ، ليعرفه لا أنه استكثر لك حظ أيسر ولده وأوقعهم بقلبه ان شاء الله تعالى » (٣) وذلك ما يعكس مدى

(١) الازدي ، ص ٣٨٠ .

(٢) ن.م. ص ٣٨١ .

(٣) ن.م. ص ٣٨١ـ٣٨٢ .

ما أولاه الخليفة هذه المسألة من اهتمام كبير وتقييمه لروعة الانتصار الذي حققته قوات الخلافة عن المتمردين ، ولما ورد كتاب الخليفة الى محمد بن حميد دعا بموسى بن علي بن صدقة ومن كان معه من أهل بيته وكذلك أبناء زريق بن علي فقرأ عليهم الكتاب قائـــلا لهم : « ما تقولون فيما امرني به أمير المؤمنين وجعله لي ، قالوا : سمعا وطاعة ، انفذ ما أمرك به وحز ذلك » قال : وقد طابت به انفسكم ؟ قالوا : الطاعة تطيب به انفسنا وما خرج من أيدينا يضر بنا وتزول به النعمة عنا ، فقال محمد بن حميد : « اللهم إني اشهدك اني قد قبلت ما حباني به أمير المؤمنين من أموالهم وأقطعنيه من ضياعهم ، وجدت بها لهم ورددتها عليهم » وأشهد من حضر على ذلك ، ثم نهض من مجلسه وهو يقول : (انصرفوا الى ضياعكم واموالكم) (١) ولذلك فقد رد الوالي محمد بن حميد ، الضياع والاملاك التي وهبها له الخليفة الى ابناء زريق ، مستهدفا من وراء ذلك اســترضائهم لكي يضمن خضوعهم لسلطته وليأمن شرهم فى المستقبل وهكذا فقد قدر لمحمد بن حميد ان يعيد الاوضاع الى حالتها الاعتيادية وان يعيد الاستقرار الى الموصل ، مما أدى الى تراقي منزلته عند الخليفة . ولعل ذلك قد أدى بالخليفة الى ان يرشحه لمحاربة بابك الخرمي .

ثم تقلد ولاية الموصل هارون بن ابي خالد حيث احسن السيرة الى اهلها (٢) .

(١) الازدي ، ص ٣٨٢

(٢) وروي انه اذا مر على الصبيان بالموصل سلم عليهم (ن.م.ص ٣٨٥)

وقد أهتم باعمار المرافق وحفر القنوات التي تمر بها المياه الى دجلة، وفي أحدى المناسبات وفد عليه وفد من اهل الموصل راجعين من ملطية، فدخلوا عليه ليسألوه مصالح بلدهم ، فبرك على ركبتيه اكراما لهم ، وقال : « ســلوا حوائجكم ، وأمر من يكتبها فاجابهم الى كل ما ألتمسوه »(١) .

وهكذا انتقلت الموصل من حالة الاضطراب والعنف الى حالة من الامن والاستقرار ومن ثم الاصلاح والتعمير ، وقد تسلم الادارة بعده مالك بن طوق ، الذي كان « رجلا نبيلا له لب ووقار وجلاله » (٢) ولذا نجد ان ولاية الموصل في أواخر عهد المأمون كانت قد تسلم منصبها عدد من الولاة الاشداء ذوي السياسة الحميدة في ادارة ولايتهم ، ولم تحدث في الموصل في اعقاب ولاية مالك بن طوق اية مشاكل ، وذلك حتى وفاة الخليفة المأمون .

---

(١) الازدي ، نفس المصدر ، ص ٣٨٥ .

(٢) ن.م.ص. ٣٩٥ : روى الازدي عن حديث هارون بن الصقر بن نجده الغزي قال : سمعت محمد بن احمد بن أبي المثنى يقول : ما علمنا ان في العرب اغير من مالك بن طوق في أيامه ، تزوج بابنة الحسن بن عمر التغلبي فحملها الى الرحبة فزارها أخوها فلان بن الحسن فاقام سنة الى ان وصل الى من وصل اليه كلامها (راجع الازدي ٣٩٥_٣٩٦) وراجع ما قاله الشـعراء فيه (٣٩٦_٣٩٨) .

ومما لا شك فيه فأن البعض من ولاة الموصل والجزيرة كان لهم دوراً مهما في ادارة الاقليم ، والقضاء على كثير من اسباب الفوضى والاضطراب فيه ، وان كثرة تبدل الولاة في الاقليم عامة والموصل خاصة كان يعكس لنا مدى عدم وفرة الاستقرار فيها . وان ما قام به الولاة من اصلاحات في مختلف مرافق الحياة العامة في الاقليم سواءاً في المجال العسكري او السياسي ما يوضح هذه الحقيقة ونجد ان كثرة الفوضى والاضطراب في الاقليم ، كان يعود لوجود الكثير من الافكار المعادية للعباسيين في الجزيرة والموصل ، وخاصة الخوارج ، والمؤيدين للامويين الذين كانوا متغلغلين بين السكان .

الربط في الجزيرة الفراتية

أصلها من الرباط بكسر الراء وهو الاقامة على جهاد العدو في الحرب وارتباط الخيل ازاء العدو في بعض الثغور ، وواحدها ربط وجمع الربط رباطا وهو جمع الجمع (١) ويرى المقريزي بان الرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو وأصله ان يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغور رباطا وربما سميت الخيل نفسها رباطا والرباط المواظبة على الامر (٢) .

---

(١) ابن منظور لسان العرب ، م ٧، ص ٣٠٢-٣٠٣ . الزبيدي ، تاج العروس ١٤١/٥ .

(٢) المقريزي - المواعظ والاعتبار ج ٢ (القاهرة ، ١٢٩٤) ص ٤٢٧ .

وكان ظهور الربط لاول مرة في التاريخ الاسلامي مرتبطا بالناحية الدينية التي تقضي المرابطة في المسجد للصلاة (١) ، ويرى سعيد خليل ان نشوء الربط كان معاصرا للفتوحات الاسلامية التي بدأت منذ عهد الخليفة ابي بكر رضي الله عنه (٢) . في حين يرى الدكتور السامر ان الربط اطلق اول الامر على المكان او الثغر الذي يرابط فيه جنود المسلمين للجهاد في سبيل الله ويلازمونه لرصد العدو (٣) ، كانت الوظيفة العسكرية للربط من ابرز ما كانت تقوم به في مجال عملها حيث كانت تؤكد على الجهاد في سبيل الله كما نص على ذلك القرآن والسنة (٤) وزادت اهميتها في العصر الاموي والعصر العباسي الاول وخاصة

(١) عن ابي هريرة رضي الله عنه - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا : بلى يا رسول الله قال : اسباغ الوضوء على المكارة وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط » ابن الاثير، النهاية فى غريب الحديث والاثر ج ٢ (القاهرة ١٩٦٣) ص ١٨٥ .

(٢) راجع سعيد خليل ، الربط الاسلامية ، اطروحة ماجستير (بغداد ، ١٩٧٣) .

(٣) د. السامر و د. دكسن ، محاضرات فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية (بغداد ، ١٩٧١-١٩٧٢) ص ٧١ .

(٤) قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط =

في زمن الرشيد الذي كان عصره حافلا بالجهاد ضد البيزنطيين . ثم تطورت مفاهيم الربط وتعددت بعد تطور الحياة الاسلامية حيث أصبحت ذات خدمات اجتماعية وثقافية (١) .

= الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » سورة الانفال ، آية ٦٠ قال الطبري في تفسيره للآية : في حديث عن الرسـول الكريم « صلى الله عليه وسلم » قال : « ... الا ان الرمي هـو القوة ... » جامع البيان ، جـ ١٤ (القاهرة ،١٩٥٨) ص ٣١ وقال تعالى : « ... وصابروا ورابطوا ... » سورة آل عمران آية ٢٠٠ وفي الحديث الشريف : ان رسول الله صلى الله عليه قال : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » الامام مسلم ، الجامع الصحيح ج ٦ (استانبول، ١٣٨٤)ص ٥١ والمنذري ، الترغيب والترهيب جـ ٢ (القاهرة ، ١٩٦٨) ص ٢٤٣ ابن تيمية ، مجموعة الرسائل الكبرى ج ٢ (القاهرة ، لا. ت) ص ٦٢ وفي الحديث الشريف ايضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها... » الامام البخاري صحيح البخاري ج٤ (القاهرة،١٣١٣)ص٤٣ وقال صلى الله عليه وسلم: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر » المنذري الترغيب والترهيب جـ ٢ ، ص ٢٤٣ ، العباسي ، اثار الاول في تاريخ الدول (القاهرة ، ١٢٩٥) ص١٦٦.

(١) « وتطور مفهوم الربط واخذ يطلق على المكان الذي ترابط فيه =

ويبدو أن استعمال الربط في الأعم والأغلب كان في الأقاليم التي تقع في نهايات الحدود الاسلامية بعيدا عن مركز الخلافة ولعل اقليم الجزيرة واحدا من ابرز الامثلة على ذلك ، فهذا الاقليم يتاخم الحدود البيزنطية في شمال الدولة الاسلامية اضافة الى انه يشمل مساحات واسعة من الاراضي ، وعند ملاحظتنا للربط الخاصة بالاقليم نجد ان هناك الربط المعتادة والتي تقع طبيعيا في ثغورها على الحدود المواجهة للدولة البيزنطية في حين هناك ربطا في داخل الاقليم ، تقوم بوظيفة الامن الداخلي للاقليم وذلك بمجابهة حركات المعارضة التي يخشى تكرر ظهورها في الداخل كالخوارج مثلا وكذلك للاستفادة منها في تقديم النجدات السريعة للثغور وذلك لاشغال المهاجمين الى حين ورود النجدات العسكرية الاساسية التي تشمل على جيش الدولة النظامي

= الصوفية للعبادة والتوبة ومجاهدة النفس ، كما صار مأوى للعاجزين والنساء والمطلقات والمهجورات واليتامى والفقراء ومسكنا للفقهاء الغرباء واحيانا لكبار العلماء ، حيث اصبحت الربط تؤدي خدمات اجتماعية ودينية وثقافية كالوعظ والاقراء والتحديث والافتاء والسماع ومنح الاجازات العلمية وتصنيف الكتب ومما ساعد على ذلك ان الواقفين انشأوا فيها الخزائن وأوقفوا عليها الكتب (السامر ودكسن ، محاضرات في تاريخ الحضارة الاسلامية) ص ٧١ .

والمجاهدين والمتطوعين عند الازمات ، وربما يستفاد من الربط في بعض الاحيان لاقلاق راحة القوى المعادية الخارجية عن طريق القيام بالهجمات (الصائفة) ، وكذلك يمكن الاستفادة منها بناء على اوامر الخلافة اذا دعت الضرورة الى ذلك ، غير ان النصوص لاتشير صراحة الى انواع الربط ولا عن وظائفها في حين ان الربط الخارجية تكون مقراتها في الحصون والثغور المواجهة للاعداء وتشحن عادة بالمقاتلة وتخزن فيها المواد الغذائية والاسلحة لفترات طويلة ويكون واجبها الاساسي هو مواجهة الخطر الخارجي الموجه من قبل الاعداء .

تشير مصادرنا التاريخية « الازدي خاصة » الى انه نشأ في الاقليم عدد كبير من الربط المتصلة فهي تذكرها بشكل عام غير مخصص تحت ربط الجزيرة .

وكانت هذه الربط اداة فعالة حيث كانت فرقاً عسكرية ذات قوات مدربة متأهبة وهي تحمل السلاح على الدوام بحيث يمكن توجيهها في أي وقت الى اية جهة تحتاج الى مساندتها غير انها ترابط عادة في المناطق التي تكون بحاجة دائمية اليها . وكانت ربط الجزيرة مقرها الموصل وذلك لمكانة الخوارج فيها وكان قائد الرابطة يكون عادة في المقدمة ولذلك فان حياته تبقى معرضة للخطر وذلك لان الاندفاع في سبيل الله يجعل الانسان حريصا دائما على الشهادة . وكان من ابرز قادة ربط الجزيرة حرب بن عبدالله الراوندي فكان يتسنم اضافة الى وظيفة صاحب شرطة الموصل حيث كان عدد افراده حوالي الفي فارس وكان مقر الرابطة في الموصل (١) . وكان حرب مقيما في الموصل وذلك

(١) الازدي المصدر السابق ص ١٩٤-١٩٥ وهو صاحب الحربية =

لمكافحة الخوارج الذين في الجزيرة (١) وكان نظام رابطة الجزيرة « ان صاحب الرابطة يكون متبتلا - اي منقطعا - لحرب الخوارج ويد الوالي في ما قيل عليه » (٢) .

وكانت ربط الجزيرة لها دورها في اوقات الازمات الحادة التي تمر بها الخلافة فقد يجتهد الخليفة الرأي ويفضل المصلحة ذات المساس المباشر به على المصلحة العامة بالثغور او الامن الداخلي للاقاليم . فلما ثار محمد بن عبدالله بالمدينة وابراهيم بالبصرة ورد كتاب الخليفة ابي جعفر على حرب صاحب رابطة الموصل يأمره بالقدوم عليه ليستعان به على ما يمكن ان يستعان به من مشكلتيهما ، فلما ورد عليه الكتاب اتجه الى دار الخلافة فلما وصل « بباحمشا » اعترض له اهلها وقالوا : « لا ندعك تجوز لتنصر ابا جعفر على ابراهيم . فقال لهم : ويحكم اني لا أريد بكم سوءا وأنا مار فدعوني . قالوا لا والله لا تجوزنا ابدا فقاتلهم فابادهم وحمل رؤوسهم الى ابي جعفر فقدم عليه

= ببغداد ، « ويبدو ان حربا كان صاحب شرطة الموصل حيث تسنم نفس المنصب لفترة فيها وائل بن الشحاج وقال قوم على حربها . الازدي ص ١٩٧ وراجع الزركلي ، الاعلام ١٨٣/٢ .

(١) الطبري المصدر السابق ، جـ ٨ ص ٧ ، الازدي ص ١٩٥ ، الكتبي، عيون التواريخ جـ ٣ ق ١ ورقة ٥٢ ب . ابن الجوزي ، منتظم ٥١٢/٨ ب .

(٢) الازدي المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

بها فقال له أبو جعفر : ما هذا ؟ فقص عليه قصتهم فقال هذا »(١).
هذا نموذج لما قام به صاحب رابطة الموصـــل وذلك لتقديم النجدة للخلافة في الوقت المناسب للقضاء على خطر الثورة التي حدثت ضد الخلافة ، أما في مجال الخطر الخارجي فان الربط كانت مهيأة للمشاركة في الدفاع عن الاقاليم ايضاً . ففي سنة ١٤٧ ﻫ اغار استرخان الخوارزمي في جمع من الترك على المسلمين بناحية ارمينية وسبى من المسلمين وأهل الذمة خلقا كثيرا ، (٢) وكان حرباً مقيما في الموصـل . وكتب الخليفة الى حرب يأمره بالسير مع جبريل بن يحيى فانتصر عليه ترك الخزر فقتلوه (٣) . وهكذا فان قبول هـذا النص يدل على ان قوة الرباط والمرابطين فيه قد يستفاد منها خارج نطاق الغرض الاسـاسي الذي أقيم من اجله الرباط كما يشير الى انهم كانوا يتصرفون بناء على ما يؤمرون به من قبل الخليفة .

واضافة الى مساهمة ربط الجزيرة في المحاولات العديدة للقضاء على ثورة ذي النفس الزكية والى اشتراكها في التصدي لخطر ترك الخزر فانها قامت بواجبها الاسـاسي الذي من اجله أقيمت في الجزيرة سـنة ١٦٩ ﻫ /٧٨٥م حينما كان يتولى قيادتها ابو نعيم بن موسى بن نصر وذلك لما ثار حمزة الخارجي في الجزيرة وكان على حربها وصلاتها حمزة أبن مالك الخزاعي الذي وجد ابا نعيم وكان من اشد قوادهم فالتقوا بباعربايا « من ارض الموصل » فخرج حمزة بن ابراهيم واكثر القتل في

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ .
(٢) الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ص ٧ .
(٣) الازدي ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

أصحابه وانتصر الخوارج واستعلى أمرهم وجاز اصحابه بعض ماغنموا وبعث اليهم « بليل » صاحب امر الخوارج بالجزيرة وورد رجلين من اصحابه فقتلا حمزة الخارجي (١) .

ومن الشخصيات الشهيرة التي تولت ربط الموصل واليها روح بن حاتم الذي اغتالته تغلب سنة ١٧١ هـ / ٧٨٧ م (٢) ولذلك فان الربط في اقليم الجزيرة رغم قلة معلوماتنا كانت قد قدمت نماذج لما كانت تقوم به من الواجبات المتنوعةسواء في خارج الاقليم للقضاء على ثورات داخلية في اقاليم أخرى أو في نفس الاقليم او للقضاء على الاخطار الخارجية للاقليم كما مرّ بنا .

العمال :

لقد تطرقنا في الفصل الثاني - من البحث - الى طرق جباية الواردات في الاقليم حيث كان ولاة الخلفاء بالجزيرة يعينون عمال الجباية في مناطق الاقليم ، غير ان الخلفاء اثناء ترددهم للاقليم كانوا يعاقبون كل من يسيء السيرة من هؤلاء العمال فمثلا كان والي الجزيرة سنة ١٣٧ هـ / ٧٥٤ م-١٤٢ هـ / ٧٥٩ م العباس بن محمد قد عين جباة قساة مهمتهم مراقبة تسجيل العقارات والمزارع ، ففي ماردين عين خليل بن زادان - الفارسي الاصل - جابيا وحاول اعادة العرب الهاربين من المدينة ابتعادا من دفع الضرائب ، وكذلك لاستيفاء الجزية والخراج من الذميين ، ويصفة دانيوسيوس بانه « سبب أضرارا كثيرة للعرب ، فانه لم يكن مثله ولا قبله ولا فيما بعده في كره العرب » وان هذا

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

(٢) ن.م. ص ٢٦٨ .

الاضطهاد شمل الجزيرة كلها بحيث لم يسمح للعرب بالحصاد الى امامه(١) وينتقد دائيوسيس اسلوب الجباة بانهم « كانوا يدخلون حقول العرب والسوريين وعوض المائة يسجلون ثلاثمائة ، وحينما زار الخليفة المنصور الجزيرة سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م في طريقه للقدس امر ان يجتمع اليه الكتاب والعمال ، فامر باقالتهم لسوء تصرفهم ، وعين آخرين محلهم للجباية بدلا من الذين اساؤا السيرة ، ولما راجع الخليفة من لقدس عزل العباس بن محمد من الجزيرة ، وعين محله موسى بن كعب الذي عين جباة آخرين بعد ان امر الخليفة بان يتجه الى بغداد جميع الكتاب والجباة الذين كانوا في المنطقة ايام عباس لكي يحاسبهم ، فجيء بهم الى بلد فحبسهم فيها (٢) وكان عمال الجزيرة عامة شديدي السلوك في معاملتهم للرعية ، رغم مراقبة الولاة لهم وفي احيان اخرى نجد ان ولاة الجزيرة كانوا يقومون بدور صاحب الخراج كما حدث سنة ١٥٥هـ/٧٧١م لوالي الجزيرة موسى بن كعب (٣) ، وسنة ١٦٩هـ/٧٨٥ م لمنصور بن زياد الذي تولى خراجها وصدقاتها اضافة الى صلاحياته كوالي (٤) .

أما في ولاية الموصل فنجد ان الوالي كان اضافة الى اعماله السياسية والادارية الاخرى نجد انه في احيان كثيرة كان يقوم بجباية الخراج نفسه ، حيث كان « رسم الموصل ان يكون الوالي مفردا بالصلوات

---

(١) دائيوسيس ، كتاب التاريخ ، ص ١٢١-١٢٥ .

(٢) ن.م.ص ١٤٦ .

(٣) الطبري . تاريخ ، ٨/٤٧ .

(٤) الازدي المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

والمعونة والخراج - ان ضم اليه ... » (١) كما كان بعض القضاة يقومون مقام الوالي في اعمال الجباية وذلك لجباية الخراج بأنفسهم كما حدث لقاضي الموصل الحارث بن الجارود العكي الذي تولى قضاءها وخراجها سنة ١٤٧ هـ (٢) ، ولعل السبب في ذلك هو كثرة الاضطراب بالموصل وعدم استقرارها ، بسبب كثرة الخوارج فيها ، ولذلك لم يعين عمال للجباية حيث كان الولاة انفسهم يقومون بها ، خشية من تصرفات بعض القبائل من عمال الجباية فنجد ان والي الموصل روح بن صالح الهمداني الذي ولاه الرشيد الموصل وصدقات بني تغلب ، قتلته تغلب سنة ١٧١هـ/٧٨٧ م حينما خرج يطالبهم بصدقاتهم (٣) .

ومما تقدم نجد ان عمال الجباية بالجزيرة كانوا قساة في سلوكهم تجاه الرعية استنادا الى ما اورده دانيوسيس ، ولكن يجب ان لا يغرب عن بالنا ان دانيوسيس مبالغ في احيان كثيرة في ذلك ، ولكن هذا لا يمانع في اعتماد العمال القسوة في الجباية في مناطق الجزيرة وذلك لصعوبة مراقبتهم من قبل الولاة . أما في الموصل فقد كان الولاة يقومون مقام عمال الجباية غير انهم في احيان كثيرة كانوا يسيئون معاملة السكان رغبة في الحصول على اكبر قدر ممكن من الاموال لارضاء الخلافة كما فعل والي الموصل الحرشي سنة ١٨٠هـ/٧٩٦ م (٤)

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ص ١٩٥ (راجع الملحق الخاص بصاحب خراج الموصل والجزيرة .

(٢) ن.م.ص ٢٠٢ .

(٣) ن.م. راجع ص ٢٦٧-٢٦٨ .

(٤) ن . م . راجع ص ٢٨٦ - ٢٨٨

كما ان الخوارج كانوا يسلبون الناس اموالهم ولذلك فكان السكان يحتجون بالخوارج حينما يطالبوا بالاموال ، « وذلك ان الخوارج كانت تخرج ولا يصل الى اصحاب السلطان شيء » (١) .

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ٢٧٥

الفصل الخامس

حـــركات المعارضة الخـارجية

الخوارج بالجزيرة الفراتية بين ١٢٦هـ / ٧٤٣ م

و ـ ٢١٤ هـ ـ ٨٢٩ م

الخوارج في اواخر العهد الاموي: ١٢٧هـ/٧٤٤م

١٢٩ هـ/٧٤٦ م

شهدت الجزيرة الفراتية حركات معارضة متعددة واصطبغت بصبغات متنوعة لكون قبائلها بدوية محرومة من العطاء الذي كان يمنح للمقاتلة فقط فكانت القبائل سـرعان ماتنظم لاية حركة معارضة للسلطة لان نجـاح الحركة يعد كسباً لهم من ناحية السلب والنهب ، كما وانهم اذا فشلت الحركة يهربون الى بادية الشام والعراق ويتخلصوا من نتائجها السلبية ولعل ذلك يتمثل في حركتي المعارضة الخارجية والاموية .

وشهدت الجزيرة في اواخر العصر الاموي ـ عهد مروان بن محمد ـ أعنف الحركات الخارجية شدة وقوة . وكانت الجزيرة من المراكز الرئيسة للحركات الخارجية منذ أواسط العصر الاموي . ويبدو ان الحركة الخارجية ـ ونتيجة لاسباب متداخلة ـ قد وجدت لها خلال عصر مروان بن محمد جوا مناسبا في منطقة الجزيرة . والراجح

أن ضعف الادارة الاموية خـلال هذه الفترة المتأخرة قد أسهم في تهيأة الجو الملائم لنشاطهم ويبـدو ان ذلك النشاط كان من اسباب ضعفهم أيضا .

ان حصيلة ذلك كان وصول الاوضاع العامة في بلدان الخلافة الى حالة من الفوضى وكذلك العصوبة القبلية في انحاء مختلفة منها وخاصة بلاد الشام والعراق وخراسان (١)وهكذا فان بالامكان اعتبار الخوارج في مقدمة المعارضة الـــتي كانت تتحين الفرص القضاء على الحكم الاموي في الشام .

أدرك الدعاة العباسيون على مايظهر الاتجاهات الخارجية في اقليم الجزيرة الفراتية خلال اواخر الحكم الاموي فقد ورد في وصية محمد ابن علي العباس (٢) قوله مخاطبا الدعاة « . . . واما الجزيرة فحرورية مارقه ، واعرب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى . . . » (٣) مما يشير الى ادراك كامل لطبيعة مايسود الجزيرة خلال تلك الفترة من اتجاهات ، وكان بعض خوارجها من الصفرية (*) ، ومما قيل

---

(١) راجع د . احمد شلبي ، التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ج ٢ (القاهرة، ١٩٦٠) ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

(٢) محمد بن علي بن عبـد الله بن العباس عبد المطلب الهاشمي عن الوصية ، انظر مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، ص ٢٠٦ فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ١١٠ ـ ١٩٢ .

(٣) مجهول : اخبار الدولة العباسية ص ٢٠٦ ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار ٢٠٤/١ ابن الفقيه الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ص ٣١٥ .

(*) ومن بين فرق الخوارج بالجزيرة (الصفرية) واختلفت آراء المؤرخين في سبب تسميتها بذلك فالرأي الشائع انهم سموا =

في الجزيرة«أنها خارجية لانها مسكن ربيعة وهي رأس كل فتنة واكثرها

= بذلك نسبة الى زياد بن الاصفر (البغدادي ، الفرق بين الفرق ص ٩٠ ـ ٩١ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ج ١ (القاهرة ، ١٣١٧) ص١٨٤ ـ ١٨٥ ، مجهول ، الفرق الاسلامية (مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا ـ جامعة بغداد ، كلية الاداب تحت رقم ١٤٧١ ص ٧٠ ، محمد أبو زهرة ، المذاهب الاسلامية (القاهرة ، لا . ت) ص ١٢٤ ـ ١٢٥ وفي رواية انها سميت بعبدالله الصفار (المبرد الكامل فى الادب) ج ٣ (القاهرة ، ١٩٥٦) ص٢٧٥ ويذكر المبرد انها سميت بذلك لقول اكثر المتكلمين بانهم انهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم (ن . م ، ٢٧٥/٣) والصفرية بصورة عامة قولهم كقول الازارقة (احد الفرق الخارجية ، راجع الدجيلي الازارقة اطروحة ماجستير (بغداد ، ١٩٧١) في ان اصحاب الذنب مشركون غير ان الصفرية لا يرون قتل اطفال مخالفيهم ونسائهم والازارقة يرون ذلك (البغدادي ، الفرق بين الفرق ٩٠ ـ ٩١ وهم فرق عديدة منهم العجاردة وينقسمون الى فرق ومنهم الميمونية ، والثعالبة ومنهم الرشيدية والفضلية (راجع ابن حزم ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ١٨٩/٤ ـ ١٩١) ومن اهم فرق الصفرية البيهسية ومن فرقها ـ العونية (ن م ١٨٩/٤ ـ ١٩١) والبيهسية اصحاب ابن بيهس (المبرد ، المصدر السابق ٢٧٦/٣) استحلوا استعراض الناس بالسيف وقتلهم على مذهب الازارقة من الخوارج في قتل أهل القبلة (النوبختي ، فرق الشيعة (نجف ، لا . ت) ص٩٦) ويعلل فلها وزن بان فرقة الصفرية لم تكن لتدوم الا بقدر مايدوم =

= الوفاق بينهم وبين جماعة المسلمين ثم تأخذ بهم الشدة مأخذها حينما يخرجون بسيوفهم ، فالصفرية يمثلون النموذج التقليدي للخوارج (الخوارج والشيعة (القاهرة ، ١٩٥٨) ص١٢٨ـ١٣١) وكان الصفرية يتمركزون بالجزيرة الفراتية كما ان لهم نفوذ واسع في شمال افريقيا) د . احمد ابراهيم الشريف ، العالم الاسلامي (القاهرة ، ١٩٦٦) ص١١٧) د . فاروق ، العباسيون الاوائل ٢٥٦ـ٢٦١) غير انها لم تكن من الفرق التي لا شأن لها فان ثوراتها واثرها في السياسة العامة ما يجعلها ذات شأن غير يسير (سهير القلماوي ، أدب الخوارج في العصر الاموي(القاهرة ١٩٤٥)ص٧٥ واضافة الى الصفرية فان هناك طائفة من الخوارج الاباضية في مدينة الرقة الحراني، تاريخ الرقة ٢/٦٣ ـ ٦٤) راجع علي يحيى معمر الاباضية في موكب التاريخ (القاهرة ، ١٩٦٤ ص ٣٨) وهم اصحاب عبدالله بن اباض الذي خرج ايام مروان بن محمد فوجه اليه عبدالله بن محمد بن عطية فقاتله بتباله (الشهرستاني، الملل والنحل ١/هامش ص ١٨٠ـ١٨١) ويرى الاباضية ان مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال وغنيمة اموالهم من السلاح والكراع عندالحرب حلال وما سواه حرام . وحرام قتلهم وسبيهم في الغيلة بعد نصب القتال واقامة الحجة وان دار مخالفيهم من اهل الاسلام دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار بغي واجازوا شهادة مخالفيهم على على اوليائهم وان مرتكبي الكبائر موحدون لامؤمنون (مجهول الفرق الاسلامية مخطوط ورقة ٧) وقد افترقت الاباضية فرقا معظمها ثلاث فرق، حفصية وحارثية واليزيدية (البغدادي، الفرق بين الفرق ص٩٠).

أسارى وخوارج »(١) كما أن مدينة البوازيج يسكنها خوارج الغالب عليهم ايواء اللصوص وفعل القبائح وشرى السرقات »(٢) ولهذا فان وجود القبائل العربية القوية الشكيمة كبكر وتغلب وغيرها وموقع المنطقة الجغرافي بين شعوب وعناصر مختلفة من العرب والاكراد والارمن والروم والفرس كان طبيعيا ان يخلق فيها جوا مضطرب النزعات والعقائد والاراء ، ويرحب بكل فكرة تدعو الى التمرد والعصيان والانتفاض ضد نظام أي حكم كان (٣) .

وأخيرا يمكن القول ان اكثر خوارج الجزيرة من الصفرية فلما ثار ثابت بن نعيم سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م قال « أنا الاصفر القحطاني » ، وكانت حركة الخوارج في الجزيرة قد ضعفت في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك (٤) نتيجة لسياسته الحازمة حيث انها اخذ الضعف ينتابها قبيل عهده ، غير انها عادت الى نشاطها الاول وبشكل ملحوظ خلال عهد مروان بعد احداث الفتن في العراق والشام ، قال ابن خلدون « ... وشغل مروان فانتفض عليه خوارج الجزيرة » ,(٥) .

ثورة سعيد بن بحدل سنة ١٢٦هـ/٧٤٣ م

وكانت أول ثورة خارجية تحدث في هـــذه الاثناء . حيث كانت

---

(١) الديبي ، عجائب البلدان مخطوط ، ورقة ٧٥ ـ ٧٦ ، ابن عبد ربه العقد الفريد ٦ / ٢٤٨ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٣ .

(٣) الجومرد ، هارون الرشيد جـ ٢ (بيروت ، ١٩٥٦) ص ٣٠٠ .

(٤) راجع ، الكبيسي ، اطروحة هشام بن عبدالملك .

(٥) المصدر السابق ، ٣/٣٥٠ .

أوضاع الخلافة مضطربة في أعقاب قتل الوليد سنة ١٢٦ هـ (١) فاغتنم سعيد بن بحدل قتله واشتغال مروان بأمر الشام فخرج بارض كفرتوثا (٢) ويبدو انه عبر دجلة الى قردي ، ثم سار حتى نزل المرج (٣) في أول يوم من شهر رمضان (٤) ويمكن أعتبار ذلك بداية للحركة الخارجية في الجزيرة خلال عصر مروان ، وقد حققت هذه الحركة انتصارا في خط سيرها واتساعها حتى شملت بعض المناطق ذات الاهمية في ادارة السواد. كما سنرى .

ولما أتجه سعيد الى الموصل لقي أبو كرب رجلا من حمير كان قد خرج في كثير من الناس وتسمى بأمير المؤمنين ، فقد تناظرا في خرجهما فوجدوا ان سعيدا قد خرج قبله فسلم أبو كرب الامر اليه ، ونفروا أصحابه (٥) .

ولعل وحدة الجماعة والعمل من أجل تحقيق الهدف المشترك اضافة الى الايمان الراسخ بشرعية دعوتهم كانت عوامل فعالة في

---

(١) هو الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وقتل سنة ١٢٦ .

(٢) الطبري تاريخ ٣١٦/٧ ، د فاروق المرجع السابق ، ٢٤٦/١ .

(٣) قردى من مناطق شمال الموصل قرب جزيرة ابن عمر ، اما المرج فانها من كور الموصل (خليفة ، تاريخ ، ٣٩٠/٢) .

(٤) ن.م ٣٩٠/٢ .

(٥) ن.م ، ٣٩٠ الازدي تاريخ الموصل ، ص ٦٠ .

تحقيقهم النصر على أعدائهم وهكذا التف عدد كبير (*) من المقاتلين الاشداء بقوة تحت زعامة سعيد بن بحدل (١) حتى نزل في مدينـــة الموصل أياماً فسألوه ان يرحل منهم ، وأعطوه الرضى فرحل عنهم(٢) .

وكان شيبان قد تزعم حركة الخوارج في شهرزور وقبل ان يتصل بسعيد ، أصطدم بأحد قادة الدولة من أهل الشام فانتصر عليه (٣) وهكذا قدر لشيبان ان يتقوى وتشتد حركته ،وفي هذه الاثناء دخلت الحركة مرحلة جديدة تتسم بالاتساع والشمول ، فيذكر خليفة بن خياط اخبار مسير سعيد هذا الى شهرزور ومناظرته لشيبان اليشكري في محاولة التعرف على اي منهما اسبق في اعلان الثورة لكي يطوعه التالي منهما وكيف ان ذلك أدى الى تسليم شيبان اليشكري لسعيد قيادة الحركة والتحاقه به (٤) .

ولقد اتفقت تواريخ الانتفاضات والحركات الخارجية الى درجـة انه يبدو وكأن زعماء هذه الحركات كانوا على اتفاق مسبق على القيام

---

(١) خليفة،٢/٣٩٠

(٢) ن،م ، ٢/٣٩٠

(٣) خليفة ، المصدر السابق ٢/٣٩٠ ، الازدي ص ٦٠ حيث كان يقال له نصر .

(٤) خليفة ، المصدر السابق ٢/٣٩٠ ، الازدي ، المصدر السابق ص ٦٠ .

(*) (حيث اجتمع اليه خمس مائة رجل (خليفة ، ٢ / ٣٩٠) وفي رواية (٢٠٠ شخص مجهول ، غرر السير ورقة ، ١١ ب) .

بحركاتهم في مواضع مختلفة من الجزيرة وفي موعد واحد . ويمكن القول بأن أول نجاح حققته الخوارج حتى هذه المرحلة يمثل بداية لمرحلة جديدة أتصفت بالتعاون المثمر وتشخيص الاخطار عل الزعامة الحكيمة مما أدى الى تطور الحركة فيما بعد . ان الانتصار الذي حققه اصر على أهل الشام كان أول نجاح عسكري حقيقي حققه الخوارج على القوات الاموية .

لقد كانت هذه الحركة وهي أول حركة معارضه خارجية في السنوات الاخيرة من الحكم الاموي قد زادت في تعميق عوامل التفكك في الخلافة الاموية وكانت بداية لحركات ضربت أنحاء مختلفة من ديار الاسلام (١) وهي على الرغم من بساطتها - في بداية امرها - فانها حققت انتصارا واضحا مما دال على أمرين بارزين هما ضعف الخلافة من جهة وتوفر الظروف الملائمة لتحقيق ذلك الانتصار من جهة اخرى . كما ان ذلك يكشف عن جوانب التعاون الحاصل بين مختلف فرق الخوارج اذ حصلت ثلاث ثورات خارجية في آن واحد (٢) هذا اضافة الى انها عكست ضعف السلطة وان الخلافة

---

(١) فقد قامت ثورات عديدة سنة ١٢٦ هـ فقد ثار أهل حمص وأهل الاردن وفلسطين وثورة مروان بن محمد على يزيد بن الوليد ، وثورة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر سنة ١٢٧ وكذلك سليمان بن هشام فيما بعد على الخليفة مروان راجع الطبري المصدر السابق ٧/ ٢٢٦ - ٢٢٩ .

(٢) فقد ثار أبي حمزة الخارجي مع عبد الله بن يحيى بن ابي طالب سنة ١٢٨، الطبري ٧/ ٣٤٨ وكذلك شبيب بن مسلم الخارجي والذي =

الاموية لم تكن تملك القوة الرادعة القادرة على القضاء على الحركات المناوئة لها في وقت مبكر قبل ان يستفحل امرها وهذا ماحدث بالفعل فقد كانت قوات الخوارج تتحرك بحرية ويسر في مناطق متعددة في الجزيرة دون ان تتمكن الخلافة الاموية من ان توقف ذلك بشكل جدي . وقد زاد من خطورة الامر ان قوات الخوارج قد تعززت فقد تجمع لسعيد الخارجي قوة قدرت باربعة الاف مقاتل وهذا ماجعل ابن كثير يعلق على ذلك بقوله : انه لم « لم يجتمع مثلها لخارجي » (١) ويعلل د . فاروق هذا التجمع بأنه كان نتيجة للأسلوب الجديد الذي اتبعه خوارج الجزيرة حينئذ والذي يتمثل في قبولهم بانضمام كل حليف لهم ولم يطردوه اذا اراد ان يقاتل في صفوفهم ولذلك ازداد عددهم بكثرة (٢) وأصبحوا يقاتلون بجماهير قوية ووجد في هذا الجيش كثير من النسوة التي اتخذت اســـلحة الرجال وقاتلن قتالا جيدا (٣) .

وكان سعيد بن بهدل قد واجه حركة بسطام بن ليث التغلبي بأذربيجان وهو يرى البيهسية (*) فيما نقل البلاذري واضاف انه

= قتل سنة ١٣٠ هـ (الطبرى ، ٧ / ٣٥٨ ـ ٣٨٦) اضافة الى ثورات الخوارج هذه .

(١) البداية والنهاية ١٠ / ٢٥ ، دينيث ، زان بن محمد ، ص ٢٥٢

(٢) العباسيون الأوائل ١ / ٢٤٦ .

(٣) فلها وزن ، الخوارج والشيعة ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

(*) هم من الفرق الخارجية الذين يرون ان من واقع ذنبا لم تشهد عليه بالكفر حتى يرفع الى الوالي ويحد وقال بعضهم اذا كفر الامام =

كان يقتل الاطفال وكان يقول « اقتل المخلوق فالحقه بالخالق » وان خروجه كان في شعبان سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م اذ قدم اذربيجان فقتل عامل مروان فيها ومعه اربعون فارسا وهكذا فأن البداية الفعلية لهذه الحركة قد بدأت في اذربيجان ثم اتجهت في تحركاتها نحو الجزيرة الفراتية فقد قدم سعيد الموصل (١) حيث قاتله يحيى بن الحر بن يوسف (٢) ببلد فهزمه بسطام فأقام بها ماشيا ، وهكذا استقر في بلد ليريح قواته ويعززها ويمونها قبل ان يتجه الى قردى ... وقد صادف أن مرّ ببعض قوات الخلافة الاموية التي قدرت بما يزيد على الف مقاتل حيث فاجأهم ففرقهم بعد ان عمل فيهم مقتلة كبيرة قبل ان يتجه الى نصيبين (٣) وكان على نصيبين المنادى بن عقبة عاملا للامويين فاتاها واعطوه الرضا ، وبعد ذلك قدم الموصل مارا ببازبدي حيث صالحه أهلها وارتضوه أميرا عليهم وخلال ذلك حصلت بينه وبين الخليفة

= كفرت الرعية وقال بعضهم كل شراب حلال الاصل موضوع عمن سكر منه كل ما كان منه في السكر من ترك الصلاة والشتم لله عز وجل وليس فيه حد ولاكفر مادام في سكره ومنهم الصوفية وفرق اخرى البغدادي ، الفرق بن الفرق ، ص ١٠٩) .

(١) البلاذري ، انساب الاشراف ٨/٨أ (نسخة لندن ورقة٣٥٩).

(٢) هو الحر بن يوسف بن يحيى بن أبي العاص بن امية ، ن-م ، ٨/٨ أ) .

(٣) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ٤٠٢/٢ ، ديفيث ، مروان بن محمد ص ٢٥٠ .

الأموي مروان بن محمد مراسلات دعاه فيها الخليفة الى طاعته ونصرته غير ان نتيجة تلك المراسلات كانت طريقاً مغلقاً اذ ان كلا منهم كان ينطلق من وجهة نظر مغايرة للاخرى.

وهكذا رفض بسطام المحاولات الأموية للسـلام . وبعد ان بقي أشهرا في الموصل عاد بعدها الى بلد . ولعل ذلك سبب نجاح الامويين في اغراء بعض اصحابه وانضمامهم اليهم (١) . ان اهم خواص الحركات الخارجية وهي سرعة الظهور والاتساع قد تمثلت في هذه الحركـة الخارجية التي يبدو انها لم تكن من الحركات الاعتيادية او المحدودة فقد انتشرت لتمد آثارها في منطقة واسعة تمتد من اذربيجان شرقا الى تخوم الجزيرة الغربية في الغرب اضافة الى منطقة ارمينية في الشمال الشرقي من بلاد الخلافة الاسلامية . صادف بسطام في طريقه احد اصحاب الضحاك وهو اليمان الحميري الذي بيّن لبسـطام رغبته في الانضمام الى الأمويين فكان ذلك سببا كافيا لقتله . استعد عاصم بن يزيد الهلالي أمير الخلافة الاموية على ارمينيا لملاقاة بسطام فجهز جيشا أرسله لملاقاته إلا ان قائد هذه القوة قتل كما هزم اصحابه بعد ان قتل منهم الكثير (٣) والغريب ان بسطام غيّر وجهة سيره بعد هذا الانتصار فلم يواصل السير الى ارمينيا كما كان متوقعا بل عاد الى منطقة الموصل مبدلا سياسته السلمية مع المنطقة فقـد هجم على

---

(١) البلاذري ، المصدر السابق ٨/ ورقة ٨أ (نسخة لندن ورقة ٣٥٩) .

(٢) ن.م ، ٨/ ورقة ٨ أ (نسخة لندن ورقة ٣٥٩) .

(٣) ن . م ، ٨/٨أ ، خليفة ، تاريخ ٤٠٢/٢ ، دينيت ، المرجع السابق ص ٢٥١ .

الحناية (*) من أرض الموصل في يوم سوق لهم وقتل ثمانين رجلاً وأقام عشرين يوماً ، ثم اتجه الى شهرزور وكان بها جدار بن قيس الشيباني عامل مروان فتحصن منه (١) ولما يئس من حصارها عاد متجها الى السواد وقد صادف في طريقه بعض الاكراد فقتلهم ولعلهم اعترضوا طريقه بعد فشله في شهرزور . وهكذا فان الملامح الرئيسية لهذه الحركة قد تطورت فيما يبدو لتصبح الايمان المطلق بالعنف والقسوة اساس الاعتماد على استراتيجية عدم الاستقرار . ولعل طبيعة الظروف المحيطة كانت عاملا مساعدا لوجهة هذه الحركة الخارجية التي تعتقد بأن كل من يخالفها من المسلمين يجب قتاله . وهكذا فانهم لم يستقروا في أي من المناطق التي احتلوها . انحدر بسطام الى المدائن حيث شتت قوة كبيرة تصدت له بقيادة عامل الأمويين عليها - عزيز بن المتوكل - كما هزم جيشا ارسله لملاقاته احد زعماء بنو تميم من شيبان (٢) وتتفاوت الروايات التي يقدمها المؤرخون المسلمون تفاوتا كبيرا فالطبري يشير الى ان سعيد بن بحدل قد اشتبك مع بسطام بعد ان سار كل منهما الى صاحبه فلما تقارب العسكران وجه سعيد احد قواده - الخيبري - على رأس قوة كبيرة ليفاجئوهم . وهكذا فأنهم تمكنوا من يفاجئوا

---

(١) وهو شجرة بن زهير ، بلاذري ٨/ورقة ٨ أ خليفة ، المصدر السابق ٤٠٢/٢-٤٠٣ ، دينيث ، المرجع السابق ص ٢٥١ .

(٢) وكانت القوة مؤلفة من مائة وخمسين فارسا .

(*) موضع قرب مدينة الموصل في موضع السوق اليوم ، دينيث ، المرجع السابق ص ٢٥١ .

معسكر بسطام وهم غير متهيئين فأبادوا اكثرهم وقتل بسطام(١)وأغلب من معه ، ثم ولى عليهم رجل منهم يقال له مقاتل ويكنى ابو نمثل(٢) في حين تذكر المصادر ان الضحاك لما بلغه خبره بعث اليه شجرة بن زهير الشوباني والخيبري ، فلقيه الخيبري (*) فقتل بســطام وعامة اصحابه ثم اصبح يتوج من بقي كل منهم في المزارع والبساتين ، ثم باع الفيء وانصرف. وبلغ شجرة فانصرف (٣) ولذلك كانت نهاية البيهسية الفشل الذريع في الجزيرة ، رغم انها كشفت الى حدما ضعف السلطة الأموية وعجزها عن ردع حركات تبدأ بسيطة ثم يصـــادفها بعض النجاح فتتسع ، وتزداد عنفا ، ويصبح من الصعوبة القضاء

(١) الطبري المصدر السابق ٧/٣١٦ ، ابن الاثير كامل ٥/٣٣٤-٣٣٥ ، ابن الجوزي ، منتظم ٧/ ورقة ٤١٨ أ ، (ولما قتل بســطام قال الخيبري :

ان تك بسطام فاني الخيبري   اضرب بالسيف وأحمي عسكري

(٢) الطبري، تاريخ ٧/٣١٦ ، ابن الاثير ،كامل ٥/٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٣) خليفة ، ٢/٤٠٢-٤٠٣ : وقال احد الشعراء في ذلك :

حيا الاله الخيبري الذي الحق   روح الفاســـق المأزق

بالنار لا يصـلا كما انـه   قد يلحق المخلوق بالخالق

(بلاذرى ٨/ ورقة ٨ أ .)

(*) وتذكر الروايات الى ان هـــذه الصدامات العنيفة وقعت في الجزيرة وليس في العراق حيث تذكر ان سعيد بن بهدل بعد قضاءه على البيهسية مضى الى العراق(ابن الاثير ، كامل جـ٥/٣٣٤ ابن خلدون ٣/٣٥٠) .

عليها ، وقف الخوارج لحركة البيهسية بالمرصاد حيث أن نجاح هذه الحركة لم يكن يمثل مصلحة الخوارج الذين لم يرق لهم النجاح الذي حققته في بداية ظهورها ، كما ان ذلك قد كشف عن ضعف السلطة المركزية وعدم قدرتها على ايجاد حل لأمثال هذه الحركات العارضة خاصة ان الحركة الخارجية كانت قد قطعت شوطا بعيداً في تقدمها ونجاحها وهكذا فلم يكن الخوارج يريدون ان تصبح البيهسية من الحركات المناوئة لهم كما ان ليس من مصلحتهم ان تكون من القوى الفعالة في الجزيرة وهكذا تحدد موقفهم منها ومهدوا للقضاء عليها حيث قتل بسطام ورجاله ماعدا أربعة عشر رجلاً هربوا والتجأوا بعد ذلك الى مروان (١) . تقدم لنا المصادر الاسلامية صورة عن التطور في العلاقات الداخلية ضمن حركة الخوارج ذاتها خلال تلك المرحلة . كما تنقل لنا صورة عن طريقة اختيار (٢) قائد للحركة

---

(١) ديننيت ، المرجع السابق ، ٢٥١ .

(٢) روي انه « لما حضرت سعيد بن بحدل الوفاة سنة ١٢٧ بشهرزور اجتمع اليه خاصته فدعاهم وطلب اليه ان يعين وأن يستخلف عليهم رجلا محله منهم فجعلوا ذلك اليه فقال لهم اختاروا منكم عشرة فأخرج منهم عشرة ثم صيرهم الى أربعة ثم قال للأربعة اختاروا ، قالوا الضحاك بن قيس المحكمي وشيبان بن عبد العزيز اليشكري ، فقال لهما سعيد اختاروا الى المسلمين ولانفسكما ، فقال شيبان فأني اختار لنفسي وللطاعة الضحاك بن قيس ، او قال الضحاك شيبان ، فأبى شيبان الا الضحاك ، ورضي بذلك اصحابهما فبايعوا الضحاك (خليفة ، ٢/ ٣٩٥) الازدي تأريخ الموصل ، ص ٦٧ .

بعد سعيد بن بحدل وهو مشرف على الموت (*) . حيث خلفه الضحاك بن قيس بعد أن اطمأن الى رضى وأقرار الخوارج عموما لهذا الاختيار ، ولعل سعيد بن بحدل اراد من اتباع هذه الطريقة ان يجعلها شورى بالشكل الذي يفهمه الفكر الخارجي وهكذا أقر مبدأ الشورى الذي كان سائدا في العهد الراشدي ويشير خليفة بن خياط عند حديثه عن سعيد بن بحدل الى انه جعل الأمامة «شورى»(**) بين عدد من الرجال منهم الضحاك والخيبري وشيبان وعبيد بن سوار التغلبي (١) وان الاختيار وقع على الضحاك . ويبدو أن عبيد بن سورا التغلبي وهو احد الزعماء البارزين في الحركة الخارجية كان يطمح في الرياسة فتذكر المصادر بانه لم يرض بالضحاك غير انه اذعن مكرها الى اعطاء البيعة . (٢) امـا الطبري فانه لم يشـير الى طريقة الاختيار التي تمت والتي نقلها خليفة بن خياط غير انه ذكر بان سعيد بن بحدل قد استخلف الضحاك بن قيس من بعده (٣) ومن الممكن قبول الروايتين معا . ويبدو ان اولئك الذين رشحهم سعيد كانوا هم زعماء الحركة الخارجية ومن اصحاب النفوذ فيها .

(*) وروي ان سعيد بن بحدل مات في طاعون كان قد اصابه (ابن كثير ، البداية والنهاية) ١٠ / ٢٥) .

(**) ورد في القرآن الكريم قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وقال تعالى « وشاورهم في الأمر » .

(١) وكان غائبا بأذربيجان .

(٢) خليفة ، المصدر السابق ٢/٣٩٥ ، دينيت ، المرجع السابق ٢٥١-٢٥٢

(٣) الطبري ، ٢١٧/٧ .

ومن المحتمل ان تكون هناك بعض الاتصالات بين الخوارج في الجزيرة واذربيجان . ان الرواية التي ينقلها خليفة بن خياط عن قدوم ابي عبيدة بن سوار التغلبي من اذربيجان والتقائه بخوارج الجزيرة ما يعزز هذا الاحتمال ومما يزيد قوة الاحتمال ان بسطام لما خرج سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م توجه نحو اذربيجان حيث استقبله اليمان الحميري وهو من اصحاب الضحاك (١) بحيث اصبحت اذربيجان والجزيرة مركزا وارضا خصبة لتلك الثورات الخارجية (٢) . ولعل الحركة الخارجية حينئذ كانت منظمة الى درجة كبيرة كما ان قياداتها كانت شخصيات مرموقة ويبدو ان الانسجام كان فيها ويعتبر الضحاك من الزعماء الخوارج القديرين الذين قدر لهم ان يقودوا حركة الخوارج بكفاية ونجاح نحو التطور وهكذا فان اتساع نشاط الحركة وتأثيراتها كان نتيجة حرصه وتصميمه حيث أنه وهب حياته في سبيل ذلك .

وهكذا قدر للضحاك (*) ان يصبح قائد حركة هي من اخطر الحركات التي عرضت الدولة الأموية الى خطر كبير قبل قيام الثورة العباسية بفترة قصيرة . ويمكن القول بان هذه الحركة قد اسهمت في نجاح العباسيين بما احدثته في جسم الدولة وكيانها من تصدع وضعف

---

(١) البلاذري ، ٨ / ورقة ٨ أ .

(٢) دينيث المرجع السابق ٢٥١ .

(*) وهو من بني ربيعة بن وحلم واسمه الضحاك بن يزيد بن قيس ابن الحصين بن عبد الله بن ثعلبة .(ابن الكلبي ، جمهرة النسب الكبير ورقة ٩ـ١٠ نسخة الاسكوريال وورقة (٢١١) نسخة لندن)

واجهاد اضافة الى انها ركزت انتباه الامويين نحوها مما أعطى العباسيين فرصة طيبة للعمل في ظروف مؤاتية .

ولعل أول خطوة مهمة اتخذها الضحاك بعـــد تزعمه للحركة الخارجية هي مبادرته للتوجه الى الشام لمقاتلة الأمويين في مقر ملكهم غير ان اصحابه ابوا عليه ذلك (١) ومع ذلك فقد اتخذ الضحاك من شهرزور منطلقا لمجموعه (٢) ويشير الطبري الى مبايعة الشراة « من الخوارج للضحاك وكذلك الحال مع فرقة الصفرية » ويشير الى اجتماع الناس اليه حتى قدرت قواته بأربعة آلاف مقاتل « فلم يجتمع مثلهم لخارجي قط » (٣) . ويبدو ان الضحاك قد توجه الى وضـع مخطط محدد أخذ ينفذه تجاه الأمويين كما يظهر ذلك في أجراءاته التي باشرها فيما بعد . فقد احتلت قواته مدينة تكريت حيث تمت جباية أموالها وارسالها اليه (٤) وواصلت قواته تقدمها باتجاه جنوبي حيث ان خططه توضح انه كان يميل الى ان يسير بقواته نحو العراق وجنوبه الى المدائن (٥) وكان الضحاك قد وجه أحد قواده للعراق حيث مهد السبيل لوصول قواته الى الكوفة (٦) وهكذا بدأت قوات الخوارج تتركز في السواد

(١) بلاذرى ، انساب ، ورقة ٨/٨أ

(٢) ابن قتيبة ، المعارف ص ٣٦٩ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ٦/٥٥

(٣) الطبري ٧/٣١٨

(٤) بلاذرى ٨/ ورقة ٨أ ، خليفة ،المصدر السابق ، ٢/ ٣٩٥-٣٩٦ ، الازدي ، المصدر السابق ، ص ٦٧

(٥) خليفة ، المصدر السابق . ٢/٣٩٦

(٦) بلاذرى ، المصدر السابق ٨/ورقة ٨ أ

مما جعل مدن العراق الرئيسة خصوصا الكوفة وواسط تقعان تحت التهديد المباشر بالاحتلال ولعل الخوارج خططوا للوصول الى هـذا الهدف يحدوهم الأمل في الحصول على انتصار يحقق لهم مكانه يحدثون عن طريقها دويا هائلا في العالم الاسلامي .

وقد سبق للضحاك عندما أزمع التوجه نحو المدائن والكوفة ان اجتمع اليه عدد كبير من المقاتلين قدر عددهم بألف مقاتل وتشير المصادر الى ان هذا العدد قد تضاعف عندما مرّ بأرض الجزيرة والموصل حيث تبعه منهما نحو ثلاثة آلاف مقاتل ، مما يشير الى اهمية هذه المنطقة ومدى تجاوبها مع حركات المعارضة (١) لقد تأثر امتداد حركة الخوارج في الجزيرة وتوجيهها نحو العراق بما كان يخطط له زعماء الحركة وعلى رأسهم الضحاك وما كانت تهيؤه ظروف المنطقة السياسية . ولقد كان فشل الأمويين في الوقوف بوجه الخوارج في الدفاع عن المدائن حافزا دفع الخوارج الى استمرار الحركة الخارجية في وجهتها نحو العراق .

لقد خطط الخوارج للاستيلاء على المدائن من اجل ان يجعلوا منها قاعدة لهم يتمركزون بها وينطلقون منها لاحتلال الاجزاء الاخرى في العراق ، والظاهر ان القوات الأموية في العراق لم تهتم بالدفاع عن المدائن بشكل جدي بقدر ما استهدفت اتخاذ احتياطات لحماية الكوفة الهدف التالي للخوارج وهكذا فقد اكتفت قيادة الامويين بقطع الجسر على الطريق بين المدائن والكوفة وقد حصل ما كان متوقعا ، فقد توجه الضحاك من شهرزور قاصدا الكوفة بعد ان بلغه ما حصل بين اهلها

---

(١) الطبري ٣١٧/٧

من خلاف (*) في الرأي (٢) وتمكن الضحاك اثناء تقدمه من أن

---

(٢) ابن الاثير ، كامل ، ٣٣٥/٥

(*) كانت الكوفة قد شهدت صراعا بين عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز والبها الأصلي الذي عزله مروان بالنضر بن سعيد الحرشي أحد قادة ابن عمر وأيدت المضرية النضر في حين وقفت اليمانية الى جانب ابن عمر ، وذلك لان ابن عمر رفض ان يتنازل عن ولاية العراق للنضر ، وبسبب موقف المضرية مع النضر تعصبا منهم لمروان لطلبه بدم الوليد ، وأمه قيسية . اما موقف اليمانية مع ابن عمر فكان عصبية لدخولهم في قتال الوليد بما فعله مع خالد القسري . فكان النضر مع المضرية بالكوفة وعبدالله بن عمر مع اليمانية بالحيرة ، فكانوا يقتتلون فيما بين الكوفة والحيرة ، وكان مروان قد أمد النضر بابن الغزيل لنجدته ضد ابن عمر . ولما دنا خطر الخوارج من الكوفة اتحدت كلمتهم ضد الخوارج فكان ابن عمر يصلي في مسجد الامير باصحابه بالكوفة والنضر بن سعيد في ناحية الكوفة يصلي باصحابه ولا يجامع ابن عمر ولا يصلي معه غير انهما اتفقا على قتال الضحاك ، (راجع البلاذري ، انساب ج ٨/ ورقة ٨ أ ، الطبري ، تاريخ ٣١٧/٧-٣١٨ ، ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٣٣٥ مجهول ، غرر السير ، ورقة ١١٦ب - ١١٧ أ ، ابن خلدون ، ٣٥٠/٣ - ٣٥١ ، دينيت ، المرجع السابق ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، د . فاروق ، العباسيون الاوائل ٢٤٦/١ - ٢٤٧ .

يحتل المدائن (١) وبعد ان اقام اياما بالمدائن اتجه الى الكوفة وحالها مضطربةفكانت فرصةمناسبة للضحاك وبعد ان راسله أهلها (٢)اتجهاليها

---

(١) « فقد قدم الضحاك على رأس جيش قوي كثيف يتراوح بين ٣٠٠٠-٦٠٠٠ مقاتل وكان على مقدمته عبيدة بين سوار في اربعماية مقاتل حيث وصل عبيدة جسر النهروان وعليه قائد لأهل الشام فى الفين ، وقطع القائد الجسر وشتموا اصحابه فقالعبيده : (انا لم ندع الاموال والاهلين ولن نبالي ماقلتم فاختاروا لأنفسكم واحدة من ثلاث ، أما ان تجيبونا الى أمرنا وتجنحوا الينا وأما ان تعقدوا الجسر وتعبروا الیناونعطيكم موثقا ان لا يعرضلاحد منكم حتى تتأتوا قبلنا فنحاكمكم الى الله او تعطونا عهدا وما اليتم شقة الا يصيبوا احدا منا حتى يعبر اليكم عبرة فيقاتلوكم فأن قبلتموهم عبر اليكم مثلهم حتى تأتوا على آخرنا او نظفر فأبوا وعقد الضحاك الجسر وعبر الى المدائن » (بلاذرى انساب ورقة ٨ أ) .

(٢) وذلك ان الضحاك حالما عبر الى المدائن كتب اليه القعد الذين بالكوفة مع أصعر بن عبدالرحمن « وكتب اليه عاصم بن الحدثان فسره ذلك وقال ان لهم ان يكتبوا الي ، وكان كتاب عاصم مع حميد العجلي : (أما بعد فأني أوصيك بتقوى الله الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فانه قال : « ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله » وأعلم يا أمير المؤمنين ان لكل عمل عند الله جزاءا ان حسنا فحسنى وان=

. . . .

= وان سيئا فعقوبة ، الا ما عفى الله عنه ، واذكر نعمة الله عليك وعلى المسلمين اذ كثركم بعد القلة واعزكم بعد الذلة اكتب اليك يا أمير المؤمنين وأنا ومن قبلي من المسلمين في نعم علينا من الله سابغه نسأل الله تمام ذلك بكمال الاسلام والعون والنصر ، وقد وجهت اليك مع حميد عصابة من المسلمين نفروا رغبة في الجهاد . واعلم يا أمير المؤمنين انك مسؤول عما استرعيت وتحاسب فيما كسبت « ... كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً » فكتب اليه الضحاك : (قد قدم على حميد العجلي كتابك وفهمت ما لم امر به من طاعة الله فنسأل الله ان يجعلنا وأياك ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسارع الى الخيرات . وقد قدمت العصابة وهم على ما وصفت في الرغبة في الخير ان شاء الله فجزاهم الله عن انفسهم واخوانهم خير ما جزى الفايز في سبيلة ونحن ومن قبلنا من المسلمين على احسن حال نسال الله اذ اشكره والسلام) بلاذرى انساب ، مخطوط ، ج ٨ ورقة ١٨ أ

وأقام الضحاك بالمدائن فقد كان مناديه ينادي كل صباح : (ياخيل الله اركبي وأبشري بالجنة) (بلاذرى ورقة ١٨أ ، وهكذا اقام الضحاك فترة في المدائن قبل ان يتجه الى الكوفة التي بدأ بعض زعمائها بالمراسلة كما ذكرنا آنفا ، اضافة الى اضطراب الوضع فيها فقد شاع فيها الاضطراب والقلق مما دفع الناس الى حالة من اليأس مما =

وتمكن من احتلالها(١)بعد ان هرب والي العراق السابق عبدالله بن عمر والوالي الجديد النضر بن سعيد الحرشي الى واسط ومضيا فيها وان

=دفع بهم الركون الى زعيم الخوارج رغبة في انهاء تلك الحالة . اتجه الضحاك من المدائن وقدم الى الفرات مسلمة بن الحسن المحمي ، فلقي على الفرات عبدالله بن العباس بن يزيد (وهو كندي) ، فلما رآه عبدالله قطع الجسر ورجع الى الكوفة، بلاذرى ٨/ ورقة ٨ أ . راجع دينيث ، ص٢٥٤-٢٥٥ ، راجع فتحي عثمان الحدود الاسلامية ١٢٠/٢ وراجع ، سرور ،الحياة السياسية في الدول العربية ، (القاهرة ، ١٩٦٠ ص ١٢٧) .

(١) وكان والي العراق السابق عبدالله بن عمر قد خرج من الكوفة وعبر الفرات قبل ان يتجه الضحاك اليها . لقد كان انسحابه هذا والتجائه الى الكوفة بعد قطع الجسر على الفرات يعد بداية الفشل الذي مني به الأمويون في صراعهم مع الخوارج بقيادة الضحاك . ان التردد وعدم التصميم الذى ابدته قيادة الامويين فى التصادم والمجابهة الفعلية مع الخوارج قد ادى الى زعزعة قوات الامويين بعدالة المسالة التي يدافعون عنها . اضف الى ذلك ان قوات الخوارج كانت في حالة اندفاع هجومي كاسح في حين ان قوات الامويين كانت تتقهقر وهي في حالة دفاع مما زاد في حالة الانكسار النفسي والخوف فقد امتلات قلوبهم رعبا من الخوارج بلاذرى ٨/ ورقه ٨أ خليفة التاريخ ٣٩٦/٢) وكان عبد الله بن عمر قد جعل عبيد الله العباسي الكندي قائدا على عشرة آلاف مقاتل (طبرى تاريخ٧/ ٣٢٠) وتقدر=

. . . .

= المصادر قوة الامويين التي كانت مع عبيدالله بن عمر بثلاثين الف مقاتل (خليفة التاريخ ٢/٣٩٦) بدأ الخوارج بالهجوم على الكوفة بعد أن اعادوا اقامة الجسر على الفرات حيث عبرت قواتهم مندفعة تجاه الكوفة . حاولت قوات الامويين صد الهجوم عن طريق حفر الخنادق امام مداخل المدينة (بلاذرى ورقة٨/ ٨ أ) ويبدو ان هذه الوسيلة قد ساهمت في تأخير احتلال الخوارج للكوفة اذ ان قوات الخوارج التي نجحت في اختراق التحصينات عادت فانسحبت من المدينة بناء على تعليمات اصدرها الضحاك (خليفة ، ٢ / ٣٩٦) ولعل ذلك كان لمحاولة استنزاف قوات الامويين او لمناعة الموقع وتجنب التضحيات . وان زعماء الكوفة المتعادين اتحدوا فيما بينهم ضد الخوارج (بلاذري انساب ٨/٨أ) غير ان اتحاد الكلمة في هذه الفترة المتأخرة لم يعد يفيد كثيراً اذ اصبح جيش الضحاك في وضع ممتاز افضل من وضع الجيش الاموي الذي كانت العصبية القبلية قد جزأته ، وبدأت المعارك بشكل متقطع في البداية واصابت قوات الامويين هزائم متتالية (خليفة تأريخ ٢/٣٩٦) واحتدمت المعارك بين الطرفين وسقط عدد كبير من الجرحى والقتلى في الوقت الذي اشتد عليهم الحر (بلاذري ، ٨ /ورقة ٨ أ) واندحر اهل الشام بزعامة عبد الله ابن عمر ثم التقوا بعنف يوم الجمعة ولقيهم الاصبغ بن ذؤالة في عشرة آلاف فهزم الخوارج حتى دخلوا حيطان الكوفة .

. . . .

= وفي المساء خرج قادة من قواد ابن عمر من اليمانية كمنصور ابن جمهور والاصبغ بن ذؤاله ، وكما خرجت القيسية مع النضر ابن شبيب بن مالك وهو عامل ابن عمر فقال : (افتح لنا باب المدينة لنكون ايدينا واحدة ... وقدم ابن عمر ما قاله فدخل المدينة راجع بلاذرى ، ٨ / ورقة ٨ ب) وكان يحث الناس ثم خرج أهل الشام من الكوفة متجهين في كل ناحيـة فلم يبق فيها منهم أحد ثم اتجه ابن عمر الى واســـط حيث كان الناس يتسللون ويهربون الى واسط وبعد ان اكتشف ابن عمر ان معظم قواته قد هربت او تسللت الى واسط ، ومع ذلك فانه صمم على البقاء مع من بقي معه غير ان من بقى بعيد عن الحكمة في ذلك بعد هرب الجزء الاكبر من قواته فاجابهم بقوله « أتلوم وأنظر فأقام يوماً او يومين لا يرى الا هاربا وقد امتلأت قلوبهم رعبا من الخوارج » طبري ٣١٩/٧-٣٢٠ الكامل ، ٣٣٤/٥-٤٤٦) فأمر عند ذلك بالرحيل الى واسط ودخل الخوارج الكوفة فنادى منادى الضحاك « لا تتبعوا وليا ولا تجرحوا احــــدا ، وقد اجلناكم يا أهل الشام ثلاثا فمن دخل فيما دخلنا فيه فله مالنا ومن أحب ان يتوجه حيث يشاء من الارض فليتوجـــه آمنا » وخرج ابن الحرشي يريد الشـــام واقام الضـــحاك بالكوفة الى شوال ، بلاذرى ٨/ ورقة ٨ ب) وكان الخوارج قد ارغموا بالكوفة الفقيه ابن ابي ليلى ان يتولى قضائها فاقام على القضاء =

. . . .

= قال ابن ابي ليلى : « وكادوا يقتلوني مرتين ، ثم استأذن الضحاك بالحج فأذن له فقلت في نفسي : لا والله لا قدمت الكوفة وهو بها فخرجت الى مكة وخرج الضحاك قبل ان اقدم وأمر الضحاك ابن أبي ليلى ان يجيز شهادة العبيد فيمن معه فهرب (وكيع ، اخبار القضاة ج٣ (القاهرة ، ١٣٦٩) ، ص ١٤٣-١٤٤ . عن احتلال الخوارج للكوفة راجع : البلاذري ، انساب الاشراف مخطوط ، ورقة ٨ أ - ٨ ب ، خليفة تاريخ ، ٣٩٦/٢ و ٣٩٧ الطبرى تاريخ ، ج ٣١٧/٧و٣١٨ و ٣٢٠ و ٣٢١ . ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥-٣٣٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ٣ / ٣٥٠ - ٣٥١ وكيع ، اخبار القضاة ٣ / ١٤٣ - ١٤٤ وراجع ، ابن الجوزي ، المنتظم ٤١٨/٧ أ ب وراجع ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج ١٢/ ورقة ٦٩ أ - ب فبعد احتلال الضحاك للكوفة بدأ بتنفيذ الخطوة الثانية للاستيلاء على واسط وكان ابن عمر والحرشي بعد الاتفاق المؤقت بينهما في الكوفة رجعا الى ماكانا عليه من النزاع والخصام في واسط نفسها ويشير الطبري الى ان ابن عمر نزل قصر الحجاج بن يوسف بواسطفي اليمانية ونزل النضر وأخوه سليمان ابنا سعيد وحنظلة بن نباتة وابناه محمد ونباتة في المضرية ذات اليمين إذا صعدت من البصرة ... وعادت الحرب بينهما الى ما =

. . . .

= كان عليه قبل قدوم الضحاك ولكن لما دخل الضحاك واسط تخلا عن الحرب فيما بينهما وصارت كلمتهما عليه واحدة كما كانت بالكوفة (الطبري ٣٢١/٧ ابن الاثير ٣٣٦/٥-٣٣٧) غير ان التحالف لم يكن وثيقا فقد جعل النضر وقواده يعبرون الجسر ، فيقاتلون الضحاك واصحابه مع ابن عمر ثم يعودون الى مواقعهم ولا يقيمون مع ابن عمر واستمر ذلك طوال ثلاثة اشهر وبعث الضحاك قائدا من قواده الى احد ابواب واسط وأعطاه تعليمات بان يحرقه اذا طال الحصار وقد تم ما خطط الضحاك اذ تم احراق ذلك وهذا اضطر ابن عمر ان يدفع قسما من قواته بقيادة منصور بن جمهور لكي يضع حدا لهجوم الخوارج هذا على واسط . وكان القتال عنيفاً ويبدو ان الخوارج قد عبأوا جميع قواتهم ولم يهملوا الاستفادة حتى من النساء مما يشير الى ضخامة قوات الامويين (الطبري المصدر السابق ٧ / ٣٢٥) وكان ابن عمر غـــير مطمئن لقتال الخوارج فلما حوصر قال ابن عمر لكاتبه الربيع بن سليمان اعرض الناس فعرضهم فكانوا ثمانية آلاف فقـال مابهاولا بشيء . . . البلاذري ورقة٨ب) ثم ان الحرشي ترك واسط متجها الى الشام في نحو من الف من أهل الشام وجماعـــة من القادة منهم عطيه التغلبي . . . البلاذري المصدر السابق٨ ب ، الطبري ٧ / ٣٢٥) ويعلل ابن الاثير =

الضحاك تمكن من احتلالها ايضـــا ، وأهم مكسب يحققه الخوارج هو دخول ابن عمر الى جانبهم (١) اضافة الى المكسب الكبير الذي

=ذهاب الحرشي للشام بقوله انه «علم بعدم طاقته لقتال عبد الله ابن عمر بواسط ابن الاثير ٣٣٦/٥ » واستمر ابن عمر يقاتل الخوارج على ابواب واسط لمدة ستة اشهر ويقال سنة على باب المضمار وبـــاب التراب وكان يلي قتال الخوارج منصور بن جمهور . . والقتال عنيفا وامر ابن عمر بدواب مقاريف ، فالبست المشاقة ثم اشعل فيها النار وارسلت في عسكر الخوارج واحرقت فساطيطهم واخبيتهم ولم تمر بشيء الا أحرقته . . . ثم صاروا على فرسخ او فرسخين من ابن عمر وقاتل منصور بن جمهور على باب البصرين اشد قتال وقاتل ابن عمر الضحاك من ناحية باب التراب بلاذري ورقة ٩ أ » ولما يئس ابن عمر من حربه للخوارج دخل في طاعتهم فدخل الخوارج واسط ، للمزيد من التفاصيل راجع : البلاذري انســـاب ج ٨ ورقة ٨ ب و ٩ أ الطبري ٧ / ٣٢١ ـ ٣٢٥ ، ابن الاثير ، كامل ، ٥ / ٣٣٣ ـ ٣٣٤، ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .

(١) ورغم شجاعة ابن عمر في مجابهة الخوارج الا ان منصور بن جمهور قال : « واملت مثلها ولا القوم عربا ولاعجما ، فقال ابن عمر الرأي ان تعطيهم الرضا وتضرب بهم مروان » (طبري ٣٢٣/٧) وقال له : «ما رايت في الناس مثل هؤلاء قط ـ يعني الشراة ـ تحاربهم وتشغلهم عن مروان ، فكان حدهم وبأسهم عليه واقمت انت مستريحا بموضعك هذا ، فأن ظفروا بها كان ما أردت وكنت=

تحقق لهم باحتلال الكوفة وواسط .

وهكذا نجد ان ابن عمر والي الامويين على العراق قد أنضم نهائيا الى صفوف الخوارج التزاما بصوت المصلحة الذاتية اضافة الى عدم ارتياحه من الخليفة مروان الثاني وعدم انسجامه مع اتجاهاته

= عندهم آمنا ، وان ظفرت بهم واردت خلافه وقتاله قاتلته جادا مستريحا مع ان امره وامرهم سيطول ، وبوسعه سبعة أشهر فقال ابن عمر : لاتعجل حتى نتلوم وتنظر فقال أي شيء ، فتنتظر فما تستطيع ان تطلع الا ان تستقروا وان خرجنا لم نقم لهم فما انتظارنا بهم ومروان في راحة وقد كفيناهم حدهم وشغلنا عنه أما انا فخارج لاحق بهم فخرج فوقف حيال صفهم وناداهم : أني جانح اريد ان أسلم واسمع كلام الله فلحق بهم فبايعهم ، وقال قد أسلمت فدعوا له بغداء فتغدى ، ولما دخل ابن عمر مع الخوارج فتغدى قال لهم من الفارس الذي أخذ بعناني يوم الزاب ؟ يعني يوم ابن علقمة ـ فنادوا بأم العنبر فخرجت اليهم ، فاذا اجمل الناس فقالت له : أنت منصور ؟ قال : نعم ، قالت : قبح الله سيفك اين ما تذكر منه فوالله ما صنع شيئا ولا ترك تعني الا يكون قتلها حيث اخذت بعنانه فدخلت الجنة ، كان منصور لا يعلم يومئذ انها امرأة فقال ياأمير المؤمنين : زوجنيها قال ان لها زوجا وكانت تحت عبيده بين سوار التغلبي قال : ثم ان عبدالله بن عمر خرج اليهم في آخر شوال فبايعه ، الطبري المصدر السابق ٣٢٣/٧) راجع ، دينت ، مروان بن محمد ، ص ٥٤ـ٢٥٦ .

حيث ان « مصلحته استوجبت مصالحتهم ليشغلوا مروان عنه » (١) وكان لأنضمامه هذا اثر كبير على الصعيد السياسي (٢) والعسكري

(١) ابن خلدون المصدر السابق ٣/٢٥١ (ويقدم الذهبي رواية معارضة لما اشرنا آنفا اذ يشير الى ان الضحاك هو الذي بادر بمسألة المصالحة وجذب ابن عمر الى جانبه فذكر بان الضحاك ارسل الى عبدالله بن عمر ولاطفه على ان يدخل في طاعته ويقره على عمله فاعطاه عبدالله بن عمر ذلك ، المصدر السابق ٥/٣٣) .

(٢) ويمكن اعتبار انضمام ابن عمر الى صفوف الخوارج ودخوله في في طاعته انتصارا كبيرا يحققه هؤلاء في الميدان السياسي والعسكري، ويعد ضربة للأمويين . وبدخول ابن عمر الى حركة الخوارج فان ذلك نقلها الى طور آخر من اطوار الصراع مع السلطة الاموية الا وهو دخول شخصية كبيرة وهو والي العراق الذي عزله مروان بابن الحرشي ، ويمكن تفسير اهميته بخضوع ممثل السلطة الاموية للحركة الخارجية ، ويبين ذلك مدى الفزع الذي أصاب الامويين لان دخول والي أموي في طاعة الخوارج يعتبر ضربة قاصمة ضد الامويين انفسهم ، بل وضد الخليفة مروان الذي كان يعاني من الاضطرابات القبلية في بلاد الشام وفي خراسان ايضا كما ان دخوله الى جانبهم عمق وبشكل وثيق ثقتهم بأنفسهم واصبحوا يعتدون بقوتهم ونفوذهم ، واصبحوا قوة لا يستهان بها ويلاحظ ان نفوذهم أمتد الى اغلب العراق تقريباً وبعد النجاح العظيم الذي حققوه في العراق اخذت الحركة =

نظرا لما يتمتع به من مكانة على اعتباره الوالي الاسبق للعراق .

ان القوة العسكرية والمعنوية التي اكتسبها الخوارج في اعقاب نجاحهم في احتلال الكوفة وواسط قد ترسخت وانضاف اليها امور أخرى ، فقد انضم الى صفوفهم سليمان بن هشام بن عبدالملك (*) اذ قدم على الضحاك وفي صحبته معاوية بن هشام وداود بن سليمان بن عبدالملك حيث بايعوا الضحاك (١) وبايعه عشرة آلاف من بني مروان واصحاب سليمان (٢) ولعل الحركة الخارجية قد دخلت تحت هذه الظروف

= تتصف بطابع الخطر الجدي الذي يهدد الامويين .

وقال احد الشعراء معلقا على دخول ابن عمر الى جانب الخوارج :

ألم تر ان الله أظهر دينه فصلت قريش خلف بكر بن وائل

ويعلق فلهاوزن على قول الشاعر هذا بقوله : « أن الشاعر عبر عن دهشته في أن بني أمية اعترفوا بخارجي من شيبان أماماً لهم، وقد كان الانتقال في السياسة انتقالا في الدين ايضاً ، وكان هذا التغيير المفاجيء مدهشا حقا» (الدولة العربية وسقوطها ص٣١٠).

(١) وكان الذي تولى اخذ البيعة عبيدة بن سوار وبايع ابن عمر واليمانية وأبت القيسية ان تبايع - لكونهم مع مروان - البلاذري ج ٨/ انساب ورقة ٩ أ .

(٢) الازدي ، تاريخ الموصل ص ٦٨-٦٩ ، ابن الاثير المصدر السابق ، ٥/٣٣٧ .

(*) هو سليمان بن هشام بن الخليفة عبدالملك وكان قد ثار سنة ١٢٧ على مروان بن محمد الذي قاتله وقضى على ثورته وبعد =

طورا جـــديدا من اطوار الصراع فقد تمكن الخوارج من استمالة واحدا من كبار رجال الدولة الاموية الا وهو سليمان بن هشـــام وكذلك عبدالله بن عمر والي الامويين على العراق وبذلك حققوانجاحا كبيرا لا يقل في اثره من تجميع القبائل اليمانية معهم ولعل ما هـو أهم من ذلك تمكن الخوارج من كسب سليمان ـ وهو احدالطامعين بمنصب الخلوفة الاموي ـ (١) الى جانبهم ، فقد انضم هذا الىالحركة

= ذلك انضم الى الخوارج بعد ان هرب من مروان بن محمـد راجع بن الاثير ، الكامل ، ٥/٣٣١ـ٣٣٤ .

(١) فكان سليمان قد خلع طاعة مروان سنة ١٢٧ هـ ولما شخص مروان من الرصافة الى الرقة لتوجيه ابن هبيرة الى العراق لمحاربة الضحاك ابن قيس الشيباني استأذنه سليمان بن هشام في المقام مدة ايام لاحجام ظهره واصلاح أموره فاذن له ، ومضى مروان فأقبل في نحو عشرة آلاف ممن كان مروان قطع بهم عليه البعوث بدير ايوب لغزو العراق مع قوادهم حتى جاؤا الرصافة ، فدعوا سليمان ابن هشام الى خلع مروان ، ومحاربته فاجابهم الى ذلك ، ثم تنقل بين حمص وتدمر ، فتعقب مروان بن محمد الحركة حتى قضى عليها (الطبري ، ٣٢٢/٧ـ٣٢٣) ويشير بن الاثير الى ان سـليمان ابن هشام لما انهزم بخساف بعد مشاكل العرش ومنصب الخلافة بعد مقتل الوليد ، ثار ضد مروان ثم انهزم بخساف واقبل هاربا حتى صار الى عبدالله بن عمر بالعراق ، فخرج معه الى الضحاك (ابن الاثير ، كامل ، ٣٣٣/٥) الى ان انضم الى الخوارج وتشير الروايات الى ان السبب في ذلك هو ان سليمان بن هشام لحق =

الخارجية على أمل ان يتمكن عن طريق الاعتماد على الخوارج من الوصول الى ما يهدف اليه ، غير ان ما تحقق فعلا هو الارتفاع الكبير في معنويات الخوارج بعد انضمامه اليهم فقد اعتبروا ذلك واحدا من اكبر انتصاراتهم السياسية .

وبعد ان حقق الخوارج هذا النجاح الكبير استأنفوا نشاطهم من أجل تنفيذ خططهم في محاولة السيطرة على الجزيرة واحتلال مقر الخليفة الاموي في مدينة حران لقطع الطريق عليه في محاولة للتخلص من الحكم الاموي .

ولتنفيذ خطة التوجه الى الجزيرة فقد اتفق الضحاك مع ابن عمر على ان يسير الضحاك الى مروان ، فان اقبل الضحاك على واسط فليس لاحد في عنق ابن عمر بيعه وان قبل مروان سار ابن عمر مع الضحاك فقال الضحاك : « لابد منا ، أن الوفي وابن عمر ، فالتقيا فوارس ومع هـــذا مثلهم » (١) .

ان الباحث في تاريخ الحركة الخارجية في هذه المرحلة يستطيع ان يتلمس امرا بارزا في خطط زعمائها العسكرية ذلك ان خطة القتال لديهم كانت تستهدف القضاء على قوة الامويين العسكرية . وهكذا فان زعماء الخوارج كانوا يباشرون شخصيا الاشراف والمشاركة الفعلية في الحركات العسكرية معرضين انفسهم للخطر في سبيل تحقيق ذلك

= بالضحاك وهو يحاصر نضيرا وتزوج اخت شيبان الحروري ابن خلدون ، ٣٥١/٣ .

(١) البلاذري ، المصدر السابق ، ورقة ٩ أ .

الهدف ، ويمكن ان نفترض أيضا بأن التحاق سليمان قد قوى ذلك الاحتمال الى حد بعيد ، ولهذا فان قيادة الخوارج بعد ان حققت تلك الانجازات الكبيرة على الصعيدين العسكري والسـياسي اتجهت نحو تحقيق الخطوة الاخيرة في القضاء على قوات الامويين في مقارعتها في اقليم الجزيرة الفراتية .

كانت الخطوة الاولى كما يظهر هي جعل الموصل نقطة الارتكاز الاولى حيث ان شيوع الرأي الخارجي فيها كان واضحا كما ان كثيرا من زعمائها قد بدأوا يراسلون الضحاك خاصة بعد ان بدا تعاونه مع ابن عمر ، وسليمان بن هشام وتشير المصادر الى انه قد كاتبه اهـل الموصل ودعوه الى ان يقدم عليهم فيمكنوه منها . » (١) ويذكر فلهاوزن ان حركة الخوارج قد بقيت قوية في نواحي الموصل بين بني شيبان وسائر آل بكر ، وقامت لهم حركة من حين الى حين ، وتكاد جميع ثورات الخوارج التي نسمع بها في العصر الاموي المتأخر قد خرجت من الموصل دون آل بكر(٢) ويعلل د . فاروق ذلك بانه يعود لسكنى قبائل بكر وخاصة بنو شيبان (٣) .

اقام الضحاك بواسط الى شهر ربيع الآخر ثم سار الى المدائن فقدم عليه عزان بن بيهس السروسي في وفد من خراسان فجمع لهم من

---

(١) الطبري تاريخ ٧/٣٤٥ الازدي تاريخ الموصل ، ٦٨ ابن الاثير الكامل ٥/٣٤٨-٣٤٩ ، ابن خلدون العبر ٣/٢٥١-٢٥٢ .

(٢) الخوارج والشيعة ، ١٢٨-١٢٩ .

(٣) د . فاروق . العباسيون الاوائل ١/٢٥٠ .

أصحابه شيئاً وصلهم به (١) . أذ يبدو انهم كانوا من اتباعه . ثم أتجه بعدها الى ملاقاة مروان (٢) عن طريق الموصل والجزيرة . ومن العوامل المشجعة لتوجه الضحاك الى الموصل والجزيرة ، هو انشغال مروان في هذه الفترة بالاضطرابات التي اثارها أهل حمص (٣) اضافة الى أستدعاء اهل الموصل له . كما ان قواته اصبحت كبيرة وفي وضع أفضل بكثير مما كانت عليه قبل ان يتوجه الى العراق .

احتلال الخوارج للموصل سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م

توجهت قوات الخوارج تحت قيادة الضحاك الى الموصـــل بعد مراسلات دامت نحو عشرين شهرا ، وحين وصلت هذه القوات الى مشارف مدينة الموصل فتح السكان مدينتهم للخوارج (٤) . وتتضارب الروايات في رسم الصورة الحقيقة لهذا الموقف . فكان القطران ابن أكمه من بني شيبان على الموصل (٥) ويشير البلاذري الى ان الضحاك وجـه الخيبري والحسين بن منصور في خيل لفتح المدينة ، وكان القطران قد نهى البيهسية من اصحاب مروان عن قتال اصحاب الضحاك فلم يقبلوا فاوقعوا بالبيهسية وهكذا استطاع الحسين بن منصور

(١) البلاذري ، المصدر السابق ، ٩/٨أ .
(٢) ن.م ٩/٨ أ ، دينث ، مروان بن محمد ص ٢٥٦-٢٥٧
(٣) البلاذري المصدر السابق ، ٩/٨ أ
(٤) الطبري تاريخ ، ٣٤٥/٧ .
(٥) ن.م، ٣٤٥/٧ الخربوطلي ، المرجع السابق ص ٢٠٥-٢٠٦ .

أستنادا الى هذه الرواية الدخول الى الموصل واحتلالها (١) ان هذه الروايات تعكس الموقف السلبي لوالي الموصل وطبيعة نظرته واجراءاته ازاء القوة التي ارسـلها الخليفة مروان لمجابهة الخوارج . ان موقف الوالي هذا قدعقـد الامور امام الامويين وزاد في حراجة موقف الخليفة ازاء قوة الخوارج التي جابهته في وقت عصيب اذ انه كان منشـغلا بمحاولة القضاء على حالة الاضطراب العام الذي كان يسود حمص في حينه (٢) أما الطبري فانه يورد روايات تذكر رفض والي الموصـل الاموي التعاون مع الخوارج أو حتى اتخاذ موقف الحيادالسلبي ازائهم ، او ان موقف اهل الموصل في تعاونهم مع الخوارج وفتحهم ابواب مدينتهم للضحاك بل ان الوالي وقف باصرار يقاتل مع عصبة من اهل بيته ضد اجراءات الضحاك وانه استمر في موقفه حتى قتل مع جماعة قبل ان يستولي الضحاك على الموصل اما الازدي فالمعلومات التي يقدمها توثق الروايات التي قبلها فالطبري يؤكد « ان القطران قتل وأهل بيته» (٣) غير انه لا يعطي تفصيلات عن كيفية حصول ذلك كما لا يوضح فيما اذا تم ذلك من قبل جماعة من البيهسية ام من قبل الخوارج . ان الامر يجعل الباحث امام الاحتمالين الممكنين غير انه من العسير ان ان ترجح اي من الاحتمالين وخاصة ان الروايات المعروضة في درجة متساوية من الاهمية ولا تعطي صورة منسجمة وان كان الباحث اميل

---

(١) البلاذري المصدر السابق ، جـ ٨/ورقة ٩ أ

(٢) الطبري المصدر السابق ، ٣٤٥/٧ ، ابن خلدون المصدر السابق ٣٥١/٣-٣٥٢ .

(٣) الازدي المصدر السابق ، ٦٨

الى قبول رواية الطبري . فان توثيق الاسناد واضح كما ان رواية الازدي توثق ذلك ويمكن ان نضيف الى ان خليفة بن خياط قدقبل ذلك فهو يؤكد بان عامل الموصل قد « خرج اليه يقاتله فقتله الضحاك»(١) ولعل بامكان الباحث ان يضيف الى ان رواية صاحب الشذرات تنسجم مع ذلك ايضا (٢) ومهما كانت حصلة هذه الاحتمالات فان النتيجة الثابتة المؤكدة التي اتفقت عليها المصادر هي حقيقة كون الموصل قد أصبحت بعد ذلك في ايدي الخوارج . وهذا اتاح لهم ظرفا ممتازا لتثبيت وجودهم والتهيؤ والاستعداد لانجاز خططهم في السيطرة التامة على الجزيرة . ودخل الضحاك الموصل دخول الفاتحين اذ تشير الروايات انه استعرض قواته وانه دخل الموصل راكبا فرسه في خيلاء (٣) ولعله استطاع ان يجمع في اعقاب ذلك قوات اضافية من المجموعات السكانية للمنطقة ، كما ان العناصر التي هربت من معسكر الامويين قد ازدادت فكانت تلحق بقواته . ويبدو ان عدد قواته اصبح كبيرا فقد أشار الذهبي الى ذلك بقوله « وعظم الخطب » (٤) مما يعكس طبيعة الخطر الذي هدد كيان الدولة الاموية .

وحين قدم الضحاك الموصل صادف مقاومة عسكرية من قبل

---

(١) تاريخ خليفة ٢ / ٣٥٨ .

(٢) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ١/١٧٤ .

(٣) عبر الضحاك على جسر الموصل وهو يقول :

رائمة تحمل شيخا رائما مجربا قد شهد الوقائعا

قد صادقت شيبان ملكا ضائعا (الازدي ص ٧٠)

(٤) الذهبي ، المصدر السابق ، ٣٤/٥ .

البيهسية الذين أرسلهم مروان الى الموصل لمجابهة الخوارج والتصدي لهم . حيث كان معه في حمص رجال من البيهسية من اصحاب بسطام يتقدمهم عصمت التغلبي وابن عم له ، فقال لمروان « أندب معنا قوما الى الضحاك فندب خمســـة آلاف فيهم الدب القيسي ومروان بن البختري القرشي » (١) وكان هؤلاء البيهسية من بقايا جيش بسطام البيهسي الذي دخل في صراع مع الخوارج الذين بزعامة سعيد بن بحدل ، الذي وجه البختري في نحو مائة وخمسين رجلا ، فهاجموا عسكرهم فجأة فقتلوا بسطام وجميع من معه الا اربعة عشر فلحقوا بمروان فكانوا معه فأثبتهم في روابطه وولى عليهم رجلا يقال له مقاتل ويكنى أبا نمثل (٢)فهؤلاء البيهسية كانوا الدّ اعداء الخوارج وذلك ان نهايتهم كانت على ايدي الخوارج . فهذا كان اول اجراء يتخذه مروان لمجابهة الخوارج حين اتخذوا الموصل هدفا لهجومهم .

قرر الضحاك ضرورة وضع حد سريع لوجود الامويين في المنطقة وبادر باتخاذ الاجراءات الكفيلة في التنسيق لذلك ، ولعله ادرك عدم امكانية استمرار الانفاق على تلك القوات لفترة طويلة وهكذا توجه الى مدينة نصيبين حيث كان فيها عبد الله بن مروان فى قوة اموية للدفاع عنها . وذلك حينما علم مروان بتوجه الضحاك اليها

---

(١) البلاذري المصدر السابق ، ٨/ ورقة ٩ أ .

(٢) حيث كانوا عشرين ومائة الف يدفع للفارس عشرون ومائة درهما في الشهر وللراجل والبغال المائة والى الثمانين . انظر الطبري ، ٣٤٥/٧ الازدي المصدر السابق ص ٦٨ .

« أمر ابنه عبد الله بنزول نصيبين ، وكان على معونة الجزيرة » (١) وكان هدف عبد الله بن مروان هو التوجه فيمن معه من روابطه الى مدينة نصيبين ليشغل الضحاك عن توسط الجزيرة ، ومعه سبعة آلاف وروي ثمانية آلاف ، وخلف بحران قائدا في حوالي الف ، واتجه الضحاك من الموصل الى الجزيرة لمجابهة عبد الله بن مروان بنصيبين فقاتله فلم يكن له قوة لكثرة من مع الضحاك (٢) ويبدو ان مروان ادرك بأن قوات الامويين لم تكن لتقوى على مجابهة الخوارج ولذلك فانه حاول الوصول الى حل سلمي يرضي الاطراف المتنازعة فبدأ بمراسلة الضحاك غير ان اسلوبه في الكتابة اليه قد اغاضه فردعليه حانقاً ، فكتب مروان كتاباً له قال فيه : « قد كان لك في نفسك شغل باصلاح فسادها عن سفك الدماء » فبعث اليه الضحاك كتابا قال فيه « قد كان اعظم الشغل واولاه بالايثار اذا ما فرض الله من جهاد الكفار والمنافقين » (٣) وتكاتبا عدة مرات على حد قول البلاذري (٤) وهكذا فان هذه الرسائل حققت عكس ما اراده مروان حيث ان عناصر الخلاف المتواجدة قد ترسخت وتعمقت (٥) .

---

(١) البلاذري ، انساب ٨ /ورقة ٩ أ .

(٢) الطبري، تاريخ ٧ / ٣٤٥، الازدي ، المصدر السابق ص ٦٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٣٤٩/٥ .

(٣) البلاذري ، ٩/٨أ

(٤) ن . م ، ٩/٨ أ

(٥) ن . م ، ٩/٨ أ

وقد ساعدت الظروف الخوارج، وهيأت لهم حالة من الارتياح النفسي والمعنويات العالية اذ تمكن الضحاك من ضم ارمينيا بالطرق الدبلوماسية مستغلا ثورة السكان في ذلك الاقليم ضد عامل الامويين وقتلهم اياه (١) اذ سارع الضحاك الى تعيين أحد انصاره عاملا عليها وهكذا فقد اعتبر ذلك بمثابة اقرار من الاقليم بالتبعية للضحاك. ولعل ذلك قد اوقع اثرا سيئا في نفسية ومعنويات الامويين وربما صورت في اذهان اتباعهم باعتبارها انتكاسة كبيرة.

تركزت الانظار على نتائج الحركة الثانية للخوارج بعد احتلالهم الموصل فقد صارت الظروف مهيأة للحركة وكانت نصيبين هي المحطة التالية للضحاك (٢) وقد ادرك الامويون ذلك ولهذا السبب حشدوا قواهم في نصيبين التي كانت في موضع ستراتيجي يسمح باستمرار الدفاع لفترة طويلة، وكانت قوات الامويين فيها تحت قيادة عبدالله بن مروان، وهكذا استعدت نصيبين لحصار طويل. وعلى الرغم من اصرار الضحاك وتصميمه وعظم قواته فانه عجز عن تحقيق الانتصار بل انه اضطر الى الانسحاب في المحاصرة لها بعد ان قضي حوالي الشهرين (٣).

---

(١) عند محاصرة الخوارج لنصيبين نجد ان عامل اسحق بن مسلم على ارمينيه كان رجلا يقال له مسافر وكان يرى رأي الخوارج فكتب الى الضحاك على ارمينيا وكان اهلها قتلوا عاصم بن عبدالله بن يزيد الهلالي عامل ارمنيه فتوجه اليها اليعقوبي، تاريخ، ٣٣٨/٢

(٢) خليفة، المصدر السابق ٣٩٩/٢، ابن الاثير، المصدر السابق، ٣٤٩/٥.

(٣) خليفة، المصدر السابق، ٣٩٩/٢.

حاول الضحاك ان يعوض عن فشله في نصيبين بانتصار سريع مفاجيء فارسل قواته المحمولة الى الرقة على امل ان تحتلها ، وكانت قواته كبيرة جدا بالمقارنة مع حامية الامويين في الرقة (*) ومع ذلك فقد تمكن الامويون من مشاغلة قوات الخوارج في الوقت الذي ارسلوا في طلب الامدادات والنجدات من مركز الخلافة .

وقد تمكن مروان من تحريك عددا من قطعاته المتواجدة في الروابط القريبة من الرقة لاسناد حامية الرقة في الوقت الذي باشر فيه بارسال ما امكنه من الفرسان من الشام وتتحدث المصادر عن عددهم والذي يربو على ٥٠٠ فارس قاموا بقطع الخطوط الخلفية لقوات الضحاك التي كانت تحاصر الرقة في محاولة لابادتها (١) كما تتحدث عن ادراك تلك القوات المحاولة وقيامها بالانسحاب السريع بعد ان قدمت عددا من القتلى ...... لم تغير هذه الحركة الطارئة ميزان القوى الذي كان في صالح الخوارج اذ ان الضحاك كان قد خفف الحصار

---

(١) الطبري تاريخ ، ٧/٣٤٥-٣٤٦، الازدي تاريخ الموصل ، ص٦٨-٦٩ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٥/٣٤٩ .

(*) تشير المصادر الى ان عدد القوات التي ارسلها الضحاك لمهاجمة الرقة تربو على اربعة او خمسة الاف فقاتلهم من بها من خيل مروان وهم نحو من خمسمائة فارس ثم وجه مروان خيلا في روابطه فلما دنوا منها انسحب اصحاب الضحاك منصرفين فاتبعهم خيله فاستسقطوا من ساقتهم نيفا وثلاثين رجلا من خيل مروان وهم من نحو خمسمائة فارس حين قدم الرقة ومضى صاعدا الى =

على نصيبين فانـه لم يزل متمركزا على مقربة منها يتحين الفرص للأنقضاض عليها . في الوقت الذي كانت اعدادا من قواته تقوم بعمليات صغيرة في اماكن مختلفة في أنحاء الجزيرة على سبيل الدعاية لقوتهم وأرهابا لكل من تسول لـه نفسة الوقوف ضدهم . وقد نجحت تلك الحركات فيما يبدو ففي هذه الفترة يشير الطبري الى خبر انضمام عدد من الامويين الى الضحاك (١) وفي الوقت عينه يذكر خليفة بن خياط ان اعدادا كبيرة من المقاتلين قد « اجتمعت الى الضحاك »(٢) ويشير الى ان بينهم « ملوك اهل الشام ممن هرب من قريش وغيرهم » ولعل الاشارة الاخيرة تعكس اهميتها طبيعة العناصر التي وقفت في الشام ضد مروان خلال تلك المرحلة . اما الخليفة مروان فقد كان يجابه وضعا محرجا للغاية فعلى الرغم من نجاح ولده عبد الله في صد هجوم الضحاك على نصيبين وقدرته على احكام الدفاع عنها ، وكذلك نجاح قواته في صد الهجوم الخارجي على الرقه ، فان اوضاعه العامة كانت مضطربة الى حد بعيد . فقد كانت حمص مسرحا لحركـــة

= الضحاك (الطبري ، تاريخ ٧/٣٤٥-٣٤٦) الازدي المصـدر السابق ، ٦٨-٦٩ .

(١) ولعل الطبري ينفرد بقولـه ان سليمان بن هشام قد انضم في مواليه واهل بيته الى الضحاك حينما قدم عليه وهو بنصيبين ، وهم في اكثر من ثلاثة آلاف من اهل بيته ومواليه فتزوج من أخت شيبان الحروري حيث بايعوه بعد مقتل الخيبري الطبري (٧ / ٣٤٦) .

(٢) التاريخ ، ٢/ ٣٩٩ .

عصيان داخلية اشغلت مروان كثيرا واضافت الى مشاكله الكثيرة ولعل بالامكان الاطلاع على حقيقة موقفه ووضعه في نص يورده البلاذري عن مناقشة جرت بين الخليفة واحد وجهاء انصاره ، أسحاق بن مسلم العقيلي في اعقاب انتشار قوات الخوارج في مناطق مختلفة من الجزيرة .

تشير رواية البلاذري الى ان اسحق هذا قال لمروان : « ان الخوارج سوقه انتشروا بأرض الجزيرة ، واحرقوا واستعرضوا ، وانا خائف ان يرفضـك من معـك ... وانت مقيم على هـؤلاء فقال من اين وقد احاطت الاعـداء كلها بي ، مابرحت او افتتح حمص او اقتل » (١) ان ذلك يعكس الشك الذي غلب على نظرة الامويين حتى اتجاه اولئك الذين يعيشون معهم ويعتمدون عليهم في أخطر أمورهم . ويبدو ان مروان اراد ان يؤمن خطوط مواصلاته ويأمن ظهره وهو يتوجه لمحاربة الخوارج فلم يرغب في ان يترك حمص ثائرة ضده وهي على خطوط مواصلاته الرئيس ولعله كان منسجما مع المنطق العلويمي للتحركات العسكرية التقليدية . ولعل ذلك مادعاه الى التفكير جديا في استدعاء يزيد بن هبيرة (٢) من العراق من اجل

---

(١) بلاذري ،المصدر السابق ، ٨ / ورقة ٩أ دينيت ، المرجع السابق ص ٢٥٨ .

(٢) فقد كتب مروان الى ابنه عبد الله ان اكتب الى يزيد بن عمر ابن هبيرة فليأتك ، وكان ابن هبيرة يومئذٍ بنهر سعيد قد وقفه بيرون هناك ، قلت اليه ـ الحديث لاسحاق بن مسلم ـ لاحاجة بنا الى ابن هبيرة لانا لانأمن ان يكره الناس الى ماقبلنا فيفعلوا السبعة وفيمن قبلنا كفاية ، وليسرابن هبيرة الى العراق=

أسناد قواته المحاصرة في نصيبين مما يعكس تصورا متكاملا للتحركات العسكرية المرابطة مع بعضها . وقد كاد ذلك الاجراء يأخذ مجراه لولا مشورة العقيلي الذي نصحه بتكليف ابن هبيرة باحكام السيطرة على العراق وخاصة ان قوات الخوارج قد خرجت منها مما يهيء ظروفا معنوية ومادية أحسن في صالح الخلافة الاموية (١) كما ان ذلك سيكون بمثابة ضربة قوية موجهة نحو الخوارج اذ يعني قطع علاقتهم عمليا بالمدن التي سبق لهم احتلالها والغاء كافة الجهود التي سبق وان بذلوها . وبامكان الباحث ان يشعر بأهمية ذلك اذا ماقارن اهمية مدن العراق الرئيسية آنذاك وبعدها عن مراكز القوة الاموية ، اذ ان احتلال الموصل لايمكن ان تقارن أهميته باحتلال الكوفة وواسط اذا قارناه بالجهد الذي بذل خلال الاحتلال واذا ماقارناه بمسألة البعد والقرب عن مركز القوة الاموية ـ الجزيرة ـ فأبقاء الخوارج في واسط والكوفة يجعلهم بعيدين عن مركز القوة الاموية (الشام ـ والجزيرة) في حين ان سيطرتهم على الموصل جعلتهم في حالة أحتكاك دائم بالامويين ، لقربها من مركز الادارة الاموية حران، ولتمركز مروان وقواته في الجزيرة ، اضافة الى تضحيتهم بهذا العمل بوارد السواد وهي كبيرة الى حد بعيد اذا ماقورنت بواردات الموصل وحتى واردات بعض مناطق الجزيرة التي قدر لهم احتلالها . ان تكليف ابن هبيرة

= فانها شاغرة وقد خرج منها الضحاك ، فاعجب مروان ذلك من راي الى عبد الله وقال بأبي أنت وأمي ، فكتب الى ابن هبيرة ان سر الى العراق (بلاذري ، مخطوط ٨ / ورقة ٩ أ) .

(١) بلاذري ، ٨ / ورقة ٩ أ .

بالتوجه نحو الكوفة كان يعني قطع الامدادات عن الجيش الخارجي من جهة العراق وحرمان الخوارج من خيراته .

وقد نفذ ابن هبيرة أوامر الخليفة مروان فاتجه نحو غرب العراق وعسكر على مقربة من عين التمر (١) وتمكن من هناك ان يحرك قواته التي تكمنت من استعادة الكوفة ثم واسط وبهذا وضع حدا ختامياً لسيادة الخوارج على السواد وقطع الامدادات التي كانت خير عون لهم في حربهم ضد مروان (٢) .

صمم مروان على القضاء على الفوضى والاضطراب في حمص كي يتفرغ لحرب الخوارج ونصب المجانيق عليها حتى اضطروا الى طلب الامان ، فأمن الناس الا سعيد بن هشام والسمط

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة ، منها يجلب القصب والتمر الى ساير البلاد وهو بها كثير جدا وهي على طريق البرية (الحموي معجم ٣ / ٧٥٩) .

(٢) روى الطبري ان ابن هبيرة انحدر جنوبا من معسكره قرب نهر سعيد وسلك الطريق الصحراوي الغربي الى ان عسكر في منطقة غزة قرب عين التمر ، وبلغ ذلك المثنى بن عمران العائذي عامل الضحاك على الكوفة فسار اليه فيمن معه من الشراة ومعه منصور بن جمهور ، وكان صار اليه حين بايع الضحاك خلافا على مروان ، فالتقوا بغزة فاقتتلوا قتالا شديدا اياما متوالية فقتل المثنى وعزيز وعمرو ، وكانوا رؤوساء اصحاب الضحاك وهرب منصور وانهزمت الخوارج فلما قتل منهم من قتل يوم العين هرب منصور بن جمهور واقبل حتى دخل الكوفة ، =

ابن ثابت ورجل من بني سليم ، ورجل يهودي ، كما هدم حائط المدينة (١) كما تمكن من القضاء على ثورة سليمان بن هشام قبل انضمامه الى الخوارج ، قال ابن الاثير « ولما فرغ من ثورة سليمان سار نحو الضحاك الخارجي » . (٢) وهكذا تخلص مروان من خطر الفوضى والاضطراب في هذا المركز المهم من بلاد الشام وتفرغ لحرب الخوارج . ولذلك تحسنت اوضاع مروان كما يظهر بعد ذلك اذ استتبت له الامور في بلاد الشام في الوقت الذى وصلت فيه انباء احتلال قوات الأمويين بقيادة ابن هبيرة لمراكز العراق الادارية واستعادتها السواد الى جسم الخلافة الاموية وهكذا فان خطر الخوارج

= فجمع بها جمعا من اليمانية والصفرية ، ومن كان تفرق منهم يوم قتل ملحان ومن تخلف منهم من الضحاك فجمعهم منصور جميعا ، ثم سار بهم حتى نزل الروحاء واقبل ابن هبيرة حتى نزل الكوفة ونفى عنها الخوارج ، وبلغ الضحاك مالقى اصحابه فدعا عبيدة بن سوار التغلبي مواجهة لهم وانحدر ابن هبيرة يريد واسطا وعبد الله بن عمر بها وولى على الكوفة عبدالرحمن بن بشير العجلي ، واقبل ابو عبيده بن سوار ، فخذا في فرسان اصحابه ، حتى نزل الطره ولحق منصور بن جمهور وبلغ ذلك ابن هبيرة فسار اليهم ، فالتقوا بالصراة سنة ١٢٧ وكان العامل على العراق النضر بن الحرشي (الطبري تاريخ ٣٢٧/٧-٣٢٨)وراجع ديفيث ، ص ٢٥٧-٢٥٨ .

(١) البلاذري انساب ، ٨/ ورقة ٩ أ .

(٢) راجع ابن الاثير الكامل ٣٣١/٥-٣٣٤ .

قد أنحصر في الجزيرة مما اتاح للخليفة فرصة التركيز في سبيل القضاء عليه . ومن أجل ضمان ذلك فانه باشر شخصياً مسؤولية قيادة القوات الاموية وادارة العمليات العسكرية جاعلا من حران مقرا له . فقد كتب أوامره الى عماله على دمشق وحمص والاردن وفلسطين بان يبادروا الى ارسال ما عندهم من قوات الفرسان بسرعة (١) كما انه نظم التدريب وأمر بأن تتخذ أقصى حالات الاستعداد والتأهب للقتال ولعله استفاد من الدروس المؤلمة التي جابهها من موقف عبدالله بن عمر ضده في الماضي ومن الاوضاع المربكة التي مر بها خلال احداث الشغب في حمص .

أما بالنسبة لموقف الخوارج فقد انضم من هرب من معسكر الأمويين الى الضحاك حيث اصبحوا يشكلون قوة مقاتلة لها اهميتها بجانب المقاتلين الخوارج ولعل هذا ما يكفي لالقاء أضواء على قول اصحاب الضحاك له فيما نقل البلاذري: « اجتمع لك مالم يجتمع لرجل على رأيك، منذ خلق الناس » وطلبهم اليه ان يوجه الخيل « وكن ردءا للمسلمين تمدهم اذا ارادوا بالمدد » واجابته لهم : « مالي فى الحياة أربٌ ...

(١) فقد نزل مروان بباب التين ، وكتب الى معاوية بن يزيد بن حصين بن فهر السكوني بحمص وادركه زامل بن عمرو بدمشق والى ثعلبة بن سلامة بالاردن ، والى الرماحس بن عبدالعزيز الاماني بفلسطين ان يوجهوا اليه فرسان أهل الشام ونزل مروان كفرتوثا وقال: ما صنع احدا بناصنع عبدالله بن عمر ضربني بعشرين الف سيف وانها بواسط انه لأدهى العرب (راجع البلاذري ، المصدر السابق ، ٨/ ورقة ٩ أ .

وهذا الجبار معسكر لا ادع جهداً »(١) . وكان خطر الخوارج قدتجاوز نصيبين ، قبل قدوم مروان ، حيث وصلت طلائع الخوارج الى الرقة وحران . ويتحدث اليعقوبي عن اخبار تشير الى ان الضحاك بعد ان نفذ الى نصيبين حاصرها ثم توجـــه الى حران (حتى وافاه مروان فحاربه محاربة شديدة » (٢) وبعد ان تمكن مروان من أبعاد طلائع الخوارج عن اطراف الرقة حاول الضحاك القيام بهجوم شامل يخترق فيه خطوط الامويين ليستولي على ممر الفرات قرب الرقة (٣) غير ان محاولته هذه احبطت نتيجة يقظة القوى الاموية ، فجمع قواته ثانيـــة ليلتقي مع قوات الخلافة في موضـع من اراضي كفرتوثا (٤) حيث حصل الاحتكاك المباشر بين الجانبين في تل فافان (٥) وكان الضحاك يحرّض اصحابه على القتال ويبدو انه كان حريصـا على القضاء على الخليفة مروان شخصياً . وتذكر المصادر ان أهل الشام أرسلوا وفداً الى

---

(١) بلاذري المصدر السابق ، ٨/ ورقة ٩ أ

(٢) يعقوبي ، تاريخ ٣٣٨/٢ .

(٣) فلهاوزن ، الدولة العربية ص ٣١١ .

(٤) الطبري ، ٣٤٦/٧ (الموضع يقال له الغزّ في ارض كفرتوثا) (ايضاً راجع الازدي ، ص ٧٠) .

(٥) بلاذري ، ٨/ ورقة ٩ أ (حيث كان مع الضحاك طباغر بن هشام في ذكوانيته ومن انضم اليه من أهل الشام ورفاعة بن ثابت ، وعصمة بن المقشعر الحلبي بالبقواء ، واوقعوا الخوارج على تل فافان ، وقاتل البختري اهل الشام ، فأزال اهل الشام =

الضحاك وأن زعماء الوفد قالوا : « انه والله ما اجتمع الى داع دعا الى هذا الرأي منذ كان الاسلام ما أجتمع معك ، فتأخر عن هذه الطليعة وقدم خيلك ورجالتك وفرسانك تلقاه ، فقال : أني والله مالي في دنياكم هذه حاجة وانما أردت هذا الطاغية ، وقد جعلت لله عليّ ان رأيته حتى يحكم الله بيننا » (١) وكتب مروان الى الضحاك ينـــذره ويحذره ويقول له « مثلي معك كالحجر والزجاجة ان وقع عليها رضّها وان وقعت عليه فضّها»، فكتب اليه الضحاك « سألقاك بالمرد على الجرد فكتب اليه مروان » وأنا القاك بالكهول على الفحول» (٢) . يتضح من ذلك ان الضحاك كان حريصا على قيادة الجيش شخصياً بهدف القضاء على الخليفة مروان بن محمد كما انه كان مستعدا للتضحية بحياته من أجل تحقيق ذلك . وتقدم المصادر وصفاً مؤثرا لنهاية هذا القائد الذي ضرب مثلا كبيراً في التضحية والفداء من أجل ما يؤمن به .لقد احتدم القتال واشتد وتلاحقت المعارك وتذكر المصادر ان الضحاك قد أصيب خلال ذلك بجراح فقال : « ليس كل من يطلب الشهادة رزقها » وانه قال في اليوم الثالث : « لا أرجع اليوم الا أن يأبى ربي واست أملك الا فرسي وسلاحي وعلي سبعة دراهم منها ثلاثة في كمي

= عن التل ووقف عليه سليمان بن هشام في الذكوانية ، فكره مروان موقفه (راجع البلاذري ، ٨/ ورقة ٩ أ) وراجع د . فاروق ، المرجع السابق ، ٢٤٧/١ .

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٧٠ـ٧١ .

(٢) مجهول ، غرر السير ، ورقة ١١٧ب ـ١١٨ أ

فأقضوها عني » (١) وقال : « ليس أمير القوم بالخب الجزع ثم ترجل وقال : ان قتلت ، فليصل فيكم شيبان بن سلمه ويقاتل عدوكم الخيري »(٢) وهكذا فانه لم يعط عهدا واضحاً لشخص معين ولعله في تصرفه ذلك وترشيحة من يخلفه للصلاة كان يروم اشعار الآخرين بمدى التزامه بالسنة المطهرة .

لقد بدأ الوهن يدب في صفوف قوات الخوارج في اليوم الثالث حين دخلت القوات الشامية مسرح المعركة . وقد هزمت ميمنة مروان ميسرة الخوارج ومع ذلك فقد استمر القتال الى المساء حيث حوصر الضحاك مع عدد كبير من « ذوي الثبات من اصحابه » يقدر عددهم بستة آلاف مقاتل الى ان تم قتله خلال معركة ليلية وعاد قسم من أصحابه الى معسكرهم وانتشر الخبر حيث بلغ مسامع مروان . وامعانا في التنكيل واشاعة الرعب امر مروان على ان يصلب رأسه ويطاف به في مدن الجزيرة (٣) .

---

(١) البلاذري ، ٨/ ورقة ٩ أ-ب « ولما اصبحوا في احد ايام المعارك كان الضحاك يقول : (أما منكم شائق الى الجنة ويحب لقاء ربه ، وحرضهم وانشدهم شعرا ...)

(٢) ن.م ، ٨/ ورقة ٩أ-ب .

(٣) وتذكر المصادر انه عند المساء ترجل الضحاك ومعه رجال من ذوي الثبات من اصحابه نحو من ستة آلاف ، واهل عسكره واكثرهم لا يعلمون بما كان فيه وأحدقت بهم خيول مروان، فألحوا عليهم حتى قتلوهم عند العتمه وانصرف من بقي من اصحاب=

وبامكان الباحث أن يحس بعنف الصراع من خلال الصورة التي تقدمها المصادر التي تؤرخ هذه الفترة (١) .

= الضحاك الى عسكرهم ولم يعلم مروان ولا اصحاب الضحاك ان الضحاك قد قتل فيمن قتل حتى افتقدوه في وسط الليل ، وجاءهم بعض من عاينه حين ترجل فاخبرهم بخبره ومقتله ، فبكوه وناحوا عليه وخرج عبدالملك بن بشر التغلبي الذي كان وجههم في عسكرهم الى الرقة حتى دخل عسكر مروان ودخل عليه فاعلمه ان الضحاك قد قتل فأرسل معه رسلا من حرسه معهم النيران والشمع الى موضع المعركة فقلب القتلى حتى أستخرجوه فاحتملوه حتى اتوا به مروان وفى وجهه اكثر من عشرين الف ضربة - ولعل ذلك مبالغة - فكبر اهل عسكر مروان فعرف اهل عسكر الضحاك انهم قد علموا بذلك ، وبعث مروان برأسه الى مدائن الجزيرة فطيف به في مدن الجزيرة (البلاذري ، ورقة ٩١أ-ب) ويعلق فلهاوزن على مقتله بقوله : الى انه عرض نفسه دون تحوط في منازلة اولية فسقط قتيلا (فلهاوزن ، الخوارج والشيعة /ص١٣٤) دينيت المرجع السابق ، ص ٢٥٩ ، فتحي عثمان ، المرجع السابق ١٢١/١ .

(١) يقول اليعقوبي « ... ان الضحاك حارب مروان محاربة شديدة ، وظفر الضحاك عليه مرارا حتى عزله عن سريره وجلس عليه ثم قتل الضحاك وافترق الخوارج فرقا تاريخ ٢٣٨/٢-٢٣٩ ، ولعل اليعقوبي ينفرد بروايته ، وان الذي قتل الضحاك : دلهم وهومن=

لقد تناسبت خسائر الطرفين المتحاربين في جسامة المعارك التي تقدم فيها الطرفان خسائر كبيرة غير ان طبيعة تلك الخسائر كان يغلب عليها التوازن اذ لم تؤد الى رجحان احد الاطراف المتصارعة . ومع ذلك فان مقتل الضحاك يمكن تفسيره بأنه خسارة لا يمكن تعويضها من الناحية العملية ولكن اثرها كان بليغا من الناحية النفسية وهبوط معنويات الخوارج ، ويشير خليفة بن خياط الى أن اجمالي خسائر الطرفين ربما تصل الى حدود ستة آلاف قتيل (١) .

ولعل من ابرز النتائج التي نجمت عن هذه المعارك كونها قد رفعت معنويات الامويين وأعادت الثقة الى نفس الخليفة اضافة الى انها خلصت الخلافة من محارب عنيد لعب دورا كبيرا في تنظيم حركات المعارضة المسلحة وقاد بنجاح تحركات انصاره في معارك عديدة سابقة . أما اثر ذلك على معسكر الخوارج فان هذه المعارك كانت بداية النهاية لآمال الخوارج في القضاء التام على الخلافة الاموية فقد كانت نتائج ذلك جذرية في معسكر الخوارج التي تجزأت حركتهم الى عدد كبير من الفرق قال اليعقوبي معلقا على أهمية مقتل الضحاك بقوله «... قتل الضحاك وافترق الخوارج فرقا ... » (٢) . ومع ان نتائج الاحداث

بني لأى ثم من بني يزيد بن هلال بن يزل بن عمرو بن الهيثم حيث قتل الضحاك بيده ... الاصفهاني كتاب الاغاني ٢٦٦/٨، ابن الاثير الكامل ٣٤٩/٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧/ ورقة ٤٢٠أ ، ابن حمدون التذكرة الحمدونية ورقة ٦٩ ب .

(١) خليفة ، تاريخ ٣٩٩/٢ـ٤٠٠ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ٣٣٩/٢ .

هذه قد كانت سلبية على معسكر الخوارج ، بل وكانت مخيبة لقوى المعارضة الاموية المرتبطة بها ، فانها كشفت عن مدى اخلاص قادة الخوارج ومقاتليهم للعقيدة التي آمنوا بها وضحوا في سبيلها . كما انها كشفت عن مدى جدية مروان وجنده ، ومقدار ما بذله من جهد في سبيل تحقيق الانتصار ، كما ان مروان بذل الكثير من الاموال ايضاً (١) .

قيادة الخيبري للخوارج بعد الضحاك :

تسلم الخيبري قيادة العمليات العسكرية لمعسكر الخوارج خلال احداث المعارك التي أودت بحياة زعيمهم البارز الضحاك . وكان الخيبري هو أحد المرشحين في قائمة سعيد بن بهدل لتولي زعامة الحركة الخارجية ويبدو من خلال النصوص الواردة عن تطورات الاحداث ان الخيبري تمكن من دفع الاحداث وعدم التوقف في مناجزة الامويين الحرب على الرغم من كبر الخسائر التي مني بها الخوارج بل انه أرادأن يحفظ التوازن وان يظهر بمظهر المنتقم للخسائر التي مني بها وخاصة بعد فقدان الضحاك . ويعلق اليعقوبي ان الخيبري

---

(١) روي انه خرج فارس من الخوارج فدعا الى البراز فخرج اليه رجل فقتله ثم ثاني فقتله ، ثم ثالث فقتله ، فأنقبض الناس عنه ،وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم فقال مروان : من يخرج اليه له عشرة آلاف (ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١/١٤٣-١٤٤ .

بعد توليه القيادة بقوله « . . . فسار في عسكر عظيم فلقي مروان » (١) ويقدم البلاذري وصفا تفصيليا عن المعارك التي حصلت والبلاء الذي أظهره الخوارج في لقاء اعدائهم ويصف بداية الحرب بقوله « . . . وهاجت ضبابة شديدة فلم يبصر بعضهم بعضا . . . ، ودخل الخيبري عسكر مروان ، وأنجلت الضبابة وليس مروان في المعسكر وظن الخيبري ان مروان قد قتل » (٢) اما خليفة بن خياط فانه يعطي تفصيلات اضافية وذلك عن طريق عرضه لمعلومات استقاها من مصادر شاركت في الاحداث ، يصف بها بسالة الخوارج وكيف انهم تمكنوا من ان يهزموا مروان وان يدخلوا معسكره ، ويحتلوا مقر قيادته في تلك المعركة ، فقد خرج الخيبري « ودعا في شراته من اراد الجنة والموت فلينتدب معي ، فانتدب معه ثلاث مائه وخمسون فارسا ، فحملوا على مروان في القلب ، فانكشف واعرى القلب ، وشد رجل من الخوارج على مروان فاصاب يده وولى هاربا » (٣)

---

(١) تأريخ ، ٢ / ٣٣٩ .

(٢) فبعد مقتل الضحاك قال الخيبري لشيبان ، ياأبا الدلفاء ولي قتال القوم ، فاذا قتلت فالمسلمون على رأيهم ، قالا نعم ، فقاتلهم ثلاثة ، وكان القتال مستمرا فروي انه قاتله في صبيحة الليلة التي قتل فيها الضحاك وكان يرتجز ويقول :

ان تك مروان فاني الخيبري   اضرب بالسيف على حكم النبي

البلاذري انساب ، ٨ / ورقة ٩ ب .

(٣) ويصف خليفة عن اسماعيل عن السري قوله « هاجت يومئذ =

ويؤيد الطبري ، اضافة الى مصادر اخرى هذه الرواية (١) وكان مروان حذرا في قتاله لاعدائه وخاصة من الذين كانوا يتجسسون على عسكره (٢) . حيث انه قد جاوز عسكره نحو ستة اميال منهزما (٣) .

لقد كانت حصيلة الصراع تمكن قوات مروان من القضاء على زعيم الحركة الخارجية اذ قتل كما يبدو بعد عملية بطولية لاحد المستعبدين الحريصين على حريتهم ، حيث كان في حرس مروان (*)

= ضبابة فما كان الرجل يبصر فرسه ولا سوطه ومضى فل مروان في كل وجه (خليفة ، تاريخ ٢/٤٠٠) .

(١) وكان الخيبري حمل على مروان في نحو من اربعمائة فارس فانهزم مروان وكان في القلب ، وخرج مروان من المعسكر هاربا ودخل الخيبري فيمن معه عسكره فجعلوا ينادون بشعارهم :

يا خيبري يا خيبري ، ويقتلون من ادركوا حتى انتهوا الى حجرة مروان ، فقطعوا اطنابها وجلس الخيبري على فرشه (الطبري المصدر السابق ، ٧/٣٤٦) ابن الاثير ، الكامل ٥/٣٥٠ ، ابن خلدون ، ٣/٣٥٢-٣٥٣ »

(٢) روي انه كان مروان يوم قتال الخيبري قد بعث محمد بن سعيد ، وكان من ثقاته وكتابه الى الخيبري ، فبلغه انه مالأهم ، وانحاز اليهم يومئذ فأتى به مروان ، فقطع يده ورجله ولسانه (الطبرى المصدر السابق ٧/٣٤٧)

(٣) التذكرة الحمدونية ، ٦٩ ب .

(*) واسمه سليمان بن مسروح وكان من البرابرة (خليفة المصدر =

حينما رأى هو ومن معه قلة من مع الخيبري حيث نادى في العبيد : « من أتبعني فهو حـر » فاجتمع اليه نحو من ثلاثة او اربعة آلاف رجل من العبيد وغيرهم ، فقتلوا الخيبري بعد الخيام ، وكان اصحابه في حجرة مروان وماحولها (١) ، ويقول خليفة « . . . وأنجلت الضبابة عن مجنبتي مروان : عبد الله بن مروان ، واسحق بن مسلم ، فرأوا اعلام الشراة في موضع مروان فقالوا : « قد قتل » فاخبر مروان بخبر قتله (٢) وكان من في مجنبتي مروان لا يعلمون بمصيره كما انه لا يعرف بمصيرهم ، اذ كان مروان قد هرب بعد احتلال حجرته ، مسافة خمسة او ستة اميال ، فانصرف الى عسكره وردخيوله عن مواضعها ومواقفها وبات ليلته تلك في عسكره فى حين ان ميمنة مروان التي عليها ابنه عبدالله وميسرته التي عليها اسحق بن مسلم العقيلي بقيت

= السابق ٢/٤٠٠ الطبري المصدر السابق، ٧/٣٤٦ـ٣٤٧ الازدي، المصدر السابق ، ٧١ـ٧٢ .

(١) خليفة المصدر السابق، ٢/٤٠٠ الطبري، المصدر السابق ، ٧/٣٤٦ـ٣٤٧، الازدى المصدر السابق، ٧١ـ٧٢ .

(٢) فبعد مقتله احتمله اصحابه فدفنوه فلم يقدروا على رأسه ولا جسده، وخرج مولى لمروان يقال له غزوان يركض على فرسه حتى اتى مروان فاخبره الخبر (المصدر السابق، خليفة المصدر السابق ، ٢/٣٩٩ـ٤٠٠ الطبرى المصدر السابق ، ٧/٣٤٦ـ٣٤٧ ، الازدى المصدر السابق ٧١ـ٧٢ ، ابن الاثير، المصدر السابق ٥/٣٥٠ ابن الجوزى ، المنتظم ، ٧/ ورقة ٤٢٠أ دينيث المرجع السابق ص٢٦.

(٣) الطبرى ، ٧/٣٤٧ الازدى . المصدر السابق ٧١ـ٧٢ .

صامدة ولم يهرب أحد منهما (١) .

وعلى اية حال فقد اعتبر الامويون مقتل الخيبري نصرا عظيما لهم اذ كانت قوات مروان على وشك الانهيار حينما غيرت حادثة مقتل الخيبري ميزان القوى واظهرت الجيش الاموي بمظهر المنتصر فقد تمكن من قتل قائداً من قادة الخوارج رغم كل ما أتصفوا بـــه من الجرأة والعنف .

ويبدو من خلال احداث هذا الصدام ان الخوارج كانوا يحاربون ببسالة ودون تحفظ ولعل ذلك ما يفسر اقدامهم وجرأتهم في الوصول الى مقر قيادة الخليفة نفسه وتهديده شخصياً ولعل ذلك يشير هنا الى المدي الذي وصلوه بهجومهم ذلك . ويبدو ان الغالبية العظمى من قوات الخوارج قد تراخت بعد حالةالانتصار الذي حققته ضدالقوات الأموية ، وحالة اليأس والتهيؤ للهرب التي اصابت الخليفة نفسه ، ولعل ذلك ما دعاهم الى الاطمئنان مما هيأ لقلة من العبيد فرصـــة الانفراد بالخيبري ووضع نهاية لحياته .

ومن جهة ثانية فان الانسحاب من الكوفة وواسط وعدم تحصينها كشف عن ضعف في التفكير العسكري والقدرةعلى التخطيط السليم . وهكذا تهيأ للأمويين ان يتخلصوا من احدى الشخصيات القيادية التي لم تكن اقل شأناً من الضحاك . وهكذا مكنهم من ابعاد قوات الخوارج

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ٧١-٧٢ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ٣٥٣/٣ د . فاروق ، المرجع السابق ٢٤٧/١ . فتحي عثمان ، المرجع السابق ١٢١/٢ .

التي تقهقرت بعد هذه الانتكاسة نحو الشرق ، ولقد أثبت هذا الانتصار مدى قدرة الخلافة الاموية ومدى رسوخها وفاعليتها وقابليتها .

زعامة شيبان للخوارج (١) :

تولى شيبان زعامة الخوارج بعد مقتل الخيبري ، وكان من قادة الخوارج الأكفاء وتشير المصادر الى ان سليمان بن هشام قد اقترح على الخوارج الانسحاب الى الموصل حيث يجري تحصين المدينة بالخنادق وان الخوارج وافقوه على هذا الاقتراح(٢).ولعلهم أحسوا بحراجة موقفهم وضعفهم ، فنجد ان مروان بعد مقتل الخيبري ومبايعة شيبان قاتلهم بالكراديس (*) وابطل نظام الصف منذ يومئذ « وجعل شيبان الاخرين

---

(١) هو شيبان بن عبدالعزيز اليشكري ، وينفرد البلاذري بنقل رواية تشير الى ان الخوارج قد بايعوا بعد مقتل الخيبري يعقوب المحلبي او (التغلبي) وانه قتل فبايعوا مسكين اليشكري وان الاخير قتل ايضا فبايعوا شيبان ، ثم يعود فيقول « ويقال انهم بايعوا شيبان بعد مقتل الضحاك» انساب ٨/ ورقة ٩ ب .

(٢) قال سليمان بن هشام للخوارج : « ان الرأي ليس برأي فأن اخذتم برأي وإلا انصرفت عنكم قالوا فماالرأي ، قال لي احدكم يظفر ثم يستقتل فيقتل فاني ارى ان ننصرف عن حاميتنا حتى ننزل الموصل فنخندق عليها (الطبري تاريخ ٣٤٩/٧).

(*) يرى فلهاوزن ان الفرق المنظمة كانت هي العمود الفقري =

يكردسون الكراديس مروان بكراديس تكافئهم وتقاتلهم ، فقد تفرق كثير من اصحاب الطمع عنهم وخذلوهم وحصلوا في نحو من اربعين الفا » (١) . ولعل مقتل الضحاك والخيبري قد أضعف معنوياتهم . وقد تابع مروان تحركاتهم ولاحق فلولهم الى ان دخلوا الموصل (٢) وعسكروا

= للجيش حلت محل نظام القبائل التي هي هيكله العظمي القديم حيث أنها حلت اكثر فاكثر، وبد لا من زعماء القبائل ظهر قواد عاموا مهنتهم القيادة فسميت الفرق بأسمائهم حينا كالوضاحية والذكوانية نسبة الى الوضاح والى مسلم بن ذكوان والى جانب ذلك حدث تحسن في الخطط ، فقد كان المحاربون يقاتلون فيما سبق صفوفا تبعاً للعادة العربية القديمة وبين الصفين المتقاربين كانت تقع المعارك منفردة يترتب على نهايتها تقدم الجيش بكامله وانهزامه، الى ان وجدت الصفوف المنفردة والتي زالت وحل محلها نظام الكراديس وهي وحدات صغيرة كانت في الوقت نفسه اكثف واكثر حركة وينسب وضعها للخليفة مروان بن محمد بل انها كانت ترجع الى اصل اقدم ، ولكن هو الذي قادها الى كمالها ويظهر من نسبة وضعها اليه كم كانت شهرته كبيرة في التنظيم الحربي فلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص ٢٩٧ ، دينيت ، المرجع السابق ص ٢٦٠) .

(١) الطبري ، تاريخ ٣٤٩/٧ ـ ٣٥٠ ، الازدي ، المصدر السابق ص ٧٢ ـ ٧٣ .

(٢) بعد ارتحالهم لحقهم مروان ولا يدخلون منزلا الا نزله ، الطبري ، ٣٤٩/٧ـ٣٥٠ ، الازدي ، المصدر السابق ،ص٧٢ـ٧٣ .

على شاطيء دجلة وخندقوا على انفسهم وعقدوا جسورا على دجلة من عسكرهم الى المدينة فكانت ميرتهم ومرافقهم منها . وكان مروان قد شدد الحصار عليهم الذي طال أمده فبلغ ستة أشهر تراوحت العلاقة بين الطرفين بين حالات القتال العنيف والاحتكاك والمناوشة ، ولعل مما يشير الى تحامل مروان وشدته على خصومه ماتذكره المصادر عن اهداره دماء ذوي ارحامه ممن التحق بسليمان رغم مناشدتهم اياه الرحم الذي بينهم وبينه واقدامه على وضع حد لحياتهم(١) ولعل ذلك يعكس طبيعة العلاقات التي سادت البيت الاموي نفسه بسبب اطماع سليمان بن هشام وطموحه . وتتحدث المصادر عن معسكر شيبان وأصحابه في الكار الاسفل حيث قدر عددهم باربعين الف مقاتل . كما تتحدث المصادر عن نزول مروان الكار الاعلى وتعطي صورة واقعية عن الخليفة الذي كان يراقب المعارك الطاحنة

---

(١) روي ان مروان قاتل الخوارج ستة اشهر بكرة وعشية ، فأوتي مروان بأبن أخ لسليمان بن هشام في عسكر شيبان بالموصل ، وكان مبارزا لرجل من فرسان مروان فأسره الرجل فاتى به اسيرا فقال له : أنشدك الله الرحم ياعم فقال : ما بيني وبينك اليوم من رحم ، فأمر به ، وعمه سليمان واخوته ينظرون فقطعت يداه وضربت عنقه واسمه اميمة بن معاوية (الطبري، ٣٤٩/٧ــ٣٥٠ ، الازدي، المصدر السابق ص٧٣ ، ابن الاثير المصدر السابق ٣٥٣/٥ ، ابن كثير المصدر السابق ، ٢٩/١٠ ، ابن خلدون المصدر السابق ، ٣٥٤/٣ .

بين المعسكرين (١) والتي كانت نتيجتها انكسار قوات الخوارج وتقلص سيطرتهم الى حدود مدينة الموصل ، ويبدو ان أهل الموصل قدانحازوا نهائيا الى معسكر الخوارج وكان ذلك انطلاقا من موقف موـدأي المعارض لسياسة مروان وخوفا من قوة الخوارج وخبراتهم السابقة معهم ، وعلى اية حال فان موقف اهل الموصـل هذا قد آذى مروان كثيراً فكان يحقد عليهم ويتوعدهم فكان يقول : « لئن ظفرت بأهل الموصل لأقتلن مقاتلتهم ولأسبين ذريتهم » (٢) وهكذا اصبحت الموصل بشكل مكشوف قاعدة خارجية معادية للأمويين مما اضطرت مروان ان يستمر في حصارها فترة طويلة قبل ان يضطر الخوارج الى مغادرتها بعد ان ضيق عليهم المؤونة من جراء الحصار الشديد (٣) . انطلق الخوارج مخترقين القوات المحاصرة لهم متجهين نحو الزاب لعلهم يلجأون لاتخاذ وسيلة دفاعية تعرقل هجوم القوات الاموية وتعيق تحركاتها وتقلل من اندفاعها . أضف الى ذلك فان الخوارج لجأوا الى استعمال الخنادق للدفاع مما يشير الى استماتتهم في القتال . وهكذا فان المقاومة الخارجية في الزابين أعنف مما كانت عليه في السابق خاصة اذا ما

---

(١) روي ان مروان كان يضع كرسي فيجلس عليه ويطاردوا الخيل بين يدية فقتل من اصحاب مروان بضعة عشر الفاً ، ومن اصـحاب شيبان بضعة عشر الفا . (الازدي المصدر السابق ، ٧٣ـ٧٤).

(٢) ن.م ، ص ٧٣ـ٧٤ .

(٣) ابن كثير ،البداية والنهاية ، ١٠ـ٢٩ ، ورواية ابن كثير تقول : « ان مروان كان اقام سنة يحاصرهم ويقتتلون في كل يوم بكرة وعشية » .

أدخلنا في الحساب الحرب الطويلة التي استمرت لمدة عشـرة أشهر ، حتى انهم تمكنوا (ليس فقط من الصمود) بل ان يقلبوا الكفة وان يبدأوا يذيقوا قوات مروان بالهزائم الواحدة تلو الاخرى ، ويبدو ان اللجوء الى الخنادق كــان عاملا مساعدا في انتصاراتهم على جيوش الامويين (١)ومما يكشف طبيعة المعارك ووجهتها ان مروان اضطر الى أن يستنجد بأبن هبيرة عامله على العراق من اجل اسناده وامداده بكل ما يمكن ارساله من القوات اذ كتب اليـه رســالة طلب فيها منه ان « يمده بعامر بن ضبارة المري في اهل الشام في نحو ستة او ثمانية آلاف » (٢) على اختلاف الروايات (٣) وقد بلغت الخوارج انباء هذه القوات فخططوا لمنع انضمامها الى مروان فأرسلوا جزءا من قواتهم بتعداد اربعة آلاف مقاتل بقيادة اثنين من قادتهم هما ابن غوث والجون بن كلاب ، حيث التقت بالقوات القادمه من ابن هبيرة في منطقة السن . فانتصر عليها في البداية ، ويبدو ان نجدات الامويين هذه قد استماتت في القتال مما تسبب في هزيمة الخوارج بعد ان قتل

---

(١) روي : ان مروان قاتلهم عشرة اشهر او تسعة وانه في ثلاثين الفا ، وهزموا مروان في تلك الاشهر نيفاً وسبعين مرة(بلاذري انساب ، ٨/ ورقة ٩ ب) .

(٢) الطبري المصدر السابق ، ٧/٣٥٠ .

(٣) رواية الطبري السابقة هي رواية ابو هشام مخلد بن محمد وفي رواية ابو عبيــدة ، قيل ان المدد اربعة الاف (الطبري ، ٣٥٢/٧) وفي رواية اخرى ان المددسبعة الاف الى ثمانيةالاف (ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٩. ، ١/)

قائدهم الجون بن كُلاب (١) وهكذا اخذت الظروف العامة للقتال تسير في مصلحة الامويين ، وبدأت قواتهم تضيّق شيئا فشيئا على الخوارج،وينفرد الجهشياري بالاشارة بان خالد بن برمك كان في جيش عامر ابن ضباره اثناء المعركة التي دارت بين ابن ضبارة والخوارج (٢) ومما تجدر الاشارة اليه ان انتزاع الامويين للعراق من ايدي الخوارج قد حرمهم امكان المقاومة في دجلة اذ لم يعودوا قادرين على ان يقطعوا طريق الجيش الذي كاد يسرع من الكوفة لنجدة مروان وحتى يتجنبوا

(١) روي ان الجون حاصرَ عامراً أياما وفي رواية ابو عبيده عن ابو سعيد قال : فأخرجناهم والله واضطررناهم الى قتالنا وقد كانوا صافونا وأرادوا الهروب منا ، فلم ندع لهم مسلكا فقال لهم عامر: انتم ميتون لا محالة فموتوا كراما . فصدمونا صدمة لم يقم لها شيء وقتلوا رئيسنا الجون بن كلاب واكتشف حتى لحقنا بشيبان وابن ضبارة في آثارنا حتى نزل منا قريبا (الطبري ، ٣٥٢/٧ ـ ٣٥٣) وفي رواية لابي مخنف ان الجون بن كلاب هزم عامر ابن ضبارة حتى ادخله السن فتحصن بها . وجعل مروان يمده بالجنود ويأخذون طريق البر حتى انتهوا الى دجلة فقطعوها الى ابن ضبارة حتى كثروا وكان منصور بن جمهور يمد شيبان بالاموال من كور الجبل ، فلما كثر من يتبع ابن ضبارة من الجنود ، نهض الى الجون بن كلاب فقتل الجون ومضى ابن ضبارة مصعدا الى الموصل (الطبري ،تاريخ ، ٣٥٢/٧ ٣٥٣ ابن الاثير ، الكامل ٣٥٤/٥ـ٣٥٥) ودينيت ، مروان بن محمد ص ٢٦٠ .

(٢) الطبري المصدر السابق ٣٥١/٧ .

الاخطار فانهم احتلوا مواضعهم قرب الموصل (١) ويبدو أن فشل الخوارج اصبح وشيكا ذلك انه لما وصل خبر الجون وقتله لشيبان ومسير عامر ابن ضبارة نحوه ، اتجه اصحاب الجون بن كلاب منصرفين الى شيبان وأشار عليهم سليمان بن هشام بالارتحال عن الموصل واعلمهم انه لا مقام لهم اذا جاءهم ابن ضبارة من خلفهم ومروان بين ايديهم (٢) واخذ الامر يضيق على الخوارج اذ اصبحوا محصورين في كماشة خطط لها مروان ، اضف الى ذلك ان الخوارج أصبحوا في ضيق اقتصادي شديد بسبب العزلة الخانقة والحصار العنيف حيث « قطعت عنهم الميرة وغلت الاسعار الى درجة عالية جدا حتى بلغ الرغيف درهما » (٣)بل انهم لم يجدوا شيئا يأكلوه (٤) ولم تفلح محاولات منصور بن جمهورمن معالجة هذا الوضع المتأزم رغم انه كان يمد شيبان بالاموال من كور الجبل في حربه السابقة مع ابن ضبارة (٥) ومما زاد في حراجة الوضع الاقتصادي للخوارج ان شيبان كان قد فقد ما في بيت ماله لان القاسم ابن حبيب العبدي اتى يحيى بن القاسم الموصل مع شيبان الخارجي وكان على بيت ماله فلما قدم مروان لقتال شيباز بعث الى القاسم

---

(١) فلهازون ، المرجع السابق ، ص ٣١٢ .

(٢) الطبري المصدر السابق ، ٣٥٠/٧ ، الازدي ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٣) ويروى انه بعد ان بلغ الرغيف درهما ثم ذهب الرغيف فلا شيء يشترى بغال ولا رخيص (الطبري المصدر السابق،٣٥٣/٧)

(٤) ابن كثير البداية والنهاية ، ٢٩/١٠ .

(٥) الطبري المصدر السابق ، ٣٥٢/٧ .

« أئتني وأنت أمن بامان الله » فأتاه القاسم واخذ ما كان لشيبان عنده من مال فأتاه به ، فلما دخل القاسم على مروان وهب له ما كان معه من مال شيبان ، واقامه مروان يوما بين الصفين والخيل تجول فقال: « يا معشر الخوارج هذا القاسم بن حبيب فقالوا : يا عدو الله اكفر بعد ايمان وردة بعد اسلام » فقال لهم القاسم : يا اعداء الله انا بريء منكم ومن دينكم » (١) وينقل الطبري رواية تشير الى انه لما اصبح الخوارج في هـــذا الوضع المزري قال حبيب بن خوره الشيباني : « يا أمير المؤمنين انك في ضيق من المعاش ، فلو انتقلت الى موضع غير هذا ، ففعل ومضى الى شهرزور » (٢) ويبدو ان ذلك لم يرق لجميع اصحابه اذ عابوا هذا التصرف على قائدهم وأختلفت كلمتهم (٣) ويصف الازدي ارتحال الخوارج من الموصل فيذكـــر «انهم اوقدوا النيران بالليل وتركوا فساطيطهم ، واتخذ شيبان واصحابه الليل جملا ومروان لايعلم بشيء من ذلك فعبأ مروان خيله كمـا كان يعبئها لقتال شيبان واهل الموصل ، وكبروا على الحرب فلم يروا احدا يخرج اليهم ، فوافوا عسكر شيبان فوجدوه خاليا من الرجال وليس فيه أحد ، فأبلغوا مروان ذلك وقطع اهل الموصل الجسر ليلا لئلا يعبر ويدخل المدينة » (٤) . وقد أقدم مروان على القيام بحركة التفاف اذ اتى موضعا من دجلة اسفل الموصل ، فعبر منه الى ناحية واحاط

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٢) الطبري المصدر السابق ، ٣٥٣/٧ .

(٣) ن . م ، ٣٥٣/٧ .

(٤) الازدي ، المصدر السابق ، ٧٣ ـ ٧٤ .

بالمدينة فضج اهلها ونزل مروان فأمنهم (١) ورغم انسحاب الخوارج فيلاحظ ان الموصل وقفت موقفاسلبيا من الامويين ، والراجح ان مروان كان واسع الافق فقد عامل اهل الموصل باللين وأظهر ميله نحوهم رغم سابق موافقهم منه وهكذا دخل المدينة وأمن اهلها ، فدخل حماما يعرف بالجدالين وبامير المؤمنين ، وتغدى عند جد أبان ابن سفيان المحدث التغلبي بالموصل وقال « مدينة بناها ابي ماكنت لاؤذي اهلها ففتحوا له ابواب المدينة فدخلها مروان وأصحابه » (٢) .
وأهتم الخليفة مروان بامر الموصل ، ثم استخلف عليها هشام بن عمرو الزهيري ، وقلد بشر بن خريمة الازدي الخراج وفي سنة ١٢٨ هـ/٧٤٥ م ارتحل الى حران (٣) حيث سره ان يجد الخوارج قد نزحوا منها ، ومع ذلك فلم يطل حاله على ذلك اذ سرعان ماظهرت قوات العباسيين في ثورتهم ضد الدولة الاموية . (٤) .

اما عن الخوارج ، فان مروان جهز ابن ضباره وضم اليه عددا كبيرا من الجنود وامره ان يسير الى شيبان وأن يتابع حركته ويتعقبه ، والا يبدأ بقتاله ، فان قاتله شيبان قاتله واذا امتنع امتنع عنه وان ارتحل أتبعه (٥) وبعد ان رحـــل شيبان من شهرزور وأتجه الى حلوان ووجه مروان الى ابن ضبارة مدد عسكري مؤلف من ثلاثة انفار

---

(١) الازدي المصدر السابق ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .
(٢) ن . م ، ص ٧٥ .
(٣) ن . م ، ص ٧٦ .
(٤) ابن كثير ، المصدر السابق ، ١٠ / ٢٩ ـ ٣٠ .
(٥) الطبري ، تاريخ ، ٧ / ٣٥٠ ـ ٣٥١ .

من قواده في ثلاثين الف من روابطه أحدهم مصعب بن الصحصح الاسدي ، وشقيق ، وعطيف السليماني ، وكتب مروان اليه يأمره ان يتبعهم « ولايقلع عنهم حتى يبيدهم ويستأصلهم » (١) . واستمرت القوات الاموية في مطاردة فلول الخوارج حتى إضطرتهم الى التشتت الى فريقين ، ففي رواية . . أن فريقاً منهم أتجة الى خراسان حيث الظروف المضطربة فيها نتيجة وجود الدعاة والثوار العباسيين، فاندمجوا مع العناصر المعارضة للامويين وساهموا بنشاط سياسي واسع أضافة الى نشاط الدعاة العباسيين في خراسان . اما الفريق الآخر من الخوارج فقد أتجه الى فارس ومن ثم الى جزيرة ابن كاوان الى ان اصبح ابو العباس خليفة حيث بعث حارثه بن خزيمة الذي ركب السفن الى جزيرة ابن كاوان وبعث فضـــالة بن نعيم النهلي في خمسمائة مقاتل فانهزم الخوارج الى عمان على اختلاف روايات المؤرخين (٢) .

أما بالنسبة لسليمان بن هشام فانه ركب وأهله ومن معه من مواليه السفن الى سواحل القارة الهندية في اعقاب مسير شيبان خارج الجزيرة الفراتية الى ان بويع ابو العباس خليفة (٣) حينما انضم الى العباسيين واشترك معهم في واقعة الزاب .

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ٧/٣٥٠ـ٣٥١ .

(٢) راجع : الطبري ، المصدر السابق ، ٧/٣٥٠ـ٣٥٣ الازدي المصدر السابق ، ص ٧٦ ابن خلدون ، العبر ٣/٣٥٥ ، والدكتور فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ١/٢٤٧ وطبيعة الدعوة العباســـية (بيروت ، ١٩٧٠) ص ١٨٢ـ١٨٩ و ص ١٩٨ .

(٣) ابن خلدون المصدر السابق ٣/٣٥٥ـ٣٥٦ وفي رواية انه ورد =

وهكذا قدر للحركة الخارجية أن تنتهي وقد حاول انصار الخوارج القيام بحركات يائسة ، حيث خرج ابو عبيدة خليفة الضحاك على الكوفة فولى مروان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري العراق سنة ١٢٨ حيث قتله ، كما خرج فلول الخوارج بقيادة ثابت بن نعيم الجذامي بناحية الاردن فوجه اليهم مروان بالرماحس بن عبدالعزيز حيث شتت شملهم ووضع حدا لحركاتهم (١) . وبذلك فشلت الحركة الخارجية في تحقيق اهدافها ويمكننا ان نعزي اسباب فشل الحركة الخارجية في عصر مروان الى جملة عوامل شاملة أدت الى فشلها التام .

ويمكن القول ان فشلها في عصر مروان يعود الى عـــدم وجود تخطيط سياسي وعسكري مدروس لاهداف وستراتيجية الحركة ومستقبلها رغم انهم يمثلون قوة كبيرة لايمكن الاستهانة بها في هذه الحقبة الزمنية وابرز دليل على ذلك هو تركزهم في العراق قوات رمزية للمحافظة على الادارة والنظام ، وقد أدرك الامويون هذا الضعف في سياسة الخوارج بمهاجمتهم للعراق بقيادة أبن هبيرة واعادة سيطرتهم عليه قاطعين بذلك مصدر الامدادات المتنوعة للخوارج .

ومما أضعف تماسك هذه الحركة انها ضمت في صفوفها عدداً من اصحاب المطامع والمصالح من الذين لايؤمنون بفكر الخوارج غير ان مجيئهم معهم كان بسبب الكره لمروان بن محمد ، كسليمان

= السند مع بنيه ومواليه (ابو المعالي ، العقد الثمين ، بومباي ١٩٦٨) ص ٢٧٨-٢٨٠ .

(١) اليعقوبي . تاريخ ، ٢/٣٣٩ .

أبن هشام وعبـــدالله بن عمر حيث ان انضمامهم كان كرد فعل لموقف مروان السلبي من بعض القبائل كاليمن الذين انضـموا للخوارج ، كما انضم كثير منهم للخوارج لمصالح ذاتية تتمثل في محاولتهم استغلال الاعطيات التي كانت تدفع للناس ، ويعلل فلهاوزون اندفاع الناس وانضمامهم للضحاك بانه كان بسبب اعطياته الكبيرة التي كان يدفعها لمن معه (١) وان معظمهم يقاتل من اجل النقود وليس العقيدة (٢) ويشير فروخ الى انضمام قبائل اليمن الى الضحاك باعـداد كبيرة وغيره بانه كان للسبب نفسه (٣) ويرى د. فاروق ان الحركة الخارجية في زمن مروان ابتدعت بدعة جديدة وهي انها اخذت تقبل كل من ينضم اليها ويعينها في تحقيق اغراضها ولم يطردوا حليفا اراد ان يقاتل في صفوفهم (٤).

ومن العوامل التي أفشلت الحركـة هو موقف مروان المتشدد ازائها وقيادته للجيوش الاموية بنفسه من اجل القضاء على الحركة حيث كان التخطيط العسكري الذي رسمه مروان لمواجهة الحركة له أثره الفعال في القضاء عليها رغم بعض الخسائر التي مني بها. ورغم اوضاع الخلافة بشكل عام في هذه الفترة .

ومما ساعد على ذلك خبرته العسكرية الجيدة ، وخاصة اسـتخدامه

---

(١) فلهاوزون ، الدولة العربية وسقوطها ، ص ٣١١ .

(٢) دينث المرجع السابق ص ٢٥٠ .

(٣) عمر فروخ ، العرب والاسلام ، (بيروت ، ١٩٥٨) ص ١٢٧ .

(٤) العباسيون الاوائل ، ١/٢٤٦ .

انظام الكراديس بدلا من الصف وكان لهذا فضل كبير في هزيمة شيبان ومن ثم كل الخوارج (١) حيث كان مروان قد اظهر منتهى الحزم والجد في مفاجزتهم (٢) وكذلك مقدرته الحكيمة في القيادة العسكرية البارعة (٣) اضافة الى اخلاص القيسية له (٤) وخاصة عرب الجزيرة الذين كانوا اكثرهم من القبائل القيسية (٥) باستثناء المواقف السلبية لسكان الموصل ، الذين كان اكثرهم من بكر من الذين استقروا فيها على طريق دجلة منذ ايام شبيب وهم تبنوا مذهب الخوارج على حد رأي فلهازون (٦) .

نتيجة الحركة الخارجية في عصر مروان :

ولكن رغم فشل هذه الحركة الا انها خلقت في آثارها بعض

---

(١) عبدالمنعم ماجد ، التاريخ السياسي ، ج ٢ (القاهرة ، ١٩٥٧) ص ٣١٨ .

(٢) فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات (القاهرة ، ١٩٣٤) ص٧٤ .

(٣) امير علي ، مختصر تاريخ العرب ، (بيروت ، ١٩٦١) ١٦٨ .

(٤) علي ابراهيم حسن ، التاريخ الاسلامي العام ، (القاهرة ،١٩٥٩) ص ٣١٧ .

(٥) صالح العلي وآخرون ، تاريخ العرب ، (بغداد ، ١٩٦٣)١٣٥ .

(٦) الدولة العربية وسقوطها ، ص ٣٠٩ .

النتائج ولعل من ابرزها أنهارغم قضاء مروان عليها في هذه الفترة الا انه لم يتمكن من ان يجتث الفكر الخارجي نهائياً من بين قلوب معتنقيه في الجزيرة الفراتية ، بل ان الحركة في اعقاب هذا الفشل اصابها ركود وسبات عميق الى ان ظهرت ثانية في العصر العباسي في عهد الخليفة ابي العباس سنة ١٣٥ هـ/٧٥٢ م . كما ان الحركة الخارجية اشغلت الخلافة الاموية عن امر الدعاة العباسيين في المشرق حتى أواخر سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م مما مكن الدعاة من استغلال تلك الظروف اذ قد قوى أمرهم وكثر انصارهم وهيأ لهم فرصة تقويض الحكم الاموي واقامة الدولة العباسية وقال صاحب اخبار الدولة العباسية : « وقد ظهرت الدعوة ثم زاد ذلك اشتغال مروان بمحاربة اهل حمص واهل فلسطين وخاصة الخوارج والضحاك بن قيس وشيبان بن عبدالعزيز ، فتفرغ لهم وقد قوى امرهم وكثرت جماعتهم ، وكل ذلك من اسباب قوة الدعوة واقامة الدولة » (١) لقد هيأت ظروف انشغال الامويين بحركة الخوارج فرصة مناسبة للدعاة العباسيين بالتنقل تبعاً لما تقتضيه مصلحة الدعوة وبالفعل لم يتمكن مروان ان يفعل شيئاً ازاء خطر الدعاة العباسيين في خراسان ، رغم تحذيرات نصر بن سيار . ذلك لان مروان كان « منشغلا بحروب الخوارج بالجزيرة وغيرها » (٢) . ومن جهة ثانية فان انشغال الامويين بمجابهة الحركة الخارجية قد ادى الى ارهاق قوات

---

(١) مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، ٢٥١ـ٢٥٢ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢٥٥/٣ـ٢٥٦ ، الخضري ، محاضرات ج١ ، (القاهرة ، ١٣٧٦) ص ٢٠٧ـ٢٠٨ .

الامويين واضعف قوتهم العسكرية . ولعل ذلك مادعى فان فلوتن الى القول بان الامويين وان انتصروا على هؤلاء الخوارج في تلك المرة الا ان ذلك الانتصار قد استنفذ آخر جندي من جنودهم (١) وان الحركة الخارجية هذه لم يقتصر اثرها على اضعاف الجيش الاموي بل انها اضعفت الدولة الاموية ضعفاً شديدا (٢) . وذلك لانها كانت استمرار للحركات الخارجية التي ظهرت منذ بداية العصر الاموي ، حيث انهم اشرفوا في بعض مواقعهم على القضاء على الدولة (٣) بحيث أقضت مضجعها(٤).

ومما لا شك فيه فان الحركة اثبتت قوة شخصية مروان وبطولته ، وقد أشاد بذلك المؤرخون حين وصـــفوه بانه « كان مهيبا بطلا شجاعا » (٥) وكان لا يفتر عن محاربة الخارجيين على الدولة في عهده ، واهله من شبان بني امية في مواصلته الحروب وتصميمه وصبره على المكاره (٦) والواقع ان المؤرخين اكثروا من الاشادة بذكره وقوته وشجاعته . وهكذا تكون حركة الخوارج قد صقلت وكشفت جوانب حقيقة هذه الشخصية

---

(١) فان فلوتن السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات . ص ٧٤ .

(٢) عمر فروخ ، العرب والاسلام ص ١٢٤ .

(٣) احمد امين ، فجر الاسلام ، (القاهرة ، ١٩٥٩) ص ٢٥٧ .

(٤) النجار ، الموالي في العصر الاموي ، (القاهرة ، ١٩٤٩) ص ١٢٥ .

(٥) الديار بكري ، تاريخ الخمس ، ج٢ (القاهرة ، ١٢٨٣) ص٣٢٢ قال كان يعرف بالحمار لشجاعته) وانه كان مقاتلا كفوءاً ومنظما جيدا (سيد فائز محمود ، مختصر تاريخ الاسلام (بالانكليزية) (لندن ، ١٩٦٠) ص ٨٦ .

(٦) الديار بكري ، المصدر السابق ، ٣٢٢/٢ .

السياسية والعسكرية وفي الوقت نفسه فان الحركة الخارجية قد كشفت جوانب متعددة لحالات الطموح الشخصي لعدد من الشخصيات الاموية البارزة كما كشفت عن عدم اخلاصها ووفائها للبيت الأموي . ولعل من ابرز الامثلة في هذا المجال شخصيتي سليمان بن هشام وعبدالله ابن عمر ، ولعل انقسام الامويين وصراعهم على السلطة قد اسهم في دفع وتطور حركة الخوارج كثيراً (١) .

ان النتيجة الختامية التي يمكن التركيز عليها هي حالة الفشل الذريع التي مني بها الخوارج فعلى الرغم من انهم حققوا نجاحاً واضحاً في الجزيرة والعراق فانهم فشلوا في استغلال ذلك او في الاحتفاظ به على الأقل (٢) .

حركة المعارضة الخارجية في العصر العباسي

١٣٥ هـ / ٧٥٢ م ـ ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م

بعد ان استطاع الخليفة الاموي مروان بن محمد كبح جماح الحركة الخارجية بشجاعة وقسوة بالغة فانه لم يتمكن من القضاء نهائياً على روح الفكر الخارجي في نفوس كثير من الناس المتأهبين للثورة بين حين

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ج٢ (القاهرة ، ١٩٦٤) ص ٤٤ .

(٢) النجار ، الدولة الاموية في الشرق ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ص ٦٦

وآخر في اقليم الجزيرة ، غير ان الخوارج ظلوا مختفين بين السكان ، ذلك لان الرأي السائد يشير بأن حركتهم قد ماتت مع نهاية حكم مروان الاخير ، حيث ان هذا الرأي مبالغ فيه فالحركة الخارجيــــة استمرت طوال العصر العباسي الاول ونظر الخوارج الى العباسـيين النظرة العدائية نفسها التي كانوا ينظرون بها للأمويين (١) وفي ابان السنين الاولى للحكم العباسي شهدت الجزيرة حركة معارضـة قام بها الشيعة الاموية وغيرها من الحركات الأخرى كحركة الموصل . فمن المحتمل ان يكون الخوارج قد ساهموا فيهذه الحركات المعارضةللنظام الجديد ، وهذا ما حدث فأنهم اشتركوا مع احدى الثورات الاموية في الجزيرة ضد العباسيين غير اننا لا يمكننا ان نعرف مدى اســـهام الخوارج في هذه الحركات التي كانت اول رد فعل معارض في الجزيرة الفراتية ضد الحكم العباسي الجديد . ويعلق ابن خلدون على ركـود الحركة الخارجية بعد فشلها في زمن مروان بن محمد بقوله :(...وركد ريح الخوارج من يومئـذ الى ان ظهرت الدولة العباسـية وبويع المنصور ... » (٢) وان الخلافة العباسية كانت مدركة لخطر الخوارج في المنطقة فيروى ان صاحب الرابطة كان مقيما في الموصل فى الفين من الجند لمكانة الخوارج الذين فى الجزيرة (٣) وكانت الموصل مركزاً لحركاتهم فيها .

---

(١) د . فاروق ، العراق في العصر العباسي الاول ، مجلة بين النهرين عدد ٦ (بغداد ، ١٩٧٤) ص ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ، ٣٥٨/٣ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ٥٧٧/٥ الذهبي ، تاريخ الاسلام ٢٩/٦ ،=

قال الازدي « كانت الخوارج تخرج منها ولا يصل اصحاب السلطان الى شيء إلا دون الربع ، فاذا طولبوا احتجوا بالخوارج ... » (١) وكانت أهم ثورات الخوارج بالجزيرة الفراتية في الفترة العباسية موضوعة البحث هي :

ثورة بريكه بن حميد الشيباني : « سنة ١٣٥ هـ/٧٥٢ م »

ثار بريكه ضد الحكم العباسي الجديد وكان على الجزيرة ابو جعفر المنصور فوجه اليه محقن بن غزوان فهزمه الخوارج ، فأتى رأس العين ، وبلغ ذلك ابا جعفر فوجه اليهم مقاتل بن حكيم العكي ثم تبعه ابو جعفر من كفرتوثا الى بعض قرى دارا ، وقد انضم للخوارج انصار الامويين وعلى رأسهم محمد بن سعيد بن عبد العزيز الاموي ، الذي قتل في دارا وانهزم الخوارج ، واعتصم بريكه بجبل دارا فتوجه العكي فقتله وامر ابو جعفر بهدم مداين الجزيرة (الاحراز) (٢) .

ثورة ملبد بن حرملة الشيباني : (*) ١٣٧ هـ/٧٥٤ م

ثار ملبد سنة ١٣٧ هـ/٧٥٥ م (٤) وفي رواية (٥) انه في سنة ١٣٨ هـ

= الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك (بغداد ، لا.ت) ص ١٧٧ .

(١) تاريخ الموصل ، ٢٧٥

(٢) بلاذري ، انساب ، ٤ / ورقة ٣٥ ب ، فاروق ، العباسيون الاوائل ١/٢٥٠ .

(٤) طبري، المصدر السابق ٧/١٣٧ الذهبي ، تاريخ الاسلام ٥/٢١٩ .

(٥) الطبري، المصدر السابق، ٧/٤٩٦ ، الذهبي، المصدر السابق، ٥/٢١٩ .

(*) هو ملبد بن حرملة بن معد بن سلطان بن قوس بن حارثة =

والرأي الاول اقرب الى الصواب (١) ، ويمكن اعتبارها استمرارا لحركات الخوارج خلال الفترات التالية وذلك بعد فترة من الاحداث المتنوعة التي شهدتها الجزيرة في اعقاب مجيء « العباسيين » وقد كانت اوضاع الموصل مضطربة في بداية هذه الحركة . وكان اسماعيل بن علي والي الموصل قد كتب الى ابي جعفر المنصور بأمر الموصل واختلالها فكتب اليه يأمره بحسن السيرة والاحسان الى أهلها اذ انه لم يرفع اليه طول ولايته درهما (٢) .

أما عن سبب الثورة فيبدو واضحا من خلال مواقف الخوارج المعارضة للسلطان العباسي فبعد ان قضت الدولة العباسية على ثورة عبدالله بن علي بالجزيرة الفراتية ، بعث الخليفة المنصور الى الجزيرة أبا الازهر المهلب بن العبير المهري وصالح بن صبيح مولى كنده وغيرهما الى كور الجزيرة لتتبع أهل الفتنة والفساد من « الاعراب والشراة » وغيرهم ولتطمين الناس فنزل رجل من قواد اهل خراسان منزلا فنزل عليه ملبد بن حرملة بالجزيرة سنة ١٣٧ هـ فرأى ابنته وفي رواية

= أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان (البلاذري ، انساب ، جـ٤ ورقة ٤ أ روي انه ملبد من بنى حارثة بن عمر ذوي التاج ومن بني قيس بن عمرو بن ابي ربيعة ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، نسخة الأسكوريال ورقة ٦ .

(١) راجع د . فاروق ، العباسيون الاوائل ٢٥٤/١ ، فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ، ١٤٢/٢ .

(٢) الازدي، المصدر السابق ،١٦٦

ابنة أخيه وطلب اليها أن تغسل رأسه فعارضه المولد طالباً ان تقوم احد الاماء محلها فاصر القائد الخراساني على ذلك ، وخرج اليه ملبد بسيف فقطع رأسه ثم تتبع بيوت داره وفيها عدد من الجند الخراسانيين فقتلهم هو ومن معه ، وسمع الخوارج بخبره فأنضم اليه عشرون منهم (١) وبذلك ابتدأت شرارة الحركة الخارجية باللهيب بوجه الدولة العباسية ويميل كثير من المؤرخين الى القول بان الحركة ظهرت في الجزيرة ثم اتجهت الى الموصل وضواحيها ،(٢) وينفرد الازدي بالقول بانه قد اعلن الثورة بالموصل ، (٣) ويذكر خليفة بن خياط ان ملبد بن حرملة كان من بني ربيعة في الموصل وانه كان أول خارجي في العصر العباسي حيث استطاع ان يوقع هزائم متلاحقة بالقوات العباسية بالجزيرة (٤) ، كما انه استطاع أن يهزم روابط الجزيرة يومئذ فيما ذكرت بعض المصادر انه واجه الف فارس وقاتلهم فهزمهم (٥) ، وان قوات الربط كانت من القوات المنتظمة التي تستطيع ان تجابه اي حركة مناوئة للخلافة كما ان جزء من واجبها الرئيس كان مواجهة حركات الخوارج . وبعد ان انضم اليه الخوارج هاجم

---

(١) الطبري ، المصدر السابق، ١٣٧/٧ ، الذهبي، تاريخ الاسلام، ٢١٩/٥
(٢) الطبري، ٤٩٦/٧، الذهبي ، المصدر السابق ، ١٩/٥
(٣) الازدي المصدر السابق ص ١٦٦ .
(٤) البلاذري ، انساب الاشراف ، ٤/ ورقة ٤ أ
(٥) الطبري المصدر السابق ، ٤٩٥/٧ ، ابن الاثير المصدر السابق=

مسلمة بقيادة بكار المروزي فقتله وأخذ ما معهم من الدواب والسلاح. ثم اتجه في مائتين من اصحابه الى الموصل فطرد عاملها عبدالحميد بن ربعي ، ولقيه المهلب (ابو الازهر) قرب تكريت بعد حملة عبدالحميد وانصرافه فقدم ابو الازهر (١) ثم واجه ملبد قوات عباسية قوية بقيادة يزيد بن حاتم المهلبي الازدي وتمكن ملبد ان يهزمهم بعد قتال شديد حيث سبى ملبد جارية ليزيد وقتل قائدا من قواده ثم وجه اليه ابو جعفر مولاه المهلهل بن صفوان في الفين من نخبة الجند فهزمهم ملبد ايضا فاستباح عسكرهم . ثم وجه اليه احد كبار قادة الخراسانيين من قوات أهل خراسان فقتله ملبد وهزم اصحابه ، ثم وجه اليه يزيد بن مشكان في جمع كثير (٢) فلقيه بباجرمي وهزم زياد وقتل تسعين من اصحابه وزياد في خمسة آلاف ، فكتب اليه المنصور : « العجب كل العجب لمن يخاف ما لم يقبض عليه او يفر مما هو مصيبه وأني رأيتك هربت فقال : عدوك وانت في اضعاف رجاله وظننت ان فرارك يؤخر يومك ويزيد في عمرك أما علمت ان للعباد آجالها

= ٤٨٢/٥ ، الذهبي ، تاريخ ٢١٩/٥ .

(١) الازدي تاريخ الموصل ، ص ١٦٦ .

(٢) الطبري المصدر السابق، ٤٩٥/٧-٤٩٦ ، ابن خلدون المصدر السابق، ٣/ص ٣٥٨ - ٣٥٩ (وقد نقل ذلك الازدي بقوله « وكان قد خرج اليه قبل يزيد بن مشكان وكان عاملا على الجزيرة ، وعلى بعضها ثم جعل مع اسماعيل بن علي لما تولى الموصل » الازدي المصدر السابق ص ١٦٦ .

لا يستقدمون عنها ولا يستأخرون فيها سبحان الله ما أعجزك واضعف رايك ورديتك اطمعت في البقاء بعد نفاذ عمرك ام تخوفت القتل ... حتى أثرت العار واخترت الفرار ورضيت بالشين في أضعف اليقين » (١) ويعلق الذهبي على انتصار الملبد هذا بقوله « واستفحل شره وعظمت هيبته » (٢) ويعقب ابن كثير على انتصاراتهم المتوالية هذه بقوله « بانه انتصر على جيوش متعددة كثيفة كلمـــا تنفر منه وتنكر » (٣) ويعلق د . فاروق على هذه الانتصارات بقوله « .... وغدت حركة الملبد خطرة بحيث شلت السلطة العباسية » (٤) ثم كتب المنصور الى صالح بن صبيح يأمره بالمسير الى ملبد فسار اليه وكان على مقدمته برازخداه في الفين وأتبعه صالح في اربعة الاف فواقع ملبد برازخداه فقتله بين نصيبين ورأس العين وهاجم ملبد عسكر صالح فاحتوى مافيه (٥) ثم ان ابو جعفر المنصور ارسل قوة كبيرة بقيادة حميد بن قحطبة وقحطبة الطائي واستطاع ملبد ان يهزمهما غير ان حميد بن قحطبة هذا استطاع ان يتجاوز الهزيمة ويتحصن ويطلب النجدات من الخليفة ابو جعفر المنصور الذى وجه اليه عبد العزيز ابن عبد الرحمن اخا عبد الجبار بن عبد الرحمن وضم اليه زياد

---

(١) بلاذري ، المصدر السابق ، ٤ / ٤ أ (نسخة لندن ورقة ٦٥٣)

(٢) تأريخ الاسلام ٥ / ٢١٩ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠ / ٧٣ .

(٤) د . فاروق المرجع السابق ، ١ / ٢٥٤ .

(٥) بلاذري ، المصدر السابق ٤ / ٤ أ (نسخة لندن ورقة ٦٥٣) .

ابن مشكان غير أن ملبد علم بأمر هذه القوات واكمن لها الكمائن فلما لقيه عبد العزيز خرجت اليه الكمائن فاربكت قوات الخليفة مما ادى الى هزيمتها وقتل غالبيتها (١).

اربكت انتصارات الملبد هذه الخليفة ابا جعفر المنصور غير أنه لم يستكن لما حققه الملبد من انتصارات . وكان المنصور يستعين في مقاومة الملبد بالقادة الخراسانيين الذين عرفوا بموالاتهم للخلافة العباسية . وقد وجه اسماعيل بن علي والي الموصل الى ملبد قوة من رابطة الموصل فقتل ملبد قائدها وهزم بقية القوة(٢)

ثم استفحل خطره وذلك لما ولى المنصور يزيد بن حاتم اذربيجان حيث عرض له الملبد في طريقه فقاتله فقتل من أصحاب يزيد ثمان مائة ونجا يزيد ففي « قميصه راجلا » حتى انضم اليه من معه بعد أن لحقوا به وبعث اليه المنصور روح بن حاتم في ثلاثة آلاف والشمر أبن عبيد الخزاعي في الفين وسماك بن الشحاج الازدي في عشرة آلاف فلقيهم فقتل منهم الفا ومات كثير منهم عطشا وانهزموا وغنم ملبد

---

(١) الطبري ، ٧ / ٤٩٨ ، الازدي ، تاريخ الموصل ص ١٦٦ - ١٦٧ ابن خلدون ، ٣ / ٣٥٩ بعد ان هزم الملبد حميد بن قحطبة كان يومئذ على الجزيرة تحصن منه حميد واعطاه مائـــة الف درهم على ان يكف عنه فقبلها ملبد وتقلع عنه الطبري ٧ / ٤٩٦ ابن الاثير ٤٨٢/٥ الذهبي تاريخ الاسلام ، ٥ / ٢١٩ ابن كثير ١٠ / ٧٣ ، د . فاروق المرجع السابق ، ٢٥٤/١.

(٢) البلاذري ، انساب ٤/٤ أ (ورقه ٦٥٣) ، ابن الجوزي ، منتظم ٤٧١/٨ ب .

كثيراً منهم فلما رأى المنصور ذلك « جد في أمر ملبد » (١) . فعقد لخازم بن خزيمة في نحو ثمانية آلاف وفي رواية (ستة آلاف منتخبين من المروذية لقتال خازم حتى نزل الموصل ، وبعث الى الملبد بعض أصحابه وبعث معهم (الفعلة) وساروا الى بلد وخندقوا واقاموا له الأسوار وبلغ ذلك الملبد فخرج حتى نزل ببلد في خندق خازم فلما بلغ ذلك خازما خرج الى مكان في أطراف الموصل (حريز) فعسكر به ولما بلغ ذلك الملبد عبر دجلة من بلد .(٢)

ولو لاحظنا مسير الاحداث لرأينا أن الملبد كان في حالة هجوم في حين ان القوات العباسية المتصدية للحركة الخارجية هذه كانت في حالة دفاع عن مواقعها ، غير أنه لما عبر الملبد دجلة توجه الى خازم من ذلك الجانب يريد الموصل .

وكان اسماعيل بن علي إذ ذاك والياً على الموصل . أمر اسماعيل خازما أن يرجع من معسكره حتى يعبر من جسر الموصل فلم يفعل ، وعقد جسرا في موضع معسكره وعبر الى الملبد(٣) .

لقد حولت حركة خازم البارعة هذه ميزان التصادم إذ أبدلت وضع جيش الخلافة من الدفاع الموضعي الى الهجوم الشامل على قوات الخوارج التي تحولت الى اتخاذ وضع دفاعي لأول مرة .

كان الجيش العباسي في موقع ممتاز من الناحيتين النفسية والعسكرية وكان على مقدمته وطلائعه نضلة بن نعيم بن خازم بن عبدالله النهشلي وعلى

---

(١) البلاذري ، أنساب ، ٤/٤ أ

(٣) الطبري المصدر السابق ، ٤٩٨/٧

(٣) الطبري ، المصدر السابق ٤٩٨/٧ ، د . فاروق المرجع السابق ٢٥٤/١ .

فيمنته زهير بن محمد العامري وعلى ميسرته أبو حماد الابرص مولى بني سلم وسار خازم في القلب (١) .

ويبدو أن الخلافة صممت على وضع حد لهذا العبث بالأمن وبدأت قواتها وكأنها تريد انهاء الحركة سريعا .

شعر الملبد بجدية وصلابة قوات الخلافة مما الجأه الى الحيلة والدهاء للتخلص من خطر المواجهة الذي كان يهدد حركته . وقد نقل الطبري روايات تفصيلية عن مجريات الاحداث مما يشعر الباحث بأهميتها وخطورتها فلقد تظاهر الملبد بأنه يبغي الهرب للتخلص من مجابهة قوات العباسيين فخرج خازم وأصحابه في أثرهم تاركين خنادقهم وتحصيناتهم مما أتاح للملبد القيام بحركة التفاف بارعة واحتل تلك التحصينات .

حاول خازم تلافي هذه الخسارة باقامة تحصينات سريعة جديدة غير أن ذلك لم يكن ممكنا في تلك الظروف الحرجة ، وهكذا فقد جيش الخلافة تحصيناته التي أصبحت عنصر قوة لأعدائه نتيجة خطة الملبد التي تشير الى سعة أفقه ومرونته وانتظام تفكيره وخبرته العسكرية (٢) .

بدأ الخوارج بعد ذلك بمجابهة جيش الخلافة فحملوا على ميمنة الجيش العباسي فشلوا حركتها وكذلك فعلوا بالميسرة ثم ركزوا جهودهم على القلب وفي مركز القيادة .

وتقدم المصادر وصفا ممتعاً للأحداث المتلاحقة بين الفريقين إذ يبدو ان خازما أحس بالخطر الكبير فاستمات في القتال وتحولت

---

(١) الطبري المصدر السابق ، ٧ / ٤٩٨

(٢) ن . م . ، ٧ / ٤٩٨

المعارك الى صراع دموي بالسلاح في حالة التحام واختلاط بين خطوط المقاتلين من العسكريين . ثم أمر قائد الجيش العباسي أحد أركان جيشه مع مجموعة من المقاتلين بركوب الخيل واللجوء الى رمي المقاتلين بالنشاب بعد أن فك الجيش العباسي الالتحام وتراجع ، وقد نجحت الخطة إذ تسبب ذلك عن مقتل الملبد في ثمانمائة رجل من ترجل وكان قد قتل منهم زهاء ثلثمائة قبل ذلك وهرب الباقون الذين تبعهم نضلة وقتل منهم مائة وخمسين رجلا(١) وتتحدث المصادر عن مصير قائد الجيش العباسي خازم بن خزيمة الذي يبدو أنه لاقى حتفه خلال المعارك ، وينفرد الازدي بايراد رواية اشار فيها الى أن خازما قتل في ثمانمائة من أصحابه (٢).

أسباب فشل الحركة :

فشلت حركة الخوارج هذه رغم التخطيط الجيد الذي كانت تتصف به ولكن امكانيات الخلافة والاصرار المتواصل كانا السبب الحقيقي لاحباط خطط الخوارج رغم الانتصارات الاولية التي حققتها على جيش الخلافة . تلك الانتصارات التي لم يستثمرها الخوارج للمواجهة المنتظمة لجيوش الخلافة ذات المدد المستمر للقضاء على الحركة .

ولعل الموقف الحازم الذي اتخذته الخلافة العباسية في مواجهة الخوارج

---

(١) الانساب ، ٤/٤ أ (نسخة لندن ورقة ٦٥٣) الطبري المصدر السابق ، ٧/٤٩٨ - ٤٩٩ ، الازدي المصدر السابق ص ١٦٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٥/٤٨٥ - ٤٨٦ ، ابن خلدون المصدر السابق ٣ / ٣٥٩ .

(٢) الازدي ، المصدر السابق ، ص١٦٧ .

كان من العوامل الفعالة في أضعاف شوكة هذه الحركة إذ أن الخلافة ورغم كل الانتصارات التي حققها الخوارج وبشكل مستمر لم تصل بالخلافة الى حالة اليأس من امكان تحقيق النصر بل أن ذلك زاد من أصرارها في ارسال المدد والبعوث المتلاحقة حتى تمكنت من احباط الحركة والقضاء عليها . ويبدو أن الفرق بين ردود الفعل بين السلطتين أو بالاحرى اختلاف قوة الدولتين الاموية والعباسية ربما اسهمت في ايقاع قيادة الخوارج في خطأ سوء التقدير مما كان له الاثر في اضعاف الحركة ، اضافة الى اصرار القوات العباسية واستماتتها في القتال ضد الخوارج بحيث جوبه الخوارج برجال مستميتين في في الدفاع عن كيان الخلافة فقد أمر نضله بن نعيم بمواجهة الخوارج المترجلين بالنشاب ثم أمر بعقر جميع خيول الخوارج فجردوا منها ولم يستطع فرسانهم عمل شيء ضد فرسان الخلافة . أضف الى ذلك أن ثورة الملبد تحمل خصائص الثورات الخارجيةفما أن أعلن الملبد ثورته حتى انضم اليه البدو والذين لم يكن لديهم اي ولاء لمذهب سياسي معين ، كما انضم اليها الخوارج من أقسام أخرى في الدولة فزادوا من حجمها(١) ولعل في انضمام العناصر البدوية كان له أثره السلبي في فرض وتطبيق النظام بشكل تام على الجيش الخارجي ، ولايقتصر ذلك على البدو فحسب بل العناصر الاخرى غير الخارجية .

ان هذه الاسباب مجتمعة قد اسهمت في القضاء على بواكير حركات المعارضة الخارجية ضد العباسيين في الجزيرة حيث منيت بالفشـــل

(١) د. فاروق ، المرجع السابق ، ١ / ٢٥٤ .

الذريع رغم الانتصارات الاولية التي حققها على قوات الخلافة . لقد اوضحت هذه الحركة حقيقة كون الخوارج لا يزالون يمثلون مركز الثقل في حركات المعارضة في الجزيرة الفراتية لنظام السلطة العباسية، كما انها نبهّت العباسيين على حقيقة موقف الخوارج منهم وخطورة ذلك وهكذا نبهتهم على احتمالات الاخطار المتكونة من ثورات الخوارج في المستقبل فأسسوا القواعد العسكرية في الجزيرة من اجل التصدي والقضاء على أي خطر خارجي متوقع .

ثورة عطية بن بعثر التغلبي الخارجي (١)

ثار عطية بالموصل مترعما مائة من الخوارج ومعهم الوليد بن طريف ، ثم أخذ باتجاه الجنوب ، حيث قصد السوس ، لمهاجمة قافلة عباسية محملة بالاموال غير انه عدل عن عزمه ولم يؤذ اهل السوس عند نزوله فيها ، ثم حدث خلاف بين رجل من أهل السوس وبين رجل من الخوارج ، فاستعرض عطية أهل السوس ، وكان مناره مولى الخليفة بناحية الاهواز فقاتله عطية فقتل من اصحابه اكثر من مائتي شخص وانهزم مناره . وبعد ان حقق هذا الانتصار الذي عزز من ثقته وقوته لذلك اتجه الى الموصل في طريقه الذي ابتدأ منه ثورته ، فوجه المنصور اليه أبا حميد المروروزي ، فنصب له كميناً حيث هجم عليه جند الخلافة بالنشاب فقتل عطية واصحابه « فلم يبق منهم أحد » (٢).

(١) البلاذري ، انساب ، ٢/٤٤ب (نسخة لندن ، ورقة ٦٥٤) .

(٢) ن.م. ٤/٤ ب(نسخة لندن ورقة ٦٥٤) ، الدكتور فاروق ، =

ثورة حسان بن مجالد الهروري (*) سنة ١٢٨ هـ / ٧٦٥ م

أخذ حسان رأي الخوارج من خاله حفص بن أشيم الذي كان من علماء الخوارج وفقهائهم (١) ، وتشير المصادر الى ان حسان بن مجالد قد أعلن ثورته وخرج على السلطة العباسية بقرية تدعى بافخاري من قرى المنائح وهي من قرى الموصل ولذلك فان مركز الحركة الخارجية هو الموصل على خلاف سابقتها التي اندلعت من الجزيرة ثم امتدت الى الموصل .

تولت روابط الموصل العسكرية مسؤولية المباشرة للتصدي لهذه الحركة ومحاولة القضاء عليها في مهدها . وكانت هذه الروابط ـ كما يبدو ـ في حالة تأهب مستمر للقضاء على الاخطار المحتملة المتوقعة من حركات الخوارج .

= العباسيون الاوائل ١/٢٥٤ـ٢٥٥ ، والخلافة العباسية (بالانكليزية) ص ٢٩٣ .

(١) ابن الاثير الكامل ، ٥/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦ ، بن الجوزي المنتظم ، ٨ ورقة ٥٧٦ ب .

(*) هو حسان بن مجالد بن يحيى بن مالك بن الاجدع ، ويحيى بن مالك جده ابن اخي مسروق بن الاجدع بن مالك بن أمية بن عبدالله بن حر بن سلامان بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبدالله بن وادعه بن عمر بن فرسخ بن رافع بن مالك بن جشم بن حاشد بن ضرار بن نوف بن همدان ، وبنو مالك هؤلاء قدموا الكوفة ومنازلهم ببافخاري وحسان هذا =

لقد سبق قيام حسان بحركته ان جرى صدام عنيف بين قوات الخلافة العباسية ـ ممثلة في قوات روابط الموصل ـ وبين مجموعات من

= جدابي اسحاق بن اسماعيل الحمداني الذي عين والده حنويش بن اسحاق الاعرج وقدم جدهم الاعرج بن مالك على عمر بن الخطاب (رض) وكان شاعراً ، ومسروق بن الاجدع عم يحيى بن مالك بن الاجدع من اصحاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه وشهد معه الجمل وصفين ، فلما حكّم الحكمين كان ممن أنكر ذلك فصار مع اصحاب النخيلة من الخوارج « الازدي، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ـ٢٠٥ » ، وكانت أم حسان من الخوارج وكان خاله حفص ابن أشيم من فقهائهم « ابن خلدون ،العبر م٣/٣٦٠ ».

وروي ان حسان كون فرقته الخارجية وجاءه هذا المبدأ الخارجي عن خاله وهو حفص بن أشيم من رهط القاسم بن يزيد الجرمي المحدث الموصلي ، قال الازدي : « وحفص بن اشيم هذا احد فقهاء الخوارج من أهل الاجتهاد وهو موصلي من بافخاري القرية التي على دجلة قريبة من الموصل وكان حفص هذا يتولى العقود للخوارج اذا خرجوا اليه وكانوا يعدون اذا اجمعوا على ذلك ـ فيما بلغني ـ وهو الذي يقول فيه جرير بن غالب الخارجي وهو من فقهاء الخوارج ممن صنف الكتب في الفقه ، وهو رجل من حمير او الى حمير من أهل الكار الاسفل بالموصل ، يفخر في قصيدة قالها يفخر بلقاء حفص » .

فلما بلغنا خمس عشرة حجة لقيا على الأسلام أبن أشيما

(الازدي المصدر السابق ص ٢٠٥ـ٢٠٦) .

الخوارج بقيادة الصقر بن نجدة بن الحكم الاسدي والموصلي ، وقد تمكنت القوات الخارجية ان تهزم قوات الروابط بل وان تطاردها الى جسر الموصل، بل انها اقدمت على نهب مافي سوق الجسر ثم احراقه،(١) ويعلق د . فاروق على ان ذلك العمل دليل آخر على الطبيعة البدوية للخوارج ، رغبة في الغنمة أولا ولأظهار تذمرهم من السلطة العليا ثانياً . (٢) مما كان له اسوأ الاثر في معنويات المقاتلين في تلك الروابط من جهة وفي التشكيك بمدى امكانية السلطة المركزية في مقاومة قوة الخوارج التي ظهرت وكأنما استعادت وجودها وأثبتت كفاءتها بعد فشل ثورة المليد .

لقد عززت هذه الانتصارات من جهة اخرى معنويات الخوارج التي استفادت من الظروف الجديدة فانطلقت بجمعة القوى حولها عاصفة بمن يتصدى لها في هجوم شامل وسريع نحو الغرب باتجاه مدينة الرقة . (٣) ومن الغريب انه لم يدخل مدينة الرقه كما لم تقدم الاسباب الرادعة له عن هذه المبادرة المتوقعة . وكذلك لم توضح الاسباب التي دعته الى الانحدار تجاه البطائح ثم ركوبه البحر الى بلاد الهند (٤) . ويشير الازدي الى نشوء علاقات حسنة بين خوارج عمان وبين حسان واتباعه ، وبأن حساناً حاول الانتقال من حوض السند الى

---

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ، ٢٠٣-٢٠٤ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٥/٥٨٤ .

(٢) د . فاروق العباسيون الاوائل ١/٢٥٥ ،الخلافة العباسية،ص٢٩٤ .

(٣) الازدي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤.

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٥/٥٨٤ .

عمان اذ كتب الى خـــوارج عمان « يستأذنهم في المسير اليهم فلم يجيبوه » (١) ويعلق الدكتور فاروق الى ان الاتفاق لم يتم بسبب رفض الامام الاباضي لذلك (٢) .

ويبدو ان هؤلاء امتنعوا عن السماح له بتحقيق ذلك مما اضطره الى العودة بعد ان تبين له عدم جدوى الاقامة في تلك المناطق الغريبة عن مجتمعهم وتقاليدهم ، ولعل هذه المحاولة تلقي الاضواء على بعض الاسباب الكامنة خلف خروجه من الجزيرة ابتداءا ، فربما يعود ذلك الى احساسه بعدم وجود قوى بشرية كافية تؤيد حركته في مقابلة امكانات الخلافة وما تستطيع تحشيده من قوى . ولعل بالامكان ان نضيف ان بعض اســـباب ذلك ترجع الى طبيعة التركيب القبلي او الانتماءات القبلية والانقسامات الحاصلة آنذاك ، وتذكر المصادر ان الخليفة ابا جعفر المنصور أبدى استغرابه عند سماعه اخبار خروج حسان على الطاعة بقوله « خارجي من همدان ؟ » وان ابن الاثير وابن خلدون يفسران استغراب المنصور بانه ناجم عن اعتقاده « بانه عامة همدان هم شيعة لعلي عليه السلام » (٣) ويعلل د . فاروق سبب دهشة المنصور تلك لأن قبيلة همدان غير معروفة بميولها الخارجية ، كما ان

---

(١) الازدي، المصدر السابق ، ص٢٠٤ ، ٢٠٦ ،ابن خلدون، المصدر السابق ، ٣/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠ . ابن الاثير المصدر السابق ،٥/٥٨٥ .

(٢) د . فاروق ، العباسيون الاوائل ١/ ٢٥٥ ، والخلافــة العباسية ، ص ٢٩٤ .

(٣) ابن الاثير ،المصدر السابق٥/ ٥٨٥، ابن خلدون،المصدر السابق،٣/ ٣٦٠ .

الخليفة غاب عنه ان حسان هذا كان يتصل بصلة قرابة مع حفص ابن أشيم الخارجي المشهور(١) . كما ان عامة همدان شيعة علويون(٢).

وان الراجح والمعقول ان يؤخذ بنظر الاعتبار طبيعة الانقسامات والتحزبات القبلية وآثارها . ولعل من الاسباب التي اسهمت في رجوعه الى الجزيرة ما اشتهرت به الجزيرة من كونها مركزا للحركات الخارجية، وهكذا فانه حاول ان يعيد نشاطه فيها ثانية مع ان سفره الطويل قد أرهقه كثيرا .

لم تقف قوات العباسيين دون حراك وهي تراقب عودة حســـان وجماعته الى الجزيرة فقد تجمعت بقصد القضاء عليه وكانت تحت قيادة الصقر بن نجدة يساعده كل من الحسن بن صـالح بن عبادة الهمداني وأحد زعماء قيس .

وكان لحسان قائد يقال له بلال تولى قيادة قوات الخوارج في حركتها ضد قوات العباسيين فتمكن من كسر شوكتها واسرّ الحسن بن صالح أبن عباد الهمداني كما أسـرّ الزعيم القيسي . والغريب ان حساناً أبقى على حياة الحسن بن صالح الهمداني في حين أمر بقتل القيسي (٣) ان هذا الاجراء من جانب حسان يتفق مع الروح القبلية في نصرة همدان ومقاومة القيسية غير انه بالتأكيد لاينسجم مع تعاليم الخوارج التي تؤكد على وجوب المساواة في النظر الى الاسرى وضرورة دعوتهم الى العقيدة التي أمنوا بها ، وعدم التفريق بينهم حيث ان الرابطة

---

(١) د. فاروق،العباسيون الاوائل، ١/٢٥٥ ، والخلافة العباسية ، ص ٢٩٤ .
(٢) فتحي عثمان ، المرجع السابق ، ٢ / ١٤٣ .
(٣) الازدي المصدر السابق ، ٢٠٤ ابن الاثير ، المصدر السابق ٥/٥٨٤ .

التي تربط بينهم هي اخوة العقيدة وليس الروابط القبلية . ويعلق د . فاروق على ذلك بقوله: «ويظهر ان العصبية القبلية كانت لاتزال تعمل عملها . رغم ان العقيدة الخارجية ترفض القبلية ، ونتج عن ذلك انشاق في صفوف اتباعه » (١) .

لقد تسبب تصرف حسان في هذا المجال الى شق وحدة الصف في معكسره واشاعه البلبلة بين اتباعه اذ كان في عسكره جماعة من الخوارج يتفقهون فانكروا عليه تصرفه في الامر بقتل القيسي واستبقاء ابن صالح الهمداني وتطور الامر الى اتخاذ مواقف جديه عقائدية ، فانقسم معسكر الخوارج بين مؤيدين ومعارضين، ووصل الامر ببعض اصحابه مع عدد كبير من الجند الى مفارقته (٢) بعد ان اتهـوه بالتعصب العرقي (٣) ، وقالوا له: « اطلقت الهمداني وقتلت القيسي » (٥) .

ان هذا التطور كان جذريا بالنسبة لحركة حسان فقد كان نذيراً بتجزاة وتفكك الحركة الخارجية هذه بعد أن وقع الانقسام في صفوفها ، ومما زاد في خطورة الوضع ، ان ذلك يحصل في وقت كانت فيه الحركة الخارجية تجابه خطراً كبيراً ، وهي في حالة تصادم

---

(١) د . فاروق ، العباسون الاوائل ، ١/٢٥٥ .
(٢) الازدى ، المصدر السابق ص ٢٠٤ ، ابن الاثير، المصدر السابق ٥/٥٨٤ ، د . فارق ، المرجع السابق ، ١/٢٥٥ .
(٣) ابن خلدون المصدر السابق ، ٣/٣٦٠ .
(٤) الازدي، المصدر السابق ، ص٢٠٤ .

مع اعدائها العباسيين .

لم تبد على حسان اية علامة ضعف او جبن بعد مفارقة اصحابه له ، بل على العكس فقد قاتل قوات العباسيين قتالا شديداً .

ويبدو أن وقع الحركة على مركز الخلافة كان شديداً ، فقد أستاء الخليفة أبو جعفر المنصور من أهل الموصل لدرجة كبيرة حتى أنه فكر جدياً في التنكيل بمكان المدينة وباستباحتها. وتشير المصادر الى أنه استقدم ثلاثة من الفقهاء في عصره (١) بقصد الحصول على التبرير الشرعي لما يعتزم القيام به ويبدو أن اثبات أبي حنيفة ووضوح أبعاد الأحكام الشرعية في ذهنه واجرأته في الحق قد حالت دون ذلك بل أدت الى اعادة الخليفة التفكير في الأمر وتغير وجهته في النهاية (٢) .

---

(١) أبوحنيفة وأبن أبي ليلى وابن شبرمة (الازدي ، تاريخ الموصل ، ص٢٠٦-٢٠٧) .

(٢) عن حماد بن ابي حنفية قال : بعث المنصور الى الكوفة في أشخاص أبي وأبن أبي ليلى وأبن شبرمة ،قال: فشخصت مع أبي لاخدمه، فلما قدمنا بغداد وبدأنا بباب أبي جعفر فاستاذنوا فأذن لهم فأمسكت أبي وابطا فلما خرجوا قلت ياأبي ماوراءك ؟ قال: لاتسل يابني: فقلت : اخبرني قال : حتي ننزل ، فلما صرنا الى المنزل قلت : يا أبه أخبرني قال :نعم أنا لما دخلنا الى الرجل فلم يمكنا من أخذ مجالسنا ، التفت الينا فقال : ألستم ترون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « المؤمنون عند شروطهم » ؟ قلنا : نعم قال : فان أهل الموصل شرطوا ألا يخرجوا علي » قال : فسكت . . . =

وبذلك انتهت حركة حسان بالفشل الذريع كسابقتها نتيجة لجهود الخلافة وموقفها الحازم والمتصلب من الخوارج .

= واحلت الجواب على الرجلين قالا « رعيتك ويدك المبسوطة عليهم وقولك المقبول فيهم فان عفوت فأهل لذلك وأن عاقبتهم فيما يستحقون » قال : ياشيخ أياك أردت فتكلم، قلت : ياأمير المؤمنين أليس أنك في بيت أمان ؟ قال : نعم قلت: شرطوا لك مالا يملكون وشرطت عليهم ماليس لك وأخبرتهم بمالا يحل لك ، وشرط الله احق من ان يوفى به ، قال : قوموا عني فقمنا قال : فمكثوا أياما، ثم دعى بهم فلم يطل الجلوس فلما خرجوا قلت : يا أبه ماوراءك ؟ قال: خير يابني أنه لما جلسنا قال : « ياشيخ فكرت فيما قلت فاذا القول كما قلت انصرفوا الى بلدكم ، وانصرف ابي ومن معه (الازدي ص٢٠٦ ــ ٢٠٧) وفي رواية انه قال لهم : أن أهل الموصل شرطوا الي « انهم لايخرجون عليّ » فان فعلوا حلت دماؤهم واموالهم وقد خرجوا فسكت ابو حنيفة وتكلم الرجلان وقالا : رعيتك فان عفوت فأهل ذلك انت ، وان عاقبت فبما يستحقونه ، فقال لابي حنيفة اراك سكت ياشيخ ؟ فقال ياامير المؤمنين اباحوك مالا يملكون أرايت لو ان أمرأة اباحت فرجها بغير عقد نكاح وملك يمين أكان يجوز لها ان توطأ ؟ فقال : لا وكفّ عن اهل الموصل وامر ابا حنيفة وصاحبيه بالعودة الى الكوفة (ابن الاثير، الكامل ٥/٥٨٥ ، ابن خلدون العبر ، ٣/٣٦٠) . وراجع د. فاروق ، المرجع السابق ، ١/٢٥٥ - ٢٥٦ .

حركة عبد السلام اليشكري ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م .

كان عبد السلام بن هشام اليشكري (١) قـــد ثار ضد الخليفة المهدي في سنة ١٦٠ هـ في باجرما فأتى نصيبين (٢) محاولا في ذلك ايجاد ظروف ملائمة لانجاح حركة .

ان منشأة هذه الحركة الخارجية كان في وسط الجزيرة فقد امتدت تأثيراتها من شرق الجزيرة الى وسطها مع انها تمركزت في شرق الجزيرة ، وبالتحديد في منطقة الموصل(٣) ، وينفرد الازدي بالقول بأن الحركة ظهرت بأرض الموصل ، ومع ذلك فانه يورد بعد ذلك رواية مناقضة إذ يقول بأن عبد السلام قد خرج بالجموع بالجزيرة (٤) .

وكانت قوات هذه الحركة تتنقل بين مختلف المناطق الوسطى من الجزيرة وكان المتولي لخراج نصيبين المنهال بن عمران بن فتان الكلابي، ويبدو ان هذا قد احس بالخطر على مدينته فأراد ان يمهد الخوارج

(١) الازدي، المصدر السابق ٢٣٨، الكتبي، عيون التواريخ جـ٣ ،ق١، ورقة ٩١ب « ويقول انه اتخذ قنسرين مقرا له » راجع د. فاروق ، العباسيون الاوائل ، ٢٦٣/١ .

(٢) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ٤٧٥/٢ راجع د . فاروق ، الخلافة العباسية ، ص ٣٠٣ ، فتحي عثمان ، المراجـــع السابق ٢ / ١٤٣ .

(٣) الازدى، المصدر السابق، ص ٢٣٨، د . فاروق ، العراق في العصر العباسي ، مجلة بين النهرين ، عدد ٦ ص ٥٦ .

(٤) الازدى، المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

فئة ، ففاوض اليشكري وبعث اليه بعشرين ألف فلم يدخلها(١) ،

كان ذلك أول مكسب مادي حققه الخوارج في بداية حركتهم وكان ذلك يعني من جهة ثانية توقف ارسال الأموال الى بيت المال المركزي في العاصمة . كما يدل على ضعف مراقبة السلطة المركزية في القضاء على أية حركة معارضة عند أول ظهورها .

ارتفعت معنويات عبد السلام اليشكري وأنصاره بعد هذا المكسب المادي وساعده ذلك على توفير أسباب القوة ، وهكذا فقد اتجه مع أنصارة تجاه رأس العين غير ان بني تميم منعوه من ذلك فاتجه الى آمد حيث اصطدم بقوات الخلافة العباسية التي كانت تحت قيادة عيسى ابن موسى الخراساني ، وقد قدر لقوات الخوارج أن تخسر الجولة الاولى وتبدأ بالتراجع غير أن قائدهم تبعهم وشحذ حماسهم وأثار العقيدة في نفوسهم مما أدى إلى تراجعهم عن الانسحاب ثم وقوفهم وثباتهم بوجه القوة العباسية مما حقق لهم النصر في النهاية إذ قتل قائد القوات العباسية (٢) وكان ذلك النصر كافيا لاثارة حفيظة الخليفة المهدي الذي كتب الى داود بن اسماعيل الربذي وهو في ألف

---

(١) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ٢ / ٤٧٥ .

(٢) خليفة بن خياط . المصدر السابق،٢ / ٧٤٥، الطبري المصدر السابق ، ١٤٢ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٦ / ٥٧ ، (يذكر أن اليشكري خطب في أنصاره قائلا « والله لا بد أن نكر لأنكم كفار تفرون من الزحف وليست لكم فئة فتراجعوا فانهزم أصحاب عيسى وحمل عليه عبد السلام فعانقه فصرعه فقتله) .

مقـــاتل بالجزيرة بالمسير الى اليشكري وجماعته لمقاتلتهم والقضاء على خطرهم . غير أن هؤلاء مروا بمنطقة برازالدوز فتصدى لهم الاتراك من سكان المنطقة الذين اوقعوهم في كمين(١) مما ادى الى اضعافهم عن القيام بما عهد اليهم وكان ذلك مشجعا للحركة على الاتساع والانتشار ، فالظروف معهم وسير المعارك كانت في صالحهم .

بعد فشل الوسائل العسكرية للسلطة العباسية المركزية من التصدي والقضاء على هذه الحركة الخارجية الخطيرة ، لجأ الخليفة المهدي الى الاعتماد على المناورات والاساليب الدبلوماسية من أجل التوصل عن طريق المراسلات الى حل يضمن وحدة أراضي الخلافة وأمنها . وقد نقل خليفة بن خياط النص الكامل لرسالة موجهة من الخليفة المهدي الى قائد الحركة جاء فيها :(ان الله اختص بالسعادة جنده وأيد بالهدى حزبه وأسكن من اجاب جنته ، وأسبغ على من خشية نعمته، وأهدف من عصاه نقمته ، اني قد عجبت من إحداثك وبغيك حيث أسألك مانقمت إذ حكمت بكلمة حق تريد بها باطلاً ، والله مخزيك فيه وسائلك عنه مع مناوأتك خليفته ونزعك يدك من طاعته وشتمك أبا الحسن علي بن أبي طالب ووقوعك فيه وتنقيصك اياه وولايتك من عاداه ، فالله عصيت ، ونبيه عاديت فقد أتاك يقين راض وحديث صادق عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله « من كنت مولاه فعليٌ مولاه » فكنت المكذب بذلك والحائد عنه حيث انقطعت مدتك واستمكنت بشيعتك وتماديت في غيك ، فاقسم لاغزينك أجناداً مطيعة وقوداً منيعة ، هم

---

(١) خليفة بن خياط ، المصدر السابق ، ٢ / ٤٧٥ .

الذين يفضون جمعك ، ويهتكون هناك ، فاعمل لنفسك أودع »(١).

ان كتاب المهدي هذا قد تضمن تهديداً ووعيداً لعبد السلام اليشكري الخارجي ولعل من المفيد أن نشير الى أن المهدي كما يبدو قد قصد من وراء ذلك الحصول على فترة التقاط أنفاس الخلافة وأخذ الفرصة الكافية خلال فترة المراسلات من أجل تجميع القوى العباسية وتهيأتها للقضاء النهائي على هذه الحركة الخطيرة . ومما هو جدير بالملاحظة أيضاً ضرب المهدي على وتر موقف الخوارج من العلويين ورفضه لموقفهم من الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، ولعل بالامكان تفسير ذلك على اعتبار أنه جزء من الدعاية العباسية التي كانت اثارها لم تزل مؤثرة في المجتمع الاسلامي في المشرق آنذاك كما أنها تعكس النظرة الرسمية العباسية لوحدة العلويين والعباسيين تحت لواء الهاشمية ، كذلك تؤكد نظرة التوفيق التي اتبعها المهدي والتي تمثلت في جملة من أجراءاته(٢) .

ان رسالة المهدي هذه قد عورضت من قبل عبد السلام اليشكري برسالة فندتها المزاعم العباسية جاء فيها « من عبد السلام بن هاشم الى محمد بن عبد الله : سلام على من اتبع الهدى ، واجتنب الغي وقام بالحق فلا الهدي أتبعت ، ولا الغيّ اجتنبت

(٢) خليفة ، المصدر السابق ٢ / ٤٧٥ ـ ٤٨٦ ، الازدي المصدر السابق ، ص ٢٣٨ ، على اختلاف في بعض الكلمات ، د . فاروق ، المصدر السابق ، ١/٢٦٣ ـ ٢٦٤

(٢) راجع ، د . فاروق ، الخلافة العباسية (بالانكليزية) ، ص ٢١١ ـ ٢٥٧) .

ولا بالحق قمت ، أما بعد : فان الله بحوله وقوته ورحمته وعونه سيد السادات ، شديد النقمات ، الذي توحد في ملكه ، لم يدع أمة محمد في أهداف من الالتباس حتى يصلحهم ، ويبعث فيهم من يتعاهد منهم وماينبغي لهم تعاهده ، أتاني كتابك تعجب بما نقمت إذا حكمت ، فلست بتاركك في عمياء ما أنت فيه مع أنك انما خدعت عن هذا نفسك ، وقد علمت اني انما اسفت وحكمت حين تركت الامة تائهة مائجة لاحدودها اقمت ، ولاحقوقها اديت ، واشتغلت باماتك ، وتنوقت في بنائك ، مع ادمانك الصيد اذ تغدو معك البزاة والفهود والجنائب والكتائب ، فاذا انثنيت من صيدك ودخلت بهوك . واتبعك اخوانك فتغديت وغنيت فيمين الله ما افحش هذا ممن يدعي خلافة الله ، قد كانت الاعاجم تنقم بما دون هذا ، ثم انت اذا خطبت كذبت، وإذا عاهدت نكثت ، وقد زعمت في كتابك انك ستغزيني اجناداً قطيعة وقوداً منيعة ، فالله يفض جمعك ويهزم جندك ويقتل قوادك ، فاذا شئت فنحن نتوقع هذا منك ونتمنوه ، وقد زادني غيظاً انك تسميت المهدي ، وأبعد من سماك فنعم المهدي أنت اذا بعت الناس بيعا ، وواسعت الناس غياً ، خدعك يعقوب بن داؤد وأخا آخيت ، وخدنا صافيت ، دعاك فاجبت ، وخدعك فطاوعت ، ففي أي دين يسعك او في أي كتاب أصبت اذ تعدو وظيفة أو تهوي زيادة أوتنتقص مساحة أو تصطفي بستانا أو تبذخ في مركب أوتنهمك في صيد أو ترمي به في النزهة . أو تعامض عن جند أو تحبس عطاء ، او تنس من غزا أو تعاقب بالسوط ، سافكا للدم . وانما السافك يقاد والزاني يقام حده واللص تقطع يده ، ولا تعاهد السجون بنفسك ولاتزعجها بعينك ، فهذا نسيت ومن هذا سهوت ايها الطاغية أفمن بعد هذا حياة ،

فانظـــر لنفسك ، فما عيني عنك بنائمة تصادف من يصدقك ، وتلـق من يقتلك ، وما انا بالعازم ، الفتح بيد الله يحكم ما احب ، انما انا عبد من عباده لااستطيع منه امتناعا ، ولاعن نفسي دفاعا ، ولاحول ولا قوة الا بالله » (١) .

ان ماتجدر ملاحظته في رسالة عبد السلام اليشكري هذه الى المهدي الصراحة المتناهية والغلظة وهي سمة مميزة للادب الخارجي عموما ، غير ان مايلفت النظر المناقشة الدقيقة والرد الحازم على اغلب النقاط التي كان المهدي قد اثارها في رسالته أنفة الذكر كما انها تتضمن توضيحا لابعاد الخلاف وعمقه بين الدعوة العباسية والفكر الخارجي . غير ان مما يلفت النظر هو اغفاله لواحدة من النقاط التي اثارها المهدي وهي مسألة العلاقة مع العلويين وموقف الخوارج من الامام علي (عليه السلام) ، ولعل هذه النقطة كانت في فكره عندما كتب عن الله سبحانه وتعالى بأنه سوف « ان يترك امة محمد في اهداف من الالتبـاس حتى يصلحهم » ومع ذلك فقد حققت هذه المراسلات بعض النتائج لعل ابرزها التأكد من عدم وجود لاي مجال من مجالات الالتقاء ، وثانيهما انها هيأت لمركز الخـــلافة الفرصة لارسال مزيدا من التعزيزات العسكرية .

فبعد مقتل قائد قوات الخلافة عيسى بن موسى تواصل ارسال

---

(١) خليفة بن خياط ، كتاب التاريخ ، ٤٧٦/٢ ـ ٤٧٧ ، د .فاروق ، الرسائل المتبادلة بين الثائر الخارجي عبد السلام والخليفة المهدي ، مجلة الجمعية التاريخية العراقية .

الجيوش لمجابهة هذا الحركة والتصدي لها بقصد القضاء عليها .

لقد توالت هزائم قوات الخلافة في باديء الامر حتى تولى شبيب ابن واج المروذي(١) قيادة الجيش العباسي في الجزيرة وقد بعث الخليفة المهدي الى فارس اعطى كل رجل منهم الف درهم معونة(٢) وهكذا فان زيادة التعزيزات باستمرار مع زيادة الفرق المتعاقبة ضد هذه الحركة ادى الى رجحان كفة قوة القوات العباسية ، وقد احس عبد السلام بالخطر فرسم خطة للهرب والالتجاء الى قنسرين من اجل التعزز بها وضمان التحصين غير ان القوات العباسية تمكنت من اللحاق به ومنعه من تنفيذ خطته حيث كانت نهايته(٣) .

وهكذا وضع الختام لهذه الحركة الخطرة التي امتهنت كرامة العباسيين وشتت قواتهم واربكت سياستهم ومنعت عن مركز الخلافة الموارد المالية التي كانت ترده من الجزيرة والموصل . لقد قدر لهذه الحركة أن تستمر طوال سنتين عصفت خلالها بمناطق من الجزيرة

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ١٤٢/٨ ، الازدي ، المصدر السابق ص٢٤٢ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٥٧/٦ .

(٢) الطبري المصدر السابق ١٤٢/٨ ، الازدي المصدر السابق ، ص٢٤٢ ابن الاثير المصدر السابق ٥٧/٦ فاروق ، العباسيون الاوائل ، ١/ ٢٦٤ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ٨ / ١٤٢ ، الازدي ، المصدر السابق ، ص٢٤٢ ، ابن الاثير البداية والنهاية ، ٥٧/٦ ، شلبي ، التاريخ الاسلامي ٣ / ٣٠ ، حسن ابراهيم حسن ، التاريخ الاسلامي ، ٢ / ٤٣ .

وكلفت الدولة والامة الكثير ، وينفرد الازدي بالقول انها بدات من من سنة (١٦٢ هـ / ٧٧٨ م)(١) وينقل ابن كثير(٢) ذلك ، غير ان المعقول ما اوردته المصادر الأخرى وهي اقرب عهداً من الاحداث كما ان رواتها اكثر تماسا بها ، فالطبري يعتمد رواية خليفة بن خياط ويشير الى ان هذه الحركة استمرت طيلة سنتين وانها انتهت سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م حينما قتل عبد السلام .

ونستطيع ان نعزو سبب فشل حركة عبد السلام اليشكري الى جملة اسباب متداخلة ، منها صلابة الخليفة المهدي وموقفه المتشدد من حركة عبد السلام حيث انه استمر في ارسال المدد لمواجهة الثوار على الرغم من الخسائر الكبيرة التي كانت قد لحقت به ، ويعلق الطبري على ذلك بقوله « فوجه اليه المهدي الجنود فنكب غير واحد من القواد منهم شبيب بن واج المروروذي ، ثم ندب الى شبيب الف فارس واعطى كل رجل منهم الف درهم معونة والحقهم بشبيب فوافوه فخرج شبيب في اثر عبد السلام فهرب منهم » .

وبعد ان آل الامر به الى الهرب ارسل اليه جنوداً كثيراً فتتبعوه الى قنسرين فقتلوه بها (٣) واعتمد الخليفة المهدي على توفير اغلب احتياجات لجند كما انه اغراهم بالاموال تشجيعا لهم .

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ص٢٤٢ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠/١٣٥ .
(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ٨ / ١٤٢ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، ١٠/١٣٥ .

ومن جهة ثانية فأن حركة الخوارج هذه لم يجر فيها تركيز النشاط في منطقة معينة ثم الابتداء منها بعد ترسيخ القاعدة الى غيرها من المناطق الاخرى وهكذا فان هذا التنقل السريع ، والذي ربما يكون قد تم وفق المصلحة الذاتية للحركة وتبعا لظروف ملزمة قـــد أفقد الحركة الثبات في الارض بما حرمها من ستراتيجية عسكرية ثابتة متطورة . والى جانب ذلك فان مكانه العباسيين كدولة راسخة ومقتدرة بشريا وماليا لايمكن أن تقاس بقوة انصار هذه الحركة وامكاناتهم المحدودة عند المقارنة بالدولة العباسية .

ولعل من المفيد ان نضيف بأن هذه الحركة قد ادت الى زيادة الخلافة بالجزيرة وتركيزها على ضرورة ضمان الامن والاستقرار فيها عن طريق زيادة الكفاءة العسكرية للروابط والقواعد العسكرية العباسية الاخرى وانشاء المدن والتحصينات لمواجهة الاخطار المحتملة .

ثورة ياسين التميمي الخارجي (*) «١٦٨/٧٨٤م»

من الموصل اعلن ياسين التميمي الخارجي ثورته وخروجه على سلطان الخلافة العباسية عام (١٦٨ هـ / ٧٨٤ م) وكان يعتمد راي احد فقهاء الخوارج (١) ، كما انه كان على نفس راي الخوارج في خلافة عثمان

(١) وهو صالح بن مسرح الذي كان يطعن في الخلفتين عثمان وعلي (رضي الله عنهما) على طريقة الخوارج وتوفي في حروبه سنة ١٧٦ هـ (راجع ابن الاثير المصدر السابق، جـ٤/٣٩١-٣٩٩ ، ٤٢٩ وجـ٦ / ٧٨ ، د . فاروق العباسيون الاوائل، ١/ ٢٦٤ ، والخلافة العباسية ، ص ٣٠٤) .

(*) هو ياسين الخارجي بن بشر بن عمير بن مقامر من بني تميم (ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، ورقة . ١٠ب نسخة لندن) .

وعلي (رضى الله عنهما)والطعن عليهما (١) .

صادف ياسين التميمي الخارجي نجاحاً واسعا في بداية حركته ولعله استفاد من عامل المفاجأة والمبادئة بالقتال ، فقد هزم كثيراً من روابط الموصل وبسط سيطرته في النهاية على مناطق واسعة من ديار ربيعة ومناطق الجزيرة الاخرى .(٢)

بدا الخليفة المهدي جهداً كبيرا في التصدى لهذه الحركة ومحاولة القضاء عليها في وقت مبكر حتى لايتاح لها ان تتسع ويعظم خطرها وتصعب مواجهتها ، لذا فانه وجه اليه القائدين محمد بن فروخ وهرثمة ابن اعين في جيش كثيف فخرجا أليه في ناحية الموصل وكانت بينهم وبينه حرباً شديده وصبر لهم ياسين حتى قتل صبرا في ساحة الصراع عدد كبير من اصحابه وانهزم الباقون (٣) .

وهكذا وضعت الخاتمة لهذه الحركة العنيفة في فترة مبكرة من نشوئها مما لم يتيح لها فرصة تهديد أمن وسلامة الدولة تسابقاتها .

---

(١) الازدى المصدر السابق ،ص ٢٥١-٢٥٢ ، ابن الاثير المصدر السابق، ٧٨/٦ ، ابن خلدون، المصدر السابق، ٣٦١/٣ .

(٢) الازدي، المصدر السابق ،ص ٢٥١-٢٥٢، ابن الاثير، المصدر السابق، ٧٨/٦ ، ابن خلدون ، ٣٦١/٣ .

(٣) الازدى المصدر السابق ، ٢٥٢ ، ابن الاثير ، ٧٨/٦ ،ابن خلدون ، ٣٦١/٣ ، د . فاروق، العراق في العصر العباسي ،مجلة بين النهرين، ٥٦/٦ ، فتحي عثمان، المرجع السابق ١٤٣/٢ ، شلبي، المصدر السابق، ٣٠/٣ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ٤٣/٢ .

« ومحمد بن فروخ هذا مولى بني تميم وهرثمة بن اعين مولى بني ضبة (الازدي ، المصدر السابق ، ص٢٥٢)

ثورة حمزة الخزاعي الخارجي : «١٦٩هـ/٧٨٥م» (١)

ثار هذا الخارجي في باعربايا من أرض الموصل سنة ١٦٩ هـ ، ويعلل د . فاروق تأييد أهل الموصل له بأن اهلها سئموا سياسة بغداد الهادفة الى إبتزاز الاموال وصرف ريع الاقليم على توافه البلاط دون النظر الى المنطقة ومحاولة رفع مستواها (٢) . وكان على صلاة الموصل وحربها حمزة بن مالك الخزاعي ، فوجه الى حمزة الخزاعي ابا نعيم ابن موسى مولدى بني نصر وكان من اشد قوادهم ، حيث كان على روابط الجزيرة فلقيه بباعربايا ، فخرج حمزة بن ابراهيم واكثر القتل في اصحابه ، واستعلى امر الخوارج وظهر نفوذهم ، وبعد ان استعلى امرهم « جاز حمزة اصحابه بعض ماغنموا وبعثوا اليهم — بليل صاحب امر الخوارج بالجزيرة — ورد في رجلين من اصحابه فقتلا حمزة الخارجي(٣) » . وذلك حينما لجأ العباسيون الى اتباع سياسة المكيدة والغدر — تجاهه بعد أن فشلت سياسة القوة ، ولذلك ارسل اثنين من موالي العباسيين وانضما اليه معلنين ولائهما ثم انتهزا فرصة

(١) الازدي المصدر السابق ، ص ٢٥٨ ، ابن الاثير، الكامل ، جـ ٦ ص ٩٥ .

(٢) د . فاروق ، العراق في العصر العباسي ، مجلة بين النهرين ٥٦/٦ .

(٣) الازدي، ص ٢٥٨ ، ابن الاثير، الكامل، ٩٥/٦ .

واغتياله (١) وان الحركة كانت مبسطة بحيث ظهرت واختفت بسرعة خاطفة نظرا لمجابهة السلطة لها في اول بدئها (٢) .

ثورة الصحصح الشيباني الخارجي : «١٧١ هـ/ ٧٨٧ م »(*)

كانت هذه من الحركات السريعة والخاطفة التي ظهرت فى الجزيرة وانتهت بسرعة . فقد خرج الصحصح الحروري في الجزيرة عام (١٧١هـ/ ٧٨٧ م) وكان على الجزيرة ابو هريرة محمد بن فروخ مولى تميم ، وكان قد اقر ابنه عبدالله على سنجار وبلد ونصيبين فخرج

---

(١) الازدى المصدر السابق ، ص٢٦٧ ، ابن الاثير المصدر السابق ، ١١٢/٦ .

(٢) راجع، د . فاروق العباسون الاوائل ١ /٢٦٥ ، والخلافة العباسية ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

(*) لقد حدث التباس في تسمية حمزة الخارجي وبين صاحب حرب وصلاة الموصل حمزة بن مالك الخزاعي فابن الاثير يقول ان الذي خرج هو حمزة بن مالك الخزاعي اي صاحب الحرب والصلاة على الموصل والذى ينص عليه الازدي . ولكن يبدو من ملاحظة سياق العرض التاريخي ان الخارجي هو حمزة الخارجي (راجع الازدى المصدر السابق ، ص٢٥٧ — ٢٥٨ ، ابن الاثير، الكامل ، ٩٥/٦، ابن خلدون ، ٣/ ٣٦٠ـ٣٦١) وعلى خراج الموصل وصدقاتها منصور بن زياد وهو صاحب قصر منصور بربض الموصل (الازدي المصدر السابق،ص ٢٥٧ــ٢٥٨) .

الصحصح (*) فلقيه قائد من قواد الرشيد يقال له علي بن حرب فهزم الخارجي وقتل من أصحابه ، ومضى الصحصح متوجها الى الموصل حيث أصطدمت قواته مع روابطها بباجرما حيث كانت له الغلبة عليهم. وقد عاد بعد هذا الانتصار الى الجزيرة فتغلب على ديار ربيعة . فكتب هارون الى نصر بن عبدالله الضبي . وكان من وجوه القواد يأمره بالمسير اليه وقد تمكن الاخير من اللحاق به في قرية من قرى الري تدعى بقرية الخصوص حيث تمكن من ابادته مع اصحابه وبذلك قضى على هذه الحركة(١) التي تسببت في اعادة الخليفة الرشيد النظر في أمر الجزيرة فعزل والي الجزيرة ، ويرجح البعض أنه أقدم على قتله بعد ذلك . (٢) .

ويذكر الصائغ دون اشارة الى مصادر معلوماته بأن هذا الخارجي قد أفسد جدا وأنه في سيره الى الموصل قد افحش قتلا ونهبا (٣) .

(١) الازدي ٢٦٧ ، ابن الاثير، ١١٢/٦ .

(٢) ابن الاثير ١١٢/٦ ، ابن خلدون ٤٨٤/٣ .

(٣) الصايغ ، تاريخ الموصل ،٧٣/١ وراجع فتحي عثمان المرجع السابق، ١٦٨/٢ ، د . فاروق ، العراق في العصر العباسي الاول مجلة بين النهرين ٥٧/٦ ، الجومرد ، هارون الرشيد٤٠٠/٤-٤٠١ أحمد أمين، ضحى الاسلام « ٣٣٩/٣ .

(*) روى البلاذري انه نزل رجل من الجند في أيام المنصور على آل الصحصح فاعطوه واحسنوا اليه فمد يده الى امراة ثم نادت قومها فشد عليه الصحصح فقتله ودعا وكاتب معه خلق عظيم(يقال انهم الف) الى ان فشلت حركته وقتله داود ابن اسماعيل البلاذري ، انساب ، ٤ / ٤ ب ، (ورقه ٦٥٤ - ٦٥٥ نسخة لندن) .

ثورة الفضل الشيباني :ـ «١٧٣/٧٨٩م »

هو الفضل بن سعيد الدوالي(١) ، كان قد اعلن ثورته وخرج على طاعة الخلافة العباسية في سنة (١٧٣هـ / ٧٨٩م) في الجزيرة حيث اتي مدينة بلد فصالح اهلهـا على مائة الف ولم يقتل احداً ثم اتى بلد نعمان (٢) دون نصيبين بخمسة فراسخ وقتل منها اثني عشر رجلا من تغلب (٣) . اذ يبدو انه تعرض للمقاومة من قبل هؤلاء .

ويبدو ان حركة الفضل هذه شملت المناطق الوسطى في الجزيرة، ولعل الحركة قد اتسعت اذ امتدت الى سنة (١٧٥هـ / ٧٩١ م) (*) حيث هاجم الفضل نصيبين وهو في خمسمائة رجل حيث وقف في بابها ودخل اصحابه فيهـا فأخرجوا اليها الناس من باب الرروم وقال : « بيعوهم واعطاهم وردهم الى المدينة » (٤) واتجه الى مدينة دارا

(١) خليفة بن خياط ، ٤٨٨/٢، الازدى ، ص٢٧٢ .
(٢) خليفة بن خياط ، ٤٨٨/٢ ، الازدى ، ٢٧٢ (ويذكر خليفة ان الفصل بن ابي زادان كان يتولى بني شيبان فخرج في عشرين فارساحيث اتى بلد من الجزيرة) .
(٣) خليفة ، ٤٨٨/٢ ، الازدىص ٢٧٢ ، د. فاروق الخلافة العباسية ص ٣٠٥ ، فتحي عثمان ، المرجع السابق ١٦٨/١ .
(٤) خليفة ٤٨٨/٢ ، الازدي ، ص٢٧٥ ، ابن الأثير ١٣٣/٦ ـ ١٣٤ ، ابن خلدون ٤٨٤/٣ .
(*) خليفة ٤٨٨/٢ الازدي ، ص ٢٧٥ (في حين يعتبر ابن خلدون ـ

فصالحهم على خمسة آلاف ثم اتى مدينة آمـــد فصالحهم على عشرة الاف ثم اتى مدينة ارزن فأقام عشرين ليلة فصالحهم على عشرين الف ثم اتى مدينة خلاط فأقام بها اياما. حيث ان هذه الحركة حققت انتصارات في مختلف المناطق الداخلية والشمالية من الجزيرة ويبدو انه قد اختار نصيبين ، حيث انه بعد ان اجتاز المناطق الوسطى والشمالية من الجزيرة عاد ثانية الى نصيبين في مائتين ووجه اليهم المعمر بن عيسى العبيدى احد بني تميم في اثني عشر الفا فاتى الفضل الموصل ثم اتى الزاب فلحقه معمر بالزاب فانهزم معمر ثم تراجع الناس فعقر بالفضل واصحابه فقتلوا (١) . غير ان المصادر لم تشير الى تفصيلات الاحداث عن نهاية هذه الحركة .

ثورة العطاف الشارى : ١٧٧هـ/٧٩٣ م *

هو العطاف بن سفيان الازدي (٢) ،كانت حركته من بين الحركات التي انطلقت من مدينة الموصل ويبدو انها كانت نتيجة لنزاع حول حيازة أموال الخراج وقد خرج معه عبد العزيز بن معاوية وبيرويه

= أن خروجه كان سنة ١٧٦ هـ ولعل روايتي خليفة والازدى، تفيد أنها سنة ١٧٣ هـ هي الارجح (ابن خلدون ٣/٤٨٤).

(١) خليفة ، ٢/٤٨٨ ، الازدى ص ٢٧٥ ، ابن الاثير ، ٦/١٣٣ ـ ١٣٤، ابن خلدون ٣/٤٨٤ .

(٢) الازدي المصدر السابق ، ص ٢٧٩ ، في حين يذكره الحموي بأنه عطاف وقيل غطاف بن الوليد الشاري ، التاريخ المنصوري ص ٩٦ .

ومنقصر وغيرهم وجمع حوله الصعاليك فحبس العمال وجبى الخراج لنفسه (*) ، وكان معه اربعة آلاف حيث منع عمال الرشيد من الجباية واستخرج هو الاموال ، فما كان من العطاف إلا ان يتحالف عليه فسيولي على ماجبى من الناس ويمنع عماله من الجباية ويقوم بجباية الاموال لنفسه (١) ، وقد استمر العطاف يواصل هذا العمل حتى (سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م) حين خرج الرشيد « الى الموصل فهدم سورها بسببه » (٢) وكان على الحرب والخراج بالموصل الوالي محمد بن العباس الهاشمي ومنجاب على الخراج .

ويبدو انه سيطر على إدارة الموصل بشكل غـــير مباشر حتى سنة (١٨٠ هـ / ٧٩٦ م) حين تمكن من فرض سيطرته المباشرة ، وان الخليفة الرشيد حاول القضاء على حركة العطاف ويبدو ان الظروف لم تكن ملائمة مما ادى به الى الصمت عن هذا الوضع الشاذ في كل هذه الفترة والا كيف يمكن تفسير سكوت الرشيد على سيطرة العطاف لمدة طويلة على الموصل ، بحيث يكون هو المتغلب الفعلي والذى يجبي الخراج والجبايات لمصلحته مع وجود ادارة رسمية تابعة للسلطة

---

(١) الازدي المصدر السابق ، ص ٢٧٩ ، والجومرد ، هارون الرشيد ، ٤٠١/٢) د . فاروق المرجع السابق٢٦٦/١ ، فتحي عثمان، المصدر السابق ١٦٨/٢ .

(٢) الازدى المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .

(*) يشير الازدي الى أنه جمع أربعه الاف غير انه لم يذكر انها دراهم أم دنانير(الازدي ، المصدر السابق ، ٢٧٩ ـ ٢٨٠) .

المركزية للدولة ويبدو أن الظروف باتت ملائمة مع الرشيد في سنة (١٨٠ هـ / ٧٩٦ م) ، حينما رحــل الى الموصل فاحتلها وهدم سورها (١) .

وكان العطاف قد حاول مهاجمة الرشيد والتصدى له حين خرج الى الموصل سنة (١٨١ هـ / ٧٩٧ م) فقد اتجه الرشيد يريد الموصل فلما وافى المدينة عزم العطاّف واصحابه ان يبيتوا عسكره ليلا ، اذ نزل مرج جهينة فاجتمع بشيوخ اهل البلد وصلحائه وناشدوه في ذلك وسألوه الانصراف عما يقدم عليه فخرج العطاّف في اربعة آلاف نحو أرمينيا ، (٢) وكان الرشيد ناقماً على سكان الموصل مصمماً على هدم المدينة ، ويقدم الازدي صورة واضحة عن هذه التطورات مما يشير الى ان الرشيد خرج بنفسه الى العطاّف ومن ثم الى الموصل مصمماعلى معاقبة أهلها اذ حملهم مسؤولية الامتناع عن دفع الخراج . لقد بلغ مسامع أهل الموصل تصميم الخليفة هذا ، كما بلغهم بأنه قد حلف ان يقتل أهلها ، فلما بلغ مرج جهينة ونزلها ، خرج اليه نفر منوجوه أهلها ومن كان بها منأهل العلم ، وخرج كذلك من الانصارجماعة(*)،

---

(١) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٦/١٤٠ .

(٢) الازدي، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

(*) « وهم العباس بن الفضل وابو الفضل الانصاري - وهو صاحب المسجد الذي كان على النهر - وكان فقيهاً محدثاً وغيره من أهل الموصل من الانصار ، وخرج موسى بن المهاجر وكان من اصحاب الشورى ، محدثا فقيها وصلبا وسعد الفقيه ، وعقيق الفقيهوغيرهم». الازدي المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

فلقوا ابا يوسف القاضي وكان متعاطفاً مع أهل الموصل ، فعرفهم بحقيقة الامر واشار عليهم انه « اذا جن الليل ان يصعد الناس على سطوحهم ويجهروا بالأذان لعشاء الآخرة ففعلوا ذلك وسمع هارون كثرة الاذان والضجة فقال لأبي يوسف ما هذا ؟ قال : آذان ياأمير المؤمنين قال : ويحك هؤلاء مؤذنون ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين، القوم مسلمون وفيهم أهل الصلاح وقراء القرآن وأهل علم وفقه ، قال : فما الحيلة في يميني ؟ قال تدخلها ليلا فلا تجد أحدا تقتله فلا يجب عليك ان تقتل من لا ترى ، قال وبعث أبو يوسف الى أهل الموصل ان أدخلوا بيوتكم وأغلقوا منازلكم ، وركب هارون وحـــده ودخل الموصل ، ودار في أسواقها وحاراتها وشوارعها فلم يلق الا رجلا أورجلين فقتلهما وأمر بهدم سور المدينة » (١) .

ويبدو ان هذه الشخصيات كانت مثار شك وريبة من قبل الخليفة الرشيد ، فأراد الانتقام منهم فكانت عقوبتهم بعدم منحهم الامان تماثل عقوبة العطاف الذي خرج على السلطة بعدم منحه الامان ، ومن المحتمل ان يكون هؤلاء الافراد قد أســـهموا في حركة العطاف التي أزعجت الخليفة الرشيد الى درجة جعلته يريد الاشراف بنفســه على الانتقام من أهل الموصل .

غير ان الرشيد لم يقع في يده غير معافى بن شريح وكان من الفقهاء المحدثين البارزين في الموصل . الا انه لم يقتله بل اكتفى بسجنه ، وقد كان منادي الرشيد ينادي « من دلّنا على يحيويه ومنتصر فله

(١) الازدي المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

الف دينار » (١) ويبدو أن المعافى كان قد خرج من الموصل قبيل

(١) قال المعافى : قال لي الرشيد « ما انت بمعافى ولكنك ميت » ، انتفيت من المهدي ان لم أقتلك ، ولم يقتله ، وروي ايضاً عن معافى قال : « لما دخل هارون الرشيد الموصل سنة ١٨٠ هـ هدم سورها اخذت فقدمت اليه فقال لي : انت المعافى ؟ فقلت : انك يا أمير المؤمنين وانا المبتلى بذنوبي ، فقال : (هات بيرويه ومنتصرا» قلت : ما أقدر عليهما . قال : برئت من المهدي ومن قرابتي من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان لم أقتلك قلت : يا أمير المؤمنين انا شيخ وفي رقبتي وصايا واطفال فتمهلني حتى أخرج الوصايا التي في عنقي ، وأوصي ، فقال : أمهلك الليل ، قال فوجهت الى اليمانية الذين معه ، الحسن بن قحطبة ، وعبدالله بن مالك الخزاعي وغيرهم فركبوا اليه فأستوهبوني منه ، قال : فلابد من حبسه سنة فخيروني : ان احبس ، فأخترت الحبس بالموصل وان اطلق بعد سنة بغير استنصار فأمر بذلك ، وفي رواية عن احمد قال : حدثني عبدالله أبن كردويه عن محمد بن يزيد بن عليك قال : أنا كنت مع المعافى وهو يخطب الرشيد ونحن نرعد من كلامه .
وكان المنادي صعد الى مسجد علي بن الحسن الهمداني الذي على القنطرة المطلة على سوق الداخل ، والمنادي في هذا السوق ينادي : فاذا منتصر في المسجد جالس مشرف على المنادي فقلت : ويحك المنادي ينادي بهذا وانت جالس مشرف على المنادي تراه ؟ قال : يافضولي مايدري هارون ومناديه اني ههنا اذاخرجت فأرددباب =

دخول الرشيد اليها (١) .

وهكذا لعب القاضي أبو يوسف دوراً كبيراً في انقاذسكان الموصل من انتقام الرشيد ، ويقول ابن الاثير ، « فأفتاه القاضي أبو يوسف ومنعه من ذلك » (٢) .

غير ان الرشيد اجتهد ان مناعة سور الموصل كان يشجع أهلها على الثورة والعصيان ضد الخلافة ولذلك أصدر أمره بهدم السور ، ونادى مناديه من هدم مايليه من السور فهو آمن فهدم الناس سورهم بأيديهم . وينقل الازدي رواية عن أحد أهالي الموصل يذكر فيها «أنه رأى الرشيد يدور على سور المدينة يهدمه » (٣) ومن الطبيعي أن النص الاخير يتضمن مشاهدة الرشيد يدور على المنطقة القريبة من السور للاطمئنان الى أن اوامره قيد التنفيذ وان اعمال الهدم سائرة كما يرام .

= المسجد (الازدي ، ص ٢٨٦) وتستمر رواية الازدي بالاشارة الى انه « سمع المنادي ينادي : أمن الاسود والابيض الاالمعافى بن سفيان وعبدالعزيز بن معاوية والمعافى بن شريح وبيرويه الرحبي ويعلى الثقفي (الازدي ، ص ٢٨٥-٢٨٦) .

(١) ابن الاثير الكامل ، ١٥٢/٦ .

(٢) ابن الاثير المصدر السابق ، ١٥٢/٦ ، ويقول الحموي (انه كان حلف ان يقتل كل من يراه بها فأبى ان يظهر له احد) (التاريخ المنصوري ، ص٩٦) .

(٣) الازدي المصدر السابق ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

وتتفق الروايات التي تقدمها انا مصادرنا على القول بأن الخوارج والفتن كانت هي العامل الاساسي الذي ادى الى اصرار الرشيد على هدم سور الموصل ، فينقـــل ابن الاثير روايات تشير الى انه هدمه بسبب العطاف بن سفيان الخارجي (١) ، وهذا يتفق مع ما اورده ابن كثير في فترة تالية من انه هدمه بسبب كثرة الخوارج (٢) . ويعلق السيد امير علي على ذلك بقوله « انه كان عقابا من قبل الرشيد لأهلها » (٣).

وان من ابرز النتائج التي تمخضت عنها هذه الحركة تزايد اهتمام مركز الخلافة بالجزيرة ، وان ذلك يبرز في تصميم الرشيـد على الاستقرار في الرقة اذ ينقل ابن الاثير ان هارون الرشيد قد توجه الى الرقة بعد اعادته للاوضاع في الموصل الى سابق عهدها من الاستقرار والامن « ومضى الى الرقة فاتخذها وطناً » (٤) ومن النتائج المباشرة المؤثرة في مجتمع الموصل بعد هدم المدينة وكشفها والغاء تحصيناتها ان جرى تبديل في الادارة وفي سياسة الدولة ازاء الاهلين ، فقد عزل الرشيد الوالي السابق وعين يحي بن سعيد الحرشي بدلا عنه ، « واوصاه ان يضيق على الاهلين في الضريبة » (٥) .

---

(١) ابن الاثير، الكامل ١٥٢/٦ .

(٢) البداية والنهاية ، ١٧٥/١

(٣) مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٢٦ .

(٤) ابن الاثير، المصدر السابق، ١٥٢/٦ .

(٥) الصائغ ، تاريخ الموصل ٧٤/٢ .

ثورة الوليد بن طريف الشاري (*) « ١٧٧ هـ / ٧٩٣م »

اختلفت المصادر في تحديد تاريخ قيام الوليد بحركته ففي رواية الازدي انه ثار سنة (١٧٧ هـ / ٧٩٣ م)(١) اما خليفة بن خيـــاط فيذكر ان ذلك جرى سنة (١٧٨ / ٧٩٤ م)(٢) اما اليعقوبي فيذكر انه خرج سنة (١٧٩ هـ/ ٧٩٥ م)(٣) ، ولعل رواية الازدي هي الاقرب للقبول حيث ان الاخير خصص كتابه كتاريخ محلي للاحداث .

تعتبر ثورة الوليد هذه أول الثورات المنطلقة من مناطق حوض الفرات اذ ان معظم الثورات الخارجية التي مر ذكرها كانت تنطلق اما من حوض دجلة او من مناطق داخلية ، وكانت الحركة في بدايتها بسيطة فقد كان تعداد المشاركين فيها مع الوليد لايزيد على الثلاثين شخصا (٤) ، وكان على الجزيرة حينذاك عبد الملك بن صالح الذي كان يليها بجانب بعض مناطق بلاد الشام وقد حصره الوليد بالرقة .

---

(١) الازدي، المصدر السابق، ص ٢٨٠ ، د . فاروق ، المرجع السابق ١ / ٢٦٥ ، الجومرد ، المرجع السابق ٢/٤٠٢ ـ٤٠٥ ، احمد امين ، ضحى الاسلام ، ٣/٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

(٢) خليفة ، المصدر السابق ، ٢ / ٤٨٤ ، الطبري ، المصدر السابق . ٨ /٢٥٦ .

(٣) اليعقوبي ، التاريخ ، ٢/٤١٠ .

(٤) خليفة، التاريخ ، ٢/٤٨٤ .

(*) روي انه الوليد بن طريف بن عامر الخارجي بن هريم بن حبش أبن هرم بن الحرث بن ابي حارثة بن صفي (ابن الكلبي ، جمهرة =

وقد أستشار الرشيد يحيى بن خالد البرمكي فيمن يوجهه لحـــرب الوليد بن طريف فاشار عليه بموسى بن خازم ، فوجهه الرشيد غير انه فشل في التغلب على الوليد اذ انهزم الجيش العباسي وقتل قائده في اثناء القتال(١) ، فلما بلغ ذلك الرشيد وجه اليه جيشاً آخر بقيادة معمر بن عيسى العبدي وقد طالت فترة الصراع اذ كانت بينهما عدة وقائع بناحية دارا من دار ربيعة لم يتمكن اي من الفريقين تحقيق انتصار كبـــير وقد قدر انه مات معمر

= النسب الكبير ، (نسخة لندن ورقة ٢٣١ ب ، ابن حزم ، جمهرة انساب العرب (القاهرة ، ١٩٦٢) جـ٢ ، ٣٠٦ ـ ٣٠٧) وروي انه الوليد بن طريف بن الصلت بن طارق بن سيبخان بن عمر ابن مالك الشيباني الشاري وكان احد الشجعان الطغاة الابطال وكان مقيما بنصيبين والخابور وتلك النواحي (ابي خلـــكان ، ٥ / ٨٤) ويرى خليفة انه « الوليد بن طريف احد بني حي بن عمرو ويقال لهم اضراس الكلاب من بني تغلب ، ٢ / ٤٨٤ » في حين يرى الازدي انه أبن طريف بن فارس بن عامر بن صيفي ابن بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب . ص٢٨٣ « ويرى علي ابراهيم حسن انه بني تغلب اي من عرب الجزيرة ، تاريخ الاسلام العام « القاهرة ، ١٩٥٩ » ص ٣٦٧ »

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٨٤/٥ (ويرى ابن الجوزي ، ان الخليفة ارسل ابراهيم بن خازم الذي قتله الوليـد (المنتظم ٩ /ورقة٦٣٩أ) .

وهو في محاربته للوليد (١) . وكان الوليد وجماعته يقاتلون بروح المظلوم المستميت من اجل رد الظلامة وكان الوليد يقول(٢) :

انا الوليد بن طريف الشاري   أخرجني ظلمكم من داري

وسبق للوليد عند خروجه أن اقبل الى رأس العين فلقي رجلا من أهل البصرة يقال له عمرو بن منصور من التجار ومعه رجل نصراني يقال له نسطاس ، فقتل عمرو بن منصور وأخذ ماله وخلى عن النصراني(*) ، وبعد أن احرقها دون أن يدخلها اتى باعربايا من نصيبين فلقي بزارا رجلا من بني تغلب عند تل ابي الجوزاء فانهزم بزار وقتل رجال من أصحابه واتى الوليد نصيبن ثم اتى دارا ففداها بعشرين الفا واتى آمد ففداها من عصمة بن عصام بعشرين الفا ثم اتى ميافارقين ففداها بعشرين الفا (٣) .

ان هذا التنقل السريع للحركة الخارجية يكشف لنا عدة حقائق ابرزها ، ان السلطة العباسية لم تكن لديها قوات عسكرية مهيأة وكافية لردع أي من هـــذه الحركات التي ظهرت بشكل مفاجيء في ارجاء مختلفة من الجزيرة ، وبالامكان رسم خط بياني موحد لاغلب

---

(١) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ٤١٠/٢ ، ابن خلكان ، ٨٤/٥ .
(٢) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ١٠١/٦ ، الازدي المصدر السابق ، ٢٨٠
(٣) خليفة ، ٤٨٥/٢ . (لم تذكر المصادر شيئاً عن نوع الفداء)
(*) ان تخلية النصراني كان منبثقاً من اعتقاد الخوارج بقوله تعالى : « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » خليفة ، ٤٨٥/٢ .

هذه الحركات حيث أنها ثم تتسع وتزداد خطورتها ويزيد ذلك من معنويات الملتفين حول قيادتها وتزداد قوتها فتتسع مسببة خطراً كبيراً قد تعجز الدولة من القضاء عليها الابجهود مضنيه .

اضف الى ذلك ان نجاح هذه الحركة قد جابت موردا مالياً كبيراً للخوارج ، من جراء تخوف مسؤولي الادارة في مدن الجزيرة من خطر الخوارج وهكذا فقد أصبح الخوارج شبحاً يهدد أمن وسلامة الجميع ، اذ ما أن بدأ الخوارج بحصار مدن الجزيرة المار ذكرها آنفا حتى بدأ مسؤولوا المدن في تقديم تنازلاتهم ومبالغ الفدية المطلوبة منهم مهما كانت كبيرة .

وبعد هذا النجاح الذي حققه الخوارج اتجه الوليد بن طريف الى ارزن حيث اقام محاصراً لها الى ان فداها اهلها بعد ان قتل رجلا من وجوه أهلها وهو « مرة من بني شيبان »ثم أتى خلاط فحاصرهم عشرين يوماً فافتدوا أنفسهم بثلاثين الفاً(١) .

توجه الوليد بعد هذه الانتصارات الكبيرة التي حققتها حركته الى ناحيتي الشمال والشرق خارج مناطق الجزيرة حيث انه وصل الى الى اذربيجان ثم انتقل الى حلوان حيث اصطدم بالقوات العباسية التي كانت تحت قيادة يحيى الخرسي حيث تمكن الوليد من الانتصار على قواته والحق به هزيمة نكراء .

تذكر المصادر ان الوليد اتجه الى حولايا والسودقانية(١) في حين

---

(١) خليفة المصدرالسابق ، ٢ / ٤٨٥ ـ ٤٨٦ .

(١) ن . م ، ٤٨٦/٢ .

ينفرد الازدي بالقول بأنه رحل تجاه ارمينيا (١) وأنه اخضعها حيث انضم اليه عدد كبير من بني ربيعة الذين كانوا قد استوطنوا هناك أيام ولاية يزيد بن مزيد الاولى(٢)،

والمرجح انه بعد ان قصد حولايا القريبة من النهروان انحدر الى السواد (٣) . ويبدو انه لم يلق نجاحاً كبيراً في وجهته الجديدة هذه اذ سرعان ماعاد مرة أخرى الى المناطق الشرقية والوسطى ، وهكذا فانه عبر من السودقانية الى غربي دجلة وتوجه الى حصار بلد التي فداها أهلها بمائة الف وانطلق بعد ذلك الى نصيبين التي كان يتحصن بها ابراهيم بن خازم بن خزيمة وبزار « وقيل نزار » من بني تغلب فتنحى من بين ايديهم حتى خرجوا من باب الروم فاقبل الوليد فوقف على تل حيال باب الروم فدخل من ثلمة من حائط المدينة اغفلوها فخرج ابراهيم بن خازم وبزار من باب الروم فاتبعهم الوليد حيث لحق بهم يوم الاربعاء ،شهر ذى الحجة سنة ١٧٨هـ /٧٩٤م فقتل ابراهيم ونصبوا برأسه على رمح يومين ثم بعثوا به الى البرية وارتجز الاعراب(٤):

ان عديا عيـــدها اخزاها   قد سفك الله به دماها
وخرب العامر من قراها

---

(١) الازدي المصدر السابق ، ٢٨١ .

(٢) اديب السيد ، ارمينيا في التاريخ العربي ، ص ١١١ .

(٣) الازدي المصدر السابق ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ ، مجهول ، العيون والحدائق ، ٣ / ٢٩٦ ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١٤١/٦ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، م ٣٦١/٣ .

(٤) خليفة ، المصدر السابق ، ٤٨٦/٢، الطبري ٢٥٦/٨، الازدي، ص٢٨٢

واباح الوليد نصيبين خمسة ايام ، وهناك بعض التضخيم في المصادر العربية الاسلامية في تعيين عدد القتلى نتيجة ذلك ، اذ ترفع العدد الى خمسة آلاف قتيل وانه أصاب متاعا كثيراً ودوابا(١) ، واخذ المعافي بن صفوان وكان صديقاً لبزار فقتله فأتاه جعفر بن عبد الله أبن هاشم بن عمرو الزهيري (التغلبي) فاشترى منه المدينة بخمسين الف (٢) ، وكان هذا اكبر انتصار تحققه حركة الخوارج هذه ، وذلك نظراً للاهمية الستراتيجية لمدينة نصيبين ، اذ يعتبر احتلالها ضربة كبيرة لهيبة الخلافة وسمعتها ، ويعلق الطبري على نتائج احتلال نصيبين بقوله « واشتدت شوكته وكثر تبعه »(٣)

لقدأبدى مركزالخلافة اهتماماً كبيراً بالتطورات الناجمة عن هذا الحادث فقرر الخليفة هارون الرشيد ارسال يزيد بن مزيدالشيباني(٤) ، وقد تم ذلك فعلا اذ ندبت الخلافة اعدادا كبيرة من الجند شكلت منهم

(١) خليفة المصدر السابق ، ٢ / ٤٨٦ ، الطبري المصدر السابق ، ٨ / ٢٥٦ ، الازدي المصدر السابق ، ص٢٨٢ ، ابن الاثير المصدر السابق ، ١٤١/٥ .

(٢) خليفة المصدر السابق ، ٤٨٦/٢ ، الازدي المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

(٣) الطبري المصدر السابق ، ٢٦١/٨ ، الازدي ، ص ٢٨١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٧٣/١٠ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ٣ ، ق١ ، ورقة ١٣٣ ب .

(٤) قال الرشيد « ليس لها الا الاعرابي يزيد بن مزيد فقال بكر =

جيشا ضخما جعلته تحت أمرة يزيد بن مزيد الذي صدرت اليه الاوامر بالالتحاق لقتال الوليد . غير ان الوليد وقد عرف عنه مكره ودهاؤه ، بدأ بالمراوغة باذلا جهدا كبيراً في منع حصول معركة فاصلة ، وهكـذا فقد كانت بين الطرفين حروب صعبة طويلة وفي قطاعات مختلفة .

لقد أثرت سياسة الوليد العسكرية هذه في اطالة مراحل المعارك مما أقلق الخليفة الذي ضاق بالامر وخيل اليه ان يزيد يماطل (١) .

استغل البرامكة قلق الرشيد وانزعاجه من تأخر يزيد بن مزيد في القضاء على فتنة الخوارج هذه ، واتهموا يزيد بأنه « يراعيه لأجل

= ابن النطاح الشاعر : لاتبعثن الى ربيعة غيرها ان الحديد بغيره لايفلح (ابن خلـكان ، وفيات الاعيان ، ٥/٣٧٠ - ٣٧١ ، راجع ابن خلدون ، م٣/٣٦١ الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٢٨٩/١ وللتدليل على أهمية هذه المعارك في نظر الرشيد تذكر المصادر أنه لما جهز يزيد بن مزيد الى حرب الوليد بن طريف اعطاه ذاألفقار سيف النبي (صلى الله عليهوسلم) وقال له : خذه يايزيد ستنتصر به فأخذه ومضى ، وفي ذلك يقول مسلم بن الوليد بن جملة قصيدة يمدح بها يزيد بن مزيد :

أذكرت سيف رسول الله سنته وبأس أول من صلى ومن صام

مايعني بأس على بن أبي طالب رضي الله عنه .اذ كان هو الضارب به (ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٥//٣٧٢)

(١) ابن خلـكان ، وفيات ، ٥ / ٣٧٠ - ٣٧١ . راجع د. فاروق ، العراق في العصر العباسي ، مجلة بين النهرين ٥٦/٦ - ٥٧ .

الرحم » والمرجح ان البرامكة كانوا يحاولون اغراء الرشيد به لانهم كانوا منحرفين عنه .

ووجه الخليفة الرشيد رسالة جافة وشديدة اللهجة الى يزيد بن مزيد يعنفه فيها بسبب تأخره في القضاء على الوليد وقد تضمنت اتهام يزيد بالنفاق والتعصب القبلي . كما تضمنت تهديدا واضحا ليزيد بالموت ان تأخر في تنفيذ هـــذا الهدف ، وقد جاء في تلك الرسالة قوله « لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ، ولكنك مداهن متعصب وامير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن اليك من يحمل رأسك الى أمير المؤمنين »(١) .

مضى يزيد بن مزيد في قتال الوليد وجماعته ويبدو ان ظروف القوات العباسية في هذه المعارك كانت قاسية وان القتال عنيفاً بين الطرفين (*) .

وتقدم المصادر معلومات مربكة عن نتائج الصراع العنيف الذي باشرته القوات العباسية بقيادة يزيد بن مزيد وقوات الخوارج التي كانت تحت زعامة قائد ثورتها الوليد . ان المعلومات التي تقدمها المصادر لاتتيح فرصة اعطاء صورة موحدة واضحة ، فيشير الطبري الى أن يزيد ابن مزيد راوغ الوليد ثم لقيه وهو في حالة اغترار في منطقة تقع الى

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ٦/١٤١ ـ ١٤٢ ، ابن خلكان وفيات الاعيان ٥/ ٨٤ ـ ٨٥ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٣ ق ١ ، ص ١٢٣ب ـ ١٢٤ أ

(*) فقد قال يزيد بن مزيد : =

الشمال من هيت على الفرات فقتله وجماعة ممن كانوا معه وشتت

= تجهز ياوليد فقد أتينا   سراعـــا للقتال وللجلاد
فلست لمزيد أن تردنا   بخالدكـــم كأنا جسر واد

فقال الوليد :

ستعلم يايزيد اذا التقونا   بشط الزاب أي فتى تلاقي

خليفة ، ص٤٨٧ ، الازدي ، ص٢٨٢ .

ونزل يزيد يصلي الصبح فلم يتم صلاته حتى طلع الوليد عليه في عسكره واصطفت الخيلان وتزاحف الناس فلما شبت الحرب ناداه يزيد : ياوليد ماحاجتك الى التسفر بالرجال ابرز لي : فقال نعم والله (ابن خلكان ٢٧٠/٥ - ٢٧١) « وقيل انه قال له : ابرز ياوليد ولاتقتل الناس بيني وبينك ، وكان يزيد واقعه يوما واحداً ثم قال له ذلك في اليوم الثاني (اليعقوبي ، التاريخ ، ٤١٠/٢) فبرز الوليد وبرز له يزيد ووقف العسكران فلم يتحرك منهما أحد فتطاردا ساعة وكل واحد منهما لايقدر على صاحبه حتى مضت الساعات من النهار (ابن خلكان ، ٣٧١/٥) . ويقال ان يزيد اجهد عطشا حتى رمي بخاتمه في فيه وجعل يلوكه ويقول : اللهم انها شدة فاسترها وقال لأصحابه : فداكم أبي وأمي انما هي الخوارج ولهم حملة فأثبتوا فاذا أنقضت حملتهم فاحملوا عليهم فانهم اذا انهزموا لم يرجعوا ، فروي انهم حملوا عليهم حملة ، فثبت يزيد ومن معه ومن عشيرته ثم حمل عليهم فانكشفوا . ابن الاثير الكامل ١٤٢/٦ ، الطبري المصدر السابق ، ١٧٩/٨ ، الازدي المصدر السابق ص٢٨٢ ، مجهول العيون والحدائق ، ٢٩٦/٣ - ٢٩٧ .

شمل الباقين(١) ، وينقل ابن خلكان رواية اخرى مقاربة فيذكر أن يزيد قد مكنته الفرصة من الوليـــد وانه ضرب رجله وتمكن من اسقاط من فرسه وصاح بجماعته من خيالته ان يقتلوه بعـد ان يجمعـــوا عليه ، وان قتله كان بالحديثة من ارض الجزيرة (٢) ، وينفرد المقدسي بالاشارة الى أن بعض الاعراب انتهزوا منه الفرصة فقتلوه غيلة . وان رأسه قد حملت الى الخليفة الرشيد ، ويضيف المقدسي قائلا بأن الخليفة قد « اعتمر شكرا لله عزوجل على ما ابلاه وكفاه » (٣) ، وكانت هذه الحركة من اوسع حركات الخوارج حدة وشمولا ويبدو انها استمرت لفترة طويلة نسبياً بالمقارنة مع حركات الخوارج الاخرى المماثلة فيشير المقدسي الى ان هذه الحركة قدر لها ان تستمر لفترة تقرب من عشر سنوات(٤) . ويرى د . فاروق ان الرشيد لم يستطع القضاء عليها الا بعد ارسال يزيد بن مزيد الشيباني الذي استطاع ان يكسب اتباع الوليد « فوهنت حركته . . . (٥) » .

(١) الطبري المصدر السابق ، ١٧٩/٨ ، الازدي ، ص٢٨٢ ، مجهول ، العيون والحدائق ، ٣/ ص٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

(٢) ابن خلكان ، ٥ / ٣٧١ (وبعد ان انكسر جيش الوليد وانهزم تبعه يزيد بنفسه حتى الحقه على مسافة فقتله (ابن خلكان ، ٨٦/٥) ، وقال رجل من اصحاب يزيد بن مزيد :ـ

بلينا حفـاظا والمنـايا مطلة   حذار المخازي والوليـد مخوف
ستعلم ياخاقان ان عاد موقف   وحانت زحوف خلفهن زحوف

خليفة ، ٤٨٦/٢ .

(٣) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ١٠٢/٦ .

(٤) ن . م . ، ١٠٢/٦

(٥) العراق في العصر العباسي ، مجلة بين النهرين ٥٦/٦ـ٥٧ .

نتائج الحركة :

كان للوليد اخت تسمى الفارعة تجيد الشعر(١) ، وقد حاولت هذه ان تأخذ بثأر اخيها وحملت على جيش يزيد ، فقال يزيد : «دعوها ، ثم خرج فضرب بالرمح فرسها وقال : اغربي غرب الله عينيك ، فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت»(٢) ويقال ان اسمها ليلى وكانت مشهورة بجمالها وجودة شعرها ، وهي تسلك سبيل الخنساء في مراثيها لاخيها صخر ، فقد رثت الفارعة كما يذكر ابن خلكان اخاها الوليد بقصائد وهي قليلة الوجود ولايوجد في مجاميع كتب الادب الا بعضها ، حتى ان ابا علي القالي لم يذكر في اماليه سوى اربعة ابيات ، ويشير ابن خلكان انه ظفر بها كاملة وقد اثبتها لغرابتها ، ورثته اخته الفارعة بنت طريف(٣) .

تبين من مجرى الاحداث أن هناك مجالا واسع النطاق للمعارضة في أثارة الاضطرابات ضد الدولة العباسية وبشكل خاص طاقة وقدرة حركات الخوارج على القيام بذلك غير أن الملاحظ ان نصيب هذه

---

(١) محمد رضا شاه ، اللؤلؤ المرتب ، ص٢٠٥ .

(٢) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٦ / ١٤٢ ، ابن خلكان ، المصدر السابق ، ٥/ ٨٦ .

(٣) فقالت :

فيا شجر الخابور مالك مورقاً   كأنك لم تحزن على ابن طريف
فتى لايحب الزاد إلا من التقى   ولا المال الا من قنا وسيوف

ابن خلكان ، ٥/٨٥ ـ ٨٦

الحركة كان الفشل كسابقاتها حيث أنها لم تتمكن من أن تضمن وجودها وترسخ اقدامها ، وعلى الرغم من سرعة حركتها واتساع نطاقها(١) ، فقد كان الفشل نصيبها اذ تفرق اصحاب الوليد والتحق قسم منهم بديار ربيعة(٢) ، ومما هو جدير بالملاحظة ان الخلافة اعطت اهتماما متزايدا لهذه الحركة وركزت أغلب الجهد المستطاع من أجل القضاء عليها ، وتشير المصادر الى ان الرشيد «قد اعتمر شكرا لله على ما أولاه من الوليد بن طريف » (٣) .

ومن الواضح انه قد ظهر في العصر العباسي الاول جماعة من قادة الخوارج الطموحين لعل من أبرزهم الوليد بن طريف الشاري(٤) الذي بث دعاية واسعة النطاق موجها الاتهامات الى العباسيين بشكل عام والى هارون الرشيد بشكل خاص بالجور والظلم والفساد وأنه يبغي تخليص المسلمين من ذلك(٥) . ويعلق د . شلبي بقوله : « . . . وفي

(١) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ١٠١/٦ .

(٢) اليعقوبي ، التاريخ ، ٤١٠/٢ ـ ٤١١ .

(٣) الازدي المصدر السابق ، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ، مجهول ، العيون والحدائق ، ٢٩٧/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ١٤٢/٦ .

(٤) الخضري ، محاضرات (القاهرة ، ١٩٥٣) ص ٢٠٤ ـ ١٠٥ ، عبد القادر عياش ، الرقة ، القسم الاول (ديرالزور ، ١٩٦٨) ص ٤٧ . وعلي ابراهيم حسن ، التاريخ الاسلامي العام ، (القاهرة ، ١٩٥٩) ص ٣٦٧ .

(٥) ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام (القاهرة ، ١٩٦٤) جـ ٥١/٢ .

فهد الرشيد هبت للخوارج عاصفة قوية يقودها رجل ذو بأس شديد اعاد للخوارج عهودهم الزاهرة أيام بني امية ذلك هو الوليد بن طريف الشاري » (١). اما من جهة العلاقات فان النتائج التي تحققت نتيجة الصدام قد أدت الى زيادة منزلة يزيد بن مزيد عند الرشيد على الرغم من محاولات البرامكة في البداية لاغرائه . وهكذا فان يزيد قد نال مرتبة عالية عند الرشيد اذ مدحه وقربه (٢) .

ومن الملاحظ ان حركة الوليد تمثل ذروة ماوصلت اليه حركات الخوارج من العنف والاتساع، وان حركات الخوارج التالية تمثل تراجعا في المركز والاهمية عما حققته حركة الوليد ولعل ذلك هو ماعناه ابن خلدون عند حديثه عن أهمية الخوارج بعد حركة الوليد بقوله: « انقرضت كلمة هؤلاء بالعراق والشام فلم يخرج بعد ذلك الا شذاذ متفرقون يستلحمهم الولاء بالنواحي الا ما كان من خوارج البربر بافريقة وماكان بنواحي الموصل وعمان الى بلاد حضرموت ونواحي الموصل فار تفشى وعروق في كل دولة » (٣).

---

(١) شلبي ، التاريخ الاسلامي ، ٣/٣٠ـ٣١ .

(٢) راجع ابن خلكان ،المصدر السابق ٥/٣٧١ـ٣٧٢، محمد رضاشاه، اللؤلؤ المرتب(نجف،١٩٦٦) ص ٢٠٤ ـ٢٠٥، ص٢٠٧ وتذكر المصادر ان الرشيد قال : يايزيد ما اكثر امراء المؤمنين في قومك ؟ قال نعم الا أن منابرهم الجذوع ـ يعني الجذوع التي يصلبون عليها اذا قتلوا ـ وكان قتله سنة ١٧٩ .

(٣) ابن خلدون، العبر ٣/٣٦٢ـ٣٦٣ .

ولعل الأسباب المهمة التي أفشلت حركة الخوارج هو قوة شخصية يزيد بن مزيد وبراعته العسكرية واقدامه في التصدي لهم واحباط خططاتهم، وهذا ما اتفقت المصادر عليه .

ثورة جراشة بن شيبان الازدي الخارجي ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م - ١٨١هـ/٧٩٧م«(*)

كانت حركة جراشة قد بدأت أول أمرها خارج الجزيرة ثم انتقلت الى مناطق الجزيرة . وتوهم بعض المؤرخين فذكروا أنها بدأت في الجزيرة (١) ثم انتقلت الى مناطق اخرى خارج الجزيرة . ثم تركزت في منطقة هيت على الفرات جنوب الجزيرة . حيث قضي عليها . وليس في الامكان تأكيد أو نفي مركز بدايتها إذ لاتتوفر عن ذلك معلومات دقيقة . وتقدم بعض المصادر معلومات عامة عن انتشارها حيث : «جال في السواد والجـــزيرة وقتل من رجال السلطان » (٢)

---

(١) خليفة بن خياط ، ج ٢، ص٤٨٨ .

(٢) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص٢٧٩ وص٢٩٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٥٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١٧٥ .

(*) لقد حدث التباس في التسمية فيسميه خليفة بن خياط « جراشة ابن شيبان » ٤٨٨/٢ في حين يسميه الازدي « خراشة بن سنان الخارجي» ص ٢٧٩ ويسميه ابن الاثير « حراشة) الكامل ١٥٢/٦ وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية ١٧٥/١٠ . غير أننا نستدل ونرجح رواية خليفة بن خياط .

ويبدو أن جراشة بن شيبان قد أعلن حركته سنة تسع وسبعين ومائة(١) وربما سنة ١٨٠ هـ(٢) ولم تذكر مصادرنا اسم أول منطقة ثار فيها وأول ماتذكره عن بدايتها من أنها تشير الى أنه أتى السواد ثم البندنيجين (٣) فقتل عمر بن عمران بن جميل الفزاري ، ثم ذهب الى الدينور فلقيه الليث - ولم تذكر المصادر من هو؟ - فهزمه جراشه وقتل من أصحابه بضعة وثلاثين رجلا . ثم رجع جراشة الى حلوان(٤) فكتب الليث الى مالك بن علي الخزاعي وهو في حلون وماه(٥) «وأن جراشة قد توجه اليك وهو مهزوم مغلول في نفر يسير (٦)» .

ولما كانت حركة جراشة قد حصلت في أعقاب حركة الوليد ونظرا للخبرات المريرة لدى القيادة العباسية من لدن الخوارج فقد جوبهت حركة جراشة بمقارنة عنيفة من قبل المسؤولين العباسيين في

---

(١) الازدي ، ص ٢٧٩ .

(٢) ابن الاثر ، ج ، ٦ ، ص ١٥٢ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٧٥ ، وفتحي عثمان المرجع السابق ١٦٩/٢ .

(٣) هي بلدة مشهورة في طرف النهراون من ناحية الجبل من اعمال بغداد (الحموي، معجم البلدان ، ٧٤٥/١) .

(٤) بلدة بقوهستان نيسابور وهي آخر خراسان مما يلي اصبهان(الحموي، معجم ، ٣٢٢/٢) .

(٥) ماه : اسم يطلق على عدة كور منها ماه نهاوند ، وماه دينور ، وماه الدينور وهو دون حلوان الحموي ، معجم ٤٠٦/٤) .

(٦) خليفة بن خياط المصدر السابق ،٤٨٨/٢-٤٨٩ .

المناطق التي مرت بها قواتها . لقد توجهت قوات جراشة الى حلوان فاتخذ عاملها مالك بن علي الخزاعي الموقف الحازم المطلوب منه في مثل تلك الظروف للتصدي للحركة فنادى في الناس ليخرجوا فقال له كاتبه « أنشدك الله في نفسك ماتريد من رجل لم يأتك ؟ فقال: أسكت اني لارجو ان آخذه أسيراً » فخرج وخرج معه قوم من العرب اتوه « زوارا » فخرج قبل عيد الفطر بيوم وذلك سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م معترضاً طريقه فلقيه في موضع يقال له (قذاب) » (١) .

وروي أنه قتل من الخوارج خمسة واربعين رجلا وتمكن احد فرسان الخوارج ان يطعن مالك بن علي الخزاعي وأن يسقطه عن جواده، وتصور اصحابه انه قد قتل فانهزموا فتبعهم الخوارج يقاتلونهم فقتلوا منهم مائة وخمسين رجلا(٢) . وكان لهذا الانتصار أثره الحاسم في تغيير خطة جراشة الذي قرر مع جماعته التوجه الى موطن يكثر فيه انصارهم فاتخذوا الجزيرة هدفا لوجهتهم فاتوا شهرزور التي خندق أهلها عليها وخاصة التجار الذين خشوا على أموالهم وانفسهم فحصرهم ثمانية عشر يوماً قبل ان يصالحه أحد وجهاء البلده ، وهو يحي بن النضر ، على مبلغ معين من ماله وعلى ان يدخل المدينة رجلان فيحكمان فيها ثم يخرجان(٣) ويبدو أن جراشة غير خطته فعوضا عن التوجه نحو الجزيرة

---

(١) قذاب مدينة تبعد ستة فراسخ من حلوان (خليفة ٢/٤٨٩) .
(٢) خليفة المصدر السابق جـ٢/ص٤٨٩ .
(٣) ن. م، ٢/ص ٤٨٩ ـ ٤٩٠ .

فأنه اتجه الى سند أباد حيث أرسل الى نهاوند (*) وهمدان (**) من قبله رجالا لجباية الضرائب منهما، وتوجه الفضل بن يحي بن جبريل في الفين وعقد له بيوم الفطر فسار حتى اتى ماه ثم خرج يريد جراشة فلقيه جراشة في مائة وثمانين رجلا معه ابو ثور ، لم تشر المصادر الى اسمه ـ وهو رجل من ارمينيه ـ فاقتتلوا قتالا شديداً وحمل رجل من الصغد على جراشة فطعنه فرمي به على عنق فرسه واحاطت به الرماح ورماه رجل فأصاب جبهة فرسه وقد هرب به فرسه فعاد في السراج واتبعه اصحابه فقتل منهم مائة وخمسين رجلا وقتل ابو ثور واتبعهم الجيش العباسي بقيادة ابراهيم بن جبريل فسبقه جراشة الى قصر اللصوص وعلى ثمانية فراسخ من الموضع الذي لقيه فيه ، ثم اخذ الى قرماسين (***) ثم عدل الى مروج امير المؤمنين فاخذ الدواب متراجعا الى شهرزور (١) وبذلك عاد جراشة ادراجه مرة ثانية الى الجزيرة الفراتية بعد ان لقي مقاومة عنيفة في العديد من المناطق التي مر بها ، ويلاحظ ان جولته

---

(١) خليفة المصدر السابق ، ٢ / ص ٤٩٠

(*) نهاوند مدينة كبيرة وهي قبيلة همدان بينهما ٣ أيام وهي عذبة الماء كثيرة الشجر (الحموي ، معجم ، ٨٢٧/٤ ـ ٨٢٩)

(**) همدان : وهي احد المدن الشهيرة في بلاد ايران وهي حسنه نزهة وطيبه (الحموي ، المصدر السابق ، ٩٨١/٤ ـ ٩٩٢)

(***) قرماسين ، بلد معروف بينه وبين همدان ٣٠ فرسخ قرب الدينور ، وهي بين همدان وحلوان وهي عذبة الماء (الحموي معجم ٦٩/٤ ـ ٧٠)

هذه قد كلفته الكثير من الرجال والجهد وهكذا عاد لشهرزور في ستين رجلا وسار اليها(١) فبات عند يحي بن النضر ليلة ثم عبر دجلة فاتى ابراهيم بن جبريل شهرزور فأقام ثمانية عشر يوما ثم توجه الى القادسية وهناك وصلت الامدادات حيث وصلت قوات عباسية تقرب من الفي مقاتل بقيادة خالد بن يزيد بن حاتم الذي نزل العذيب(٢) وتراجع جراشه فأخذ طريق البصرة غير ان ابراهيم لم يتوقف عن ملاحقته مما اضطره الى التراجع نحو وادي السباع ماراً بالعذيب سالكا طريق البادية الصحراوي ورجع ابراهيم ليتبع جراشة فنزل القطقطانية(*)ثم اتى قصرابي مقاتل ثم عين التمر فاعلم ان جراشة قد اتجه الى هيت(٣) وهكذا تؤكد المصادر ان جراشة كان يحاول الفرار والاتجاه الى المناطق الجزرية وذلك حينما هاجم شهرزور وهي المنفذ في الجزيرة في الشرق حينما مر بها مرتين ولكنه انحدر جنوباً باتجاه البصرة ثم رجع شمالا باتجاه هيت وهي آخر مدن الجزيرة من ناحية العراق . ويبدو انه لم يستطع ان يقتحم المناطق الداخلية للجزيرة نتيجة التدابير الوقائية التي اتخذتها الخلافة لمجابهة نشاط الخوارج فيها .

---

(١) خليفة ٤٨٩/٢ .

(٢) العذيب موضع ماء بينه وبين القادسية ٤ اميال وهي من حد السواد (الحموي ٦٣٦/٣) .

(٣) خليفة، المصدر السابق، ٤٨٩/٢ ـ ٤٩٠ .

(*)القطقطانية ، موضع قرب الكوفة من جهة البريه بالطف (الحموي ، معجم ١٣٧/٤)

ويلاحظ ان ابراهيم نزل وادي البردان(*) فسأل عن جراشة وجماعته فقيل له « أنه قـــد مضى بين أيديكم فاتوهوه ابراهيم وعليه اناس من بكر بن وائل بعد الغروب ، فقالوا : اتانا صلاة العصر فقتل خمسة أنفار وحبس الناس فلما أغم خرج ولاندرى أين توجه » (١) ، فأرسل ابراهيم الادلاء من أجل أن يبلغوه بموضعه فاتوه منتصف الليل فاخبروه أنه قد رجع الى وادى البردان . وقـد استمرت عملية المطاردة مستمرة بين عدة مواضع من هذه المنطقة قبل أن يتوجه الى هيت (٢) وهكذا فقدكان جراشة كثير التنقل - والترحال مما يعكس عجزه عن ملاقاة القوات التي تتعقبه .وربما كان عدد قواته قد تناقص بعد هذه الاصطدامات كما أنه لم يتمكن من ترسيخ مكانه وتثبيت قاعدة ثابتة لنفسه في احدى المدن التي قدر له ان يمر بها . كما أنه القوات العباسية لم تعطه الفرصة الكافية لاعادة التنظيم والتقاط الانفاس اذ كان مطاردا على الدوام حينما توجه وهكذا فقد قدر لجراشه ان يلاقي حتفه غيلة اذ أن أحد رسله قد وقع اسيراً بين يدي قوات ابراهيم وقد انقذ هذا نفسه بأن دلهم على موضع جراشة الذي تم الهجوم عليه وهو نائم فقتلوه وقتلوا ثلاثة عشر رجلا من

---

(١) خليفة.المصدر السابق ، ٢/ص٤٩٠ .

(٢) ن - م ، ٢/ص ٤٩٠ .

(*) قيل أنه موضع ماء بالسماوة ، وقيل قرية من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها قرب صريفين وهي من نواحي دجيل(الحموي ، معجم ١/٥٥٢) .

أصحابه (١) . أما ابراهيم فانه لما بلغه هذا الخبر فانه عاد الى هيت ويؤكد الازدي رواية خليفة فيذكر ان ابراهيم بن جبير اتبعه الى هيت وأنه قد « كبسه ليلا فقتله وسبعة عشر رجلاً من اصحابه»(٢) . ان العدد القليل من الاتباع الذين قتلوا مع جراشة والذين يمثلون بجموع من تبقى معه من القوات يمكن ان يعكس حقيقة الصورة للصراع المرير الذى خاضه جراشه ، كما يعكس مدى استماتته وأصحابه مقارنا بالجهود التي بذلها ابراهيم للقضاء عليه . واختلفت الروايات في قتله فيذكر « أن سعيد بن مسلم هو الذى هزم جراشة بالجزيرة سنة ١٨١ هـ »(٣) . أما الابن الاثير فقد اقال ان الذى قتله مسلم بن بكار العقيلي بالجزيرة سنة ١٨٠ هـ (٤) .

ثورة أبي عمرو الشاري بشهرزور «١٨٤ هـ/٨٠٠م »

ويمكن اعتبار هذه الثورة بمثابة ردود فعل تاليه لحركة جراشة حيث كانت حركة جراشة كما مر بنا ،قد تركزت في شهرزور . التي احتلها مرتين . وكانت ثورة أبي عمرو من أبسط الحركات الخارجية التي ظهرت حتى ذلك الوقت فهي بسيطة وضعيفة وقضي عليهـــا في وقتها .

(١) خليفة ، ٤٩٠/٢ .

(٢) الازدى ، المصدر السابق ، ص٢٧٩ .

(٣) ن . م ، ص ٢٩٠ .

(٤) ابن الاثير، الكامل، ١٥٢/٦ ، ابن كثير،البداية والنهاية، ١٧٥/١٠،

فقد خرج أبو عمر الشاري (*) بشهرزور - وهي من أعمال الموصل - فوجه اليه الخليفة هارون الرشيد زهير القصاب الذي تمكن من القضاء على حركته وقتله في موضعه وهـكذا وضع حدا لهذه الحركة (١) .

ولم تشر مصادرنا الى أية معلومات أخرى عن هذه الحركة بل تكتفي بذكرها بشكل مقتضب ، ويبدو أن سبب ذلك يعود الى تدهور الحركة الخارجية وضعفها في أواخر القرن الثاني للهجرة في الجزيرة بحيث أخذ الناس يبتعدون عنها وعن الانسياق وراء دعايتها بعد الفشل المتوالي الذى منيت به ثوراتها الاولى .

ثورة مهدي بن علوان الشاري « ٢٠٣ هـ/ ٨١٨ م »

كان الخوارج يستغلون ما يحصل في ولاية الموصل من الاضطرابات مهما كان نوعها وخاصة الاضطرابات القبلية . وقد حصل أن اشتد النزاع في هذه المنطقة اثناء امارة علي بن الحسن وذلك لوقوع الخلاف بين بني ثعلبه وبني اسامة . وقد لجأ علي بن الحسن الى زعيم الخوارج مهدي بن علوان الخارجي لمساعدته في اعادة الأمن والنظام ووضع حد لهذا الصراع غير أن الاخير استغل الوضع فأعلن العصيان وحول الخطبة والدعاء في المسجد لنفسه غير أن وجود شخصية السيد بن أنس الذى تسنم ولاية الموصل في اعقاب هذه الاضطرابات قد افشل هذه

---

(١) الطبري، المصدر السابق ، ج٨ ، ص٢٧٢، الازدي ،المصدر السابق، ٢٩٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص١٨٤ .

(*) وقيل عمر الشاري (الحموي ، التاريخ المنصوري ، ص٩٧)

المخططات الخارجية في الموصل (١) .

وبعد ثورة ابي عمرو السابقة مالت الاوضاع الى الهدوء في الجزيرة حتى نهاية القرن الثاني للهجرة مما يشير الى احساسهم بالضعف وتبدد شملهم ، غير ان ضعف الحركة الخارجية قد وافقه ضعف في مركز العاصمة الاسلامية ـ بغداد ـ بسبب انشغال الدولة بالفتنة التي حصلت في أعقاب وفاة الخليفة هارون الرشيد بين الامين والمأمون . وهكذا فقد حاول الخوارج على ماهم عليه من ضعف استغلال الفوضى السياسية الناجمة عن ذلك النزاع من أجل استعادة مجدهم أيام الضحاك والوليد الشاري فلما ثار ابراهيم بن المهدي سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م كان أول من بايعه عبدالله بن العباس بن محمد ثم منصور بن المهدي ثم سائر بني هاشم حيث كان المتولي لأخذ البيعة المطلب بن عبدالله بن مالك وقام في ذلك السندي وصالح صاحب المصلى وسحاب ونصير الوصيف وسائر الموالي الا أن هؤلاء كانوا غضباً منهم على المأمون حين اراد الخروج واخراج ولد العباس من الخلافة وتركه لباس ابائه وكان أول خارجي ثار على ابراهيم بن المهدي مهدي بن علوان الحروري (٢) وذلك سنة ٢٠٢ هـ /٨١٧ م .

اختلف في موضع اعلان الثورة فينقل الطبري انه خرج ببزرفيسابور وعلى طساسيج هنالك وعلى نهر بوق والراذانين وربما كان خروج

(١) راجع الفصل الخاص بالادارة .

(٢) الطبري المصدر السابق ، ٨/ ٥٨٨ الازدي ، المصدر السابق ، ص٣٤٣ ، مسكويه تجارب الامم ، ج٦(دليوت ، ١٨٧١) ٤٣٨ـ٤٣٩ ابن خلدون ، م ٣/٥٢٣ـ٥٣٤ .

المهدي في سنة ٢٠٣ هـ / ٨١٨م (١) . وكان مهدي بن علوان الشاري بنواحي الموصل والجزيرة ويذكر الازدي أنه « لما خرج وقوى أمره جمع له يحيى بن مروان التيمي وبلغ المهدي خبره فسار نحوه فخرج إليه يحيى قيس فلما اجتمعوا قال مهدي الشاري لبني تغلب :« حاموا على احسابكم برماحكم » فقالوا : « لبيك يا أمير المؤمنين لنحامين ولنردهن » (٢) فالتقى القوم بموضع يقال له (البفت) حيث التقى ميسرة بن الصقر ويحيى بن مروان فطعنه ميسرة فنكسه وأخذ رمحه وكان يحيى فارس قيس قاطبة فأثر بها مهديا الشاري (٣) وجرت حوله مناظرة شعرية وجدال (٤) وتطورت قوة المهدي سنة ٢٠٣ هـ إذ أنه تقوى حتى غلب على بعض نواحي السواد فوجه إليه أبا اسحق بن الرشيد وأبو البط سعيد بن الساجورفي عدة من القواد وكان مع أبي اسحق غلمان اتراك وقد تمت الهزيمة بمهدى بن علوان الى حولايا(*) وذكر الحموي أن مهدى بن علوان كان قد تغلب علي الموصل(٥) وفي رواية ذكرها الطبري ان ابراهيم بن المهدي وجه إلى مهدى بن علوان - الدهقاني المطلب - فسار اليه فلما قرب منه أخذ

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ص٣٥٢ .

(٢) ن ٠ م ، ص ٣٥١ .

(٣) الطبري ، ٥٥٨/٨ ، الازدي ، ٣٥٢ .

(٤) راجع الازدي ص،٣٥١ .

(٥) الحموي ، التاريخ المنصوري ، ص١٠٦ .

(*) حولايا : قرية بنواحي النهروان (الحموي، معجم ، ٣٦٦/٢) .

رجلا من مقيد الحرورية يقال له اقذى فقتله ، واجتمعت الاعراب فقاتلوه نهزموه حتى أدخلوه بغداد(١) ويبدو أن نهاية الحركة كانت في اعقاب هذا الاندحار الذى تم على يد الاعراب ، ولم تعطي المصادر أية معلومات عن مصير مهدي بن علوان .

أما عن نتيجة هذه الحركة ، فانها لم تؤد الا الى تعميق اليأس والشعور بالفشل الذى أخذ ينتاب نفوس الخوارج ومن يقف ورائهم من مؤيديهم .

ثورة الضبابي الشاري « ٢١٤هـ /٨٢٩ م »

كانت ثورة بلال الشاري آخر حركات الخوارج خلال فترة بحثنا في الجزيرة . وكان خروجه سنة ٢١٤ هـ /٨٢٩ م . وتتفق المصادر على تعيين تاريخ الحركة هذه ، وكانت هذه أول ثورة خارجية حصلت خلال خلافة المأمون بعد حركة مهدى بن علوان .

اعلن بلال الضبابي الشاري الثورة ، فاتجه المأمون لمجابهة الحركة إلى العلث (*) وعلى طريق الموصل ، ثم رجع الى بغداد فوجه ابنه العباس في جماعة من القواد منهم علي بن هشام وعجيف وهارون بن محمد ابن أبي خالد فقتل بلال(٢) .وكان المأمون قد عقد لابنه العباس على

---

(١) الطبري ، تاريخ ٥٥٨/٨ ، الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٣٥٢ .

(٢) اليعقوبي التاريخ ، ج٢ ، ص٤٦٤ ، الطبري المصدر السابق ، ٦٢٢ ، الازدي المصدر السابق ، ص٣٩٥ .

(*) العلث : قرية على دجلة بين عكبرا وسامراء وهي أول العراق في شرق دجلة (الحموي ، معجم ٧١١/٣) .

الجزيرة (١) و نفرد الحموي بالاشارة الى ان المأمون خرج اليه سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠ م ودخل الموصل بعد أن خرج لمجابهة بلال الشاري(٢) .

ويلاحظ ان مقتل بلال كان قد وضع الخاتمة لهذه السلسة من الحركات الخارجية في الجزيرة والتي اضعفت وانهكت بل وخنقت الروح الخارجية في الجزيرة بحيث لم تقم لهم قائمة بعدما جوبهوا بمقاومة جادة من قبل قوات الخلافة التي هي بدورها كانت قد انشغلت كثيراً في مواجهة أمثال هذه الحركات . غير أن الخوارج فيها كانوا في العصور القادمة قد ثاروا بين اونة واخرى ، حيث ظلت الجزيرة معقلا ومأوى للخوارج الثائرين ضد الدولة مابين ٢٤٧ـ٣٣٤ هـ (٣) .

---

(١) اليعقوبي المصدر السابق ، ج ٢، ص٤٦٤ .

(٢) التاريخ المنصوري ص١٠٣ .

(٣) د.فاروق ، الفوضى العسكرية (بغداد ،١٩٧٤) ص١٤٠ ـ ١٤٢ .

الفصل السادس

حركات المعارضة الاموية

حركة المعارضة الأموية

١٣٢ هـ/٧٤٩ م - ١٩٨ هـ/٨١٣ م

كان الفكر الخارجي سائدا في اغلب مناطق الجزيرة خلال السنوات الأخيرة من الحكم الاموي وسببت ثورات الخوارج فيها الكثير من المشاكل للأموين خاصة خلال فترة حكم اخذ الخلفاء الامويين وهو مروان بن محمد .وقد استمرت الحركة الخارجية بفاعليتها في الجزيرة في أعقاب سقوط الامويين أيضاً .

وإذا كانت النظرة العامة للجزيرة في العصر الأموي نظرة خارجية فان النظرة اليها في السنين الاولى من العصر العباسي الاول قد شابتها اتجاهات أموية بجانب النظرة الخارجية التقليدية . ولعل من المناسب أن نشير هنا الى أن اغلب سكان الجزيرة كانوا من الموالين للأمويين وعلى الاخص سكان الموصل فقد لقيت الموصل رعاية واسعة من قبل الامويين ولذلك فان سكانها قد اتخذوا موقفاً سلبيا ازاء العباسيين في اعقاب ثورتهم ضدهم .ولنلق الان نظرة على مايمكن أن نستنتجه من خلال المعلومات التي تقدمها لنا مصادرنا والتي تؤكد وجود اتجاهات اموية واضحة المعالم حينا وخافية حينا آخر في بعض مناطق الجزيرة ولقد استغل عبدالله ابن علي مثلا ذلك عندما اعلن ثورته في الشام ومن ثم بالجزيرة في سنة (١٣٧هـ / ٧٥٤ م) ضد الخليفة المنصور حيث « قرب اليه موالي بني امية واطمعهم وسد ثغورهم(١) » ، ويشير ابن حوقل الى ذلك عند حديثه عن سكان الرقة والرافقة فيقول ان « في اهلها ولاء شديد لبني

---

(١) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ٢/١٦٠ .

أمية » (١) ومن جهة ثانية فان الخليفة الرشيد يكشف عن الاسباب الكامنة في كثرة تردده على مدينة الرقة إذا يشير الى شكوكه من ولاء اهلها بقوله : « ولكني اريد المناخ على ناحية اهل الشقاق والبغض لائمة الهدى والحب لشجرة اللعنة (*) - بني امية - ... ولولا ذلك مافارقت بغداد ماحييت ولاخرجت منها ابداً »(٢) وتشير المصادر

(١) ابن حوقل ، صورة الارض، ص٢٠٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،٣١٧/٨ .

(*) لقد وردت شجرة اللعنة في القرآن الكريم قال تعالى « وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وماجعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرةَ الملعونةَ في القرآنِ ونخوفهم فمايزيدهم إلا طغياناً كبيراً » (سورة الأسراء ـ اية ٦٠)(الشجرة الملعونة في القرآن) هي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم جعلناها فتنة لهم ، إذ قالوا النار تحرق الشجرة فكيف تنبته (جلال الدين ، تفسير الجلالين ، (بيروت، ١٩٧١) ص٣٧٩ » قلت : لأن الله سبحانه وتعالى قال : ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم والدخان ٤٣ـ٤٦ وقال تعالى : « ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون »، الواقعة آية ٥١ ـ ٥٣ وقال ابن كثير في تفسيره ٤٨/٣ « الشجرة الملعونة في القرآن » شجرة الزقوم حكاه ابن عباس ومسروق وأبو مالك الحسن البصري وقال ابن كثير ٤٩٧/٣« وقيل المراد بالشجرة الملعونة بنو امية وهو غريب ضعيف (تفسير القرآن العظيم (بيروت ، ١٩١٩) .

الى بعض المواقع التي كان يسكنها بنو امية خلال العصر العباسي الأول فيذكر ابن حوقل ان حصن مسلمه بن عبد الملك الذي «كانت تسكنه طائفة من بني امية »(١) ونقل ابن الاثير من أن الخليفة المهدي حينما مر بالجزيرة سنة (١٦٣هـ) حاذى قصر مسلمة بن عبد الملك حيث أمر لولد مسلمة ومواليه بعشرين ألف دينار وأجرى عليهم الأرزاق (٢) فمن خلال النصوص السابقة يتضح لنا ان الجزيرة كانت ذات ميول أموية حيث أن إجراءات الأمويين في الجزيرة وأعمالهم الاصلاحية وثقتهم بأهلها واعتمادهم عليهم تبرر القول بوجود نوع من أنواع الميول الأموية خلال الفترة التالية ، تلك الميول التي عبرت عن معارضتها للعباسيين بأشكال مختلفة كأسناد حركات العنف المعارضة التي اصطبغت بصبغة أموية واضحة المعالم ضد الاتجاه العباسي الجديد او انها اسندت حركات رفعت شعارات معارضة ليست أموية بالضرورة بل ربما تكون متميزة لتأييد حركة الخوارج مثلا أو النزوع للتكتل القبلي وهذا مايعرف بالمعارضة القبلية .

أن الثورات ذات الاتجاه الاموي الصريحة في الجزيرة ستكون موضع عناية وبحث فلقد شهدت الجزيرة الفراتية خلال الاشهر الاولى

---

(١) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

(٢) وذلك حينما قال له العباس بن محمد بن علي « ان لمسلمة في أعناقنا منة ، كان محمد بن علي مر به فأعطاه أربعة آلاف دينار ، وقال له اذا نفدت فلا تحتشمنا فأحضر المهدي ولد مسلمة ومنحهم المبلغ المذكور وكافأهم (ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ٦ / ص ٦٠) .

للحكم العباسي سنة (١٣٢ هـ/٧٤٩م) حركات تمرد أموية قامت بمحاولات يائسة عصفت بالحكم العباسي في المنطقة ، غير انها لم تستطيع ان تحقق ما كانت تستهدفه بل انها كانت مجرد ردود فعل السكان المعبرة عن الترابط والتعاطف مع الأمويين ضد أعدائهم أو منافسيهم ولعل اهميتها تكمن في انها نبهت العباسيين الى خطورة الوضع في المنطقة وجعلتهم يتخذون التدابير الكفيلة لمواجهة الظروف الخطرة للموقف المتأزم ممثلة في تولية ولاة مديرين للأقليم اغلبهم من العباسيين وارسال فرق خراسانية معهم ، وانشاء قلاع عسكرية في مدن مختلفة كالموصل ، وبلد ، وحران ، وقنسرين ، ودمشق وحشدقوات خراسانية فيها وكذلك بناء مدن عسكرية في مواقع استراتيجية على الطريق بين العراق وسوريا كالرافقة التي بناها المنصور ومحاولة كسب ود القبائل الشامية والجزرية حيث يتم السيطرة على المنطقة بواسطة هذه القبائل الموالية ، واخيراً القيام بزيارة هـــذه المناطق والتحري عن احوالها والتعرف على قبائلها (١) .

وقـــد قام المنصور والمهدي والرشيد بزيارات متكررة للأقليم ولعل كثرة الاضطراب والفوضى يعكس بشكل واضح دوافع تولية ابناء الأسرة العباسية لمناصب الادارة الرئيسية في هذا الاقليم وقد

---

(١) د . فاروق ، العباسيون الاوائل ١/٧٦ وراجع الفصل الاداري (تفقد الخلفاء للجزيرة) .

فأورث المصادر (١) عند حديثها عن الثورات الأموية المبكرة في الاقاليم سنة ١٣٢ هـ /٧٤٩ م فتذكرها(بانهم اتخذوا البياض(*) شعاراً لهم وبأنهم

---

(١) الطبري ، المصدر السابق، ٤٤٦/٧ ، ابن الاثير ،الكامل ٥/ ٤٣٤-٤٣٥ الذهبي ٢٠٦/٥ .

(*) اختلفت اراء المؤرخين في تفسير اصطلاح التبييض الذي اطلق على الثورات الاولى للمعارضة الأموية للعباسيين ، فيذكر دانيوسيوس التلمحري الى ان الأمويين لم يتحملوا اجراءات العباسيين فلبسوا الابيض ، التاريخ، ص ٥١) وهو يوضح ان التبييض يعطي معنى الثورة ضد العباسيين ، ويشيرابن خلدون الى التبييض بقوله «وبيض معناه لبس البياض ونصب الرايات البيض مخالفة لشعار العباسيين في ذلك» (العبر ٣٧١/٣ ، المكي، سمط النجوم العوالي ٢٤٠/٣) ويعتقد العبادي بأن هذه الثورات كانت ترفع الاعلام البيضاء كدليل على عصيان العباسيين المعروفين بالمسودة (في التاريخ العباسي والفاطمي (بيروت ، ١٩٧١) ص٤٤ ويعتقد كرد علي بأن التبييض اي لبس شعار الأمويين وهوالبياض(خطط الشام ١/ ١٧٦) ويؤيده عمر فروخ الذي يرى بأن شعار العباسيين السواد، الذين اتخذوه شعارا لهم تمييزاً لهم عن بني امية(العرب والاسلام بيروت،١٩٥٨)ص ١٢٨ حيث عرف جيش العباسيين بالمسودة نسبة الى شعارهم السوادالذي اتخذوه حزناعلى الشهداء من بني هاشم ونعيا على بني امية في قتلهم(عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي (القاهرة، ١٩٥٧) ص ٣٣٢ ويرى جلوب بأن البياض يحدد ميول الناس (جون باجوت جلوب ، امبراطورية العرب (بيروت، ١٩٦٦)=

قد خلعوا ابا العباس) ولعل استعمال المصادرة لفظة التبييض هوالاشعار بالثورة والمعارضة ضـــد العباسيين . ولا اريد هنا مناقشة مسألة البياض والسواد شعارآلها ومدلولاتها بل نكتفي بالاشاره إلى ان البياض ـ كما هو معلوم ـ كان شعار المعارضة للعباسيين ورمز التحدي السلطة العباسية سلطة المسودة اكثر من كونه رمزا للولاء للأمويين (١) .

---

(١) د . فاروق ، الألوان ودلالتها السياسية في العصر العباسي الأول ، مستل من مجلة كلية الآداب عدد ١٤/١٩٧١ « ص ٨٣٣ ـ ٨٣٤ .

= ص٤٢٨) واخيرا يرى د . فاروق ان اللون الأبيض كان رمز التحدي لسلطة الخلافة العباسية سلطة المسودة أكثر من كونه رمزا للولاء للأمويين بسبب ان مبيضة الجزيرة كانوا من القبائل المعارضة لأي سلطة تفرض عليها النظام ولم تكن كلها مؤيده للأمويين . كما ان مبيضة الجزيرة تحالفوا مع الخوارج المعروفين بعدائهم للأمويين كما ان فريقاً منهم اتخذوا البياض شعاراًلهم ، كما ان البياض استعمله ثوار لاعلاقة لهم بالأمويين كما فعل عبد الجبار الازدي الذي ثار على الخليفة المنصور ، كما ان البياض مفضلاً للثوار العلويين وان بعض الفرق الايرانية تبنته وسميت بالمبيضة ... (راجع د . فاروق عمر ، الاوان ودلالاتها ، مجلة كلية الآداب ، عدد ١٤/١٩٧١ ص٨٣٢ـ ٨٣٦ ، والعباسيون الاوائل ١٣٧/١ وراجع آدم متز ، الحضارة الاسلامية م ١ (بيروت ، ١٩٦٧) ص١٢٦ ـ ١٢٧ .

ان دراسة ابعاد الصراع الأموي مع العباسيين لا يمكن ان تتضح في معزل من دراسة اسباب الحركات المعارضة والمسلحة ضد العباسيين في سنيها المبكرة . وكانت « الجزيرة » كما بينا قد تأثرت بالميول الأموية وبعد خضوع المنطقة للعباسيين اصبح شعور الناس بالميل للأمويين اكثر وضوحاً وازداد اهل الجزيرة التزاما بذلك بعد ان عارض الكثيرون منهم الحكم العباسي وبسبب المجازر التي ارتكبت ضد البيوت الاموية، فظل شعور الولاء للامويين كامنا في نفوس السكان فترة من الزمن في اعقاب مجيء العباسيين ، وكان هـؤلاء يتحينون الفرص للوثوب على العباسيين للتعبير عن نقمتهم عليهم ، فقد سنحت لهم الظروف فيما بعد وهكذا عبرت المعارضة عن نفسها بسلسلة من الثورات ذات الطابع الأموي ضد العباسيين فيذكر الطبري ان « اهل الجزيرة بيضوا ونقضوا حين بلغهم خروج ابي الورد وانتفاض اهل قنسرين ، مما يشير الى انهم ثاروا عند اول سانحة»(١) ، وقد اشار داينوسيس التلمحري إلى اسباب ثورة (١٤٢ هـ / ٧٤٩ م) بقوله « ان العرب حينما رأوا الاشرار التي يسببها لهم الفرس - يقصد العباسيين - ولا يرحمونهم بل يقتلونهم كالحملان ويغتصبون أملاكهم لم يعودوا يتحملون أكثر فلبسوا الابيض ويعزز دانيوسيس رأيه هذا بقول أحد الأنبياء « سيستترأ بالحلول والآراء ويصول الصبي على الشيخ واللئيم على الكريم ، فقد أخـذ العرب الأبيض وقتلوا عدداً كبيراً وهزموا آخرين ونزلوا الى بلادهم»(٢)

---

(١) تاريخ ٤٤٦/٧ .

(٢) داينوسيس، كتاب التاريخ ، ص ٥١ (ولعل ما أورده داينوسيس =

ويشير الذهبي الى أن الناس لما رأوا المسودة وجبروتهم كرهوهم (١) .

وربما كان للشدة والعنف التي ميزت سياسة العباسيين اتجاه الأمويين وماقاموا به من قتل الخليفة الأموي ومجزرة أبي فطرس ونبشهم للقبور اثر بارز في بلورة موقف المعارضة كما أنها أدت الى اثارة المشاعر لدى سكان الجزيرة حملت على الثورة ضد العباسيين ويستخلص الاستاذ محمد كرد علي على ان مبالغة العباسيين في اهراق الدماء في الشام وقضائهم على آثار بني امية وهي كثيرة جداً رغم كل ذلك فان الاسم الأموي والسفياني كانا يرنان في الاذان والمستعدون للثورة يتحينون الفرص عند أول داعية يسمعهم صوته أو ثائر يستتبع الناس ويعدهم بالوعود الخلابة (٢).

كان أهالي الجزيرة من القبائل العربية هم أسياد مدنهم في العصر الأموي تحت اشراف شيوخ منهم ومن نفس المنطقة في حين أن السياسة العباسية اعتمدت القوة منذ البداية وهكذا فقد تم ارسال حاميات عسكرية إلى المدن الجزرية المختلفة مما تسبب عن مضايقات للسكان الذين لم يعتادوا ذلك مما أدى الى شعورهم بوطأة الحكم العباسي

= يعتبر من النصوص المهمة التي لها علاقة مباشرة بتوضيح بعض جوانب الصورة خاصة وأنه توفي في زمن الخليفة الرشيد حيث أنه كان من أهل تلمحري من الجزيرة) .

(١) تاريخ الاسلام ٥/٢٠٥ .

(٢) خطط الشام (دمشق، ١٩٢٥) ١/١٨٨ — ١٨٩ .

ويشير دايونوسيوس الى ان والي الجزيرة العكي أصدر المرسوم العباسي الاول الذي ألزم فيه المسلمين على لبس السواد وتسويد ثيابهم (١) فكان السكان يشعرون بوجود حكم عسكري فرض عليهم خاصة وانهم كانوا من ابناء القبائل العربية الذين لم يعتادوا باستمرار الأذعان لسلطة مركزية .

أضف الى ذلك ان طابع الجزيرة كان قبلياً كما ان النزاع الدامي بين قبائلها في العصر الأموي كان على أشده وقد رأينا مواقف كل منهما من الثورة العباسية(٢) ، ويشير كرد علي الى ان العداوة بين الفريقين العظيمين من العرب اضرت ضرراً بالغاً بالبلاد(٣) فكان القيسيون مؤيدين للأمويين على الأغلب ، واليمانيون للعباسيين والمنافسة بينهما على الملك والسلطان قائمة(٤) ، فأبناء القبائل القيسية في الجزيرة كانوا يرون سقوط الأمويين انتكاسة لهم ولمستقبل أبنائهم فكان ذلك عاملا مساعداً على القيام بثورة ضد العباسيين في الاقليم .

كانت حران قد اتخذها مروان مركزاً إدارياً هاماً وهذا يعكس أهمية الجزيرة في تقييم الامويين اذ تتاح لاحدى مدنها ان تصبح مركزاً مهماً في ادارة الدولة الاسلامية ولقد ادى ذلك الى شعور

---

(١) دايونوسيوس ، المصدر السابق ، ص٥١ .

(٢) راجع الفصل الخاص « بفترة الانتقال »

(٣) خطط الشام ١/١٨٨ ـ ١٨٩ .

(٤) راجع د . فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، ٢١٠ ـ ٢١٣ .

سكان الجزيرة بقوة مركزهم وبأهمية اقليمهم . غير ان مجيء العباسيين ونقل العاصمة للكوفة ثم الى الهاشمية فالانبار فمدينة السلام قد أفقد الجزيرة مركزها الاداري والسياسي مما زاد في تذمر سكانها . ولابد ان يكون سبب توجه الثوار الى حران معقل الامويين مايوضح ذلك ، وكانت مقراً لموسى بن كعب والى الجزيرة ويشير الطبري (١) الى ان ابا العباس أرسل الى الجزيرة ثلاثة آلاف من جنده مع موسى ابن كعب وانزلهم حران في اعقاب ذلك ان اخماد اول حركة اموية ضد العباسيين لم يلغ التذمر الكامل في نفوس السكان الذين اخذوا يترقبون اية فرصة تسنح لهم للتعبير عن سخطهم على العباسيين. واخيراً نختم بحثنا عن سبب قيام المعارضة الاموية برأى د. فاروق الذي يرى فيه بأن الامويين واتباعهم قد فقدوا امتيازاتهم بعد مجيء العباسيين واصبحت الشام إقليماً من اقاليم الدولة بعدان كانت مركزاً لها تدر عليها الواردات من كل حدب وصوب ويستمر د . فاروق بقوله : « قد كانت معارضتهم تنقسم الى قسمين الاول : الحركة الملتفة حول السفياني المنتظر وهي ذات صبغة دينية - سياسية - والثاني ثورات شيعة الامويين وشيوخ القبائل الموالين لهم وهي ذات صبغة سياسية بحتة . . . » (١) .

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ٧/٤٤٦ - ٤٤٧ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ٣/٣٧٢ .

(٢) د . فاروق ، العراق في العصر العباسي الاول ، مجلة بين النهرين العدد (٦)(سنة ، ١٩٧٤) ص٥٤.

وسنستعرض وفقاً للتسلسل التاريخي احداث حركات المعارضة الاموية .

مصير سليمان بن هشام :

كان سليمان بن هشام من الشخصيات الاموية الطموحة الى منصب الخلافة منذ عصر الخليفة مروان بن محمد الذي استولى على منصب الخلافة بعد صراع مرير وخلال فترة مليئة بالاضطرابات والفوضى شملت مركز الخلافة دمشق وامتدت حتى حمص غير انه تمكن من القضاء على ذلك الوضع القلق ووضع حد لتصرفات خصومه ومعارضيه الذين كان من ابرزهم سليمان بن هشام الذي قاد لواء المعارضة ضد الخليفة وقد تمكن مروان من أجل افشال مخططه الى ان يؤمنه ويسترضيه(١) غير ان طموح سليمان كان قد سيطر على عقله فانضم الى الخوارج بالجزيرة والذين كانوا بزعامة الضحاك ، وتنقل بينهم في مناطق الجزيرة ويبدو انه حاز على ثقتهم وبرز بينهم فكانوا يستشيرونه في حربهم ضد الخلافة الاموية ، وبعد فشل ثورة الخوارج وجد سليمان نفسه مضطراً الى الاختفاء فهرب الى السند ثم عاد فألقى نفسه في احضان العباسيين ، اذ انه اشترك معهم في المعارك ضد مروان ابن محمد وكان ضمن المطاردين له بعد اندحاره بالزاب(٢) . ولعل

(١) راجع الطبري ، تاريخ ٣١٢/٧ ـ ٣١٦ ، وابن الاثير ، الكامل ٣٣١/٥ ـ ٣٣٤ص ٥٤ .

(٢) راجع الفصل الخاص بفترة الانتقال

طموحه للزعامة والحكم كان وراء أعماله هذه التي لاتنسجم مع مصالح الامويين اهله وذوي قرباه .

توجه سليمان بن هشام في اعقاب مقتل الخليفة مروان الى بلاط الخليفة ابي العباس في الكوفة ، حيث شكر له الخليفة فعله وبالغ في اكرامه ، ويذكر صاحب كتاب الامامة والسياسة ان سليمان بن هشام كان اكرم الناس عند الخليفة ابي العباس واخصهم به لحسن بلائه مع قحطبة الطائي وقيامه معه على مروان ابن عمه حيث قتل على يديه وذلك على حد رواية ابن قتيبة(١)، ويشير الازدي كذلك الى دخول سليمان بن هشام في طاعة ابي العباس وحسن منزلته عنده(٢) ، ورغم العلاقة الوثيقة التي اقامها سليمان بن هشام مع العباسيين واكرام الخليفة ابي العباس له واختصاصه فانه ادرك بثاقب بصيرته بان ذلك امراً اقتضته الظروف الحرجة التي تحيط بالعباسيين ، وان استقرار الاحوال سوف لايسمح باستمرار هذه العلاقة فالثورة العباسية تقف استراتيجيا في موقف المجابهة ضد كل ماهو اموي ، هذا كما ان طبيعة سلوكهم ازاء الامويين قد عبروا عنها بالمجازر الدموية وتعقب الاسر الاموية وابادتها والغاء وهدم كل المؤسسات التي تشير الى فضل الامويين وعند ذلك فليس من المتوقع ان يطمئن العباسيون الى شخصية اموية فذة طموحه مثل سليمان لعبت دوراً بارزاً في الاحداث على الرغم من وقوفه الى جانبهم . ولعلهم فسروا موقف سليمان معهم بأنه اكثر التزاماً بميوله للزعامة

---

(١) ابن قتيبة - الامامة والسياسة ، ١٥٩/٢

(٢) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص١٥٥ .

ورغبته في القضاء على منافسه الاول مروان ولعل اعداء الامويين واعداء سليمان الشخصيين قد اسهموا في زعزعة الثقة وانهم سعوا بينه وبين الخليفة وهنا يقدم ابن قتيبة رواية فريدة عن الاسباب التي أدت الى أن يفقد الخليفة ابو العباس الثقة نهائياً بسليمان ولعلها توضح درجة أثر الوشايات في توجيه سياسة الخلفاء فيذكر ان ابا العباس كان في مجلس خاص مع سليمان حين تسلم من أحد الشعراء العباسيين قصيدة يمدح بها الحكم العباسي ويشير الى ثباته واستقراره ويذكّره بالأذى الذي لقي العباسيون من الامويين ويطالب بأخذ ثاراتهم وثارات ابناء عمومتهم العلويين وتشير القصيدة(*) بشكل خاص الى مقتل ابراهيم الامام والحسين بن علي بن أبي طالب وزيد بن الحسين وقتيل المهراس حمزة بن عبد المطلب فانه قتل بأمر ابي سفيان وامرأته هند بالمهراس وهو ماء بأحد(١) وروى ابن اعثم الكوفي الى أنه بعد أن ألقى الشاعر سديف قصيدة حدثت مناقشة بين الخليفة وسليمان حيث أمر الخليفة ابا الجهم صاحب شرطته وعبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي صاحب حرسه بقتل سليمان وابنيه(٢) في حين ينسب البلاذري سبب قتلهم الى ابي مسلم الخراساني الذي كتب الى الخليفة كتاباً قائلا فيه « اذا أنت عاملت صديقك وعدوك سواء فكيف يرجوك الصديق ويخافك العدو » (٣).

---

(١) ابن اعثم الكوفي ، فتوح ج٢ ، ورقة ٤٨ ـ ٥٠ ، مجهول ، غرر السير ، ورقة ١٥١ آ ـ ١٥٢ ب .

(٢) ابن اعثم ، المصدر السابق ، ٢/٤٧ ـ ٥٠ .

(٣) الانساب ١٥/٨ أ .

(*) والرجل الذي أتى أبا العباس كان من مواليه يقال له سديف =

ويتساءل د . فاروق حول حقيقة نفوذ ابي مسلم الخراساني في هذه الفترة ، ودوره في التأثير على ابي العباس والذي أمر بقتل سليمان (١) ويمكن احتمال قبول هذه الرواية على اعتبار حقد وكره أبي مسلم الخراساني للعرب الامويين وقد تربى وطوال فترة خدمة الدعوة تربى على الكره والحقد للأمويين ، ومما يدعم هذا أن أبا مسلم الخراساني (وصف سليمان بن علي الذي استطاع أن يحصل من الخليفة على عهد يتضمن العفو عن الامويين الذين يلتجأون الى البصرة ويطلبون حمايته ولهذا السبب) وصف سليمان بن علي « كهف الاباق » أي حامي

(١) العباسيون الاوائل ، ١/١٢٩-١٣٠ ، الخلافة العباسية (الانكليزية) ص٢٦٧-٢٦٨ .

= بن ميمون مولى عبـــدالله بن العباس فناول ابا العباس كتابا فيه :

اصبح الملك ثابت الاساس	بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها	بعد ميل من الزمان وياس
لاتقيلن عبد شمس عثارى	واقطعن كل نخلة وغراس
بها اظهر التودد منها	وبها منكم كحز المواس
ولقد غاظني وغاض سوائي	قربهم من منابر وكراس
واذكر مقتل الحسين وزيدا	وقتيـــلا بجانب المهراس
والامام الذي اصبح بحران	رهينا بغربة وتناس

(ابن قتيبة ، المصدر السابق، ٢/١٥٩) .
والازدي ، ص ١٥٥ .

العصاة والتمردين (١) .

وفي الحقيقة ان الخليفة أبا العباس قد اصغى للوشاية التي قدمها الشاعر سديف ضد سليمان مع مايضاف إلى ذلك الموقف نتيجة اقتناعه الذاتي وفقدان الثقة به ، وبأي شخص ينتسب للأمويين أعدائه واعداء الثورة العباسية ونتيجة لذلك أمر الخليفة بقتله اسوة ببقية بني أمية الذين قتلوا في بلاد الشام (٢) .

وقـــد انفرد أبن قتيبة برواية غريبة تشير الى هروب سليمان من بلاط العباسيين وخروجه عن طاعتهم ثم ثورته عليهم . وذلك أن سليمان لما علم بأمر القصيدة وبما يخططه العباسيون ضده عن طريق رجل من الموالي لبني امية كانت له خاصة وخدمة في بني العباس ، فهرب سليمان وابنه الى نواحي الجزيرة الفراتية وأعان الثورة على العباسيين ، كما حقق نصرين متتالين على القوات العباسية التي تصدت للثورة وقضت عليها . وبعد ذلك قتلت سليمان بن هشام وأبنه (٣) .

---

(١) العباسيون الاوائل ١/١٢٨ .

(٢) ن . م ١/١٢١-١٢٨ ، طبيعة الدعوة ، ٢٤٤-٢٥٥.

(٣) يشير ابن قتيبة الى ان أبو العباس لما قرأت القصيدة امامه ، قال : نعم ونعما عين وكرامة - سننظر في حاجتك ،ثم ناول الكتاب أبا جعفر ثم سلم سليمان بن هشام ، ثم قام وخرج من عند أمير المؤمنين، حيث مر بسليمان بن هشام في غرفة له بالكوفة فسلم عليه ، ثم قال لسليمان : من عندك يا أبا أيوب فقال له ماعندي غير ولدي ، فقال له : أن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك

ولو دققنا النظر في هذه الرواية نجد انها بعيدة كليا عن واقع الاحداث التاريخية وذلك لفقدان الثقة فيها (*) لان كتاب الامامة

=فاخرج اني لك من الناصحين، فخرج سليمان من ليلته هاربا فلحق ببعض نواحي الجزيرة وكتب الى مواليه وصنائعه، فاجتمع اليه منهم خلق كثير ، فبعث اليه أبو العباس بعثا يقاتله ، فانهزم ذلك البعث ، ثم بعث اليه بعثا أخر ، فهزمه أيضاً ، قال : فتنقل سليمان عن ذلك الموضع الى غيره ثم بعث اليه بعثا آخر ، فأسر سليمان وولده ، فاتى بهما أسيرين الى أبي العباس فقطعت لهما خشبتان رقمتا اليهما فأمر بضرب رقابهما وصلبهما ، فقال سليمان لولده : تقدم يابني على مصيبتي بك ، فتقدم الغلام ثم تقدم فقتل ، ثم قتل سليمان ، وصلبا على باب الامارة بالكوفة ، راجع ج ٢ ص ١٥٩ .

(*) ان كتاب الامامة والسياسة ينسب الى ابن قتيبة، وذلك لانه يذكر روايات فريدة لاذكر لها في كتب تاريخية ولذلك يجدر التأكد من صحتها خاصة وان المؤلف لايذكر لها احيانا سلسلة روايته، وانما يكتفي بذكر «قالوا او ذكروا» ، ومما يزيد في حيطة الباحث هو كون الروايات التي تضمنها كتاب (الامامة والسياسة) اختيرت عن قصد للعظة والاعتبار بها مما يزيد من صفة المبالغة والمغالطة فيها ، وقد نسب هذا الكتاب الى ان ابن القوطية الاندلسي د . فاروق ، طبيعة الدعوة ، ص ٣٥ عن :

G. Lecomte, Ibn Gutoyba .PP . 1744

والسياسة هو منسوب لابن قتيبة اضافة الى عدم ذكرها في أي مصدر أساسي أو ثانوي من مصادر التاريخ الاسلامي .

ثورة حبيب المري « ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م »

وكانت أول الثورات الأموية ضد العباسيين وذلك سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م حيث أنه أول من ثار على أبي العباس (١) وكان الخليفة أبو العباس يومئذ بالحيرة وقد حدث ان قامت حركة أبي الورد في حين الوقت الذي كان عبدالله بن علي منشغلا فيه بحرب حبيب المري بارض البلقاء والبثنية وحوران (*) (٢) ، لقد استعمل العباسيون الشدة وأعملوا السيف ابان احتلالهم الشام وكان ذلك هو الدوافع الكامن خلف ثورة حبيب المري ضدهم ، وتشير المصادر الى ان سبب أعلانه الثورة ورفعه شعار الامويين هو الخوف على نفسه وعلى قومه ولقد حصل حبيب المرى على تأييد ونصرة قبائل قيس وغيرهم من يليهم من اهل

(١) البلاذري ، انساب ٨ / ورقة١٥ أ مخطوطة لندن ورقة ٣٩٤)

(٢) الطبري المصدر السابق ٤٤٦/٧ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٤٣٢/٥ ابن خلدون ٣/ ٣٧٠-٣٧١ .

(*) ان البلقاء والبثنيه ،وحوران « هي من مدن بلاد الشام ، فالبلقاء تبعد عن بيت المقدس مرحلتان في حين ان البثنية وحوران ، تبعدان عن دمشق مسافة يومان (ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٧١ .

البثنية وحوران (١) وروى أن حبيباً خرج بحوفان - من بلاد الشام فكتب عبدالله بن علي الى أبي غانم « عبد الحميد بن ربعي الطائي» وعمر بن سراقه البارقي وهما بدمشق متوليان لادارتها يأمرهما بالمسير الى حبيب وقد نفذا الاوامر وتوجها اليه غير أن أصحاب عبد الحميد رفضوا القتال وتفرقوا عنه متأثرين بانتسابهم اليماني قائلين: «لم نكن لنقاتل اخواننا » (٢) فكسر ذلك سائر الجند مما ادى الى توقفهم ثم عودتهم الى دمشق منكسرين (٣) ، وهكذا لعب العامل القبلي دوراً أيجابيا في اتاحة الفرصة لحركة حبيب المري ، أن تقوي وتترسخ ولعل الخطورة الحقيقية التي جابهها العباسيون في الشام هي في أعقاب عودة هذه الحملة الفاشلة حيث اعتقد الناس في دمشق بأن الغلبة هي لحبيب المري ولما كانت عواطفهم مع بني أمية وكذلك الحال مع مصالحهم فانهم رفعوا شعار الامويين واعلنوا خلعهم للخليفة العباسي وقد استغل حبيب هذه الفرصة المؤاتية فتقدم بقواته وأحاط بدمشق ، وينفرد البلاذري بايراد أخبار تفصيلية دقيقة عن مجريات الاحداث في دمشق خلال فترة حصار حبيب المري لها وكيف أن ذلك أدى الى تدهور معنويات العباسيين فيها حيث ذكر البلاذري في انسابه « ان حبيب

---

(١) الطبري ٤٤٣/٧ - ٤٤٤، ٤٤٦ ، ابن الاثير ٤٣٢/٥ ، ابن خلدون ٣٧٠/٣ - ٣٧١ ، د . فاروق، العباسيون الاوائل، ١٣٢/١ ، الخلافة العباسيه (بالانكليزية) ص ٢٧٠ .

(٢) البلاذري ، المصدر السابق، مخطوط ١٥/٨ أ .

(٣) ن . م ، مخطوط ١٥/٨ أ

ابن مرة قد أحاط بالمدينة فبعث أبو غانم مسلمة بن محمد الى بابه الشرقي واتبعه عبدالله الطائي فقاتلا اصحاب حبيب وخرج أبوغانم من باب الفراديس ، فمضى فقال مسلمة: « غدر أبوغانم » وقاتل مسلمة حتى قتل وأسر من أصحابه . وطلب اصحاب حبيب ابا غانم فقاتلهم بنفسه وسلب ما معهم من الاموال والاثقال واتى (بيروت) فنزلها فكتب الى عبدالله بن علي يخبره فكتب ابن علي الى اشراف ربيعة واليمن يعدهم ويمنيهم ويقول انكم « انصارنا مذ كانت هذه الدعوة فاعتزلوا وارجعوا وخلوا بينه وبين مضر » ، وخرج اهل دمشق وهم زهاء ثمانية الف فعسكروا يريدون قتال عبدالله بن علي فلما نزعت اليمانية والربعية عن الحرب رجعوا وانكسروا وأتى عبدالله بن علي دمشق فنكل بهم وقيل له انهم لم يكن لهم ذنب فأمنهم ثم ارتحل في المحرم سنة (١٣٢ هـ / ٧٥٠م)(١) .

اما بقية المصادر المعتمدة فانها لاتقدم معلومات تفصيلية عن هذا الحصار أو عن طبيعة العلاقات والتعاطف الذي لقيه حبيب المري من اهل دمشق ، ويكتفي اليعقوبي بالاشارة الى خروج حبيب بن مرة المري بالحوران ويذكر انه « قد بيض ونصب رجلا من بني امية وزحف اليه عبدالله فقتله وفرق جمعه » (٢) ولجأ عبدالله بن علي الى الاسلوب السياسي من اجل القضاء على الثورة خاصة وان ابا الورد قد قام بثورته في حصن مسلمة مهدداً بذلك أمن العباسيين وزيادة مخاوفهم

(١) البلاذري ، المصدر السابق ١٥/٨ أ، (ورقة ٣٩٤-٣٩٥ نسخة لندن)
(٢) اليعقوبي ، التاريخ ٣٥٧/٢ .

ففكر عبدالله بن علي بايجاد وسيلة لمصالحة حبيب المري وذلك للتفرغ وللقضاء على ثورة ابي الورد . فقـــد دعا عبدالله بن مرة الى الصلح فحالفه وآمنه ومن معه وخرج متوجها نحو قنسرين للقاء أبي الورد (١) .

ثورة ابي الورد(*)

كان مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي من اصحاب مروان بن محمد وكان قائداً من قواد جنده وفارسا مشهوداً له بالشجاعة والبأس (٢) .

كان ابو الورد بقنسرين عند اندحار مروان بالزاب وتقهقره وعندما وصل عبدالله بن علي الى قنسرين دخل ابو الورد هذا فيمن دخل معه

(١) الطبري ، ٧/٤٤٣ ـ ٤٤٤، ٤٤٦ ،ابن الاثير ، ٥/٤٣٢، ابن خلدون ٣/٢٧١ فتحي عثمان المرجع السابق ٢/١٣٧ .

(٢) الطبرى ، ٧/ص٤٤٣ ، ابن الاثير، ٥ /ص٤٣٣ .

(*) كان ابو الورد من خاصة مروان وصنائعه حيث لعب دورا بارزا في اخماد الثورات ضد مروان الاخير في حمص ودمشق . حيث استطاع ابو الورد من حرق احدى القرى اليمانية في الغوطة وقتل يزيد بن خالد القسري قائد الثورة . ثم شخص ابو الورد بعد ذلك للقضاء على راس الفتنة في فلسطين فهزمهم وبهذا استقرت لمروان الشام كلها ما خلا تدمر وهي المقر الاساسي . راجع د . فاروق ، العباسيون الاوائل ، ١/١٣٣ ـ الخلافة العباسية، ٢٧٠ فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ٢/١٣٦ .

من جنده في طاعته (١) وقد أقره عبدالله بن علي على امارته على قنسرين بعد مبايعته أهلها أبا العباس على يديه (٢) وهكذا فقد ضمن أبو الورد بدخوله في طاعة العباسيين مصلحته الذاتية كما ضمن استقرار الاوضاع وهدوئها في مدينة قنسرين . ويبدو أنه ادرك عدم جدوى الوقوف بوجه رياح التغير التي عصفت بالحكم الاموي والتي جلبت معها الثورة العباسية وقواتها المنتصرة بقيادة عبدالله بن علي، ولذلك فانه دخل في طاعة الدولة الجديدة كما أنه من المحتمل كان مضطراً أتخاذ مثل هذا الموقف تحت تأثير الظروف الجديدة التي هيأتها حالة انتصار الثورة . غير أن ذلك لايعني تخلية هو أو سكان المنطقة عن عواطفهم مع الامويين كما أنه لايعني الانتقال الى صفوف أعدائهم بشكل نهائي . ولعل تعاونه مع العباسيين لم يكن خالصاً كما أن نظرة أنصار الامويين إليه لم تتأثر بهذا التعاون . فقـــد استمروا يعتبرونه الحامي أو الملجأ أو المدافع عن مصالحهم (٣) ، مما يشير الى تعاطفه معهم وثقتهم به ولعل ذلك ما ألجأهم فيما بعد الى الاستنجاد به من اجل تخليصهم من الظلم الواقع عليهم والارهاب الذي كانت تمارسه القوات العباسية ضدهم (*) لتخليصهم من اعتداءات قوات السلطة العباسية عليهم .

(١) الطبري ، ٤٤٣/٧ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٥٢/١٠

(٣) الطبري ، تاريخ ، ٤٤٣/٧ ، ابن خلدون ، تاريخ ٣٧١/٣ ، المكي ، المصدر السابق ٢٤٠/٣ ، د . فاروق ، العباسيون الاوائل ١٣٣/١ ، والخلافة العباسية (بالانكليزية) ٢٧٠-٢٧١ .

(*) كانت بالس والناعورة من المدن الجذرية التي تقع على الضفة

أقدم بجزأة هذا بعد تدهور الأوضاع الأموية ، وتغلب المسودة في المشرق واشاعتهم الارهاب ضد الامويين والمتعاطفين معهم أقدم على اعلان حركته في منطقة حصن مسلمة الواقعة الى الجنوب من حران والشمال الشرقي من باجروان(١) ، حيث أعلن حركته من مزرعة يقال لها زراعة ابن زفر في عدة من أهل بيته حتى هجم على القائد العباسي المعسكر في حصن مسلمة والذي قاتله حتى قتله ومن معه من الجند العباسي بما مكنهم من الانتصار واعلان الثورة ورفعوا البياض شعاراً بولائهم للأمويين(٢) اذ دعا (الى ابي سفيان)(٣) وأدت حركته هذه أن تعصف الثـــورة بوجه القوى العباسية في المناطق الجزرية الى الشمال والشرق من الشام .

ان انتصاره الاول هذا قد دفعه الى التفكير جدياً بتطوير النصر الى الى الاتساع في الثورة وجعلته يحلم بالقضاء على السلطة العباسية الجديدة .

=الغربية للفرات وكان فيها ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين لابي الورد فقدم بالس قائد من قوات عبد الله بن علي مع عدد من الافراد مريدين في مائة وخمسين فارساً فعبث بولد مسلمة بن عبد الملك ونسائهم فشكى بعد ذلك الى ابي الورد (الطبري ٧/٤٤٣)

(١) أنظر الخارطة المرفقة (مدن الجزيرة الفراتية وأعمالها)

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ٧ / ٤٤٣ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ٣/٣٧١ .

(٣) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٤٠ .

وكان الخليفة أبو العباس يومئذ بالحيرة قد انشغلت قواته الاساسية بالاشتباك مع حبيب المري - التي مر الحديث عنها - حيث كانت بقيادة عبد الله بن علي وربما كان ذلك الانشغال عاملا مشجعاً لأبي الورد في تفكيره وتنفيذه لحركته حيث استغل انشغال عبد الله بن علي بثورة حبيب المري ولعل هذا يكشف عدم وجود تنسيق أواتفاق بين الثوار في المناطق المختلفة . وقد كتب الخليفة أبو العباس الى عمه عبد الله بن علي بالتوجه لمقاتلة أبي الورد وأعوانه بقنسرين ، وكان عمه حينذاك في أبي فطرس منشغلا بحرب حبيب ثم أعقب ذلك بتوجيه عبد الصمد بن علي الى قنسرين لمساعدة عبد الله بن علي في سبعة آلاف مقاتل وكان آمر حرسه حينذاك مخارق بن غفار وعلى شرطته كلثوم بن شبيب(١) . ومن أجل ضمان القضاء على هذه الحركة وجه أبو العباس ذؤيب بن الاشعث في خمسة آلاف مقاتل مدداً للقوات العباسية واستمر بعد ذلك في توجيه الامدادات . وقد اشتبك عبد الصمد بقواته مع أبي الورد الذي كان قد عبأ قواته وجمعها فانهزم الناس عن عبد الصمد حتى أتوا حمص(٢) .

كان أبو الورد هو المدبر لعسكر قنسرين وصاحب القتال فيها وقد كثر القتل بين الفريقين وانكشف عبد الصمد ومن معه وقتل من أصحابه الكثير مما اضطره ان يلحق بأخيه عبد الله(٣) وكان هذا

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ٧/٤٤٥ .
(٢) ن. م ، ٧/ ٤٤٥ ، راجع د. فاروق ، العباسيون الاوائل ١/١٣٤.
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٥/٤٣٣ ـ ٤٣٤ .

الانتصار قد عزز من ثقة أبي الورد وجنده بأنفسهم وذلك لان عبد الصمد كان من القادة العباسيين الاكفاء الذين أبلو بلاءاً حسناً في العمليات العسكرية التي خاضها العباسيون في الشام في أعقاب معركة الزاب . وحاول عبد الله بن علي اكتساب الوقت عن طريق المراوغة السياسية من أجل الحصول على امدادات اضافية من أجل مجابهةالثورة ولعل هذا يفسر الاسباب الكامنة خلف دعوته لحبيب الى عقد الصلح معه حيث صالحه وأمنه ومن معه مما أتاح للجيش العباسي التفرغ لضرب أبي الورد ويبدو ان ابا الورد قد تنقل بين عدة مناطق ابتداء من حصن مسلمة وبالس والناعورة(*) الى قنسرين القريبة منهما وكان عبد الله بن علي قد مر بدمشق وهو في طريقه الى الجزيرة(١)، فلما قدم حمص في وجهته تلك انتفض عليه بعده اهل دمشق فبيضوا وثاروا مع عثمان بن عبد الاعلى بن سراقة الازدي فلقوا ابا غانم ومن معه فهزموه وقتلوه ومن اصحابه مقتله عظيمة وانتهبوا ما كان عبد الله بن علي قد خلف من ثقله ومتاعه ولم يعرضوا لاهلهواستجمعوا على الخلاف(٢) وقد كان عبد الله بن علي قد خلف بدمشق ابا غانم

---

(١) وكان بدمشق يومئذ ام البنين بنت محمد بن عبد المطلب النوفلية اخت عمرو بن محمد وامهات اولاد لعبد الله بن علي وثقل له) الطبري ، ٤٤٣/٧ ـ ٤٤٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ ٤٤٣/٧ ـ ٤٤٤ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ٢٠٥/٥ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٥٢/١٠ .

(*) من مدن الجزيرة الفراتية

عبد الحميد بن ربعي الطائي في اربعة آلاف فارس(١) وهكذا فان اوضاع العباسيين في بلاد الشام كانت بشكل عام مرتبكة ومضطربة حيث اخذت الحركات الاموية المعارضة تهاجم قوات العباسيين في مناطق الجزيرة والشام ويمكن اعتبار ثورة دمشق(٢) عاملا مساعداً لثورة ابي الورد .

اتجه عبد الله بن علي وقد انضم مع ابي الورد اهل قنسرين وكاتبوا من يليهم من اهل حمص وتدمر(*) . وقد استجاب اليهم الكثير من المتعاطفين معهم بقيادة ابي محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ابن ابي سفيان ، وقد تمكن ابو محمد هذا من احتلال منصب الزعامة في هذه الحركة بجانب ابى الورد الذي بقيت بيده سياسة الامور وقيادة الجيش(٣) ، وقد رافقت هذه الحركة اشاعات ودعايات عن

---

(١) الطبري ، ٤٤٣/٧ ، الذهبي ، المصدر السابق ، ٢٠٥/٥ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ٣٧١/٣ ، ابن كثير ، المصدر السابق ٥٢/١٠ .

(٢) راجع د. فاروق ، العباسيون الاوائل ، ١٣٤/١ ، فتحي عثمان، المرجع السابق ١٣٧/٢ والصفحات القادمة .

(٣) الطبري ، ٤٤٤/٧ ، الذهبي ، المصدر السابق ، ٢٠٥/٥ ابن خلدون، المصدر السابق ، ٣٧١/٣ .

(*) يقول د. فاروق عمر : « وفي تدمر نجح الكلبية حول ابي محمد ابن ابي سفيان وأعلنوا أنه السفياني المنتظر الذي سينقذ السوريين من محنتهم هذه ، وكان عددهم « حوالي ٤٠ ألف » ، وينتقد =

المهدي السفياني المنتظر(*) وأشير الى أبي محمد بذلك (١) وقد لبس

= فاروق رأي المستشرق لامنس الذي يرى ان سبب اختيار أبي يرى ان سبب اختيار أبي محمد لقيادة الحركة لا الى قابلياته الشخصية بل لعدم وجود شخصية مروانية قادرة على قيادة الحركة لان العباسيين قتلوا العديد منهم ولم يبق الا صغار السن ، ويرى د فاروق ان وجهة النظر هذه يصعب قبولها لان بعض المروانيين ظهروا على المسرح السياسي وقادوا الحركات الثورية بعد فترة قصيرة من ثورة أبي محمد ، وأكثر من ذلك فان أبا محمد كان شخصية سياسية فعالة في العهد الاموي المتأخر ، ومما يذكر عنه انه اسهم في حل مشاكل الصراع على منصب الخلافة الاموية بعد مقتل الوليد سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤م حينما أدرك مروان بن محمد أحسن مرشح لها وساءة علاقته بمروان بسبب شكوك مروان بالامراء حتى سجنه ثم سنحت له الفرصه بالهرب بعد اندحار مروان بالزاب غير انه لم يفعل ثم أطلق سراحه الى فلسطين ثم تدمر واختفى فيها متجنباً فترة الاضطراب والفوضى الى أن سنحت له فرصة الثورة والانضمام لابي الورد ، العباسيون الاوائل ١/ ١٣٣ / ١٣٤ ، والخلافة العباسية (بالانكليزية) ص ٢٧١ وراجع دانيال دنيث ، مروان بن محمد (بالانكليزية) ص ٢٣٣ .

(١) ابن خلدون ، ٣٧١/٣ .

(*) وكان السفياني قد التف حوله الكلبية في تدمر ، وان أسطورة السفياني كانت محدودة على الفرع السفياني وشائعه بين القبائل =

أبو محمد الثياب الحمر وكذلك فعل جنوده(١) ولعله اتخذ الحمرة شعاراً اه ، وكان ابو الورود هو المتولي لامر العسكر والمدبر له وصاحب القتال والوقائع(٢) ، ويسميه ابن العديم «مدبر الجيش» (٣) أما أبو محمد السفياني فتطلق عليه الروايات (الرئيس) و (مقدم الجيش وصاحبه) (٤).

وقد أعطى الطبري تفصيلات عن الصراع الذي حصل بين العسكريين المتصارعين على السيطرة على الجزيرة وبلاد الشام ، فتذكر أن عبد الله ابن علي أقبل بنفسه فنزل على أربعة أميال من حمص وفيها عبد الصمد بن علي وكان عبد الله قد كتب الى حميد بن قحطبة بالحضور اليه ، فقدم عليه من الاردن وهذا يشير الى تخطيط عبد الله بن علي

= الكلبية بصورة خاصة الذين تعلقوا بيزيد بن معاويه ونسله من بعده لان هذا الاخير كانت أمه كلبية (العباسيون الاوائل ١/١٣٣ ـ ١٣٤)

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص١٤٢ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ٤٤٤/٧ ، ابن الاثير ، ٤٣٣/٥ ـ ٤٣٤ .

(٣) ابن العديم ، الزبدة ، ١/ ورقة ٥٥ نقلا عن د. فاروق ، العباسيون الاوائل ١٣٥/١ ، الخلافة العباسية ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

(٤) ابن العديم ، ١/ ورقة ٥٥ نقلا عن المرجع السابق ١/ ١٣٥ ويعلق د . فاروق بأن انتخاب السفياني لقيادة الحركة لانه كان لاسباب تتعلق بتجربته السياسية وقدرته الشخصية ، (الخلافة العباسية (بالانكليزية) ، ص٢٧٢ـ ٢٧٣) .

بقصد جمع قواته وحشد امكاناته ويبدو ان ابا محمد السفياني قد حقق بعض النجاح في بداية أمره فقد بايعه أهل قنسرين بالخلافة حيث أقام فيها أكثر من شهر يستعد هو الآخر للقاء خصومه العباسيين .

كانت نتائج المعارك الاولى في صالح أبي محمد السفياني أيضاً . فقد اضطر قادة القوات العباسيين عبد الله وعبد الصمد بن علي وحميد ابن قحطبة ومن معهم الى الاحتماء بشعب ضيق بعد أن أعمل فيهم مقتله كبيرة ، وقد تفرق الناس عن العباسيين وانخفضت معنوياتهم بعد ذلك الصدام فتذكره المصادر أن حميد بن قحطبة قال لعبد الله بن علي : « علام أقيم ؟ وهم يزيدون واصحابنا ينقصون فاخبرهم فاقتتلوا يوم الثلاثاء في آخر يوم من ذى الحجة سنة ١٣٣ هـ(١) وكان على ميمنة ابي محمد ابي الورد وعلى ميسرته الاصبغ بن ذؤاله فجرح ابو الورد جرحاً بليغاً حمل بعده الى اهله فمات ولجأ قوم من اصحاب ابي الورد الى احد الامكنة فاحرقوها عليهم وكان أهل حمص قد نقضوا عهدهم مع العباسيين وارادوا ان يقوم ابي محمد السفياني بثورة ضد العباسيين غير ان وصول انباء هذه المعارك التي تبشر بتغيير في ميزان القوى ووجهة المعارك تريثوا في الامر ثم اقاموا على بيعتهم السابقة(٢) .

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ٧ / ٤٤٥ ، د. فاروق ، العباسيون الاوائل ، ١٣٤/١ ـ ١٣٥ الخلافة العباسية ، ٢٧٢ .

(٢) البلاذري ، انساب ، ٢٣٧/٨ آ ـ ب (ورقة ، ٦٣٠ ، نسخة لندن) الطبري ، تاريخ ، ٤٤٥/٧ ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧/ورقة ٤٢٩ أ .

وتذكر المصادر بأن قوات ابي محمد السفياني قد ضعفت بعد هذه الخسائر وان الهجوم الشامل الذي بدأته قوات العباسيين والتي تجمعت وزادت اعدادها على الاربعين ألف مقاتل قد لعب دورا حاسماً في انهاء هذا الصراع الدموي، وقدبدأ انصار ابي الورد بالانسحاب والهرب من الساحة ولم يبق في النهاية الا خمسمائة مقاتل من ذوي القربى لابي الورد قتلوا جميعاً، أما ابو محمد فقد انسحب الى تدمر حيث التجأ الى الكلبية وبقي متخفياً هناك فترة من الزمن ثم هرب الى الحجاز ولكنه ادرك فيها وقتل(١) .

وهكذا قدر لهذه الحركة القوية ان تنتهي الى الفشل مع انها حققت نجاحاً واضحاً خلال الفترة الاولى من قيامها . وقد ساعد ذلك على اعادة استقرار الاحوال في المنطقة بما هيأ لعبد الله بن علي فرصة التفرغ لسحق الحركة التي قامت في دمشق والتي ذكرت آنفاً ، وربما كان لوصول اخبار انتصارات العباسيين الى دمشق اثر في ذلك ، والتي ادت الى انخفاض اعداد المتخذين موقف المعارضة العنيفة فقد هرب الناس من دمشق حتى ان القوات العباسية لم تجد من يقف بوجهها عندما وصلت دمشق اذ لم يحصل اقتتال وقد اعطى عبد الله بن علي الامان لاهلها فبايعوه ولم يوأخذهم بما كان منهم(٢) ، ويعلق الدكتور

---

(١) الطبري ، تاريخ ٤٤٤/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤٣٣/٥ ـ ٤٣٤، ابن خلدون ، المصدر السابق ،٣٧١/٣ ـ ٣٧٢ .

(٢) الطبري ، ٤٤٤/٧ ،

فاروق على سبب الفشل ، بأنه كان نتيجة المنافسة بين ابي الورد وابي محمد السفياني ، فالاول قيسي وكان يهدف الى زعامة الثورة مع محاولة استغلال اسم أبي محمد باعتباره أموياً سفيانياً لجمع الانصار للثورة وأراد أبو الورد الاحتفاظ بأبي محمد كرئيس صوري ، ولكن أبا محمد كان أبرع من ان يسمح لابي الورد من أن ينفذ خططه ، فبعد وصوله قنسرين من تدمر ، سيطر على قيادة الحركة جاعلا ابا الورد قائداً للجيش ، في حين اصبح هو رئيساً او مقدماً للجيش ، ويستمر د . فاروق معللا سبب الفشل بأنه كان نتيجة لوجــود الانقسامات القبليـة والعداوات بين (الـ ٤٠٠٠) مقاتل من انصار الامويين الذين جابهوا جيشاً عباسياً متحداً . فلقد كان الجناح الايسر من جيش ابي محمد مكوناً من الكلبيين بزعامة الاصبغ الكلبي(١) اما الجناح الايمن فكان مكوناً من القيسية بقيادة ابي الورد والمعروف ان القبائل القيسية في قنسرين كانت حجر الاساس اثناء حكم مروان الثاني ، وانهم قد ارتكبوا في سبيل تثبيت حكمه الكثير من عمليات القمع تجاه القبائل اليمانية لدرجة انه يصعب التغاضي عنها والموادعة بينهما . وكان هذا واضحاً حتى بعد الاندحار حيث انسحب ابو محمد مع الكلبيـة الى تدمر وترك القيسية مضرجين بدمائهم(٢) ، ولهذا

---

(١) راجع عن نسبة (ابن الكلبي ، جمرة النسب الكبير ، ورقة ٤١٩ نسخة الاسكوريال .

(٢) راجع د . فاروق ، المرجع السابق ١ / ٢٣٥ ـ ١٣٦ والخلافة العباسية ٢٧٢ .

نجد أن عدم توحيد كلمة الطرفين كانت سبباً أساسياً في فشلهم امام قوات العباسيين التي كانت تتسم بالقوة ووحدة الكلمة .

وكانت لثورة أبي الورد والتي ضمت اليها ثورة أبي محمدالسفياني نتائج سياسية على المدى البعيد في الشام عامة والجزيرة خاصة ففي الشام ثارت دمشق ضد واليها العباسي وكانت بقيادة عثمان بن عبد الأعلى الازدي ، والتي استغلت حادث انشغال السلطة بثورة أبيالورد.

ثورات سنة (١٣٢ هـ / ٧٤٩م) الاموية

أما في الجزيرة فقد امتد اليها لهيب الثورة في اعقاب ثورة ابي الورد الكلابي والسفياني ذلك لأن تلك الثورتين والنجاح المبدئي الذي حققته ضد القوى العباسية قد أدى الى ردود فعل تختلف شدة وضعفاً في مناطق مختلفة من الجزيرة وهي تعبر بمجموعها عن موقف معارض يتعاطف تاريخياً مع الحكم الاموي الذي انتهى بنجاح الثورة العباسية فقد تحدثت المصادر عن قيام ردود فعل في بعض مدنالجزيرة والشام بعد وصول انباء انتصارات أبي الورد الاولى . حيث يشير الذهبي الى ان أهل الجزيرة قد أعلنوا الثورة وخلعوا أبو العباس ورفعوا البياض شعاراً بموالاتهم للثائر الاموي ووقوفهم بوجهالعباسيين، وقد حصل رد فعل مماثل في منطقة قرقيسيا حيث قام السكان برفع شعار البياض أيضاً(١) ، وعلى نمط مشابه لما فعله أهل الجزيرة

(١) تاريخ الاسلام ٢٠٦/٥ .

والشام . أما ابن كثير فيتحدث عن وصول أخبار الثورة الى مناطق الجزيرة وكيف ان أخبار الثورة في قنسرين قد لقيت صدى واسعاً وتأييداً كبيراً بين السكان وانها أدت الى بلورة الموقف بجانب الثورة الاموية الجديدة(١) ، ان الحركات هذه يمكن تفسيرها باعتبارها المعبر عن وجهة نظر الرأي العام ازاء تطورات الاحداث في المنطقة وهي في الواقع تعكس مدى التأييد الذي تلقاه المعارضة الاموية ازاء العباسيين ومدى التزام سكان الجزيرة بوجهة النظر الاموية .

ان عدم وجود قيادة كفؤة واعية قد أدى الى فوات الفرصةامام امكانية تحقيق أي انتصار أساسي من قبل هذه الحركات التي حصلت كرد فعل لحركة أبي الورد والسفياني فقد تحدثت المصادر عن عمليات هجوم غير منظمة قامت بها عناصر مناوئه للعباسيين ضد مدينة حران التي كانت تحت امارة موسى بن كعب والتي يزيد عدد أفراد حاميتها عن ثلاثة آلاف جندي . وينقل الطبري اخباراً كثيرة عن المحاولات الفاشلة التي قصد منها احتلال مدينة حران كما ينقل اخبار الحصار الذي باشرته تلك العناصر حول المدينة(٢) والذي استمر نحو شهرين(٣) ويبدو ان الاوضاع أصبحت خطره وان مدينة حران كانت مهددة بالاحتلال بدليل أن نجدات عباسية قد وجهت لاسناد القوى المحاصرة في المدينة ، فقد صدرت الاوامر من قبل الثوار لاسحق بن

---

(١) البداية والنهاية ، ١٠ / ٥٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ٤٤٧/٧ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ٣٥٤/٢ .

مسلم العقيلي (*) ان يتجه الى حران من ارمينا في محاولة نأجدة لكسر الحصار (١) حيث كان اسحق من الشيوخ المتنفذين بالجزيرة (٢) .

ومن هنا يمكن ملاحظة هذه الحركات منذ البداية كونها مجرد تعبير عن عواطف السكان ومدى التزامهم ازاء مصالحهم التي هددتها سياسة العباسيين فلم يكن هناك تخطيط مسبق للقيام بالثورة اذا انها اتسمت بالتسرع وانعدام القيادة الموحدة وعدم وضوح الاهداف المتوخاة من القيام بها « كما انها كانت لاتقاوم طويلاً حيث لاتلبث ان تخفت وتهفو »(٣) وضرب الحصار على موسى بن كعب بحران نحو شهرين (٤).

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ٤٤٦/٧ ـ ٤٤٧ ، ابن الاثير ، كامل ، ٤٣٤/٥ ـ ٤٣٥ الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٣ ق١ورقة ٣ أ .

(٢) د . فاروق ، العباسيون الاوائل ، ١٣٦ ، الخلافة العباسية ص ١٧٤ .

(٣) د . فاروق ، العباسيون الاوائل ، ١٣٦/١ .

(٤) وينفرد اليعقوبي بالاشارة الى ان محمد بن مسلمة قد خرج بحران وحاصر موسى بن كعب فيها ، وكان موسى في عامل أبي جعفر وأبو جعفر يومئذ عامل الجزيرة ، ورماها بالمنجنيق وحرق ابوابها وذلك سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م اليعقوبي ، التاريخ ٣٥٤/٢) .

(*) هو اسحق بن مسلم بن ربيعة بن عاصم بن جزء بن عامر بن =

لقد وصلت أنباء الحصار الى عاصمة الخلافة حيث كان الخليفة ابو العباس يستعد لنقل حاضرة ملكه من الكوفة الى الانبار مما أدى الى قلقه وارتباكه(١) ، غير ان ذلك لم يدم طويلا اذ سرعان ماقرر التصرف بحزم فقد وجه القسم الاكبر من القوات المحاصرة لابن هبيرة بواسط الى الجزيرة تحت قيادة أبي جعفر المنصور (٢) في محاولة منه للسيطرة على الامور وتلافي الموقع الخطير الناشيء من قيام هذه الحركة والتي تهدد بقيام ثورة شاملة في جميع بلاد الشام والجزيرة . ان ردود الفعل التي اشرنا اليها سابقا توحي بوجود نوع من انواع الاتفاق المسبق غير ان المصادر لم تقدم أي دليل على صحة هذا الرأي .

توجه ابو جعفر الى الجزيرة اذ مر بقرقيسيا التي كانت قد أيدت ورفعت شعار الامويين ولم يقم بمحاصرتها بعد أن تحصنت بوجه القوات العباسية وانما استمر في سيره متجها الى الرقة التي كانت تقف نفس موقف قرقيسيا وكان على أمرتها بكار بن مسلم (*) واعانت

=عوف بن عقيل وكان شريفا في قومه (ابن الكلبي) ،جمهرة النسب الكبير ، (مخطوط لندن ورقة ١٢٤ ب) ، وعنه راجع ، دينيت، مروان بن محمد (بالانكليزية ص٢٥٦ - ٢٥٧ .

(١) اديب السيد ، ارمينيا في التاريخ العربي ،ص١٠٤ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ٤٤٧/٧،ابن الاثير ، كامل ٤٣٤/٥ـ ٤٣٥، الكتبي ، المصدر السابق ،٢٧٢/٣ .

(*) وهو اخو اسحق بن مسلم الذى مر ذكره انفا والذى قدم من ارمينيا مع نجدات من العرب بعد ان ترك في ارمينيا نائبا عنه.

الرقة الاستعداد للحصار فلم يكن امام أبي جعفر الا التوجه نحو حران، ويبدو ان اسحق بن مسلم أحس بالخطر وقدر أن المصلحة تقتضي بترك حران والتوجه الى الرها فتركها وتوجه الى الرها سنة (١٣٣/٧٥٠م)(١) ويشير ابن خلدون الى ذلك بقوله « وسار ابو جعفر نحو حران فاجفل اسحق بن مسلم عنها ودخل الرها » (٢) ، ويقدم اليعقوبي حادثة باسلوب ينسجم مع روايته المخالفة للأولى التي أشرنا اليها ، اذ يذكر ان محمدا بن مسلمه لما بلغه قتل ابي محمد السفياني وابي الورد كوثر بن زفر انصرف عن حران وان جمعه قد تفرق عنه وان موسى بن كعب قد تعقبه وقتل حلقا من اصحابه (٣) .

ان انسحاب اسحق بن مسلم عن محاصرة موسى بن كعب يمكن اعتباره بداية الفشل الذى كان ينتظر الحركات الاموية المعارضة .

ذلك ان موسى بن كعب خرج فيمن معه من مدينة حران متجها الى الرها - كما مر آنفا - فلقي ابا جعفر المنصور في قواته . وقد صادف في ذات الوقت قدوم اخيه بكار بن مسلم من أرمينيا مع

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ٤٤٧/٧ ،ابن الاثير الكامل ، ٣٥/٥ ،ابن شداد ، الاعلان الخطيرة ، ورقة ٧ أ ، ابن خلدون ٣١٨/٣ ، الكتبي ، عيون التواريخ ق ١ جـ ٣ ، ورقة ٢ أ . ابن كثير ،البداية والنهاية ٥٣/١٠ .

(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ٣٧٢/٣ ، المصدر السابق ، ورقة ٧ أ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ٣٥٤/٢ .

انجدات لاسناده وكان بكار احد شيوخ قبائل ربيعة المعروفة بتحديها المستمر للسلطة . وانضم لاسحق البدو المستعدون للانضمام الى اي ثورة مهما كانت صفتها، وهكذا تزايد عدد اتباع اسحق العقيلي بسرعة(١) .

وقد فكر اسحاق بن مسلم بضرورة الافادة من القوى والظروف المتاحة في ساحة الصراع فقرر الشروع في محاولة ادخال العناصر من الخوارج والقبائل الاخرى الى جانبه، وهكذا فانه وجه اخاه بكار الى رئيس قبائل ربيعة وكان في نفس الوقت زعيم الخوارج الحرورية طالبا مشاركة مــــع انصاره في دارا وماردين ومضارب ربيعة بجانبه في الصراع الحاصل ضد العباسيين . وقد استجاب زعيم الخوارج بريكة الى هــــذا الطلب وشارك مع اعوانه واتباعه في القتال (٢) . وبذلك دخل الخوارج ميدان الصراع القائم بين انصار الامويين والدولة العباسية ، على الرغم من احتمالات تحسن الموقف لصالح المعارضة ضد العباسيين نتيجة هذه التطورات فان دخول الخوارج الى حلبة الصراع من الممكن تفسيره على اساس انه قد اسهم في احداث نوع من التناقض الفكري الذي انعكست آثاره للقضاء على الوحدة الظاهرة في جانب المعارضة . ومن المحتمل ان الخوارج قد حاولوا الافادة من الظروف واستغلال الوضع لصالحهم . وتتحدث المصادر عن تفاصيل الاحداث التي وقعت بين القوى المعارضة وبين القوات العباسية ولايعنينا من

---

(١) د . فاروق ، العباسيون الاوائل ، ١/١٣٦ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ٧/٤٤٧ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، ج٣ ق ١ ورقة ٢ أ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٠/٥٣ .

خلال أهداف هذه الدراسة أن نقدم تلك التفصيلات غير أن نتائج لها دلالتها في هـــذا المجال ، فلقد خسر الخوارج قائدهم بريكة الذي قتل في أول صدام مع العباسيين وانتقل بكار الى الرها حيث حل محل اخيه اسحق الذى انتقل الى سميساط خندقا حولها مستعدا لحصار طويل (١) .

ان الخسارة التي تحملها تحالف المعارضة الاموية مع الخوارج بمقتل زعيم الخوارج ووقوع عدد كبير من القتلى من جانبهم مع خسرانهم لبعض المدن والمواضع قد قابله زيادة كفاءة القوى العباسية والتي تعززت بوصول الامدادات المختلفةمن جهات متعددة ، وبالاضافة الى وصول المنصور مع قواته الى العراق التي اسندت موسى بن كعب كثيرا وعدلت من ميزان قوى الصراع الحاصل فقد أصدر الخليفة ابو العباس أمره الى عمه عبدالله بن علي بالمسير بجنوده الى سيمساط فاقبل من الشام حتى نزل بازاء اسحق بسميساط وكانمع اسحاقفي عسكره بسميساط ستون ألف مقاتل جلهم من اهلالجزيرة فيما رواهالطبري(٢)، ان هذا الرقم على افتراض قبوله يعكس لنا ضخامة القوى المشاركة في الصراع من جهة كما يوضح مدى اسهام اهل الجزيرة في الصراع

(١) الطبري ٤٤٧/٧ ، ابنخلدون ٣٧٢/٣، عيون التواريخ ، ج٣ق١ ورقة ٣ أ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٥٣/١٠ ، د . فاروق ، العباسيون الاوائل ١٣٦/١ ، والخلافة العباسية ، ص٢٧٤ .

(٢) الطبري ٤٤٧/٧، ابن كثير ٥٣/١٠ ، المكي،سمط النجوم العوالي، ٢٤١/٣ .

ضد العباسيين من جهة أخرى .

وبعد ان احس اسحق بتفوق أعدائه فكر في انقاذ مدينة الرها فطلب لسكانها الامان الذي امكن تحقيقه بعد مشاورات حصلت بين القيادة العباسية ومركز الخلافة (١) ، لقد أشاد المؤرخون بروح الاخلاص والوفاء التي كان يتحلى بها اسحاق بن مسلم العقيلي ، وينفرد اليعقوبي بذكر رواية توضح الاسباب الداعية الى قيام هذه الحالة من الصراع الدموي في الجزيرة ويبدو من دراسة نصوص المصادر ، ان اسحق بن مسلم كان يعتقد بضرورة الوفاء بالعهد الذي في عنقه اتجاه الخليفة الاموي مروان بن محمد ولعله لم يكن قد علم بمصرعه طيلة الاشهر السبع الاولى(٢) من الحصار الذي باشرته القوى العباسية على مدينة الرها ويبدو ان العلاقة بين اسحق بن مسلم والقيادة العباسية قد تحسنت وتوطدت بعد عقد الامان لمدينة الرها ، وتشير المصادر الى ان اسحق

(١) الطبري ، ٧/٤٤٧ .

(٢) البلاذري ، الانساب ٤/٣٦أ (نسخة لندن ورقة ٦٠٤) ، اليعقوبي في تاريخه ٢/٣٥٤-٣٥٥ والطبري ٧/٤٤٧، ٤٤٨ وابن الاثير ، الكامل ٥/٥٣٥ وابن خلدون ، ٣/٣٧٣ « فقد روي ان اسحق اقام بسميساط سبعة اشهر وابوجعفر محاصر له وقيل لم يحاصره ابو جعفر ولكن عبدالله بن علي حاصره وكان اسحق يقول « في عنقي بيعة فانا لاادعها ابداً حتى اعلم ان صاحبها قد مات او قتل فأرسل إليه ابو جعفر يقول « ان مروان قد قتل فقال : حتى اتبين ذلك فلما صح عنده انه قتل طلب الصلح ثم طلب الامان وقال =

قد صار مع المنصور وانه « كان عظيم المنزلة عنده »(١) وروى أن اسحق بن مسلم كان صاحبا لابي جعفر المنصور (٢) وكان آثر اصحابه عنده (٣) وقد علق صاحب سمط النجوم العوالي على ذلك بقوله : «قلت لله در اسحق بن مسلم هذا ما أوقفه عند عهده وأوفاه لميثاقه وعهده»(٤)

= قد علمت ان مروان قد قتل ...... وقد روي ان عبدالله بن علي هو الذى آمنه » .

وذلك لان اسحق كان مشغولاً بمجابهة ثورة مسافر القصاب الذي ثار في باب الابواب وجمع قوات كبيرة وجاء الى اردبيل باذربيجان حيث عين حاكما للولاية من قبل الضحاك الخارجي، واستمر بمعارضته حتى تأسيس الدولة العباسية ولذا فان انشغال اسحق بثورة مسافر حال دون اتصاله بمروان بن محمد ومعرفة اخباره ، دينيت ، مروان بن محمد ، ص٢٥٧ » .

(١) البلاذري ٣٦/٤ أ (مخطوطة لندن ورقة ٤/-٦) اليعقوبي ، تاريخ ، ٣٥٤/٢ - ٣٥٥ ، الطبري ، ٤٤٧/٧ - ٤٤٨ ، ابن الاثير المصدر السابق ، ٥٣٥/٥ ، ابن خلدون ، ٢٧٣/٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٥٣/١٠ .

(٢) ابن شداد الاعلاق الخطيرة ، مخطوطة نسخة الدكتور صالح العلي ، ورقة ٧أ ابن كثير المصدر السابق ٥٣/١٠ .

(٣) راجع البلاذري ، انساب ٣٦/٤أ ، ابن خلدون ٢٧٣/٣ .

(٤) المكي ، ٤١/٣.

ويعلق د . فاروق(١) على الحادث بأن ابا جعفر أدرك انه من السياسة الحكيمة أن يصطنع اسحق العقيلي ذلك الشيخ المتنفذ بدلا من قتله واصبح اسحق العقيلي من صحابة ابي جعفر وبقي معه في البلاط حين اصبح خليفة .

حركة منصور بن جعونة العامري (*)

ومن بين ردود الفعل لحركة ابي الورد والسفياني - وثورات الجزيرة - ظهور حركة منصور بن جعونه العامري والذي كان من قيس على اهل الرها حينما امتنع على الدولة العباسية (٢) .

ولما قدم الخليفة المنصور الرقة من بيت المقدس سنة ١٤١هـ / ٧٥٨ م وجه اليه من أتا به وضربت عنقه بعد أن اتهم بالكفر والعبث بالدين (٣) وبتهمة التواطؤ مع اعداء الدولة وتعريضة بالعباسيين(٤)

(١) العباسيون الاوائل ، ١ / ١٣٦ - ١٣٧ ، الخلافة العباسية ، ص ٢٧٤ .

(٢) د . فاروق ، العباسيون الاوائل ١/١٣٦-١٣٧ ،

(٣) قدامه بن جعفر ، الخراج ، ورقة ١٣٥ ب ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٥/٦٢٢ .

(٤) د . فاروق ، العباسيون الاوائل ، ١/١٣٧ .

(*) هو منصور بن جعونة بن الحارث أحد بني عامر بن ربيعة وكان على شرطة عبدالله بن علي لما ثار بالجزيرة كما سنرى بلاذرى/٤ ورقة ١٣١ أ (مخطوط لندن ورقة ٥٧٨) .

وروى أن الخليفة المنصور خطب يوما فقال :« الحمدلله تعالى يا أهل الشام فقد رفع عنكم بولايتنا الطاعون فقال منصور العامري : والله اكرم أن يجمعكم علينا والطاعون »(١) ونسب الى منصور العامري « حصن منصور » الذي رممه وابتناه زمن الخليفة الاموي مروان بن محمد ، وشحنه في خيل كثيفة ورجال من اهل الشام والجزيرة (٢) الى أن خرج على الخلافة العباسية زمن المنصور .

حركة محمد بن مسلم بن عبد الملك بحران ١٣٣ هـ/٧٥٠م .

وينفرد اليعقوبي بالاشارة الى قيام محمد بن عبد الملك بحركة في مدينة حران وحاصر موسى بن كعب فيها ،وان نائب عامل ابي جعفر المنصور الذي كان حينذاك عامل الجزيرة رماها بالمنجنيق وحرق أبوابها ، ثم بلغ محمد بن مسلم قتل ابي محمد السفياني وقتل ابي الورد فانصرف عنها ، وتفرق جمعه واتبعه موسى بن كعب فقتل من اصحابه، وتعتمد عدة مدن من الجزيرة (٣) .

حركة السفياني سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م

قام بهذه الحركة العباس بن محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية

(١) الكتبي ، عيون التواريخ ، ج٣ق ١ ورقة ٢٨ ب .

(٢) قدامه ، المصدر السابق،ورقة١٣٥ ب - ١٣٦ ب،ويقول:(بني الرشيد حسن منصور وشحنه في خلافة المهدي) .

(٣) تاريخ ٢/٣٥٤ .

حينما ثار في حلب ضد ابي العباس واتخذ الحمرة شعاراً له ولباسا وقد قاتله القائد الخرساني مقاتل العكي الذي ارسل من قبل أبي جعفر من مدينة حران ، وقضى على ثورته وقتله داخل حلب (١) ، وينفرد المقدسي بالاشارة الى قيام زياد بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية ابن ابي سفيان بالثورة في حلب في اعقاب فشل العباس بن محمد حيث بيضوا ثيابهم وأعلامهم وادعى الخلافة وبعث ابو العباس اخاه اباجعفر المنصور حيث اتاه من جانب الجزيرة بالمشرق ، وجاءه عبـــدالله بن علي من الشمال فقاتلاه حتى هزماه وبذلك فشلت هذه الحركة (٢).

حركة ابان بن معاوية بن هشام المرواني سنة ١٣٥ هـ/ ٧٥٢ م

ثار أبان بن معاوية بسميساط من ارض الجزيرة ، مع اربعة الاف من اتباعه وذلك حينما اعترض جيش عبدالله بن علي الذى اتجه لغزو الصائفة ، فوجه اليه حميد بن قحطبة سميساط فانهزم ابان واصحابه وتحصنوا في حصن كيسوم فحصرهم حميد فطلبوا الامان فامنهم وهرب ابان فدل عليه فقتله عبدالله وقضى على ثورته واحتل سميساط بالقوة (٣) .

---

(١) ابن العديم ، الزبدة ، ١/٥٥-٥٦ نقلا عن د . فاروق ، العباسيون الاوائل ، ١/١٣٨ والخلافة العباسية ٢٧٤ .

(٢) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ٦/٧٣ .

(٣) البلاذري ٤/ ورقة ١٤ب (مخطوطة لندن ورقة ٣١٢) د. فاروق، العباسيون الاوائل ١/١٣٨ ويروي البلاذري ان ابان بعد ان =

حركة محمد بن سعيد بن عبد العزيز الأموي (*) سنة ١٣٥/٧٥٢م

وكانت هذه الحركة الاموية قد استغلت ثورات الخوارج ضد السلطة العباسية فلما ثار بريكة بن حميد الشيباني ضد ابي جعفر والي الجزيرة انضم اليه محمد بن سعيد بن عبد العزيز الاموي ، الذي قتل فى اثناء القتال ضد القوات العباسية (١) ويعلق د . فاروق على اسلوب المعارضة الاموية هذا بقوله (ومن الطريف ان الأمويين في تحديهم للسلطة العباسية لم يدخروا وسعا في اظهار هذا التحدي الى درجـــة انهم انضموا الى ثورات خارجية ضد العباسيين سواءا في الجزيرة أو غيرها وقد اصبحت من التقاليد المتبعة ان كل ثورة في سورية أو في الجزيرة تضم اليها احد الامراء من البيت الأموي رمزا للثورة

= فشلت ثورته هرب ثم دل عليه فاخذ في غار عبدالله بن علي ورجليه وقتله وانه كان معه في الغار امه واخته وامرأته حيث دل عليه عبدالله بن علي فوجد اليه اربعين رجلاً فلما تدنى بهم اراد قتالهم فمنعته امه واخته فاستسلم لهم فقطع عبدالله يديه ورجليه وجسمه واطاف به بالشام ٤/١٤ ب (مخطوطة لندن ورقة ٣٩٢) .

(١) البلاذري ، المصدر السابق ، ٤ / ٣٥ ب (مخطوطة لندن ورقة ٦٠١) .

(*) هو محمد بن سعيد خديفه بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن ابي العاص (بلاذري ، المصدر السابق ٤/ ورقه ٣٥ ب ونسخة لندن ورقة ٦٠) .

على النظام الجديد) (١) .

حركة عثمان بن عبد الاعلى بن سراقة الازدي سنة ١٣٦ / ٧٥٣ م

قام عثمان بحركته في مدينة دمشق وكان عبدالله بن علي بالشام فبعث له من حران مقاتل بن حكيم العتكي لقتله عثمان الازدي وشتم بني العباس على منابر دمشق واقام في الخلافة هشام بن يزيد ابن خالد بن يزيد بن معاوية الذي اختفى بعد فشل عثمان وقتله (٢) .

ولكن يلاحظ ان هذه الحركات كانت سريعة الظهور وسريعة الفشل، ولعل اخطر ماوصلت إليه حركات الامويين المعارضة للعباسيين هو مابلغته من خلال ثورة عبدالله بن علي العباسي ، الذي التف حوله الامويين املا في تحقيق ما كانوا يطمحون اليه .

---

(١) المرجع السابق ١٣٨/١ .

(٢) البلاذري ، انساب ١٤/٤ ب (مخطوطة لندن ورقة ٣٩٢) الازدي تاريخ الموصل ،ص١٦٤ . د . فاروق،الخلافة العباسية (بالانكليزية) ص ٢٧٣ .

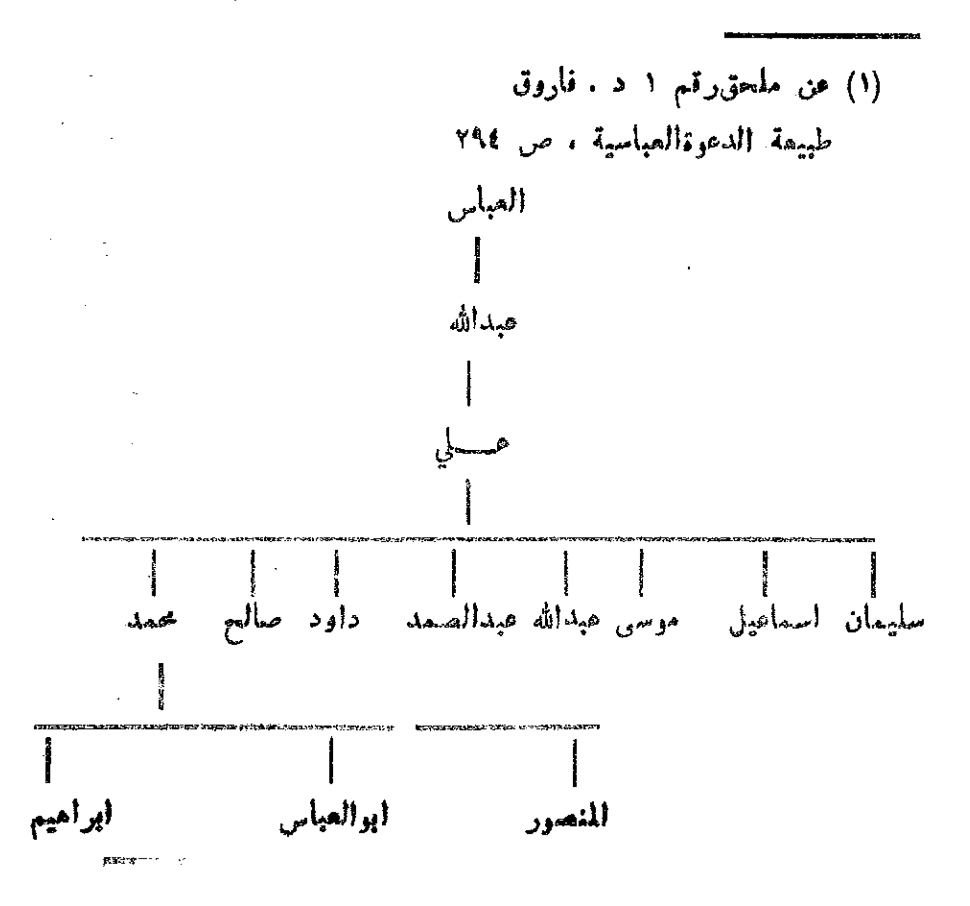
ثورة عبدالله بن علي سنة ١٢٧هـ/٧٥٤م

ينتسب عبدالله علي بن الى البيت العباسي(١) وهو عم الخليفه العباسي الاول « ابو العباس » وكذلك الخليفة « المنصور » .

والغريب في ثورة عبدالله بن علي — وهو قائد الجيوش العباسية التي قضت على الحكم الاموي واسقطته — ان الثورة قامت والدولة العباسية لازالت في دور النشوء والتكوين والاوضاع غير مستقرة بعد ، والاخطار محيطة بها من كل جانب،سواء في العراق ،والشام ومصر وحق

---

(١) عن ملحق رقم ١ د . فاروق
طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٢٩٤



خراسان قاعـــدة الثورة العباسية ومنطلقها . ولعل ابرز اسبابها ، هو مطالبته بالخلافة حينما استند الى عهد سابق كان قد منح له وروي المقدسي ان ابا العباس لما ظهر امره وضع سيفا ، وقال : « من تقلد هـــذا السيف وسار الى مروان فقاتله فله الخلافة من بعدي فتحاماه الناس ، وقام عبدالله بن علي فتقلده ، وسار فقاتل مروان فقتله . فلما مات ابو العباس قام بالخلافة » (١) ويؤكد شلبي صحة الرواية غير انه يقول «هذا العهد لم يدعم بسجل كتابي » (٢) في حين يرى د . فاروق انه من الصعب ان يتيقن الباحث في صحة ادعاء عبدالله العباسي (٣). واننا لانستطيع ان نص صراحة على صحة ادعاء عبدالله هذا ، ولكننا حينما نناقش الرواية من ناحية النقد الخارجي نجد انها موجودة في مصادر قديمة موثقة كالطبري واليعقوبي والمقدسي (المطهر بن طاهر) والمسعودي ... الخ . اما من ناحية النقد الداخلي فنجد ان الرواية لايستبعد صحتها اذا ماعلمنا مقدار حاجة الخلافة في فترة حرجة من

---

(١) المقـــدسي ، البدء والتاريخ ج ٦ ، ص ٧٦-٧٧والعباسيون الاوائل ١/٨٨-١٩٤ .

(٢) شلبي « التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ج ٣ (القاهرة ، ١٩٦٠)ص٣٩-٤٠ .

(٣) المرجع السابق ١/١٤٠ . راجع احمد ابراهيم الشريف ، العالم الاسلامي في العصر العباسي (القاهرة ، ١٩٦٦) ص ١١٤-١١٥ وص٣٠٩ .

عمرها الى شخصية كفوءة كعبدالله . فليس من المستبعد في أن يستدعي ابو العباس عبدالله ويعتقد له ولاية العهد اذا ماقاتل مروان بالزاب، خاصة وانها المعركة التي ستقرر مصيرهم. ولذا فان هذه الظروف تدلل لنا نوعما صحة الرواية السابقة . ومما يزيد أحتمال صحتها مارواه البلاذري (١) وغيره من المؤرخين من ان عبدالله العباسي زار الخليفة ابا العباس قبل وفاته بالأنبار سنة ١٣٥هـ / ٧٥٣ م حيث امره الخليفة بقيادة الحملة ضد البيزنطيين في تلك السنة ، خاصة وان البيزنطيين الى الان لم توجه لهم ضربة خفيفة من النظام الجديد حينما اخذوا يهاجمون المناطق الثغرية في فترة انشغال العباسيين بأحداث الصراع . فاختيار الخليفة له يبين مدى اعتماده واعترافه بقوة شخصية عبدالله بن علي . ويعلق د . فاروق على رواية البلاذري بقوله : «والمهم ان نشير هنا الى ان رواية البلاذري تظهر ان ابو العباس وكأنه قد وعد عبدالله بن علي او لمح له بأن الخلافة صائرة له » (٢) كما يمكن ان يفسر عمل ابي العباس هذا بأنه كان يشعر بطموح عبدالله ابن علي بالخلافة ولذلك اراد ان يبعده عن العاصمة تمهيدا لتدابير اخرى ينوي القيام بها ، والتي اتضحت قبيل وفاته متمثلة بتعيين المنصور للخلافة ولعيسى بن موسى من بعده . وفي طريقه الى الروم وفي (دلوك) بلغه نبأ وفاة الخليفة ابي العباس ، والتي تكشف لنا حقيقتين مهمتين

---

(١) البلاذري ، المصدر السابق ، ٤ / ٣٠ ب (مخطوطة لندن ورقة ٥٧٧) .

(٢) فاروق ، المرجع السابق ١/١٤٠

هما ان المنصور الخليفة المرشح أبدى مخاوفه من موقف عبد الله بن علي . فقد قال المنصور لأبي مسلم الخراساني لما علم نبأ وفاة أبي العباس وهو في طريقه من الحج « ... أخاف شر عبد الله بن علي ، فقال أنا اكفيكه وعامة جند أهل خراسان وهم أطوع لي منه ... »(١) ومما يؤكد صحة الرواية أن عيسى بن موسى أرسل اليه وفداً مهماً بزعامة أبي غسان (يزيد بن زياد) وهو حاجب أبي العباس لأخذ البيعة لابي جعفر(٢) ومما يعزز شكوى العباسيين بتوقعهم ثورة عبد الله أن عيسى بن موسى كتب الى صالح بن علي وهو على مصر وأخبره الخبر طالباً اليه التوجه الى الشام فوراً لأخذ البيعة على عبد الله بن علي(٣) بالقوة اذا استدعى الأمر ذلك قبل ان يعلن عبد الله ثورته(٤) .

ومن كل ماتقدم يتبين لنا ان ابا العباس في أثناء الفترة الحرجة التي كانت تمر بها الدولة العباسية . قد وعد عبد الله بالخلافة استدلالا بحراجة الظروف التي كانت تمر بها الخلافة ، غير ان تلك الظروف التي أملت على السياسة العباسية ان تسلك ذلك السبيل ، عادت فغيرت سياستهم بعد تغييرها وسيرها بصالح العباسيين بعد ان استقر امرهم ومسكوا بزمام الحكم ، ولذلك فلا غرابة في ان يغير الخليفة

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ٣/٣٨٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ٧/٤٧٤ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ٢/٣٨٤ .

(١) د . فاروق ، المرجع السابق ١/١٤٠ .

ابو العباس رأيه في مسألة البيعة لعبد الله بن علي ، فروي ان أحد صحابته سعيد بن عمر المخزومي نصحه بالا يحول الخلافة من ابناء محمد بن علي العباسي الى اعمامهم ولذلك غير الخليفة رأيه وعهد لاخيه أبي جعفر ولابن أخيه عيسى بن موسى من بعده(١) ويعلق محمد حلمي على ذلك بقوله : « أن أقطاب العباسيين الذين حاربوا وجاهدوا لاعلان الخلافة العباسية ، ثم لتثبيت سلطانها ادركوا بعد فترة أنها ستنحصر في فرع معين في البيت العباسي وان جهودهم التي بذلوها ستضيع عليهم وسيجني غيرهم في نفس البيت العباسي ثمارها وينعم بخيراتها ، وذلك أن أبا العباس ولى أخاه أبا جعفر المنصور عهده من بعده واعرض عن توليه عميه عبد الله وسليمان ابني علي ، ولم يظهر سخطه في هذا إلا عبد الله بن علي »(٢) ولهذا نجد أن أبا العباس غير رأيه بعد سيطرته بشكل تام على الاوضاع إضافة الى نصيحة سعيد المخزومي بالمبايعة لاخيه ، كما أن العهد كان خاصا لايعرف به الا عدد قليل من العباسيين وهو الذي يوضح مخاوفهم من عبد الله أبن علي(٣) كمـــا انه « لم يدعم بسجل كتابي »(٤) .كما انه لم « يدعم بسجل كتابي »(٤) . وان مخاوف العباسيين اتضحت بعد

---

(١) د . فاروق المرجع السابق . ١٤٠/١ .

(٢) محمد حلمي محمد احمد (الخلافة والدولة في العصر العباسي) (القاهرة ، ١٩٥٩) ص٦٨ .

(٣) د. فاروق ، المرجع السابق ١٤٠/١ .

(٤) شلبي ، المرجع السابق ٣٩/٣ ـ ٤٠ .

وفاة أبي العباس مباشرة والمبايعة للمنصور قال اليعقوبي : « وكره عيسى ابن موسى ومن حضر من الابناء ان يكتبوا الى عبد الله بن علي فكتبوا الى صالح بن علي وهو بمصر يعرفونه الحادثة في أبي العباس وماكان عهد به ابو العباس لابي جعفر ومبايعتهم له واجتماعهم عليه وأمره ان يبايع ويصير الى الشام فيأخذ البيعة على عبد الله بن علي »(١) اضف الى ذلك ان المصادر تنص صراحة الى مسألة نقض ابي العباس للعهد : « وذلك حينما امر قبل وفاته عيسى بن موسى ولي العهد ان يكتب الى عبد الله ببيعة ابي جعفر ، وذلك بأمر ابي العباس قبل ان يموت حين امر الناس بالبيعة لابي جعفر من بعده »(٢) .

وبعد ان اصبح عبد الله امام الامر الواقع استشار يزيد بن زياد الذي اشار اليه قائلا : «انك اولى بالخلافة لانك عم الخليفة ابي العباس والعم بمنزلة الاب »(٣) ويعلق د. فاروق على هذا الرأي بقوله : « وهكـــذا فقد استعمل عبد الله العباسي نفس الحجة التي ادعاها العباسيون في نزاعهم حول الخلافة مع العلويين وغيرهم من احزاب المعارضة على ان عبد الله العباسي لم يحتج بهذه الحجة علنا وامام الناس »(٤) فقد ناشد جنده بقوله : « ان ابا العباس حين اراد ان

---

(١) تاريخ ، ٣٦٤/٢ .

(٢) الطبري ،٤٧٤/٧ .

(٣) مجهول ، غرر السير ، ورقة ١٦١ أ د . فاروق ، المرجع السابق ١٤٠/١ .

(٤) المرجع السابق ١٤٠/١ .

يوجه الجنود الى مروان بن محمد دعا بني ابيه فأرادهم على المسير الى مروان بن محمد وقال : من انتدب منكم فسار اليه فهو ولي عهدي فلم ينتدب له غيري ، فعلى هذه خرجت من عنده وقتلت من قتلت»(١).

اما العامل الآخر الذي شجع عبد الله بن علي على الثورة ، فهو تمكنه من التعرف بشكل جيـــد على ميول واهواء سكان الشام والجزيرة وحقيقة عواطفهم وأهدافهم خاصة وان عناصر المعارضة الاموية العربية ناقمه على الفرس والعباسيين كانت على استعداد تام لتأييد عبد الله ، وكان مدركا لذلك ، فغذت طموحه وشجعته على القيام بالثورة . ونحن نعرف انبلاد الشام والجزيرة كانت قد اعلنت التمرد والعصيان ضد العباسيين في حركات ١٣٢ ـ ١٣٣ هـ ، وتعتبر ثورة عبد الله بن علي من اعنف حركات المعارضة الاموية بقيادة عباسية ضد المنصور ويصفها د فاروق بانها ثورة الشام على العباسيين ، وانها ثورة سوريه ليس في موقعهـــا الجغرافي وولائها فحسب بل كذلك في العناصر التي كونتها ، ويظهر ان هناك مصلحة مشتركة بين عبد الله العباسي والسوريين فقد حاول كل منهما ان يستغل الآخر لانجاز اهدافه المباشرة ، فبالنسبة لعبد الله كان هدفه الخلافة وبالنسبةللسوريين فقد كان هدفهم الثأر من الخراسانية واستعـادة امتيازاتهم المفقودة واسترجاع مكانة سوريا التي فقدتها الى العراق ، ولكن كان عبدالله يدرك بأنه من الخطأ الاعتماد على عناصر ذات ميول اموية مثل اهل الشام

---

(١) الطبري ٤٧٤/٧ ، الازدي ، تاريخ الموصل ، ص١٦٣ ، مجهول ، العيون والحدائق ، ٢١٧/٣ .

لتحقيق مطامع سياسية عباسية(١) وفي الحقيقة من الصعب الاعتماد على الامويين لانهم كانوا قد اذاقهم العباسيين الويلات والدمار ، فبالرغم من انضمامهم الى عبد الله بن علي واغرائه بهم الا انهم لم يكن دخولهم الى جانبه حباً به ووفاءاً له بقدر ماهو البحث عن فرصة للانتقام لما اصابهم على ايدي العباسيين ولكن لموقفهم هذا اثراً بارزاً في تشجيع عبد الله ، حيث ان العضد والحماس له جاء من شيوخ القبائل السورية المعروفين بولائهم لبني امية(٢) . وكان تأييد اهل الشام له تأييداً مطلقاً فقال بكار(*) أنا سهمك(٣) .

وفي رواية المدائني أنه دعا شيوخ القبائل الشامية والجزرية فأيدوه في غالبيتهم وكان بعضهم حذراً ، فأشار الحكم بن ضبعان قائلا « ان كان عهد اليك وعقد لك عند وفاته فقد كفيت والا فلست من الأمر على ثقة »(٤) كما ان أبا غسان صدّقه وسلم عليه بالخلافة(٥) .

وقال عثمان بن سراقه الازدي : « ان بلاك عند أهل الشام غير جميل فلن ينفعك الا مثلي من لك عنده بلاء حسن واياد ظاهره ،

---

(١) د. فاروق ، المرجع السابق ١٤٣/١ .

(٢) ن. م. ١٤٠/١ .

(٣) البلاذري ، انساب ١٣١/٤ (مخطوطة لندن ورقة ٥٧٧) .

(٤) ن. م. ٣١/٤ أ (مخطوطة لندن ورقة ٥٧٧) .

(٥) ن. م. ٣١/٤ أ (مخطوطة لندن ورقة ٥٧٧) .

(*) ويروي البلاذري أن اسحق بن مسلم العقيلي اخا بكار بعد ان كان مكرما لدي المنصور وبعد ان ثار عبد الله بن علي وانضم =

أو رجل صاحب فتنة يلتمس أن يدرك فيها شرف(١) وبذلك فان التأييد قدم له فرصة سانحة لتحقيق أهدافه ولذلك فانه (قرب موالي بني امية وأطعمهم وسد ثغورهم)(٢) كما انه عين ولاة وقواد جدد أغلبهم من أهل الشام فعلى دمشق عين والياً هو عثمان بن عبد الاعلى بن سراقة الازدي وزفر بن عاصم المهلبي على قنسرين والحكم بن ضبعان على فلسطين وكان منصور الكلبي صاحب الشرطة(٣) ولهذا فانه جعل عماده الاساسي في حركته أهل الشام من الفرسان والجند الذين عضدوه وبايعه من أهل الشام خلق كثير ودعي له على منابرها بالخلافة(٤) ، ولم يكن تأييده مقتصراً على أهل الشام فحسب بل أنه اعتمد على أهل الجزيرة أيضاً قال المقدسي : « أدعى الخلافة عبد الله بن علي ، وبايعه أهل الشام والجزيرة »(٥)

أما بالنسبة لموقف أهل خراسان فنجد أنه اعتمد على جزء منهم من الذين كانوا معه أمثال : أبو غانم الطائي (السكندي) وخفاف

= اليه أخوه بكار بن مسلم العقيلي قال ابو جعفر : يااسحق : الا تكفينا أخاك قال اكفني عمك حتى اكفيك اخي فضحك المنصور لقوله ، (بلاذري،انساب جـ٤ / ٣٦ أ مخطوطة لندن ورقة ٦٠٤).

(١) ن. م. ، ٣١/٤ أ ، مخطوطة لندن ورقة ٥٧٧.

(٢) الامامة والسياسة ٢/ ص١٣٥ .

(٣) د. فاروق ، المرجع السابق ١٤١/١ .

(٤) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ٢/ورقة ٣٦-٣٧ .

(٥) المقدسي ، البدء والتاريخ جـ٦ (شالون ، ١٩١٦) ص٧٦ .

المروزي ، وكان هؤلاء قد شهدوا له بصحة من عهده اليه أبو العباس لما خرج لمروان . وكذلك أبو الأصبع وجميـــع من كان معـه من أولئك القواد فيهم حميد بن قحطبة وجياش بن حبيب ومخارق ابن غفار وترار خداه وغيرهم(١) وعارضه بعضهم من الذين « حذروه من الاختلاف والفتنة » ويروي المدائني ان عبد الله بن علي دعا اول الامر قواد اهل خراسان فبايعوه دون حماس ، وحين عارضه الهيثم ابن زياد الخزاعي ضرب عنقه قال البلاذري : « ووعظه الهيثم فقال له ننشدك الله ان تهيج الفتنة وتعرض نفسك واهل بيتك للهلكة وزوال النعمة » وفي رواية انه « كذبه الهيثم) وقال له : « اشهد ان ابا العباس ولي الخلافة ابا جعفر »(٢) وقال له زفر « انكم اهل البيت لم تطمعوا في بني امية حتى اختلفوا فانا احذرك الاختلاف فان اجتمع أمرك وامر من بالأنبار عززتم وان اختلفتم فهي الفتنة»(٣) ونستطيع ان نضيف سبباً آخر للثورة الا وهو رغبة عبد الله بن علي في السلطان ومحاولته الوصول اليه خاصة وانه كان رجلا امتاز بالأعمال العظيمة لخدمة الدعوة والثورة العباسية حيث كان رجلا بارزاً من بين الرجال الذين عملوا على تثبيت كيان الدولة العباسية ، وذلك حينما تزعم الجيش العباسي في معركة الزاب ، ومن ثم احتلاله

---

(١) الطبري ٤٧٤/٧ ـ ٤٧٥ ، الازدي ، تاريخ الموصل ص١٦٣ .

(٢) البلاذري ، المصدر السابق ٣٠/٤ ب ـ ٣١ أ (نسخة لندن ورقة ٥٧٧ ـ ٥٧٨) .

(٣) ن. م. ٣١/٤ أ (نسخة لندن ورقة ٥٧٨)

الجزيرة والشام وتسنمه ولاية الشام في اعقاب قيام الدولة العباسية ، وقد امتاز بطموحه وشجاعته »(١) ويرى د . فاروق انه من الطبيعي ان يكون عبد الله طموحاً فهو من اقدر شخصيات البيت العباسي(٢).

يمكن ان نختتم حديثنا عن اسباب الثورة يقول د. فاروق « بأن النزاع كان بين سورية والجزيرة من جهة والعراق وخراسان من جهة أخرى » (٣)

وعلى هذا فقد اتضحت لنا اسباب قيام عبد الله بثورته اذا ماعلمنا انه لم يكن هناك خلاف بين اهل البيت العباسي اثناء الدعوة العباسية وقبيل اعلان الثوره حيث لم يجد هناك نص تاريخي مايشير الى ذلك، وان هذا يقودنا الى التساؤل ، فيما اذا كان هناك خلاف بين اهل البيت العباسي وخاصة عبد الله بن علي في خلافة الخليفة الاول ابي العباس . كذلك لايوجد من النصوص التاريخية مايشير الى ذلك . وعلى هذا فان الدافع الاساسي للثورة هو مطالبته بالخلافة والتي استند فيها على عهد سابق في تأييده لموقفه ، اما بالنسبة لأحداث الثورة والتطورات التي مرت بها فيمكن ان نناقشها بالشكل التالي .

فبعد وفاة الخليفة ابي العباس كان المنصور وابو مسلم في طريق عودته من الحج وقد لعب عيسى بن موسى دورا مهما في اخذ البيعة

(١) ابن قتيبة ، المصدر السابق ١٣٥/٢ اليعقوبي ، تاريخ ، ٦٢/٣ .
(٢) العباسيون الاوائل ١٣٩/١ .
(٣) ن . م . /١٤١ .

لابي جعفر من الهاشميين والقواد في العاصمة واصبح هو ولي العهد(١) وكان الذي وافى ابا جعفر بخبر وفاة اخيه محمد بن الحصين العبدي حيث بايعه ابومسلم ومن كان معه (٢) وكان عبدالله بن علي كما مر بنا في طريقه لمحاربة الروم في اهل الشام والجزيرة والموصل حتى اتى داوك ولم يشعر حتى أتاه نبأ وفاة ابي العباس ، وكان عيسى بن موسى قد بعث له ابو غسان زياد بن عبدالله ، ليعلمه بنبأ مبايعة ابي جعفر (٣)وعلى اثر ذلك امر عبدالله مناديا فنادى الصلاة جامعة فاجتمع اليه القادة والجند فقرأ عليهم الكتاب بوفاة ابي العباس ودعا الناس الى نفسه واخبرهم ان ابا العباس قد عهد اليه من بعده حينما خرج لقتال

---

(١) روى الطبري ابن عيسى بن موسى كان قد اخذ بيوت الاموال والخزائن والدواوين حتى قدم عليه ابو جعفر بالانبار ، فبايع الناس بالخلافة ثم لعيسى بن موسى من بعده ، فسلم عيسى بن موسى الى ابي جعفر الامر وقد كان عيسى بن موسى بعث اباغسان واسمه يزيد بن زياد وهو صاحب ابي العباس الى عبدالله بن علي لبيعه أبي جعفر ، بأمر من ابي العباس قبل ان يموت ، حين امر الناس بالبيعة لابي جعفر من بعده (الطبري ، تاريخ ٤٧٤/٧) .

(٢) روي اليعقوبي بأن محمد بن الحصين العبدي ، وافاه الخبر ، فقال المنصور اي موضع هذا ؟ قال موضع يقال له زكية قال « امر يزكى انشاء الله » وبويع له تاريخ ٣٦٢/٢ .

(٣) روي انه قدم على عبدالله بن علي ابو غسان بافواه الدروب ، متوجها =

مروان(١) فقام ابوغانم الطائي - الكندي - وخفاف المروذي في عدة من قواد اهل خراسان وشهدوا بذلك وبايعوه ، (٢)اضافة الى ابي الاصبغ وجميع من كان معه من اولئك القادة بما فيهم حميد بن قحطبة ، وخفاف الجرجاني ، وجياش بن حبيب الطائي وقصير بن المختصر المزني ومخارق بن غفار وترارخدا ، وغيرهم من اهل خرسان والشام والجزيرة وقد نزل تل محمد (٣) وبعد ان بايعه القادة وشهدوا له ، بايعه اكثر اهل الشام وكتب الى عيسى بن موسى وغيرهم مبايعة من قبله من القادة واهل الشام له بصحة عهد ابي العباس اليه (٤) ، وبعد

= يريد الروم فلما قدم عليه ابو غسان بوفاة ابي العباس وقد كان قطع الدرب الى بلاد الروم فرجع حتى صار الى دلوك من ارض جند قنسرين (اليعقوبي ، تاريخ ٢/٢٦٥ ، الطبري ، ٧/٤٧٣) .

(١) الطبري ٧/٤٧٤ ، الازدي ،تاريخ الموصل ، ١٦٣ ، مجهول ، العيون والحدائق ، ٣/٢١٧ .

(٢) الطبري ٧/٤٧٤ ، ابن اعثم الكوفي ، فتوح ورقة ٣٧ - ٣٨ ،مجهول غرر السير ، ورقة ١٦١ أ الازدي ، المصدر السابق ١٦٣ ،مجهول ، العيون والحدائق ، ٣/٣١٧ .

(٣) البلاذري، انساب ٤/٣٠ ب ،(نسخة لندن ورقة ٥٧٧) الطبري ٧/٤٧٤ــ٤٧٥ الازدي المصدر السابق ١٦٣ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ ٢/٢٦٥ .

ان فرغ من البيعة اعطاهم الارزاق(١) فكان هذا اول اجراء يتخذه عبدالله لتحقيق اهدافه وكان لانسحابه هـــذا اثره على مجريات الجهاد الاسلامي ضد الروم حينما ترك الجيش الاسلامي الجهاد وتوجه صوب العراق اذا ماعلمنا ان عبدالله بن علي كان « من اجلد بني العباس واشجعهم »(٢) .

اتجه عبد الله من الشام الى الجزيرة ، وكان فيها مقاتل بن حكيم العتكي حيث استخلفه عليها ابو جعفر الذي كان واليا لابي العباس(٣) ، حيث كان يقيم بحران(٤) والتي اصبحت هدفا لعبدالله بن علي الذي حاصر موسى بن كعب فيها ، فعرّفه شهادة من اشهد الله أن ابا العباس جعله ولي عهده »(٥) فلم يجبه وتحصن منه ، وحوصر بها اربعين يوما حتى استنزله من حصنه واحتل حران سنة ١٣٧ هـ .(٦)

---

(١) ابن اعثم الكوفي ، المصدر السابق ، ورقة ٣٧ـ ٣٨ ، مجهول ، غرر السير ، ورقة ١٦١ أ .

(٢) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ٥/٧٧

(٣) خليفة ، تاريخ ، ٢/٤٦٤ في حين يرى اليعقوبي ان موسى بن كعب كان عاملا بحران تاريخ، ٢/٣٦٥ ،

(٤) الطبري، ٧/٤٧٥ .

(٥) اليعقوبي ، المصدر السابق جـ ٢/٣٦٥ ، الطبري ٧/٤٧٥ .

(٦) البلاذري ، المصدر السابق ، ٣١/٤ أ (نسخة لندن ورقة ٥٧٨) اليعقوبي ، تاريخ ٢/٣٦٥، الطبري ٧/٤٧٥ ،ابن اعثم الكوفي، =

ولما وصلت انباء التحركات العسكرية هذه الى المنصور اقلقته حيث روي ان الخبر « قد اهاله »(١) «واقامه واقعده»(٢) ويعلل الخضري تخوف المنصور بأنه لما كان لعبدالله بن علي من نباهة الذكر في بني العباس وبسبب سعة الجيـــوش التي تحته (٣) غير انه تصرف بحكمة ودراية حيث بعث كتاباً يهدد فيه عبدالله بن علي كان فيه (٤) .

سأجعل نفسي منك حيث جعلتها   وللدهر ايام لهن عواقب

وفكر المنصور في كيفية مجابهة الثورة خاصة وانه كان غير مطمئن لموقف ابي مسلم الخراساني ، ويبدو انه اصر على ارسال ابي مسلم لمجابهة الثورة لعدم ارتياحه اليه واطمئنانه منه كما ان مقتل اي منهما هو في مصلحته ، ثم انه اراد ان يضرب « عصفورين بحجر واحد »

= المصدر السابق ، ورقة ٣٧ ـ ٣٨ مجهول ، غرر السير ، ورقة ١٦١ أ ، ابن الجوزي ، المنتظم ٨/ ورقة ٤٦٥ أ ، الكتبي ، عيون التواريخ ج ٣ ق١/ورقة ١٦ أ .

(١) المقدسي ، المصدر السابق ٦/٧٧ .

(٢) ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية (بيروت ، ١٩٦٠) ص١٦٨ .

(٣) الخضري ، محاضرات في تاريخ الدولة الاسلامية (القاهرة ، ١٩٥٣) ص ٥٣ـ٥٤ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ٣/٣٠٢ ،

فايهما قتل ابومسلم أوعبدالله فهو كسب للمنصور (١) وذلك لان ابا مسلم كان ينوي عازما التوجه الى خرسان ولهذا فأنه امتعض حينما امره المنصور قائلا « ليس لعبدالله ن علي غيري وغيرك ، فكره ابومسلم ذلك وقال بالامير المؤمنين : ان امر عبدالله بن علي بالشام اقل واذل وامر خراسان امر يجل خطبه »وكان ابو مسلم يبدو غير مقتنع بذهابه الى الجزيرة واذا امعنا النظر في هذه الرواية نجد انها من ناحية النقد الخارجي لاتثير شكوكا في صحتها اورودها في مصدر قديم وموثوق كاليعقوبي ، اما النقد الداخلي لها فانها تنسجم مع واقع التاريخ في هذه الاثناء حيث كان ابومسلم والمنصور على طرفي نقيض وكان كل منهما يضمر في نفسه عداءا للآخر ، كما ان ابا مسلم كان يرى ان قتل المنصور او عبد الله بن علي هو انتصاراً له حينما قال لكاتبه « ما أنا وهذان الرجلان » ثم قال : « ما الرأي الا ان نمضي الى خراسان، وأخلي بين هذين الكبشين ، فايهما غلب وان كتب لنا كتبنا اليه : سمعنا وأطعنا ، فرای انا قد انعمنا وعملنا له عملا ...» (٢) غير ان كاتبه نهاه عن ذلك(*) .

---

(١) د . فاروق . طبعة الدعوة العباسية ص٢٣٩ ، والطرق في العصر العباسي (مجلة بين النهرين) ص٤٩ .

(٢) اليعقوبي ، المصدر السابق ٢/٣٦٥ .

(*) فقد قال له كاتبه أعيذك بالله من ان تمكن اهل خراسان الطعن عليك وان يروا انك نقضت أمراً بعد تأكيده فقال ويحك اني =

ولم يكن في نية أبي مسلم ان يزج بنفسه في الخصام بين الخليفة وعمه وكان يعتزم السفر الى خراسان (١) .

ولذلك أخذ ابو مسلم يتحجج على المنصور طالبا اليه سجن عبد الجبار بن عبدالرحمن ، وصالح بن الهيثم ، وخالد بن برمك بحجة انهما يعيبانه (٢) واخيراً فاجأه المنصور بقوله : « إما ان تذهب انت وإما انا فسار ابو مسلم »(٣) واخيراً قرر أبو مسلم الذهاب بعد ذلك الى مقاتلة عبدالله حيث قال للخليفة ، ... ان شئت سرت إلى حرب عبدالله على ، ابن علي فأمر بالمسير لحرب عبدالله بن علي فسار ولم يتخلف عنه احد» (٤) ومهما يكن من امر فقد رحب ابو مسلم بالسفر الى الشام باعتباره الطريقة الوحيدة ليبتعد بها عن الخليفة ونفوذه (٥) ، وخرج معه جميع أهل الدعوة

= نظرت ممن قتلت بالسيف كثير جداً سوى من قتل في المعارك فوجدتهم مائة الف من الناس فلا قليل من الله (اليعقوبي ، تاريخ ٢/٢٦٥) ،

(١) د فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ،ص ٢٣٩ .

(٢) وقد قال له الخليفة : ان عبد الجبار على شرطتي وكان قبل على شرطة ابي العباس ، وصالح بن الهيثم اخو امير المؤمنين في الرضاعة فلم اكن لاحبسهما لظنك بهما فقال : اتراهما اثر عندك مني فغضب ابو جعفر فقال ابو مسلم لم أرد كل هذا (الطبري ٤٨٠/٧ ، ابن اعثم ، الفتوح ٢ /ورقة ٣٩) .

(٣) الطبري ٤٧٥/٧ .

(٤) وكان ابو مسلم قال للخليفة « ان شئت جمعت ثيابي في منطقتي =

(٥) د . فاروق ، المرجع السابق ، ص ٢٣٩

وكان جيشه يتألف من اربعة آلاف مقاتل (١) وكان الخليفة قد صرف على تجهيز هذا الجيش مابين ١٢ مليون ـ ١٨ مليون درهم وقد زادفي اعطيات الجند من ٦٠ درهما الى ٨٠ درهما شهريا وجعل ابو جعفر مقره في الجاثليق (٢) على دجلة ويرى العبادي ان تصرف المنصور في معالجة هذا الخطر تصرفا حكيما دل على انه لايحكم العواطف في المسائل السياسية فحقده على ابي مسلم لم يمنعه من الاستعانة به للقضاء على عمه الذي كان جيشه يضم الخراسانية التي كان المنصور يأمل في ان يستميلهم عن طريق ابي مسلم(٣) ويرى د .فاروق ان ارسال ابي مسلم الى الشام

= وخدمتك ، وان شئت اتيت خراسان فامددتك بالجنود ... »
بلاذري ، المصدر السابق ، ٢١/٤ أ (نسخة لندن ورقة ٥٧٨) ، ابن الاثير ١٦٥/٥ ، ابن طباطبا الفخري في الادب السلطانية ص ١٦٨ .

(١) مجهول ، العيون والحدائق ٢١٧/٣ .

(٢) قال البلاذري : « واعطى المنصور الجند الذين ارسلهم مع ابي مسلم اثني عشر الف الف درهم ويقال ثمانية عشر الف الف عشر وكان ابو العباس قد حط ارزاق الجند في سنة ١٣٥ هـ الى ٦٠ ستين الف فصيرها ابو جعفر ثمانين الف وسوغهم عطاءا اعطاهم اياه عيسى بن علي فشكروا ذلك . ، انساب ٤ / ٣١ أ (نسخة لندن ورقة ٥٧٩) .

(٣) العبادي ، في التاريخ العباسي ص٤٦ـ٤٧ ،

كسبا للخليفة ذلك لانه استطاع ان يثنيه عن السفر الى خراسان مقر حكمه ومصدر قوته ولو لفترة من الزمن(١) .

هذا بالنسبة لمواقف الخلافة ،اما بالنسبة لموقف عبدالله بن علي ، فنجد انه كان غير مطمئن لمواقف عدد من القادة الخراسانيين ، وكان يشك في حقيقة ولائهم واخلاصهم له ، وكان ابرز هؤلاء القادة حميد ابن قحطبة حيث كان من خيرة القادة ، والذي يصفه اليعقوبي بأنه « الغالب على امره »(٢) أي امر عبدالله بن علي ثم كتب عبدالله لحميد كتابا وجهه الى حلب وعليها زفر بن عاصم حيث عينه واليا عليها في الظاهر ولكنه امر في الرسالة سرا الى زفر أن يقتل حميدا الطائي الذي لم يكن مطمئنا لما في الكتاب حيث قال :«ان ذهابي بكتاب ولا أعلم مافيه لغرر ، ففك الطومار فقرأه فلما رأى مافيه دعا اناسا من خاصته فاخبرهم الخبر ، وأفشى اليهم أمره وشاورهم » ثم اخبرهم من يريد أن ينجوا بالهرب معه ، متجهين الى العراق(٣) وتأهب للمسير مع اصحابه وسلك طريقا على ناحية من الرصافة — رصافة هشام بالشام — وبها يومئذ مولى لعبدالله بن علي يقال له سعيد البربري فبلغه أن حميد بن قحطبة قد خالف عبدالله بن علي ، فسار في طلبه فيمن معه فلحقه ببعض الطريق محاولا قتاله غير ان حميداً ناشده السلام وعدم سفك الدماء

---

(١) د . فاروق ، المرجع السابق ، ص٢٣٩ .

(٢) اليعقوبي ، المصدر السابق ٢/٣٦٦ ،

(٣) البلاذري ، المصدر السابق ٤/٣١ أ (نسخة لندن ورقة ٥٧٨) ، الطبري ٧/٤٧٥ — ٤٧٦ ، ابن الجوزي ، منتظم، ٨/٦٥ؤ .

فتركهم في طريقهم الى العراق(١) .

كما ان عبد الله بن علي لما أعطى العكي الوالي العباسي امانا وخرج اليه فيمن كان معه ، اقامه معه أياماً يسيره ثم وجهه الى عثمان ابن عبد الأعلى بن سراقة الازدي الى الرقه ومعه ابناه وكتب اليه كتاباً ، فلما قدموا على عثمان قتل العكي وحبس ابنيه(٢) .

وكان سبب اتخاذ هذه الاجراءات من قبل عبد الله بن علي هو خشيته من عدم مناصحة أهل خراسان له ، اعتقاداً منه بأنهم يميلون الى ابي جعفر باعتباره خليفة شرعياً ، والى ابي مسلم باعتباره شخصية خراسانية فذه ، كما أنه كان في جيشه الكثير من موالي أهل خراسان وقد قال عنهم أبو مسلم للخليفة « انهم أطوع لي من عبد الله بن

(١) ولما رأى حميد سعيد البربري قال له : « ويحك أما تعرفني ، والله مالي في قتالي من خير فأرجع ، فلا تقتل أصحابي وأصحابك فهو خير لك فلما سمع عرف ماقاله له ، فرجع ، ومضى حميد ومن كان معه ، فقال له صاحب حرسه موسى بن ميمون رأيت بالرصافة جارية ، فطلب الى حميد أن يسمح له أن يوصيها ببعض مايريد فاذن له ، ثم أقام عندها وخرج من الرصافة يريد حميد فلقيه سعيد البربري فقتله (الطبري ٤٧٦/٧) .

(٢) ولما بلغه هزيمة عبد الله بن علي وأهل الشام بنصيبين اخرجهما فضرب اعناقهما البلاذري ٤ / ٣١ أ (نسخة لندن ورقة ٥٧٨) الطبري ٤٧٥/٧ .

علي »(١) وان شكه هذا دفعه الى أن قُتل منهم نحو من سبعةٌ عشر ألفاً حينما امر صاحب شرطته (*) فقتلهم خدعة(٢) ويرى شلبي(٣) ان هذا الرقم مبالغ به الى حد كبير ولكنا نرى أن عبد الله بن علي خشى ان يتركه أهل خراسان بعد مايروا قدوم رفاقهم في جيش أبي مسلم الخراساني ، فيحتمل أنهم ان ينضموا اليهم تاركين عبد الله ابن علي لذلك تخلص منهم ظنا منه بأن أهل الشام الدعامة الكافية والمخلصة له في مجابهته العسكرية مع الخلافة ، وكان لتصرفه هذا أثر سلبي كبير في فقدانه جناح كبير من القوى العسكرية التي كانت تكون جزءاً من جيشه ، وأصبح أمله الوحيد أهل الشام والجزيرة في حربه مع العباسيين وأدى عمله هذا من جانب آخر الى زيادة نقمة ابي مسلم وجنده للانتقام لقتلى أهل خراسان وقد قال أبو أيوب الموافي : « نحن نعلم أن أهل خراسان لايحبون عبد الله بن علي وقد قتل منهم من قتل »(٤) وبعد هذه الاجراءات التي اتخذها عبد الله بن علي

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ٣/٣٨٤ .

(٢) مجهول ، غرر السير ، ورقة ١٦١ ب ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ٥ / ٢١٤ .

(٣) شلبي ، المرجع السابق ، ٣/٣٨ .

(*) هو جياش بن حبيب الذي قتل منهم خلقاً ، البلاذري ، المصدر السابق ٤/٣١ أ (نسخة لندن ، ورقة ٥٧٩) .

(٤) الطبري ٧/٤٨١ ، ابن الاثير ،الكامل ، ٥/٤٦٩ .

نجد أنه اتجه الى مدينة نصيبين حيث اتخذها قاعدة عسكرية له ضد العباسيين .

هذا من جانب ومن جانب أخر نجد أن القوات العباسية بعد اختيار أبي مسلم لقيادتها اتجهت صوب الجزيرة أيضاً ، وبعث أبومسلم على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي ، وكان معه الحسن وحميد ابنا قحطبة وكان مع حميد أبو اسحق وأخوه وأبو حميد وأخوه وجماعة من أهل خراسان ، وقد استخلف أبو مسلم على خراسان حينما اتجه للجزيرة خالد بن ابراهيم ابا داود(١) وكان الخليفة قد كتب الى الحسن ابن قحطبة وكان بارمينية وذلك للانضمام الى أبي مسلم ويسير معه حيث قدم على أبي مسلم وهو بالموصل(٢) كما وزع الخليفة كذلك كتائب من الجند في المناطق الاستراتيجية حينما بعث عيسى بن عقيل الى هيت وعبد العزيز أخا عبد الجبار الى بلد وقال له : « أن بلغك أن ابن علي انهزم فلا تبرح مكانك ولاتخل مركزك » ووجه قائداً الى تكريت ، وكتب الى موسى بن كعب :« ان استخلف ابنك عيينه وأقدم وقد أمرت لك بخمس مائة ألف درهم فاقبضها »(٣)

ويرى د . فاروق بأنه من الواضح أن المنصور كان حذراً من قيام عبد الله بن علي العباسي بحركة عسكرية سريعة يهاجم بها مقر

---

(١) مجهول ، العيون والحدائق ، ٢١٧/٣ .

(٢) الطبري ٤٨١/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٤٦٩/٥ .

(٣) البلاذري ، المصدر السابق ٣١/٤ أ (نسخة لندن ورقة ٥٧٩)

الحكم في العراق بهجوم خاطف ويقضي عليه(١) بالموصل ، استأذن مسلم بن المغيرة من الحسن بن قحطبة بالقدوم الى العراق وذلك لمقابلة الخليفة لاخباره بسلوك أبي مسلم بتكليف من الحسن بن قحطبة(*) ، فحينما يأتيه كتاب الخليفة « فيقرأوه ، ثم يلوي شدقه ويرمي بالكتاب الى أبي نصر فيقرأوه ويضحكان ، استهزاءاً ، قلت نعم قد فهمت ، فلقيت أبا أيوب ، وأنا أرى أن قد أتيته فضحك وقال « نحن لأبي مسلم أشد تهمة منا لعبد الله بن علي ، الا إنا نرجو واحدة ، نعلم أن أهل خراسان لايحبون عبد الله بن علي وقد قتل منهم من قتل»(٢) ولو دققنا النظر في هذه الرواية تبين انها من ناحية النقد الخارجي مذكورة في مصدر موثوق وهو الطبري ، ومن ناحية النقد الداخلي فان هذه الرواية تنسجم مع واقع الظروف التاريخية وقتذاك نظراً لوجود الخلاف بين الخليفة وأبي مسلم فلا يستبعد أن يستهزيء أبومسلم

---

(١) د. فاروق ، العباسيون الاوائل ١/١٤٢ .

(٢) الطبري ٧/٤٨١ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٥/٤٦٩ .

(*) فقد قال مسلم بن المغيرة للحسن : « انتم تشيرون الى القتال وليس بك الي حاجة ، فلو أذنت لي فأتيت العراق فاذن له ثم قال له : أريد ان ألقي اليك شيئاً لتبلغه أبا أيوب ولولا ثقتي بك لم أخبرك ، ولولا مكانك من أبي أيوب لم أخبرك ، فأبلغ أبا أيوب اني قد ارتبت بأبي مسلم قد قدمت عليه ، أنه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين . . . فيستهزأ به . . . الطبري ٧/٤٨١ ، ابن الاثير ، المصدرالسابق ، ٥/ ٤٦٩ .

بكتب الخليفة ولافرابة في قول أبي أيوب « نحن لأبي مسلم أشد تهمة منا لعبد الله بن علي . . . » وفي رواية أن المنصور قال : « إنا لنخاف من أبي مسلم أكثر مما نخاف من أبي سلمة الخلال . . » (١) وفي رواية أن المنصور قال : « أنا لنخاف من أبي مسلم أكثر مما نخاف من حفص بن سليمان » (٢) .

ولذلك فقد اتخذت القوات العباسية مدينة الموصل(٣) قاعدة عسكرية للتجمع العسكري استعداداً لمجابهة الثورة .

أما بالنسبة لعبد الله بن علي فانه وافى مدينة نصيبين في مائة ألف مقاتل ، ومائة ألف من الصناع والفعلة ، وحفر خندقا من جبل نصيبين الى نهرها وجعل فيه مايحتاج اليه من « العدة والآلة ونصب المجانيق والعرادات . . . وسد الطريق على من يقصده من العراق ، وجعل الخصب والقرى وراءه » (٤) .

ولهذا فان استعداد عبد الله كان منسقاً وجيداً يعكس مدى التخطيط

---

(١) المقريزي ، المقفى ورقة ٩٣ أ نقلا عن د. فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ٢٣٩ .

(٢) البلاذري ، المصدر السابق ٤١/٤ أ (نسخة لندن ورقة ٦٢٧) .

(٣) الطبري ٤٧٦/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٤٦٥/٥ ـ ٤٦٦ .

(٤) المقدسي ، البدء والتاريخ ٧٧/٦ (غير أن المؤلف المجهول ينفرد بالاشارة الى أن عبد الله بن علي أقام بحران وجمع اليه الجنود والسلاح وخندق واعد الطعام والاعلاف ، العيون والحدائق ٢١٨/٣).

الذي وضعه عبد الله لمجابهة القوات العباسية خاصة في حفره للخنادق في جبل نصيبين الى نهرها بحيث كان يقيم في قاعدة عسكرية حصينة جداً ، كما أنه كان مجهزاً بمختلف آلات الحرب والمؤونة الاقتصادية .

وينفرد البلاذري ويؤيده الجهشياري بالاشارة الى وقوع قتال بين عبد الصمد بن علي في بلد بالموصل وأبي مسلم ،فكان هذا أول صراع بينهما وأول قتيل قتل بينهما أبو غالب كاتب عبد الله بن علي(١) ، ويروي الازدي أن عبد الله ولي العهد من بعده أخاه عبد الصمد حيث قلده الجزيرة(٢) فمن المحتمل أن يكون هذا الصدام قد جرى فعلا بين عبد الصمد وأبي مسلم رغم ان مصادرنا الأخرى تلتزم الصمت غير أن رواية الازدي تزيد احتمال قيام مثل هذا الصدام الاولي على اعتبار أن عبد الله عين عبد الصمد بالجزيرة حيث كان يتجول في قواته فهاجم أبا مسلم في أول قدومه الموصل .

وازاء هذه التحصينات المنيعة التي اتخذها عبد الله العباسي ، فكرت السلطة العباسية في محاولة لمجابهة عبد الله بن علي ، وذلك باللجوء الى الأساليب الدبلوماسية ، كالحيلة والخداع ، وماشاكل ذلك .. وحاول الخليفة المنصور الايقاع بعبد الله بن علي حينما أمر محمد بن صول بالتظاهر بالولاء لعبد الله واللحاق به ليفتك به ، وكتب للخليفة

---

(١) البلاذري ، المصدر السابق ٣١/٤ أ (نسخة لندن ورقة ٥٧٩) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٠٣ .

(٢) تاريخ الموصل ١١٤ .

بأخباره فصار معه(*) فكتب « بعض عيون عبد الله بن علي في عسكر المنصور بأمر بن صول : (صل بابن صول قبل أن يصول بك فقتله ابن علي وابنين له » (١) .

ثم حاول أبو مسلم اللجوء الى المهادنة والحيلة، حينما رأى مناعة وحصانة عبـــد الله قال المقدسي : « وأنه قد غلب الخصب والقرى والميرة والعلوفات ، أن لامقام للعسكر بازائه واحتال في اخراجه » (٢).

فبدأ أبو مسلم بتنفيذ خططه ، حينما تظاهر بأنه لم يأت لمحاربة عبد الله بل لتولية الشام حينما أمر له الخليفة بذلك وقد حمل رسول أبو مسلم رسالة الى عبد الله بن علي وقال فيها : « ان الأمير أبا مسلم يقول : علام تقاتلني ، وانت تعلم انه لايقاتلك »(٣) وفي رواية

---

(١) البلاذري ، المصدر السابق ٣١/٤ أ (نسخة لندن ورقة ٥٧٩) د. فاروق العباسيون الاوائل١/١٤٢ .

(٢) المقدسي ، المصدر السابق ، ٧٧/٦ .

(٣) اليعقوبي المصدر السابق ٣٦٦/٢ ، الـكتبي ، عيون التواريخ جـ٣ ق١ ورقة ١٦ أ .

(*) وكان أبو جعفر دسه الى عبد الله بن علي فقال له أني كنت قد سمعت أبا العباس قبل وفاته يقول : أن الخليفة بعدي عبد الله بن علي فقال : « كذلك انما دسك أبو جعفر وأرسلك الي» فقدمه فضرب عنقه . (الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٦٤) .

ان أبا مسلم كتب لعبد الله بن علي : « أني لم أومر بقتالك ولم أوجه له ، ولـكن أمير المؤمنين ولاني الشام وانما اريدها »(١) ولعل أبامسلم كان ذكياً وحكيماً الى حد ماحيث أنه هدف الى تحقيق هدفين الأول وهو مراوغة عبـد الله بن علي وتذويب الحماس الذي كان يشحن به قواته للتصدي للعباسيين والثاني ايهام أهل الشام الذين مع عبـد الله بأنه سيتوجه الى الشام وسيعرض أملاكهم وعوائلهم الى النهب والسلب من قبل جيش الخلافة ، والأخرى أن الظروف العسكرية قد اضطرت ابا مسلم الى اللجوء الى هذا الأسلوب بسبب مناعة التحصينات العسكرية التي اقامها عبد الله بن علي في نصيبين فمحاولة التظاهر بالتوجه الى الشام كانت لـكي يجعل ابن علي وجيشه يفكرون بأ.ر الشام ولأرعاب جند الشام الذين مع ابن علي وتخوفهم على املاكهم وعوائلهم لـكي يترك المقاتلة نصيبين ، وبالفعـل فقد حقق أبو مسلم ما كان يهدف إليه حيث ان أهـــل الشام ممن كان مع عبد الله بن علي قالوا له : «كيف نقيم معك وهذا يأتي بلادنا وفيها حرمنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبي ذرارينا ولـكنا نخرج الى بلادنا فنمنعه حرمنا وذرارينا ونقاتله ان قاتلنا »(٢) .

---

(١) الطبري ٤٧٦/٧ ، ابن أعثم الـكوفي ، فتوح ، ورقة ٣٨ ، مجهول ، غرر السير ، ورقة ٦١ ب . الذهبي ، المصدر السابق ٢١٤/٥ ، ابن خلدون،المصدر السابق ٣٨٦/٣،ابن كثير ، المصدر السابق : ٦١/١٠

(٢) الطبري ٤٧٦/٧ ـ ٤٧٧ ، مجهول ، العيون والحدائق ٣ / ٢١٨ ، الذهبي ، المصدر السابق ٢١٤/٥ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، ٦١/١٠ ، د. فاروق ، المرجع السابق ١٤٢/١ .

وكان عبد الله بن علي قائداً عسكرياً ذا خبرة وتجربة قد أدرك ما كان يخطط له أبو مسلم حينما قال لأهل الشام : « والله مايريد الشام ، وماوجه الا لقتالكم ولئن اقمتم ليأتينكم » (١) وقال : « انما قصد المكر بنا فأبوا إلا الشام » (٢) ولهذا أصر أهل الشام على التوجه للشام رغم محاولة عبد الله منعهم وذلك بسبب تأثرهم بخديعة وكلام أبي مسلم الذي قال فيه : « انما ولاني الشام »وأصروا على موقفهم ، قال الطبري : « فلم تطب أنفسهم وأبوالا المسير الى الشام، وارتحل عبد الله بن علي في عسكره متوجهاً الى الشام » (٣) وحالما خرج جيش عبد الله العباسي من نصيبين إذ كشفت خططه التي كان قد رسم لها ، ذلك لأنه أقبل فعسكر قريباً منهم وتحول أبو مسلم حتى نزل في معسكر عبد الله بن علي في موضعه وردم العيون وما كان حوله من المياه والقى فيها الجيف(٤) قاطعاً بذلك عن جيش عبد الله الماء وماكان يهدف اليه . ولما بلغ عبد الله بن علي نزول ابي مسلم معسكره الذي كان فيه قال لأصحابه من أهل الشام : « ألم أقل لكم » واقبل فوجد أبا مسلم قد سبقه الى معسكره فنزل في موضع عسكر

---

(١) الطبري ٤٧٧/٧ .

(٣) مجهول ، غرر السير ورقة ١٦١ ب، ابن خلدون ، المصدر السابق ٣٨٦/٣ .

(٣) الطبري ٤٧٧/٧ ، ومجهول ، العيون والحدائق ٢١٨/٣ .

(٤) الطبري ٤٧٧/٧ ، مجهول ، غرر السير ، ورقة ، ١٦ ب ، مجهول ، العيون والحدائق ٢١٨/٣.

أبي مسلم الذي كان فيه ولذلك فان خروج عبــد الله وجيشه من التحصينات التي أقيمت بنصيبين يعتبر أكبر خطأ وقع فيه بضغط من جنده ، وكانت العلامة المؤشرة للفشل في طريق الثورة ، وذلك لعدم اتخاذهم اية احتياطات دفاعية اضطرارية في حالة خروجهم او فقدانهم لهذه التحصينات الهامة حيث أن عبد الله لم يفكر في مسألة انسحابه من المواقع الحصينة بنصيبين الا في حالة تحقيق انتصارات أو تهيئة الظروف لصالحه وان خسارة عبد الله للتحصينات المهمة لم تكن تفتقر لجيشه الذي أجبره على ذلك ، وخسر عبد الله أيضاً المواد الاقتصادية التي كانت تحت يده ، وأصبح وضعه مرتبكاً فأقبل حتى نزل على أربع فراسخ من نصيبين في موضع ليس فيه ماء إلا ماء الآبار ، فبسط الامان للناس ، ولم يستطع القيام ، بسبب فقدانه للتحصينات العسكرية . وأصبح جيش عبد الله في حالة مكشوفة خالياً من أية تحصينات عسكرية حيث أقام « بباب القادر من أرض نصيبين » (١) وبعد هذه التطورات انتقل أبو مسلم الى مرحلة أخرى من الصراع الا وهو التخطيط للعمليات العسكرية بين كل منهما ، ووقعت الحرب بينهم في نواحي نصيبين فى الموضع المعروف « بدير الأعور »(٢) كان قادة القوتين من ابرز الرجال العباسيين الذين تولوا العمليات العسكرية لقوات الثورة العباسية وأوصلوها الى طريق النجاح . وكان كل منهما

(١) البسوى ، المعرفة والتاريخ ، تحقيق د. اكرم العمري (بغداد ، ١٩٧٤) . م ١ ص ١١٩

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٣٠٢/٣ .

يتردد في خوض غمارمعركة فاصلة ضد الآخر ولذا فقد « انقضت عدة شهورر في المناورة » (١) ويعلق شلبي على هذا الوضع بقوله : « وهكذا تقف وجهاً لوجه قوتان عظيمتان على رأسها أعظم قائدين في ذلك التاريخ » (٢) وروى الطبري أنهم اقتتلوا خمسة أشهر أو ستة (٣) . حيث كان أهل الشام أكثر فرسانا واكمل عدة (٤) . وذلك لانهم كانوا قد ارسلوا للقيام بالجهاد الاسلامي ضد الروم حيث جهزت الدولة هذا الجيش بأكبر قوة عسكرية حتى تستطيع إذ تثبت للروم مقدرة هذه الدولة الجديدة على مقاومتهم وتحقيق الانتصار عليهم ، وكان على ميمنة عبد الله بن علي بكار بن مسلم العقيلي ، وعلى ميسرته حبيب ابن سويد الاسدي ، وعلى الخيل عبد الصمد بن علي في حين كان على ميمنة أبي مسلم الحسن بن قحطبة وعلى الميسرة ابو نصر خازم بن خزيمة فاقتتلوا شهراً ثم جرت بينهم وقعات عديدة وقتل منهم عدة جماعات وصفها الطبري بأنها « ايام نحسات » (٥) وقد اعترف ابو مسلم نفسه بقوة المقاتلة من اهل الشام بقوله « كل قوم في دولتهم اشد

---

(١) جون باجوت جلوب ، امبراطورية العرب (بيروت ،١٩٦٦)ص٤٦٦ .

(٢) شلبي ، المرجع السابق ٣٨/٣ .

(٣) الطبرى ٤٧٧/٧ .

(٤) ن . م ، ٤٧٧/٧ الذهبي ، المصدر السابق ، ٢١٤/٥ .

(٥) الطبري ٤٧٧/٧ ، الكتبي ، المصدر السابق جـ٣ ق١ ورقة١٦٤ب ، ابن خلدون ٣٨٦/٣ ـ ٣٨٧ ، ابن كثير ، المصـــدر السابق ٦٢/١٠ .

الناس . . . »(١) بحيث كادوا أن يهزموا جيش أبي مسلم الذي حاول أن يثبتهم(٢) وناشدهم بقوله (٣) .

من كان ينوي أهله فـــلا رجع　　فر من الموت وفي الموت وقع

---

(١) روى أن هشام بن عمر التغلبي ، وكان في عسكر ابي مسلم قائلا « تحدث الناس يوما فقيل أي الناس اشد فقال : قولوا حتى نسمع ، فقال رجل أهل خراسان ، وقال آخر أهل الشام ، فقال ابو مسلم : كل قوم في دولتهم اشد الناس ، ثم التقينا فحمل اصحاب عبد الله بن علي فصدمونا صدمة أزالونا بها عن مواضعنا ثم انصرفوا ، وشد علينا عبد الصمد في خيل مجردة فقتل منا ثمانية عشر رجـــلا ثم رجع في اصحابه ثم تجمعوا فرموا بأنفسهم فازالوا صفنا وجلنا جولة فقلت لابي مسلم : لو حركت دابتي حتى اشرف على هذا التل فأصيح بالناس فقد انهزموا فقال : افعل ، قلت وانت ايضاً فحرك دابتك فقال : ان اهل الحجى لايعطفون دوابهم على هذه الحال ، ناد ياأهل خراسان أرجعوا . فان العاقبة لمن اتقى قال ففعلت ، فتراجع الناس (الطبري٤٧٧/٧) مجهول غرر السير ورقة ١٦٢ أ ، الذهبي ، المصدر السابق ٢١٤/٥.

(٢) الذهبي ، المصدر السابق ٢١٤/٥ .

(٣) البلاذري ، المصدر السابق ٣١/٤ أ (نسخة لندن ورقة ٩٧٥) الطبري ٤٧٧/٧ . الذهبي ، المصدر السابق ٢١٤/٥ .

ثم نادى منادي ابي مسلم في أهل خراسان فتراجعوا (١) وان عنف الصراع راجع الى انه كان يمثل قمة القوى العباسية المتنازعة وليس من السهولة بالامكان الاقتصار على القوة المضادة ، رغم قوة أهل الشام لعب ابو مسلم في القتال دورا بارزاً فمثلا في اصراره وتخطيطه لمجابهة اعدائه نجد انه عمل له : « عريش فكان يجلس عليه اذا التقى الناس فينظر الى القتال »(٢) كما انه استطاع خلالها ان يتصل في جيش عبدالله الذين بدأوا بالانسحاب عنه شيئا فشيئا (٣)، ولم يتخل ابو مسلم عن خططه الذكية والمراوغة للقوى المضادة له ويعلق الطبري على سياسته هذه بقوله : « وقد مكر بهم » ويقول ابو الفداء . « واجتهد ابو مسلم بأنواع الخداع في قتاله وداموا كذلك »(٤) . ثم التقوا في سنة سبع

(١) البلاذري ،المصدر السابق ٣١/٤ أ (نسخة لندن ورقة ٩٧٥) الطبري ٤٧٧/٧ ، الذهبي ، المصدر السابق ٢١٤/٥ .

(٢) وكان أبو مسلم ينظر من خلال عريشه هـــذا الى القتال فان رأى خللا في الميمنة او في الميسرة ارسل الى صاحبها انه في ناحيتك انتشارا فاتق الاتؤتي من قلبك فافعل كذا ، قدم خيلك كذا او تأخر الى موضع كذا ، فانما رسله يختلف اليهم برايه حتى ينصرف بعضهم عن بعض (الطبري ٤٧٨/٧ ، مجهول ، غرر السير ، ورقة ١٦٢ أ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٤٦٦/٥ ، ابن خلدون ٣٨٦/٣ ـ ٣٨٧ .

(٣) د . فاروق ، العباسيون الاوائل ١٤٢/١ .

(٤) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، جـ١ (القاهرة ،لا . ت) ص ٢١٤ .

وثلاثين ومائة والتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فلما رأى ابو مسلم ذلك مكربهم بعد ان امر الحسن بن قحطبة وكان على ميمنته بتعرية ميمنته وبضم اكثرها الى المسيرة، ثم طلب ان يجعل في الميمنة حماة اصحابه واشداؤهم فقط ، فلما رأى ذلك أهل الشام قاموا بتعرية ميسرتهم وأنضموا الى ميمنتهم بأزاء ميسرة ابي مسلم ثم أمر ابو مسلم ان يأمر أهل القلب ليحملوا على من بقى في الميمنة على ميسرة أهل الشام فحملوا عليهم فحطموهم فاضطرب نظام القلب والميمنة وسيطر عليهم اهل خراسان فمني اهل الشام بهزيمة منكرة (١) وكان لتخطيط ابي مسلم دوره الايجابي الفعال في الحاق الهزيمة بأهل الشام ، ولم يستطيع عبدالله العباسي بعد اختلال توازن قواته ان يفعل شيئا . ذلك لأنه بعد الاندحار نادى بأهل الشام بالانسحاب نحو دمشق ، ولم ينتظر عبدالله لجولة أخرى(٢)وذلك لأنه ادرك عدم جدوى الاعتماد على أهل الشام في نزاعه مع الخليفة وذلك لأن اهل الشام لايمكن ان يخلصوا لشخص عباسي مثله (٣) . ولم يعد عبدالله يفكر في شي الا الهرب ولذلك قال لابن سراقه الازدي : « ياأبن سراقه ماترى ؟ قال أرى والله أن تصبر وتقاتل حتى تموت ، فان الفرار قبيح بمثلك وقبل عبته على مروان ، فقلت

---

(١) الطبري ٤٧٨/٧ ، مجهول العيون ٢١٨/٣ ، ابن خلدون ٣٨٧/٣ الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص٧٠-٧١ .

(٢) د . فاروق ، المرجع السابق ١٤٣/١ .

(٣) د . فاروق ، طبيعة الدعوة ٢٣٩ ، مجلة بين النهرين عدد ٦ لسنة ١٩٧٤ ص٤٩ .

قبح الله مروان اجزع من الموت ففر قال آتي العراق »(١) فهرب الى حران ثم الى الرقة وعبر الى جسر الرقة ثم احرقه وسار في البر الى البصرة(٢) ويبدو وان فشله في اقناع جند الشام بعدم ترك نصيبين قد أفسد عليه خططه المعدة لمجابهة القوات العباسية ضده ويبدو ان سبب اسراعه بترك المسير يعود الى عدم اعتياده الهزيمة ذلك لانه لم ينهزم ولأمرة طوال الصراع العسكري وخدماته الكالة بالنجاح في مجال الثورة العباسية ، ولعدم احتماله لهذه الهزيمة التي مني بها . اضافة الى عدم جدوى مقاتلة ابي مسلم بعدتشتت قواته ، وامر ابو مسلم اصحابه بعد هزيمة عبدالله بالكف عن القتل (٣) ، حيث امر بعدم اللحاق بعبدالله وهكذا أعطاه فرصة للنجاة والاختفاء مما أزعج الخليفة (٤) ولعل سبب تركه ربما يعود الى منحه فرصة سانحة املا في خلق مشاكل للخليفة . وينفرد نظمي زاده بالاشارة الى أن المنصور كان قد اتهم ابا مسلم بأنه كان يشجع عبدالله بن علي على المطالبة بالخلافة وشاع الخبر(٥)

---

(١) مجهول ، العيون والحدائق ، ٢١٩/٣ .

(٢) بلاذرى ، المصدر السابق ٤ / ورقة ٣١ أ (نسخة لندن ورقة ٥٧٩) .

(٣) مجهول ، العيون والحدائق ٢١٩/٣ .

(٤) د. فاروق العباسيون الاوائل ، ١٤٣/١ .

(٥) روي نظمي زاده الى ان ابا مسلم كان يتصل بهم ابو العباس عبدالله ابن علي في ربوع الشام وقالوا ان«ابو العباس»بعد ان قضى على بني=

واطلق أبو مسلم الاسرى ووهب كل اسير أربعة دراهم ولم يقتل الا ابا غسان لشهادته بما تشهد به لعبدالله بن علي ، وكتب للخليفة المنصور يعلمه ان أهل الجزيرة والشام بمواضع من الثغور مشحنة الحدود وانها لا تسدالا بهم وساله الصفح عنها ، واشارعليه باستصلاح وجوههم واصطناعهم(١) .

وهكذا انتهت ثورة عبدالله بالفشل الذريع ، بعد الانتصار العظيم الذي حققه ابو مسلم وكتب بذلك الى المنصور وهرب عبداللهبن علي واخوه عبد الصمد حيث مرا بالرصافة ، فاقام بها عبد الصمد حتى قدمت عليه قوات المنصور وعليها جرور بن مرار العجلي فاخذه وبعث به أسيراً الى المنصور مع مولاه ابي الخصيب حيث أمنه(٢) اماعبدالله

= امية اوصى بأن يكون عمه وليا للعهد ، ونشر ابو مسلم هذه الاخبار بين اهل الشام حتى وصلت مسامع المنصور فتأثر منها ، وحصلت نفرة بين الطرفين ادت الى التخاصم فيما بينهما.نظمي زاده (نجف ،١٩٧١) ص٢٢ - ٢٣ .

(١) البلاذري ، انساب ٤ /٣١ أ (نسخة لندن ورقة ٥٧٩ - ٥٨٠) .

(٢) واخذ عبد الصمد بن علي موثقا بالحديد فقدم على المنصور الذي دفعه الى عيسى بن موسى وكان ولي العهد فأمنه وأطلقه واكرمه وحباه وكساه (الطبري ٤٧٨/٧ - ٤٧٩ ، ابن خلدون ٢٨٧/٣ ، ابن كثير ، المصدر السابق ، ١٣/١٠ د.فاروق السابق ، ١٤٣/١=

فأنه لم يمكث بالرصافة الا ليلة واتجه مع قواده ومواليه حتى قـــدم البصرة على سليمان اخيه وهو عاملها، فآواهم سليمان واكرمهم وأقاموا عنده مختفين (١) لفترة من الزمن وظل مستترا بالبصرة وكاتب سليمان كاتبه محمد بن ابي حكيمة في ذلك ، واستقر الامر على اعطائه الامان وكتب له الامان عبدالله بن المقفع، فانفذ ابو جعفر سفيان بن معاويه بن يزيد ابن المهلب وامره بضغطهم والتضييق عليهم، حتى يشخص بعبدالله بن علي اليه (٢) .وعلى اثر ذلك عزل سليمان بن علي عن البصرة سنة ١٣٩ هـ/٧٥٦م فاختفى عبدالله بن علي واصحابه فكتب المنصور الى سليمان واخيه عيسى بامان عبدالله وقواده فارسلوا وجيء به الى بغداد حيث سجن في القصر (٣) وبقي الى ان قتل في ظروف غامضة (٤) .

نتائج ثورة عبدالله بن علي :

لقد كشفت الثورة عدداً من الحقائق التاريخية ، يمكن أجمالها بما يأتي :

ان الثورة سببت في تعميق الخلاف بين المنصور وابي مسلم وتبلور

=وروى ان الذي استأمنه اسماعيل بن علي الطبري ٧ / ٤٧٩، مجهول ، العيون والحدائق ٣/٢١٩ ، ابن خلدون ٣/٣٨٧ .

(١) الطبري ، ٧/٤٧٩ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ٣/٣٨٧ ـ ٣٨٨ ابن كثير ،المصدر السابق ، ٦٣/٦٠ .

(٢) الجهشياري ، المصدر السابق ص ١٠٣ .

(٣) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ٣/٣٩٤ .

(٤) راجع الملحق الخاص عن مقتل عبدالله بن علي

هذا الخلاف بحيث أصبح ظاهراً بيناً ، وذلك لان الثورة تظهر هنا مدى تدهور العلاقة بين الخليفة وابي مسلم (١) وذلك لان الحسن بن قحطبة كان يكتب للخليفة عن تصرفات ابي مسلم واستهزائه بكتب الخليفة التي تتوارد اليه وبعث كتابا مع مسلم بن المغيرة الى ابي ايوب الحوراني يعلمه انه لما يرمي الكتاب الى ابي نصر فيقرأه ويضحكان استهزاءاً (٢) كما انه بعث للخليفة يقول : « يا أمير المؤمنين ان الشيطان الذي كان ينفخ في رأس عبدالله بن علي قد انتقل الى رأس ابي مسلم والسلام »(٣) .

كما ان الغنائم التي تخلفت عن الحرب ساهمت في تعميق الخلاف بينهما ، وذلك لان ابا مسلم استولى على خزائن عبدالله وكانت عظيمة حيث انها اشتملت على ذخائر بني امية ونعمتهم (٤) ، وكانت ثمينة للغاية ومتنوعة وقد علم المنصور ان ذخائر جميع بني امية من الاموال والجواهر قد صارت الى عبدالله بن علي ، فغضب لذلك غضباً شديداً(٥) . ويبدو ان ابا مسلم أراد ان يستأثر بها لنفسه ، وكذلك رجاله الذين طلبوا اليه

---

(١) د . فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ص٢٣٩ .

(٢) البلاذري ، انساب ، ٤ / ورقة ٤١ أ - ب (نسخة لندن ورقة ٦٢٧ / الطبري ٤٨١/٧ ، ابن الاثير ، الكامل ٤٦٩/٥ .

(٣) ابن اعثم الكوفي ، فتوح ، ٣٥ ، مجهول ، غرر السير ، ورقة ١٦٣ أ .

(٤) الديار بكري ، تاريخ الخمس ، ٣٢٥/٢ .

(٥) الطبري ٧/ ٤٨١ - ٤٨٢ .

أن يخرج منها الخمس للخليفة ،محتجين على ما أراد الخليفة ان لايعتبرها غنيمة قائلين :« نحن ولينا امر هذا الرجل وغصبناه عسكره فلم يسأل عما في ايدينا انما لأمير المؤمنين من هذا الخمس »(١) ويعلق د .فاروق على موقف القادة هذا بأنه تنازل الخليفة لذلك الموقف عن سهمه ووعدهم ان يضاعف لهم الجزاء ، ويوضح بأن النزاع على الغنيمة كان من بين عوامل الصراع بين المقاتلة العرب والخليفة الاموي ،والتي استغلها الدعاة العباسيون ، وقد هاجم ابو سلمة وابو العباس الامويين لتقتيرهم على الجند ، وان الحادثة تضيف دليلا على ان غالبية الجيش الخراساني كانوا من العرب ،حيث كان صوتهم نفس صوت المقاتلة العرب الامويين بخراسان حول تقسيم الفيء والغنيمة (٢) وقد ارسل الخليفة رسولا الى ابو سلم لاحصاء الغنائم وهو مولاه ابو الخصيب(٣) في حين نستدل من رواية خليفة أن ابا جعفر ارسل اليه وفدا فيهم اسحق بن مسلم العقيلي ويقطين ابن موسى ومحمد بن عمرو التغلبي ويبدو ان يقطين كان هذا المتحدث بأسمهم جميعاً (٤) وان ابا مسلم اساء استقبال يقطين بن موسى(*)

(١) الطبري ٧/ ٤٨١ ـ ٤٨٢ .

(٢) د . فاروق العباسيون الاوائل ١/ ١٤٣ ـ١٤٤ .

(٣) البلاذري ، المصدر السابق ٤ / ورقة (٤١أ - ب(نسخة لندن ورقة ٦٢٧) الطبري ٧/٤٧٨ .

(٤) خليفة ، تاريخ ٢/٣٣٦ .

(*) روى المسعودي : « انه لما دخل يقطين على ابي مسلم قال: السلام عليك يا امير المؤمنين ، قال : لاسلم الله عليك يا ابن اللخناء :أؤتمن =

وذلك حينما سلمه كتاب أبي جعفر اليه والذي كان نصه «احتفظ بما في يدك من الاموال ....»(١) الامر الذي اثار ابا مسلم الذي قال:« ... أؤتمن على الدماء ولا أؤتمن على الاموال....»(٢) ثم شتم ابو مسلم ابا جعفر (٣) وقال : «افعلها ابن سلامه (٤) ، وأستخف باسحق بن محمد ومحمد بن عمرو(٥) ، وفي رواية انه اعتدى على رسول الخليفة ابن الخطيب وهم بقتله (٦) ولهذا فقد أغتر ابو مسلم بنصره هذا ولذلك عزم على التوجه الى خراسان (وهو مجمع على الخلاف وخشي الخليفة من تصرف ابي مسلم هذا حيث بعث اليه كتابا مع يقطين بن موسى نصه : «اني وليتك مصر والشام فهي خير لك من خراسان ، فوجه الى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين ، فان احب لقاءك اتيته

= على الدماء ولا أوتمن على الاموال ؟ فقال له :وماأبدى هذا منك أيها الامير ؟ قال : ارسلك صاحبك يقبض مافي يدي من الخزائن فقال له : امرأتي طالقا ثلاثا انكان امير المؤمنين وجهني اليك لغير تهنئتك بالظفر ، فاعتنقه ابو مسلم واجلسه الى جانبه ، فلما انصرف قال لاصحابه ، والله اني لأعلم انه قد طلق زوجته ثلاثا ولكنه وافى لصاحبه (المسعودي ، مروج الذهب ، ٣٠٢/٣) .

(١) الطبري ٤٨٢/٧ ، ابن الاثير ٤٦٩/٥ ، الازدي ، ١٦٤-١٦٥.

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ٣٠٢/٣ .

(٣) الطبري٤٨٢/٧ ، ابن الاثير ٤٦٩/٥، الازدري ، ١٦٤-١٦٥ .

(٤) بلاذري ،٤٠/٤١أ - ب (نسخة لندن٦٢٧) .

(٥) حيث انه استخف بهما وشتمها وتناول ابو جعفر بلسانه حتى ذكر امه

(٦) يروي الطبري ان ابا مسلم اعتدى على رسول الخلفية ابي الخصيب اذ هم بقتله فكلم فيه، وقيل انما هو رسول فخلى سبيله... (الطبري٤٨٢/٧)

مني أريب ، فلما أتاه الكتاب غضب،وقال : هو يولني الشام ومصر ، وخراسان لي»(١) وقد عزم ابومسلم التوجه الى خراسان ، ثم كتب اليه الخليفة وهو بالزاب بالمسير اليه ، فكتب اليه أبو مسلم : « لم يبق لامير المؤمنين اكرمه الله عدواً الا مكنه الله منه،وكنا نروي عن اهل ساسان انهم قالو: اخوف مايكون الوزراء اذا سكنت الدهماء فنحن نافرون من قربك حريصون على الوفاء بعهدك ماوفيت حريون بالسمع والطاعة غير انها من بعيد حيث تقارنها السلامة فان ارضاك ذلك فانا كأحسن عبيدك فان ابيت الا تعطي نفسك ارادتها نقضت ماأبرمت من عهدك ضنا بنفسي(٢)» ويعلق د. فاروق على الرسالة بانها تشكل تطورا جديدا في العلاقة بين الخليفة وابي مسلم الذي يظهر تبرمه بسلطة الخليفة وسياسته تجاه اولئك الذين خدموا الدعوة العباسية حتى أوصلوها للانتصار، علما بانها

= وقال ويلي على ابن سلامة فانصرفوا الى ابي جعفر فاخبروه بخبر فزاد ذلك مما في قلبه (اليعقوبي ، تاريخ ٢ /٣٣٦ ، ابن اعثم، فتوح ورقة ٣٢) .

(١) الطبري ٤٨٢/٧ ، الاثير المصدر السابق ٤٦٩/٥ ، الازدى ، ١٦٤-١٦٥ .

(٢) الطبري ٤٨٢/٧ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٤٦٩/٥ ، الازدى ١٦٤ - ١٦٥ .

مذكورة في مصدر قديم موثوق كالطبري ، كما انه ربما سمح لنفسه وقد صمم على عودة لارجعة بعدها الى خراسان واستمر المنصور في محاولته حتى استدرجه ونجح في مسعاه ثم وفد عليه حيث استجوبه على عدد من القضايا (١) ويقدر مايتعلق الامر بموضوعنا ، فان المنصور سأله عن سيفين اصابهما لعمه عبدالله بن علي وكان ابو مسلم متقلدا احدهما فقال ابومسلم : «هذا احدهما فقال المنصور : أرنيه فانتضاه ابو مسلم وناوله اياه»(٢) ثم سأله عن اموال عبدالله بن علي فاجابه ابو مسلم انه وزعها على الجند في سبيل عضد الدولة العباسية (٣) وكل مانقوله ان ثورة عبدالله بن علي قد اسهمت في مساعدة الخليفة في القضاء عليه بعد ان اتضحت له حقيقة مماطلات ابي مسلم والتي كان الخليفة مطمئناً عليها مسبقا حيث كان منذ فترة مبكرة يفكر في ايجاد وسيلة للتخلص منه (٥).

ويمكن ان نضيف نتيجة اخرى الا وهو حدوث انقسام في صفوف

---

(١) راجع د. فاروق . طبيعة الدعوة العباسية ٢٤٤-٢٤٥ ، العباسيون الاوائل ١/٨٨-٩٤ .

(٢) المكي ، سمط النجوم العوالي ٢/٢٥٠

(٣) د. فاروق ، العباسيون ١/١٤٤ .

(٤) راجع . د فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، الفصل السادس ، ٢٣٩ - ٢٥٥ ، العباسيون ١/٨٨ - ٩٤ .

البيت العباسي لم تكن معروفة مسبقا هدفها السلطان اولا واخيراً ، ذلك السلطان الذي سعى اليه عبدالله العباسي وأيده وخاصة أخيه عبد الصمد ، اذ انها أول ثورة يقوم بها شخص عباسي بذل جهده وحياته في انجاح الدعوة والثورة العباسية (١). وكان من نتيجة ذلك فقدان الخلافة العباسيه لشخصية مرموقة كشخصية عبدالله ، الذى سجن وقتل في ظروف غامضة ، اضافة الى فقدان الخلافة لعدد من رجالها الذين قتلوا في المعارك بين الجيشين وخاصة المكي الذي كان ينوب عن ابي جعفر بالجزيرة . اما بالنسبة لاصحاب عبدالله بن علي فقد توزعوا بين الحبس والقتل وبعث بعضهم الى ابي داود خالد بن ابراهيم بخراسان فقتلهم بها(٢) وبالنسبة لاهل الشام فقد ذهب من اشرافهم وفد للاعتذار عما حدث الى الخليفة المنصور ووصفت هذه البعثة حركة عبدالله ابن علي العباس على انها « فتنة » أغرت أهل الشام وأوقعتهم في شباكها وقد قبل الخليفة عذرهم واعاد اليهم املاكهم وضياعهم التي كان قد صادرها منهم (٣) يروي الازدي انه في سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م قدم وفد من اهل الشام وفيهم الحارث بن عبد الرحمن الذي قال « اصلح الله امير المؤمنين انا لسنا وفد مباهاةولكنا وفد توبة ، وانا قد ابتلينا بفتنة استفزت كريمنا واستخفت حليمنا ، فنحن بما قدمنا معترفون ، ومما

(١) فاروق ، العباسيون الاوائل ، ١/١٤٣-١٤٤ ،

(٢) ابن خلدون ٣/٣٩٤ .

(٣) الازدى ، تاريخ الموصل ، ص١٦٧ .

سلف منا متعذرون فان تعاقبنا فيما اجترمنا ، وان تعف عنا فبفضلك علينا ، أصفح عنا اذ ملكت وأمن علينا إذا قدرت ، واحسن اذا ظفرت وطالما احسنت ، فقال أبو جعفر : قد فعلت (١) » .

وعفا المنصور عن بعض الشخصيات وكافأ بعضها الاخر فمثلا مالك ابن الهيثم الخزاعي قاتل ضد عبد الله بن علي ، ولكنه كان يشارك أبا مسلم الخراساني في الضحك والاستهزاء بكتب المنصور التي كانت تصل اليهم وهم في مواجهة عبد الله بن علي ، وقد امنه الخليفة واسترضاه بعد أن هرب وألقي القبض عليه ، حينما عزم التوجه الى خراسان ، ثم استعمله على الموصل(٢) .

وكشفت الثورة مميزات وخصائص تركيب الجيش الخراساني الذي بجهوده قامت الدولة العباسية ، ذلك أن الكثير من القادة الخراسانية في كلا المعسكرين يحملون اسماء عربية خالصة ، كما وان بضم عبد الله بن علي للمقاتلة من أهل خراسان مع المقاتلة اليمانية في قائمة عطاء واحدة يدل بدون شك على ارتباطهم الوثيقة باليمانية ، بل انهم في غالبيتهم من القبائل اليمانية(٣) يقول صاحب الامامة والسياسة « ان عبد الله ابن علي استنجد بأهل خراسان واغراهم بالمال والجوائز وضمهم في العطاء الى اليمانية ولكنه عاد وقتلهم » (٤) .

---

(١) الطبري ٤٩٣/٧ ابن الاثير ٤٦٩/٥ .

(٢) راجع الطبري ، في ٤٩٣/٧ ـ ٤٩٤ ابن خلدون ، ٣٩٢/٣ ـ ٣٩٣.

(٣) د. فاروق ، العباسيون الاوائل ، ابن الاثير ٤٦٩/٥ .

(٤) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ١٤٤/٢ ـ ١٤٥ .

ولكن اهم مافي الثورة انها ثورة أهل الشام على العباسيين ويرى د . فاروق أن هذه الميزة الاخرى هي أهم مافيها ذلك لان أهل الشام في الحقيقة استغلوا عبد الله العباسي ليعبروا عن سخطهم ضد الدولة الجديدة(١) ذلك لان للانتصار العباسي هـذا قد اعاد الى الاذهان الانتصار الخراساني بالزاب على الامويين،اذا ماعلمنا أن جيش عبد الله بن علي كان عماده الاساسي هم أهل الشام ، ويقول د. فاروق « استطاع اهل خراسان مرة أخرى ان يذيقوا أهل الشام هزيمة منكرة ولكن أبو مسلم أعلن الامان والعفو ولم يتعقب ويضطهد احداً كما وان المدن السورية لم تنهب وتسلب »(٢) وبذلك منيت المعارضة الاموية مرة اخرى بالفشل ، اضافة الى فشلها في حركات ١٣٢ ـ ١٣٣هـ .

ثورة السفياني(*)(سنة ١٩٥ هـ / ٨١٠م)

كانت هذه الحركة آخر ماقامت به حركات المعارضة الاموية في العصر العباسي الاول حيث قام علي بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بالشام فدعا لنفسه بالخلافة وذلك في ذي الحجة سنة ١٩٥ هـ / ٨١٠م وقد

(١) فاروق . العباسيون الاوائل، ٨٧/١

(٢) ن . م . ١٤٣/١ .

(*) هو علي بن عبد الله بن خالد بن الخليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وأمه نفيسة بنت عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب ، ويكنى أبا العميطر السفياني ، (ابن الاثير ٢٤٩/٦، =

تمكن من ان يطرد سليمان بن ابي جعفر بعد أن حصره بدمشق وكان عامل الخليفة محمد الامين عليها فلم يفلت منه الا بعد جهد كبير ، فوجه اليه الخليفة الامين الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان فلم يتمكن من الوصول اليه ، ومع ذلك فانه وصل الى مدينة الرقه حيث اقام بها ولم يسير الى دمشق(١) ويبدو ان هذه الرواية ناقصة ومبتورة ، فمع أن مؤشر الثورة في المنطقة كان يتجه الى الجزيرة فان اسباب عدم وصول ابن ماهان وكذلك اسباب اتجاهه الى الرقة واستقراره فيهما غير واضحة ومبررة . فاذا ادخلنا في الحساب ما لابد من الاشارة اليه وهو أن الثورة قد بدأت بالشام ، أصبحت هذه الرواية مربكة وناقصة وتشير المصادر الى ان الخليفة الامين قد ارسل قوة عسكرية كبيرة للقضاء على هذه الحركة وان القوة قد عسكرت في الرقة ولم تتوضح

= الذهبي ، العبر في خبر من غبر ج١ (الكويت ، ١٩٦١) ٣١٧ـ ٣١٨ وكان يقول أنا ابن شيخي صفين يعني عليا ومعاوية (ابن خلدون ، العبر ، ٤٤٩ ـ ٥٠٠) وذلك لانه كان ينتسب لبني أمية من جهة أبيه ولال أبي طالب من جهة أمه ، وكان أكثر اصحابه من كلب (فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ١٦٤/٢) وكان عمر ابن العميطر حينما خرج تسعين سنة وكان الناس قد اخذوا منه علما كثيراً وكان حسن السيرة ، فلما خرج ظلم وأساء السيرة فتركوا مانقلوا عنه (ابن الاثير ، المصدر السابق ٢٤٩/٦ .

(١) الطبري ٤١٥/٨ ، ابن الاثير ٤٩/٦ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ٥٠٠/٣ .

الاسباب التي حالت دون وصولها(١) ، اما ابن خلدون فيصف السفياني بأنه كان من أهل العلم والرواية للحديث وانه كان قد دعا لنفسه بالخلافة وانه مولى لبني أمية اسمه الخطاب بن وجه الفلس قد ساعده بدعوته هذه وكان هذا متغلباً على صيدا(٢) كما أتيح له فيما بعد ان يحتل دمشق وأنه قد أيد سليمان بن المنصور وان اكثر اصحاب السفياني من ذوي الميول الاموية الهوى والنزعة . وتشير المصادر الى انه كتب الى محمد بن صالح بن بيهس يدعوه الى طاعته ويتهدده بسوء العاقبة ان هو خالفه غير ان مراسلاته هذه كما يبدو لم تجد نفعاً اذ ان الاخير قد اعرض عنه .

ثم أقبل السفياني على قصد القيسية ، وبعث الى محمد بن صالح فأقبل اليهم في ثلاثمائة فارس ، واتصل الخبر بالسفياني فبعث اليه يزيد بن هشام محمد بن صالح وجيشه في اثنى عشر ألفاً غير أنه لم يتمكن منهم اذ هزم وقتل من اصحابه الفان وأسر ثلاثة آلاف اطلقهم ابن بيهس فانهزموا وقتل المعتمر - وهو أحد رجال السفياني - كما أدى الى طمع قبيلة قيس فيه ثم ان ابن بيهس مرض فجمع رؤساء بني نمير وأوصاهم ببيعة مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعد . . . ابن عبد الملك بالخلافة وقال لهم « تولوه وكيدوا به السفياني

(١) ابن الاثير ، ٢٤٩/٦،الذهبي،العبر في خبر من عبر، جا /٣١٧ - ٣١٨.
(٢) ابن خلدون ، العبر٣/ ٥٠٠ - ٥٠١ .

امير وأوصاهم ببيعة مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعد . . . ابن عبد الملك بالخلافة وقال لهم « تولوه وكيدوا به السفياني فانكم لاتثقون بأهل بيته » (١) وعاد ابن بيهس الى حوران فاجتمعت بنو نمير على مسلمة فبايعوه ويبدو ان مسلمة كان متفقاً مع السفياني اذ انه قتل منهم وجميع مواليه ودخل على السفياني فقيده وحبس رؤساء بني امية وادنى القيسية وجعلهم بطانته . ويبدو ان صحة ابن بيهس قد تحسنت وانه بعد ان اكتشف ماجرى قام بالهجوم على دمشق وحاصرها ولم يستطع مواصلة الحصار فاقدمت القيسية على تسليمها له في محرم سنة (١٩٨ﻫ /٨١٠م) بدون شروط كما يظهر اذ ان ذلك قد أدى الى هرب مسلمة والسفياني ولجوئهم الى المزة (*) وملك ابن بيهس دمشق الى ان قدم عبدالله ابن طاهر الذي حمل ابن بيهس معه في طريق عودته من مصر الى العراق حيث كانت وفاته هناك (٢) . ويمكن اعتبار حركة السفياني بأنها آخر نشاط المعارضة الاموية خلال العصر العباسي الاول ولقد حققت حركة السفياني بعض النجاح في البداية الا أنها فشلت كمثيلاتها حيث تظافرت اسباب متعددة في وصولها الى هذه النتيجة .

---

(١) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢٤٩/٦ ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ٥٠٠/٣ .

(٢) هو مسلم بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعيد بن مسلمة بن عبد الملك (ابن الاثير ٢٥٠/٦) ، ابن خلدون ، المصدر السابق ٥٠٠/٣ ـ ٥٠١ .

(*) المزة : احدى القرى الكبيرة وسط بساتين دمشق بينهما ٢/١ فرسخ (الحموي ، معجم البلدان ، ٥٢٢/٤)

أسباب فشل حركات المعارضة الاموية :

عند البحث في الاسباب التي اعاقت نجاح اي من هذه الحركات المعارضة في تحقيق اهدافها فان الباحث لايستطيع ان يسلط الاضواء على سبب معين او عدد من الاسباب ، وان يهمل بقية العوامل المؤثرة بشكل مباشر او غير مباشر .

ويمكن القول بأن هناك جملة عوامل اثرت في ظروف معينة وخلال فترات زمنية محددة بكيفية ما اسفر عنها ذلك الفشل غير اننا يمكن ان نتحدث عن اسباب مختلفة متداخلة متغيرة اسهمت في ذلك ولعل في مقدمتها ضعف او انعدام التخطيط السليم وعدم وجود التنظيم المدروس وبما نجم عن ذلك ان تظهر جملة حركات كان لها اثرها الفعال في ارباك الدولة غير ان عدم وجود الترابط والتنسيق جعلها تحصل في فترات متباعـــدة او مناطق متباعدة نسبياً مما هيأ للدولة العباسية فرصا طيبة في القضاء عليها وحرم الحركات المعارضة فرصا ذهبية للنصر ، ثم ان كلمة الثوار لم تكن واحدة رغم ان الثورة قامت في مختلف مناطق الجزيرة كالرقه وحران ودارا والرها وسميساط ورغم اشتراك نسبة عالية جداً من سكان الجزيرة فقد قدر عدد المشاركين في احدى الحركات بأنهم كانوا « ستين الف جيمهم من أهل الجزيرة »(١) غير ان تفرقهم كان واضحاً للعيان وتؤكد المصادر صراحة بأن المشاركين في هذه الحركات « ليس عليهم رئيس يجمعهم»(٢) كما ان ظهور بعض الشخصيات القوية نسبياً مثل اسحق بن مسلم لم يؤثر في توحيدهم ولم يبرز دورالقيادة بشكل واضح في تلك الحركات

(١) الطبري ٤٤٧/٧ .

(٢) ن٠م٠ ٤٤٧/٧ ، راجع د. فاروق الخلافة العباسية ، ص٢٧٤ .

من اجل تحقيق ذلك التوحيد . واذا كان عمل سكان اهل الجزيرة في تحقيق النصر تمثل في اعتمادهم على اسحق بن مسلم فان هذا لم لم يكن له هدف واضح في القتال ولعل اكبر دليل على ذلك من اقدامه على ايقاف القتـال حالما علم بوفاة مروان حيث اصبح هدفه الوحيد كما يبدو وهو الحصول على الامان ثم ان موقفه تغير جذرياً من الخليفة حتى ان بعض المصادر تشير الى توثق علاقته بأبي جعفر المنصور « حتى آخر ايامهما » (١) .

ان عجز الثوار وافتقارهم للقيادة الحكيمة التي تستطيع ان تجاري الاحداث ومتطلباتهـا كان من العوامل المهمة التي ادت الى الفشل ، ومع اهمية دور اسحق بن مسلم في الحركات فانه لم يكن له دوراً في القيـــادة وربما ادت تصرفاته في بعض الاحيان الى الارباك فقد ادى انسحابه من محاصرة حران الى خيبة أمل كبيرة بين المعارضة الاموية حيث كان من المؤمل منه ان يواصل الحصار وان يتصدى بكل حزم لمواجهة العناصر المضادة للثورة المتمثلة بالقوات العباسية التي تجمعت للقضاء على الثورة .

وبجانب ذلك فقد ادى التشتت الفكري دوره في اضعاف جانب المعارضة فقد اختلفت الآراء بخصوص دخول الخوارج بزعامة بريكة الى جانب الثوار أضف الى ذلك ان التنـاقض في الصراع الفكري والعقائدي فيما بين الخوارج وجماعات المعارضة الاموية كان واضحاًوان ذلك ادى احيانا الى حالات صراع عنيفة بين انصار المعارضة .

(١) أديب السيد ، ارمينيا في التاريخ العربي ص٢٠٤ ، د. فاروق ، الخلافة العباسية ، ص٢٧٤ .

ويبدو ان تخوف الثوار من المواجهة الفعلية مع القوات العباسية كان ظاهرة لازمت حالات الصراع وربما كانت انعكاساً للانهيار المعنوي الشامل الذي اصاب القوى الاموية في اعقاب الانتصارات العباسية فلم يكن الثوار على ثقة من انفسهم مما ادى الى تقصيرهم في مواجهة القوات المعادية ، في حين كانت معنويات القوات العباسية عالية بجانب الاستعدادات والامكانات التي تهيؤها دولة جديدة في عنفوان قوتها خاصة وان انتصاراتهم السابقة على الامويين رفعت من معنوياتهم وكانت على الامويين وانفعالهم ومعزز لارادتهم هذا من ناحية الثقة بالنفس ، اما من ناحية القوى العسكرية فنرى ان هذه الثورات قد حصلت بشكل عفوي غير مخطط له وانها نتيجة لذلك لم تستطيع استغلال الامكانات التي تهيأت لها والظروف المتاحة وربما كان لضعف القائمين عليها وانعدام مقدرتهم او كفاءتهم العسكرية بشكل عام اثر في ذلك .

ومن جهة ثانية فان التطور والانتقال الذي حصل في مراكز متعددة لقيادة الثورة تسبب عن تبدل في ستراتيجية الهجوم والدفاع مما اضاف الى الارباك الحاصل عن ضعف القيادة واختلالها .

أضف الى ذلك ان عدداً من كبار قادة الجيش العباسي قد اسهموا في قيادة الهجوم المضاد كعبد الله بن علي - قبل ان يقوم بثورته ضد العباسيين - واخيه عبد الصمد وابي جعفر المنصور وحميد بن قحطبة الطائي وموسى بن كعب ولم يدع هؤلاء اي فرصة الا واشغلوا فيها الثوار مما لم يدع لهم مجال للتفكير والاستعداد والتنظيم والتنسيق .

فاذا تذكرنا قوة الجيش العباسي الجديد وأندفاعه وخبرته القتالية وايمانه ومعنوياته العالية بعد ان قضى على كيان دولة قائمة واقام دولة هاشمية جديدة في مقابل المعنويات المنهارة وعقدة الهزيمة التي أصيبت بها القوة الاموية ادركنا حقيقة ماحصل والقينا الاضواء الكاشفة لاسباب الفشل الذي منيت به هذه الحركات اضف الى ذلك فان استمرار الامدادات للقوات العباسية وغزارتها جعل المعارضة وحركاتها تواجه ظروفا يعجز الثوار عن مواجهتها .

واخيراً يمكن ان نلاحظ بأن انعدام وجود قيادة موحدة تستقطب الحركات ويوجهها يمكن ان يضاف الى اسباب الضعف والفشل التي منيت به حركات المعارضة . ولعل العبادي قد أصاب قلب الحقيقة في وصفه حركات المعارضة بانها «ثورات اقليمية متفرقة» (١) وانها وان كانت تبدو وكأنما تتجه الى الاقتراب من المركز الجديد للخلافة في خط سيرها فان النقص الواقع في التنظيم وفي التضامن بين مختلف الحركات المعارضة من جهة ثانية قد اسهم في اضعافها وفي تمكين قوى الخلافة العباسية في سحقها في النهاية .

نتائج حركات المعارضة الاموية :

لقد أثبتت الخلافة العباسية قدرتها وقابليتها على توخي الصدمات الخطرة بل انها خرجت قوية معززة بعد بواكير صراعها مع خصومها بحيث انها تمكنت من اعادة النظر في علاقاتها بالامويين بشكل عام

(١) احمد مختار العبادي ـ في التاريخ العباسي والفاطمي ،ص٤٤ .

شرقي جهة وفي بعض مراكز القوة التي تطورت ضمنها من جهة أخرى .

فتشير الاخبار الى ان الخلافة العباسية واصلت استعمال منتهى العنف والشدة تجاه الامويين وان ذلك لم يقتصر على المساهمين في الحركات المناوئة بل تعداه الى المسالمين منهم أو الذين تربطهم بالعباسيين اوثق الروابط ، ويذكر الطبري مثلا اخبارا عن توجيه ابي جعفر المنصور فيما بعد عبدالله البختري الخزاعي باوامر صريحة بقتل عدد من رجالات الفترة السابقة منهم ابن هبيرة وابنه - وكان قد منح لهم الامان - ورياح بن ابي امية المختصص بالزراعة واستصلاح الاراضي وعبدالله بن الحجاب الكاتب في الديوان وداود بن يزيد بن عمر بن هبيرة وغيرهم (١) ، هذا في نفس الوقت الذي مهدت فيه ظروف الانتصار والاستقرار السبيل للخلافة العباسية ان تقضي على بعض مراكز القوى الجديدة ويمكن ان يعتبر التخلص من ابي سلمة الخلال ثم عبدالله بن علي واخيراً من ابي مسلم الخراساني من النتائج غير المباشرة التي تحققت عن الظروف التي هيأها انتصار العباسيين على تلك الحركات الاموية (٢) .

ولم تكن الاحداث الجارية هذه وغيرها في مسرح الجزيرة خافية على الدولة البيزنطية فقد كان الروم يراقبون الاوضاع الجارية بدقة واهتمام وقد شعر الامبراطور ليون الرابع بان الوقت قد حان لتصفية الحساب مع جيرانه المسلمين وقد اراد ان يوجه ضربة عنيفة للدولة الاسلامية

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ص١٤٠ .
(٢) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٢٠٦/٥ .

عن طريق ضرب الاقليم الذي تربطه بالدولة البيزنطية علاقات تاريخية قديمة فقد كان على الدوام قبل الفتح الاسلامي واقعا تحت نفوذ الامبراطورية البيزنطية . فقدم ليون الرابع على رأس جيش كبير فحاصر مدينة كمخ وملطية(*) وهما من الثغور وبعدأن ضيق الحصار عليهما لم يستطيع سكانهما الاستمرار في تحمل سوء الاوضاع الاقتصادية التي حصلت نتيجة حصار عنيف ، ولم تتمكن الخلافة من الاسراع في انجادهما وفك الحصار عنهما لانشغال قواتها بحرب اسحق بين مسلم العقيلي الذي مر ذكره ، حيث كان موسى بن كعب بحران مشغولا بمواجهة الاضطراب هذا وقال البلاذري :«والجزيرة يومئذ مفتونة » (١).

وقد أدى ذلك الى استسلام المدينتين على شرط سلامة سكانهما واخلائها حيث تم بعد ذلك هدمهما .

لقد اتخذ العباسيين الاحتياطات الكفيلة للمحافظة على الامن في الاقليم في أعقاب هذه الحركات والاضطرابات السائدة وبالفعل فقد تمكنوا من ان يقضوا على كل محاولة اموية للتمرد في الجزيرة وهكذا شهدت الجزيرة فترة خفوت صوت النزعة الاموية باستثناء بعض الحركات الفردية التي قامت في الشام في فترتين متباعدتين من القرن الثاني الهجري سنتي (١٣٧ هـ /٧٥٤ م- ١٩٥هـ/٨١٠م)وكان لها تأثير غير مباشر

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ١٩٠ - ١٩١ ، ابن خلدون ،المصدر السابق ٢٧٩/٣اديب السيد ، المراجع السابق ،ص١٠٥ .

(*) هما من الثغور الجزرية (راجع ، الجانب الاداري من الاطروحة)

علي الوضع في الجزيرة فأن المصادر لاتقدم أي معلومات عن حركات مماثلة حصلت في المنطقة في فترة أخرى تالية .

ولعل في اجراءات السلطة المركزية في اعقاب هذه الاضطرابات مايشير الى شدة اهتمامها في المنطقة ورغبتها في عدم تكرار ماحصل فلقد قامت الخلافة العباسية بانتقاء القديرين من رجالها خاصة من امراء البيت العباسي لادارة هـــذا الاقليم وعززت كفاءتهم بارسالها للفرق الخراسانية الموالية للبيت العباسي في معيتهم من اجل ضمان الولاء والقدرة على التصرف السريع اذا ماتطورت الاوضاع بسرعة .

ومن جهة اخرى فان الخلافة العباسية التزمت سياسة انشاء الحصون والقلاع والمدن الستراتيجية وحشدت القوات النظامية الموالية فيها في الوقت الذي حاولت فيه كسب ود القبائل الجزرية والشامية من اجل ضمان استتباب الوضع ، ولعل في الزيارات المتكررة التي باشرها الخلفاء العباسيون الاوائل لاقليم الجزيرة ما يعكس استقرار النظرة العباسية وشدة الاهتمام بالجزيرة ضمانا لمصلحتهم في الاستقرار والسلام(١) .

وأخيراً فان الحركات الموالية للأمويين لم تهدأ في القرن الثالث الهجري بل كانت شوكة في جنب العباسيين (٢) .

---

(١) راجع الجانب الاداري من الاطروحة .

(٢) د . فاروق ، الفوضى العسكرية ، بغداد ، ١٩٧٤) ص ١٤٣ ومابعدها .

الفصل السابع

حركات معارضة متفرقة

المعارضة القبلية في الجزيرة الفراتية وموقف الولاة

والخلفاء منها

لقد أثارت قبائل الجزيرة الفراتية الكثير من المتاعب للعباسيين ، والى حدما للأمويين قبلهم أيضاً ،حيث توجد عدة عوامل كانت تدفع هذه القبائل ، لخلق وضع غير مستقرفي الاقليم ، فأهمها عامل التعصب القبلي ، والعامل السياسي ، فمثلا في المواقف المتنوعة لبعض الخلفاء تجاه عدداً من القبائل ، نجد ان سياستهم كانت ايجابية من قبائل معينة وسلبية من اخرى (*) ، ويتجلى ذلك في محاولة القبائل تحسين وتطمين

(*) كان الخليفة معاوية مؤسس الدولة الاموية رفع عرشه على اكتاف اليمانية ثم سيطرت كلب على قيس في مرج راهط فاستقرت ولاية مراون بن الحكم ، وفى عهد الوليد الاول علا نجم قيس على يد الحجاج ، اما سليمان أخو الوليد فانه مال الى اليمانية ، ثم جاء يزيد الثاني فراعى القيسية متأثرا بميول امه المضرية ، ومثله فعل الوليد الثاني ، اما يزيد الثالث فقد مال الى اليمانية ، وهكذا فقد اصبح الخليفة في اواخر العهد الاموى زعيم حزب خاص اكثر من كونه ملكا لدولة موحدة الاجزاء (حتي ، تاريخ العرب المطول ص ٣٥١) وبعد فترة هدوء نسبى للعلاقات القبلية في اعقاب حكم عبد الملك وبداية القرن الثاني الهجرى ، نجد ان

مصالحها لدى الانظمة الحاكمة ، والعامل الاقتصادى كذلك والذي يتمثل في الصراع بين القبائل للسيطرة على الموارد الاقتصادية كالمياه والمراعي ، وكذلك الامتناع عن دفع الزكاة المفروضة عليها كما

= الخلفاء الذين خلفوا يزيد الى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز كانوا أقوياء واشداء ، اما بعد عمر (ر) فقد تبدلت الحـــال وضعفت الدولة وبرزت روح العصبية جلية بين المضرية واليمانية (شمال وجنوب) فاذا كان الخليفة من عرب الشمال فانه يتحيز لهم فتعقدت الامور تعقيدا خطيرا ، ومن ابرز الفترة بين اليمانية فتنــة يزيد بن المهلب بن ابي صفرة حيث اعلن ثورة كبري لليمانية على المضرية ، بالرغم من ان بعض الخلفاء امثال هشام ابن عبد الملك انضموا الى اليمانية على المضرية ، وكان لتدخل الخلفاء هذا وتحيزهم اثاره السيئة ، سواء مع هؤلاء او مع اولئك فلقي الامويون انفسهم وذلك منذ عهد الوليد بن يزيد كثيرا من من الفتن والمشاكل (طلس ، تاريخ الامة العربية (بيروت ، ١٩٥٨) ص ١٨٠ ـ ١٨١) وعن مواقف الخلفاء الامويين من القبائل ابتداءاً من معاوية الاول وانتهاءاً بمروان ، راجع في ذلك (فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، ٣٥/٢ ، ٥٥ ـ ٥٦ ، ١٠٨ ـ ١٠٩ ، ١١٠ ـ ١١١ ، ١١٦ ـ ١١٩)

سنرى . يضاف الى ذلك الاختلاف في الخصائص بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، فأهل الشمال اكثر عددا وغالبيتهم بدو ، في حين ان اهل الجنوب كانوا أهل ثقافة وحضارة واعتادوا الخضوع للحكم الاجنبي، ولعل هذا يفسر لنا استعانة اغلب الخلفاء الامويين بهم (١) وخير مثال لذلك مانجده في الجزيرة الفراتية . (٢)

وبصورة عامة كان التعصب القبلي الذي ظهر في العصر الاموي قد أتخذ وجها سياسيا ، وخاصة في النزاع حول السلطة ومواقف خلفاء بني أمية ، حيث كانت الجزيرة من انشط الميادين التي سجلت فيها الخصومة والقتال بين القيسية واليمانية (٣) ، وكانت قيس هي المتقدمة على مضر ، وكانت بني كلب صاحبة المكانة الاولى بين القبائل في الشام . وكانت قيس اهم القبائل المقيمة حول الفرات (٤)، ونظرا لكثرة المشاكل وتنوعها بين هذه القبائل فان الجزيرة قد شهدت صراعات دموية بين تلك القبائل تشابة الى حد قريب ايام العرب في الجزيرة العربية قبل الاسلام . فهناك يوم راس العين بين بني

---

(١) عمر فروخ ، العرب والاسلام (بيروت ، ١٩٥٨) ص١٢٢-١٢٤، فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطيه ، ٥٨/٢ - ٥٩ .

(٢) د. عبد الامير دكسن . الخلافة الاموية ص ١٤٥ .

(٣) عياش ، تاريخ الرقة ٩/١ .

(٤) حتي ، تاريخ العرب المطول ص ٣٥٠ .

يربوع على بكر ، (١) ومن اشهر الايام في الجزيرة في العصر الاموي هو يوم الاكليل ، والغوير ، والفرس ، ودهمان ، حيث اضطر الكلبيون الى ترك منطقة قرقيسيا التي كانت واقعة ضمن نطاق غارات القيسيين وهاجروا الى منطقة الغور في فلسطين (٢) وهناك يوم بنات قين ، ويوم الماء وماكسين ، والثرثار الاول والثاني ، والفدين والسكير والمعارك ولبى وبلد الشرعبية والبليخ والحشاك والشرعبية والكحيل ويوم البشر (٣) .

لقد كان الخلفاء الامويون يتدخلون لحسم هذا النزاع ، وخاصة الخليفة عبد الملك الذي تدخل لحل النزاع سلميا بين تلك القبائل عندما حاول موافاة قيس وتغلب ، حيث انتهى الصراع بينهما خلال

---

(١) وكانت طوائف من بني يربوع قد اغارت على بني ربيعة براس العين ، فأطردوا النعم واتبعهم معاوية بن فراس من بني يربوع فادركهم ، فقتل معاوية ، وفاقوا بالابل فقال سحيم في ذلك :

اليس الاكرمون بنو رياح ... عـــوني منهم عمي وخـالي

هموا قتـلوا المجبة وابن تيم ... تنـوح عليهم ســـود المآلي

وهم قتلوا عميد بني فراس ... براس العين في الحجج الخوالي

راجع النويري ، نهاية الارب ٣٨٦/١٥ .

(١) د . دكس الخلافة الأموية ، ص١٤٩ـ١٥٠ .

(٢) البلاذري ، انساب اشراف جـ ٥ (القدس ، ١٩٣٦) ص ٣٠٨ ـ ٣٣١ .

فترة خلافته كنتيجة لسياسته الحكيمة تجاه القبائل (١) ، ويقـــول الاصفهاني : « . . . وهدأت الفتنة واجتمع الناس على عبد الملك ابن مراون فكانت قيس وتغلب من المغازي بالشام والجزيرة وظن كل واحد من الفريقين ان عنده فضلا لصاحبه ...» (٢) .

وفي الوقت نفسة كان تدخل الخلفاء بين القبائل له اثره في استغلال بعض القبائل لتحقيق مصالحهم السياسية ، كما فعل مروان بن محمد الذي استغل الصراع القبلي بين القيسية واليمانية في الشام والجزيرة، حيث مال الى قيس ، وتمكن من القضاء على مقاومة اليمانية ، وكانت عاملا من عوامل وصوله الى كرسي الخلافة ، حيث كانت اليمانية قد ثارت ضد الحكم الاموي في انحاء الشام والعراق الا ان مروان بمهارته الحربية التي اشتهر بها وباخلاص القيسية له استطاع ان يخمد تلك الثورات الواحدة بعد الاخرى (٣) .

وبذلك تمكن مروان من ان يقطف ثمار سياسته في تدخله في الصراع بين القبائل ، حينما اعتمد على قيس وربيعه وفرض لستة وعشرين الف من قيس ، وسبعة آلاف من ربيعة، فأعطاهم اعطياتهم ، وولى على قيس اسحق بن مسلم العقيلي ، وعلى ربيعة المساور بن عقبة، عندما قادهم من الجزيرة الفراتية متجها الى الشام بعد ان استخلف على الجزيرة أخاه عبد العزيز بن محمد بن مروان وذلك بعد وفاة

(١) د . دكسن ، المرجع السابق ، ص١٦٢ .

(٢) الاصفهاني ، الأغاني ١٢/ ٢٠٠ .

(٣) علي ابراهيم حسن ،التاريخ الاسلامي العام (القاهرة ، ١٩٥٩) ص٣١٧ .

يزيد بن الوليد (*) ، ولذا فقد تمكن مروان بهذه القبائل من احتلال دمشق ، وأعلن نفسه خليفة (١) ، وكان مروان منحرفا عن اليمن مكرما ومائلا لقيس بحيث كان يعتزل أهل اليمن ويوالي قيسيا ويقدمهم في الاعطيات (٢) ، وفي الوقت نفسه كانت القبائل في مواقفها تتماشى مع المصالح التي تصبو اليها كل قبيلة ، فمثلا كانت قيس تعادي مضر ولذلك أيدت مروان في مسألة الخلافة وفقا لما تقتضيه مصالحها غير أنها تخلت عنه في معركة الزاب لان مصلحتها اقتضت ذلك ، حينما رأت تفوق القوات العباسية وانتصاراتها المتلاحقة التي اكتسبت بها شرق الخلافة الاموية ، فالعصبية القبلية قد ظهرت جلية واخذت كل قبيلة تنظر لكل قضية وفقا لما تمليها عصبيتها القبلية ومصلحتها وذلك في معركة الزاب عندما قال مروان لقضاعة :انزلوا،فقالوا:قل لبني سليم فلينزلوا ، فارسل الى السكاسك ان احملوا فقالوا : قل لبني عامر فليحملوا »(٣) وبذلك فقد فوجئ مروان بموقف قيس منه في الزاب حيث تخلت عنه الجموع التي كانت معه في الجزيرة والشام ، فقال لاحد مستشاريه وهو ابو الرماحس : « يا أبا رماحس ويلك ماترى هذا الحي من قيس انفرجوا عني انفراج الرأس « قال : والله أنا أقصينا من

---

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ص٦١ ، فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، ٢/١١٦-١١٩ .

(٢)الازدي ،المصدر السابق، ص١٣٦ .

(٣) الطبري، المصدر السابق ، ٧/٤٣٤ .

(*) راجع الطبري ، المصدر السابق ٧/ص٣٠٠-٣٢٩ .

به عزنا وقدمنا من لم يكن لذلك بأهل » (١) فبسبب هذا الموقف السلبي لقيس اندحر مروان بالزاب(*)، ومما تجدر الاشارة اليه مايعلق به د . فاروق على ذلك بقوله « ... وبذا حصد مروان الثاني ثمار سياسته القبلية باعتماده على قيس واخذه الناس بالشك والشبهة حتى تفرقوا عنه ...»(٢) .

اما في العصر العباسي فنجـــد الثورة العباسية اعتمدت على اليمانية عندما قال أبو جعفر المنصور مخاطبا القبائل اليمانية المعتصمة بواسط « السلطان سلطانكم والدولة دولتكم»(٣) وكذلك قول عبدالله أبن علي للقبائل اليمانية المحاصرة بدمشق « انكم واخوتكم من ربيعة كنتم بخرسان شيعتنا وانصارنا ... فانصرفوا وخلوا بيننا وبين مضر»(٤) .

وقد انصهرت القبائل مع العديد من حركات المعارضة التي عصفت بالجزيرة ، كالمعارضة الاموية والخارجية ، ولكن من سنة ١٩٦ ه أي

(١) الازدي ، تاريخ الموصل، ص ١٣٧ .

(٢) د. فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص٢١٢ .

(٣) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة (المنسوب اليه)(القاهرة ، ١٩٠٤) ص٢٤١ .

(٤) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٢٤ ، وراجع د. فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، والعباسيون الاوائل ، الفصل الاول ص٢١ ـ ٦٩ ومحاضرات في التاريخ والاثار ، تقويم جديد للدعوة العباسية (الرياض ، ١٩٦٩) ص٦٥ـ٦٨ .

(*) راجع الفصل الثالث ـ فترة الانتقال (موقعة الزاب)

عند أضعاف الخوارج والقضاء على المعارضة الاموية ، والخارجية في الاقاليم ، نجد ان القبائل فيما بعد اخذت تعبر عن سخطها ومعارضتها للنظام العباسي باشكال عديدة ومتنوعة ومنها قتل بعض ولاة العباسيين بالموصل ، لأن المعارضة تركزت فيها بشكل خاص بسبب تنوع القبائل المستوطنة وتعددها ، اما بالنسبة للقبلية فنجد أن الزواقيل والابناء(*) قد مثلا جانبا معينا لتلك الناحية ، وكانت هذه الفوضى قد حدثت في سنة ١٦٦ هـ/٨١١ م . وذلك حينما احتدم الصراع بين الزواقيل والابناء وأهل خراسان . وقال رجل من كلب عن تلك الحوادث : ـ

شؤبوب حرب خاب من يصلاها	قد شرعت فرسانها قناها
فأورد الله لظى لظاهـــا	ان عمرت كلب بها لحاها

(*) يقول د . فاروق « لابد من الاشارة الى ان اسم الزواقيل والابناء فالأصطلاح الاول يرد في أكثر من رواية في الطبري في حديثه عن النزاع المسلح بين الامين والمأمون ، وكان الزواقيل ، جماعة وقفت الى جانب الامين ، واغلبهم متمركزين في اقليمي الجزيرة والشام ، ومن زعمائهم نصر بن شبث العقيلي والعباس بن زفر الهلالي ، ويرى المستشرق دي خوية في ملحقة لتاريخ الطبري بأنهـــم مرتزقة غير عرب من السوريين والجزريين ، مستنداً الى روايات تشير الى ان الزواقيل والاعراب جنبا الى جنب فلابد أن يكون ـ حسب رأية ـ غير عرب ، ولكن عند التمعن لرواية الطبري يتبين ان الاصطلاحين يؤديان نفس المعنى أو على الاقل =

. . . .

= انهما مختلفين في المفهوم العام واننا نرى بان الزواقيل في غالبهم عرب من القبائل القيسية المستوطنة في بلاد الشام ، واغلب الظن ان الزواقيل عرب قيسية ثاروا بعد مبايعة المأمون ضد السلطة العباسية ولذلك نعتتهم السلطة باللصوصية ، وكان لهذا النعت مايبرره حيث ان هؤلاء البدو كانوا في حالة اقتصادية سيئة ومعدمين وخاصة القيسية منهم . اما الابناء : فشاع اسمهم كذلك اثناء فتنة الامين والمأمون ، فتشير الروايات التاريخية الى ارتباطهم الوثيق بأهل خراسان فيسميهم ابن سعد « ابناء اهل خراسان » ورواية اخرى تشير الى قول احدهم « انه من ابناء هذه الدولة اهله من مرو وولادته في بغداد » وفي سنة ١٨٠ هـ كان عدد من أبناء أهل خراسان يستوطنون الانبار ويسميهم ابن طيفور« ابناء خراسان المولودون » ورغم ارتباط الابناء بأهل خراسان إلا انهم كانوا يميزون انفسهم بانهم يفخرون على الموالي والعرب مما يدل على ان الابناء كانوا كتلة متميزة عن غيرها وانها خراسانية بغدادية المولد ، ويشير د . صالح العلي إلى الصلة القوية بين الابناء (ابناء الملوك) الذين كانوا ابرز عناصر الجيش العباسي في العصر الاول وبين امراء المدن والاقاليم الايرانية معتبراً هؤلاء الابناء احفاداً لامراء الاقاليم والمدن الخراسانية الذين كانوا يحملون لقب (ملك) في القرن الاول الهجري الا أننا نعتقد ان=

ثم قال : « وانكم لتعرفون مواقع سيوف أهل خراسان في رقابكم وآثار اسنتهم في صدوركم ، اعتزلوا الشرقبل أن يعظم وتخطوه قبل أن يضطرم . . . فمن أراد الانصراف فلينصرف معي » ، ثم سار ومعه عامة أهل الشام « غير ان الزواقيل اقبلت واضرمت النار بما كان التجار قد جمعوه من الاعلاف (١) . كما انهم نشروا الفوضى

= الأبناء لم تكن اعجمية لأن الشيعة العباسية من أهل خراسان كانوا من العرب والأعاجم فيكون الأبناء مزيجاً من العنصرين العربي والأعجمي ، وكذلك فان مصادرنا لاتشير الى أي دورلعبه هؤلاء الملوك الأعاجم في أحداث الدولة العباسية ، فكيف ياترى كان الامر بأبناء هؤلاء الملوك والامراء المحليين وكذلك نقطة ثالثة ربما كانت مهمة وهي أن اصطلاح الابناء عربي قديم ظهر في اليمن قبل الاسلام ، كان يطلق على الجيل الجديد الذي نشأ نتيجة اختلاط العرب بغيرهم ويفي الجيل الذي لاتزال تجري في عروقه دماء عربية ، على أن الفارق بين الابناء وبين أهل خراسان هو أن أهل خراسان وخاصة العرب منهم قد تأثروا بالبيئة الايرانية وتقاليد حضارتها لاستقرارهم هناك ردحاً من الز ن أما الابناء فتأثروا بتقاليد الخلافة العباسية فى العراق حيث كانت بيئة تختلف تماماً عن بيئة خراسان الاعجمية (د . فاروق عمر ، العراق في العصر العباسي الاول ، مجلة بين النهرين ، العدد ٧ سنة ١٩٧٤ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٧) .

(١) الطبري ، تاريخ ، ٨/٤٢٥ ـ ٤٢٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٦/٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

والأضطراب كما يبدو من قول رجل من بني تغلب لطوق بن مالك « الا ترى ماالقيت العرب من هؤلاء انهض فان مثلك لايقعد عن هذا الأمر ، قد مدّ أهل الجزيرة أعينهم اليك وأملوا عونك ونصرك فقال : والله ما أنا من قيسها ولايمنيها ، ولاكنت في أول الأمر لاشهد آخره ، واني لاشد ابقاء على قومي وانظر لعشيرتي من أن أعرضهم للهلاك بسبب هؤلاء السفهاء من الجند وجهال قيس ، وما أرى السلامة الافي ألاعتزال »(١) ، ولذا نجد أن الصراع القبلي أخذ اطار الطابع السياسي حيث أن قبيلة قيس تزعمت النضال ضد الابناء (الفرس من أهل خراسان) ويبدو أن قيس كانت قد فقدت مكانتها وماكانت تتمتع به في الجزيرة والشام ايام مروان بن محمد ، فثارت ضد أهل خراسان انتصارا للعرب حيث كان على رأسهم شخصية سياسية عرفت بميولها العربية المعروفة وصاحب ثورة عربيه الا وهو نصر بن شبث وكان نصر ينشد(٢) :

فرسان قيس اصمدن للموت لاترهبن عن لقاء الفوت

دعي التمني بعسى وليت

وكان القتال شديداً ، وكثر القتل بالزواقيل ، وحملت الابناء

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ٤٢٥/٨ ـ ٤٢٦ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢٥٨/٦ ـ ٢٥٩ .

(٢) راجع ثورة نصر بن شبث من نفس الفصل .

حملات عديدة ، حتى انهزمت الزواقيل(١) .

ولم تهدأ ثورات القبائل العربية في الجزيرة، ولم تتخلَ عن الاساليب التي تعبر فيها عن عدم ارتياحها وعدم خضوعها للسلطة المركزية ، ويتجلى ذلك بوضوح سنة ١٢١هـ/٧٨٧م حينما خرج اليهم في أربعة الاف مقاتل فالتجأت تغلب الى حرمل بن محجن بن ابي قطر المالكي، الذي هاجم روح بن صالح وقتله مع عدد من الذين كانوا معه (٢) ويعلل ابن الاثير تصرفات بنو تغلب بأنه كانت بسبب الخلاف بينهم وبين الوالي روح بن صالح الذي أراد أن يقوم بعمله كوالي للخلافة، فجمع أربعة آلاف مقاتل وأخذ يغير عليهم الى أن التجأوا الى حرمل ابن محجن ، الذي هاجمهم ليلا وقتله وجماعة من معه(٣) .

ونستطيع أن نحلل موقف بني تغلب هذا بأنه كان يتجلى فيه عاملان قبلي ، واقتصادي ، فالعامل الاول يتمثل في عدم حبهم للخضوع للسلطة المركزية أو الانقياد لاوامرها ، ويتمثل العامل الاقتصادي في امتناعهم عن دفع الصدقات المفروضة عليهم ، ويمكن اعتبار موقفهم هذا تحدياً لسلطة الخلافة وامثليها ، ولذلك فان الخلافة لم تترك الامر يمر بدون انزال عقوبة لهذه التصرفات الطائشة .

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ٤٢٦/٨ ـ٤٢٧ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٢٥٧/٦ ـ ٢٥٩ ، راجع فتحي عثمان ، الحـــدود الاسلامية ١٦٦/٢ ـ ١٦٧ .

(٢) الازدي ، تاريخ الموصل ، ٢٦٧ .

(٣) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١١٣/٦ .

وكان حاتم بن صالح يقيم في منطقة سكير العباس وسط الجزيرة، فلما علم بنبأ الحادث ، ابتدأ بجمع قوات كبيرة ، اتجه بها الى بني تغلب فهاجمهم على حين غفلة ليلا فقتل منهم اعدادا كبيرة وأسر آخرين(١) .

وفي رواية للازدي ان حاتم بن صالح ارسل قوة كبيرة بقيادة الحصين بن يزيد بن صالح ، واقسم على نفسة : « ان لابد له ان يدخل مدينة من مدائن النزارية فذكرا له مدينة بني أسيد ، فقال : هذه بلدة فيها بنو تغلب وهي مدينتهم » (٢) فدخل المدينة ، وعمل السيف في اهلها ، حينما قتل عدداً كبيراً منهم ، وكان من نتيجة ذلك ان عدداً من النزارية تركوا الموصل ، متجهين الى مناطق ربيعة ومضر من الجزيرة ، فاجتمعت لديهم قوة كبيرة من المؤيدين لهم واتجهوا للموصل فكانت بينهم الواقعة المعروفة بالميدان(٣) وهي من الوقائع الشهيرة بين القبائل بالموصل والتي كانت سبباً لفقدان الأمن والاستقرار بالموصل ، حيث هجرها عدد من سكانها من بني تغلب بسبب ذلك ، اضافة الى مقتل اعداد كبيرة من رجالها الذين كان بالامكان اشراكهم في الفتوح الخارجية .

وكانت من عوامل قيام حركات القبائل المعارضة للخلافة العباسية، هو المواقف غير السليمة التي تتخذها السلطة العباسية في مسألة انتقاء

---

(١) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٦/١١٣ .
(٢) الازدي ، المصدر السابق ، ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .
(٣) ن. م ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

الولاة ، ونقصد بذلك أنه من الخطأ تعيين والٍ من قبيلة تؤمن بالتعصب والعنف تجاه القبائل الاخرى ، لان ذلك يؤدي الى اثارة حفيظة القبائل الاخرى المعادية لتلك القبيلة ، صاحبة السلطان ويتمثل ذلك في تولية الخلافة العباسية ولاية الموصل للحسن بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي سنة ١٩٧ هـ / ٨١٢م ونافسه على منصب الولاية علي ابن الحسن الهمداني ، الذي كان متغلباً على الموصل ، وذلك في فترة الانشقـــاق والضعف الذي أصاب البيت العبـاسي بسبب الانقسام بين الاخوة ، (المأمون ، والامين ، والمؤتمن) وقد أيد أهل الموصل علي بن الحسن الهمداني معارضي الحسن بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي قائلين « لايلينا ربعي » فبعث اليوم الحسن : « مارعيت في ولاية بلدكم الا لأرد نسبي الى أصله فأنا قوم من كنده من السكون»(١) وظل يكاتب بني الحسن ووجوه اهالي الموصل الى ان ايدوه ودخلوا في طاعته(٢) .

وكانت حوادث النزاع القبلي تتكرر بين أونة وأخرى ، وحينما استقرت الامور واستقامت للحسن بن عمر التغلبي ، بدأت مرحلة أخرى من مراحل تصفية الفئات المعارضة للحسن التغلبي ، وذلك لانه كان غير مطمئن من بعض أبناء القبائل الذين يتصفون بالعنف والشدة وخاصة بني تليد ، الذين كان الحسن يفكر باضعافهم والحد من نفوذهم فاحضر عدداً من الرجال الذين لهم معرفة بأمرهم وطريقة

(١) الازدي ، المصدر السابق ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .
(٢) ن م ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

حربهم ، فأخبره أحدهم قائلا انهم « خمسمائة رجل ، قال لي لم اسألك عن هذا ، قال : فعن اي شيء ؟ قال : عمن يحضر في الحرب قال : اربعون رجلا اذا حملوا لم ينصرفوا او يطعنوا او يضربوا ، او يصبروا ، قال كذا ؟ قال : لقد صدقتك ، قال : ليس في لقاء هؤلاء خير »(١) ولذا يتبين لنا ان والي الموصل كان يهدف الى توجيه ضربة لبني تليد ، لكسر شوكتهم ولما علم بحقيقتهم عزف عما كان يهدف اليه بعد ان كشف له جانباً من حقيقتهم .

غير ان المتنفذين من اهل الموصل والذين كان لهم نفوذ وأثر كبير على أبناء القبائل كانوا مصدراً لخلق الفوضى والاضطراب ، فكان طاهر بن الحسن الخزاعي قد كاتب بني الحسن بن صالح الهمدانيين وانحاز اليهم باليمانية سنة ١٩٨ هـ/٨١٣م وذلك بسبب النزاع بينه وبين النزارية ، وكان المتولي لامر الموصل علي بن الحسن ، كما أن عثمان بن نعيم البرجمي ترك الموصل الى ديار مضر فشكا الازدواليمن وقال : « أنهم يتهضموننا وينقصوننا حقوقنا ، واستنصرهم واستجاش بهم »(٢) فلبوا طلبه واتجهوا الى الموصل في نحو عشرين ألفاً ، وهيأ علي بن الحسين قوة بقيادة الوليد العبدي ورجال الذهلي ، وغيرهم من النزارية ، فارادوا حل الخلاف سلما حقنا للدماء ، غير ان عثمان البرجمي رفض ذلك قائلا : « لأأدخل البلد الا بعز » فايده قومه ، فاضطر علي بن الحسن أن يوجه بالحسين بن الزبير في أربعمائة من

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

(٢) ن.م ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

الفرسان ثم الصقر في أربعمائة ورجل آخر في اربعمائة فارس في الميمنة وخرج علي في نحو ألفي فارس وراجل ، وجرت بينهم وقائع دموية كانت نتيجتها انهزام النزارية ، وقتل عدد كبير من رجالهم وتبالغ الروايات بإيصالها الى (نحو ستة آلاف قتيل » (١) مما أفقد الامن ، والاستقرار بالموصل .

ويبدو أن الموصل كانت بؤرة للحركات القبلية ، المسببة للفوضى ، فكانت أحداث الصراع والفوضى القبلية تتكرر كل سنة تقريباً ، في هذه الاونة ، فقد جرت عدة معارك بين بني ثعلبة وبين بني أسامه ، فالتجأت بنو ثعلبة الى محمد بن الحسن فأنزلهم درب بني الهذيل من الموصل وذلك سنة ١٩٩هـ/٨١٤م(٢) . وذلك لكونهم ضعفاء لا يستطيعون مواجهة بني اسامة المعادين لهم قال ابن الاثير « فاستجارت ثعلبة بمحمد ابن الحسن الهمداني ، وهو أخو علي بن الحسين أمير البلد فأمرهم بالخروج الى البرية»(٣) ولهذا فانهم أرادوا أن يأمنوا على أنفسهم من اعتداء بني أسامة والذين لم يأبهوا (كما يلاحظ) لموقف الوالي حينما جردوا لهم قوة لمهاجمتهم مما اضطر بنو ثعلبة الى الرجوع الى الوالي مخبرين اياه بأن بني اسامة جردوا لهم في ألف فارس بقيادة ابرز رجالهم الملقب بالغيل ، ومظهرين للوالي تخوفهم من احتمال تعرضهم للمواجهة

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ٣٣٣ .

(٢) ن. م. ٣٣٣ .

(٣) ابن الاثير الكامل ٣١٧/٦

من قبلهم حيثما قالوا له : « نحن نخافهم ونحن بجوارك » ولكن الوالي اكد لهم استعداده لحمايتهم فاتجه بنو ثعلبة الى خارج الموصل حيث اقطعهم الوالي براري خاصة بهم ، ثم تبعهم بنو اسامة فالتجأ بنو ثعلبة الى احد القصور متحصنين بها في الوقت الذي فرض الحصار عليهم من قبل بني اسامة ومن خلال تحصنهم بالقصر قدموا شروط استسلامهم للصلح وكان اصرار اعدائهم قد اضطرهم الى مناداتهم : « يابني اسامة اعطونا الامان فنعترف لكم انا عتاقكم... فأجابهم القيل من ألقى نفسه من فوق الحائط فهو آمن فتدلى منهم رجل فمات » (١) كما ان بني اسامة استمروا في محاصرتهم الى ان تمكن احد فرسان بنو ثعلبة من الافلات بأعجوبة(٢) طالباً النجدة من الوالي الذي اسرع

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٦

(٢) رغم الحصار المفروض عليهم قال احد شباب بني ثعلبة : « تعطوني الفرس الفلاني وتفتحون لي الباب لاخرج اليهم فانهم نزلوا عن دوابهم، فالى ان يحملوا ويركبوا أكون قد خرجت عنهم فان سلمت اتاكم الغوث وان غلبت قد بلغت جهدي ، ... وخرج وكان بنو اسامة لايعلمون وقد اركوا دوابهم ترعى ، فالى أن أخذوا دوابهم والجم بعضهم فاتهم الرجل ... فوافى محمد بن الحسن فأخبره فأرسل الوالي قوة كبيرة برئاسة الحصين فلما رآه بنو اسامة زالوا عن القصر وخرج الثعلبيون واجتمعوا الى قوات الحصين فكانت بينهم حرب شديدة فقتلوا منهم مائة واثني عشر رجلا ، واسروا اربعمائة رجـــل وانصرفوا الى علي بن الحسن ، فأودع الاسرى الحبوس (الازدي ، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧)

بانجادهم ، ولما اتجهت قوات النجدة للقصر ، ترك بنو اسامة الحصار وخرج الثعلبيون واجتمع القوم عليهم فدارت بينهم حرب شديدة، فقتلوا منهم مائة واثني عشر رجلا واسروا اربعمائة واتجهوا الى علي ابن الحسن - وهو امير البلد - فأمر بايداع الاسرى السجن (١) وكان لنجدة الوالي اثرها الفعال والحاسم في تحقيق هذا الانتصار الذي كان من نتيجته اندحار بني اسامة الذين تخلوا عن تعنتهم ، وحصل توافق وصلح بينهم وبين بني ثعلبة ، فيروي الازدي ان شيخ بني اسامة أحمد ابن عمر بن الخطاب العدوي قام بزيارة لمحمد بن الحسن ، واعتذر اليه واخبره بدفع الدية عن كل شخص قتل منهم وبتعويضهم عما اصابهم من خسائر ، واتخذ محمد بن الحسن موقفا ايجابيا مثله ، وأطلق اسرى بني اسامة (*) ، وكانت رغبة الطرفين في السلام اثرها الفعال في تحقيقه بينهما وعلق ابن الاثير على ذلك بقوله « وسكنت الفتنة » (٢).

---

(١) الازدي . ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ٦/٣١٧ .

(*) يروي الازدي انه بينما كان محمد بن الحسن جالسا يوماً ما اذ دخل عليه حاجبه فقال « احمد بن عمر بن الخطاب العدوي بالباب، ولم يك في وقت تعود محمد بن الحسن ان يأتيه احمد فيه فقام اليه محمد وأعظمه وعرف حقه ثم جلسا فتحدثا مليأ ثم قال محمد بن الحسن لاحمد بن عمر : ماالذي جاء بك ؟ قال : قد جرى بيننا وبينكم مالا احبه فجميع من قتل منكم في هذه الحرب وغيرها فعلي القود والدية =

وكانت احداث الصراع القبلي في تجدد مستمر ، حيث تجددت الاضطرابات القبلية بين بني الحسن وبين الازد ، وكلاهما من اليمن وهذا يبين مدى ما وصل اليه التفكك بين القبائل المتحالفة نفسها . وكان السبب في نشوب الصراع بينهما ، هو الموقف غير الحكيم الذي اتخذه والي الموصل علي بن الحسن الهمداني (*) والذى تعصب لقبيلته

= وكذلك ما اخذ من بلدكم وجميع من قتل منا ومنكم واخذ منا أو الدماء في هدر والاموال تترك فقال: محمد ماتفعل شيئا ، الا فعلنا مثله وزدنا أهدرنا كل دم وحللنا من كل مال وكان مع احمد بن عمر خلق كثير من تغلب قد نزلوا دير الاعلى فحمل اليهم الاموال والبر واطلق الاسرى وخلع عليهم وحمل جميعهم واعطوا السلاح (الازدي ، ٣٣٧ ـ ٣٣٨) .

(*) كان علي بن الحسن الهمداني قد خرج مع محمد يتطردان ومعهما جماعة من قومهما من الازد واليمن فاجتمعوا على جبل التنين ، فلما نظرا الى رستاق نينوى والمرج قال احدهما لصاحبه نعم القريتان لأنسان واحد ، فقال بعض الازد « مانعمل نحن؟ قال : تلحقون بعمان ، فانتشر الخبر ودب ونمت الكلمة الى بني الحسن وقومهم وأشتعلت الحرب وقادها علي بن الحسن الذي ركب بنفسه الى دور بني الشحاج وكانت بينهما حربا ، فأخذ عونا ومضى به الى منزله فكلمه ـ وكان من الازد ـ محمد بكلام اغلظ له فيه فردعليه عون فضربه محمد بعامود فقال له عون (الويل لكم =

ضد الازد حينما أراد طرد الازد من الموصل ، فلما علم بذلك اجتمعوا فاشتعلت نار الحرب بينهما وذلك حينما هاجم علي بن الحسن دور بني الشحاج الازدي واسروا رجلا من الازد (يدعى عون، وبنوا عليه بناءاً وهو حي) فازدادت الامور سوءاً ، وتعقدت الاوضاع بنشوب الحرب بين بطون الازد وفيهم بني الشحاج الازدي وبنو الحسن وبطون من اليمن وكانت الحرب سجالا بينهما حتى خرج الكثير من الازد من الموصل(١) وربما كان كره بني الحسن وبطون اليمن للأزد ناتج عن الوضع الجيد للأزد الذين اصبحوا عليه بعدما كافأهم العباسيون بشكل مستمر ، غير ان الازد تهيأت لهم شخصية سياسية وعسكرية مرموقة الا وهو السيد بن أنس الذي جاءهم على رأس قوة من بني تليد ودخل الخوارج طرفا ثالثا في النزاع بسبب استدعائهم من قبل علي بن الحسن حينما راسل مهدي بن علوان الشاري الذي جاءه على رأس قوة كبيرة فأدخله الموصل من الجانب الغربي ، وخطب على المنبر (٢) ودعا لنفسه وقد اعتزل بعض الناس الفتنة لما عظم الامر بين الازد وبطون اليمن ، وبعد تدخل السيد الازدي في الصراع تغير ميزان القوى لصالح الازد الذين

= ان قتلموني) فدعا بباب وجص فبنوا اسطوانا وهو حي ليخفي اثره ، فانكشف امره من قبل البناء ووقعت الحرب (الازدي ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤) .

(١) الازدي ، ص٣٤٣ـ٣٤٤ .

(٢) ن ٠ م ص٣٤٤ .

انتصروا على بني الحسن الهمدانيين والذين هربوا الى الحديثة فتبعهم السيد ومن معه من الازد وظفروا بعلي الهمداني وقتلوه بعد اختفاءه بالحديثة وعاد السيد منتصرا الى الموصل ومعه عدد من الازد حاملين معهم رؤوس بني الحسن وكان لهذا الانتصار الذي قاده السيد اثره في توليته للموصل ، قال الازدي « ... وبعد الذي كان منه في بني الحسن قدمته الازد وتولى امر البلد ودعا للمأمون وانتظم أمره » (١) وكانت تولية القبائل واليا للموصل يكشف مدى ما اصبحت تتمتع به بعض القبائل من النفوذ في تولية ابنائها على ولاية الموصل .

ولكي يضفي السيد الصفة الشرعية على توليته تلك ، انحدر الى بغداد الى الخليفة المأمون الذي أقره على ولايته للموصل . وحاول بنو الحسن جاهدين الانتقام من الازد وذلك باستنجادهم بعدد من الهمدانيين غير ان هؤلاء لم يؤيدوهم في موقفهم ورثى بنو الحسن وخاصة علي بن الحسن ، بقصائد شعرية طويلة (٢) . وقد أدت احداث الازد مع بني الحسن الى زيادة مكانة الازد في نفوس الناس وفقدان الهمدانيين لتلك المكانة ليس بين الناس فحسب بل لدى الخلافة لاستدعائهم للخوارج بالموصل واعتلائهم منابرها والخطبة لانفسهم . وكان من نتيجة الصراع هذا نزوح بني الحسن جميعا عن الموصل ، فروي عن الحسن بن عمر بن الخطاب العدوي انه حمل جميعهم الى برقعيد ، وكان فيمن حمل محمود

---

(١) الازدي ، ص٣٤٦ .

(٢) ن . م ، ص٣٤٦-٣٤٧ .

وخنيس ابنا علي بن الحسن فمكثوا سبع سنين(١) .

وتجددت احداث المعارضة القبلية سنة ١٨٣ هـ/٧٩٩م نتيجة لسياسة والي الموصل احمد بن يزيد الذي اراد ان يحفظ التوازن بين اليمانية والنزارية حينما راى اليمانية أوسع نفوذا من النزارية ، فتعصب على اليمانية ودبر عليهم خطة حينما اصبحوا فخرج عن الموصل ومعه وجوه اليمانية فلما وصل الحديثة اتجه نحو البقيعة ، ثم خلا بوجوه المضرية من اهل الموصل فقال لهم : « ان هؤلاء اليمانية قد غلبوا على البلد ، وظهروا عليكم ، وقد عزمت على قتل وجوههم الذين معي فأذلهم لكم ، ولكن فشا الخبر الى اليمانية » (٢) وتعقد الوضع الذي انتهى بحدوث صدامات دموية بين الجانبين ، انتهت بحل سلمي حال دون اطالتها ، نتيجة للحكمة السياسية التي استخدمها بعض الشخصيات السياسية في الموصل(٣) وانهت الصراع بشكل سلمي وبزيارة يزيد بن حاتم ووجوه اليمانية الى الخليفة الرشيد بالرقة والذي استقبل اطراف النزاع بعد تراضيهم ومنحهم المكافآت المالية المغرية لكي يضمن بقاءهم جميعاً الى جانب السلطة (٤) .

ان استمرار التعصب بين القبائل وعدم وجود روح التسامح بينهما

---

(١) الازدي ص٣٤٩-٣٥٠ .

(٢) ن . م ، ص٢٩٦ .

(٣) ن . م ص ٢٩٦ .

(٤) راجع الفصل الاداري .

بينهما وعدم تفهم طبيعة عمل الوالي وواجبه الذي يقوم به كان من بين العوامل التي تسبب في خلق الفوضى والاضطراب بالمنطقة . فحينما خرج والي الموصل الحسن بن صالح لجباية صدقات الاعراب واستوفاها اتجه الى عنزة فطالبهم بالصدقات فامتنعت عنزة وتحالفت مع شيبان ، فاتفقوا على ان يهاجموه ليلا ، وبالفعل هاجموه وقتلوه ودفن بالقرب من باجليا(١) غير ان ولده علي (٢) تمكن من ان يجمع قوة كبيرة وان ينتقم من عنزة وحلفائها (٣) ولهذا ترى أن هذه الاحداث القبلية كانت تجري بشكل دوري في كل سنة تقريبا ، ففي سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م قام بنو شيبان بخلق الفوضى والاضطراب ،بافسادهم في البلاد فأمر المأمون والي الموصل السيد ، بقصدهم ومن معهم من العرب (٤) وبعد ان قضى السيد على تمردهم القبلي اتجه لمحاربة زريق بن علي ابن صدقة الازدي ، واستمر في محاربته الى ان قتل (٥) بعد ان نشر

---

(١) الازدي ص ٣١٣ ـ ٣١٤ .

(٢) وكان علي ابنه قد اشتد عليه ذلك ، وكان متنسكا ، فاقسم ان يأخذ بثأر والده (الازدي ٣١٣ ـ ٣١٤) .

(٣) راجع الفصل الاداري .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٣٨٥/٦ .

(٥) وكان الخليفة المأمون استحضر السيد بن انس الازدي ، فاعلمه بما ورد عليه من خبر زريق فقال : « يا امير المؤمنين ، نفس غير معرفة بالطاعة فكيف توجه عنده الطاعة ؟ ... فقلده المأمون حربه ومافي يديه (... راجع الازدي ٤٠٨ـ٤٠٩).

الامن والاستقرار في الولاية بدلا من الفوضى التي كانت سائدة فيها .

ويمكن القول من كل ماتقدم ان القبائل في الجزيرة عامة والموصل خاصة كانت قد لعبت دوراً في احداث الشغب والفوضى التي كانت تسببها القبائل لاسباب بسيطة حيث كانت العصبية القبلية لها اثرها الفعال في خلق الفوضى ، في الاقليم ، كما ان مصالح القبائل كانت تدعوها الى القيام بالشغب ،فعنزة قتلت الوالي الذي طالبها بالصدقات التي كانت مفروضة عليها ، اضافة الى أن بني شيبان كانوا هم الآخرين من الذين كشفوا عن طبيعة مواقفهم تجاه السلطة خاصة وان اكثرهم خوارج ولعبت هذه المشاكل دوراً في خلق حالة عدم الاستقرار بالموصل. اضافة الى عدد الضحايا الذين ذهبوا جـــراء ذلك كما ان هذه الصدامات العنيفة ارهقت الخلافة ، التي كانت غير مطمئنة لما يجري في المنطقة خاصة وان اعدائها من الخوارج قد ترقبوا هذه الاوضاع ، وثاروا أكثر من مرة ، اضافة الى استدعاء بني الحسن لهم كما كشفت هذه الاحداث عن عدم استقرار وتحضر بعض القبائل المتنازعة في الاقليم. على ان ابرز حركات المعارضة القبلية واعنفها تبلورت في حركة نصر ابن شبث العقيلي .

ثورة نصر بن شبث العقيلي (*)

تعتبر ثورة نصر بن شبث نوعاً جديداً من أنواع حركات المعارضة في الجزيرة الفراتية بعد حركات المعارضة السابقة كالمعارضة الأموية والخارجية والاضطرابات القبلية ، فثورة نصر ضمت في صفوفها أبناء القبائل العربية في الجزيرة والشام والتي كان القلق ينتابها على أثر زوال نفوذها السياسي والاداري في أعقاب زوال الحكم الأموي ومجيء الحكم العباسي . حيث كان نصر يدرك جيداً هذه الحقيقة ، حيث تبلور في نفسه الطموح السياسي والنبوغ العسكري خلال أحداث هذه الفترة التاريخية حينما اشترك سنة ١٩٦هـ/٨١١م في الاضطراب الذي وقع في الرقة بين الزواقيل وأهل خراسان وكان نصر قد أقبل في الزواقيل وهو ينشد(١) :

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ٨/٤٢٧ ، ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٦/٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(*) اختلفت روايات المؤرخين حول تسمية نصر بن شبث فالطبري والازدي يسميانه كذلك إضافة الى مجهول ، العيون والحدائق ، ٣/٣٦٢ ، ومسكويه ، تجارب الامم ، ٦/٤٥٤ ويقول ابن خلدون في رواية أنه نصر بن شبث من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر (العبر , ١/٥١٤) ويسميه حمزة الاصفهاني نصر بن شبيب العقيلي الذي فتن أهـــل الجزيرة (تاريخ سني ملوك الارض والانبياء) (برلين ، ١٣٤٠) ، ص١٤٦ وكذلك الذهبي ، العبر في خبر في خبر من عبر ١/٣٤٨، ٣٥٧ ، ويسميه ابن الاثير « نصر بن سيار ابن شبث العقيلي من بني عقيل (الكامل في التاريخ ، ٦/٢٩٧ .

فرسان قيس أسعدن للموت   لاترهبن من لقاء الفوت
دعي التمني بعسى وليت

وقاتل نصر أصحابه قتالا شديداً إلى أن كثر القتل فيهم فانهزموا، وكان على حامية الزواقيل مع نصر بن شبث عمرو بن عبد العزيز السلمي والعباس بن زفر الكلابي .

وأخذ نصر يراقب الأحداث في المنطقة عن كثب وأخذ على عاتقه مسؤولية تزعم حركة سياسية معارضة للخليفة العباسي الجديد المأمون ، حيث تعتبر حركته نموذجاً حياً لردود الفعل التي حدثت ضد الخليفة الجديد فيروي عن نصر انه قال : « انني في بني العباس ، وانما محاربتي إياهم محاماة عن العرب لأن بني العباس يقدمون عليهم العجم » (١) فالدافع الأساسي للثورة هو ردود الفعل للصراع الذي حدث بين الأمين والمأمون والذي انتهى بانتصار المأمون مما أسخط نصر بن شبث ومن تبعه حيث أن « نفوذ الفرس » أخذ يتضح في البلاط العباسي زمن المأمون . ولقد اختلفت اراء المؤرخين القدامى والمحدثين في تفسير قول نصر بن شبث السابق الذكر وفي تعليل سبب الثورة ، ويرى ابن خلدون : « . . . انه كان له ميل للأمين فلما قتل أظهر الوفاء له بالبيعة . . . » (٢) ويرى الدوري أن ثورته

---

(١) الازدي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٤ ، وابن خلدون ، العبر ، ٣/٥١٤ .

(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ٣/٥١٤ .

هيَ ثورة العرب ضد العجم ، حيث كان أتباعه من العرب فقط ، بحيث لم تكن ثورته ضد الحكم العباسي بل كانت ثورة العرب ، ضد النفوذ الفارسي ، بل هي ثورة العرب ضد العجم(١) ويرى سرور أن ثورته كانت أنفة من استذلال العجم للعرب(٢) حيث شقا عليه مقتل الامين فأراد الانتقام(٣) فثار أسفا لقتله(٤) واظهاراً لغضبه(٥) ويرى العبادي أن ثورته كانت ثورة عربية موجهة ضد النفوذ الفارسي(٦) كما يرى الزركلي أنه ثارَ انتصاراً للعصبية العربية(٧) وأخيراً يرى فازلييف أن ثورة نصر تكشف سخط العرب لانتصار الخراسانيين على جيش الامين سخطاً قوياً نشأ عنه ثورة نصر بن شبث (٨) .

وينفرد الازدي بذكر رواية مفادها أن « الامين كان قد خلع نصر ابن شبث وقد كان ولاه الجزيرة وعزله بعبد الله بن سعيد فأنفذ إليه

---

(١) الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص٢١٨ .

(٢) سرور ، الحياة السياسية في الدولة الاسلامية (القاهرة ، ١٩٦٠) ص ٢٢٧ والخضري ، محاضرات ١٩٣/٢ .

(٣) الصائغ ، تاريخ الموصل ٧٥/١

(٤) سرور ، المرجع السابق ، ص ٢٢٧

(٥) محمد كرد علي ، خطط الشام جا (دمشق ، ١٩٢٥) ص١٨٧

(٦) العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص ١٠٧

(٧) الزركلي ، الاعلام ، جـ٨ (القاهرة ، ١٩٥٦) ، ص٣٤٢.

(٨) فازليف ، العرب والروم ٨٦ ـ ٨٧ .

محمد بن داود بن عيسى فقتله سنة ١٩٧هـ»(١) على أن هذه الرواية تتسم بالضعف لعدم وجود مايماثلها في المصادر الاخرى ، اضف الى ذلك أن نصراً كان قيسياً فليس من المنطق ان تولي السلطة العباسية والياً قيسياً على الجزيرة ، خاصة وان قيس كانت قد وقفت موقفاً سلبياً معارضاً للعباسيين مؤيدا للأمويين . أضف الى ذلك ان الجزيرة يتواجد فيها الكثير من القبائل القيسية ، ولذلك رواية الازدي فان يشوبها الضعف والخلل .

ولعل السبب الحقيقي للثورة هو الموقف المعادي لقيس من العباسيين من جانب استغلالها للظروف المضطربة التي حدثت أثناء فتنة الامين والمأمون ، ومحاولتها تحقيق مايمكن تحقيقه في مثل تلك الظروف ، اضافة الى نقمة نصر على المأمون ، اذا ماعلمنا أن نصر كان قد عاصر الفترة الاموية المتميزه بتفضيل العنصر العربي على الاعجمي حيث كان « من جند بني أمية »(٢)

ويقول د . الدوري « . . . ربما كان في ثورة نصر شيء من النزعة البدوية التي تمثلت من قبل في ثورات الخوارج بالجزيرة »(٣) . ويؤيده د . فاروق الذي يرى بأنها ذات نزعة بدوية تعكس تذمر القبائل

---

(١) لازدي ، تاريخ الموصل ، ٣٢٨ .

(٢) طيفور تاريخ بغداد ، ٧٨/٨ - ٧٩ الطبري ، المصدر السابق ٥٩٨/٨ - ٥٩٩، ابن الاثير ، المصدر السابق ٦ / ٣٨٨ - ٣٨٩ مسكويه ٤٥٤/٦ - ٤٥٥ .

(٣) الدوري ، العصر العباسي الاول ص٢١٨ .

السورية والجزرية على مقتل الامين وانتقال السلطة الى أقصى الشرق « خراسان »(١) حيث أن القلق كان قد انتاب القبائل العربية في الشام والجزيرة الفراتية بسبب زوال الحكم الاموي ومجيء العباسيين.

ويمكن أن نضيف لكل ماتقدم سبباً آخر للثورة يتمثل في الدوافع الاقتصادية التي تكمن في غنى الجزيرة الفراتية بالموارد الاقتصادية ، بحيث كان حافزاً مباشراً لتأييد الزواقيل له ، طمعاً بالموارد الغنية للاقليم . ان هذه الاسباب مجتمعة كانت حافزاً لخلق أجواء لقيام ثورة نصر والتي وجدت في فتنة المأمون والامين مجالا خصبا لتحقيق مايمكنها تحقيقه من المكاسب فروى أن نصر بن شبث كان في الفتنة التي جرت للأمين وطاهر ، فقد تغلب أهل الشام على البلاد ، فغلب نصر بن شبث على الجزيرة والعباس بن زفر بقنسرين وعثمان بن ثمامة بحمص ، ومحمد بن بيهس بدمشق وعلى الرملة ابن الشرح(٢) .

ولذلك ابتدأت الثورة سنة ١٩٧هـ وكان طابع الثورة العام الشائع هو الدعوة لنصرة العنصر العربي وكان لهذا أثره في كسب ود العرب القيسية المتذمرين من مجيء العباسيين ، ولذلك وجدت الثورة مجالا للتعمق والتوسع . حيث أخذ نطاقها بالتوسع وشمل مناطق ومدن كبيرة

---

(١) د. فاروق ، العراق في العصر العباسي ، مجلة بين النهرين عدد ٧ / لسنة ١٩٧٤ ، ص ٨٩ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ٢٩٧/٦ ، مجهول ، العيون والحدائق، ٢٦٢/٣ ـ ٢٦٣.

في الجزيرة الفراتية . كما أخذت تنضم الى ثورته جموع كبيرة من القبائل العربية . وكان نصر بن شبث يسكن كيسوم وهي ناحية في شمال حلب . ويذكر ابن الاثير الى أنه كان في عنقه بيعة للأمين وعلى أثر مقتله ثار فتغلب على ماجاوره من البلاد واحتل سميساط « وانضم إليه عدد كبير من الاعراب وأهل الطمع » وأخذت قواته بالتعاظم ولذلك عبر الفرات الى الجانب الشرقي في محاولة للسيطرة عليه ويعلق ابن الاثير على ذلك بقوله : « . . . فلما رأى الناس ذلك منه كثرت جموعه وزادت عما كانت . . . »(١) ، وكانت هذه الاحداث وقعت سنة ١٩٨ هـ/ ٨١٣م .

ثم أخذ نفوذه بالزيادة والاتساع في سنة ١٩٩هـ/٨١٤م حينما يذكر الازدي الى أن نصر قوى نفوذه بالجزيرة فانتهب أموال التجار وحاصر حران(٢) . وعند ذلك اتخذت الخلافة اجراءات أدارية لمجابهة الموقف حينما عهدت الى طاهر بن الحسين الذي كان غير مقتنع ولاراض بتوليته حرب نصر بن شبث حينما قال : « ماانصفني أمير المؤمنين . . »(٣) مما يدل على عدم رغبة وجدية طاهر في مجابهته لنصر وقال : « حاربت خليفة وسقت الخلافة الى خليفة وأومر بمثل هذا وانما كان ينبغي ان توجه لهذا قائداً من قوادي»(٤) وكان حديثه موجهاً الى الحسن بن

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ٢٩٧/٦ .
(٢) الازدي المصدر السابق ، ٣٢٤ .
(٣) ابن الاثير ، اليعقوبي ، تاريخ ٤٤٦/٢ ، ابن خلدون ٥٣٤/٣-٤٣٥
(٤) طبري ٥٧٩/٨ - ٥٨٠ واليعقوبي ٤٤٦/٢ :

سهل حينما أمره الخليفة بالتوجه لمحاربة نصر بن شبث ويقول اليعقوبي: « أن ذلك كان سبباً من أسباب الخلاف بين بني الحسن وطاهر » (١) وقد انعكست أثار الخلاف بين طاهر وبني الحسن وعدم رغبة طاهر بمحاربة نصر بن شبث ، انعكست اثاره بنتائج إيجابية لموقف نصر ، فبعد أن ولي الحسن بن سهل يدعوه الدخول في طاعة الخلافة والتخلي عن معارضته لها فلم يستجب لذلك نصراً (٢) وينفرد ابن اعثم الكوفي بنشر رسالة طاهر بن الحسن الى نصر والى من معه بقوله : « أما بعد فان الله تعالى ولي من والاه وعدو من عاداه وقد علم الله تعالى أنكما من اعدائه واستماما من أوليائه ، وبالله أحلف قسما صادقاً لاوردنكما ونسائكما وذريتكما موارد الهلكة أو تذهب نفسي قبل ذلك وقد عرفتماني ولم يخف عليكما ما نزل بالمخلوع ابن زبيدة مني وأنا الذي أقول :(٣) .

ملكت الناس قسراً واقتداراً وأقتلت الجبابر الكبارا
ووجهت الخلافة نحو مرو الى المأمون تبدر إبتدارا

(١) وذلك لان طاهر بن الحسن قبل خروجه الى خراسان وولايته بها مر به الحسن بن سهل وأمره للخروج الى محاربة نصر بن شبث فقال له : « حاربت خليفة وسقت الخلافة الى خليفة وأومر بمثل هذا ؟ وانما كان ينبغي أن توجه لهذا قائداً من قوادي ، فكان سبب المعارضة بين الحسن بن سهل وطاهر ولما خرج طاهر الى خراسان لما تولاها خرج وهو لايكلم الحسن بن سهل فقيل له في ذلك فقال : ماكنت لاحل عقدة عقدها لي في مصارمته (اليعقوبي تاريخ ٢/٤٤٦ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٢٩٨/٦ .

(٣) ابن اعثم ، الفتوح ، ٢/ ورقة ٦٧ ـ ٦٨ .

فأجابه نصر بن شبث :

أتيت بكذبة ونطقت زوراً ولم تحذر وقايعي الكبارا
وهيجت العصر لي في عرين وفقت الامر قداً واقتداراً

ومن خلال رسالة طاهر لنصر ورد نصر عليه بالبيتين الأخيرين يتبين لنا أن طاهر كان يتكلم بلغة التهديد والترهيب مذكراً نصر بن شبث ، بقوته ونفوذه ، وفضله في تنصيب الخليفة المأمون وعزل أخيه محمد الامين ، محاولا في ذلك تحطيم معنويات نصر ومن معه من الجند غير أن جواب نصر على رسالة طاهر كان حازماً وشديداً منطلق من إيمانه بصواب ثورته .

وبعد أن فشلت هذه المحاولة الاولى لحمل نصر على الطاعة ، اتجه طاهر لمجابهة معسكر نصر حيث تقاربا من كيسوم ولم يبق بينهما إلا « مرحلة واحدة » فحاول طاهر تخويف نصر وتهديده أيضاً حيث كتب إليه : « أما بعد فأقبل الامان ترى خيراً وإياك من الضراب والطعان » فرد عليه نصر بحزم حينما أرسل إليه :

اذا ظلمت حكامنا وولاتنا خصمنا هموا بالمرهفات الصوارم
سيوف تخال الموت خالف حدها مشطبة تفري رؤس الجماجم

ثم كتب اليه أسفل كتابه : « ان شئت فاستقم وإن شئت فاستأخر والسلام »(1) .

ثم استعد الطرفان للقتال ، فالتقوا بنواحي كيسوم واقتتلوا قتالا شديداً ا ظهر فيه نصر مقدرة عالية حتى استطاع الانتصار على جيش

(1) ابن أعثم الكوفي ، فتوح ، ٦٧/٢ ـ ٦٨ .

الخلافة الذي انهزم من باب مدينة كيسوم الى باب مدينة الرقة على اربعين ميلا(١) ويرى الرفاعي بأنه كان من الممكن ان يكون مصير ثورة نصر مصير غيرها من الثورات التي خمدت بسرعة لولا ان طاهر لم يجهد في محاربته وسبب فتور موقفه هذا يرجع الى الصدمة التي صدمه بها آل سهل حين حرموه من ثمار فتوحه بالعراق (٢) وانه كان سبباً في سقد عبدالله على المأمون ووزيره الفضل بن سهل لانتزاعه بلاد العراق منه ، وكان لهذا الانتصار الكبير اثره الفعال في ازدياد قوة ومعنوية نصر بن شبث وفي التفاف الاتباع من حوله (٣) ويشير اليعقوبي الى ان الثورة شملت عدة مناطق من الجزيرة الفراتية كما أخذت تنضم الى ثورته جموع كبيرة من القبائل العربية (٤) ، ويعلل الدوري توسع الثورة بأنه ناتج عن قلة اهتمام طاهر بمحاربته حيث لم يعجبه اسناد تلك المهمة اليه(٥) ويذكر اليعقوبي ان الجند وثبوا بطاهر بن الحسين وهو بالرقة يحارب نصربن شبث فانصرف الى بغداد وولي مكانه يحي بن معاذ(٦) وان نص اليعقوبي هذا يتميز بالوضوح والصراحة وهذا يفسر لنا سبب استبدال طاهر بن الحسين في قيادة

---

(١) ابن اعثم الفتوح ٢/٦٧-٦٨ ، ابن الاثير ، كامل ، ٦/٢٩٨ .

(٢) الرفاعي ، عصر المأمون ج ٣ (القاهرة ، ١٩٢٨)ص ٢٧٣ .

(٣) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ،٢/٦٩ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ ٢/٤٥٥ .

(٥) الدوري ، العصر العباسي الاول ،ص١٤٥ .

(٦) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ٢/٤٥٥ .

العمليات العسكرية لمجابهة الثورة .

ويذكر الطبري رواية مفادها ان طاهر بن الحسين قد استخلف ابنه عبدالله على الرقة وامره بقتال نصر بن شبث(١) ويشير الازدي الى ان طاهر قلد ابنه عبدالله ديار ربيعة والجزيرة ومحاربة نصر بن شبث (٢) غير ان الخلافة ولت يحي بن معاذ بعد طاهر بن الحسين وعهدت اليه مهمة محاربة نصر ابن شبث وصادف ان توفي يحي سنة ٢٠٦ ﻫ / ٨٢١ م واستخلف ابنه احمـــد على عمله الا أن المأمـــون وصف له احمد بأنه ليس بشيء وقرر استخلاف عبدالله بن طاهر ديار مضر لمحاربة نصر (٣)، وفي رواية ان المأمون ولي عبدالله بن طاهر الجزيرة الى أرض الموصل (٤) وكان عبدالله بن طاهر قد ترك الرقة سنة ٢٠٥ ﻫ /٨٢٠م وعاد الى بغداد (٥) بعد تعيينة ليحي بن معاذ محله وقدم بغداد حيث جعله المأمون على شرطة بغداد وعلى معاون السواد ، بعد تولية أبيه يحي بن معاذ الجزيرة (٦) ويعلل ابن كثير سبب تولية الخليفة لعبدالله بن طاهر بأنه كان « لشهامته وبصره بالامور وحثه على قتال نصر بن شبث » (٧)

---

(١) الطبري ، تاريخ ٨/٥٨٠ .

(٢)الازدي ، تاريخ الموصل ص٣٥٩ .

(٣) الطبري ، ٨/٥٨١ .

(٤) مجهول ، العيون والحدائق ٣/٣٦٢ .

(٥) الطبري ٨/٥٨٠ .

(٦) ابن الاثير المصدر السابق ، ٦/٣٦٢ .

(٧) ابن كثير ، المصدر السابق ، ١٠/٢٦٤ .

وان عبدالله كان اقدر ابناء طاهر واكثرهم دهاء (١) ويورد طيفور رواية توضح كيفية اختيار المأمون لعبدالله وما قاله له فروي انه في « شهر رمضان سنة خمس أو ست دعا المأمون عبدالله بن طاهر فلما دخل عليه قال :« ياعبدالله انني استخير الله منذ شهر وأرجو ان يخير الله لي ورأيت الرجل يصف ابنه ليطريه لرأيه فيه ويرفعه ورأيتك فوق ما قال أبوك فيك ، فقد مات يحي بن معاذ واستخلف ابنه احمد ابن يحي وليس بشيء وقد رأيت توليتك مضر ومحاربة نصر بن شبث وقال ... السمع والطاعة ياأمير المؤمنين وارجو أن يجعل الله لأمير المؤمنين الخيرة وللمسلمين »(٢) ويبدو وان جيش طاهر كان عظيما جدا وذلك من خلال الاجراءات التي اتخذت في العاصمة حينما اتجه الى الجزيرة لمحاربة نصر فيروي ان الخليفة المأمون « عقد له لواء مكتوبا عليه بصفره ما يكتب على الالوية وزاد فيه المأمون يامنصور وخرج معه الناس فصار الى منزله وكان الفضل بن الربيع قد شاوره في خالص اموره وذلك قبيل ان يغادر الجزيرة لمواجهة الثورة »(٣) وخرج عبدالله الى الجزيرة بعد سبعة اشهر من خروج ابيه الى خراسان بعد ان استتاب

---

(١) ابن كثير ٢٥٩/١٠ .

(٢) طيفور، تاريخ بغداد ص ٢٥، الطبري ، المصدر السابق ، ٥٨١/٨، مسكويه ، تجارب الامم ٦ / ٤٥١-٤٥٢ ، ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ورقة ٢٣ أ .

(٣) طيفور، المصدر السابق ص ٢٥- ٢٦ ، الطبري ٥٨١/٨-٥٨٢، مسكويه ، تجارب ، ٤٥٢/٦ .

له ثوابا في بغداد (١) .

اما بالنسبة للوضع في الجزيرة الفراتية خلال هذه الاحداث فيبدو ان الثورة اتسعت وبما يشير الى توسع نطاقها ان قدم بعض الطالبيين الى نصر بن شبث طالبين اليه مبايعة أحد العلويين ، فتذكر المصادر الى أنه أتي على نصر عبيد بن شعيب وايوب بن يزيد يستشيمان فقالا له : « أيها الامير قد وترت بني العبـــاس وقتلت رجالهم واغلقت المضرب عنهم . فلو بايعت كان اقوى لما انت فيه قال من أي الناس ؟ قالا : ترسل الى بعض آل علي بن أبي طالب - ع - فتبايعه ، قال أولي بني السوداوات اذ كان يقول ، من وليه منهم : انه خلقني وانه يرزقني قال : فبعض بني امية فقال : أولي المدبرين ؟ ان المدبر لا يقبل أبدا ولو سلم رجل على مدبر لاعداه ادباره : « وقيل لاعداني أدباره »(٢) قالا : ففي اي الاخماس من قريش راي الامير ؟ قال من بني العباس وانما حاربتي اياهم محاماة عن العرب لأن بني العباس يقدمون عليهم العجم »(٣) ومن هنا يتبين لنا حقيقة وجوهر الموقف الاساسي للثائر

---

(١) حيث استخلف اسحاق بن ابراهيـــم على بغداد والسندي بن يحيى على الجانب الشرقي وعياش بن القاسم على الجانب الغربي ، (طيفور ، ٩٢ ، الطبري ٨/ ٥٩٢ ، مجهول ، العيون والحدائق ٣٦٣/٣ ، مسكويه تجارب ٦/ ٤٥٠ _٤٥٢ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ٦/ ٣٠٨ .

(٣) الازدي ،المصدر السابق ، ٤٢٤ ، ابن الاثير ،المصدر السابق، =

نصر الذى كان في موقفه هذا يؤيد العباسيين ، كعرب واظهر استياؤه من العناصر غير العربية في الدولة العباسية كما انه كان قد كشف عن حقيقة موقفه المضاد للعلويين والامويين معا .

ويرى د . فاروق . ان ثورة نصر بن شبث لم تكن مرتبطة بحزب أو عقيدة معينة ، اكثر من كونها ردود الفعل القبلية الاقبلية الاقليمية تجاه سياسة المأمون الخراسانية(١) .

اتخذ عبدالله بن طاهر مدينة الرقة كقاعده عسكرية له ضد ثورة نصر بن شبث وفيها تسلم عبدالله بن علي وصية من والده طاهر يحثه فيها على حسن معاملة الرعية واستعمال الحزم والعنف ضد نصر ووصفه الشهابي بقوله « ... بأنه يحق ان يكتب بماء الذهب كلها درر جمعت الحكمة والسياسة والدين والآدب(٢) وبعد فترة ورد نبأ وفاة والده طاهر

= ٣٠٨/١/٦ ابن خلدون م ٥١٤/٣ وفي رواية ابن خلدون وابن الاثيرانه قال « انماهواي في بني العباس وانماحاربتهم محاماة العرب لانهم يقدمون عليهم العجم » .

(١) د. فاروق ، العراق في العصر العباسي الاول ، مجلة بين النهرين عدد ٧ سنة ١٩٧٤ ص٢٨٩ .

(٢) الشهابي ، الغـــرر الحسان (القاهرة ، ١٩٠٠) ص١٥٨ . راجع نص الكتاب ، طيفور المصدر السابق ص ٢٥ ـ ٣٤ ، الطبري تاريخ ٨ / ٥٨١ ـ ٥٨٦ ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء مخطوط بالمتحف العراقي رقم ١٦٤٧ ورقة ٢٣ أ ـ ٢٧ ب .

في خراسان ثم عزاه الخليفة المأمون بكتاب تعزية ابدى فيه المأمون اسفه على وفاة ابنة طاهر (*) .

ويبدو ان ثورة نصر كانت قد بلغت قمة ذروتها وحقق انتصارات عديدة على جيوش الخلافة التي ارسلت لمجابهتها ، ولذلك حاول الخليفة المأمون اللجوء الى السياسة السلمية والى الوسائل الدبلوماسية، لحمل نصر على الطاعة وذلك بعد ان « استحكم امره واشتدت شوكته وهزم جيوشه » (١) اي جيوش عبد الله ،وكتب اليه كتابا « يدعوه فيه الى طاعته والمفارقة لمعصيته والمخالفة له فلم يقبل » (٢) وكان نص الكتاب « اما بعد فانك يانصر بن شبث قد عرفت الطاعة وعزها وبرد ظلها وطيب مرتعها ومافي خلافها من الندم والخسارة وان طالت مدة الله بك فانه انما يملي لمن يلتمس مظاهره الحجة عليه لتقع عبرة بأهلها على قدر اضرارهم واستحقاقهم وقد رأيت اذكارك وتبصيرك لما رجوت ان يكون لما اكتب به اليك موقع منك ، فان الصدق صدق والباطل باطــل ، وانما القول بمخارجه وبأهله الذين يعنون به ولم يعاملك في عمال امير المؤمنين احد انصح لك في مالك ودينك ونفسك ولا أحرص على استنقاذك والانتياش لك

(١) طيفور ، كتاب بغداد ، ص ٧٧ .

(٢) ن.م ، ص ٧٧ .

(٣) ن.م ، ص ٧٧ ، الطبري ٥٩٩/٨ ـ ٦٠٠ « وكان هذا الكتاب قد كتبه عمرو بن مسعدة »

(*) يراجع طيفور ، المصدر السابق ، ص٧٥ ـ ٧٦ .

بذلك الى المأمون واعلمه ماكان منه ، فكتب اليه في محاربته أن أمتنع فلم يزل كذلك حتى طلب الامان(١) ولذلك كانت مكافئة الخلافة لعبد الله كبيرة حينما عهد اليه بادارة اقليم مصر ، ولما قدم عبد الله بن طاهر بغداد سنة ٢١١ هـ استقبله العباس بن المأمون والمعتصم وسائر الناس(٢) .

ومما لاشك فيه فان الثورة خلفت في أثارها بعض الاضرار التي أصابت عدداً من مدن الاقليم وخاصة مدينة الرقة التي احترق ربضها وبعض ابنيتها ، مما دعى عبد الله بن طاهر الى ابتناء سورة مابين الرقة والرافقة(٣) ، ثم يشير اليعقوبي الى أن عبد الله بن طاهر حاول بعد ذلك تهدئة الشام بالقوة والصلاح والاستصلاح وأنه « سار ليستقري الشام بلداً بلداً لايمر ببلد الا أخذ رؤساء القبائل والعشائر والصعاليك والزواقيل وهدم الحصون وحيطان الدور وبسط الأمان للأسود والأبيض والأحمر وطمنهم جميعاً وحط عن بعضها الخراج ، فلم يبق خارق ولا

= الى المشرق ، ولما نزلوا بالاسكندرية ثاروا ، وملكوها وولوا عليهم ابا حفص عمر البلوطي ، وشغل عبد الله بن طاهر عنهم بمحاربة نصر بن شبث فلما فرغ منه سار من الشام اليهم (ابن خلدون م ٣ / ٥٣٨)

(١) طيفور المصدر السابق ، ص٨١ .

(٢) ابن خلدون ،المصدر السابق ، ٥٣٧/٢ .

(٣) أبو الفرج الملطي ، تاريخ الدول السرياني ، نقلا عن عياش ، « تاريخ الرقة » قسم ١/ص٦٨ ـ ٦٩ .

صالح الا خرج من قلمته وحصته »(١) وهذا يعني أن الأمن والاستقرار أخذ ينتشر في الاقليم ، خاصة اذا ماعلمنا أن الثورة كانت خاتمة لحركات المعارضة بأنواعهـــا المختلفة في الجزيرة الفراتية في العصر العباسي الاول بحيث بسطت الدولة سيطرتها بشكل تام على الاقليم عامة . وهنا حقيقة يمكن التأكيد عليها في نص اليعقوبي سابق الذكر الا وهو « حط الخراج » عن بعض النـاس مما يشير الى أن الخراج كان يفرض على العرب أيضاً ، فهذا يعني منتهى الاستغلال الاقتصادي في هذه الفترة خاصة أن الحرب بين الامين والمأمون كلفت بيت المال أموالا طائلة ، وان ماكان يمنحه الامين من الاموال لاتباعه وجيوشه ، بحيث كانت من عوامل نهـــاية حكمه ، وان المأمون لما قدم بغداد سنة ٢٠٤ هـ ، وجد بيت المال فاضياً الأمر الذي أدى به الى زيادة الضرائب على الاقاليم التابعة لحكمه في العراق والجزيرة ومصر والشام ، مما أدى بالثورات العربية في كل من الجزيرة والشام ولذلك فان حط الخراج عن فئة من الناس كان له أثره في خلق استقرار سياسي اقتصادي بالاقليم . والذي اتضح بعد القضاء على ثورة مصر . وقد بينت ثورة نصر للمأمون حقيقة نتائج اعتماده على الفرس . ولذلك لم يعد للفرس كل النفوذ في بغداد وكذلك في الشام ومصر وانما انحصر نفوذهم في خراسان (١) .

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ٣/١٩١ .

العلويون في الجزيرة الفراتية :

أن أقدم اشارة ترد عن الشيعة العلوية في الجزيرة بوردها الأزدي عند حديثه عن ثورة زيد بن علي في الكوفة سنة ١٢١هـ فيذكر الازدي أن زيد بن علي قد تزوج من ابنة عبدالله بن أبي العنبس الازدي ، وأنه كتب الى أهل الموصل يدعوهم الى طاعته غير أن رسوله اليهم قتل على يد يوسف بن عمر(١) وذلك بعد أن اكتشف مع الرسول نص الكتاب الذي أرسله زيد بن علي الى أهل الموصل يدعوهم الى الدخول فى طاعته غير أنه انكشف أمره وقتل(٢) ويذكر الاصفهاني ان أهل الموصل كانوا مع الذين أيدوا زيد في ثورته(٣) وعلق عدد من المؤرخين المحدثين على ذلك(٤) كما أرسل زيد يزيد بن أبي زياد

---

(١) وكان ذلك في صفر سنة ١٢١هـ وفي ذلك يقول زيد :

خليلي عني بالمدينة بلغــــا بني هاشم أهل النهى والتجارب

ا كل قتل معشر يطلبونه وليس زيد بالعراق يطـالب

(الازدي ، تاريخ ، ص ٤٤)

(٢) راجع الملحق الخاص بنص رسالة زيد بن علي الى أهل الموصل والجزيرة .

(٣) الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ١٣٥ .

(٤) فلها وزن ، الدولة العربية ص ٢٦٩ ـ ٢٧٥ . ، الخوارج والشيعة ٢٥٧ ، عمر فروخ ، العرب والاسلام ، ص١١٨ ، علي ابراهيم حسن ، التاريخ الاسلامي ٣١٤ ، غروستاف غرونباوم ، حضارة الاسلام (القاهرة ، ١٩٥٦) ص ٢٤٧

A. Shaban, The Abbasid Revolution, (Cambridge, 1970) p. 132.

«ولى بني هاشم صاحب عبد الرحمن بن أبي كيلي وكان من الدعاة الدقة»(١) كما أورد الاصفهاني خبراً عن التجاء يحي بن زيد الى الموصل بعد قتل والده ، وكيف جرى التعاون من قبل عناصر السكان هناك لاخفاءه(٢) يتبين لنا مما تقدم أن بالموصل والرقة عناصر أما علوية الهوى أو متعاطفة مع العلويين كما نصت عليه النصوص السابقة التي ذكرت . وكان ذلك في العصر الاموي .

كانت أول ثورة علوية في العصر العباسي ـ ذات علاقة بالجزيرة ـ هي ثورة ابراهيم أخو محمد ذو النفس الزكية . حينما ثار ابراهيم سنة ١٤٥ هـ . ويورد الطبري روايات عن مرور ابراهيم بالموصل قبيل ثورته(٣) حينما ترك الشام متنكراً منحدرا يريد البصرة ماراً بالموصل(٤) حيث كان قد نزل بالشام على آل القعقاع بن خليد العبسي ، فكتب الفضل بن صالح بن علي وكان على قنسرين الى أبي جعفر يخبره بانحداره الى البصرة ، فأمر المنصور « باذكاء العيون ووضع المراصد والمسالح »(٥) ومر ابراهيم بالموصل وهو في طريقه الى البصرة وفي الموصل مكث ابراهيم فيها مختفياً وروي عنه أنه قال : « اضطرني الطلب بالموصل حتى جلست على موائد أبي جعفر وذلك أنه قدمها يطلبني فتحيرت ، فلفظتني الارض فجعلت أجد ساغا ، ووضع الطلب

(١) الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ١٤٥ .

(٢) ن . م . ، ١٥٣ .

(٣) الطبري ٦٢٤/٧ ، الازدي ، المصدر السابق ص ١٨٠ .

(٤) الطبري ٦٢٤/٧ .

(٥) ن . م . ص ٦٢٣/٧

والمراصد ، ودعا الناس الى غدائه فدخلت فيمن دخل وأكلت فيمن أكل ثم خرجت وقد كف الطلب »(١) ويذكر الازدي قدوم ابراهيم الموصل هارباً من أبي جعفر(٢) ويبدو أن ابراهيم ترك الموصل لعدم حصوله على تأييد ومساندة من السكان بالموصل وأنحاء من الجزيرة . وبعد أن ترك الجزيرة والموصل اتجه الى الأنبار ثم بغداد والمدائن والنيل وواسط(٣) ثم الى البصرة حينما اعلن الثورة فيها .

ولما قامت الثورة قامت قوات رابطة الموصل التي كانت بقيادة حرب الراوندي بتنفيذ أمر الخليفة المنصور بالاتجاه جنوباً للمساهمة في القضاء على ثورة ابراهيم غير أن سكان منطقة باحمشا اعترضوا سبيلها وقالوا : « لاندعك تجوزنا لتنصر ابا جعفر على ابراهيم فقال لهم قائدها حرب : ويحكم أني لاأريد بكم سوءاً إنما أنا مار أدعوني ، فقالوا : لا والله لاتجوزنا أبداً ، فقاتلهم فأبادهم وحمل منهم خمسمائة رأس فقدم بها على أبي جعفر وقص عليه قصتهم فقال

---

(١) الطبري٧/٦٢٣ - ٦٢٤ ، الازدي ، ١٨٠ ، ابن الاثير ، الكامل ٥/٥٦١ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ٦/٢٢ .

(٢) الازدي ، المصدر السابق ،ص١٨٠ .

(٣) راجع الطبري ، ٧/٦٢٣ - ٦٢٤ ، الازدي المصدر السابق ، ١٨٠ ، الاصفهاني ، مقاتل للطالبيين ٣١٧ و ٣٩٧ وراجع د. فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ١/ الفصل السادس ٢٠٤ - ٢١٥ ، مجلة بين النهرين عدد ٦ لسنة ١٩٧٤ ص ٥٢ - ٥٣ .

أبوجعفر : هذا أول الفتح »(١) ولذا نجد أن هناك عدداً من المتعاطفين مع العلويين بالجزيرة الفراتية وبعد أن فشلت ثورة ابراهيم تفرق أخوته واتجه منهم موسى الى الجزيرة(٢) ولعله مر بها وهو في طريقه الى الشام اذ يبدو أنها لم ترحب به ثم اتجه الى المدينة المنورة فالبصرة(٣) ومن أبرز الشخصيات العلوية بالجزيرة هو أبو السرايا نصر بن شبيب « حيث كان متشيعاً حسن المذهب ، وكان ينزل الجزيرة »(٤) وكان قد اتصل في موسم الحج باحدى الشخصيات العلوية « ابن طباطبا » واتفقا على القيام بالثورة في الجزيرة(٥) .

---

(١) الطبري ، المصدر السابق ، ٦٣٢/٧ - ٦٣٣ ، الازدي ، المصدر السابق ، ١٩٤- ١٩٥ ابن كثير ، البداية والنهاية ٩٢/١٠ ، الذهبي، تاريخ الاسلام ٢٣/٢ . وكان المنصور كتب الى العباس بن محمد والي الجزيرة سنة ١٤٥ ﻫ يخبره بثورة محمد مطالباً إليه أن يمده برجال من أهل الجزيرة وكتب الى أمراء الشام مثل ذلك(الطبري المصدر السابق ، ٦٢١/٧ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٣٠٧/٣ - ٣٠٨ ، وراجع ابن خلدون ، ٤٠٨/٣ .

(٣) راجع المسعودي ، مروج الذهب ، ٣٠٧/٣ - ٣٠٨ ، وابن خلدون ٤٠٨/٣ ، والذهبي تاريخ الاسلام ، ١٩/٦ .

(٤) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ص٥١٨ - ٥١٩ ، وراجع نعيمه الشكرجي، ثورة أبو السرايا « اطروحه ماجستير » « بغداد ، ١٩٧١)

(٥) راجع ، الاصفهاني ، المصدر السابق ، ٥١٨ - ٥١٩ ، وابن الاثير المصدر السابق . ٣٠٢/٦

وثار ابو السرايا بالجزيرة حيث انه جمع نفرا من الرجال فقتل رجلاً من بني تميم بالجزيرة وأخذ مامعه ، فطاردته السلطة فاختفى وعبر الفرات الى الجانب الثاني فكان يقطع الطريق في تلك النواحي، ثم اتجه الى ارمينية (*) والتحق بعد ذلك بعسكر هرثمة في فتنة الامين والمأمون ، وذلك ان هرثمة راسله ليستميله اليه بعد أن اشتهرت شجاعته . وانضم أبو السرايا ومعه نحو ألفي فارس وراجل فصار يخاطب بالامير(١) وهكذافقد خدمت الظروف العامة السائدة في الدولة الاسلامية في انجاح خطط ابي السرايا ، ثم انقلب ابو السرايا على هرثمة الذي انقصه ارزاقه وارزاق اصحابه ، ولذلك ثار أبو السرايا في عين التمر(٢) ثم اتجه الى دقوقا والانبار حيث قتل صاحبها وأخذ مافيها من الاموال ، وتركها مؤقتا ثم رجع اليها بعد نضج الحاصل الزراعي من اجل ان يجنيه ، ثم اتجه الى الجزيرة حيث قصد الرقة، وفي طريقه مر بطوق بن مالك التغلبي (**) ، وكان قد انضم اليه

---

(١) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٣٠٢/٦-٣٠٣ .

(٢) ن . م ٣٠٣/٦ .

(*) وكان يزيد بن مزيد بارمينية ومعه ابو السريا في (٣٠) فارسا ثم أمره يزيد قائدا حيث كان يقاتل معه الخرمية حيث فتك بهم وأخذ منهم غلامه ابوالشوك ، فلما عزل أسد من ارمينية انضم أبو السرايا الى أحمد بن مزيد فوجهه احمد طليعة الى عسكر هرثمة في فتنة الامين والمأمون حيث انضم الى هرثمة ، ابن الاثير ، المصدر السابق ٣٠٢/٦-٣٠٣) .

(**) فقد كان طوق بن مالك يحارب القيسية ،فاعانه عليهم وقام=

في صراع قبلي بالمنطقة ، وبالرقة لقيه محمد بن ابراهيم المعروف بابن طباطبا فبايعه فيها وقال له : « انحدر انت في الماء وأسير أنا على البر حتى توافي الكوفة»(١) ولعل السبب واضح في اتجاههما الى الكوفة بسبب تواجد الشيعة العلوية باعداد وفيرة وذلك للقيام بثورتهم وتمكنا من الاستيلاء على الكوفة وضرب ابو السرايا الدراهم بالكوفة وسير جيوشه الى البصرة وواسط وتوفي ابن طباطبا فجأة (٢) .غير أن الخلافة وقفت للثورة بالمرصاد حينما تمكنت من قواتها من طرد الثور من الكوفة حينما حاول أبو السرايا التوجه الى البصرة غير انه اتجه الى واسط ثم الاهواز فالسوس بخوزستان ثم اتجه على طريق خراسان ، وبعد ان فشل في تحقيق أي هدف (٣) حاول التوجه الى الجزيرة الفراتية وذلك بعد ان جرح في احدى المعارك وتفرق اصحابه من حوله حيث سار هو ومحمد ابو الشوك نحو منزل أبي السرايا برأس العين ،فلما وصلوا اجلوا لاعقبض عليهم وجيء بهم الى الحسن ابن سهل وهو بالنهروان فقتل أبو السرايا وبعث برأسه الى المأمون

= معه اربعة اشهر يقاتل على غير طمع الا للعصبية الربيعية على المضرية وانقادت له قيس،ابن الاثير، ٣٠٣/٥) .

(١) ن . م ٣٠٣/٦ .

(٢) راجع ن . م ٣٠٤/٦ - ٣٠٩ ، الاصفهاني ،مقاتل الطالبين ص ٥٢٢ - ٥٢٣ .

(٣) ابن الاثير، المصدر السابق ، ٣٠٥/٦ - ٣٠٩ ، مجهول العيون والحدائق ٤ / ٣٤٧ ، الاصفهاني ، المصـــدر السابق ، ٥٤٧ - ٥٤٨ .

من خطائك مني فبأي اول او اخر اوسطه او امره اقدامك يانصر على أمير المؤمنين في امواله وتتولى دونه ماولاه الله تريد ان تبيت أمنا او مطمأنا او وادعاً او ساكناً او هادئاً فوعي لم السر والجهر لئن لم تكن للطاعة مراجعا بها خانعا لتستوبلن وخمة العاقبة ثم لابد ان بك قبل كل عمل فان قرون الشيطان اذا لم تقطع كانت في الارض فتنة وفساد كبير ولاطأن بمن معي من انصار الدولة كواهل رعاع اصحابك ومن تأشب اليك من داني البلدان وقاصيها وطغامها واوباشها ومن انضوى الى حوزتك من خراب الناس ومن لفظه بلده ، ونفته عشيرته لسوء موضعه فيه ، وقد اعذر من انذر».

نلاحظ من خلال الكتاب نجد انه كان كتاب اغراء وتأكيد على الدين الاسلامي الذي لايجيز الصراع بين المسلمين انفسهم ، بل وجوب طاعة الخليفة ، كما انه يحتوي على تهديد من جانب الخليفة الى نصر اذ كان كتاب اقتناع وتهديد بشكل صريح اذ ان المأمون بين فيه مقدرة الخلافة على القضاء على الثورة ، كما كشف المأمون عن تنوع جيش نصر وسعته والذي ضم اتباع من بلاد بعيدة وقريبة، كما بين في رسالته أن هناك عدد من الذين كانوا قد طردتهم عشائرهم لسوء سيرتهم ، وكل ذلك كان محاولة من الخليفة المأمون لكي يضعضع الثقة في نفس نصر تجاه اتباعه . غير ان نصر لم يستمع الى هذا الكتاب او يتأثر به . ولذلك حاول المامون مرة اخرى اللجوء الى الاساليب السلمية لحمل نصر على الطاعة فروي ان المأمون قال لثمامة بن اشرس : « الا تدلني على رجل من أهل الجزيرة له عقل وبيان ومعرفة يؤدي عني ما أوجهه به الى نصر بن

شبث ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين رجل من بني عامر يقال له جعفر بن محمد ، قال له : احضرنيه ، قال جعفر : فاحضرني ثمامة فادخلني عليه فكلمني بكلام كثير ثم امرني ان ابلغه نصر ابن شبث قال : فاتيت نصرا وهو بكفر عزون بسروج فأبلغته رسالته وشرط شروطا منها : الا يطأ بساطه ، قال : فاتيت المأمون فاخبرته فقال : لاأجيبه ، والله الى هذا ابداً ولو افضت الى بيع قميصي حتى يطأ بساطي ، وما باله ينفر مني ؟ قال ، قلت : الجرمه وماتقدم منه قال: أتراه اعظم جرما عندي من الفضل بن الربيع (*) وغيره وهذا رجل

(*) فقد قال المامون : اتراه اعظم جرما عندي من الفضل بن الربيع ومن عيسى بن ابي خالد اتدري ماصنع بي الفضل ؟ اخذ قوادي واموالي وجنودي وسلاحي وجميع ما أوصى به ابى لي فذهب به الى محمد وتركني بمرو وحيدا فريدا واسلمني وارسل علي اخى حتى كان من امري ما كان وكان اشد علي من كل شيء . اتدري ماصنع بي عيسى بن خالد ؟ طرد خليفتي في مدينتي ومدينة ابائي وذهب بخراجي وفيئي واخرب علي دياري واقعد ابراهيم خليفة دوني ودعاه باسمي قال . . . قلت يا أمير المؤمنين . . . اتاذن لى في الكلام فاتكلم ؟ قال تكلم قلت : الفضل بن الربيع رضيعكم ومولاكم وحال سلفه حالهم ترجع عليه بضروب كلها نزول عليها وعيسى بن خالد رجل من اهل دولتك وسابقته وسابقة من مضى من سلفه سابقتهم ترجع عليه بذلك » (طيفور ص ٧٨-٧٩ الطبري ٥٩٨/٨ ـ ٥٩٩ ابن الاثير المصدر السابق ٣٨٨/٦ ـ ٣٨٩ مسكوية تجارب الامم ٤٥٤/٦ ـ ٤٥٥ .

لم تكن له يد قط فيتحمل عليها ولا لمن مضى من سلفه سابقتهم ترجع عليه بذلك انما كانوا جند بني أميه (١) - وقيل كان من جند بني أميه - قال ان ذلك كما تقول فكيف بالحنق والغيظ ولكني لست اقلع عنه حتى يطأ بساطي ، قال فاتيت نصرا فاخبرته بذلك قال : فصاح بالخيل صيحة ، ثم قال : ويلي عليه هو لم يقو على اربعمائة ضفدع تحت جناحيه - يعني الزط - (٢) يقوي على حلبة العرب»(٣) ولو امعنا النظر في محاولة المامون السلمية هذه ندرك مدى قلق الخليفة من خطر الثورة اذا ما استمرت ومحاولته تاكيد قوة موقع الخلافة في هذه الانثناء باصراره على ان يطأ نصر بساطه ، كما تبين مقدار ثقة نصر بموقفه المتشدد من المامون معيرا اياه بعدم تمكنه من الزنج وهم اربعمائة ، فكيف يمكن له ان يقضي على قوة العرب هذه ، ولذا فلم تثمر هذه المحاولات السلمية بسبب تشدد وتصلب كل من الخليفة ونصر من بعضهما البعض .

---

(١) ابن الاثير ٣٨٩/٦ . ابن خلدون ٥٣٦/٣ .
(٢) الدورى العصر العباسي الاولى ، ص ٢١٨ .
(٣) طيفور ، ص ٧٨ - ٧٩ ، الطبري ٥٩٨/٨ - ٥٩٩ ابن الاثير المصدر السابق ، ٣٨٨/٦-٣٨٩ ، مسكويه ، تجارب الأمم ٤٥٤-٤٥٥ ابن خلدون ، المصدر السابقة ، م ٥٣٦/٣ .

نهاية الثورة :

وبعد ان فشلت المحاولات السلمية هذه يبدو ان المامون قد شدد في مسالة حصر الثورة وعدم السماح لها بالاتساع رغم ان مصادرنا لم توضح لنا ماهي ومدى المساعدات والامدادات العسكرية التي ارسلها الخليفة لعبد الله بن طاهر ، وتكتفي المصادر بالاشارة الى ان عبدالله بن طاهر اقام على محاربته خمس سنين مابين ٢٠٦ - ٢١٠ هـ حتى طلب الامان . فكتب عبدالله الى المأمون يعلمه انه حصره وضيق عليه وقتل رؤساء من معه ، « وانه قد عاذ بالامان وطلبه» (١) ، فرغم ان مصادرنا لاتقدم لنا اية تفصيلات عن سير المعارك في هذه الاثناء الا انه يمكن أن نستنتج أن اصرار المأمون وموقفه المتشدد من الثورة وملازمة عبداللهبن طاهر في محاربته له وقتل رؤساء من معه ساعد في أفشال الثورة .

ومن الممكن تفسير طلب نصر للامان بأنه كان نتيجة شعوره بعدم جدوى الاستمرار في مجابهة قوات العباسيين . وشعوره بالموقف الحقيقي المتشدد للخليفة المأمـــون وعدم استكانته ومرونته في مجابهة الثورة .

ولذلك امر الخليفة المأمون أن يكتب الامان . ثم سلم اليه بعـــد ذلك (٢) وتحول من معسكره الى الرقةسنة ٢٠٩ هـ/ ٨٢٤ م فاستقبله

---

(١) طيفور ،تاريخ بغداد، ٧٧-٧٨ ، الطبري،تاريخ ، ٨/ ٦٠٠، ابن الجوزي المنتظم ١٠/٨٦٥ أ .

(٢) كان نص الامان :« اما بعد فان الاعذار بالحق حجة الله المفروض=

= بها النصر والاجتماع بالعدل دعوة الله الموصل بها العز ، ولايزال المعذر بالحق المحتج بالعدل في استفتاح ابواب التأييد واستدعاء اسباب التمكين حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين ويمكن وهو خير الممكنين واست تعدو فيما ان تكون فيما طمحت به ، أحد ثلاثة ، طالب دين ، أو ملتمس دنيا أو متهور بطلب الغلبة ظلما. فان كنت للدين تسعى بما تصنع فاوضح ذلك لامير المؤمنين ليغتنم قبوله ان كان حقا ، فلعمري ماهمته الكبرى ولاغايته القصوى الا الميل مع الحق حيث مال والزوال مع العدل حيث زال وان كنت للدنيا تقصد فابلغ امير المؤمنين غايتك فيها والامر الذي تستحقها به فاذا استحققتها وامكنه ذلك فلعمه ، فلعمري مايستجيز منع خلق مايستحقه وان كنت متهورا فسيكفي الله أمير المؤمنين مؤنتك ويعجل ذلك كما عجل كفايته مؤن قوم سلكوا مثل طريقك كانوا أقوى يدا واكثف جندا واكثر جمعا وعددا ونصرا منك حينما أصارهم اليه مصارع الخاسرين وأنزل بهم من جرائح الظالمين وامير يختم كتابه بشهادة ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وضمانه لك في دينه وذمته الصفح عن سوالف جرائمك ومتقدمات جرائرك وانزالك تستأمل من منازل العز والرفعة ان اتيت وراجعت انشاء الله » كتبه ابو اسحق أحمد بن اسحق ، طيفور المصدر السابق ص ٧٧ ـ ٧٨ ، الطبري ، المصدر السابق ٨ / ٦٠٠ .

عبدالله بن طاهر الذي وجهه الى المأمون حيث دخل بغداد يوم الاثنين - وقيل الثلاثاء - لسبع خلون من صفر سنه ٢١٠ هفانزل مدينة أبي جعفر ووكل به من يحفظه(١) ولما دخل نصر بغداد حاول بعض الشخصيات السياسية تدبير مؤامرة ضد الخليفة المأمون مستغلين فرصة دخوله بغداد(٢) .

وبعد خروج نصر الى عبدالله بن طاهر بالامان هدم عبدالله كيسوم وخربها (٣) ، ويعلق الاصفهاني على الانتصار العباسي هذا بقوله « فنصب عبدالله الحرب له ولتلك الزواقيل حتى أذله وبعث برؤساء الفتنة الى المأمون....» (٤) .

وهكذا انتهت الثورة بالفشل الذي كان نتيجة للموقف الحازم من الخليفة المأمون وكذلك قوة المقاتلة العباسية وجلدهم وصبرهم في القتال وذلك باعتراف نصر نفسه الذي قال عنه « ... اما الاتراك فانما التركي

---

(١) طيفور ، المصدر السابق ص ٧٩ ، الطبري المصدر السابق ٦٠٢/٨ .

(٢) راجع الطبري المصدر السابق ٦٠٢/٨ ، ابن الاثير ،المصدر السابق، ٣٩١/٦-٣٩٢ ، الرفاعي، عصر المأمون م١ (القاهرة ، ١٩٢٨) ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ٦٠١/٨، الازدي ، المصدر السابق ، ص٣٦٦ ، الكتبي جـ ٣ ق ٢ ،٢٤٨ب .

(٤) حمزة الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الارض والانبياء (برلين ، ١٣٤٠) ص١٤٦ .

بسهامه فاذا انفذها أخذ باليد ، وأما العجمي فبسيفه فاذا كر استبسل ، واما الابناء فلم ار مثلهم لايكلون ولايملون ولاينهزمون يقاتلون في شدة البرد في الازر الخلق بلادرع ولا جوشن ولامجن مرة بالسيف ومرة بالرماح ومرة بالسهام يخوضون الخليج في الانهار ويخوضون في الهجير النار لايكلون ولا يملون ... » (١). فموت المقاتلة العباسية من الثورة كان يتميز بالشجاعة الفائقة في مقارعتهم للثوار .

ونستطيع ان نضيف عاملا آخر من عوامل الفشل ممثلة في عدم وجود انسجام بين صفوف الثوار لانهم كانوا كما وصفهم المأمون (... كواهل رعاع ... وخراب الناس ومن لفظته ونفته عشيرته لسوء موضعه فيه ... »(٢) ومن « ... الزواقيل ... »(٣) ولذلك لم يكونوا كتلة واحدة ضد قوات الخلافة المتجانسة ، بل كان الطمع عاملا لجذب كثير منهم اضافة الى وجود بعض العناصر الاخرى المعارضة للعباسيين ـ كما يبدو ـ

---

(١) فقد حدثت مناقشة بين المأمون وبين قادته حول اشجع المقاتلة فاحضروا نصرا بعد ان قال المأمون « ماتصنعون باختلافنا ؟ هذا نصر بن شبث فنرسل إليه فنسأله عن أشجع من لقي من جندنا وقوادنا من القوم جميعا ، فاحضروا نصرفحدثهم حديثهم السابق قال قائد المأمون : حسبنا بك حكما بيننا . طيفور المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٢) طيفور ، المصدر السابق ، ص٧٧ ، الطبري ، المصدر السابق ، ٨/٥٩٩ـ٦٠٠ .

(٣) حمزة الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ، ص ١٤٦ .

مما أفقد الحركة روح الانسجام والوحدة التامة . ومن الامثلة على ذلك اذا ماصحت رواية ميشيل السوري - التي يذكر فيها من ان نصر بعد ان احس بتضييق جيوش الخلافة له ، دعى كاتبه وهو مسيحي متعلم وأملى عليه خطاباً للبطريق امانوئيل (مانويل) كما لو كان يريد التحالف مع الروم . فلما علم الامبراطور ميشيل بذلك بعث رسله فوصلوا الى كيسوم فوجدوا نصر خرج الى سروج وبلغه الخبر وهو بها فجمع انصاره واعلمهم الخبر وفخر بقدوم رسل فحنق الروم أنصاره وقالوا : « اتريد أن تغضب الله وترتد ؟ حتى املأوا نفسه حقدا مثل هذا الكلام فارسل من قتل رسل الروم » (١) فاذا أخذنا بصحة هذه الرواية فيبدو لنا عدم وجود انسجام تام بين اتباع نصر في مناقشة قضية مصير الثورة في مراحلها الصعبة مثلا ، غير اننا نستبعد ان يكون قد اتصل بالروم ، للاستنجاد بهم على المسلمين ، اضافة الى عدم ورود أي ذكر لمثل هذه الرواية في مصادرنا الاسلامية ، ومهما يكن من امر فان الثورة انتهت بالفشل ، وبرزت نتيجة واضحة لهذا الفشل الا وهي ازدياد مكانة آل طاهر لدى الخليفة المأمون وخاصة عبدالله بن طاهر الذي كتب اليه المأمون سنة ٢١٠ هـ ان يتوجه الى مصر ، وكان بينه وبين ابن السري(*) خلاف فمنعه من الدخول فكتب

---

(١) من هامش فازليف ، العرب والروم ، ص٨٧ ، فتحي عثمان الحدود الاسلامية ٢/١٦٩ ، ١٧٠ .

(*) وكان السري بن محمد بن الحكم والياعلى مصر وتوفى سنة ٢٠٥هـ وبقى ابنه عبدالله فانتقض وخلع الطاعة وانزل بالاسكندرية جالية من الاندلس اخرجهم الحكم بن هشام من ربض قرطبة وغربهم=

ونصبت جثته على جسر بغداد (١) ويبدو ان حركته قد منيت بالفشل بعد سلسلة من الانذحارات المتوالية .

وحينما قامت ثورة نصر بن شبث العقيلي كما مر بنا نفر من شيعة الطالبيين قائلين له : « قد وترت بني العباس وقتلت رجالهم واعلقت عنهم الحرب ، فلو بايعت الخليفة كان أقوى لامرك ... فقال من أي الناس ؟ فقالوا : نبايع لبعض آل علي بن ابي طالب ، فقال : ابايع أولاد السوداوات فيقول انه خلقني ورزقني ؟ ... »(٢) ولذا نجد ان الشيعة العلوية الطالبية دعوة للمبايعة فرفض ذلك لأنه كان مع بني العباس(٣) .

---

(١) وكان الذي قبض عليهم في جلولاء حماد الكندغوشي الذى ارسله الى الحسن بن سهل وهو بالنهروان فقتل أبو السرايا وبعث برأسه إلى المأمون ونصبت جثته على جسر بغداد ، وسير محمد بن محمد الى المأمون الطبري ٥٢٤/٨ ـ ٥٢٥ ، ابن الاثير ٣٠٩/٦ ، مجهول العيون والحدائق ، ٣/ ٣٤٧ ، الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ٥٤٨ ، مسكويه ،تجارب الامم، ٤٢٣/٦ ـ ٤٢٤ ، راجع بلاذري ،انساب ٥١٥/٣ ـ ٥١٦ .

(٢) ابن الاثير، المصدر السابق ٣٠٨/٦ .

(٣) راجع ثورة نصر بن شبث كما مرينا .

ثورة الموصل سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م

سبق لنا وتطرقنا الى ثورة الموصل هذه خلال حديثنا عن فترة الانتقال التي مرت بها الجزيرة ، وكيف أن اهل الموصل وقفوا من العباسيين موقفاً ايجابياً بعد تقدم القوات العباسية حينماهزمت القوات الاموية في معركةالزاب ،ويمكن أن يفسر موقف الموصل الايجابي هذا بأنه كان بسبب اعتقادهم بعدم جدوى مقارعة القوات العباسية المنتصرة. ولكن بعد فرض النفوذ العباسي على الجزيرة ومنها الموصل ، كان اهل الموصل كغيرهم من الموالين للأمويين كانوا يتحينون اية فرصة للتعبير عن سخطهم ازاء العباسيين ، وقد حانت لهم هذه الفرصة حينما عين محمد بن صول مولى خثعم واليا على الموصل مما ادى الى استياء أهل الموصل قائلين « ايلي علينا مولى الخثعم » وادى ذلك الى حدوث ثورة الموصل التي اسرف العباسيون باستعمال الشدة في القضاء عليها بعنف كما مربنا (١) .

ثورة العبيد في حران سنة ١٤١هـ/٧٥٨م

يذكر دانيوسيس قيام العبيد سرا بالتجمع بتعداد خمسمائة شخص من الماديين والسنديين والخزر وتسلحوا فهاجموا حران (في رابعة النهار) ويبدوأن دوافع ثورتهم كان دافعاً اقتصادياً من خلال تصرفاتهم التي اتسمت بمهاجمة الخزينةغير أن والي الجزيرة عباس بن محمدجمع قوات كبيره فهاجمهم وقتل كثيراً منهم بعد أن هرب الاخرون(٢) ، ويؤكد

---

(١) راجع الفصل الثالث ـ فترة الانتقال ـ موقف الموصل من الحكم العباسي الجديد .

(٢) دانيوسيس ، المصدر السابق،ص٣١٧ .

الازدي رواية دانيوسيس حينما يقول « خرج بحلب وحران قوم يقال لهم الراوندية يقولون قولا عظيما وزعمو انهم بمنزلة الملائكة وصعدوا تلا بحلب ولبسوا ثياب حريروطاروا منه وهلكوا» (١) ولعل هم من بقايا الجناح المتطرف للدعوة العباسية(٢) غير أن مصادرنا لم تقدم أية معلومات اضافية عن هذه الثورة .

ثورة أهل الموصل سنة ١٩٥ هـ/٨١٠م

في هـــذه السنة ثار اهل الموصل ضد الوالي ابراهيم بن العباس «لامر جرى بينهم وبينه » ووجه الخليفة المأمون الى الموصل الحسن بن عمران الطائي وكان متنفذا ونظر في المسائل المتعلقة بينهم فازال الخلاف وهدأت الحال فيها (٣) .

---

(١) الازدي ، تاريخ الموصل، ص١٧٣ ،فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية ١٣١/٢-١٣٢ .

(٢) كان الراوندية قوم من اهل خراسان يقولون بتناسخ الارواح ويعتقدون بمعتقدات غريبة (راجع . فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية) وذلك حينما ثاروا في هاشمية الكوفة على المنصور فقتلهم .

(٣) الازدي المصدر السابق ص، ٣٢٢ .

الملاحق

ملحق رقم (١)

« القصيدة التي سببت قتل سليمان بن هشام »(١)

قال الشاعر سديف بن ميمون محرضاً الخليفة أبا العباس على سليمان بن هشام : -

ظهر الحق فاستبان مضيا   إذ رأيا الخليفة المهديا
خصه الله بالكرامة منه   فهنيئاً له هنيئاً مريا
يا ابن عم النبي انت ضياء   أمهينا بك اليقين الجليا
قد أتتك الوفود من عبد شمس   مستكيفين قد أجدوا المطيا
عنوة أيها الخليفة لاعن   طاعة بل تخوفوا المشرفيا
لايغرنك ماترى من رجال   أن تحت الضلوع داء دويا
فدع السوط وارفع السيف حتى   لاترى فوق ظهرها أمويا

(١) راجع ابن أعثم الكوفي فتوح ، ورقة ٤٨ - ٥٠ ؛ مجهول ،غرر السير ، ورقة١٥١ أ - ١٥٢ب ،وراجع الامامة والسياسة (المنسوب) لابن قتيبة ١٥٩/١ ، الازدي المصدر السابق ، ص ١٥٥ ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٣٥٥ - ٣٥٦ ، المرصفي ، رغبة الامل من كتاب الكامل (القاهرة ، ١٩٣٠) ج ١٣٤/٨ - ١٣٥ ، ابن الوردي ، تاريخ (النجف ، ١٩٦٩) ٢٦٠/١ ، ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ص ١٩ - ٢٠ ، ابن الساعي ، كتاب مختصر اخبار الخلفاء ، (مخطوط في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم١١٤٧) ورقة ١ ب).

ثم قال : ـ

أصبح الملك ثابت الاساس	بالبهاليل من بني العباس
يا امين المصرين بني العباس	يارأس منتهى كل رأس
لاتقيلن عبد شمس عثارا	وأقطعن كل رملة وغراس
ذلهم أظهـــر التودد منهم	وبهـم منكم كحز المواس
ولقد ساءني وساء بنو أبي	قربهم في نمارق وكراس
اقصهم أيها الخليفة واقطع	عنك بالسيوف مشانة الارجاس
وأذكر مصرع الحسين وزيدا	وقتيـلا بجانب المهـراس

يريد بقوله « قتيلا بجانب المهراس » حمزة بن عبد المطلب فانه قتل بأمر أبي سفيان وامرأته هند بالمهراس وهو ماء بأحد .

ملحق رقم (٢)

« وصية الامام زيد بن علي (ع) لاهل الموصل والجزيرة »

قال ابن أعثم الكوفي، وضاقت الارض بوجهها على يوسف بن عمر وهم أن يبعث الى عامله الحكم بن الصلت بالكوفة ويحذره أمر زيد بن علي ويأمره بالطلب والتفتيش ثم ارسل الى الطرق فأخذت فكان لا يمر بأحد إلا فتش خشية أن يكون معه كتاب ، فبينما هم بالمسالح على الطرق إذا برجل مر وفي يده عصا فصاحوا به ثم قالوا : من أين أنت ؟ قال : من بلاد الشام ، ففتش فلم يوجد معه شيء ، فضرب أحدهم يده الى العصا فأخذها وهو يقلبها وينظر إليها فاذا على ناحية منها قطعة شمع ملصقة فقلع ذلك الشمع فاذا جانب العصا مجوفة في جوف الحفر كتاب مدرج فأخذ الكتاب والرجل فاتى الى يوسف بن عمر فأخذ الكتاب بنفسه فاذا به :

بسم الله الرحمن الرحيم : من زيد بن علي بن الحسين بن علي الى أهل الموصل وسائر بلاد الجزيرة ، سلام عليكم : أما بعد فاتقوا الله عباد الله الذي خلقكم ورزقكم واليه مصيركم فانكم قد أصبحتم لتعرفون الحق وأنتم تواصفونه بينكم ووصفه واصف لكم ولا ينتفع واصف لحق ولا ألموصوف له حتى يعين من قام به عليه وقد قال الله تعالى « والعصر أن الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » وقد دعا محمد صلى الله

عليه وسلم أهل الكتاب من قبل كما أمره الله سبحانه وتعالى فقال : « ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا تعبدوا الا الله ولاتشركوا به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » وقد عرفتم حالكم الذي انتم عليه من الفتنة فى دينكم والبلاء في معايشكم من امر سفك الدماء والاستئثار عليكم بفيئكم فهذا ما أنتم عليه واليوم مقيمون وبه آخذون ، وأنا أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والرفع عن المستضعفين ومجاهدة الظالمين الذين استضعفوا أهل بيت نبي رب العالمين فبادروا الى عبادة الله ، واحذروا أن يحل بكم عذاب الله وبأسه وما حل على من كان قبلكم من أهل معصيته والتولي عن أمره وراجعوا الحق وأحيوا أهله وكونوا لهم أعوانا إليه لتكونوا من المفلحين والسلام على عباد الله الصالحين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين » .

فلما قرأ يوسف بن عمر هذا الكتاب تغير وجهه وامتلأ غيضا وغضباً ثم قدم هذا الرجل الذي معه الكتاب فضرب عنقه ضرباً ، وبعث الى عامله بالكوفة الحكم بن الصلت فأمره أن يطوف في الكوفة بالليل وان يبحث بالنهار عن زيد بن علي . (١)

---

(١) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، جـ٢ ، ورقة ١٣ .

ملحق رقم (٣)

« مصير الثائر عبد الله بن علي »

لقد ذهب عبد الله بن علي البصرة حيث التجأ الى سليمان بن علي أخيه ، بعـــد أن فشلت ثورته ضد الخليفة المنصور بالجزيرة الفراتية وقد كتب المنصور أمانا لعبد الله بن علي كتبه له عبد الله ابن المقفع ووصفه اليعقوبي بأنه « كتبه بأغلظ العهود والمواثيق ، لاينااله بمكروه ولايحتال عليه في ذلك بحيلة »(١) وكان نص الامان : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتـاب من عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس خليفة الله على من ولاه أمره من المسلمين والمعاهدين لعبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن العباس انه قد أمنه واخلص له في ذلك النية وأشهد الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الذي بيده نواصي الانام ، وهو يسمع جرس الكلام ، وعلمه فيما مضى كعلمه فيما بقى منها ، وجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ومن يحف بالعرش والكروبين من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين وعباده الصالحين ، وجعل له ـ فيما آمنه به عليه ـ عهد الله وحده ، اعزه وأمنعه واقدره وأرحمه وذمته التي لايستحل المسلمون إخفارها ولانقضها ولااهمالها ، بها حقنت الدماء ، وبها قامت السموات والارض أن تزولا ، ومن شدتها اسكرهتها السماوات فصدفت عنها ، واستثقلتها الارضون والجبال ، فابين أن يحملنها واشفقن منها ،

(١) اليعقوبي ، تاريخ ٢/٣٦٨ .

وذمة المصطفى المنتخب المرتضى النبي الامي صلى الله عليه وسلم ، وذمة جبريل وميكائيل واسرافيل ، وذمة ملك الموت ومن حف بالعرش من الملائكة والكروبين ، وذمة الخليل ابراهيم ، وذمة موسى وهارون وذمة روح الله وكلمته عيسى بن مريم ، وذمة اسماعيل واسحاق ويعقوب ، وذمة خلفائه الباقين وأسلافه الطيبين الماضين ، وعاهد الله فيما إبتدا به من ذلك ، وأعطاه عهداً مسئولا يلقى الله عليه غير خافر ولاناقض ولاناكث ، ثم جعل - بعد هذه العهود والذمم - حرم ماأدعم الله به خليفته وسدد به الدين الذي فضله فيما جعله في الارض هدي للمسلمين وتبيانا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أماما ومنبها ولنفسه به عليهم الحجة فيما عظم من ذلك ، ثم قبل هذه الايمان كلها بحقوقها وحرمتها وتوكيدها وعظمها وثبوتها ومعرفتها وإذاعتها في البلدان والخلق والاسلام والافاق ، وإذن له في القدوم عليه آمناً مطمئناً محفوظاً مستوراً مكنوفاً آفته وغشه وأمره ونهيه ، بريئاً مما يعتد به أحد من خلق الله على أحد بذنب أو جرم أو زلة أو غيرة أو سقطة جليلة أو حقيرة فيما مضى ، ولايتهمه ، ولايعلاقة فيما بقى ، وأمن له المسالك كلها من البصرة ومابعدها الى مدينة السلام الهاشمية وغيرها وماوليها الى حيث تجري كتبه ، وينفذ أمره من أهل الاسلام والمعاهدين وأهل كل ملة وقبلة ، وجوز له ركوب السفن ومسالك البحور على ما أراد ، مُؤَمّن من غشها ومكرها ، واذن له في النزول حيث أحب من مدينة السلم الهاشمية وغيرها في الدور والزواريق والفساطيط والمنازل ، وحيث شاء ، آمينه منها على ما أمنه في أعلى كتابه وجعل له الايسعى أحد من خلق الله الى مكانه ومستقره وموضعه ومضجعه ومبيته ومقيله وحال خلوته وغير خلوته ، نائما ومنتبها وقائما وقاعداً بشيء مما يتخذه الآدميون

بحديده ولابشيء مما أطلعه الله عز وجل من نبات الارض ولا وجهها من صخرة ولامدرة ، ولاشيء مما يدفع به المحاربون عن أنفسهم ، ولا حار ، ولاتهدم ولاتبار ، ولاشيء يراد به الغش والنقص ، وأشهد الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وكتبه على ماعاهد عليه وعقد وأعطى من ذلك ، وجعل له الايرى من مجالسته احتشاماً ولا انقباضاً ولامباينة ولا ازوراراً ، ولاينقبض عن طعامه وشرابه ودهنه وعطره ولباسه وفراشه، كل هذا بعداً من الذل والهوان والمكروه والتنقص والغيبة وسواء ذلك مما يتبعه ، فان لم يف عبد الله بن محمد أمير المؤمنين بما أعطاه لله أو نقض او خفر أو نكث أو غدر أو خالف أو هم أو أضمر أو جاوز الى غير ذلك مما جعل له ، أو نوى قبل كتابه هذا أمراً يبدو منه بأس ، فلا قبـل الله منه صرفاً ولا عدلا وهو بريء من محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ويشهد الله ومن خلق وأحاط به علمه وقدرته من الجن والانس ومن هو في السموات السبع والارضين وما بينهما ، وكل شيء وقال الله عز وجل : « كن فكان » ويعلمه الله ويخفى على العباد ، بريء من الله ورسله وملائكته وكتبه ، وماانزل به الروح الامين جبريل عليـه السلام باذن الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتان ، وكفر بما أنزل على ابراهيم واسماعيـــل وعيسى وموسى عليهم السلام ، ويقول مثل ماقالت اليهود : « عزير ابن الله » وقالت النصارى « المسيح ابن الله » مصر عليه معترف به ، يقبضه الله على ذلك ويحاسبه عليه ، ويسائله عنه حتى يخرج اليه منه ولله عليه ثلاثون حجة يمشيها من مدينة السلام الهاشمية بالكوفة وأرض العراق الى بيته الحرام الذي بمكة حافياً راجلا ، حتى يستلم الحجر الاسود ، ولا يأجره الله على ذلك ، ولله عليه بعد ذلك ثلاثون

عمرة يأتي بها من أقاصي البلاد الى بيت الله الحرام الذي بمكة يوفيهن لله عز وجل عمرة عمرة وحجة حجة بمناسكها كما افترض الله عز وجل عليه فيهن ، وكل مال يملك من رقيق وثياب ومتاع وآنية ودابة ، وعقاره – فيما هو له يلومه غيره – صدقة على المساكين من القواصي في مشارق الارض ومغاربها ، وكل مملوك اوأمة يملك رقابهم أو صدقة أو هدية أو ميراث من جميـــع الاجناس أحرار لوجه الله عز وجل ، وكل امرأة له طالق ثلاثا محرمات ، طلاق الحرج وخلع الاسلام وسائر الاديان ، والمسلمون عامة من الاجماع بما في أعناقهم من بيعته في حل وسعة . وبما اتخذ عليهم فيها من الايمان براء لايسعهم غيره ، وقد احل في هذه الايمان جيوش المسلمين وقوادهم وسراياهم وأبطالهم ويسأل أهل الاسلام والبلاد ووجوه الامصار وغيرهم ممن يصلي للقبلة في بر أو بحر أو سهل أو جبل في مشارق الارض ومغاربها حيث كان منهم كائن ، وقلدهم توكيدها والقيام بها بأمان اللهمايكونون هم وآباؤهم وأبناؤهم وأهاليهم فيها بمنزلة واحدة ، والله عليه وعليهم بذلك راع كفيل ، وكفى بالله شهيداً »(١) . ويضيف اليعقوبي بأن هذا الامان كان سبباً كافياً لقتل عبد الله بن المقفع بعد أن كان المنصور مصمماً للتخلص من عمه عبد الله بن علي ، وذلك لان في الامان : « فاذا فعلت أو دسست فالمسلمون براءاً من بيعتي وفي حل من الايمان والعهود التي أخذتها عليهم ، فلما وقف أبو جعفر على هذا قال من كتبه ؟ قيل ابن المقفع فكان ذلك سبباً لميتة ابن المقفع(٢) » وأن

(١) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص١٦٨ – ١٧٠ وقد أورد الجهشياري بعض الاسطر من الامان . راجع ص ١٠٣ – ١٠٤ .
(٢) اليعقوبي ، تاريخ ٣٦٨/٢ .

الذي أغضب المنصور من الامان وعلى ابن المقفع لما كتب فيه «أن عبدالله امير المؤمنين لم يف بما جعل لعن ، والله فقد خلع نفسه والناس في حل من بيعته ... »(١) فكان ذلك سببا في غضب المنصور على ابن المقفع (٢) .

ويبدو ان سليمان بن علي حاول مماطلة المنصور في تسليم اخيه عبدالله له ، فبعد ان تخلص المنصور من أبي مسلم الخراساني سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٤ ـ ٧٥٥ م اخذ يطالب سليمان بوجوب تسليم عبدالله ، ووجه المنصور سليمان بن مجالد وسويد الى البصرة وأمره بابلاغ سليمان بن علي ليشخص عبدالله معه . وكتب اليه في ذلك فلم يفعل وقال له : «قد جعلت له عبدالله ان اتوثق له»(٣) غير ان سليمان لم ينفذ طلب المنصور فعزله الخليفة عن ولاية البصرة ، وعين بدلا عنه سفيان بن معاوية المهلبي(٤) وكان المنصور غير مطمئن لموقف البصرة منه خاصة وانها يتواجد فيها شخصيتان عباسيتان طموحتان هما عبدالله وسليمان ابنا علي ، كما ان البصرة كانت معروفة بسرعة تلونها السياسي(٥) ولذا كان المنصور يخشى من قيام عبدالله بحركة مناوئة للخلافة ويذكر البلاذري أن المنصور حينما

---

(١) بلاذري ،انساب الاشراف، (نسخة لندن ورقة ٦٣٧) .

(٢) ن . م، ورقة ٦٣٧ .

(٣) ن . م، ورقة ٦٣٧ .

(٤) ن.م ، ٣١/٤ ب (نسخة ورقة ٥٨٠) .

(٥) د . فاروق ، العباسيون الاوائل ، ١٤٤/١ .

أراد استخراج مزارع من البطيحة ضج أهل البصرة قائلين «انما نستعذب الماء من البطيحة ، وجاءوا عبدالله بن علي فقالوا: انزل يا أمير المؤمنين الينا نبايعك ، نكفكم سليمان وفرقوم»(١) وقرر المنصور ارسال قوات عسكرية بقيادة روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب في أربعة آلاف «من أهل البأس والنجدة والطاعة » واظهر المنصور انه قد ولاه عمان ونواحيها. ثم وجه سفيان بن معاوية واليا على البصرة في جيش كثيف وبعث ابا الأسد القائد صاحب النهر في جيش وأمر ابا الأسد ان يقيم على جسر البطيحة فعسكر ودخل سفيان البصرة فتسلمها من سليمان بن علي « فوهن امر سليمان »(٢) وفي أثر ذلك طلب سليمان بن علي من الخليفة أن يكتب لعبدالله بن علي امانا ويؤكد ذلك البلاذري والجهشياري والازدي(٣) في حين رواية اليعقوبي والطبري والامامة والسياسة تتسم بالاقتضاب والغموض وتبين ان الخليفة هو الذي اقترح الامان وكتبه (٤) وينفرد الدينوري بالاشارة الى ان « ابا مسلم عفا عنه ، ولم يؤاخذه بما كان منه »(٥) وهذا الرأي مرفوض وذلك لأن ابا مسلم في هذه الاثناء كان قد قتل من قبل الخليفة المنصور .

ومهما يكن من امر فأن رغبة وجدية الخليفة في القبض على عبدالله بن علي

---

(١) البلاذري ، انساب ،٤/ورقة ٣١ /ب (نسخة لندن ورقة ٥٨٠)

(٢) ن.م ٣١/٤ ب (نسخة لندن ورقة ٥٨٠) .

(٣) بلاذري ، انساب ورقة ٣١ب الجهشياري الوزراء والكتاب ،ص١٠٣ الازدي ص١٦٧ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ ٣٦٨/٢ .الطبري٥٠١/٧-٥٠٢ ،ابن قتيبة ،الامامة والسياسة (المنسوب اليه)١٤٥/٢ .

(٥) الدينوري ، الاخبار الطوال، ص٣٧٩ .

هو الذي دفعه الى الموافقة على منحه للامان.ثم اشخص عيسى وسليمان ابنا علي من البصرة واشخص معهما عبدالله بن علي ثم دفعـــه المنصور الى ابي الازهر المهلب بن ابي عيسى الذي سجنه ومن ثم قتل على يده . (١) .

وكان قد قدما على الخليفة المنصور وهو بالحيرة في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقين من ذي الحجة سنة ١٣٧ هـ فاقام في منزل عيسى بن علي ثم سجن عنده على رواية اليعقوبي (٢) وقد كلم المنصور اعمامه في الامان فقال الخليفة : « لاتكلموني فيه فانه اراد أن يفسد علينا وعليكم امرنا »(٣) وقد حاول الخليفة المنصور التخلص من عيسى بن موسى وعبدالله بن علي وذلك حينما دفع عبدالله الى عيسى ووكل به طالبا اليه قتله ولكن عيسى نصح من قبل كاتبه ابن شبرمه الذى قال له : « لاتفعل » وقال له ابن أبي ليلى « امضي بما امرك به امير المؤمنين »(٤) وحينما عاد المنصور من الحج سنة ١٤٩ هـ طلب من عيسى عبدالله بن علي فاجابه بأنه قتله، وعندئذ حرض المنصور اعمامه على عيسى متهماً أياه بقتل عبدالله بدون اذنه . فلما راى عيسى تحقيق الامر عليه قال « أؤخر الى العشي فأوخره فحضر العشي وحضر عبدالله بن علي معه وقال : انما أردت بما قلت الراحة من صرامته مخافة ان يناله شيء ، قال لي مثل هذا ، وقد سلمته

(١) البلاذري ، انساب ٨/٣٧ب ٣١ ب(مخطوط لندن ورقة ٥٨٠) المسعودي، ٣/٣١٥ـ ٣١٦ .

(٢) راجع اليعقوبي ، تاريخ ، ٢/٣٦٨ـ٣٦٩ .

(٣) راجع د. فاروق ، ١/١٤٥ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ٣/٣١٥ـ٣١٦ .

صحيحا سليما فقال ابو جعفر : « بل اردت ان تعرف ماعندنا ،فاذا احتملناك فعلت ذلك »(١)واراد المنصور ان يضرب عصفورين بحجر واحد قال المسعودي « كان ابو جعفر احب ان يكون عيسى قتله فيقتله به فيستريح منهما جميعا »(٢) كما انه أراد ان يتخلص من عيسى حين كان نفوذه خطيرا على محمد المهدي ولي العهد رغم ان عيسى كان قد تنازل عن ولاية العهد الاولى الى المهدي وكذلك يتخلص بنفس الوقت من عبدالله العباسي(٣) وكان المنصور مصمما على سجن عبدالله وعدم اطلاق سراحه بحجة : « أن أهل خراسان متسرعون اليه لما كان منه اليوم ولا آمن ان يفتكوا به وانهم يجمعون على ذلك » ثم قرر المنصور التخلص من عبدالله بن علي باسراع مايمكن وان اختلفت روايات المؤرخين في ذلك ونحن نعلم ان الذي قتله بأمر المنصور ابو الازهر الذي قتله وجارية معه (٤) ثم رواية تشير الى ان الدار الذي سجن فيه كان

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب، ٣/٣١٥ ـ٣١٦ .

(٢) ن . م . ٣/٣١٥ـ٣١٦ .

(٣) د . فاروق ، العباسيون الاوائل، ١/١٤٦ .

(٤)راجع البلاذري ، انساب الاشراف ،نسخةلندن ورقة ٥٨٠و٨/٣١ب المسعودي مروج الذهب ٣/٣١٥ـ٣١٦ .

أساسه من ملح فوقع عليه(١)وهي اشهر هذه الروايات(٢) وقد قتل كاتب الامان عبدالله بن المقفع الذي قال قولته المشهورة قبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة « ياأعوان الظلمة ...»(٣) .

وفي أعقاب مقتل عبدالله بن علي احضر القاضي ابن علاثه وغير فنظروا الى جثة عبدالله بن علي ، وشهدوا بأنه مات موتا طبيعيا (٤).

---

(١) البلاذري ، انساب نسخة لندن ورقة ٥٨٠ و٣١/٨ ب اليعقوبي، تاريخ ٣٦٨/٢ـ٣٦٩ .

(٢)د . فاروق العباسيون الاوائل ١٤٦/١ .

(٣) راجع عن مقتله ، البلاذري ، انساب ٦٣٥ـ٦٣٩ (مخطوط لندن) د.فاروق المرجع السابق ١٤٦/١

(٤) المسعودي ، مروج الذهب٣١٦/٣، د. فاروق العباسيون الاوائل ، ١٤٦/١ .

ملحق رقم (٤)

« ولاة الجزيرة »

السنة	الـــوالي
١٢٦ هـ/٧٤٣م	مروان بن محمد(١)
١٣٠ هـ/٧٤٧م	هشام بن عمرو الزهري(٢)
١٣٢هـ /٧٤٩م	أبا جعفر فولي الحسن بن قحطبة الطائي(٣)
١٣٣هـ / ٧٥٠م	عبد الله بن محمد ـ من قبل أبا جعفر(٤)

(١) الازدي ، ص ٥٦ ـ ٥٧ وكان على الجزيرة وأرمينية واذربيجان ويقال : « ان الوليد ولى الجزيرة سليمان بن عبد الله شهرين ثم عزله وولاها ابنه لؤي بن الوليد ويروي ابن شداد ان مروان ولي سعيد بن مسلمة بن أمية بن هشام الأموي ، وكان نائبه بها ثم عزله وولي ابان بن يزيد بن محمد بن مروان بن الحكم واستمر الى مقتل(مروان ابن شداد ،الاعلاق الخطيرة ، ورقة ٧ب).

(٢) الازدي ،ص ١١٤ ـ ١١٥ حيث كان عليهما والياً وعلى الموصل .

(٣) الطبري ٣٥٨/٧ .

(٤) ن. م ،٤٦٠/٧، ابن الجوزي ، منتظم ، ٤٤٥/٧ ب

السنة	الوالي
١٣٤هـ / ٧٥١ م	كذلك(١)
١٣٥هـ / ٧٥٢م	أبو جعفر المنصور(٢)
١٣٦هـ / ٧٥٣ م	مقاتل بن حكيم العكي(٣)
١٣٧هـ / ٧٥٤م	حميد بن قحطبة(٤)
١٤٢هـ / ٧٥٩م	العباس بن محمد(٥)
١٥٤هـ / ٧٧٠ م	موسى بن كعب التميمي(٦)
١٥٥هـ / ٧٧١ م	كذلك(٧)

(١) الطبري ٧/٤٦٥ ، ابن الجوزي ٧/٤٤٦ ب

(٢) الطبري ٧/٤٦٧ ، ابن خلدون ٣/٤٢٥ ، وابن الجوزي منتظم ٧/٤٤٧ ب .

(٣) الطبري ٧/٤٧٠ « حيث كان الوالي أبو جعفر واستخلفه على عمله مقاتل بن حكيم العكي وقدم على ابو العباس يستأذنه فى الحج وكان اليه الجزيرة وارمينية واذربيجان »

(٤) الطبري ٧ ص ٤٩٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٠ ص ٧٣ .

(٥) الطبري ٧/٥١٤ ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٧٧ والازدي ص١٧٧ .

(٦) الازدي ، ص ٢٢٢ .

(٧) يروي الطبري أنه في هذه السنة غضب المنصور على أخيه العباس ابن محمد وعزله عن الجزيرة وغرمه مالا ، وكان المنصور ولي العباس بن محمد بعد يزيد بن أسيد ثم أنه لم يزل ساخطاً عليه =

السنة	الـــوالي
١٥٧ / ٧٧٣ م	موسى بن مصعب بن شعبان بن ربيعة مولى خثعم(١)
١٥٨هـ / ٧٧٤م	الهيثم بن سعيد حتى وفاة المنصور (٢)
١٥٩ هـ / ٧٧٥م	الفضل بن صالح(٣)
١٦٠ هـ / ٧٧٦م	كذلك(٤)

= واستعمل المنصور على حرب الجزيرة وخراجها موسى بن كعب التميمي (الطبري ٤٦/٨ ـ ٤٧) ويؤيده ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ورقة ٧ ب ابن الجوزي ، منتظم ٥٤٦/٨ ب ـ ٥٤٧ أ في حين يشير الازدي أن ابو جعفر غضب سنة ١٥٥ على موسى ابن كعب التميمي وكان عامل الموصل والجزيرة فوجه ابنه محمد المهدي الى الرقة وأمره بدخول الموصل وإذا صار اليها قبض على موسى بن كعب فقيـــده وولى خالد بن برمك الموصل مكانه (الازدي ، ٢٢٤ ، الكتبي ، عيون التواريخ جـ٣ ق ١ ، ورقة ٧ أ ـ ب . ابن الجوزي منتظم . ٨/ ورقة ٥٥٢ أ ـ ب .

(١) الازدي ، ص ٢٢٦ (حيث يروي الازدي أنه كان على الموصل والجزيرة) خليفة ٤٧٣/٢ .

(٢) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ورقة ٧ ب (حيث بقي فيها حتى وفاة المنصور) .

(٣) الطبري ١٢١/٨ ، ابن الاثير ، الكامل ٤٠/٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣٠/١٠ .

(٤) الطبري ، ١٣٤/٨ .

السنة	الـــوالي
١٦١ هـ / ٧٧٧ م	عبد الصمد بن علي(١)
١٦٢ هـ / ٧٧٨ م	كذلك(٢)
١٦٣ هـ / ٧٧٩ م	زفر بن عاصم الهلالي(٣)
١٦٤ هـ / ٧٨٠ م	هارون بن المهدي مع الموصل(٤)
١٦٨ هـ / ٧٨٤ م	علي بن سليمان(٥)
١٦٩ هـ / ٧٨٥ م	منصور بن زياد(٦)

(١) الطبري ١٤٠/٨ ابن الاثير ، كامل ، ٥٦/٦ .

(٢) الطبري ١٤٣/٨ ، ابن الاثير ٦١/٦ ، خليفة ٤٧٣/٢ ، ابن خلدون ١٤١/٣ ، ٤٤٦

(٣) الطبري ١٤٧/٨ ، الازدي ٢٤٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤٦/١٠ « وفي نفس السنة عزل زفر بن عاصم عن الجزيرة وولاها عبد الله بن صالح » ابن خلدون ٤٤٩/٣ .

(٤) الازدي ، ٢٤٥ حيث كان هارون بن المهدي على الموصل واذربيجان وارمينية والشام وأفريقية .

(٥) خليفة ، تاريخ ٤٧٣/٢ حيث كان على قنسرين والجزيرة واستمر الى وفاة المهدي .

الطبري ، ١٦٧/٨ ، ابن شداد ، المصدر السابق . ورقة ٨ أ والكتبي ١٠٣/٣ ب ، ابن خلدون ، ١٦٨/٣ .

(٦) حيث كان منصور بن زياد على الخراج والصدقات ، وعلى =

السنة	الوالي
١٧٠ هـ / ٧٨٦ م	أبا هريرة عمر بن فروخ(١)
١٧١ هـ / ٧٨٧ م	اسحق بن محمد(٢)
١٧٧ هـ / ٧٩٣ م	حرب بن قيس(٣)
١٨٣ هـ /٧٩٩ م	المؤتمن : القاسم بن الرشيد(٤)
١٨٦هـ/٨٠٢م-١٩٣هـ/٨٠٨م	كذلك(٦)

= والحرب والصلاة حمزة بن مالك الخزاعي (الأزدي ، ص٢٥٧ - ٢٥٨) وينص ابن شـداد الى ان الوالي كان منصور بن زياد في سنة ١٦٩ هـ ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ورقة ٨أ)

(١) حيث يذكر ابن شداد الى أن منصور بن زياد بقي الى سنة ١٧٠ وعزل بأبي هريرة عمر بن فروخ (الاعلاق ، ورقة ٨ أ) .

(٢) كان الخليفة الرشيد قد غضب على أبا هريرة عمر بن فروخ سنة ١٧١ هـ ، حينما كان على الجزيرة ، حيث وجه اليه أبا حنيفة حرب بن قيس فقدم به عليه مدينة السلام فضرب عنقه في قصر الخلد (الطبري ، ٢٣٥/٨ واستعمل عليها اسحق بن محمد (ابن الاثير ، كامل ١١٢/٦ - ١١٦) .

(٣) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ورقة ٨ أ .

(٤) واضافة الى الجزيرة الثغور والعواصم ، (الطبري ٢٧٥/٨)

(٥) ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ٨ أ (حيث كان على الجزيرة والشام فاقره عليها حتى وفاة الرشيد سنة ١٩٣)

السنة	الـــوالي
١٩٣ هـ/ ٨٠٨م	خزيمه بن خازم(١)
١٩٦ هـ/ ٨١١ م	عبد الملك بن صالح(٢)
١٩٦هـ/٨١١م-١٩٨هـ/٨١٣م	خزيمة بن خازم(٣)
٢٠٥هـ / ٨٢٠م	طاهر بن الحسين(٤)
٢٠٥هـ / ٨٢٠ م	يحيى بن معاذ(٥)
٢٠٦هـ / ٨٢١م	عبد الله بن طاهر بن الحسين(٦)

(١) حيث أقر محمد بن هارون أخاه القاسم في هذه السنة على ماكان أبوه هارون ولاه من عمل الجزيرة ٣/٤٩٢ واستعمل عليها خزيمة بن خازم واقر القاسم على قنسرين والعواصم (خليفة ٢/٥٠٠ الطبرى ، ٨/٣٧٢ ابن شداد ورقة ٨ أ ابن خلدون٣/٤٩٢ .

(٢) خليفة تاريخ ٢/٤٧٣ ، اليعقوبي تاريخ٢/٤٣٤ ابن شداد ، المصدر السابق ، ورقة ٨ ب .

(٣) ابن شداد ، المصدر السابق ، ورقة ٨ ب .

(٤) الطبري ٨/٥٧٧ ابن شداد ، المصدر السابق ورقة ٨ ب الكتبي، عيون التواريخ ، جـ٣ ق٢ ورقة ٢١٤ ب .

(٥) طيفور ، تاريخ بغداد ، ص ٢٠ ، ابن شداد ، المصدر السابق، ورقة ٩ أ حيث يروي أنه مات سنة ٢٠٦ هـ/٨٢١م الشهابي ، الغرر الحسان جـ١ (القاهرة ، ١٩٠٠) ص١٥١ .

(٦) الازدي ، ص ٣٥٩ .

السنة	الوالي
٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م	عبد الله بن طاهر(١)
٢١١هـ / ٨٢٦ م	كذلك(٢)
٢١٣هـ/٨٢٨م ـ ٢١٨هـ/٨٣٣م	العباس بن الخليفة المأمون(٣)

(١) خليفـــة ، تاريخ ٢ / ٥١١ ، ابن شداد ، الاعـلاق الخطيرة ، ورقة ٨ ب .

(٢) الطبري ، ٨/٦١٥ وكان والياً على مصر والشام أيضاً .

(٣) وكان اضافة الى ذلك الثغور والعواصم (اليعقوبي تاريخ ٢/٢١٤، الطبري ٨/٦٢٠ الازدي ، ص٣٨٥ ، مسكويه ، تجارب الامم ٦/٤٦٣ ، ابن شداد ، المصدر السابق ورقة ٨ ب ، ابن خلدون المصدر السابق ٣ / ٥٤١ ، ابن الـكازوروني ، مختصر التاريخ ص ١٣٧ .

ملحق رقم (٥)

ولاة الموصل

السنة	الوالي
١٢٦هـ/٧٤٣م	مروان بن محمد(١)
١٢٧هـ/٧٤٤م	مروان بن محمد
١٢٨هـ/٧٤٥م	هشام بن عمرو الزهيري (٢)
١٢٩هـ/٧٤٦م	هشام بن عمرو الزهيري(٣)
١٣٢هـ/٧٤٩م	يحيى بن محمد(٤)
١٣٣هـ/٧٥٠م	اسماعيل بن علي بن عبدالله بن عباس(٥)
١٣٤هـ/٧٥١م	اسماعيل بن علي (٦)
١٣٥هـ/٧٥٢م	كذلك(٧)

(١) حيث كان مروان على صلاة الموصل واحداثها وكذلك على الجزيرة واذربيجان وخليفته على ارمينية واذربيجان عاصم بن عبدالله بن يزيد الهلالي ... خليفة ٢/٣٨٥ ، الازدي ص٥٦-٤٧ .

(٢) ن . م . ص ٧٦ .

(٣) ن . م . ص١٠٧ .

(٤) الطبري ٧/٤٥٨ .

(٥) الازدي ،ص١٥٦ ابن الاثير الكامل ٥/٤٤٩ .

(٦) الطبري ٧/٤٦٥ ، الازدي ١٥٦ ، ابن الاثير الكامل ٥/٤٥٤ .

(٧) الطبري ٧/٤٦٧الازدي، ١٥٦ -١٥٧ .

السنة	الوالي
١٣٦هـ/٧٥٣م	كذلك(١)
١٣٧هـ/٧٥٤م	كذلك(٢)
١٣٨هـ/٧٥٥م	كذلك(٣)
١٣٩هـ/٧٥٦م	كذلك(٤)
١٤٠هـ/٧٥٧م	اسماعيل بن علي(٥)
١٤١هـ/٧٥٨م	كذلك(٦)
١٤٢هـ/٧٥٩	مالك بن الهيثم الخزاعي(٧)
١٤٣هـ/٧٦٠م	كذلك(٨)
١٤٤هـ/٧٦١م	كذلك(٩)
١٤٥هـ/٧٦٢م	جعفر بن أبي جعفر المنصور(١٠)

(١) الازدي ص١٦٣ .

(٢) الطبري ٧/٤٩٦ .

(٣) الازدي ، ١٧٠ الكامل ابن الاثير٥/٤٨٣ .

(٤) الازدي ، ١٧١ .

(٥) الازدي ،ص١٧٣ .

(٦) ن . م ص١٧٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٥/٥٠٠ .

(٧) الازدي ،ص١٧٧ـ١٧٨ .

(٨) ن . م، ص١٨٠ .

(٩) ن . م ص ١٨١ .

(١٠) ابن قتيبة، المعارف ،٣٧٩ ، الازدي ص١٩٤ ابن الاثير ، ٥/٥٧٢ ابن خلدون ٣/٤٢٧ .

السنة	الوالي
١٤٦هـ/٧٦٣م	كذلك(١)
١٤٧هـ/٧٦٣م	كذلك (٢)
١٤٨هـ/٧٦٥م	خالد بن برمك(٣)
١٤٩هـ/٧٦٦م	كذلك(٤)
١٥١هـ/٧٦٨م	اسماعيل بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري البجلي(٥) .
١٥٣هـ/٧٧٠م	كذلك(٦)
١٥٤هـ/٧٧٠م	موسى بن كعب التميمي (٧)
١٥٥هـ/٧٧١م	خالد بن برمك(٨)

(١) الازدي ،ص١٩٧ .

(٢) ن م ص٢٠٢ .

(٣) ن . م ،ص٢١١ ، الكامل ٥٠٥/٥ ، ابن خلدون ٤٢٧/٣ .

(٤) الازدي ،ص٢١١ .

(٥) ن . م . ص٢١٤ ، الكامل ٦٠٧/٥ .

(٦) الكامل ، ٦١٢/٥ .

(٧) الازدي ، ص٢٢٢ .

(٨) ن.م ،ص ٢٢٤، حيث ولي الموصل للمرة الثانية ، ابن خلدون ٤٢٩/٣ ـ ٤٣٠ ،رغم قوله انه كان سنة ١٥٨ هـ ، محمد رضا العظيمي اللؤلؤ المرتب ص٢٤٢ ـ ٢٤٣ ابن خلكان،روايات الاعيان٣٨٣/٥.

السنة	الوالي
١٥٦هـ/٧٧٢م	كذلك(١)
١٥٧هـ/٧٧٣م	موسى بن مصعب بن سفيان بن ربيعة بن مولى خثعم (٢)
١٥٨هـ/٧٧٤م	كذلك(٣)
١٥٩هـ/٧٧٥م	كذلك(٤)
١٦١هـ/٧٧٧م	حسان الشروي(٥)
١٦٢هـ/٧٧٨م	عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن العباس(٦)

(١) الازدي ، ص٢٢٥ .

(٢) ن . م ص ٢٢٦ .

(٣) ن . م ٢٣٢ ، (وقال قوم خالد بن برمك) في حين يشير الذهبي الى تولية خالد على الموصل في هذه السنة وكذلك ابن الاثير الذي يطلق على موسى بن مصعب بن موسى بن كعب (الذهبي، العبر ٢٢٨/١، ابن الاثير ١٥/٦-١٦)

(٤) الازدي ،ص٢٣٦ - ٢٣٧ ، (حيث يشير الى أن المهدي كتب الى خالد بن برمك وهو عامل الموصل ان اخلف على عملك واشخص فاستخلف خالد بن برمك خالد بن الحسن بن برمك وشخص الى المهدي فخطب خالد بن الحسن بالناس ثم ترك ولاية الموصل وذهب الى مكة » .

(٥) الطبري ،١٤٠/٧ ، الكامل ٥٦/٦ .

(٦) الازدي ، ص٢٤٣ وقال قوم غيره وقال بعضهم انه كان على الجزيرة دون الموصل وأعمالها .

الوالي	السنة
محمد بن الفضل (١)	١٦٣هـ/٧٧٩م
كذلك(٢)	١٦٤هـ/٧٨٠م
هارون بن المهدي (٣)	١٦٤هـ/٧٨٠م
أحمد بن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي(٤) .	١٦٥هـ/٧٨١م
كذلك (٥)	١٦٦هـ/٧٨٢م
عبد الصمد بن علي بن عبدالله بن العباس(٦)	١٦٧هـ/٧٨٣م
هرثمة بن أعين(٧)	١٦٨هـ/٧٨٤م

(١) الازدي ص ٢٤٤ الكامل ٦/٦٣

(٢) الطبري ١٥١/٨ ، الازدي ٢٤٥

(٣)وولي مع الموصل الجزيرة واذربيجان وارمينية والشام وافريقية الازدي،٢٤٥

(٤) الازدي ص ٢٤٦ ، الكامل ٦/٦٧ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل، ٦/٧٤وقيل موسى بن كعب الخثعمي وكذلك ص٧٦.

(٦) كان موسى واليا سنة ١٦٧ هـ ثم عزل سنة ١٦٧ وعين عبدالصمد ابن علي بن عبدالله بن عباس ، الازدي، ص٢٥٠ .

(٧) وفي رواية نفهم منها ان هرثمة كان واليا على الموصل سنة١٦٨هـ ففي أحداث هذه السنة يورد الازدي قوله (سمعت محمد بن المعاني ابن طاوس مراراً يقول: دخل جدي بن هرثمة بن اعين وهو والي الموصل ... الازدي ص٢٥٢) .

الوالي	السنة
عبدالله بن صالح بن علي الهاشمي (١)	١٦٩هـ/٧٨٥م
كذلك(٢)	١٧٠هـ/٧٨٦م
اسحق بن محمد(٣)	١٧١هـ/٧٨٧م
سعيد بن سلم الباهلي(٤)	١٧٢هـ/٧٨٨م
عبدالله بن مالك الخزاعي(٥)	١٧٣هـ/٧٨٩م
كذلك(٦)	١٧٤هـ/٧٩٠م
الحكم بن سليمان(٧)	١٧٥هـ/٧٩١م

(١) ن . م ص ٢٥٩ (ويروي الازدي ان الخليفة الهادي قلد الموصل هاشم بن سعيد بن منصور بن خالد وعزله لسوء اثره وسيرته وولاه عبد الملك بن صالح ن .م. ص ٢٥٧ ابن الاثير . الكامل ٦/ ٩٥ .

(٢) الازدي ، ص٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، ابن الاثير ٦/ ١٠٩ .

(٣) الازدي ،ص٢٦٧ وفي رواية الازدي انه كان على الموصل في هذه السنة ١٧١ روح بن صالح الهمداني فقتل سنة ١٧١هـ الازدي ص ٢٦٧» .

(٤) الازدي ص ١٦٩ ، ابن الاثير ، الكامل ٦/ ١٠٩)

(٥) يشير الازدي الى ان الرشيد عزل اسحق بن محمد من صلاة الموصل وولى عبدالله بن مالك الخزاعي (الازدي، ص٢٧١) .

(٦) ن . م . ص٢٧٣ .

(٧) ن . م . ص٢٧٥ ، الحموي التاريخ المنصوري ص ٩٥ـ٩٦ .

السنة	الوالي
١٧٦هـ/٧٩٢م	محمد بن العباس الهاشمي(١)
١٧٧هـ/٧٩٣م	كذلك(٢)
١٧٨هـ/٧٩٤م	كذلك(٣)
١٧٩هـ/٧٩٥م	كذلك(٤)
١٨٠هـ/٧٩٦م	يحيى بن سعيد الحرشي(٥)
١٨١هـ/٧٩٧م	كذلك(٦)
١٨٢هـ/٧٩٨م	هرثمة بن اعين(٧)
١٨٣هـ/٧٩٩م	احمد بن يزيد السلمي(٨)

(١) الازدي ص٢٧٩ ، ويروي ابن الاثير أنه كان على الموصل الحاكم ابن سليمان ، ابن الاثير ١٣٣/٦ .

(٢) الازدي ، ص٢٨٠ ، ويقال عبد الملك بن صالح الهاشمي(الازدي ص٢٨٠ ، ابن الاثير١٤٠/٦) .

(٣) الازدي ، ص٢٨١ .

(٤) ن . م ص ٢٨٣ .

(٥) ن . م ، ص٢٨٦ ابن الاثير الكامل ١٥٣/٦ .

(٦) الازدي ، ٢٩٣ .

(٧) ن . م ص٢٩٤ ، ابن الاثير ١٦١/٦ .

(٨) الازدي ، ٢٩٦ ، (يشير الازدي الى ان هرثمة بن اعين كان واليا على الموصل وقلد هرثمة الموصل عمرو بن الهيثم ثم يذكر بأن ولاة الموصل لهارون سنة ١٨٣ أو غيرها أحمد بن زيد السلمي حيث ولاه الموصل ثم ولاه بعدها ثغور أرمينية الازدي ، ص٢٩٥ .

السنة	الوالي
١٨٤هـ/٨٠٠م	يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني(١)
١٨٥هـ/٨٠١م	توفي يزيد(٢)
١٨٨هـ/٨٠٣م	ندال بن رفاعة المعني بن معن بن مالك(٣)
١٨٩هـ/٨٠٤م	كذلك (٤)
١٩٠هـ/٨٠٥م	خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب(٥)
١٩١هـ/٨٠٦م	علي بن صدقة بن دينار الازدي(٦)
١٩٢هـ/٨٠٧م	محمد بن الفضل بن سليمان (٧)
١٩٣هـ/٨٠٨م	كذلك(٨)

(١) الازدي، ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨، ابن الاثير٦/١٦٦ ، ابو الفداء المختصر في اخبار البشر ٢/١٦ .

(٢) الازدى ، ص٣٠٠ ، الكامل ٦/١٦٩ .

(٣) الازدي ، ص٣٠٧ ، ولايعلم الازدي في هذه السنة كانت ولايته أم في غيرها .

(٤) الازدي ، ص٣٠٨ .

(٥) الازدي ص٣١٠ ، ابن الاثير ٦/١٩٧ .

(٦) الازدي ، ص٣١٢ ،وذكروا أنه مات فرحاً بولاية الموصل وقيل محمد بن الفضل بن سليمان الكامل، ٦/٢٠٦ .

(٧) الازدي ، ص٣١٣ .

(٨) ن . م ص ٣١٦ ، وفي رواية ان الحسن بن صالح كان واليا الازدي ٣١٣ ابراهيم بن العباس استعمله الامين، الكامل ،ابن الاثير٦/٢٢٧

السنة	الوالي
١٩٤هـ/٨٠٩م	ابراهيم بن العباس(١)
١٩٥هـ/٨١٠م	خالد بن يزيد(٢)
١٩٦هـ/٨١١م	المطلب بن عبدالله الخزاعي(٣)
١٩٧هـ/٨١٢م	الحسن بن عمر بن الخطاب العدوي (٤)
١٩٨هـ/٨١٣م	علي بن الحسن بن صالح بن عبادة الهمداني(٥)
١٩٩هـ/٨١٤م	كذلك(٦)
٢٠٠هـ/٨١٥م	على بن الحسن بن عبادة الهمداني (٧)
٢٠١هـ/٨١٦م	كذلك(٨)
٢٠٢هـ/٨١٧م	السيد بن أنس(٩)

(١) الازدي ، ص٣١٩ .

(٢) ن . م ص ٣٢٣ .

(٣) ن . م . ص ٣٢٥ ، حيث أخذ البيعة للمأمون على اهل الموصل والجند .

(٤) ن . م . ص ٣٢٦ .

(٥) ن . م . ٣٣٣ من قبل طاهر بن الحسين .

(٦) ن . م ص ٣٣٥ .

(٧) الازدي ص٣٣٩ .

(٨) ن. م. ص٣٤٢ .

(٩) ن.م ص٣٤٦ و٣٥٠

السنة	الوالي
٢٠٣هـ/٨١٨م	كذلك(١)
٢٠٤هـ/٨١٩م	كذلك (٢)
٢٠٦هـ/٨٢١م	كذلك(٦)
٢٠٧هـ/٨٢٢م	كذلك(٤)
٢١١هـ/٨٢٦م	كذلك(٥)
٢١٢هـ/٨٢٧م	محمد بن حميد(٦)
٢١٣هـ/٨٢٨م	محمد بن السيد بن أنس(٧)

(١) الازدي ،ص ٣٥٢ .

(٢) ن.م ، ص ٣٥٥ .

(٣) ن . م. ص ٣٦١ .

(٤) ن . م . ص٣٦٣ .

(٥) ن . م . ص٣٧٢ .

(٦) ن . م . ص ٣٧٨ .

(٧) يشير الازدي الى ان والي الموصل (ابو المثنى التليدي) وروي انه محمد ابن السيد بن انس . وذكر ان المأمون قلده البلد ، وان محمد بن حميد لما خرج الى الموصل لحرب زريق بن بابك أقره عليها بأمر المأمون وأنه حضر عند توجيه محمد بن حميد الدعوة الى قواده ليحضروا طعامه ، وكان محمد بن السيد يقطعهم عنه ويجذبهم إليه فقال العباس اليقطيني - كاتب محمد بن حميد - لمحمد صاحبه، اما ترى جرأة هذا الغلام عليك يعني محمد بن السيد - فقال :-

السنة	الوالي
٢١٤هـ/٨٢٩م	مالك بن طوق (١)
٢١٥هـ/٨٣٠م	كذلك (٢)
٢١٦هـ/٨٣١م	كذلك (٣)

= (لو علمت ماتقدم به أمير المؤمنين في أمره لاقصرت من هذا الكلام (ن م . ص٣٩٤ ـ٣٩٥) .

(١) الازدي ، ص٣٩٥ .

(٢) ن . م ص ٣٩٩ .

(٣) ن . م . ص٤٠٧ ، وقال الازدي انما هو أو حاجب بن صالح) .

ملحوظة : ـ

واجع ملحق لولاة الموصل في منية الادباء لياسين العمري وضع سعيد الديوه جي ص ٢١٣ ـ ٢١٥ رقم (٧) وراجع ملحق اولاة الموصل في زامباور ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي (القاهرة ، ١٩٥١) جـ١ ص٥٦ـ٥٧ .

ملحق رقم (٦)

« أصحاب خراج الجزيرة والموصل »

السنة	صاحب الخراج	المنطقة
١٤٠هـ/٧٥٨ م	اسماعيل بن علي(١)	الموصل
١٤١هـ/٧٥٨م	كذلك(٢)	الموصل
١٥٥هـ/٧٧١ م	موسى بن كعب(٣)	الجزيرة
١٦٧هـ/٧٨٣م	موسى بن مصعب(٤)	الموصل
١٦٩هـ/٧٨٥م	منصور بن زياد(٥)	الجزيرة
١٧٨هـ/٧٩٤م	محمد بن العباسي الهاشمي(٦) ويقال عبد الملك بن صالح الهاشمي	الموصل

(١) الازدي ، ص ١٧٣ .
(٢) ن . م ، ص ١٧٣
(٣) الطبري ، تاريخ ٤٧/٨ .
(٤) الازدي ، ص٢٤٩ .
(٥) ن. م ص ٢٥٨ ، (يروي الازدي أنه كان على خراجها وصدقاتها)
(٦) ن . م ، ص ٢٨١ .

المنطقة	صاحب الخراج	السنة
الموصل	يحي بن سعيد الحرشي(١)	١٨٠هـ/٧٩٦م
الموصل	هرثمة بن اعين(٢)	١٨٣هـ/٧٩٩م
الموصل	خزيمة بن خازم(٣)	١٩٣هـ/٨٠٨م
الموصل	علي بن الحسن الهمداني(٤)	١٩٩هـ/٨١٤م

(١) الازدي ، ص ٢٨٦ (حيث كان علي والياً على الموصل ، وعلى الخراج بعد أن عزل منجاب عن الخراج) .

(٢) ن. م ، ص٢٩٥ .

(٣) ن . م ، ص ٣١٨ (روى الازدي أن الأمين أمر بعزل أخيه القاسم عن الجزيرة واستعمل عليها خزيمة بن خازم ، ولاه الموصل ، على الحرب والخراج والقضاء)

(٤) ن . م ص ٣٣٥ .



المصادر والمراجـــع

« مصادر ومراجع البحث »

١ ـ « القرآن الكريم »

المصادر الخطية

ابن اعثم :

أحمد بن عثمان الكوفي الكندي (ت،٣١٤هـ/٩٢٦م) .

٢ ـ « كتاب الفتوح » : رقوقة (١)من الاصل الموجود في مكتبة أحمد الثالث في أسطمبول برقم (٢٩٥٦) نسخة الدكتور عبد الامير الدكسن ، ـ اعارني أياها مشكوراً ـ طبع منها ثلاثة أجزاء في حيدر أباد الدكن بالهند (١٩٦٨ ـ ١٩٧٠م) .

ابن الجوزي :

٣ ـ ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي (ت،٥٩٧هـ/ ١٢٠٠ م) « المنتظم في تاريخ الملوك والامم » نسخة مصورة بالفوتوستات في مكتبة الحكيم العامة بالنجف الاشراف (تحت رقم ٩٦ ـ ٩٩) وهي مصورة عن نسخة معهد المخطوطات العربية ، (القاهرة) .

---

(١) رقيقة : هو المصطلح العلمي الذي اصطلح عليه المجمع العلمي العراقي لكلمة « ميكرو فلم »

ابن حمدون :

أبو المعالي محمد بن أبي سعيد الحسين بن محمد بن علي

(ت ، ٥٦٢هـ / ١١٦٧م)

٤ ـ (تذكرة في السياسة والآداب والملكية) نسخة مصورة بالفوتوستات في مكتبة الدراسات العليا ـ كلية الاداب ـ جامعة بغداد (تحت رقم ١٢٨٢) عن الأصل الموجود في مكتبة أحمد الثالث بأسطنبول رقم ٢٩٤٨/٦ A .

ابن الساعي :

علي بن أنجب البغدادي (ت ، ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥ م)

٥ ـ (كتاب مختصر أخبار الخلفاء) مخطوط في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم ١٦٤٧) .

ابن سرابيون :

٦ ـ (وصفها بين النهرين وبغداد)

مخطوط في مكتبة الدراسات العليا ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد، (تحت رقم ٩٢٤)

ابن شداد :

عز الدين ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن خليفة الحلبي

(ت ، ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥ م)

٧ ـ (الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) نسخة فوتوغرافية عن المخطوط الاصل الموجود في مكتبة بودليان باكسفورد، نسخة الدكتور صالح احمد العلي ـ اعارني اياها مشكوراً ـ .

ابن الكلبي :

ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م)

٨ ـ (جمهرة النسب الكبير) رقيقة عن مخطوطة المتحف البريطاني رقم (Add23297) وعن مخطوطة الاسكوريال رقم (Arade ـ1698) نسخة الدكتور عبد الامير الدكسن ـ اعارني اياها مشكورا ـ .

ابن الوردي :

زين الدين عمر بن الوردي ـ (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

٩ ـ (خريدة العجائب وفريدة الغرائب)مخطوط في مكتبة الدراسات العليا ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد (رقم ـ١٨١) ,

أبو المحامد :

١٠ ـ (كوكب المريخ فيخلاصة التاريخ) مخطوطة بمكتبة الدراسات العليا ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد (تحت رقم ٤٤٤) .

البلاذري :

أبو العباس أحمدبن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى (ت ، ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م)

١١ ـ (انسابالاشراف)نسخة مصورة بالفوتوستات فيمكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد ـ كلية الآداب ـ تحت رقم (١٦٣٤ـ ١٦٤٤) وهي (١١) جزء عن النسخة الاصلية في معهد المخطوطات العربية في الرباط (رقم ٦٨) . ومخطوطة كاملة رقيقه عن الاصل الموجود في المكتبة السليمانية باسطنبول برقم ٥٩٨ نسخة الدكتور عبدالامير الدكسن ـ أعارني اياها مشكورا ـ .

البلخي :

ابوزيد احمد بن سهل البلخي (ت ٣٢٢هـ / ٨٣٣ م)

١٢ ـ (صورة الاقاليم) مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ـ كلية الآداب ـ (تحت رقم ٣٢٩) .

الحميري :

ابو عبدالله محمد بن ابي محمد عبدالله بن عبد المنعم الحميري (ت ، ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م)

١٣ ـ (الروض المعطار في خبر الاقطار) نسخة بالفوتوستات مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي ، تحت رقم (٧٧٨ ـ ٨٨١) عن الاصل الموجود في مكتبة نور عثمانية ـ باسطمبول .

الدميري :

١٤ ـ (عجائب البلدان والجبال والاحجار) مخطوط في مكتبة الدراسات العليا ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد (تحت رقم ١١٤) .

قدامة بن جعفر الكاتب :

ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت ، ٣٢٠هـ / ٩٣٢ م)

١٥ ـ (الخراج وصنعة الكتابة) رقيقة من الاصل الموجود في معهد الدراسات العربية جامعة القاهرة ، نسخة د . عواد الاعظمي ـ اعارني اياها مشكورا ـ

القزويني :

ابو عبدالله زكريا بن محمد بن محمود القاضي جمال الدين أبو يحيى الانصاري (ت ، ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣ م)

١٦ ـ (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) مخطوط في مكتبة الدراسات العليا ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد(تحت رقم٥٧٦).

الكتبي :

صلاح بن محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٢م)

١٧ ـ (عيون التواريخ) مخطوطة في مكتبة الحكيم العامة بالنجف الاشرف تحت رقم (٧٩ـ ٨٠) وهي مصورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق .

مجهـــول :

مؤلف مجهول

١٨ ـ (رسالة في اسماء البلدان) مخطوط في مكتبة الدراسات العليا كلية الاداب جامعة بغداد (تحت رقم ٣٩٩) .

مجهـــول :

مؤلف مجهول :

١٩ ـ (زبدة تاريخ المشرق) مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا ـ كلية الآداب جامعة بغداد ، (تحت رقم ٢١٩) .

مجهـــول :

مؤلف مجهول :

٢٠ ـ (عجائب المخلوقات) مخطوط في مكتبة الدراسات العليا ـ بكلية الآداب ـ جامعة بغداد (تحت رقم ٣١) .

مجهـــول :

مؤلف مجهول .

٢١ ـ (غرر السير) رقيقة عن مخطوطة مكتبة البودليان في اكسفورد رقم (54-2) نسخة الدكتور عبد الامير الدكسن ـ اعارني اياها مشكورا ـ

مجهـــول :

(مؤلف مجهول)

٢٢ ـ (الفرق الاسلامية) مخطوطة ضمن مجموعة في مكتبة الدراسات العليا ـ بكلية الآداب ـ جامعة بغداد تحت رقم ١٤٧١) .

مجهول :

مؤلف مجهول .

٢٣ ـ (قطعة من كتاب في الجغرافية) مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد (تحت رقم ٣٢٤)

المصادر المطبوعة

ابن الاثير :

عز الدين أبو الحسن بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني
(ت ، ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م) .

٢٤ ـ (الكامل في التاريخ) ، (بيروت ، ١٩٦٥)

٢٥ ـ (اللباب في تهذيب الانساب) طبع مكتبة المقدسي (القاهرة ، ١٣٥٧ هـ) .

ابن الاثير :

مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري
(ت ، ٦٠٦ هـ/١٢٠٨م)

٢٦ ـ (النهاية في غريب الحديث والاثر) تحقيق محمود محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي ، طبع دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى (القعدة ، ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣) .

ابن أعثم الكوفي :

أبو محمد بن أعثم الكوفي (ت ، ٣١٤هـ/٩٢٦م)

٢٧ ـ (كتاب الفتوح) طبع بمراقبة د. محمد عبد الحميد خان . الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية (حيدر اباد الدكن ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨) .

ابن البطريق :

سعيد بن البطريق الرومي (ت ، ٣٢٨ هـ/٩٣٩ م)

٢٨ - (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت ، ١٩٠٥) .

ابن بطوط :

شرف الدين أبو عبد الله . . . الطنجي الشرقاوي
(ت ، ٧٧٧هـ/١٣٧٥ م)

٢٩ - (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) مطبعة الاستقامة (القاهرة ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧ م)

ابن تغري بردي :

أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي البشغاوي الظاهري الحنفي (ت ، ٨٧٤هـ / ١٤٧٠ م) .

٣٠ - (النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصروالقاهرة) دار الكتب المصرية (القاهرة ، ١٣٤٨ - ١٣٧٥ هـ / ١٩٢٩ - ١٩٥٥م .

ابن تيمية :

شيخ الاسلام محب الدين أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي النميري (ت ، ٧٢٨ هـ/١٣٢٧ م)

٣١ - (مجموعة الرسائل الكبرى) ، طبع شركة الكتب العلمية (القاهرة ، ١٣٢٣ هـ) .

ابن جبير :

أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي البلنسي
(ت ، ٦١٤هـ / ١٢١٧ م)

٣٢ ـ (رحلة ابن جبير) طبع دار صادر ، بيروت، ١٩٦٤م)
ابن حبيب :
محمد بن حبيب البغدادي (ت ، ٢٤٥هـ/٨٥٩ ـ ٨٦٠)
٣٣ ـ (كتاب المحبر) (بيروت . لا . ت)
ابن حـــزم :
ابو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت ، ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)
٣٤ ـ (الفصل في الملل والاهواء والنحل) مطبعة التمدن (القاهرة، ١٣٢١ هـ)
٣٥ ـ (جمهرة انساب العرب) تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف (القاهرة ، ١٩٦٢) .
٣٦ ـ (جوامع السيرة ، ونسخة رسالة أخرى) تحقيق د . احسان عباس ود . ناصر الدين الاسد ، مطبعة دار المعارف (القاهرة ، لا . ت) .
ابن حوقـل :
أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ، ٣٤٠هـ/٩٥١ م) .
٣٧ ـ (صورة الارض) مطبعة فؤاد بيسبان وشركاؤه(بيروت ، لا.ت)
ابن خرداذبة :
أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة الخراساني .
(ت ، حوالي ٣٠٠هـ/٩١٢ م) .
٣٨ ـ (المسالك والممالك) باعتناء دي خويه (ليدن ، ١٨٨٩) .

ابن خلدون :

ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون التونسي الحضرمي الاشبيلي المالكي(ت، ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

٣٩ ـ (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...) ، (بيروت ، لا . ت).

٤٠ ـ (المقدمة) طبع دار أحياء التراث العربي (بيروت ، ت) .

أبن خلكان :

شمس الدين ابو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان البملبكي الاربلي الشافعي الاشعري(ت، ٦٨١هـ/١٢٨٢م) .

٤١ ـ (وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الاولى، مطبعة السعادة(القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٩م).

أبن دحية الكلبي :

أبو الخطاب عمر بن الشيخ الامام أبي علي حسن بن علي سبط الامام ابي البسام الناظمي المعروف بذي النسبين (دحية والحسين) .

٤٢ ـ (النبراس في خلفاء بني العباس) تصحيح عباس العزاوي ، مطبعة المعارف (بغداد ، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦ م) .

أبن دريد :

أبو بكر محمد بن الحسن الازدي البصري (ت، ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)

٤٣ ـ جمهرة اللغة (حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٥ هـ)

ابن رسته :

ابو علي احمد بن عمر (ت ، بعد ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)

٤٤ ـ (الاعلاق النفيسة) باعتناء دي خويه ، مطبعة بريل (ليدن ١٨٩٢ م) .

أبن سعيد المغربى :

نور الدين محمد بن بكر بن معلى بن بكر الديري الشافعي (ت٧١٩هـ/١٣١٩م)

٤٥ ـ « بسط الارض في الطول والعرض » حققه د . خوان قرنيط خينوس . مطبعة كريماديس (تطوان ، ١٩٥٨) .

أبن سلام :

ابوعبيد القاسم بن سلام الهروي الازدي الخزاعي البغدادي (ت ، ٢٢٤ هـ /٨٣٨م)

٤٦ ـ « كتاب الاموال » صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي ، مطبعة عبد اللطيف حجازي ، (القاهرة ، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨م) .

ابن شداد :

عز الدين ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن خليفة الحلبي (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م)

٤٧ ـ (الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة) قسم الشام ـ (دمشق، ١٩٦٢).

ابن الطقطقي :

محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت، ٧٠٩/١٣٠٩م)

٤٨ - (الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية) (القاهرة ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠م)

أبن طيفور :

ابو الفضل احمد بن ابي طاهر بن طيفور الكاتب الخراساني (ت ، ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣م) .

٤٩ ـ (تاريخ بغداد) باعتناء عزت العطار الحسيني ، (القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩ م) .

ابن عاصم :

الفضل بن مسلمة بن عاصم الكوفي (ت ، ٢٩٠ هـ/٩٠٢م)

٥٠ ـ (كتاب المفاخر) (ليدن ، ١٩١٥) .

ابن عبد ربه :

ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حيدر بن سالم القرطبي الاندلسي المالكي (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) .

٥١ ـ (العقد الفريد) تحقيق محمد سعيد العريان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)(القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) .

ابن العبري :

ابو الفرج غريغوريوس هارون الملطي المعروف بأبن العبري (ت ، ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م) .

٥٢ ـ « تاريخ مختصر الدول» طبع تحت اشراف الاب انطوان اليسوعي، الطبعة الثانية ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ، ١٩٥٨) .

ابن عساكر :

ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي المعروف بأبن عساكر (ت ، ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) .

٥٣ ـ (تاريخ مدينة دمشق) تحقيق صلاح الدين المنجد (دمشق ١٣٧١ هـ/١٩٥١) .

ابن العماد الحنبلي :

ابو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت ، ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨م)

٥٤ ـ (شذرات الذهب في اخبار من ذهب) مطبعة بيروت (بيروت، لا . ت) .

ابن الفراء الحنبلي :

محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن احمـــد بن الفراء(ت ، ٤٥٨ ه/١٠٦٥ م)

٥٥ - (الاحكام السلطانية) ، (دمشق ، ١٣٥٧ ه) .

ابن الفقيه :

ابو بكر احمد بن محمد الهمداني (ت ، ٣٦٥ ه/ ٩٧٥م) .

٥٦ - (مختصر كتاب البلدان) مطبعة بريل (ليدن ، ١٣٠٢)

ابن قتيبة :

ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري (ت ،٢٧٦ه/٨٨٩م).

٥٧ - (عيون الاخبار) طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة ، ١٣٨٣ه/١٩٦٣ م) .

٥٨ - (المعارف) تحقيق ثروت عكاشة .مطبعة دار الكتب (القاهرة، ١٨٨٩ه/ ١٩٦٠).

٥٩ - (الامامة والسياسة) المنسوب اليه (القاهرة ، ١٩٠٤) .

ابن قيم الجوزية :

شمس الدين محمد بن ابو بكر بن عبدالله المعروف بأبن قيم الجوزية (ت ، ٧١٥ ه) .

٦٠ - (شرح الشروط العمرية) تحقيق صبحي الصالح ، (دمشق ، ١٩٦١)

ابن الكازوروني :

خير الدين علي بن محمد (ت ، ٦٩٧ه / ١٢٩٧ م)

٦١ - (مختصر التاريخ) تحقيق د. مصطفى جواد، مطبعة الحكومة (بغداد، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م) .

ابن كثير :

عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي (ت ، ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

٦٢ - (البداية والنهاية في التاريخ) الطبعة الاولى (بيروت ،١٩٦٦)

٦٣ - (تفسير القرآن العظيم) مطبعة دار احياء التراث العربي (بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩ م) .

ابن منظور :

جمال الدين ابو الفضل محمد بن جلال الدين أبو العز مكرم بن نجيب الدين ابو الحسن علي بن احمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور الانصاري الافريقي المصري (ت ، ٧١١ هـ /١٣١١م)

٦٤ - (لسان العرب) (بيروت ، لا . ت) .

ابن النديم :

ابو الفرج محمد بن اسحق بن أبي يعقوب النديم الوراق البغدادي (ت، ٣٨٣ هـ/ ٩٩٣م) .

٦٥ - (كتاب الفهرست) باعتناء غوستاف فلوجل (لايبزك،١٨٧١م).

ابن الوردي :

أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابي الفوارس بن علي الشهير بأبن الوردي الشافعي (ت ، ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م) .

٦٦ - (تاريخ ابن الوردي)الطبعة الثانية ، المطبعة الحيدرية (نجف، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩ م) .
٦٧ - (تتمة المختصر في اخبار) (بيروت ، لا . ت) .

البسوى :

أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوى (ت ، ٢٧٧هـ/٨٤١م) :
٦٨ - (كتاب المعرفة والتاريخ) تحقيق د . أكرم العمري ، مطبعة الارشاد (بغداد ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤ م) .

ابو الفداء :

عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر ابن شاهنشاه بن ايوب الشافعي (ت، ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)
٦٩ - (المختصر في أخبار البشر) ، الطبعة الاولى ، (القاهرة،لا،ت).
٧٠ - (تاريخ أبي الفداء) دار الكتاب اللبناني (بيروت لا . ت) .
٧١ - (تقويم البلدان) (باريس ، ١٨٤٠) .

ابو المعالي :

القاضي ابو المعالي أطهر المباركبوري :
٧٢ - (الفتوحات الاسلامية في الهند) أو (العقد الثمين في فتوح الهند والصين ومن ورد اليها من الصحابة والتابعين) . نشره ابناء مولوي محمد بن غلام رسول السورتي ، المطبعة الحميدية (بومباي، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٨٨ م) .

ابو يوسف :

القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ، ١٨٢هـ/ ٧٩٨م) .

٧٣ ـ (كتاب الخراج) المطبعة السلفية (القاهرة ، ١٣٥٢ هـ/١٩٣٣م)
الاربلي :
سنبط قنيتو عبد الرحمن الاربلي (ت ، ٧١٧هـ/١٣١٧م)
٧٤ ـ (خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك) ، طبعة مكتبة المثنى (بغداد ، لا.ت) .
الازدي :
ابو زكريا يزيد بن محمد الازدي (ت ، ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م)
٧٥ ـ (تاريخ الموصل) تحقيق د . علي حبيبه (القاهرة ، ١٩٦٧) .
الازدي :
ابو اسماعيل محمد بن عبدالله البصري .
٧٦ ـ (فتوح الشام) صححه وليم ناسوليس (ليدن ، ١٨٥٤) .
الاصبهاني :
عماد الدين ابو عبدالله محمد بن حامد القرشي المشهور بعمادالدين الاصبهاني الكاتب (ت ، ٥٩٦هـ/١١٩٩م) .
٧٧ ـ (خريدة القصر وجريدة العصر) تحقيق محمد بهجت الاثري، مطبعة الحكومة ج٤ ،م١ (بغداد ، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م) .
الاصطخري :
ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفاسي الاصطخري الكرخي(ت، ٣٩٠هـ/٩٩٩م)
٧٨ ـ (مسالك الممالك) بأعتناء دي خويه ، مطبعة بريل(ليدن، لا.ت).
٧٩ ـ (الاقاليم) (كوته ، ١٩٢٧) .
الاصفهاني :
حمزة بن الحسن الاصفهاني (ت ، قبل سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠م) :

٨٠ ـ (تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام) ، مطبعة كاوباني الشركة المحدودة (برلين ، ١٣٤٠ هـ) .

الاصفهاني :

ابو فرج علي بن الحسين الاموي (ت ، ٣٥٦/٩٦٦م) .

٨١ ـ (مقاتل الطالبيين) ، شرح وتحقيق أحمد صقر ، دار احياء الكتب العربية (القاهرة، ١٣٦٨ هـ/١٩٤٨ م) .

٨٢ ـ (كتاب الاغاني) ، تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة دار الكتب المصرية ج ١٥ (القاهرة ، ١٩٥٩ م) .

الانصاري :

شيخ الربوة الانصاري .

٨٣ ـ (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) (لايبرك ، ١٩٢٨) .

البخاري :

محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩م)

٨٤ـ(صحيح البخاري) ، (القاهرة ، ١٢١٣ هـ)

البغدادي :

عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاصفرائيني التميمي (ت ، ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م) .

٨٥ ـ (الفرق بين الفرق) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني (القاهرة ، لا . ت) .

البغدادي :

صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ، ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م)

٨٦ ـ (مراصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع) (القاهرة ، ١٨٣٣ هـ/١٩٥٤م) .

البكري :

أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري الاندلسي (ت ، ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م) .

٨٧ ـ (معجم ما أستعجم من اسماء البلاد والمواضع) (القاهرة،١٩٤٥).

البلاذري :

ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري البغدادي (ت ،٢٧٩هـ/٨٩٢ م) .

٨٨ ـ (انساب الاشراف)الجزء الخامس،باعتناء دي كوتين (القدس،١٩٣٦) مطبعة السعادة .

٨٩ ـ (فتوح البلدان) (القاهرة ، ١٩٥٩) .

بنيامين :

بنيامين بن يونه التطيلي النباوى الاندلسي (ت ، ٥٦١ ـ٥٦٩ هـ/ (١١٦٥ ـ ١١٧٣م) .

٩٠ ـ (رحلة بنيامين) ترجمه من العبرية عزرا حداد ، الطبعة الاولى، المطبعة الشرقية (بغداد ، ١٣٦٤ هـ/١٩٤٥ م) .

الثعالبي :

ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابورى (ت ، ٤٢٩ هـ/١٠٣٧)

٩١ ـ (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب)(القاهرة، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨)

٩٢ ـ (لطائف المعارف) تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي، دار احياء الكتب العربية (القاهرة ، ١٣٧٩ هـ/١٩٦٠م) .

٩٣ - (يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر)، تحقيق محمدمحيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة (القاهرة ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦) .

الجاحظ :

أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب بن فزارة الكناني البصري (ت، ٢٥٥هـ/٨٦٧م)

٩٤ - (البيان والتبين) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م)

٩٥ - (التبصر بالتجارة في وصف مايستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة والاعلاق النفيسة والجواهر الثمينة) الطبعة الثانية ، المطبعة الرحمانية (القاهرة ، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) .

الجهشياري .

أبو عبدالله محمد بن عبدوس بن عبدالله الجهشياري (ت، ٣٣١هـ/٩٤٢م).

٩٦ - (الوزراء والكتاب) الطبعة الاولى ، تحقيق مصطفى السقاء وآخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (القاهرة ، ١٣٥٧/١٩٣٨م) .

الحراني :

أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحراني الحافظ (ت ، ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) .

٩٧ - (تاريخ الرقة ،ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين الفقهاء والمحدثين) ، تحقيق وتعليق طاهر النعساني ، مطابع الاصلاح ، (حماة ، ١٩٥٩) .

الحموي :

شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

٩٨ ـ (معجم البلدان) باعتناء وستنفلد (لايبزج ، ١٨٦٩) .

٩٩ ـ (المشترك وضعا والمفترق صقعا) (كوته ، ١٨٤٦) .

الحموي :

محمد بن علي

١٠٠ ـ (التاريخ المنصوري) ، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، اعتنى بنشره ووضع فهارسه بطرس غريازنويج ، دار النشر الآداب (موسكو ١٩٦٠) .

الخالديان :

محمد وسعيد ابنا هاشم بن دعاة الخالديين .

١٠١ ـ (كتاب التحف والهدايا) تحقيق سامي الدهان ، مطبعة دار المعارف ، (القاهرة ، ١٩٥٩) .

خسرو :

ناصر خسرو :

١٠٢ ـ (سفرنامه ـ رحلة ناصر خسرو ـ الى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري) . ترجمة د . يحيى الخشاب ، مطابع دار القلم ، الطبعة الثانية (بيروت ، ١٩٧٠) .

الخوارزمي :

محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت،٣٨٧ هـ/٩٩٧م) .

١٠٣- (مفاتيح العلوم) صححته ادارة الطباعة المنيرية ، مطبعة الشرق، القاهرة ، ١٣٤٢ هـ) .

الخوارزمي :

ابو جعفر محمد بن موسى (ت،٢٣٢هـ/٨٤٦م) .

خليفة :

خليفة بن خياط بن شباب العصفري (ت ، ٢٤٠هـ/٨٥٤م)

١٠٤ - (كتاب التاريخ) ، (بغداد ، ١٩٦٦) .

١٠٥ - (صورة الارض) (فينا ، ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م) .

الدميري :

كمال الدين ابو البقاء (ت، ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

١٠٦ -(حياة الحيوان الكبرى) دار الطباعة (القاهرة ، ١٢٩٢).

الدياربكرى :

حسين بن محمد بن الحسن (ت، ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤ م) .

١٠٧ - تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس) المطبعة الوهبية (القاهرة ، ١٢٨٣ هـ) .

الدينوري :

أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ، ٢٨٢هـ/٨٩٥م) .

١٠٨ - (الاخبار الطوال) (القاهرة ، ١٩٦٠) .

الذهبي :

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي الدمشقي الفارقي الشافعي (ت ، ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) .

١٠٩ ـ (دول الاسلام) جزءان ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار المعارف العثمانية . (حيدر اباد الدكن،١٣٦٤ـ١٣٦٥هـ)
١١٠ـ (تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام) مطبعة السعادة، ج ١ـ٦ (القاهرة ، ١٣٦٩) .
١١١ ـ (العبر في خبر من عبر) تحقيق فؤاد السيد ج٢ ج٤ (الكويت ١٩٦١) تحقيق صلاح الدين المنجد (الكويت ، ١٩٦٣).
الزبيدي :
محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي(ت، ١٢٠٥هـ/١٧٩٠) .
١١٢ ـ (تاريخ العروس في جواهر القاموس) (بنغازي ،لا. ت) .
الزمخشري :
ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ، ٥٣٨هـ/١١٤٣م) .
١١٣ ـ (الجبال والامكنة والمياه) تحقيق د . ابراهيم السامرائي ، مطبعة السعدون (بغداد ، ١٩٦٨) .
الزياني :
أبو القاسم ابن احمد الزياني (ت ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م) .
١١٤ ـ (الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور براً وبحراً) تحقيق عبد الكريم الفيلالي ، مطبعة فضالة (المحمدية ، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م).
السمعاني :
ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(ت،٥٦٢هـ/١١٦٦م)
١١٥ ـ (الانساب) تصحيح وتعليق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد الدكن ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٣م١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) .

سهراب :
١١٦ - (عجائب الاقاليم السبعة) (فينا ، ١٩٢٩م /١٣٤٧هـ)
السيوطي :
جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي (ت ، ٩١١هـ/١٥٠٥ م) .
١١٧ - (تاريخ الخلفاء) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، (القاهرة ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .)
١١٨ - (تفسير الجلالين) بالاشتراك مع جلال الدين المحلي ، مطبعة دار الكتاب العربي (بيروت ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) .
الشباشتي :
أبو الحسن علي بن محمد (ت ، ٣٨٨هـ/٩٩٨م)
١١٩ - (الديارات) ، مطبعة المعارف (بغداد ، ١٩٥١) تحقيق كوركيس عواد .
الشهابي :
حيدر احمد الشهابي (الامير) .
١٢٠ - (الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان) مطبعة دار السلام (القاهرة ، ١٩٠٠)
الشهرستاني :
ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ، ٥٤٨هـ /١١٥٣م)
١٢١ - (الملل والنحل) الطبعة الاولى ، الطبعة الادبية جـ١ القاهرة ، ١٣١٧ هـ) جـ ٢ ، (القاهرة ، ١٣٢٠هـ) .

الصابي :

محمد بن هلال بن محسن ... أبو الحسن غرس النعمة (ت ،
٤٨٠هـ/١٠٨٧م) .

١٢٣ - (الهفوات النادرة) ، حققه صالح الاشتر (دمشق ، ١٩٦٠م) طبعة مجمع اللغة العربية .

الطبري :

ابو جعفر محمد بن جرير بن زيد بن خالد الطبري (ت ،
٣١٠هـ/٩٢٢م)

١٢٣ - (تاريخ الامم والملوك) طبعة ابو الفضل (القاهرة ، ١٩٦٦) واعتمدنا طبعة جا (القاهرة ، ١٩٣٩) .

١٢٤ - (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) حققه محمود محمد شاكر مطبعة دار المعارف (القاهرة ، ١٩٥٨) .

العباسي :

الحسن بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد الله بن العباس
(ابتداء تأليفه ، ٧٨٠هـ) .

١٢٩ - (آثار الاول في تاريخ الدول) (القاهرة ، ١٢٩٥ هـ)

العظيمي :

محمد رضا شاه عبد العظيمي (ت ، ١٣٣٤هـ/١٩١٥م)

١٢٦ - (اللؤلؤ المرتب في أخبار البرامكة وآل المهلب) ، الطبعة الثانية (النجف الاشرف ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) .

العلـــوي :

الشريف المرتضى علي بن الحسن الموسوي العلوي (ت ، ٤٣٦ هـ
/١٠٤٤ م) .

١٢٧ - (أمالي المرتضي أو غرر الفوائد ودرر القلائد) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار احياء الكتب العربية (القاهرة ، ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤م) .
العمري :
محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري .
١٢٨ - (منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء) تحقيق سعيد الديوه جي ، مطبعة الجمهورية (الموصل ، ١٩٦٨) .
العمري :
ياسين بن خير الله الخطيب العمري .
١٢٩ - (منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء) ، تحقيق سعيد الديوه‌جي ، مطبعة الهدف (الموصل ، ١٩٥٥) .
الفارقي :
الفارقي أحمد بن يوسف بن علي بن الازرق
١٣٠ - (تاريخ الفارقي) ، (القاهرة ، ١٩٥٩/١٣٧٣) تحقيق د . عبد اللطيف عوض .
الفيروز أبادي :
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ، ٨١٧ هـ / ١٣١٨ م) .
١٣١ - (القاموس المحيط) ، المطبعة التجارية (القاهرة ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢ م)
الفيومي :
احمد بن محمد بن علي (ت ، ٧٧٠هـ/١٣٦٨ م)

١٣٢ - (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير) للرافعي (القاهرة، ١٩٣٩) مطبعة بولاق .
قدامة :
أبو الفرج قدامه بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت٣٣٧هـ/٩٣٢ م)
١٣٣ - (نبذة من كتاب الخراج ووصنه الكتابة) باعتناء دي خويه مطبعة بريل (ليدن، ١٨٨٩م) .
القرماني :
ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد بن سنان القرماني الدمشقي (ت ، ١٠١٩هـ/١٦١٠م) .
١٣٤ - (أخبار الدول وآثار الاول) ، طبع محمد أمين افندى ، مطبعة عباس التبريزي ١٢٨٢هـ).
القزويني :
ابو عبدالله زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت،٦٨٢/١٢٨٣م)
١٣٥ - (اثار البلاد واخبار العباد)مطابع دار صادر(بيرت للطباعة والنشر (بيروت ، ١٣٨٠ هـ/١٩٦٠م) .
القفطي :
جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي(ت،٦٤٦هـ/١٢٤٩م)
١٣٦ - (تاريخ الحكماء) (ليبزج ، ١٩٥٣) .
القلقشندي :
ابو العباس الشيخ شهاب الدين احمد بن عبدالله بن سليمان اسمعيل الشهير بابن غده (ت ، ١٤١٨/٨٢١ م) .
١٣٧ (صبح الاعشى في صناعة الانشاء) الاول والثاني - دار الكتب

المصرية (القاهرة ١٩٢٢ ـ ١٩٢٨) والاجزاء الباقية المطبعة الاميرية ـ (القاهرة ١٩١٤ ـ ١٩٠٨ م) .

الكندي :

أبو عمر محمد بن يوسف المصري (ت، ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)

١٣٨ ـ (كتاب الولاة وكتاب القضاة) تحقيق رفن كست ، مطبعة الاباء اليسوعيين (بيروت ، ١٩٠٨) .

الماوردي :

ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشافعي (ت ، ٤٥٠هـ/١٠٥٨)

١٣٩ ـ (الاحكام السلطانية والولايات الدينية) ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (القاهرة ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠ م) .

المـــبرد :

ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت، ٢٨٥هـ/٨٩٨م) .

١٤٠ ـ (الكامل في الادب) عارضة وعلق عليه محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة النهضة (القاهرة ، ١٣٧٦/١٩٥٦) .

مجهـــول :

١٤١ ـ (تاريخ الخلفاء) ـ نشره بطرس غرياز نيوريخ ، أكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتي (موسكو ، ١٩٦٧) .

مجهول ، مؤلف من القرن الثالث الهجري :

١٤٢ ـ (اخبار الدولة العباسية ـ وفيه اخبار العباس وولده) تحقيق

د : عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت،١٩٧١م) مطابع دار صادر .

مجهـــول :

مؤلف مجهول (من خلافة الوليد بن عبدالملك ...)

١٤٣ - (العيون والحدائق في اخبار الحقائق) باعتناء دى خويه ، مطبعة بريل (ليدن ، ١٨٧١) .

المرصفي :

سيد بن علي المرصفي

١٤٤ - (رغبة الآمل من كتاب الكامل) الطبعة الاولى ، مطبعة النهضة (القاهرة ، لا . ت) .

المسعودي :

ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهاشمي(ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧ م) .

١٤٥ - (مروج الذهب ومعادن الجوهر) (القاهرة ، ١٩٦٤ م / ١٣٨٤ هـ) .

١٤٦ - (التنبيه والاشراف) (القاهرة ١٩٣٨) .

مسلم :

الامام ابوالحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت،٢٦١هـ/٨٧٤م)

١٤٧ - (الجامع الصحيح) ، (أستانبول ، ١٣٨٤) .

مسكويه :

أبو علي احمد بن يعقوب بن مسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) .

١٤٨ - (تجارب الامم) مطبعة بريل ، نشر دى خويه (ليدن،١٨٧١)

المقدسي :

شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن أبي بكر البناء المقدسي الحنفي المعروف بالبشاري (ت، ٣٨٠هـ/٩٩٠) .

١٤٩ ـ (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) باعتناء دى خويه ـ الطبعة الثانية مطبعة بريل (ليدن ، ١٩٠٦م)

المقدسي :

ابوزيد احمد بن سهل البلخي (وهو المطهر بن طاهر المقدسي) (ت، ٣٧٨هـ/٩٩٧م) .

١٥٠ ـ (البدء التاريخ) مطبعة برطون (شالون ١٩١٦م) .

المقريزي :

تقي الدين ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الحسيني العبيدي (ت ، ٨٤٥/١٤٤١م).

١٥١ ـ (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) ، مطبعة النيل (القاهرة ، ١٣٢٤ـ١٣٢٦هـ) .

١٥٢ ـ (السلوك لمعرفة دول الملوك) ، نشره محمد مصطفى ، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة ، ١٩٣٤م)

١٥٣ ـ (النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم) مطبعة الحيدرية (النجف ، ١٩٦٦) .

المكي :

عبد الملك بن حسين عبدبن الملك العصامي المكي ت١١١١هـ / ١٦٩٩ م) .

١٥٤ ـ (سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي) المطبعة السلفية، (القاهرة ، ١٣٨٠) .

١٥٥ - المنذري : زكي الدين بن عبد القوي المنـــذري (ت ٦٥٦)
(الترغيب والترهيب في الحديث الشريف) ،مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الثالثة (القاهرة،١٣٨٨/١٩٦٨م) نظمي زاده مرتضى افندي :
١٥٦ - (كلشن خلفا) ترجمة موسى كاظم نورس ، مطبعة الاداب (النجف الاشراف ، ١٩٧١)
النوبختي :
ابو محمد الحسن بن موسى النوبختي (ت ٣٠٠ ﻫ/٩١٢م)
١٥٧ - (فرق الشيعة) تعليق محمد صادق آل بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، (نجف ، لا . ت) .
النويري :
شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري(ت،٧٣٣ﻫ/١٣٣٣م)
١٥٨- (نهاية الارب في فنون الادب) ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه (القاهرة لا . ت)
الهروي :
علي بن أبي بكر... ابو حسن (ت، ٦١١/١٢١٤م) .
١٥٩ - (الاشارات الى معرفة الزيارات) حققه جانيف سورديل طومين (دمشق ، ١٩٥٣) .
الهمداني :
ابو محمد الحسن... اليمن بن الحائر (ت٣٣٤ﻫ/ ٩٤٥م)
١٦٠ - (صفة جزيرة العرب) (القاهرة ، ١٩٥٣) مطبعة السعادة ، نشرة وصححه بقاعة محمد بن عبدالله بن بليهد النجدي .

الواقدي :

ابو عبدالله محمد بن واقد المدني(ت٢٠٧هـ/٨٢٢م) :

١٦١ - (فتوح الشام) طبع المكتبة التجارية (القاهرة ، ١٣٧٣) .

وكيع :

محمد بن خليفة بن حيان (ت ، ٣٠٦هـ/ ٩١٨م) .

١٦٢ - (اخبار القضاة) تصحيح وتعليق عبد العزيز مصطفى المراغي - الطبعة الاولى - مطبعة الاستقامة (القاهرة ،١٣٦٩هـ/١٩٦٠م).

يحيى بن آدم :

يحيى بن آدم القرشي (ت،٢٠٣ هـ/٨١٨م).

١٦٣ - (كتاب الخوارج) حققه ووضع فهارسه احمد محمد شاكر، المطبعة السلفية ومكتبتها (القاهرة، ١٣٤٧) .

اليعقوبي :

احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت ، ٢٨٤ هـ/٨٩٧م) .

(التاريخ)

١٦٤ - مطابع دار صادر (بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م) .

١٦٥ - (كتاب البلدان) (نجف، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) .

المراجع العربية الحديثة

أبو جب :

القاضي سعيد أبو جب

١٦٥ ـ مروان بن محمد (بيروت ، ١٩٧٢)

ابو زهره :

محمد أحمد ابو زهرة .

١٦٦ ـ (المذاهب الاسلامية) المطبعة النموذجية (القاهرة ، لا.ت) .

احمد :

د . محمد حلمي محمد أحمد :

١٦٧ ـ (الخلافة والدولة في العصر العباسي) الطبعة الاولى ، مطبعة الرسالة ، (القاهرة ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) .

الآلوسي :

محمود شكري .

١٦٨ ـ (بلوغ الارب في معرفة احوال العرب) (القاهرة ، ١٩٢٤)

أمير علي :

سيد امير علي :

١٦٩ ـ (مختصر تاريخ العرب) ترجمة عفيف البعلبكي، الطبعة الاولى، مطبعة دار العلم للملايين (بيروت ، ١٩٦١).

أمين :
احمد امين
١٧٠ - (فجر الاسلام) الطبعة السابعة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ، ١٩٥٩م) .
١٧١ - (ضحى الاسلام) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٦٤) .
أمين :
الدكتور حسن امين .
١٧٢ - تاريخ العراق في العصر السلجوقي (بغداد، ١٩٦٥)
امين :
العميد الركن عبد المطلب امين .
١٧٣ - (مبادىء السوق أو جغرافية العراق العسكرية) الطبعة الأولى (بغداد ، ١٩٤٦) .
البستاني :
بطرس البستاني .
١٧٤ - محيط المحيط (بيروت، ١٨٧٠)
ثابت :
نعمان ثابت عبد اللطيف .
١٧٥ - (تاريخ جول سنجار وتطورد يالته)، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، كلية الآداب (تحت رقم ٧).
الجومود :
د . عبد الجبار الجومرد :
١٧٦ - (هارون الرشيد) - مطبعة دار الكتب (بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)

حتي :
د . فيليب حتي وجبرائيل جبور .
١٥٧- (تاريخ العرب المطول) : الطبعة الثانية، مطابع دار الكشاف للطباعة والنشر)(بيروت ، لا.ت) .
حتي :
١٧٦ - (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين) (بيروت ، ١٩٥٨) .
حسن :
د . حسن ابراهيم حسن :
١٧٩ (تاريخ الاسلام) الطبعة السابعة ، مطبعة المحمودية (القاهرة ١٩٦٤) .
حسن :
د . علي ابراهيم حسن
١٨٧ - (التاريخ الاسلامي العام)الطبعة الثانية ،مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٩) .
الحسيني :
١٨١ (الصابئون في حاضرهم وماضيهم) : (صيدا ، ١٩٥٨) .
حماده :
سعيد حماده .
١٨٢ - (النظام الاقتصادي في العراق) بيروت ، ١٩٣٩) .
الخربوطلي :
د . علي حسني الخربوطلي :
١٨٣ - (الاسلام في حوض البحر المتوسط) الطبعة الاولى ، مطبعة دار العلم للملايين (بيروت ، ١٩٧٠) .

خصباك :
د . شاكر خصباك .
١٨٤ - (الكرد والمسألة الكردية) مطبعة الرابطة ، (بغداد،١٩٥٩)
الخضري :
محمد الخضري بك :
١٨٥ - (محاضرات تاريخ الامم الاسلامية) . ج١ ، الطبعة السابعة
و ج ٢ الطبعة الثانية (القاهرة ، ١٣٧٦ ج ١) (القاهرة
١٣٧٢/١٩٥٣ ج٢) .
خطاب :
محمود شيت خطاب .
١٨٦ - (قادة فتح العراق والجزيرة) ، دار القلم ، (القاهرة، ١٩٦٢م)
الخلف :
د . جاسم الخلف .
١٨٧ - (جغرافية العراق) مطبعة دار المعرفة (القاهرة١٩٥٩)
الدباغ
مصطفى الدباغ :
١٨٨ - (بلادنا فلسطين) : (بيروت ، ١٩٦٥)
الدجيلي :
محمد رضا حسن
١٨٩ - (الازارقة) (اطروحة ماجستير) (بغداد ، ١٩٧١) .
دحلان :
احمد زيني دحلان :
١٩٠ - (الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية)(القاهرة، ١٣٢٣).

دكسن :
د . عبد الامير عبد دكسن .
١٩١ ـ (الخلافة الاموية) مطبعة دار النهضة العربية ـ (بيروت ، ١٩٧٣) .
الدوري .
د . عبد العزيز الدوري .
١٩٢ ـ (تاريخ العراق الاقتصادي في ق ٤هـ/٩٨٤م) مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٤٨) .
١٩٣ ـ (العصر العباسي الاول) (بغداد ، ١٣٦٣ /١٩٤٥) مطبعة التفيض الاهلية .
١٩٤ ـ (النظم الاسلامية) (بغداد ، ١٩٥٠)
١٩٥ ـ (تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (بغداد، ١٩٤٨) .
الراوى :
ثابت اسماعيل .
١٩٦ ـ (تاريخ الدولة العربية) مطبعة الارشاد (بغداد ١٩٧٠)
الرفاعي :
د . أحمد فريد الرفاعي :
١٩٧ ـ (عصر المأمون)الطبعة الرابعة،دار الكتب المصرية (القاهرة، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م) .
الريس :
د . محمد ضياء الدين :

١٩٨ ـ (الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية) الطبعة الثالثة ،
القاهرة ، ١٩٦٩) .
الزركلي :
خير الدين الزركلي .
١٩٩ ـ (الاعلام) (القاهرة، ١٩٥٦ م) .
زكي :
محمد امين زكي .
٢٠٠ ـ (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان) ـ ترجمة محمد علي عوني ـ
الطبعة الثانية (بغداد ، ١٩٦١) .
زيدان :
جورجي زيدان .
٢٠١ ـ (تاريخ العرب قبل الاسلام) ، مطبعة الهلال (القاهرة، ١٩٢٩)
السامر :
د . فيصل السامر .
٢٠٢ ـ (الدولة الحمدانية في الموصل وحلب) مطبعة الايمان، (بغداد،
١٩٧٠) .
د . فيصل السامر ود . عبد الامير عبد دكسن .
٢٠٣ ـ (محاضرات في تاريخ الحضارية العربية الاسلامية (بغداد، ١٩٧١
- ١٩٧٢ .
السامرائي :
د . حسام الدين قوام :
٢٠٤ ـ (المؤسسات الادارية في الدولة العباسية)

(٢٤٧ - ٣٣٤ هـ) (٨٦١ - ٩٤٥ م) مكتبة دار الفتح
(دمشق ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م)

سرور :
د . محمد جمال الدين سرور
٢٠٥ - (الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية) ، - دار
الثقافة العربية للطباعة (القاهرة ، ١٩٦٠)

السرنجاوى :
عبد الفتاح السرنجاوى :
٢٠٦ - (الدوله العباسية ، قيامها وحضارتها) مطبعة شـــبرا
(القاهرة ، ١٩٤٠)

سعيد :
خليل سعيد .
٢٠٧ - (الربط الاسلاميه) اطروحة ماجستير (بغداد ، ١٩٧٣)

سلام :
محمد زغلول سلام :
٢٠٨ - (نوابـــغ الفكر العربي ، ابن قتيبه) - دار المعارف
(القاهره ، ١٩٦٥)

السيد :
اديب السيد :
٢٠٩ - (أرمينيه في التاريخ العربي) الطبعه الاولى ، المطبعه الحديثه
(حلب ، ١٩٧٢) .

الشرقاوي :
احمد الشرقاوي .
٢١٠ ـ (مذكرات الدولة الاموية في الشرق) مطبعة شبرا ،
(القاهرة ، ١٩٣٨)
الشريف :
د . احمد ابراهيم الشريف .
٢١١ ـ (العالم الاسلامي في العصر العباسي) (القاهرة ، ١٩٦٦)
الشريف :
د . ابراهيم شريف .
٢١٢ ـ (الموقع الجغرافي للعراق) مطبعة شفيق (بغداد ، لا . ت)
الشريقي :
د . ابراهيم الشريقي .
٢١٣ ـ (التاريخ الاسلامي) الطبعة الثانيه (القاهرة ، ١٣٩١هـ ١٩٧١م
الشكرجي :
نعيمة عبد الكريم الشكرجي .
٢١٤ ـ (ثورة ابو السرايا) اطروحة ماجستير (بغداد ، ١٣٩٠هـ ١٩٧١م).
شلبي :
د . احمد شلبي .
٢١٥ ـ (التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهره ، ١٩٦٠) .
الشماس :
عزيز بطرس .
٢١٦ ـ (كتاب الرماة) (بغداد ، ١٩٦٠)

الصايغ :
القس سليمان الصايغ .
٢١٧ - (تاريخ الموصل) (المطبعه السلفيه) (القاهرة ، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م).
طلس :
محمد سعيد طلس .
٢١٨ - (تاريخ الامة العربية) - الطبعه الاولى ، مطابع دار الاندلس وبيروت ، (بيروت ، ١٩٥٨)
العبادي :
احمد مختار العبادي .
٢١٩ - (في التاريخ العباسي والفاطمي) - (بيروت ، ١٩٧١)
عبد القادر :
العقيد الركن سيف الدين عبد القادر .
٢٢٠ - (جغرافية العراق العسكرية) مطبعة شفيق (بغداد، ١٩٧٠)
عثمان :
د . حسن عثمان .
٢٢١ - (منهج البحث التاريخي) طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثه ، (القاهرة ، ١٩٦٥) .
عثمان :
فتحي عثمان .
٢٢٢ - (الحدود الاسلامية البيزنطيه) (القاهرة ، لا . ت)
العــلي :
د . صالح احمد العلي .
٢٢٣ - (محاضرات في تاريخ العرب) (بغداد ، ١٩٦٠)

د . صالح العلي وآخرون :
٢٢٤ ـ (تاريخ العرب في القرون الوسطى) (الطبعه الثالثة . مطبعة وزارة التربية والتعليم (بغداد ، ١٩٦٣ م / ١٣٨٣هـ)

علي :
د . جواد علي .
٢٢٥ ـ (تاريخ العرب قبل الاسلام) (بغداد ، ١٩٥١ ـ ١٩٥٢)

عمر :
د . فاروق عمر فوزي .
٢٢٦ ـ (العباسيون الاوائل) مطبعة الارشاد (بيروت ، ١٩٧٠) .
٢٢٧ ـ (طبيعة الدعوه العباسية) (بيروت ، ١٩٧٠) .
٢٢٨ ـ (الفوضى العسكرية) (بغداد ، ١٩٧٤) .

عياش :
عبد القادر عياش .
٢٢٩ ـ (الرقة كبرى المدن الفراتية القديمة) القسم الاول(ديرزور،١٩٦٨)

فروخ :
د . عمر فروخ .
٢٣٠ ـ (العرب والاسلام فى الحوض الشرقي من البحر الابيض.) الطبعه الاولى ، مطبعة دار الكتب (بيروت ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م)

القلماوي :
سهير القلماوى .
٢٣١ ـ (أدب الخوارج فى العصر الاموي) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ، ١٩٤٥) .

الـكبيسي :

عبد المجيد الـكبيسي .

٢٣٢ ـ (عصر هشام بن عبد الملك) اطروحة ماجستير (بغداد ، ١٩٧٣).

كحالة :

عمر رضا كحالة .

٢٣٣ ـ (معجم قبائل العرب القديمه والحديثة) (بيروت ١٩٦٨).

كرد علي :

محمد كرد علي .

٢٣٤ ـ (خطط الشام) المطبعة الحديثة (دمشق ، ١٣٤٣ هـ/١٩٢٥م).

الـكرملي :

ماري الكرملي .

٢٣٥ ـ (اليزيديه) مخطوط في مكتبة الدراسات العليا ـ كلية الاداب جامعة بغداد (تحت رقم ٥٤) .

ماجـــد :

عبد المنعم ماجد .

٢٣٦ ـ (التاريخ السياسي) ـ مطبعة مكتبة الانجلو مصرية (القاهرة، ١٩٥٧) .

ملخص .

عدي ملخص

٢٣٧ ـ (المقدسي البشاري) مطبعة النعمان(بغداد ، ١٩٧٣)

المعاضيدي :

د . خاشع المعاضيدي .

٢٣٨ ـ (دولة بني عقيل) (بغداد ، ١٩٦٨) .
معروف :
د. ناجي معروف .
٢٣٩ ـ (المدخل في تاريخ الحضارة العربية) ، الطبعة الاولى ، مطبعة العاني . (بغداد ، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م) .
معمر :
علي يحيى معمر .
٢٤٠ ـ (الاباضية في موكب التاريخ) الحلقة الاولى (نشأة المذهب الاباضي) مطبعة دار الكتاب العربي (القاهرة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م).
نـــادر :
د. ألبير نصري نادر:
٢٤١ ـ (أهم الفرق الاسلامية ـ السياسية والكلامية) المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٥٨) .
النبهاني :
محمد بن حميد بن موسى النبهاني الطائي :
٢٤٢ ـ (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية) المطبعة المحمدية (القاهرة، ١٣٤٢هـ) .
النجار :
د . محمد الطيب النجار:
٢٤٣ ـ (الدولة الاموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء) مطابع دار الكتاب العربي (القاهرة ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢) .

٢٤٤ ـ الموالي في العصر الأموي) (القاهرة ، ١٩٤٩) .

الهاشمي :
طه الهاشمي.
٢٤٥ ـ (جغرافية العراق) مطبعة المعارف (بغداد ، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م) .

٢٤٦ ـ (مفصل جغرافية العراق) مطبعة دار السلام ، (بغداد ، ١٩٣٠) .

المراجع الأجنبية المترجمة

ترتون :

ا . س. ترترن :

٢٤٧ ـ (اهل الذمة في الاسلام) ترجمة حسن حبشي ـ مطبعة الاعتماد (القاهرة، ١٩٤٩) .

جب :

هاملتون جب :

٢٤٨ ـ(دراسات في حضارة الاسلام) ترجمة د . احسان عباس واخرون دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٦٤) مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

جلوب :

جون باجوت جلوب :

٢٤٩ ـ (امبراطورية العرب) ترجمة خيري حماد ـ الطبعة الاولى دار الكتاب العربي (بيروت ، ١٩٦٦) .

دينيت :

دانيال دينيت.

٢٥٠ ـ (الجزية والاسلام) ترجمة فوزي فهيم (بيروت ، ١٩٦٠) .

ديلابورت :

٢٥١ - (الحضارة البابلية والاشورية) ميزوبوتاميا ، ترجمة محرم كمال (القاهرة ، ١٩٤٤) .

زامباور .

المستشرق زامباور :

٢٥٢ - (معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي) ، ترجمة سيدة كاشف وأخرون ،مطبعة جامعة فؤاد الأول (القاهرة، ١٩٥١م /١٣٧٠هـ) .

شفوات :

نخلة بك صالح شفرات :

٢٥٣ - (تاريخ الخلفاء) ترجمة من الفرنسية ، الطبعة الاولى ، مطبعة هندية بالموسكي (القاهرة ، لا .ت) .

غرونباوم

غرونبام فون غرونبام :

٢٥٤ - (حضارة الاسلام) (القاهرة ، ١٩٥٦).

فازليف :

٢٥٥ - (العرب الروم) - ترجمة د . محمد عبد الهادي شعيره - دار الفكر العربي (القاهرة ، ١٩٣٤ م) ،

فان فلوتن :

٢٥٦ - (السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات) (القاهرة ، ١٩٣٤) .

فلهاوزن :

يوليوس فلهاوزن :

٢٥٧ - (الخوارج والشيعة) ترجمة عبد الرحمن بدوي (القاهرة ، ١٩٥٨) .

٢٥٨ -(الدولة العربية وسقوطها) ترجمة يوسف العش-مطبعة الجامعة السورية - (دمشق ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦م) .

كراتشكوفسكي

أغناطيوس يوليان كراتشكوفسكي:

٢٥٩ - (تاريخ الادب الجغرافي العربي) - ترجمة صلاح الدين هاشم القسم الاول . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ، ١٩٦٣) .

لسترانج :

كي لي سترانج :

٢٦٠ - (بلدان الخلافة الشرقية) ترجمة كوركيس عواد (بغداد ١٩٥٤) .

متز :

آدم متز :

٢٦١ - (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري) ترجمة عبد الهادي ابو ريده ، الطبعة الثالثة (بيروت ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)

مكاي :

دروثي مكاي :

٢٦٢ ـ (مدن العراق القديمة) ـ ترجمة يوسف يعقوب مسكوني ،
الطبعة الثانية مطبعة شفيق (بغـــداد ، ١٩٥٢ م /
١٣٧١ هـ) .

مينورسكي :

بروفسور ق . ف . مينورسكي .

٢٦٣ ـ (الاكراد) ترجمة د . معـــروف خزندار (بغداد
١٩٦٨) .

نيبور :

الرحالة نيبور :

٢٦٤ ـ (رحلة نيبور الى العراق في ق١٨م)ترجمه عن الالمانية د . محمود
حسين الامين (بغداد ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) .

نيكيتن باسيل نيكيتن:

٢٦٥ ـ (الاكراد) دار الوقائع (بيروت ، ١٩٥٨).

هستد :

٢٦٦ ـ (جغرافية العراق الطبيعية) ترجمة د . جاسم الخلف (بغداد،
١٩٤٨) .

هنتس :

فالتر هنتس :

٢٦٧ ـ (المكاييل والاوزان الاسلامية ومايعادلها في النظام المتري)
ترجمة د . كامل العسلي (عمان ، ١٩٧٠) .

ولهاوزن :

يوليوس ولهاوزن :

٢٦٨ - (الدولة العربية وسقوطها) ترجمة الدكتور يوسف العش ، مطبعة الجامعة السورية (دمشق ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) .

٢٦٩ - (الخوارج والشيعة) ترجمة عبد الرحمن بدوي (القاهرة ، ١٩٥٨) .

المقالات والبحوث

الاعظمي :

عواد مجيد الاعظمي.

٢٧٠ ـ الجذور التاريخية للتراث العربي في فلسطين) بحث مقدم للمؤتمر الدولي للتاريخ (بغداد ، ١٩٧٣) .

الجاسر :

احمد الجاسر :

٢٧١ ـ (القطائع النبوية) مجلة العرب، ج ٣، السنة٨(الرياض ، ١٩٧٣) .

جبور :

جبرائيل جبور :

٢٧٢ ـ (كتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة من هو مؤلفه؟) مجلة الابحاث ، ج ٣ السنة ١٣ (ايلول) (بغداد ،١٩٦٠) .

حوليات :

٢٧٣ ـ (حوليات كلية الآداب (كتاب الادب السرياني ، مجلة كلية الآداب ، جامعة عين شمس المجلد ١٣ (القاهرة ، ١٩٥٣) .

الدوري :

عبد العزيز الدوري .

٢٧٤ ـ (ضوء جديدعلى الدعوة العباسية) مجلة كلية الآداب والعلوم، العدد الثاني (بغداد ، ١٩٥٩) .

السامر :

د . فيصل السامر :

٢٧٥ ـ (التسامح الديني والعنصري في التاريخ العربي الاسلامي) مجلة مركز الدراسات الفلسطينية م ١ عـــدد (٢) نيسان (بغداد ، ١٩٧٢) .

السامرائي :

د . حسام السامرائي :

٢٧٦ ـ (هشام بن محمد الكلبي) مجلة كلية الشريعة ، العدد (٢) بغداد ، ١٩٦٦) .

٢٧٧ ـ (السياسة الزراعية للدولة العباسية) مجلة كلية الامام الاعظم العدد (٣) (بغداد،١٩٧٤) .

شوكت :

د . ابراهيم شوكت :

٢٧٨ ـ (تحقيق نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي ـ قسم الجزيرة والعراق مجلة المجمع العلمي ـ مجلد ، ٢٣ ـ مستل (بغداد،١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) .

الصائغ :

القس سليمان الصائغ :

٢٧٩ ـ مقال عن سكان الموصل في مجلة لغة العرب ـ السنة٣(١٩١٣ـ ١٩١٤) .

٢٨٠ ـ (الحضر ـ نشرة لمديرة الآثار العامة (بغداد ،لا.ت) .

العــــلي :

د . صالح احمد العلي :

٢٨١ ـ (استيطان العرب في خراسان) مجلة كلية الاداب والعلوم ، العدد (٢) (بغداد ، ١٩٥٩) .

علي :

د . جواد علي

٢٨٢ ـ (موارد تاريخ المسعودي) مجلة سومر ـ م ٢ (بغــــداد ، ١٩٦٤) .

علي :

د . خالد اسماعيل :

٢٨٣ ـ (ألف التفخيم في اللهجات العربية الحديثة في منطقة الجزيرة الفراتية ـ مجلة كلية الاداب ـ العدد ١٥ (بغداد ، ١٩٧٢) .

عمر :

د . فارق عمر فوزي .

٢٨٤ ـ (ملامح من تاريخ العراق في العصر العباسي الاول)، مجلة ، مابين النهرين (بغداد ، ١٩٧٤) .

٢٨٥ ـ (الرسائل المتبادلة بين الخليفة المهدي والثائر عبد السلام الخارجي) ، مجلة الجمعية التاريخية العراقية (بغداد ، ١٩٧٤) .

٢٨٦ ـ الالوان ودلالاتها السياسية في العصر العباسي الاول مجلة كلية الاداب عدد١٤ (بغداد ، ١٩٧١) .

٢٨٧ ـ (نقد وتعريف بتاريخ الموصل للأزدي) ، مجلة المكتبة العدد ٦٤ (بغداد ، ١٩٦٨) .

٢٨٨ ـ (تقويم جديد للدعوة العباسية) مجلة الجمعية التاريخية ـ جامعة الرياض (محاضرات في التاريخ والاثار العدد (١) (الرياض ، ١٩٦٩) .

٢٨٩ ـ (ثائر من اجل العروبة) مجلة العرب ١٩٦٨ـ ١٩٦٩

٢٩٠ ـ (موقف الموصل من الخلافة العباسية) مجلة الجامعة المستنصرية) العدد (٥) السنة الخامسة (بغداد ، ١٣٩٥/ ١٩٧٥ م) .

المشرق :

٢٩١ ـ مجلة المشرق ١٩٧٤ مقال استخدم في البحث .

معروف :

بشار عواد معروف :

٢٩٢ ـ (أصالة الفكر التاريخي عند العرب) بحث مقدم للمؤتمر الدولي للتاريخ (بغداد ، ١٩٧٣) .

نجم

محمد يوسف نجم :

٢٩٣ ـ (كتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبه من هو مؤلفه ؟) مجلة الابحاث، ج ١، السنة ١٤ آذار (بغداد ، ١٩٦٥) .

FOREIGN REFERENCES

(294) Ahmed , Sami Said . , (٢٩٤)
Hatra , Archacological Cruises , and Tour , (London , (1972) .

(295) Al - Adhami , Awad Majid . , (٢٩٥)
The Role of the Arab Provincial Governors in Early Islam , (London , Ph . D . Thesis)

(296) Bowen , Harold . , (٢٩٦)
" The Life and times of Ali ibn Isa " (The good visier) , (Cambridge , 1928) .

(297) Cahen " Claud Cahen " . , (٢٩٧)
Fiscalite , Propriete , Antagonismes Sociauken Haute mesopotamia au temps des premier's Abbaside Dapres Dionysius of Tellmahre , (Arabica . I . 1954 .)

(298) Ctesiphan and Hatra (Baghdad , 1943) . (٢٩٨)

(399) Dennett , D . C . , (٢٩٩)
Marwan Ibn Muhammad , Ph . D . Thesis , Harvard University , 1939 .

(300) Dionysius of Tellmahre . , (٣٠٠)
" The Chronicle of Dionysius of Tellmahre , " Translated from Cerianic into French Language by Shapo , Paris .

(301) Dix)n , D . A . Abdul Ameer Abid . , (٣٠١)
" The Umayyad Caliphate " (684 - 705) ,
Political Study , Ph . D . Thesis .

(302) (٣٠٢)
Encyclopaedia of Islam , 1st edition ,
(Leyden , 1927)

(303) (٣٠٣)
Encyclopaedia of Islam , 2nd edition ,
Luzac & Co . , (Leyden , 1972) .

(304) Encyclopaedia Britanica (U . S . A , 1965) (٣٠٤)

(305) F . Lokkeguard , Frde , (٣٠٥)
" Islamic Taxation in the Classic period , "
(Copenhagen , 1950)

(306) L . Lestrang , G . , (٣٠٦)
" Description of Mesopotamia and Baghdad , "
(Ibn Serapion) , (Leyden , 1895 .)

(307) M . A Shaban . , (٣٠٧)
The Abbasid Revolution (Cambridge , 1970) .

(308) M . Maitain , A . Book . , (٣٠٨)
Atlas of Mesopotamia (London , 1962) .

(309) Mahmud , Sayyid , Fayyez . , (٣٠٩)
" A short history of Islam (London , 1960) .

(310) Moret , Alexander . , (٣١٠)

Histoire de Lovient , V . I (Paris , 1936)
(311) Omar , D . Farouk Omar . , (٣١١)
" The Abbasid Caliphate " (Baghdad , 1969) ,
Ph . D . Thesis . (University of London) .
(312) " Ibrahim al-Imam , " in the Encyclopaedia (٣١٢)
of Islam , new ed . 1967 .
(313) Samarraie , Dr . Husam Qawwam . , (٣١٣)
" Agrlculture in Iraq during the 3rd / 9th
Chapter " (Beirut , 1972) .
(314) W . Gordon East . , (٣١٤)
" An Historical Geography of Eastern Europe ,
(London , 1966) .

trouble the opposition had caused, the result was that it met nothing but failure, as the other similar movements did .The chapter also refers to the Alawiyyun in Al - Jazirah where some of the population sympathized with them . It covers , in addition, a number of other Miscellaneous movements .

were the pivot . The Umayyad Movements of Opposition , however , were characterized by disintegration and the lack of a unified system to order their action against the Abbasids, and that led to their utter failure and ended their activity in Al - Jazirah so that no opposing movement appeared after 195 A.H/810 A D . The yeat which represented the date of the last Umayyad movement against the Abbasids .

7 : The Seventh chapter covers a number of other movements of opposition against the Abbasids, particularly the tribal ones, which reflect the attitude of most of the tribes of Mosul and Al - Jazirah which was hostile to the Abbasids , and the prospect of some of them to accede to authority, especially in Mosul . Those Movement also reflect the reaction of the Arabs of Al - Jazirah to the events of the capital of the caliphate, particularly the revolt of Nasr ibn Shabath al - Uqaili, which indicates the reaction of the Arabs of Al - Jazirah to the increasing power of the Persians in the Abbasid Court, which led to manifest conflict between the Arab tribes and the Abbasid governor . Inspite of the disorder and

When the Abbasids succeeded to authority, the Kharijite Movement revived and restored its former strength. That revived movement can be regarded as a continuation to the Kharijite movement of the era of Marwan ibn Muhammad, after a period of temporary inactivity. The Movement reached its climax during the regime of Al - Walid ibn Tarif Al - Shari and Yasin Al - Tamimi, but the Abbasid Caliphate managed to obliterate the Kharijite Move- fatally.

6. The Six Chapter deals with the Movement of the Umayyad opposition in Al-Jazirah Al-Furatiyya and the stern measures the Abbasids to resortedin pursuing the Umayyads and their adherents. The people of Al - Jazirah and Al - Sham being supporters of the Umayyads, were provoked by the Abbasid measures. They opposed the Abbas'd and raised such sevolts as to exhaust the Abbasid forces in the early Abbasid rule. The most violent and dangerous of these revolts was that of Abdullah ibn Ali, of whose revolt the people of Al - Sham were Al - Jazirah

first, the great attention the Abbasid Caliphate paid to the Province as reflected in the Caliph's frequenting the Province and studying its different conditions, in their emphasis on establishing justice among its inhabitants who constituted acomposite society, in the establishment of military fortsesses in various parts of the Province to ensure complete administrative control of it .

The second of the chapter includes an analysis of the political and administrative authority of the local governors and the deeds they achieved for enforcing their authority in the Province . It also includes the authority of Sahib al - Rabita and the collectionsand their behaviour .

5. Chapter Five surveys the extereal movements of opposition since A . H / 794 A . D ., 218 A . H/833 A . D . the events coyered in the chapter reveal how the Kharijiter were a source of anxiety and a factor of creating disorder and anarchy . They achieved a number of successes upon the armies of Marwan ibn Muhammed till be conquered them at last .

fact that Al - Jazirah was rich in its various economic resources which helped to make it the arena for important historical events .

3. The Third Chapter covers the transitional period which Al - Jazirah Al - Furatiyya experienced and during which the authority transferred to the Abbasids. It, too covers the attitude of the people of the Province towards the Abbasid and the fate of Ibrahim Al - Imam and his murder in Harran . The military battles between the Abbasids and the Umayyads in Al - Jazirah have been analyzed, particularly the Battle of Az-Zab which reveals the extent of the grumbling of several Umayyad tribes against the tribal Policy of the Caliph Marwan ibn Muhammad . The military operations which led to the occupation of Al - Jazirah by the Abbasid forces and the attitude of Mosul towards the Abbasid new regime have been covered .

4. The Fourth Chapter deals with administrative affairs of Al - Jazirah after its subjugation to the Abbasid authority . The chaprer covers two fundamantal points :

The thesis consists of the following chapters :

1 . The First Chapter : This chapter deals with the geography of the Province . This covers the naming of Al - Jazirah and Mosul, the boundaries of Al-Jazirah, the topography of the region and its water sources, the towns and villages of Al - Jazirah have been described, with special emphasis on their development during the period under consideration . The chapter deals with the population and shows that they were luyzid of Arabian and non - Arabian tribes . The religions of non - Muslim elements have been studied briefly and the amount of tolerance shown to those elements by the Muslim State has been estimated . The study of the various elements of population reflects the motives that lay behind many of the movements of opposition, especially the tribal ones .

2 . The Second Chapter deals with economic state of the Province, including agriculture , Iqta professions , industries, besides commerce , markets and communications . It also deals with the most important sources of revenues. and the methods of their collection, and the ways of their expenditure . All that reveals the

cover all the early abbaside, regime. and the opposition of the Umayyads, and others .

The significance of the Province was great and genuine, for it was amatter of disputes and conflict between the Byzantiun Empire and the Sasssanid Empire for a long time . Each of the two Empires tried hard to subjugate it to itself . Muslims regarded it as the first line of defense for the Islamic lands .

What has encouraged me to choose the subject is the scarcity of serious studies in this field . i have made great advantage of my professor's praiseworthy opinions and suggestions .

The sources dealing with the events of Al - Jazira Al - Furatjyya have been analyzed and examined in detail, especially in the attitudes of the historians towards the devlopment of historical events . Several local histories have been surveyed, as well as other sources dealing with the Islamic history and books of geneology . The books and articles written by modern historians regarding miscellaneous events of the Province have been consulted too .

Thesis In BrieF

The thesis deals with Al - Jazirah Al - Furatiyya and Mosul during the period between 127 A . H / 744 A.D . and 218 A . H | 833 A . D . Mosul has been included because it was the metrop olis of Al - Jazirah . Events of great historical importance took place in it . The Period has been chosen particularly because the region was the center of Umayyad administrative activities during it . The province of Al - Jazirah al - Furatiyya enjoyed an important position in the state administration, for it had a strategic location, it being facing the frontiers of Byzantiun, the source of hostility and danger to the state, the Province was regarded as the link joining Eastern part of the Islamic State to its Western part . It had economic importance too, whether in the field of production or commerce, as it lay on the old commercial route .

During the period under consideration Al - Jazirah province was the field for several movements, such as the political opposition against the Abbaside, particularly that of the Kharijite Movement which extended to

الفهرست

الموضوع	الصفحة
الزراعة	٢٠٥_١٩٧
القطائع في الجزيرة الفراتية	٢١٢_٢٠٥
الثروة الحيوانية	٢١٧_٢١٢
الصناعة	٢١٧
المعادن	٢٢٠_٢١٧
الحرف والصناعات المدنية	٢٢١_٢٢٠
الصناعات الزراعية	٢٢٤_٢٢١
الصناعات الحيوانية	٢٢٦_٢٢٤
التجارة	٢٢٨_٢٢٧
طرق المواصلات	٢٣٤_٢٢٩
الصادرات	٢٣٨_٢٣٤
واردات الدولة وأساليب جبايتها	٢٤٤_٢٣٨
طرق الجباية	٢٥٢_٢٤٤
المصروفات	٢٥٥_٢٥٢
الفصل الثالث	
فترة الانتقال التي مرت بها الجزيرة الفراتية من العصر الأموي	
الى العصر العباسي	٣٥٤_٢٥٧
موقف الجزيرة من الدعوة والثورة العباسية	٢٧٠_٢٥٩
مقتل ابراهيم الامام في مدينة حران	٢٨٥_٢٧٠

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
نتيجة الحركة الخارجية في عصر مروان	٥٢٦ـ٥٢٩
حركة المعارضة الخارجية في العصر العباسي	٥٢٩ـ٤٩٥
ثورة بريكة بن حميد الشيباني	٥٣١
ثورة ملبد بن حرملة الشيباني	٥٣١ـ٥٤١
ثورة عطية بن بعثر التغلبي	٥٤١
ثورة حسان بن مجالد الشروري	٥٤٢ـ٥٤٩
حركة عبد السلام اليشكري	٥٥٠ـ٥٥٨
ثورة ياسين التميمي الخارجي	٥٥٨ـ٥٥٩
ثورة حمزة الخزاعي	٥٦٠
ثورة الصحصح الشيباني	٥٦١ـ٥٦٢
ثورة الفضل الشيباني	٥٦٣ـ٥٦٤
ثورة العطاف الشاري	٥٦٤ـ٥٧٠
ثورة الوليد بن طريف الشاري	٥٧١ـ٥٨٤
ثورة جراشة بن شيبان الازدي الخارجي	٥٨٤ـ٥٩٠
ثورة ابي عمرو الشاري بشهرزور	٥٩٠
ثورة مهدي بن علوان الشاري	٥٩١ـ٥٩٤
ثورة الفضل الضبابي	٥٩٤ـ٥٩٥
الفصل السادس	
حركات المعارضة الاموية	٥٩٧ـ٦٩٦

الخطا والصواب

السطر	الصفحة	الخطا	الصواب
١٤	١٨	تفع	تقع
١٥	٢٠	يعدد	يورد
٢١	٢٠	المضدر	المصدر
١٣	٢٢	ومقلته	ومقتله
٤	٢٣	التواب	الزاب
١٦	٢٤	واستعواض	واستعراض
١١	٢٥	ابن سعيد	ابن سعد
٩	٣١	المصاد	المصادر المتاخرة
١٧	٤٤	الجنرب	الجنوب
٤	٤٨	لى	على
١٣	٤٨	اجتمع	اجتمع
٦	٦٠	الرجال	الراجل
١	٦٥	هدار	هدرأ
١٣	٦٨	يتجو	يتجه
١٤	٦٩	تحط	تحيط
١٨	٦٩	السطيحة	السطحية

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٢	٧٢	ومايحث	ومايحدث
٦	٧٣	وقطريل	وقطربل
٧	٧٣	وقرى	ويرى
١٧	٨١	مستنقات	مستنقعات
٥	٨٤	وديامضر	وديار مضر
٦	٨٦	اقتصادنا	اقتصادياً
٧	٨٦	ونشرب	ويشرب
هامش*	٨٧	الرمنيه	ارمينية
٦	٨٨	بل	بن
هامش(٣)	١١١	انها	ان بها
١١	١١٦	الرشيو	الرشيد
٩	١١٧	يشارق	يشارك
١٣	١٢٢	التوارة	التوراة
٣	١٢٤	المصاد	المصادر
١	١٣٩	مالى	والى
٣	١٤٢	ادن	المدن
١٠	١٤٤	والمشأ	والمنشا
١	١٤٤	الزاعي	الزراعي
٥	١٥٠	الفيزن	الضيزن
١٢	١٥٥	غشان	غسان
٩	١٦٠	بن	بنو
١٢	١٦٠	افرادالعربية	افرادالقبائل العربية

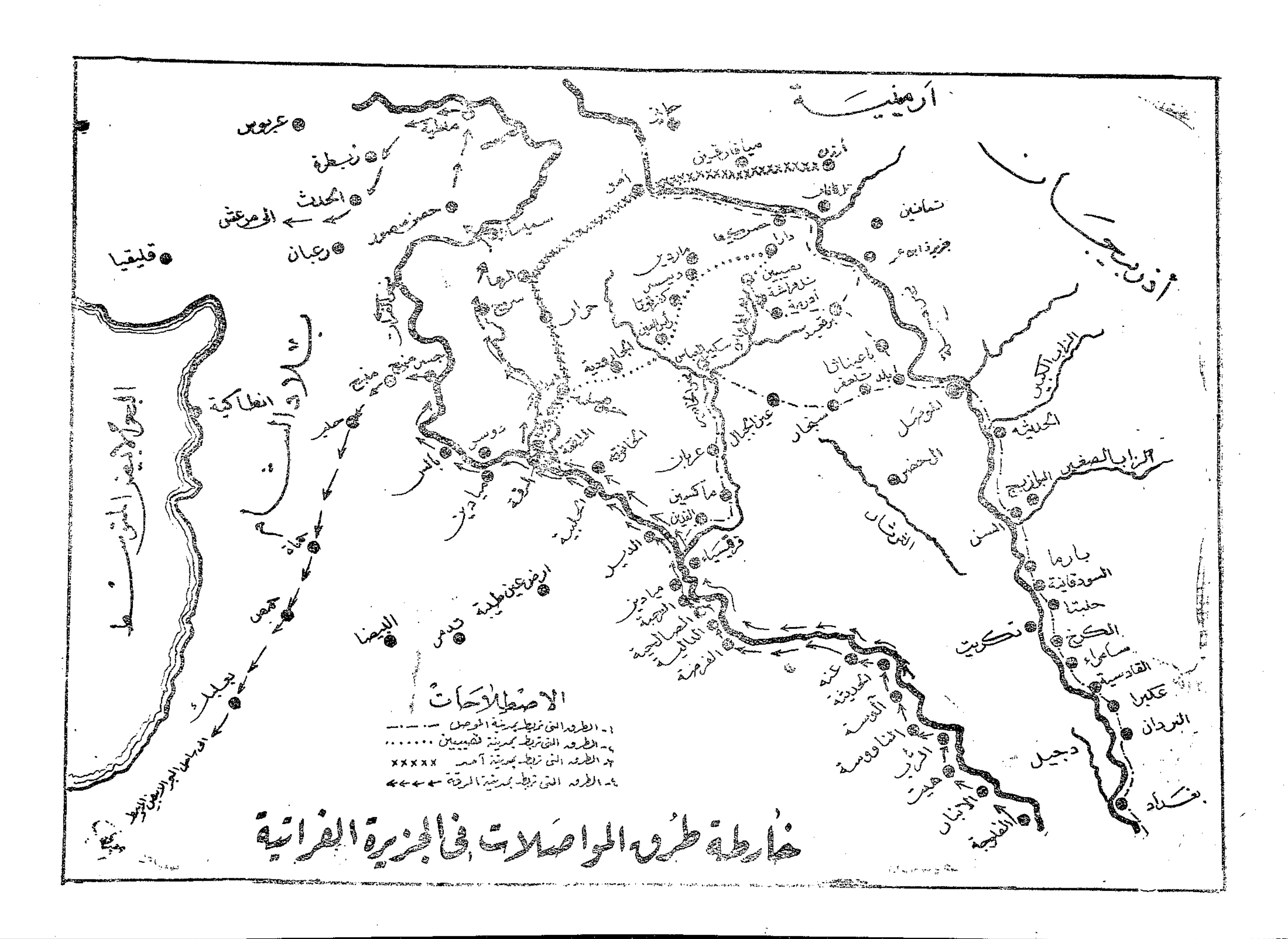
السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٨	١٧٤	المسعوري	المسعودي
٤	١٧٦	حيب	حيث
هامش (٣)	١٧٩	البابله	البابلية
هامش (*)	١٨١	الانكلزي	الانكليزي
هامش (٢)	١٨٥	هامش رقم (٢)	حذف العبارة بكاملها
٨	٢٠٠	بججبل	بجبل
٧	٢٠٥	منطة	منطقة
٤	٢٠٨	ونقيت	وبقيت
١٥	٢٠٨	المدصل	الموصل
٢	٢١٦	السمائمة	السائمة
٣	٢٢١	المطم	المطعم
٢	٢٢٢	بضه	بصناعة
٨	٢٢٢	نفع	نافع
٩	٢٢٢	زراعة	زراعية
١٣	٢٢٤	والقارم	والمقارم
٥	٢٢٥	بالتطربز	بالتطريز
١	٢٣٠	يت	هيت
٤	٢٣٥	ملهثايا	معلثايا
٦	٢٦٢	ولقد	ولو
١١	٢٧١	والتجاء	والتجأ

الصواب	الخطأ	الصفحة	السطر
حذف	الاموية	٢٨٥	١٤
طبيعة	طبعة	٢٩٣	٣
الانتصار	النصر	٢٩٣	٣
كنا	كا	٣٠٠	٨
ثياب	ثاب	٣٠٠	١
فدواب	فدراب	٣٠٦	٨
تفتقد	قـــر	٣١٦	١
للكوفة	للوفة	٣١٧	٢٠
تحذف	إلا	٣٢٤	٩
شيوع	شيوخ	٣٥٠	٨
هذا	ذا	٣٥٢	١
امامـــه	امه	٣٦٨	٨
امن	ان	٣٦٣	٦
أكده على الجانب	على الجانب	٤٠٠	١٨
لخصالها	لخصالبا	٤١٨	٩
فرجعوا الى السلق	فرجعوا السلق	٤٢٣	١١
تحذف	فرقها	٤٣٣	٥
الخلافة	الخفة لا	٤٥٢	١٢
فالتقيامع هذا فوارس	فالتقيافوارس	٤٨٩	١٢
متوالية	متولية	٥٠١	هامش(٢)
المصادر	المصار	٥٠٤	١٢

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
٧	٥٠٩	للوارج	للخوارج
٣	٥١١	امثال	اميال
١٣	٥٢٥	الطئي	الطائي
١١	٥٣٦	ففي	في
٢١	٥٤٣	لقيلا	لقينا
٥	٥٤٩	يستحون	يستحقون
٣	٥٥٠	حركة	حركته
٤	٥٥٠	منشأة	منها
١٣	٥٥١	وثباتم	وثباتهم
١٢	٥٥٢	خشة	خشية
١٢	٥٦١	هامش (*)	ينقل الى صفحة ٥٦٠
٤	٥٦٥	فسيولي	فسيتولي
٨	٥٧٦	الجلافة	الخلافة
٨	٥٧٨	ليمش	ليوهش
٤	٥٩٣	يحي قيس	يحي بن قيس
٧	٥٩٣	ربحه	رمحه
٣	٥٩٩	اخذ	اخر
٥	٦٠٨	كسب	كعب
٦	٦٣٢	الموقع	الموقف
١٨	٦٣٤	لصالحم	لصالحهم

السطر	الصفحة	الخطأ	الصواب
١٢	٦٤٠	سميساط	حذفها
٧	٦٥٧	وللدمد	وللدهر
هامش	٦٦٢	ويحل	ويحك
١٣	٦٩٦	استقرار	استمرار
١	٧٠٥	لمم	لم
٤	٧٠٨	لما	كما
١٦	٧٠٧	الزن	الزمن
٤	٧٠٩	ما اما	ما انا
٢	٧١٤	لليمنة	لليمنية
هامش(٢)	٧١٥	اركوا	ادركوا
٩	٧٣٩	الانشناء	الاثناء
١٦	٧٤٦	مصر	نصر
١	٧٤٨	كيلي	ليلى
٢	٧٤٨	الدقة	الرقة
٧	٧٥٢	الثور	الثوار
١	٧٦٣	ذهب	قصد

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ١٥٧ لسنة ١٩٧٧



ارمينية
اذربيجان
عربسوس
زبطرة
الحدث
ملطية
مرعش
حصن منصور
زعبان
قليقيا
ميافارقين
آمد
سميساط
الرها
حران
دارا
ماردين
نصيبين
رأس العين
الموصل
سنجار
بلد
عين الجمال
عربان
ماكسين
قرقيسياء
ميادين
الرحبة
الصالحية
الدالية
الفرضة
الدير
الرقة
الخانوقة
بالس
منبج
حلب
انطاكية
حماة
حمص
بعلبك
تدمر
البيضا
ارض عين طيبة
الزاب الكبير
الزاب الصغير
الحديثة
البوازيج
السن
بارما
السودقانية
حلبتا
الكرخ
سامراء
القادسية
تكريت
عكبرا
البردان
دجيل
بغداد
عنه
الناووسة
هيت
الانبار
الفلوجة
الثرثار
الى ساحل البحر الابيض المتوسط
الاصطلاحات
١- الطرق التي تربط بمدينة الموصل
٢- الطرق التي تربط بمدينة نصيبين
٣- الطرق التي تربط بمدينة آمد
٤- الطرق التي تربط بمدينة الرقة
خارطة طرق المواصلات في الجزيرة الفراتية